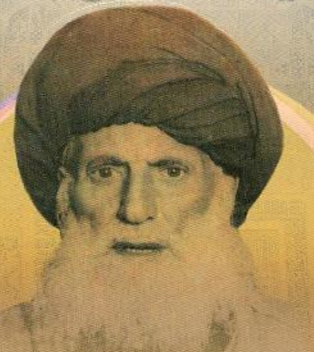


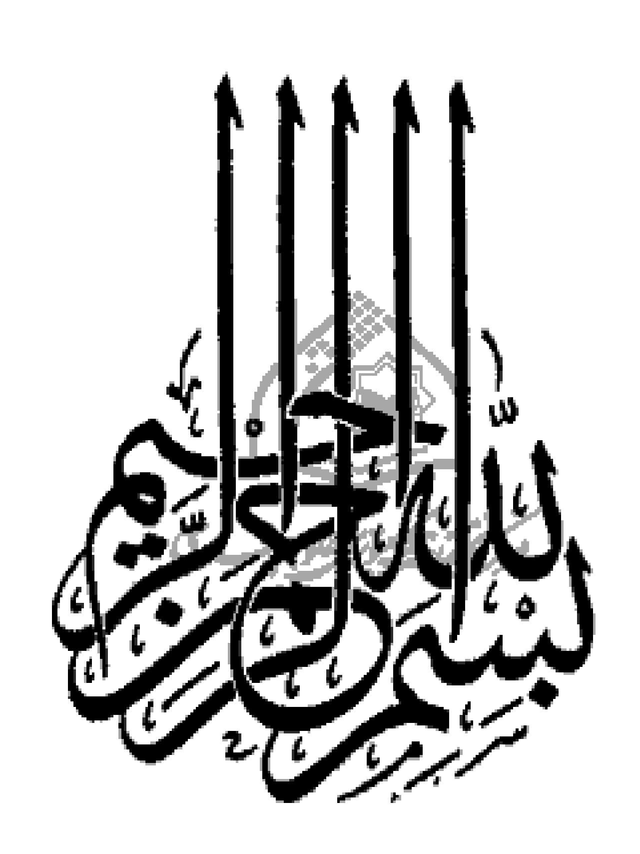
كشكول

السيّد محسن الأمين

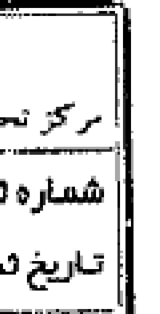


- سير لحكام وملوك الإسلام
- مناظرات ومفاخرات مُسكتة
- غرائب وعجائب الحوادث
- نوادر وطرائف مسلية

كشكول السيد محسن الأمين العاملي


بسم الله الرحمن الرحيم

كشكول السيد محسن الأمين العاملي





المجتهد الأكبر
السيد
محسن الأمين العاملي

دار المرتضى
بيروت

دار المرتضى
للطباعة والنشر والتوزيع
لبنان - بيروت
ص ب : ١٥٥/٢٥ الغبيري
هاتف وفاكس : ٠٠٩٦١١٨٤٠٣٩٢
نقال : ٠٠٩٦١٧٠٩٥٠٤١٢

Dar Al-Mortada
Printing – Publishing – Distributing
Lebanon – Bierut
P.O.Box : 155/25 Ghobiery
Tel – Fax : 009611840392
Mobile : 0096170950412
E – mail : mortada14@hotmail.com
Printed in Lebanon



الطبعة الاولى
١٤٣٠ هجرية
٢٠٠٩ ميلادية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين

وبعد،

يقول العبد الفقير إلى عفو ربه الغني محسن ابن المرحوم السيد عبد الكريم الحسيني العاملي أنه سنح لي من أوائل اشتغالي بطلب العلم أن أجمع كتاباً حاوياً لأشتات الفوائد من جميع العلوم ملتقطاً التقاط الدرر، ومجتنياً اجتناء اليانع من الثمر، يكون كالخزانة لما يمرُّ بي ويقع في يدي من جواهر الفوائد صوناً لها عن الضياع، أو كروضة غناء فيها من كل زوجين اثنين وجنة فيحاء فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: (إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة) وسميته (معادن الجواهر ونزهة الخواطر في علوم الأوائل والأواخر).

وقد كنت جمعته من غير التزام بترتيب ولا تبويب بل ذكرت كلما وقع عليه الاختيار ناسب ما قبله أولاً ثم رأيت ترتيبه وتبويبه أولى وأقرب إلى كثرة الانتفاع به من بقائه بدون ذلك فرتبته وبوّبته وجعلت كل شيء منه في الباب الذي هو أكثر مناسبة له مستعيناً بالله تعالى ومتوكلاً عليه وسائلاً من كرمه تعالى أن يكتبه في ديوان الحسنات ويجعله خالصاً لوجهه الكريم وينفع به الطالبين وهو حسبي ونعم الوكيل.

ورتبته على مقدمة وثمانية أبواب.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المقدمة

وفيها أمور:

الأول: في فضل التأليف والكتابة

قال الله تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ٣-٥] في الكشاف: فدل على كمال كرمه بأنه علّم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبّه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو. وما دونت العلوم ولا قيّدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة إلّا بالكتابة ولولاها لما استقامت أمور الدين والدنيا، ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل إلا أمر القلم والخط لكفى به اهـ.

وقد ورد في الحث على الكتابة والوعد بالثواب الجزيل على فعلها كثير من الآثار فمنه، عن النبي ﷺ أنه قال: قيدوا العلم قيل: وما تقييد العلم؟ قال: كتابته. وفي رواية: قيدوا العلم بالكتاب، وروي أن رجلاً من الأنصار كان يجلس إلى النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: استعن بيمينك وأومىء بيده أي خط وفي الحديث: لا تفارق المحبرة فإن الخير فيها وفي أهلها إلى يوم القيامة. من مات وميراثه المحابر والأقلام دخل الجنة وعن الحسن بن علي عليه السلام أنه دعا بنيه وبني أخيه فقال: إنكم صغار قوم ويوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين فتعلموا العلم فمن لم يستطع منكم أن يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته. وقال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام اكتبوا فإنكم لا تحفظون حتى تكتبوا وقال عليه السلام: القلب يتكل على الكتابة. وقال عليه السلام: احفظوا كتبكم فإنكم ستحتاجون إليها. وقال عليه السلام: للمفضل بن عمر اكتب وبث علمك في إخوانك، فإن مت فأورث كتبك بنيك فإنه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلّا بكتبهم الهرج: بسكون الراء مصدر يقال هرج الناس من باب ضرب هرجاً إذا وقعوا في فتنة واختلاط وقتل. وأصل الهرج الكثرة

في الشيء والاتساع والهرج الفتنة في آخر الزمان وقال ابن قيس الرقيات في فتنة ابن الزبير:

ليت شعري أأول الهرج هذا أم زمان من فتنة غير هرج

والمراد بالكتب في الحديثين الأخيرين الأحاديث المروية عنهم عليهم السلام قوله عليه السلام: ستحتاجون إليها أي لفقد من تسألونه من الأئمة عليهم السلام من جهة شدة التقية أو حصول الغيبة فينحصر أخذكم للأحلام من الكتب وكذا قوله عليه السلام؟ يأتي على الناس زمان هرج الخ، أي زمان فتنة وقتل وخوف فلا يكون لهم مفزع في أخذ الأحكام إلّا كتبهم، وربما يستدل بذلك على حجية أخبار الثقات، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن المؤمن إذا مات ترك ورقة واحدة عليها علم كانت الورقة ستراً فيما بينه وبين النار، وأعطاه الله بكل حرف مدينة أوسع من الدنيا وما فيها، ومن جلس عند العالم ناداه الملك: جلست إلى عبدي وعزتي وجلالي لأسكنتك الجنة معه ولا أبالي وكفاك في هذا قول الصادق عليه السلام: إذا كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيد واحد ووضعت الموازين فيوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء.

قال شيخنا الشهيد الثاني رحمه الله وذلك لأن مداد العلماء ينتفع به بعد موتهم ودماء الشهداء لا ينتفع بها بعد موتهم. وأقول: دماء الشهداء بما هي دماء لا نفع لها في حياتهم ولا بعد موتهم وإنما فضلها باعتبار ما يترتب على الجهاد من نصرة الدين وإظهار الحق وهذا يبقى أثره بعد الشهادة غالباً فالوجه، إن ما يترتب على الجهاد والقتل في سبيل الله وعن النبي صلى الله عليه وآله إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلّا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به ولد صالح يدعو له المراد بالصدقة الوقف في سبيل الله وبالعلم كتب العلم أو ما يشملها ويشمل العلم الذي تعلمه غيره منه، وانتفع به الناس بعده كما يدل عليه بعض الأخبار الآتية في الأمر الثاني:

ومن كلمات الحكماء والعلماء في الكتابة:

قالوا: لو أن في الصناعات صناعة معبودة لكانت الكتابة رباً لكل صناعة. قيدوا العلم بالكتاب. العلم صيد والكتابة قيده. الخط لسان اليد. تسويد بخط الكاتب

أملح من توريد بخد الكاعب. كم من مآثر أثبتتها الأقلام فلم تطمع في دروسها الأيام. من خدم المحابر خدمته المنابر. وقال الشاعر:

مداد مثل خافية الغراب	وأقلام كمرهفة الحراب
وقرطاس كرقراق السراب	وألفاظ كأيام الشباب

الأمر الثاني - في فضيلة العلم وذم الجهل:

اعلم أن فضيلة العلم وارتفاع درجته أمر كفى انتظامه في سلك الضرورة مؤنة الاهتمام ببيانه. وما يورد في فضله إنما هو من قبيل ما يذكره الوعاظ من أخبار الترغيب والترهيب، لتحريك النفوس وتنبيه الغافل ويدل على فضل العلم بعد الضرورة عند جميع العقلاء العقل والنقل من الكتاب والسّنة.

دلالة العقل على فضل العلم:

أما العقل، فمن وجهين. الأول: إن الأشياء تنقسم إلى موجود ومعدوم، والموجود أشرف من المعدوم ببديهة العقل «والموجود» ينقسم إلى جماد ونام «والنامي» أشرف من الجامد «والنامي» ينقسم إلى حساس وغيره «والحساس» أشرف من غيره «والحساس» ينقسم إلى عاقل وغير عاقل «والعاقل» أشرف من غيره «والعاقل» ينقسم إلى عالم وجاهل، «والعالم» أشرف من الجاهل كل ذلك ببداهة العقل فالعالم أشرف المعقولات والموجودات.

الثاني: إن الأمور على أربعة أقسام: قسم يرضاه العقل ولا ترضاه الشهوة وقسم عكسه وقسم يرضيانه وقسم لا يرضيانه. «فالأول» كالأمراض والمكاره في الدنيا «والثاني» المعاصي، «والثالث» العلم، «والرابع» الجهل.

الآيات الواردة في فضل العلم:

«وأما الكتاب» فآيات (١) في سورة العلق وهي أول ما أنزل في قول بعض المفسرين وفي قول بعض إنها الفاتحة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ١-٥] حيث افتتح كلامه المجيد بذكر نعمة الإيجاد وأتبعه بذكر نعمة العلم، فلو كان بعد نعمة الإيجاد نعمة أعلى من العلم لكانت أجدر بالذكر، وقد قيل في وجه التناسب بين

الآي المذكورة في صدر هذه السورة المشتمل بعضها على خلق الإنسان من علق وبعضها على تعليمه ما لم يعلم أنه تعالى ذكر أول حال الإنسان أعني كونه علقة وهي بمكانة من الخساسة وآخر حاله وهي صيرورته عالماً وذلك كمال الرفعة والجلالة فكأنه سبحانه قال كنت في أول أمرك في تلك المنزلة الدنية الخسيسة، ثم صرت في آخره إلى هذه الدرجة الشريفة النفيسة، قال الشهيد الثاني في منية المريد: هذا يدلُّ على أنه سبحانه اختص بوصف الأكرمية لأنه علّم الإنسان العلم فلو كان شيء أفضل من العلم أو أنفس لكان اقترانه بالأكرمية المؤداة بأفعل التفضيل أولى، أقول: يريد أن ربك الأكرم مبتدأ وخبر فيفيد الاختصاص لتعريف الخبر باللام نحو هو البطل الشجاع والذي علّم بالقلم صفة الإكرام وهو بمنزلة التعليل له، وعلّم الإنسان ما لم يعلم بدل من علّم بالقلم، ويمكن جعل ربك مبتدأ والإكرام صفة والذي علّم بالقلم صفة بعد صفة وعلم الإنسان ما لم يعلم خبره (٢) ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢]. فجعل العلم علة لخلق العالم العلوي والسفلي وكفى بذلك دلالة على شرف العلم سيما علم التوحيد (٣) ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البَقَرَة: ٢٦٩]. وفسرت الحكمة في هذه الآية وفي آية ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢] وغيرهما بمواعظ القرآن والعلم والفهم والنبوة والكل يرجع إلى العلم (٤) ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩]. وقرن الله في كتابه العزيز بين عشرة أشياء «قل لا يستوي الخبيث والطيب وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات». وإذا تأملت تفسير ذلك وجدت مرجعه جميعاً إلى العلم (٥) ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] (٦) ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]. فقرن أولي العلم بنفسه وملائكته (٧) ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [آل عِمرَان: ٧] الآية (٨) ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣] (٩) ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١] (١٠) ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] (١١) ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩] (١٢) ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ

نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣] (١٣) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٨]. ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩] (١٤) ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩] (١٥) ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣] (١٦) ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٢] (١٧) ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٠] (١٨) ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧] (١٩) ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٥] (٢٠) ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٥٢] (٢١) ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٣] ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣] (٢٣) ﴿هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩] (٢٤) ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾ [الأنعام: ٩١] (٢٥) ﴿وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [الإسراء: ١٢] (٢٦) ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٧] (٢٧) ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] (٢٨) ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] (٢٩) ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرحمن: ١-٤] (٣٠) ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١] ﴿ذلكما علمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ (٣١) ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٥١] (٣٢) ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٩] (٣٣) ﴿وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ١٠١] (٣٤) ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [المائدة: ١١٠] (٣٥) ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ [يوسف: ٦٨] (٣٦) ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] (٣٧) ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ٤٨] (٣٨) ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ (٣٩) ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣] (٤٠) ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ [يوسف: ٦٨] (٤١) ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦] (٤٢) ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] (٤٣) وزاده بسطة في العلم. إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

وأما السنة: فكثيرة لا تحصى.

ما جاء النبي ﷺ في فضل العلم:

قال رسول الله ﷺ: طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة إلا أن الله تعالى يحب بغاة العلم وقال ﷺ: اطلبوا العلم ولو بالصين وقال ﷺ: فضل العلم أحب إليَّ من فضل العبادة. وقال ﷺ: فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر. وقال ﷺ لعلي عليه السلام: يا علي نوم العالم أفضل من عبادة العابد يا علي ركعتان يصليهما العالم أفضل من سبعين ركعة يصليها العابد وقال ﷺ: نوم مع علم خير من صلاة مع جهل وقال ﷺ: قليل العلم خير من كثير العبادة وقال عليه السلام: ساعة العالم يتكىء على فراشه ينظر في علم خير من عبادة سبعين سنة، وقال ﷺ: فضل العالم على العابد سبعون درجة بين كل درجتين حضر الفرس سبعين عاماً وذلك لأنَّ الشيطان يضع البدعة للناس فيبصرها العالم فيزيلها والعابد مقبل على عبادته وقال ﷺ: فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في الماء ليصلون على معلم الخير وقال ﷺ: فقيه واحد أشدُّ على الشيطان من ألف عابد وخرج ﷺ: فإذا في المسجد مجلسان مجلس يتفقهون ومجلس يدعون الله ويسألونه فقال: كلا المجلسين إلى خير أما هؤلاء فيدعون الله وأما هؤلاء فيتعلمون ويفقهون الجاهل هؤلاء أفضل بالتعليم، بالتعليم أرسلت لما أرسلت ثم قعد معهم. أقول: سيأتي أخبار كثيرة عن الأئمة عليهم السلام في فضل العالم على العابد وبه يحكم العقل، وجعل النظر إلى العالم عبادة بل وإلى باب العالم عبادة.
وعنه ﷺ: من أراد الدنيا فليتجر ومن أراد الآخرة فليتزهد ومن أرادهما فليتعلم.
وقال ﷺ: من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى به وأنه ليستغفر لطالب العلم في السماوات ومن في الأرض، حتى الحوت في البحر وإن العلماء ورثة الأنبياء. إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورثوا العلم فمن أخذ منه أخذ بحظ أوفر.
وقال ﷺ: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين. وقال ﷺ: من طلب علماً فأدركه كتب الله له كفلين من الأجر. وقال ﷺ: من أحب أن ينظر إلى عتقاء الله من النار، فلينظر إلى المتعلمين فوالذي نفسي بيده ما من متعلم يختلف إلى باب العلم إلا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة وبنى الله له بكل قدم مدينة في الجنة ويمشي على

الأرض وهي تستغفر له ويمسي ويصبح مغفوراً له وشهدت الملائكة أنه من عتقاء الله من النار. وقال ﷺ: من طلب العلم فهو كالصائم نهاره القائم ليله وإن باباً من العلم يتعلمه الرجل خير له من أن يكون أبو قبيس ذهباً فأنفقه في سبيل الله وقال ﷺ: من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام كان بينه وبين الأنبياء درجة واحدة في الجنة. وقال ﷺ: إذا جاء الموت إلى طالب العلم وهو على هذه الحال مات شهيداً وقال ﷺ: من خرج في طلب العلم فهو خارج في سبيل الله حتى يرجع. وقال ﷺ: من خرج يطلب باباً من العلم ليرد به باطلاً إلى حق وضالاً إلى هدى كان علمه كعبادة أربعين عاماً وقال ﷺ لعلي عليه السلام: يا علي لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير من أن يكون لك حمر النعم. وقال ﷺ لمعاذ: يا معاذ لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير من الدنيا وما فيها. وقال ﷺ: لا حسد (يعني لا غبطة) إلا في اثنين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها وقال ﷺ: من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ولا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً. ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه ولا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً. وقال ﷺ: من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة. وقال ﷺ: لا حسد إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست أوشك أن تضل الهداة وقال ﷺ: أيما ناشئ نشأ في العلم والعبادة حتى يكبر أعطاه الله تعالى يوم القيامة ثواب اثنين وسبعين صديقاً، وقال ﷺ: يقول الله عز وجل يوم القيامة للعلماء: أني لم أجعل علمي وحكمي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان منكم ولا أبالي وقال ﷺ: ما جمع شيء إلى شيء أفضل من علم إلى حلم، وقال ﷺ: ما تصدق الناس بصدقة مثل علم ينشر وقال ﷺ: ما أهدى الرجل المسلم إلى أخيه هدية أفضل من كلمة حكمة يزيده الله بها هدى ويرده عن ردى، وقال ﷺ: أفضل الصدقة أن يتعلم المرء علماً ثم يعلمه أخاه وقال ﷺ: العالم والمتعلم شريكان في الأجر ولا خير في سائر الناس. وقال ﷺ: اغدُ عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً ولا تكن الخامس فتهلك، وفي رواية أنه قال لعلي عليه السلام: كن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكن الرابع فتهلك وقال ﷺ: العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل

قيّمه واللين أخوه والرفق والده والصبر أمير جنوده وقال ﷺ: من غدا إلى المسجد لا يريد إلا ليتعلم خيراً أن يعلمه كان له أجر معتمر تام العمرة ومن راح إلى المسجد لا يريد إلا ليتعلم خيراً أو ليعلمه فله أجر حاج تام الحجة. ومن الكلمات القصار المروية عنه ﷺ في فضل العلم قوله ﷺ: العلماء ورثة الأنبياء. العلماء أمناء الله على خلقه. العلماء أمناء أمتي. العالم أمين الله في الأرض. لقحوا عقولكم بالمذاكرة. عظموا العلماء فإنكم تحتاجون إليهم في الدنيا والآخرة. النظر في وجه العلماء عبادة. الكواكب زينة السماء والعلماء زينة أمتي. لغدوةٌ في طلب العلم أحب إلى الله من مائة غزوة. الأنبياء قادة، الفقهاء سادة، ومجالستهم زيادة. إن أولى الناس بالأنبياء أعلمهم به جاؤوا به.

ما جاء عن علي عليه السلام في فضل العلم:

وعن علي عليه السلام: جلوس ساعة عند العلماء أحب إلى الله من عبادة ألف سنة، والنظر إلى العالم أحب إلى الله تعالى من سبعين طوافاً حول البيت، وأفضل من سبعين حجة وعمرة مبرورة مقبولة ورفع الله له سبعين درجة، وأنزل عليه الرحمة وشهدت له الملائكة إن الجنة وجبت له. وعنه عليه السلام: تعلّموا العلم فإن تعلّمه حسنة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وهو عند الله لأهله قربة لأنه معالم الحلال والحرام وسالك بطالبه سبيل الجنة وهو أنيس في الوحشة، وصاحب في الوحدة وسلاح على الأعداء، وزين عند الاخلاء يرفع الله به أقواماً يجعلهم في الخير أئمة يقتدى بهم وترمق أعمالهم[١] وتقتبس آثارهم وترغب الملائكة في خلتهم يمسحونهم بأجنحتهم في صلواتهم، لأن العلم حياة القلوب من الجهل ونور الأبصار من العمى وقوة الأبدان من الضعف، ينزل الله حامله منازل الأبرار ويمنحه مجالسة الأخيار في الدنيا والآخرة. بالعلم يطاع الله ويعبد بالعلم يعرف الله ويوحد بالعلم توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام، والعلم إمام العقل والعقل تابعه[٢] يلهمه الله السعداء ويحرمه الأشقياء. وعنه عليه السلام: إنه قال: أيها الناس

(١) أي تنظر بنظر تأمل واعتبار كناية عن الاعتناء بهم والاقتداء بهم (المؤلف).

(٢) لأن العاقل إنما يحكم ويعمل ويعمل بمقتضى علمه ويتهدى إلى الأمور بالعلم والعقل قاصر عن إدراك كثير من الأشياء إلا بالعلم (المؤلف).

اعلموا أن كمال الدين طلب العلم والعمل به. ألا وإن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال لأن المال مقسوم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وضمنه، وسيفي لكم والعلم مخزون عند أهله، وقد أمرتم بطلبه من أهله فاطلبوه عادل بينكم وضمنه وسيفي لكم والعلم مخزون عند أهله وقد أمرتم وعنه عليه السلام : العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد، وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه. وعنه عليه السلام : كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح به إذا نسب إليه وكفى بالجهل ذماً أن يبرأ منه من هو فيه. وقال عليه السلام لكميل بن زياد: يا كميل العلم خير كم المال. العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو وينمو على الإنفاق. وعنه عليه السلام : العلم أفضل من المال بسبعة (١) إنه ميراث الأنبياء والمال ميراث الفراعنة (٢) العلم لا ينقص بالنفقة والمال ينقص بها (٣) يحتاج المال إلى الحافظ والعلم يحفظ صاحبه (٤) العلم يدخل في الكفن والمال لا يدخل (٥) المال يحصل للمؤمن والكافر والعلم لا يحصل إلا للمؤمن خاصة (٦) جميع الناس يحتاجون إلى العلم في أمر دينهم ولا يحتاجون إلى المال[1] (٧) العلم يقوي الرجل على المرور على الصراط والمال يمنعه. وعنه عليه السلام : قيمة كل امرئ ما يعلمه وفي لفظ آخر ما يحسنه.

ما جاء عن الزهراء عليها السلام في فضل العلم:

وحضرت امرأة عند فاطمة الصديقة عليها السلام فقالت: إن لي والدة ضعيفة وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثني إليك أسألك فأجابتها عن ذلك ثم ثنت فأجابت ثم ثلث فأجابت ثم ثلثت فأجابت إلى عشر مرات ثم خجلت من الكثرة. فقالت: لا أشق عليك يا بنت رسول الله قالت فاطمة عليها السلام : هاتي فاسألي عما بدا لك أرأيت من ذا الذي يصعد يوماً إلى سطح بحمل ثقيل وكراه مائة ألف دينار، أيثقل عليه ذلك فقالت: لا. فقالت: اكتريت أنا لكل مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤاً فأحرى إذاً أن لا يثقل عليّ لأني سمعت أبي صلى الله عليه وآله يقول: إن

---

(١) المراد والله أعلم أنهم يحتاجون إلى العلم في معرفة أمر دينهم ولا يحتاجون إلى المال من حيث أنه مال وإلا فقد يحتاج إلى المال في معرفة أمور الدين لتوقف تعلمها عليه وفي فعل العبادة كنفقة الحج وفي حصول ثواب الصدقة لكن هذا خارج عن المقصود بالحديث (المؤلف).

علماء شيعتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع من الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدهم في إرشاد عباد الله إلى أن قالت فاطمة عليها السلام : يا أمة الله أن سلكاً من تلك الخلع لأفضل مما طلعت عليه الشمس ألف ألف مرة وما فضل ما طلعت عليه الشمس فإنه مشوب بالتنغيص والكدر.

ما جاء عن الحسن عليه السلام في فضل العلم:

وعن الحسن بن علي عليه السلام فضل كافل يتيم آل محمد المنقطع عن مواليه الناشب في تيه الجهل يخرجه من جهله ويوضح له ما اشتبه عليه ويطعمه ويسقيه كفضل الشمس على السهى.

ما جاء عن الحسين عليه السلام في فضل العلم:

وعن الحسين بن علي عليه السلام من كفل لنا يتيماً قطعته عنا محنتنا باستتارنا فواساه من علومنا التي سقطت إليه حتى أرشده بهداه، قال له الله عز وجل : يا أيها العبد الكريم المواسي إني أولى بهذا الكرم اجعلوا له يا ملائكتي في الجنان بعدد كل حرف علمه أخاه ألف ألف قصر وضموا إليها ما يليق بها من سائر النعم.

ما جاء عن علي بن الحسين عليه السلام في فضل العلم:

وعن علي بن الحسين عليه السلام لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج، إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى دانيال إن أمقت عبيدي إلى الجاهل المستخف بحق أهل العلم التارك للاقتداء بهم، وإن أحب عبيدي إلي التقي الطالب للثواب الجزيل الملازم للعلماء التابع للحكماء القائل عن الحكماء.

ما جاء عن الباقر عليه السلام في فضل العلم:

وقال محمد بن علي الباقر عليه السلام عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد. وعنه عليه السلام : العالم كمن معه شمعة تضيء للناس فكل من أبصر بشمعته دعا له بخير، وكذلك العالم معه شمعة يزيل بها ظلمة الجهل والحيرة فكل من أضاءت له فخرج بها من حيرة أو نجا بها من الجهل فهو من عتقائه من النار، والله تعالى يعوضه عن ذلك بكل شعرة لمن اعتقه ما هو أفضل له من الصدقة بمائة ألف قنطار على غير

الوجه الذي أمر الله عزّوجلّ به، بل تلك الصدقة وبال على صاحبها لكن يعطيه الله تعالى ما هو أفضل من مائة ألف ركعة بين يدي الكعبة. وعنه عليه السلام: من علم باب هدى فله مثل أجر من عمل به ولا ينقص أولئك من أجورهم شيئاً ومن علم باب ضلالة كان عليه مثل أوزار من عمل به، ولا ينقص من أوزارهم شيئاً. وعنه عليه السلام: أن الذي يعلم العلم منكم له مثل أجر المتعلم وله الفضل عليه فتعلّموا العلم من حملة العلم وعلموه إخوانكم كما علمكموه العلماء. وعنه عليه السلام: لمجلس أجلسه إلى من أثق به أوثق في نفسي من عمل سنة وعنه عليه السلام: كل الكمال التفقه في الدين والصبر على النائبة وتقدير المعيشة.

ما جاء عن الصادق عليه السلام في فضل العلم:

وقال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام علماء شيعتنا مرابطون في الثغر الذي يلي إبليس وعفاريته يمنعوهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا وعن أن يتسلط إبليس وشيعته النواصب ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف ألف مرة، لأنه يدفع عن أديان محبينا وذلك يدفع عن أبدانهم، وعنه عليه السلام: من علم خيراً فله مثل أجر من عمل به قلت: فإن علمه غيره يجري له قال: إن علم الناس كلهم جرى له قلت: فإن مات قال: وإن مات. وعنه عليه السلام: تفقهوا في الدين فإن من لم يتفقه منكم في الدين فهو أعرابي، وإن الله عزّوجلّ يقول في كتابه: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢] وعنه عليه السلام: عليكم بالتفقه في دين الله ولا تكونوا أعراباً، فإن من لم يتفقه في دين الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة، ولم يزك له عملاً. وعنه عليه السلام: لوددت أن أصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا (وفي رواية) ليت السياط على رؤوس أصحابي حتى يتفقهوا في الحلال والحرام وعنه عليه السلام: لو أتيت بشاب من شباب الشيعة لا يتفقه لأدبته قال: وكان أبوه جعفر يقول تفقهوا وإلا فأنتم أعراب. وعنه عليه السلام: إن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً وإنما ورثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظاً وافراً فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه، فإن فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين. وعنه عليه السلام: إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين. وعنه عليه السلام: حديث في حلال وحرام تأخذه من صادق خير من الدنيا وما فيها من

ذهب أو فضة، وقال له معاوية بن عمار: رجل راوية لحديثكم يبث ذلك في الناس ويشده في قلوبهم وقلوب شيعتكم ولعل عابداً من شيعتكم ليست له هذه الرواية أيهما أفضل قال: الرواية لحديثنا يشد به قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد وقال له رجل: إن لي ابناً قد أحب أن يسألك عن حلال وحرام ولا يسألك عما لا يعنيه فقال له: ما من أحد يموت من المؤمنين كان أحب إلى إبليس من موت فقيه. وعنه عليه السلام: إذا مات المؤمن الفقيه ثلم في الرواية الإسلام ثلمة لا يسدها شيء.

ما جاء عن الكاظم عليه السلام في فضل العلم:

قال موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام: فقيه واحد ينقذ يتيماً من أيتامنا المنقطعين عن مشاهدتنا والتعلم من علومنا أشد على إبليس من ألف عابد، لأن العابد همّه ذات نفسه فقط، وهذا همّه مع ذات نفسه عباد الله تعالى وإماؤه لينقذهم من يد إبليس ومردته، وكذلك هو أفضل عند الله من ألف عابد وألف ألف عابد. وعنه عليه السلام: إذا مات المؤمن بكت عليه الملائكة وبقاع الأرض التي كان يعبد الله عليها وأبواب السماء التي كان يصعد منها أعماله في الإسلام ثلمة لا يسدها شيء؛ لأن المؤمنين الفقهاء حصون الإسلام كحصن سور المدينة لها.

ما جاء عن الرضا عليه السلام في فضل العلم:

قال علي بن موسى الرضا عليه السلام: يقال للعابد يوم القيامة نعم الرجل كنت همتك ذات نفسك وكفيت الناس مؤنتك، فادخل الجنة على أن الفقيه من أفاض على الناس خيره وأنقذهم من أعدائهم، ووفر عليهم نعيم جنات الله، وفضل لهم رضوان الله تعالى، ويقال للفقيه: أيها الكافل لأيتام آل محمد الهادي لضعفاء محبيه ومواليه قف حتى تشفع لكل من أخذ عنك أو تعلم منك فيقف، فيدخل معه فئام وفئام حتى قال: عشراً وهم الذين أخذوا عنه علومه وأخذوا عمن أخذ عنه إلى يوم القيامة فانظر كم فرق بين المنزلتين.

ما جاء عن الجواد عليه السلام في فضل العلم:

وقال محمد بن علي الجواد عليه السلام: إن من يتكفل بأيتام آل محمد المنقطعين عن إمامهم المتحيرين في جهلهم، الأسراء في أيدي شياطينهم وفي أيدي النواصب من أعدائنا، فاستنقذهم منهم فأخرجهم من حيرتهم وقهر الشياطين برد وسواسهم، وقهر

النواصب بحجج ربهم، ودليل أئمتهم ليفضل عند الله تعالى على العابد بأفضل المواقع بأكثر من فضل السماء على الأرض والعرش على الكرسيّ والحجب على السماء، وفضل هذا على العابد كفضل القمر ليلة البدر على أخفى كوكب في السماء.

ما جاء عن الهادي عليه السلام في فضل العلم:

وقال علي بن محمد الهادي عليه السلام: لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم من العلماء الداعين إليه والدالين عليه، والذابين عن دينه، بحجج الله تعالى والمنقذين، لضعفاء عباد الله من شباك إبليس لعنه الله ومردته ومن فخاخ النواصب الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك السفينة سكانها لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله تعالى، أولئك الأفضلون عند الله عز وجل.

ما جاء عن العسكري عليه السلام في فضل العلم:

وقال الحسن بن علي العسكري عليه السلام: تأتي علماء شيعتنا القوامون بضعفاء محبينا، وأهل ولايتنا يوم القيامة، والأنوار تسطع من تيجانهم الحديث وعن التفسير المنسوب لمولانا العسكري عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٨٣] إلى قوله ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ قال الإمام عليه السلام: وأما قوله عز وجل واليتامى فأن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: حث الله تعالى على بر اليتامى لانقطاعهم عن آبائهم فمن صانهم صانه الله ومن أكرمهم أكرمه الله، ومن مسح يده برأس يتيم رفقاً به جعل الله تعالى له في الجنة بكل شعرة مرت تحت يده قصراً أوسع من الدنيا بما فيها وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وهم فيها خالدون. قال الإمام عليه السلام: أشد من يتم هذا اليتيم يتيم انقطع عن إمامه لا يقدر على الوصول إليه، ولا يدري كيف حكمه فيما يبتلي به من شرائع دينه، إلا فمن كان من شيعتنا عالماً بعلومنا فهدى الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا كان كمن أخذ يتيماً في حجره، إلا فمن هداه وأرشده وعلمه شريعتنا كان معناه في الرفيق الأعلى حدثني بذلك أبي عن أبيه عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

عن أبي ذر رضي الله عنه: باب من العلم نتعلمه أحب إلينا من ألف ركعة تطوعاً.

ما جاء عن الأنبياء السابقين عليهم السلام في فضل العلم:

قال علي بن الحسين عليه السلام: أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام حببني إلى خلقي وحبب خلقي إليّ قال: كيف أفعل؟ قال الله تعالى: ذكرهم آلائي ونعمائي ليحبوني فلأن ترد آبقاً عن بابي أو ضالاً عن فنائي أفضل لك من عبادة مائة سنة صيام نهارها وقيام ليلها، قال موسى عليه السلام: فمن هذا العبد الآبق منك قال: العاصي المتمرد قال: فمن هذا الضال عن فنائك قال: الجاهل بإمام زمانه تعرفه والغائب عنه بعدما عرفه والجاهل بشريعة دينه تعرّفه شريعته وما يعبد به ربه ويتوصل به إلى مرضاته الحديث ومن كلام المسيح عليه السلام من علم وعمل فذاك يدعى عظيماً في ملكوت السماء.

ما جاء في الكتب السماوية في فضل العلم:

عن التوراة: قال الله تعالى لموسى عليه السلام عظم الحكمة فإني لا أجعل الحكمة في قلب أحد إلا واردت أن أغفر له فتعلمها، ثم اعمل بها، ثم ابذلها كي تنال بذلك كرامتي في الدنيا والآخرة، وعن الزبور: قل لأحبار بني إسرائيل ورهبانهم حادثوا من الناس الأتقياء، فإن لم تجدوا فيهم تقياً فحادثوا العلماء، فإن لم تجدوا عالماً فحادثوا العقلاء، فإن التقي والعلم والعقل ثلاث مراتب ما جعلت واحدة منهن في خلقي وأنا أريد هلاكه. قال الشهيد الثاني قدس سره في منية المريد إنما قدم التقى لأنه لا يوجد بدون العلم كما أن الخشية التي هي من لوازم التقي، لا تحصل إلا بالعلم ولذلك قدم العلم على العقل لأن العالم لا بد أن يكون عاقلاً ا هـ. أقول: هنا إشكال وهو أن هذا يدل على نجاة من وجدت فيه إحدى هذه الخصال ولو عدم الباقي وهو باطل، ولو أجيب بأن الثلاثة متلازمة إذ المراد بالتقوى ما تنبعث عن العلم والعقل وبالعلم الملازم للعمل، وإلا كان شراً من الجهل وبالعقل ما يبعث على العلم والعمل لكان ذلك خلاف المفروض في هذا الكلام بقوله: فإن لم تجدوا تقياً فإن لم تجدوا عالماً، ويمكن الجواب: بأن المراد إن لم تجدوا تقياً فحادثوا العالم الذي ليس بتقي لأنه يرجى أن يجره علمه بالآخرة إلى التقوى ومحادثته خير من محادثة الجاهل، وإن لم تجدوا عالماً فحادثوا العاقل، لأن محادثته خير من محادثة الأحمق، ويرجى أن يجرّه عقله إلى العلم والتقى، وهذه أمور تجري مجرى

الرجاء والأمل لا مجرى الملازمة والقطع أو يراد بالعالم غير التقي من لم يكن في درجة عالية من التقوى لا من كان فاسقاً وبالعاقل غير العاقل، من لم يتعمق في العلم والمعرفة، بل عنده أقل ما يكفيه من المعارف الواجبة لا الجاهل من جميع الوجوه وكثير ما ينزل الشيء اليسير منزلة المعدوم.

وعن الإنجيل: في السورة السابعة عشرة منه قال الله تعالى: ويل لمن سمع بالعلم ولم يطلبه كيف يحشر مع الجهال إلى النار، اطلبوا العلم وتعلموه فإن العلم إن لم يسعدكم لم يشقكم، وإن لم يرفعكم لم يضعكم، وإن لم يغنكم لم يفقركم وإن لم ينفعكم لم يضركم، ولا تقولوا نخاف أن نعلم فلا نعمل ولكن قولوا نرجو أن نعلم ونعمل، والعلم يشفع لصاحبه وحق على الله تعالى أن لا يخزيه، إن الله تعالى يقول يوم القيامة: يا معشر العلماء ما ظنكم بربكم فيقولون: ظننا أن يرحمنا ويغفر لنا. فيقول الله تعالى: قد فعلت إني استودعتكم حكمتي لا لشر أردته بكم، بل لخير أردته بكم فأدخلوا في صالح عبادي إلى جنتي برحمتي، وقال مقاتل بن سليمان: وجدت في الإنجيل إن الله تعالى قال لعيسى عليه السلام: عظم العلماء واعرف فضلهم فإني فضلتهم على جميع خلقي إلا النبيين والمرسلين كفضل الشمس على الكواكب وكفضل الآخرة على الدنيا وكفضلي على كل شيء.

ما جاء عن لقمان في فضل العلم:

قال لقمان لابنه: يا بني اختر المجالس على عينك، فإن عينك فإن رأيت قوماً يذكرون الله فاجلس معهم، فإن تكن عالماً ينفعك علمك، وإن تكن جاهلاً علموك، ولعل الله تعالى أن يظلهم برحمته فتعمك معهم، وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله تعالى فلا تجلس معهم فإن تكن عالماً لم ينفعك علمك، وإن تكن جاهلاً يزيدوك جهلاً ولعل الله تعالى أن يظلهم بعقوبة فتعمك معهم.

ما جاء عن العلماء في فضل العلم:

قال وهب بن منبه: يتشعب من العلم الشرف وإن كان صاحبه دنياً والعز، وإن كان مهيناً والقرب وإن كان قصياً والغنى، وإن كان فقيراً والنبل، وإن كان حقيراً والمهابة، وإن كان وضيعاً والسلامة، وإن كان سقيماً وقال بعض العارفين: أليس

المريض إذا منع عن الطعام والشراب والدواء يموت كذلك القلب إذا منع عنه العلم والفكر والحكمة يموت، وقال بعض العارفين أيضاً: علم الله تعالى سبعة نفر سبعة أشياء كانت سبباً في سبعة أشياء. علم آدم عليه السلام الأسماء كلها. والخضر عليه السلام علم الفراسة. ويوسف عليه السلام علم التعبير. وداود عليه السلام صنعة الدروع. وسليمان عليه السلام منطق الطير. وعيسى عليه السلام التوراة والإنجيل. ومحمداً صلى الله عليه وآله الشرع والتوحيد. فعلم آدم كان سبباً في سجود الملائكة والرفعة عليهم، وعلم الخضر كان سبباً لوجود موسى تلميذ له ويوشع عليه السلام وتذلل موسى له كما يستفاد من الآيات الواردة في القصة. وعلم يوسف عليه السلام كان سبباً لوجدان الأهل والمملكة والاجتباء. وعلم داود عليه السلام كان سبباً للرياسة والدرجة. وعلم سليمان عليه السلام كان سبباً لوجدان بلقيس والغلبة. وعلم عيسى عليه السلام كان سبباً لزوال التهمة عن أمه. وعلم محمد صلى الله عليه وآله كان سبباً في الشفاعة. وقال شبيب بن شيبة: اطلبوا الأدب فإنه مادة العقل ودليل على المروءة وصاحب في الغربة ومؤنس في الوحشة وصلة في المجلس. وقال بعضهم: إن للعلم عبقة وعرفاً ينادي على صاحبه ونوراً وضياء يشرق عليه، كتاجر مسك لا يخفى مكانه ولا تجهل بضاعته وكمن يمشي في مشعل في ليل مدلهم.

ما منح والد ولداً أفضل من أدب حسن. زينة الأرض العلماء والكواكب زينة السماء. قيمة كل امرئ ما يحسنه. العلماء أعلام الإسلام. رتبة العلم أعلى الرتب. العلم يزيد الشريف شرفاً ويرفع المملوك إلى مجالس الملوك. العلم وسيلة إلى كل فضيلة. العلماء في الأرض كالنجوم في السماء. لولا العلماء لهلك الأمراء. موت العالم موت العالَم. ثلمة الدين موت العلماء. لا تستطيع أن تعي العلوم السنية حتى تمحو من ذهنك الأمور الدنية. العلم زين من أطاعه وشين من عصاه. آفة العلم حب الرياسة. الفضيلة بالآداب لا بفراهة الدواب. من خلا بالعلم لم توحشه الخلوة ومن تسلّى بالكتب لم تفته السلوة. مجلس العلم روضة من رياض الجنة. العلم يبلّغ العبد منازل الأحرار ومجالس الملوك والدرجات العلى. الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك. العالم كالسراج من مرّ به اقتبس منه. مجالسة أهل الفضل ذكاء العقل. مداد العلماء يوزن بدم الشهداء يوم القيامة. العلم حياة القلب ومصابيح الأبصار. علم الرجل ولده المخلد. العلم في الصغر كالنقش على الحجر. من أدّب ولده صغيراً قرّت عينه به كبيراً. من أدّب ولده أرغم حاسده.

الأب لا يحب ابنه حتى يبغضه على ترك الأدب. بادر بتأديب الأطفال قبل تراكم الأشغال. من لم يتعلّم في الصغر هان في حال الكبر. لا خير في علم يعبر معك الوادي[١] ألف في تأمورك[٢] خير من ألف ألف في دستورك[٣]. قيدوا العلم بالكتابة إذا أثبته الأقلام لم تطمع في درسه الأيام. ما مات من أحيى علماً. العلم أحسن حلية والفضل قنية. العلم أفضل خلف والعمل به أشرف. لا سمير كالعلم ولا ظهير كالحلم.

بعض ما جاء في ذم الجهل بالخصوص والعمل بغير علم:

قال رسول الله ﷺ: العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق، لا تزيده سر السير من الطريق إلا بعداً. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: كما في بعض خطب نهج البلاغة: فإن العامل بغير علم كسائر في غير طريق فلا يزيده بعده عن الطريق إلا بعداً من حاجته والعامل بالعلم كسائر على الطريق الواضح فلينظر ناظر أسائر هو أم راجع.

بعض ما جاء في ذم الجهل المركب:

قال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطب نهج البلاغة يصف العالم العامل والجاهل المركب، فمن قوله في صفة العالم العامل: نظر فأبصر وارتوى من عذب فرات سهلت له موارده، فشرب نهلاً وسلك سبيلاً جدداً، قد نصب نفسه لله في أرفع الأمور من إصدار كل وارد عليه وتصيير كل فرع إلى أصله، يقول فيفهم ويسكت فيسلم يصف الحقّ ويعمل به قد أمكن الكتاب من زمامه فهو قائده وإمامه. ومن قوله: في صفة الجاهل المركب وآخر قد تسمى عالماً وليس به فاقتبس جهائل من جهال، وأضاليل من ضلّال ونصب للناس أشراكاً من حبائل غرور، وقول زور قد تحمل الكتاب على آرائه وعطف الحق على أهوائه، يؤمن من العظائم ويهون كبير الجرائم يقول أقف عند الشبهات وفيها وقع واعتزل البدع، وبينها اضطجع فالصورة

(١) كناية عن أنه في السطور لا في الصدور.
(٢) التأمور بالهمز: القلب.
(٣) الدستور بالضم: النسخة المعمولة للجماعات.

صورة إنسان والقلب قلب حيوان، لا يعرف باب الهدى فيتبعه ولا باب العمى فيصد عنه فذلك ميت الأحياء.

ما قيل في فضل العلم من الشعر:

العلم أنفس ذخر أنت ذاخره   من يدرس العلم تدرس مفاخره
أقبل على العلم واستقبل مقاصده   فأول العلم إقبال وآخره

❀ ❀ ❀

وإنما العلم لأربابه   ولاية ليس لها عزل

❀ ❀ ❀

إن الأمير هو الذي   يضحي أميراً عند عزله
إن زال سلطان الولا   ية لم يزل سلطان فضله

❀ ❀ ❀

حياة المرء علم فاغتنمه   وموت القلب جهل فاجتنبه

❀ ❀ ❀

أجامع العلم نعم الذخر تجمعه   لا تعدلن به دراً ولا ذهبا
العلم زين وتشريف لصاحبه   فاطلب هديت فنون العلم والأدبا

❀ ❀ ❀

إذا ما اعتز ذو علم بعلم   فعلم الشرع أولى باعتزاز
فكم طيب يطيب ولا كمسك   وكم طير يطير ولا كبازي

❀ ❀ ❀

إن تأدبت يا بني صغيراً   كنت يوماً تعد في الكبراء

❀ ❀ ❀

تعلم فإنّ العلم زين لأهله   وفضل وعنوان لكل المحامد
تفقه فإن الفقيه أفضل قائد   إلى البر والتقوى وأعدل قاصد

فإن فقيهاً واحداً متورعاً أشد على الشيطان من ألف عابد

❀ ❀ ❀

أقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

❀ ❀ ❀

اسمع حديثاً قاله المصطفى بوجه إعلام وتبيين
إذا أراد الله خير امرئ فقهه في العلم والدين

❀ ❀ ❀

فعظم مقادير أهل العلوم فقد أوجب الله إعظامهم

❀ ❀ ❀

تالله لا شيء مثل العلم مرتبة فاذكر فضيلته إن كنت انسيتا

❀ ❀ ❀

ليس بعلم ما حوى القمطر ما العلم إلا ما حواه الصدر

❀ ❀ ❀

إذا لم تكن حافظاً واعياً فجمعك للكتب لا ينفع

❀ ❀ ❀

ولم أقض حقّ العلم إن كان كلما بدا طمع صيرته لي سلما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأشقى به غرساً وأجنيه ذلة إذاً فابتاع الجهل قد كان أحزما
فإن قلت زند العلم كاب فإنما كباحين لم نحرس حماه وأظلما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهان ودنسوا محياه بالأطماع حتى تجهما

❀ ❀ ❀

الناس من جهة التمثال أكفاء أبوهم آدم والأم حواء

وإنما أمهات الناس أوعية … مستودعات وللأحساب آباء
فإن يكن لهم من أصلهم شرف … يفاخرون به فالطين والماء
وإن أتيت بفخر من ذوي نسب … فإن نسبتنا جود وعلياء
ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم … على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقيمة المرء ما قد كان يحسنه … والجاهلون لأهل العلم أعداء
فقم بعلم ولا تبغي به بدلاً … فالناس موتى وأهل العلم أحياء

❀ ❀ ❀

إذا لم يزد علم الفتى قلبه هدى … وسيرته عدلاً وأخلاقه حسنا
فبشره إن الله أولاه فتنة … تغشيه حرماناً وتوسعة حزنا

❀ ❀ ❀

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله … وأجسامهم قبل القبور قبور
وكل امرئ لم يحي بالعلم ميت … وليس له حتى النشور نشور
لا تدخر غير العلو … م فإنها نعم الذخائر
فالمرء لو ربح البقا … ء مع الجهالة كان خاسر

❀ ❀ ❀

تعلم فليس المرء يولد عالماً … وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لا علم عنده … صغير إذا التفت عليه المحافل

❀ ❀ ❀

أخو العلم حي خالداً بعد موته … وأوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماشٍ على الثرى … يعد من الأحياء وهو عديم

❀ ❀ ❀

عاب التعلم قوم لا عقول لهم … وما عليه إذا عابوه من ضرر
ما ضر شمس الضحى والشمس طالعة … أن لا يرى ضوؤها من ليس ذا بصر

❀ ❀ ❀

للإمام الشافعي:

علمي معي حيثما يممت ينفعني قلبي وعاء له لا بطن صندوقي
إن كنت في البيت كان العلم فيه معي أو كنت في السوق كان العلم في السوق
العلم يحيي قلوب الميتين كما تحيا البلاد إذا ما مسها المطر
والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه كما يجلي سواد الظلمة القمر

❀ ❀ ❀

ومن يصطبر للعلم يظفر بنيله ومن يخطب الحسان يصبر على البذل
ومن لم يذل النفس في طلب العلى يسيراً دهراً طويلاً أخاذل

القاضي الأرجاني:

ليس شيء عندي أعز من العلـ ـم فلا أبتغي سواه أنيسا
إنما السوء في مداخلة النا س فدعها وكن حكيماً رئيسا

❀ ❀ ❀

يا لهف نفسي على شيئين لو وجدا عندي لكنت إذاً من أحسن البشر
كفاف عيش يقيني ذل مسألة وخدمة العلم حتى ينقضي عمري

قيل في اعتراء المصائب والفقر لأهل الفضل:

تطرق أهل الفضل دون الورى مصائب الدنيا وآفاتها
كالطير لا يسجن من بينها إلا التي تطرب أصواتها

❀ ❀ ❀

كم من أديب فطن عالم مستكمل العقل مقلّ عديم
وكم جهول مكثر ماله (ذلك تقدير العزيز العليم)

أبو تمام:

ما زلت أرمي بأيامي مطالبها لم يخلق العرض مني سوء مطلبي
إذا قصدت لشأو خلت أني قد أدركته أدركتني حرفة الأدب

ما قيل في الكتاب من الشعر:

نعم الأنيس إذا خلوت كتاب تخلو به إن ملك الأحباب
لا مفشياً سراً إذا استودعته وتفاد منه حكمة وصواب

المؤلف:

وصاحب صدق قط ما يلازمني في ساعة العسر واليسر
ولم يحتجب عني فهما دعوته إلى حاجة لبّى سريعاً إلى أمري
مفرّج همي إن حزنت ومؤنسي لدى وحشتي هاد لدى حيرة الفكر
سمير له علم بكل غريبة خبير بما قد كان في سالف الدهر
رضيت عن الخلان والصحب كلها به بدلاً حتى أوسّد في قبري

وله من قصيدة:

ولي من يراعي إن خلوت ودفتري نديمان عن كل الورى شغلاني
نديمان ما ملا حديثي وصحبتي وإن هي طالت لا ولا جفياني
وعندي نديم ثالث هو مفزعي إذا ناب خطب من خطوب زماني
وما ملّ يوماً صحبتي لا ولا جفا إذا ما صديقي ملني وجفاني
مفرج همي إن حزنت وكاشف لكربي إذا بعض الكروب عراني
نديم تراه صامتاً وهو ناطق ولكنه نطق بغير لسان
نديم له علم بكل غريبة خبير بما يجري بكل زمان
نديم مطيع لي متى يجب إجابة لا وإن ولا متواني

❀ ❀ ❀

حبيبي من الدنيا الكتاب فليس لي إلى غيره ما بي إليه من الفقر
فكرسيه حجري إذا كنت قاعداً وإن اضطجع أفرشه مستلقياً صدري

❀ ❀ ❀

لنا جلساء ما نملُّ حديثهم ألباء مأمونون غيباً ومشهدا
بلا كلفة تخشى ولا سوء عشرة ولا نتقي منهم لساناً ولا يدا

❀ ❀ ❀

اجعل جليسك دفتراً في نشره ... للميت من حِكَم العلوم نشور
ومفيد آداب ومؤنس وحشة ... وإذا انفردت فصاحب وسمير

۞ ۞ ۞

دفتري روضتي ومحبرتي ... غدير علمي وصارمي قلمي
وراحتي في قرار صومعتي ... تُعلمني كيف موقع النعم

۞ ۞ ۞

لفيف فؤادي منذ عشرين حجة ... وصيقل ذهني والمفرج من همي
يعزّ على مثلي إعارة مثله ... وآيته أن لا يفارقه كمي

۞ ۞ ۞

يقولون ذكر المرء يحيا بنسله ... وليس له ذكر إذا لم يكن نسل
فقلت لهم نسلي بدائع حكمتي ... فإن فاتنا نسل فإنا بهم نسلو

ما قيل في لزوم الحفظ وعدم الاكتفاء بجمع الكتب:

عليك بالحفظ دون الجمع في كتب ... فإن للكتب آفات تفرّقها
الماء يغرقها والنار تحرقها ... والفأر يخرقها واللص يسرقها

۞ ۞ ۞

إذا لم تكن حافظاً واعياً ... فجمعك للكتب لا ينفع

۞ ۞ ۞

ليس بعلم ما حوى القمطر ... ما العلم إلا ما حواه الصدر

۞ ۞ ۞

ليست علومك ما حوته دفاتر ... لكن علومك ما حوته صدور

۞ ۞ ۞

صاحب الكتب تراه أبداً ... غير ذي فهم ولكن ذو غلط
كلما فتشته عن علمه ... قال علمي يا خليلي في السفط

إذا ما امتطى الخمس اللطاف وأسبلت ... عليه شماب الفكر وهي حوافل
أطاعته أطراف القنا وتقوضت ... لنجواه تقويض الخيام الجحافل

❀ ❀ ❀

قلم يفل الجيش وهو عرمرم ... والبيض ما سلت من الأغماد
وهبت له الآجام حين نشا بها ... كرم السيول وصولة الآساد

ابن الرومي:

إن يخدم القلم بالسيف الذي خضعت ... له الرقاب ودانت خوفه الأمم
فالموت والموت لا شيء يقابله ... لا زال يتبع ما يجري به القلم
لذا قضى الله للأقلام مذ بريت ... أن سيوف لها مذ أرهفت خدم

الشيخ محمد حسين شمس الدين العاملي رحمه الله:

سل البراع فخارا غير مكتتم ... تخصصيه في كتاب الله بالقسم
سل البراع على البيض الصفاح لدى الـ ... أنام أشهر من نار على علم
ما علّم الله بالصمصام من أحد ... لكنه علّم الإنسان بالقلم
أين للشيب فخر كالشباب وهل ... يقاس معتدل بالأحدب الهرم
كيف يسمو على ذي منطق ذرب ... به تحدى الورى ذو منطق بكم

ما جاء في ذم القلم وتفضيل السيف عليه:

أف لـرزق الكتبه ... أف لـه مـا أصعبه
يرتشف الرزق لـه ... من شق تلك القصبه
يا قلماً يرفع في الطـ ... رس لـرأسي ذنبه
ما أعرف المسكين إلا ... كاتباً ذا متربه

المتنبي:

حتى رجعت وأقلامي قوائل لي ... المجد للسيف ليس المجد للقلم
أكتب لنا أبداً بعد الكتاب به ... فإنما نحن للأسياف كالخدم
من اقتضى بسوى الهنديّ حاجته ... أجاب كل سؤال عن هل بلم

السيد نجيب فضل الله قدس سره:

أبا المهند تغريني وما علمت ... أن المهند لا يغني عن القلم
ليس المحمر بيض الهند من مهج ... مثل السود بيض الطرس من كلم

الحكم بين السيف والقلم:

المؤلف:

قد كثر الشعراء القول من قدم ... على التفاضل بين السيف والقلم
ففضل السيف أقوام وما علموا ... إن الظبي بسوى الأقلام لم تقم
وقال قوم بتفضيل اليراع ولـ ... كن اليراع بغير السيف كالعدم
فقلت قولاً عن الإنصاف مصدره ... وقلما يوجد الإنصاف في الحكم
كم للظبي من مقام راح مشتهراً ... بين الأنام سواها فيه لم يقم
وكم نبا السيف عن أمر وقد نفذت ... في قلبه وحشاه أسهم الكلم

بعض أهل العصر:

للسيف والرمح فضل لا يزيد على ... فضل اليراع وما يملي من الحكم
فالسيف ذلت عتاة المشركين به ... والله أقسم في الفرقان بالقلم
وذو الفقار بكف المرتضى كشف الـ ... ـه الكروب به عن سيد الأمم

إصلاح المدارس الدينية:

الأمر الثالث: من الأمور التي تشتمل عليها المقدمة في بيان ما هو الأفضل والأشرف من العلوم حتى يكون صرف العناية إليه أشد من غيره.

اعلم أن شرف العلم باعتبار شرف المعلوم وما يترتب عليه من الغايات والفوائد. فأشرف العلوم وأعلاها علم معرفة الله تعالى أي علم التوحيد، لأن معلومه أشرف المعلومات وغايته أفضل الغايات ثم علم الفقه الذي به تعرف الأحكام ويميز الحلال من الحرام. وقد نصَّ كثير من الأحاديث السابقة على شرف علم الفقه وعلو مرتبته، ويدخل فيه معرفة أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته

في كراريس جياد أحكمت ... وبخط أي خط

۞ ۞ ۞

ما جاء القلم من القرآن والحديث:

قال الله تعالى: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]. ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾ [العلق: ٤-٥]. وفي الحديث: إن أول ما خلق الله القلم. من مات وميراثه المحابر والأقلام دخل الجنة.

ما جاء القلم من كلام العلماء والحكماء:

عقول الرجال تحت أسنَّة أقلامهم. كلام الفصحاء جنود مجنَّدة. وأقلامهم سيوف مهندة. القلم يمجُّ السم والعسل. القلم قيم الحكمة. القلم قصب يقطع العصب. القلم يرد قضاء السيف ويفسخ حكم الحيف. الأقلام أساس الأقاليم. الأقلام رسل الكرام. القلم بريد القلب. القلم سفير العقل. القلم رسول الفكر. القلم ترجمان الذهن. لم أر باكياً أحسن تبسماً من القلم. القلم مجهز لجيوش الكلام. القلم أحد الكاتبين. القلم أحد اللسانين.

ما قيل في القلم وتفضيله على السيف من الشعر:

أبو الفتح البستي:

إذا افتخر الأبطال يوماً بسيفهم ... وعدوه مما يكسب المجد والكرم

كفى قلم الكتاب فضلاً وسوددا ... مدى الدهر إن الله أقسم بالقلم

في كفه صارم لانت مضاربه ... يسوسنا رغباً إن شاء أو رهبا

السيف والرمح خدام له أبداً ... لا يبلغان به جداً ولا لعبا

۞ ۞ ۞

لك القلم الأعلى الذي بشباته ... تصاب من الأمر الكلى والمفاصل

لعاب الأفاعي القاتلات لعابه ... واري الجنا اشتارته أيد عواسل

له ريقة طل ولكن وقعها ... باثاره في الشرق والغرب وابل

التي هي العمدة وعليها مدار التفقه في الدين وقد مرَّ في بعض الأحاديث تفضيل حديث واحد في الحلال والحرام على الدنيا وما فيها ويتبع علم الفقه في الفضيلة ما يتوقف عليه من المقدمات كمسائل الأصول والدراية والرجال والتفسير والنحو والصرف واللغة وغيرها. ومن ذلك يعلم أن فضلها باعتبار توقف العلم الفاضل عليها، فعلى الطالب أن يأخذ منها بقدر الحاجة فإذا زاد كان لغواً بل ربما كان مفوتاً لبعض العلوم الواجبة فيكون حراماً كما أن التقصير عن قدر الحاجة فيها مفوت للغرض.

ومما يجب التنبيه عليه ما يقع في هذا العصر بل هو مستمر من اعصار عديدة من أخذ طلاب العلوم الدينية، بجانبي الإفراط والتفريط كل بجانب، فبعضهم يفرطون في البحث عن علم أصول الفقه حتى أنهم يصرفون فيه أعمارهم فيعوقهم ذلك عن البحث في مسائل الفقه وعلم الدراية والرجال والتفسير وقراءة كتب الأحاديث والبحث عن الأحاديث وتفسيرها، وغير ذلك مما لا بد للفقيه منه ويصرفون كثيراً من الزمان في البحث عمّا تقل فائدته أو لا فائدة فيه من التعارف وتحرير محل النزاع التي يصرفون فيها الشهور والأعوام، فيبحثون مثلاً في تعريف البيع أنه مبادلة مال بمال، ويوردون على طرده وعكسه بمثل الإجارة وغيرها، ثم يزيد بعضهم فيه قيداً فيتوجه الاعتراض عليه من وجه آخر، وهكذا ويبحثون في مسألة الضد مثل في أن النزاع في الضد العام أو الخاص ويوردون شواهد لكل منهما ويردّ بعضهم على بعض ويبحثون في دليل الانسداد الذي استقرت الكلمة على عدم الحاجة إليه الشهور الكثيرة إلى غير ذلك.

ألهت بني تغلب عن كل مكرمة   قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

وأول من تنبه لذلك في عصرنا فيما نعلم شيخنا المحقق الشيخ ملا كاظم الخراساني قدس سره فقال في التعاريف: إنها لفظية كقولهم سعدانة نبت وقال في تحرير محل النزاع: إن كان النزاع في كذا فالحق كذا، وإن كان النزاع في كذا فالحق كذا فوفر على الطالبين أوقاتاً كثيرة ولذلك كان يتم علم الأصول من أوله إلى آخره في نحو سنتين، في حين كان غيره لا يتمه في أضعاف هذه المدة وبعضهم يفرطون في البحث عن أصول الفقه، فلا يتقنونه، مع أنه العمدة في استنباط الفروع وبعض

العاجزين من الناس تسول لهم نفوسهم أنهم مصيبون في ذلك، وإن الكتاب والسّنة بما أنهما عربيان لا يعسر عليهم معرفتهما؛ لأنهم من أهل اللسان ولا يحتاجون إلى علم الأصول كثير حاجة وما منشأ ذلك إلا العجز والعاجز عن فضيلة حيث لا يرضى لنفسه بنسبة النقص إليها قد يحمله ذلك على إنكار انها فضيلة.

ومن تفريطهم التقصير في إتقان العلوم العربية لا سيما من ليس من أهل اللسان، مع أنَّ لها المدخلية التامة في استنباط الأحكام من الكتاب والسّنة العربيين، وكيف يتسنى للفقيه فهم الأحكام منهما على الوجه الأكمل بدون التبحر في العلوم العربية والإطلاع على استعمالات العرب المتنوعة الكثيرة، في محاوراتهم وكناياتهم ومجازاتهم وكثير من الأعاجم لا يحسن التكلم بالعربية كما يجب، فيقع في التحريف والتصحيف وحمل الكلام على ما لا يصلح حمله عليه عند أهل العربية وليس العرب أقل تقصيراً في ذلك من العجم إلا ما ندر ولكن العجم أشدّ حاجة إلى ذلك فأهم ما يلزمهم تعلم اللسان العربي قبل كل شيء وإتقان العلوم العربية، وممارسة استعمالات العرب حتى يتهيأ لهم فهم الكتاب والسنة كما يجب وجملة من فحول العلماء لا يحسنون قراءة الصلاة ولا إخراج الحروف من مخارجها، وهذا تقصير عظيم شاع في الأزمنة الأخيرة. وإذا نظرنا أن جلّ العلماء المحققين كانوا في الاعصار السالفة من العجم من الشيعة وأهل السّنة، وإنهم كانوا يتقنون العلوم العربية أشد إتقان كما تشهد به آثارهم ومؤلفاتهم علمنا أن هذا التقصير حصل في الاعصار الأخيرة فقط.

ونحن نذكر بعض الأمثلة لما قلناه وهو قليل من كثير. فهذا الشيخ مرتضى الأنصاري شيخ المحققين وقدوتهم وفاتح باب التحقيق لمن بعده في هذا العصر ومبتكر التحقيقات الكثيرة والفوائد الجمة النافعة في علم الأصول، الذي كان على ما يقال يحافظ على معرفة علم العربية أشد المحافظة بل قيل إنّه كان يواظب على تلاوة ألفية ابن مالك وبعضهم يبالغ ويقول: كان يتلوها في أعقاب الصلوات ويجعلها من جملة التعقيب - لما كان - غير ضليع مع ذلك بالاستعمالات العربية ذكر في تفسير حديث: الناس في سعة ما لا يعلمون. من جملة الاحتمالات أن تكون ما مصدرية ظرفية وسعة منونة غير مضافة، أي الناس في سعة ما داموا لا يعلمون مع أن العربي العارف بأساليب العرب في استعمالاتهم لا يشكُّ في أن هذا الاستعمال غير صحيح عندهم، وأنه إذا قصد هذا المعنى يجب أن يقال: الناس في

سعة ما لم يعلموا. ومما يندرج في ذلك، ما يحكى أن بعضهم قرأ ويستحب الحج في كل عام لأهل الجدة فظن أن هي المدينة المعروفة في الحجاز على ساحل البحر الأحمر، وتعجب أن يكون هذا الحكم خاصاً بهم فنبهه بعض الحاضرين أنها الجدة بكسر الجيم وفتح الدال أي الغنى وسبب اشتباهه عدم معرفته بأن ال لا تدخل على الأعلام المرتجلة. وما يحكى أن بعض الطلبة قرأ أن في المسألة أقوالاً أسدها كذا فقرأ أسدها بتخفيف الدال فظنه بمعنى السبع وفسر له بعض الحاضرين ذلك، بأن المراد أن هذا الأقوال سبع الأقول لقوته مع أنه بتشديد الدال من السداد، وبعضهم يريد فهم معنى الكلمة فيرجع إلى كتب اللغة فيفسرها بغير معناها، مثل ما رأيته في بحث كتب الفقه في بعض الأطعمة والأشربة أن الشراب الفلاني يتخذ من الذرة، فذكر بعضهم في الحاشية عن القاموس الذرة النملة الصغيرة، وبعضهم عند قراءة قول الشهيد الثاني في منية المريد في آداب المفيد والمستفيد: لا ينبغي للطالب أن يتكئ في مجلس الدرس على (درابزين) أو نحوه لم يعرف معنى الدرابزين فكتب في الحاشية أنه راجعه في كتب اللغة وغيرها فلم يجد له ذكراً.

ومن الأمور المضرّة عدم تهذيب كتب التدريس وتنقيحها وتحسين عباراتها وحذف الفضول منها وحذف ما هو من علوم أخرى لم يتعلّمها الطالب بعد أو لا يتعلّمها أصلاً، وإيضاح ما استغلق من عباراتها التي تخفى على كثير من الأساتذة ولا يعرفها إلا الأوحدي إلى غير ذلك فترى أن (شرح القطر) في علم النحو وهو من أحسن الكتب وأوضحها عبارة وأجمعها للفوائد ذكر مؤلفة في أوله أن اللفظ جنس بعيد والقول جنس قريب، واستعمال الأجناس البعيدة في الحدود معيب عند أهل النظر، وهذه المسألة من مسائل علم المنطق، فكيف يسوغ ذكرها في كتاب يتعلمه المبتدئون في علم النحو ولا يعرفه الأستاذ فضلاً عن التلميذ. وكتب الصرف المتداول قراءتها هي شرح التفتازاني على متن عزي وشرح الجادبردي أو النظام على الشافية وفي الأول من التطويل ما لا يخفى وفي الآخرين من التطويل وإغلاق العبارة ما هو مشهور مما يوجب عدم إتقان الكثيرين لعلم الصرف المحتاج إليه كالحاجة إلى النحو.

(والمطوّل) مع أنه كتاب نفيس ومؤلفه من العلماء المحققين مغلق العبارة قد أدرج فيه مسائل من علوم أخر، مثل أن الملكة من مقولة الكيف وتعريف الكيف بأنه عرض لا يقتضي القسمة ولا اللاقسمة لذاته اقتضاء أولياء الذي يستدعي معرفة

المقولات العشر وبحث الجواهر والأعراض من علم الحكمة. ومثل نقله لكثير من عبارات صدر الأفاضل وإطالته في النقض والإبرام في تفسيرها وغير ذلك، وأي حاجة بالطالب إلى تفسير عبارات صدر الأفاضل وغيرها وليست من كتب الوحي المنزلة وتضيع عليه كثيراً من ثمين الوقت الذي يجب صرفه فيما هو أهم إلى غير ذلك مما يجده المتتبع. فلو صرف ذلك في أمور أخر مما يوجب المهارة في البلاغة والفصاحة لكان أولى. ولذلك ترى الطالبين مع صرفهم زماناً في قراءة المطوّل لا يقل عن سنتين لا يحسنون كتابة جمل فصل قصيرة متصفة بالفصاحة والبلاغة، وهذه كتب الأصول المتداول قراءتها كالمعالم والقوانين والرسائل والكفاية محتاجة إلى التهذيب. (فالمعالم) مع أن مؤلفها خطيب الأصوليين وقد رزقت حظاً وافراً ألفت في زمان إنتشرت بعده الأنظار وتنبّه المتأخرون عنها إلى أمور كثيرة نافعة لم يتنبه من قبلهم، كما هي سنة الكون فوجب إضافة تلك الفوائد إليها وحذف ما لا لزوم له منها، والقوانين: من عجمة عباراتها واستغلاق كثير منها لا تصلح للتدريس وتحتاج إلى التهذيب. والرسائل: مع ما لمؤلفها من الفضل العظيم في تأليفها بتحقيق مسائل الأصول المهمة وشرحها شرحاً كافياً لم يسبق إليه، محتاجة إلى التهذيب بحذف بعض الإطالات أو اختصارها كدليل الانسداد وغيره وإيضاح ما اختصرت عبارته. (والكفاية) مع ما لمؤلفها من الفضل العظيم بحذف كثير من الفضول وتنقيح مسائل الأصول وتحقيقها مغلقة العبارة محتاجة إلى التهذيب. وبالجملة: فهؤلاء المؤلفون شكر الله سعيهم قد بذلوا غاية وسعهم في تحقيق المطالب وأجادوا وأفادوا من جاء بعدهم ولم يقصروا، لكن العالم مهما علت درجته لا بدَّ أن يستدرك عليه من بعده، وكل مؤلف لا يتسع له الوقت لإيراد كل ما يراد فإذا كفى من بعده مؤنة كثير مما يراد وسهل له المصاعب هان على المتأخر أن يضيف إلى ذلك كثيراً مما يجب من استدراك ما أهمل وحذف ما لا يلزم وإبدال العبارات بما هو أحسن وأوضح وتجويد الترتيب والتبويب وغير ذلك. فلو بذلت عناية المتأخرين في ذلك لكان أولى من صرفها في وضع الشروح والحواشي التي لا يقل إغلاقها عن الأصول وإيقاع الطلاب في مصاعب عديدة تعوقهم عن استيفاء ما هم بصدده.

فاللازم: فيما أرى ويراه كل عارف منصف استبدال هذه الكتب بما هو أنفع منها للتدريس، فتؤلف لجنة من أفاضل العلماء بينهم العريقون في علم العربية فتضع

في كل علم ثلاثة كتب: مختصر ومتوسط ومطول، تنتقى من هذه المؤلفات المشهورة ويكون عليها مدار التدريس في مدرسة النجف الأشرف الكبرى وتتبعها سائر المدارس في أقطار البلاد طبعاً بعد أن تعرض هذه الكتب على أنظار كبار العلماء ويرضوا بها ويقرروا تدريسها، ولا تحرم هذه الكتب المشهورة الانتفاع بها بل تبقى للمراجعة عند اللزوم لا للتدريس.

ومن الأمور المضرة التي يجب التنبيه عليها واستطراد الكلام إليه وإن خرجت عما نحن بصدده، الفوضى الضاربة أطنانها في مدرسة النجف الأشرف فالطالب فيها يقرأ: أنّى شاء وفي أيّ كتاب شاء وعند من شاء لا يجبر على شيء والطلاب كلهم ليس لتدريسهم ميزان ولا «بروغرام» يمشون عليه إلا ما أورثته العادة القديمة التي لا مجبر عليها وليسوا كلهم أنبياء مرسلين كاملي العقول والمعرفة بما يضرهم وينفعهم وإلا لما احتاجوا إلى طلب العلم. ولذلك قلّت الفائدة لكثير منهم ومن استفاد لا يستفيد إلا بعد عناء شديد وزمان طويل؛ كان يمكنه أن يستفيد فيه أضعاف ما استفاده وتنتفع الناس به أضعاف ما انتفعت فيجب والحال هذه على من بيدهم أزمة الأمور ولهم الكلمة النافذة من العلماء وضع دستور للتدريس، ليس لطالب أن يتعداه وإلا طرد من التدريس حتى لا يكون ضرره أكثر من نفعه أو يكون ضرراً على الأمة والدين لا نفع فيه وإجراء الامتحان للطلاب في ابتداء تدريسهم ووضعهم في الدروس اللائقة بهم، وامتحان على رأس كل ثلاثة أشهر، وامتحان في نهاية السنة يكون بموجبه نقلهم من كتاب إلى كتاب، ومن علم إلى علم، أو إبقاؤهم على نحو ما يجريه الإمام المصلح في مدرسة قم وإلا (فإن دام هذا الوجد لم تبق عبرة) وأشرفت العلوم الدينية على الاضمحلال لا سيما في هذه الأعصار المعلوم حالها عند كل أحد.

ومن الأمور المضرة ترك تدريس علم الأخلاق وآداب التعليم والتعلم الذي عليه المدار، ولا ينتفع بعلم من علوم الدين بدونه مهما بلغ صاحبه. فالواجب جعل تدريس علم الأخلاق وآداب المعلم والمتعلم إجبارياً، وإجبار كل طالب ومدرس على قراءة مثل كتاب (منية المريد في آداب المفيد والمستفيد) للشهيد الثاني أو غيره، ووضع كتب نافعة في علم الأخلاق وآداب التعليم والتعلم، وجعل تدريسها إجبارياً ليتطبع الطلبة على ما فيها ويتخلقوا بالأخلاق الفاضلة، فتستفيد الأمة حينئذٍ من

علومهم وأخلاقهم الفاضلة، وهذا كلام وقع في البين فلنعد إلى ما كنا بصدده، فنقول: حيث عرفت أن أشرف العلوم بعد علم التوحيد هو علم الفقه، فالمراد: بعلم الفقه ما به تحصل معرفة الأحكام بالاجتهاد وهو الظاهر من الفقيه والتفقه في الدين ونحو ذلك مما ورد في الأخبار السابقة، ويمكن شمول التفقه في الدين لمعرفة الأحكام بالتقليد فإنه من التفقه والتفهم لأحكام الدين لا شك في فضل ذلك وشرفه لكنه لا يبلغ درجة معرفة الأحكام بالاجتهاد لأن ذلك أشق وأعظم نفعاً، به حفظ الشرع وقام عمود الدين وهو الأصل وهذا الفرع فهذه هي أشرف العلوم وأعلاها وأما باقي العلوم كالحساب والطب والهندسة، وعلم الهيئة والجغرافيا والتاريخ، وفن الشعر والعروض وغير ذلك، ففضلها وشرفها باعتبار غاياتها وفوائدها، فمنها ما يعين على معرفة العلوم الفاضلة ويوجب القوة فيها وزيادة المهارة فيكون له شرف بهذا الاعتبار وإن كان مستغنى عنه، إلا أنه من المحسنات كفنون الشعر ومعرفة كلام العرب المعين على فهم الكتاب والسّنة، بل لا ينبغي للفقيه أن يغفله بل يداوم على مزاولته أياماً لا سيما أوقات الفراغ وملال النفس وكلال الطبع، ولا يشتغل به اشتغالاً يفوت بعض ما هو بصدده من مهمات العلوم، ولا يغتر بقول من يزهد في ذلك أو يعده من الأمور الضارة، فإن ذلك لا يكون إلا عن عجز أو جهل، والناس أعداء ما جهلوا وربما كان السبب فيه حسد من اتصف بشيء من ذلك، ومنها ما تكون له فوائد دنيوية فقط كعلم الحساب الذي يستعان به على أمور المعاش، وربما استعان به الفقيه في فنه في أبواب كثيرة لا سيما المواريث، وكذا الهندسة التي تحتاج إليها في البناء ومساحة الأرضين، وفي أمور كثيرة تتعلق بالمعاش وقد تنفع طالب الدين في معرفة الكر في مختلف الأشكال وغير ذلك، وأما علم الطب فمن العلوم المهمة لتوقف حفظ الصحة عليه، وأما علم الهيئة فينفع في معرفة القبلة ومعرفة الزوال وبه يستدل على عجائب قدرة الله تعالى، وقد قيل أن في قوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ [آل عمران: ١٩١] الآية دلالة على شرف علم الهيئة. والتاريخ يفيد الإطلاع على أحوال الماضين خيرها وشرها فيعين على الاقتداء بهم في الخير وتجنب الشر، وقد ينفع الفقيه في معرفة ما فتح عنوة من الأرضين وما فتح صلحاً وما أسلم عليه أهله ليلحق كلا حكمه. وقد يكون في الجغرافيا بعض الفوائد التي سبقت لهذه العلوم، وأما العروض فيعرف به

أوزان الشعر وكثيراً ما يستغنى عنه حتى في معرفة وزن الشعر لصاحب السليقة المعتدلة. وأما العلوم الراجعة إلى الصناعات فيجب على الناس تعلمها كفاية ومع وجود من يحصل به سد حاجة الناس يكون تعلمها راجحاً عيناً، ولا سيما في مثل هذا الزمان الذي ارتقت فيه الصناعات ارتقاءً باهراً، فعلى المسلمين أن يجاروا باقي الأمم، في تعلم الصناعات التي تتوقف عليهم حياتهم مع باقي الأمم حياة عز وغنى لا حياة ذل وفقر، ولا يكونوا عالة على سواهم فدينهم الحنيف وكتابهم المبين يأمرهم بذلك حيث يقول:

﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: ١٥] ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠] والسنة المطهرة تأمر بالسعي في طلب الرزق والجد والعمل، وتنهي عن البطالة والكسل في موارد يضيق المقام عن استقصائها. ومن أهمّ أسباب السعي في طلب الرزق تعلم الصناعات ولا ينافي ذلك ما ورد في ذم الدنيا والأمر بالزهد فيها إذ لا يراد بذلك إلا عدم التمسك بها والتهالك عليها، وتقديمها على الآخرة وإلا فهي مزرعة ومن الممكن طلبها للآخرة كما أن تعلم اللغات وسائر العلوم العصرية راجح في نفسه بل واجب على المسلمين كفاية وإنما يحرم بما يعرض له من عوارض خارجية كتعلمه في المدارس التي أنشئت للتبشير بغير دين الإسلام أو التي تجرُّ إلى الإلحاد.

ومما يدل من طريق النقل على أن شرف العلم باعتبار شرف المعلوم وما يترتب عليه من الغايات بعد قضاء العقل بذلك ما عن الكاظم عليه السلام قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المسجد فإذا جماعة قد أطافوا برجل فقال: ما هذا فقيل: علامة فقال: وما العلامة؟ فقالوا: أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها وأيام الجاهلية والأشعار العربية فقال النبي صلى الله عليه وآله: ذلك علم لا يضر من جهله ولا ينفع من علمه. ثم قال صلى الله عليه وآله: إنما العلم ثلاث آية محكمة وفريضة عادلة وسنة قائمة وما خلاهن فهو فضل. قوله صلى الله عليه وآله: آية محكمة إشارة إلى علم التفسير ومعرفة آيات الأحكام والمحكمة التي لم تنسخ أو غير المتشابهة وفريضة عادلة إشارة إلى الواجبات وفي حكمها المحرمات لأنَّ تركها مفروض محتوم، ومعنى عادلة أي لا جور فيها، وسنة قائمة إشارة إلى المستحبات وفي حكمها المكروهات لأن تركها راجح مرغوب فيه

ويمعنى قائمة ثابتة، وإنما لم يذكر المباحات لأن من عرف الفرائض والسنن عرف أن ما عداها مباح. قوله: وما عداها فضل، أي زيادة في المعرفة غير محتاج إليها أو من الفضيلة بمعنى أن معرفته توجب فضيلة وليست بمحتومة كمعرفة الثلاث ولا ينافي ما قدمناه من أن فن الشعر يعين على فهم الكتاب والسّنة، قوله ﷺ: ذاك علم لا يضر من جهله ولا ينفع من علمه، فإن ذلك حيث كان الجميع من أهل اللسان ولا تفيدهم معرفة الشعر وممارسته زيادة في فهم الكتاب والسّنة، أما في هذه الأزمنة فلا كما لا يخفى، وفي عدة الداعي: أولى العلم بك ما لا يصلح لك العمل إلا به، وأوجب العلم عليك ما أنت مسؤول عن العمل به، وألزم العلم لك ما دلك على صلاح قلبك وأظهر لك فساده، وأحمد العلم عاقبة ما زاد في عملك العاجل فلا تشغلنَّ بعلم ما لا يضرنك جهله ولا تغفلن عن علم ما يزيد في جهلك تركه.

الأمر الرابع: في بيان آفات العلم حتى لا تغتر بما ذكرناه في فضيلته فإن له آفات حال تعلمه وبعد حصوله وفيه مهلكات لا بد من التحرر عنها وإلا كان الجهل خيراً منه. وأعظم آفاته اثنتان:

الأولى: عدم إخلاص النية في طلبه وتعليمه وتعلمه والعمل به. قال الشهيد الثاني قدس سره في منية المريد: مدار الأعمال على النيات وبسببها يكون الفعل تارة خزفة لا قيمة لها وتارة جوهرة لا تعلم قيمتها لعظم قدرها، وتارة وبالأعلى صاحبه مكتوباً في ديوان السيئات وإن كان بصورة الواجبات، فيجب على كلٍّ من العالم والمتعلّم أن يقصد بعلمه وجه الله تعالى وامتثال أمره وإصلاح نفسه وإرشاد عباده إلى معالم دينه، ولا يقصد بذلك عرض الدنيا من تحصيل مال أو جاه أو شهرة أو تميز عن الاشتباه أو المفاخرة للأقران أو الترفع على الإخوان، ونحو ذلك من الأغراض الفاسدة التي تثمر الخذلان من الله تعالى وتوجب المقت وتفوت الدار الآخرة والثواب الدائم، فيصير من الأخسرين أعمالاً الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، وقال ولده في المعالم من أهم ما يجب على العلماء مراعاته تصحيح القصد وإخلاص النية وتطهير القلب من دنس الأعراض الدنيوية وتكميل النفس في قوتها العملية، وتزكيتها باجتناب الرذائل، واقتناء الفضائل الخلقية، وقهر القوتين الشهوية والغضبية.

والأدلة النقلية الدالة على وجوب الإخلاص في العبادات عموماً ومنها العلم بل هو أهمها كثيرة لا حاجة إلى نقلها، وقد قال النبي ﷺ: إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه، قال الشهيد الثاني قدس سره في منية المريد: كان السلف وجماعة من تابعيهم يستحبون استفتاح المصنفات بهذا الحديث تنبيهاً للمطلع على حسن النية وتصحيحها واهتمامه بذلك واعتنائه به.

وأما ما يدل من طريق النقل على وجوب الإخلاص في العلم بخصوصه فهو كثير أيضاً ،قال رسول الله ﷺ: إن أول الناس يقضي يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرّفه نعمته فعرفها قال: فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال: كذبت ولكنّك قاتلت ليقال جريء، فقد قيل ذلك ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلّم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمته فعرفها قال: فما عملت فيها قال: تعلّمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت: ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال قارئ القرآن فقد قيل ذلك ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. وقال ﷺ: من تعلم علماً مما يبتغي به وجه الله عزّوجلّ لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة، وقال ﷺ: من تعلم علماً لغير الله وأراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار وقال ﷺ: من طلب العلم ليجادل به العلماء أو ليماري، به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار، وفي رواية فليتبوأ مقعده من النار وقال ﷺ: لا تعلموا العلم لتماروا به السفهاء وتجادلوا به العلماء ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم وابتغوا بقولكم ما عند الله فإنه يدوم ويبقى وينفد ما سواه، كونوا ينابيع الحكمة مصابيح الهدى أحلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون في أهل السماء وتخفون في أهل الأرض. وقال ﷺ: من طلب العلم لأربع دخل النار ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو ليصرف به وجوه الناس إليه أو يأخذ به من الأمراء. وقال ﷺ: ما ازداد عبد علماً فازداد في الدنيا رغبة إلا ازداد من الله بعداً. وقال ﷺ: علماء هذه الأمة رجلان رجل آتاه الله علماً فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعاً ولم يشر به ثمناً فذلك يستغفر له حيتان البحر ودواب البر والطير في

جو السماء ويقدم على الله سيداً شريفاً حتى يرافق المرسلين ورجل آتاه الله علماً فبخل عن عباد الله وأخذ عليه طعماً واشترى به ثمناً فذلك يلجم يوم القيامة بلجام من نار وينادي منادٍ هذا الذي آتاه الله علماً فبخل به عن عباد الله وأخذ عليه طعماً واشترى به ثمناً وكذلك حتى يفرغ من الحساب، ومن طريق الخاصة ما رواه الكليني بسنده إلى علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: منهومان لا يشبعان طالب دنيا وطالب علم فمن اقتصر من الدنيا على أما أحل الله له سلم ومن تناولها من غير حلها هلك إلا أن يتوب ويراجع ومن أخذ العلم من أهله وعمل به نجا، ومن أراد به الدنيا فهي حظه، وبإسناده إلى الباقر عليه السلام من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه فليتبوأ مقعده من النار إن الرياسة لا تصلح إلا لأهلها، وبإسناده إلى الصادق عليه السلام: من أراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب ومن أراد به خير الآخرة أعطاه الله خير الدنيا والآخرة. وعنه عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله: طلبة العلم ثلاثة فاعرفهم بأعيانهم وصفاتهم صنف يطلبه للجهل والمراء وصنف يطلبه للاستطالة والختل وصنف يطلبه للفقه والعقل فصاحب الجهل والمراء مؤذٍ ممار متعرض للمقال في أندية الرجال بتذاكر العلم وصفة الحلم قد تسربل بالخشوع وتخلّى من الورع، فدق الله من هذا خيشومه وقطع منه حيزومه وصاحب الاستطالة والختل ذو خب وملق يستطيل على مثله من أشباهه ويتواضع للأغنياء من دونه فهو لحلوانهم هاضم ولدينه حاطم، فأعمى الله من هذا خبره وقطع من آثار العلماء أثره وصاحب الفقه والعقل ذو كآبة وحزن وسهر قد تحنك في برنسه وقام الليل في حندسه يعمل ويخشى وجلاً داعياً مشفقاً مقبلاً على شأنه، عارفاً بأهل زمانه مستوحشاً من أوثق إخوانه، فشد الله من هذا أركانه وأعطاه يوم القيامة أمانه، وعن أبي ذر رضي الله عنه: من تعلم علماً من علم الآخرة ليريد به عرضاً من عرض الدنيا لم يجد ريح الجنة.

الثانية من آفات العلم المهلكة ترك العمل:

قد ظهر مما قدمناه أن شرف العلم ليس ذاتياً وإنما هو باعتبار ما يترتب عليه فبدون العمل لا فائدة فيه، ولهذا ورد أن العلم بلا عمل كالشجر بلا ثمر والعمل كما يجب على العالم يجب على غيره لكنه في حق العالم آكد، ولهذا جعل الله ثواب المطيعات من نساء النبي صلى الله عليه وآله وعقاب العاصيات منهن ضعف ما لغيرهن وكان

للمسيء من العلوية ضعف العقاب وللمحسن منهم ضعف الثواب وجعله الصدوق في رسالة الاعتقاد من اعتقادات الإمامية، والعقل أيضاً يقضي بذلك فمن علم أن السم قاتل وشربه والمريض الذي علم بالدواء ولم يشربه ملموم بأشد من ذم من لم يعلم بذلك فإنه وإن كان مذموماً بترك الاستعلام حيث يمكنه إلا أنه أقل ذماً من العالم. والمراد بالعمل بالعلم الجري على موجبه من الالتزام بفعل الواجبات وترك المحرمات والمحافظة على المندوبات، قال في المعالم وليجعل العالم له حظاً وافراً من الطاعات والقربات فإنها تفيد النفس ملكة صالحة واستعداداً تاماً لقبول الكمالات.

ويلزم أن يكون ذلك بحيث لا يضر بالاشتغال بالعلم تحصيلاً وتعليماً وتأليفاً ونحو ذلك وإلا فالاشتغال به أهم الواجبات والمستحبات وقد علمنا من تتبع أحوال العلامة السيد محمد الجواد الحسيني العاملي صاحب مفتاح الكرامة قدس سره وملاحظة أواخر مصنفاته أنه كان لا يشتغل في أفضل أوقات العبادة كليالي الإحياء والقدر وأوقات شهر رمضان وغيرها بغير التصنيف والمراجعة والبحث والتدريس وروى شيخنا وأستاذنا الشيخ فتح الله الأصفهاني الملقب بشيخ الشريعة عمن ذكره من أعاظم العلماء عن صاحب مفتاح الكرامة أنه كان يقول إن أفضل الأعمال في ليلة القدر الاشتغال بطلب العلم بإجماع الإمامية. انتهى.

ولكن لا ينبغي إهمال ذلك بالكلية لما فيه من القسوة والجفوة بل يجعل له قسطاً من وقته لا يضر باشتغاله بالعلم ولعله يكون من أسباب التوفيق في تحصيل العلم وربما يكون الداعي إليه هوى النفس وحبها للراحة فتلبس على الشخص بأن ذلك ما هو أهم فإنَّ دواعي النفس ووساوس الشيطان قد توقع في مثل ذلك لغير المنتبه أتم انتباه.

أما ما ورد من طريق النقل في ذم التارك لعلمه فشيء كثير.

بعض الآيات الواردة في ذم العالم التارك للعمل:

فمن الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ۝١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦] الآية.

نزلت في بلعم بن باعوراء من علماء بني إسرائيل وقيل من الكنعانيين وبلغ من علمه أنه كان في حضرته اثنا عشر ألف محبرة يكتبون عنه العلم مع ما آتاه الله من الآيات المشار إليها بقوله ﴿ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ [الأعراف: ١٧٥] التي كان من جملتها أنه كان بحيث إذا نظر يرى العرش كما نقله جماعة من العلماء وأوتي علم بعض كتب الله ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥] من الآيات بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره ولم يعمل بعلمه: ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف: ١٧٥] لحقه فأدركه وصار قريناً له أو أتبعه خطواته وقرئ فأتبعه بالتشديد بمعنى تبعَه، روي أن قومه طلبوا إليه أن يدعو على موسى ومن معَه فأبى وقال: كيف أدعو على من معه الملائكة فلم يزالوا به حتى فعل ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٦] أي ولو لزم العمل بها لرفعناه بها وذلك أن مشيئة الله تعالى رفعه تابعة للزومه العمل بها ومسببة عنه فذكر المسبب وأريد السبب، ولذلك قال: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٧٦] ولم يقل ولكننا لم نشأ، وإخلاده أي ميله إلى الأرض كناية عن ميله إلى السفالة لا إلى الرفعة بالسفل المعنوي كما عبر عن الرفع المعنوي بالرفع الحسّي ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ [الأعراف: ١٧٦] تشد عليه وتهيجه وتطرده من الحملة لا من وضع الحمل عليه لأن الكلب ليس من عادته أن يوضع عليه حمل ﴿يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف: ١٧٦] أي إن صفته التي هي مثل في الخسة والضعة كصفة الكلب في أخس أحواله وأذلها وقيل: لما دعا بلعم على موسى عليه السلام خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب وقوله تعالى في وصف العالم التارك لعلمه: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ [الجمعة: ٥] أي قرأوها وعلوها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ [الجمعة: ٥] أي لم يفعلوا الغاية المقصودة من حملها وهو العَمل بها فكأنهم لم يحملوها ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥] كتبا فأي فضيلة له في حملها فقد مثل الله تعالى في هاتين الآيتين حال العالم التارك لعلمه بالكلب والحمار الحامل للأسفار وأي خزي وذم أعظم من ذلك.

ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله في ذم العالم التارك للعمل:

ومن السنة أخبار كثيرة منها: الأخبار المتقدمة في عدم إخلاص النية فإن ذلك يندرج في عدم العمل بالعلم، ومنها: ما روي عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله:

العلماء رجلان رجل عالم آخذ بعلمه فهذا ناج وعالم تارك لعلمه فهذا هالك وإن أهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه وإن أشد أهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبداً إلى الله تبارك وتعالى فاستجاب له وقبل منه فأطاع الله فأدخله الجنة وأدخل الداعي النار بتركه علمه واتباعه الهوى وطول الأمل أما أتباع الهوى فيصدّ عن الحق وطول الأمل ينسي الآخرة وقوله ﷺ: لا تجلسوا عند كل داع مدع يدعوكم من اليقين إلى الشك ومن الإخلاص إلى الرياء ومن التواضع إلى التكبر ومن النصيحة إلى العداوة ومن الزهد إلى الرغبة وتقربوا من عالم يدعوكم من الكبر إلى التواضع ومن الرياء إلى الإخلاص ومن الشك إلى اليقين ومن الرغبة إلى الزهد ومن العداوة إلى النصيحة. وقوله ﷺ: العلم الذي لا يعمل به كالكنز الذي لا ينفق منه أتعب صاحبه نفسه في جمعه ولم يصل إلى نفعه، وقوله ﷺ: مثل الذي يعلم الخير ولا يعمل به مثل السراج، وفي رواية مثل الفتيلة، يضيء للناس ويحرق نفسه وقوله ﷺ: من ازداد علماً ولم يزدد هدى من الله إلا بعداً، وقوله ﷺ: كل علم وبال على صاحبه يوم القيامة إلا من عمل به، وقوله ﷺ: العلم علمان فعلم في القلب فذاك العلم النافع وعلم اللسان فذاك حجة على ابن آدم فقوله: في القلب كناية عن العمل به وقوله: على اللسان كناية عن عدم العمل به أي يحفظه ويحدث به ولا يتجاوز لسانه، وقوله ﷺ: إني لا أتخوف على أمتي مؤمناً ولا مشركاً فأما المؤمن فيحجزه إيمانه وأما المشرك فيقمعه كفره ولكن أتخوف عليكم منافقاً عليم اللسان يقول ما تعرفون ويعمل ما تنكرون وقوله ﷺ: إن أخوَف ما أخاف عليكم بعدي منافق عليم اللسان وقوله ﷺ: يلقى العالم في النار فيندلق أقتابه فيدور به كما يدور الحمار في الرحى. الأقتاب: الأمعاء وقوله ﷺ: شر الناس علماء السوء وقوله ﷺ: ألا إن شر الشر شرار العلماء وإن خير الخير خيار العلماء، وعن الصادق عليه السلام: جاء رجل إلى النبي ﷺ: فقال: يا رسول الله ما العلم، قال: الإنصات، قال: ثم مه يا رسول الله، قال: الاستماع: قال ثم مه؟ قال: الحفظ، قال: ثم مه يا رسول الله، قال: العمل به، قال: ثم مه يا رسول الله؟ قال: نشره.

بعض ما ورد عن علي عليه السلام في ذم العالم التارك للعمل:

قال علي عليه السلام: تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن ينفعكم الله بالعلم حتى تعملوا به فإن العلماء همتهم الرعاية والسفهاء همتهم الرواية، وقال عليه السلام: من كلام خطب به

على المنبر: أيها الناس إذا علمتم فاعملوا بما علمتم لعلكم تهتدون، إن العالم العامل بغيره كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله بل قد رأيت أن الحجة أعظم والحسرة أدوم على هذا العالم المنسلخ عن علمه منها على هذا الجاهل المتحير في جهله وكلاهما حائر بائر.

ما ورد عن الصادق عليه السلام في ذم العالم التارك للعمل:

قال الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ [الشعراء: ٩٤] الغاوون: هم الذين عرفوا الحق وعملوا بخلافه وقال عليه السلام: أشد الناس عذاباً عالم لا ينتفع من علمه بشيء، وقال عليه السلام:

العالم مقرون إلى العمل فمن علم عمل ومن عمل علم، والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل. قوله: العلم مقرون إلى العمل الخ . . . معناه إن العلم لا يوجد بدون العمل وبالعكس أما الأول: فمحمول على إرادة أن العلم بدون عمل لما كان لا فائدة فيه كان بمنزلة العدم كما يشير إليه تشبيه أمير المؤمنين عليه السلام فيما مرَّ عنه آنفاً: العالم غير العامل بالجاهل وجعله شراً من الجاهل وقول الصادق عليه السلام فيما يأتي قريباً: إن من لم يصدق قوله فعله ليس بعالم، وأما الثاني: فلأن العمل بغير علم يكون باطلاً غالباً، فالعمل الصحيح لا يوجد بدون العلم غالباً ومن ذلك يظهر معنى قوله العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل وقال عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] يعني بالعلماء من صدق قوله فعله ومن لم يصدق قوله فعله فليس بعالم، وقال عليه السلام: من تعلم العلم وعمل به وعلم لله دعي في ملكوت السماوات عظيماً فقيل تعلم لله وعمل لله. وعلم لله وقال عليه السلام: إن من العلماء من يحب أن يجمع علمه ولا يحب أن يؤخذ عنه فذاك في الدرك الأول من النار. ومن العلماء إذا وُعظ أنف وإذا وَعظ عنف فذاك في الدرك الثاني من النار. ومن العلماء من يرى أن يضع العلم عند ذوي الثروة والشرف ولا يرى له في المساكين وضعاً فذاك في الدرك الثالث من النار. ومن العلماء من يذهب في علمه مذهب الجبابرة والسلاطين فإن رد عليه وقصر في شيء من أمره غضب فذاك في الدرك الرابع من النار ومن العلماء من يطلب أحاديث اليهود والنصارى ليعز به علمه ويكثر به حديثه فذاك في الدرك الخامس من النار. ومن

العلماء من يضع نفسه للفتيا ويقول: سلوني ولعله لا يصيب حرفاً واحداً والله لا يحب المتكلفين فذاك في الدرك السادس من النار. ومن العلماء من يتخذ العلم مروءة وعقلاً فذاك في الدرك السابع من النار. وقال عليه السلام: إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل المطر عن الصفا.

وقال عليه السلام: من حرم الخشية لا يكون عالماً وإن شق الشعر بمتشابهات العلم.

ما جاء في الإنجيل في ذم تارك العمل بعلمه:

جاء رجل إلى علي بن الحسين عليه السلام فسأل عن مسائل فأجاب ثم عاد ليسأل مثلها فقال علي بن الحسين عليه السلام: مكتوب في الإنجيل لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولما تعملوا بما علمتم فإن العلم إذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه إلا كفراً ولم يزدد من الله إلا بعداً.

ما جاء عن الأنبياء السابقين عليهم السلام في ذم العالم التارك للعمل:

أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود عليه السلام: إن أهون ما أنا صانع بعبد غير عامل بعلمه من سبعين عقوبة باطنة أن أخرج من قلبه حلاوة ذكري. ومن جملة وصية الخضر لموسى عليه السلام: فيما روي عن النبي صلى الله عليه وآله: يا موسى تعلّم ما تعلّم لتعمل به ولا تعلمه لتحدث به فيكون عليك بوره ويكون على غيرك نوره. وعن الصادق عليه السلام: كان لموسى بن عمران عليه السلام جليس من أصحابه قد وعى علماً كثيراً فاستأذن موسى عليه السلام في زيارة أقارب له فقال له موسى عليه السلام: إن لصلة القرابة لحقاً ولكن إياك أن تركن إلى الدنيا فإن الله قد حملك علماً لا تضيعه ولا تركن إلى غيره فقال الرجل: لا يكون إلا خيراً ومضى نحو أقاربه فطالت غيبته فسأل موسى عليه السلام عنه فلم يخبره أحد بحاله فسأل جبرائيل عليه السلام عنه فقال له: أخبرني عن جليسي فلان ألك علم به قال: نعم هو ذا على الباب قد مسخ قرداً في عنقه سلسلة ففزع موسى عليه السلام إلى ربه وقام إلى مصلاه يدعو الله ويقول: يا رب صاحبي وجليسي فأوحى الله عز وجل إليه يا موسى لو دعوتني حتى تنقطع ترقوتاك ما استجبت لك فيه إني كنت حملته علماً فضيعه وركن إلى غيره وقال عيسى عليه السلام: أشقى الناس من هو معروف عند الناس بعلمه مجهول بعمله وعنه عليه السلام: رأيت حجراً مكتوباً عليه اقلبني

فقلبته فإذا عليه من باطنه: من لا يعمل بما يعلم مشؤوم عليه طلب ما لا يعلم ومردود عليه ما علم.

ومن كلام عيسى عليه السلام: تعلمون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير عمل ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلا بالعمل وإنكم علماء السوء، الأجر تأخذون والعمل تضيعون يوشك رب العمل أن يطلب عمله وتوشكون أن تخرجوا من الدنيا العريضة إلى ظلمة القبر وضيقه. الله تعالى نهاكم عن الخطايا كما أمركم بالصيام والصلاة كيف يكون من أهل العلم من سخط رزقه واحتقر منزلته وقد علم أن ذلك من علم الله وقدرته كيف يكون من أهل العلم من اتهم الله فيما قضى له، فليس يرضى شيئاً أصابه كيف يكون من أهل العلم من أهل العلم من دنياه عند آثر من آخرته وهو مقبل على دنياه وما يضره أحب إليه مما ينفعه، كيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به ولا يطلبه ليعمل به. ومن كلامه عليه السلام: ويل لعلماء السوء تصلى عليهم النار ثم قال: اشتدت مؤنة الدنيا ومؤنة الآخرة أما مؤنة الدنيا فإنك لا تمد يدك إلى شيء فيها إلا وجدت فاجراً قد سبقك إليه وأما مؤنة الآخرة فإنك لا تجد أعواناً يُعينونك عليها. وعن النبي صلى الله عليه وآله: أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه: الذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا لغير الآخرة يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب ألسنتهم أحلى من العسل وأعمالهم أمر من الصبر إياي يخادعون وبي يستهزئون لأتيحن لهم فتنة تذر الحليم حيراناً.

واعلم أن هناك آفات أخر للعلم ترجع إلى ترك العمل به لكنها قسم خاص منه وقد نص عليها في الأخبار بخصوصها.

منها: كتمان العلم. ويستفاد ذمه بعد العقل من جملة من الأخبار المتقدمة كقوله صلى الله عليه وآله لما قيل: ثم مه يا رسول الله قال: نشره وقول الصادق عليه السلام: إن من العلماء من يحب أن يجمع علمه ولا يحب أن يؤخذ عنه فذاك في الدرك الأول من النار. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار وقال صلى الله عليه وآله: من الصدقة أن يتعلم الرجل العلم ويعلّمه الناس وقال صلى الله عليه وآله: زكاة العلم تعليمه من لا يعلمه. وعن الصادق عليه السلام: لكل شيء زكاة وزكاة العلم أن يعلّمه أهله.

ومنها: استعماله للدنيا وعدم الزهد فيها ويدل على قبح ذلك بعد العقل كثير من الأخبار السابقة ويدل عليه زيادة على ذلك ما رواه الكليني في الكافي بسنده إلى

الصادق عليه السلام إذا رأيتم العالم محباً للدنيا فاتهموه على دينكم فإن كل محب لشيء يحوط ما أحب. وقال: أوحى الله إلى داود عليه السلام لا تجعل بيني وبينكم عالماً مفتوناً فيصدك عن طريق محبتي، فإن أولئك قطاع طريق عبادي المريدين إلّا أن أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم. وعنه عليه السلام: عن النبي صلى الله عليه وآله: الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا قيل: يا رسول الله وما دخولهم في الدنيا قال: اتباع السلطان فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم.

ومنها: ادعاء العلم وقول: أنا عالم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من قال أنا عالم فهو الجاهل وقال صلى الله عليه وآله: يظهر الدين حتى يجاوز البحار وتخاض البحار في سبيل الله ثم يأتي من بعدكم أقوام يقرأون القرآن ويقولون قرأنا القرآن فمن أقرأ منا ومن أفقه منا ومن أعلم منا ثم التفت إلى أصحابه فقال: هل في أولئك من خير قالوا: لا، قال: أولئك منكم من هذه الأمة وأولئك هم وقود النار.

ومن الأحاديث المتضمنة لبعض آفات العلم وتنتظم ومع ما سبق في التحذير من ترك العمل ما روي مسنداً عن الصادق عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام: ألا أخبركم بالفقيه حق الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من عذاب الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله ولم يترك القرآن رغبة عنه، ألا لا خير في علم ليس فيه تفهم إلا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر، ألا لا خير في عبادة لا فقه فيه ألا لا خير في نسك لا ورع فيه. وعنه عليه السلام: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: يا طالب العلم إن للعالم ثلاث علامات: العلم، والحلم، والصمت، وللمتكلف ثلاث علامات: ينازع من فوقه بالمعصية، ويظلم من دونه بالغلبة، ويظاهر الظلمة، وعنه عليه السلام: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: يا طالب العلم إن العلم ذو فضائل كثيرة فرأسه التواضع وعينه البراءة من الحسد وأذنه الفهم ولسانه الصدق وحفظه[1] الفحص وقلبه النية، وعقله معرفة الأشياء والأمور ويده الرحمة ورجله زيارة العلماء وهمته السلامة، وحكمته الورع ومستقره النجاة وقائده العافية ومركبه الوفاء، وسلاحه لين الكلمة وسيفه الرضا وقوسه المداراة وجيشه محاورة العلماء، وماله الأدب وذخيرته اجتناب الذنوب وزاده المعروف ومأواه ودليله الهدى ورفيقه محبة الأخيار.

(١) كذا في النسخة ولعل صوابه: وفمه أو نحو ذلك (المؤلف).

وفي حديث عنوان البصري الطويل[1] عن الصادق عليه السلام: ليس العلم بكثرة التعلم إنما هو نور يضعه الله في قلب من يريد أن يهديه، فإذا أردت العلم فاطلب أولاً في نفسك حقيقة العبودية واطلب العلم باستعماله واستفهم الله يفهمك. فقلت: ما حقيقة العبودية؟ قال ثلاثة أشياء: أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوَّله الله ملكاً لأن العبيد لا يكون لهم ملك بل يرون المال مال الله يضعونه حيث أمرهم الله ولا يدبر العبد لنفسه تدبيراً، وجملة اشتغاله فيما أمره الله به ونهاه عنه فإذا لم يرَ العبد فيما خوله الله ملكاً هان عليه الإنفاق فيما أمره الله وإذا فوض تدبير نفسه إلى مدبره هانت عليه مصائب الدنيا وإذا اشتغل بما أمره الله به ونهاه عنه لا يتفرَّغ إلى المراء والمباهاة مع الناس فإذا أكرم الله العبد بهذه الثلاث هانت عليه الدنيا والميس بالخلق فلا يطلب الدنيا تفاخراً وتكاثراً ولا يطلب عند الناس عزاً وعلواً ولا يدع أيامه باطلة فهذا أول درجة المتقين قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣] قلت: يا أبا عبد الله أوصني قال: أوصيك بتسعة أشياء فإنها وصيتي لمريد الطريق إلى الله تعالى والله

---

(١) هذا الحديث ذكره السيد محمد بن الحسن الحسيني العاملي العيناثي المعروف بابن قاسم في كتاب الاثني عشرية في المواعظ العددية أنه من روايات أهل السنة عن عنوان البصري وكان شيخاً كبيراً أتى عليه أربع وسبعون سنة قال كنت أختلف إلى مالك بن أنس في طلب التعلم فلما قدم جعفر بن محمد الصادق المدينة أحببت أن آخذ عنه كما أخذت عن مالك فقال لي يوماً إني رجل مطلوب (يعني من قبل السلطان ويكره الاشتهار) ولي أوراد في كل ساعة قم عني لا تشغلني عن وردي ورح إلى مالك فاتممت من ذلك وقلت لو تفرس في خير أما فعل ذلك فدخلت مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلمت عليه وصليت ركعتين في الروضة ودعوت الله أن يعطف علي قلب جعفر بن محمد ويرزقني من علمه ما اهتدي به إلى الصراط المستقيم ولم أختلف إلى مالك لما أشرب قلبي من حب ويرزقني ثم قصدت باب جعفر واستأذنت فخرج خادم فقال ما حاجتك قلت السلام على الشريف. قال: هو في الصلاة فجلست ما لبثت إلا يسيراً إذ خرج خادم آخر فقال ادخل على بركة الله فدخلت وسلمت فرد علي السلام وقال اجلس غفر الله لك فأطرق ملياً ثم رفع رأسه فقال أبو من قلت أبو عبد الله قال ثبت الله كنيتك ووفقك لكل خير فقلت في نفسي لو لم يكن من زيارته إلا هذا الدعاء لكن كثيراً ثم قال ما مسألتك قلت سألت الله أن يعطف علي قلبك ويرزقني من علمك وأرجو أن الله أجابني في الشريف ما سألته فقال يا أبا عبد الله ليس العلم بكثرة التعلم الخ ثم قال له يا شريف فقال قل يا أبا عبد الله ثم قال له قم يا أبا عبد الله فقد نصحت لك ولا تفسد علي وردي فإني رجل ضنين بنفسي (المؤلف).

أسأل أن يوفقك لاستعمالها ثلاثة منها في رياضة النفس وثلاثة منها في الحلم وثلاثة منها في العلم فاحفظها وإياك التهاون بها قال: عنوان ففرغت قلبي فقال: أما اللواتي في الرياضة فإياك أن تأكل ما لا تشتهيه فإنه يورث الحمق والبله، ولا تأكل إلا عند الجوع فإذا أكلت فكل حلالاً وسمّ الله تعالى واذكر حديث النبي ﷺ ما ملأ الآدمي وعاء شراً من بطنه فإن كان ولا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه، وأما اللواتي في الحلم: فمن قال لك إن قلت واحدة سمعت عشراً فقل إن قلت عشراً لم تسمع واحدة شتمك فقل له: إن كنت صادقاً فيما تقوله فاسأل الله أن يغفر لي وإن كنت كاذباً فاسأل الله أن يغفر لك ومن وعدك بالخيانة فعده بالنصيحة والدعاء. وأما اللواتي في العلم: فاسأل العلماء ما جهلت وإياك أن تسألهم تعنتاً وتجربة وإياك أن تعمل برأيك شيئاً وخذ بالاحتياط في جميع أمورك ما تجد إليه سبيلاً واهرب من الفتيا فرارك من الأسد والذئب ولا تجعل رقبتك جسراً للناس. الحديث.

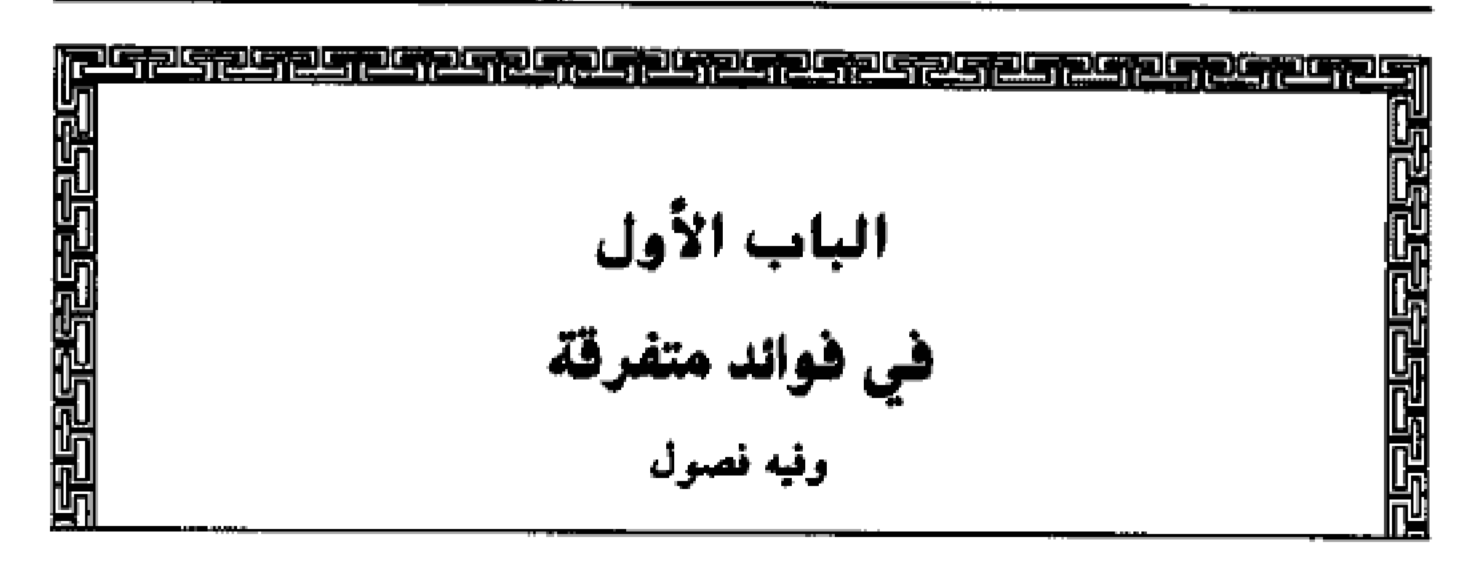
الأمر الخامس: في جملة من آداب المعلم والمتعلم المنصوص عليها في الأخبار، قال النبي ﷺ: ليس من أخلاق المؤمن الملق إلا في طلب العلم.

وقال الصادق عليه السلام: اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم وتواضعوا لمن تعلمونه العلم، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم. وقال زين العابدين عليه السلام: حق سائسك بالعلم التعظيم له والتوقير لمجلسه وحسن الاستماع إليه والإقبال إليه وأن لا ترفع عليه صوتك ولا تجيب أحداً يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب، ولا تحدث في مجلسه أحداً ولا تغتاب عنده أحداً وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء وأن تستر عيوبه وتظهر مناقبه ولا تجالس له عدواً ولا تعادي له ولياً، فإذا فعلت ذلك شهدت لك ملائكة الله بأنك قصدته وتعلّمت علمه لله جل اسمه لا للناس وحق رعيتك بالعلم أن تعلم أن الله عز وجل إنما جعلك قيماً لهم فيما آتاك من العلم وفتح لك من خزائنه، فإن أحسنت في تعليم الناس ولم تخرق بهم ولم تضجر عليهم زادك الله عز وجل من فضله وإن أنت منعت الناس علمك أو خرقت بهم عند طلبهم منك كان حقاً على الله عز وجل أن يسلبك العلم وبهاءه ويسقط من القلوب محلك، وقال الصادق عليه السلام: كان علي عليه السلام يقول: إن من حق العالم أن لا تكثر عليه السؤال ولا تأخذ بثوبه، وإذا دخلت عليه وعنده قوم

فسلم عليهم جميعاً وخصه بالتحية دونهم واجلس بين يديه ولا تجلس خلفه، ولا تغمض بعينيك ولا تشر بيديك ولا تكثر من القول قال فلان وفلان خلافاً لقوله ولا تضجر بطول صحبته، فإنما مثال العالم مثل النخلة تنتظرها متى يسقط عليك منها والعالم أعظم أجراً من الصائم القائم الغازي في سبيل الله، وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها شيء إلى يوم القيامة. وروى عبد الله بن الحسن بن علي عن أبيه عن جده ﷺ أنه قال: إن من حق المعلم على المتعلم أن لا يكثر السؤال عليه ولا يسبقه في الجواب ولا يلحُّ عليه إذا أعرض ولا يأخذ ثوبه إذا كسل ولا يشير إليه بيده ولا يغمزه بعينيه ولا يشاور في مجلسه ولا يطلب عوراته وأن لا تقول قال فلان خلاف قولك ولا يفشي له سراً ولا يغتاب عنده أحداً، وأن يحفظه شاهداً وغائباً ويعم القوم بالسلام ويخصه بالتحية ويجلس بين يديه، وإن كان له حاجة سبق القوم إلى خدمته ولا يمل من طول صحبته (حديثه ل) فإنما هو مثل النخلة تنتظر متى تسقط عليك منها منفعة والعالم بمنزلة الصائم القائم المجاهد في سبيل الله وإذا مات العالم انثلم في الإسلام ثلمة لا تنسد إلى يوم القيامة وإن طالب العلم ليشيّعه سبعون ألفاً من مقرَّبي السماء وقال ابن عباس: ذللت طالباً فعززت مطلوباً وقال بعض الحكماء: من لم يحتمل ذل الطلب ساعة بقي في ذل الجهل أبداً وقال الشاعر:

من جد في طلب العلوم أفاده ... شرف العلوم دناءةُ التحصيل

هذا ما أردنا إيراده في هذه المقدمة وفيه كفاية لمن تأمل واعتبر اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا واهدنا صراطك المستقيم.



الباب الأول
في فوائد متفرقة
وفيه فصول

في تفسير وإعراب بعض الآيات الشريفة القرآنية وما يتبع ذلك من الأمور المتعلقة بالقرآن الكريم وفيه فوائد.

١ - سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة، فالملكي منها تسعون والمدني أربع وعشرون على خلاف في بعضها، وآياته ستة آلاف ومائتان وست وثلاثون آية، وأما كلماته فتسعة وتسعون ألفاً وأربعمائة كلمة، وأما حروفه فثلاثمائة ألف وأحد وعشرون ألف حرف وستمائة وسبعون حرفاً. وورد أن للقارئ بكل حرف عشر حسنات وأما سجداته فأربع عشرة سجدة، والأنبياء المذكورون في القرآن خمسة وعشرون نبياً: آدم، ونوح، وإدريس، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحق، ويعقوب، ويوسف، واليسع، ويونس، ولوط، وصالح، وهود، وشعيب، وداود، وسليمان، وذو الكفل، والياس، وزكريا، ويحيى، وأيوب، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين وهؤلاء متفق عليهم والمختلف فيهم: لقمان، وذو القرنين، وطالوت والصحيح أنهم ليسوا بأنبياء وإنما كانوا عباداً صالحين. أما عدد الأنبياء الذين أرسلهم الله تعالى إلى العباد فيقال إنهم مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي قبل نبينا محمد ﷺ وأولو العزم منهم خمسة وهم أهل الشرائع نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد صلى الله عليه وآله وعليهم وسلم وأنزل القرآن آيات متفرقة في ثلاث وعشرين سنة فأول ما أنزل منه سورة العلق ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] وقبل الفاتحة ولما نزلت البسملة على النبي ﷺ قال: قد امنت أمتي من الخسف والمسخ والغرق.

٢ - قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝﴾ [الشرح: ٥-٦]

أي إن مع الشدة التي أنت فيها يا محمد من جهاد المشركين يسراً ورخاء بأن يظهرك الله عليهم حتى ينقادوا إلى الحق الذي جئتهم به وكرر لتأكيد الوعد وتعظيم الرجاء وعن الحسن لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: أبشروا وقد جاءكم اليسر لن يغلب عسر يسرين وإنما جعل العسر واحداً واليسر متعدداً، مع أن التكرير وقع لكل منهما لأن اليسر كرر لفظ النكرة فيكون الثاني غير الأول بخلاف العسر فإنه كرر بلفظ المعرفة فالثاني عين الأول وقال الشاعر في هذا المعنى:

لا تقنطن لعسرة فوراءها ... يسران وعد ليس فيه خلاف

كم عسرة قلق الفتى لنزولها ... لله في أعطافها ألطاف

٣ - قال الله تعالى في سورة يونس (٣٥): ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

القراءة: قرأ من لا يهدى بوزن يخشى وقرئ لا يهدي بفتح الياء وكسر الهاء وفتحها وتشديد الدال المكسورة والأصل يهتدي أدغمت التاء في الدال بعد قلبها دالاً أو بدونه، وفتحت الهاء بنقل حركة التاء إليها ليصح ادغامها لأن الحرف الأول من المدغم يجب إسكانه، أو كسرت الهاء بعد حذف حركة التاء لالتقاء الساكنين وقرئ إلا أن يهدى بالبناء للمفعول كيعطي وإلا أن يهدى بتشديد الدال والبناء للمفعول للمبالغة. يقال هداه للحق وإلى الحق وقد جمع في الآية بين اللغتين ويقال هداه بالتشديد وقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كشرى بمعنى اشترى ومنه أمن لا يهدى كيخشى.

المعنى: قل يا محمد محتجاً على المشركين هل من شركائكم الذين جعلتم أنداداً لله حتى من أشرفهم كالملائكة والمسيح وعزير فضلاً عن الأصنام والأحجار والأشجار ﴿مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٥] كهداية الله أو نفسه مستقلاً ومستغنياً عن هداية الله ثم أمره أن ينوب عنهم في الجواب بقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٥] وحده ولا يمكن لأحد أن يستغني عن هدايته وتعريفه الحق ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٥] هذه الهداية التي لا يحتاج فيها إلى هاد ويحتاج إلى هدايته كل هاد ﴿أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ﴾ [يونس: ٣٥] أي لا يهتدي بنفسه أو لا يهدي غيره

﴿إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾ [يونس: ٣٥] إلا أن يهديه الله ويعلمه طريق الهداية من المكلفين أو يحوله من الجماد ويجعله مكلفاً ويعلمه طريق الهداية ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٥﴾ [يونس: ٣٥] بأنهم أنداد الله وهم بهذه الحالة.

٤ - قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢﴾ [الكهف: ١-٢] لقن الله عباده وفهمهم كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمة عليهم وهي نعمة الإسلام وإنزال الكتاب على عبده محمد ﷺ الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ [الكهف: ١] شيئاً من العوج قط، والعوج في الأجسام، عدم الاستقامة ويطلق على المعاني كالاستقامة مجازاً والمراد نفي الإختلاف والتناقض عن معانيه وعدم خروج شيء منه عن الحكمة والإصابة ﴿قَيِّمًا﴾ [الكهف: ٢] مستقيماً، وقال الفراء: قيماً قائماً على الكتب السماوية كلها مصدقاً لها شاهداً بصحتها ناسخاً بعض شرائعها، وقيل: قيماً بمصالح العباد وما لا يدنسهم منه من الشرائع فهو حال مؤسسة وإذا جعل بمعنى الاستقامة فهو حال مؤكدة، فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى اعوجاج عند السير والتصفح وفي اعراب قيماً وجوه أحدهما: أنه حال من الكتاب مؤخر عن موضعه قيل وفيه ضعف لأنه يلزم منه التفريق بين بعض الصلة وبعض لأن قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ [الكهف: ١] معطوف على أنزل فهو من توابع الصلة وفيه أن قيماً على تقدير كونه حالاً من الكتاب يكون من توابع الصلة أيضاً، فلم يفصل بأجنبي حتى يلزم الضعف، وفي الكشاف: الأحسن أن لا يجعل حالاً من الكتاب لأن قوله ولم يجعل من الكتاب معطوف على أنزل فهو داخل في حيز الصلة فيلزم الفصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وفيه أنه لا محذور في الفصل بين الحال وذيها بكل الصلة ولا ببعضها لأن الصلة من متممات الموصول الذي هو ذر الحال والصواب: أن يقال في وجه ضعفه أن الحال ألصق بذي الحال وصلته من المعطوف على الصلة فالأنسب تقديمه على المعطوف فلا بد لتأخيره من جهة مناسبة. وقيل: ولم يجعل حال وقيماً حال أخرى وفيه أن جملة المضارع الواقعة حالاً إذا اقترنت بالواو وجب اعتماد المضارع فيها على الضمير المرفوع نحو جاء زيد وهو يقرأ وهو لا يقرأ أو ومجيئها بدون الضمير المرفوع ضعيف شاذ لا يجوز حمل القرآن عليه نحو قولهم قمت وأحك

عينيه، ثانيهما: أنه حال من الضمير في له. ثالثهما: أنه منصوب بمحذوف تقديره جعَلَه قيماً: اختاره صاحبا مجمع البيان والكشاف.

٥ - تكرر في الكتاب العزيز مثل ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤١] ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦]. ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [النحل: ٥١] وإياي فيه مفعول لفعل محذوف أصله اتقوني فاتقوني للتأكيد فلما حذف العامل انفصل الضمير.

٦ - قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ۝٦٠ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٦١﴾ [آل عمران: ٥٩-٦١] تعالوا أصله من تعالى بمعنى ارتفع، ثم استعمل لمطلق طلب الحضور وذلك أن العرب كان الرجل منهم ينادي من هو أسفل منه فيقول تعال أي ارتفع إلى هنا ثم غلب استعماله في العموم ﴿وَأَنفُسَكُمۡ﴾: أي من تريدون من رجالكم نبتهل بأن نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم، والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وأبعده من رحمته من قولك أبهله إذا أهمله وناقة باهل لا صرار عليها والصرار ككتاب ما يشد به ضرعها وأصل الابتهال هذا ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن التعاناً.

قال الواحدي في أسباب النزول: قال المفسرون قدم وفد نجران وكانوا ستين راكباً على رسول الله ﷺ وفيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم وفي الأربعة عشر ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم فالعاقب أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلا عن رأيه واسمه عبد المسيح والسيد أمامهم وصاحب رحلهم واسمه الأيهم وأبو حارثة بن علقمة أسقفهم وحبرهم وامامهم وصاحب مدارسهم، وكان قد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم وكانت ملوك الروم قد شرَّفوه ومولوه وبنوا له الكنائس لعلمه واجتهاده. فقدموا على رسول الله ﷺ ودخلوا مسجده حين صلَّى العصر عليهم ثياب الحبرات جبات وادية في جمال رجال الحارث بن كعب يقول بعض من رآهم من أصحاب رسول الله ﷺ: ما رأينا وفداً مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا فصلوا في مسجد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: دعوهم فصلوا إلى المشرق فكلم السيد والعاقب رسول الله ﷺ فقال لهما: أسلما فقالا:

قد أسلمنا قبلك قال: كذبتما منعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولد أو عبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير قالا: إن لم يكن عيسى ولد الله فمن أبوه وخاصموه جميعاً في عيسى فقال لهما: ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا ويشبه أباه قالوا: بلى قال: ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى أتى عليه الفناء قالوا: بلى قال: ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا: بلى قال: فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً؟ قالوا: لا قال: فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا: بلى قال: ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما غذي الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا: بلى قال: فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا. فأنزل الله عز وجل فيهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها ثم روي أنهما قالا للنبي ﷺ: ما تقول في عيسى فسكت ونزل القرآن فيه ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ إلى قوله: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [آل عمران:٥٩ - ٦١] رسول الله ﷺ إلى الملاعنة.

فإذا كان الله تعالى قد خلق آدم وأبدعه من التراب بغير أم ولا أب فخلق عيسى عليه السلام من أم بدون أب أقل غرابة، وفي الكشاف: روي أنهم لما دعاهم إلى المباهلة قالوا: حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى؟ فقال: والله لقد عرفتم يا معشر النصارى إن محمداً نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبياً قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فإن أبيتم إلا ألف دينكم فوادعوا الرجل فأتوا رسول الله ﷺ وقد غدا محتضناً الحسين آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه علي خلفها وهو يقول إذا أنا دعوت فأمنوا فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها فلا تباهلوا، فصالحوا النبي ﷺ على أن يؤدوا إليه كل عام ألفي حلة في صفر وألفا في رجب وثلاثين درعاً عارية من حديد وقال ﷺ: والذي نفسي بيده لو لاعنوا لاضطرم عليهم الوادي ناراً ثم قال: وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خرج (يعني إلى المباهلة) وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله ثم جاء إلى الحسين فأدخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ومثله في تفسير

النيسابوري لكنه زاد: ويطهركم تطهيراً ثم قال: وهذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث انتهى ثم قال في الكشاف:

وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام وفيه برهان واضح على صحة نبوته صلى الله عليه وآله لأنه لم يرو أحد من موافق ولا مخالف أنهم أجابوا إلى ذلك. وقال الواحدي في أسباب النزول: قال الشعبي أبناءنا الحسن والحسين ونساءنا فاطمة وأنفسنا علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

وفي مجمع البيان: لما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المباهلة استنظروه إلى صبيحة غد فلما رجعوا إلى رحالهم قال لهم الأسقف: انظروا محمداً في غدا فإن غد بولده وأهله فاحذروا مباهلته وإن غدا بأصحابه فباهلوه فإنه ليس على شيء. فلما كان الغد جاء النبي صلى الله عليه وآله آخذاً بيد علي بن أبي طالب والحسن والحسين بين يديه يمشيان وفاطمة تمشي خلفه وخرج النصارى وتقدمهم أسقفهم فلما رأى النبي صلى الله عليه وآله قد أقبل بمن معه سأل عنهم فقيل: هذا ابن عمه وزوج ابنته وأحبّ الخلق إليه وهذان ابنا بنته من علي وهذه الجارية بنته فاطمة أعز الناس عليه وأقربهم إلى قلبه وتقدم رسول الله صلى الله عليه وآله فجثا على ركبتيه، قال أبو حارثة الأسقف: جثا كما جثت الأنبياء للمباهلة فكعّ ولم يقدم على المباهلة فقال السيد: ادن يا أبا حارثة للمباهلة فقال: إني لأرى رجلاً جرياً على المباهلة وأنا أخاف أن يكون صادقاً[1] لم يحل والله علينا الحول وفي الدنيا نصراني يطعم الماء. فقال الأسقف: يا أبا القاسم أنا لا نباهلك ولكن نصالحك فصالحنا على ما ننهض به، فصالحهم على ألفي حلة من حلل الأواقي قيمة كل حلة أربعون درهماً فما زاد ونقص فعلى حساب ذلك وعلى عارية ثلاثين درعاً وثلاثين فرساً إن كان باليمن كيد ورسول الله صلى الله عليه وآله ضامن حتى يؤديها وكتب لهم كتاباً فلما رجع وفد نجران لم يلبث السيد والعاقب إلا يسيراً حتى رجعا إلى النبي صلى الله عليه وآله وأسلما وأهدى له العاقب حلة وعصاً وقدحاً ونعلين ثم قال: وأنفسنا يعني علياً خاصة ولا يجوز أن يكون المعني به النبي صلى الله عليه وآله لأنه هو الداعي ولا يجوز أن يدعو الإنسان نفسه وإنما يصح أن يدعو غيره وإذا كان قوله وأنفسنا لا بد أن

---

(١) لا يخفى ما في العبارة ولعل صوابها أن يكن صادقاً لم يحل الخ أو وأنا أخاف أن يكون صادقاً فإن يظن صادقاً لم يحل (المؤلف).

يكون إشارة إلى غير الرسول وجب أن يكون إشارة إلى علي لأنه لا أحد يدعي دخول غير أمير المؤمنين علي وزوجته وولديه في المباهلة وهذا يدل على غاية الفضل وعلو الدرجة في البلوغ منه إلى حيث لا يبلغه أحد إذ جعله الله نفس الرسول وهذا ما لا يدانيه فيه أحد ولا يقاربه. ومما يعضده من الروايات ما صحّ عن النبي ﷺ أنه سئل عن بعض أصحابه فقال له قائل، فعلي: إنما سألتني عن الناس ولم تسألني عن نفسي وقوله ﷺ لبريدة الأسلمي: يا بريدة لا تبغض علياً فإنه مني وأنا منه إن الناس خلقوا من شجر شتى وخلقت أنا وعلي من شجرة واحدة. وقوله بأحد وقد ظهر من نكايته في المشركين ووقايته إياه بنفسه حين قال جبرائيل إنه مني وأنا منه فقال جبرئيل وأنا منكما. وفي تفسير الفخر الرازي كان في الري رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي وكان متكلم[1] الاثني عشرية وكان يزعم ان علياً أفضل من جميع الأنبياء سوى محمد ﷺ قال: والذي يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١] وليس المراد بقوله وأنفسنا نفس محمد ﷺ لأن الإنسان لا يدعو نفسه بل المراد به غيره وأجمعوا على أنَّ ذلك الغير كان علي بن أبي طالب فدلت الآية على أن نفس علي هي نفس محمد، ولا يمكن أن يكون المراد منه أنَّ هذه النفس هي عين تلك النفس، فالمراد أنها مثلها وذلك يقضي الاستواء في جميع الوجوه ترك العمل بهذا العموم في حق النبوة، وفي حق الفضل لقيام الدلائل على أن محمداً ﷺ كان نبياً وما كان علي كذلك ولانعقاد الإجماع على أن محمداً ﷺ كان أفضل من علي فيبقى فيما وراءه معمولاً به، ثم الإجماع دلَّ على أن محمداً كان أفضل من سائر الأنبياء ثم قال: ويؤيده الحديث المقبول عند الموافق والمخالف وهو قوله عليه السلام: من أراد أن يرى آدم في علمه ونوحاً في طاعته وإبراهيم في خلته وموسى في هيبته وعيسى في صفوته فلينظر إلى علي بن أبي طالب فالحديث دلَّ على أنه اجتمع فيه ما كان متفرقاً فيهم وذلك يدل على أنه أفضل من جميع الأنبياء سوى محمد ﷺ، وأما سائر الشيعة فقد كانوا قديماً وحديثاً يستدلون بهذه الآية سوى على أن علياً أفضل من سائر الصحابة لأن الآية لما دلت على أن نفس علي مثل نفس محمد ﷺ إلا فيما خصه الدليل وكان نفس محمد ﷺ أفضل

---

(١) الذي في النسخة معلم لكن في تفسير النيشابوري متكلم وهو الصواب (المؤلف).

من الصحابة فوجب أن يكون نفس علي أفضل أيضاً من سائر الصحابة، ثم أجاب عن استدلاله على تفضيل علي على الأنبياء عدا محمد ﷺ بأنه كما انعقد الإجماع على أن محمداً ﷺ أفضل من علي انعقد الإجماع قبل ظهور هذا الإنسان، على أن النبي أفضل ممن ليس بنبي وعلي ليس بنبي إجماعاً فكما أن ظاهر الآية مخصوص في حق محمد ﷺ مخصوص في حق سائر الأنبياء. وظاهره تسليم دلالة الآية على تفضيل علي على سائر الصحابة وإنما ينازع في تفضيله على الأنبياء غير محمد ﷺ. ومحمود هذا يلقب سديد الدين له قول معروف في المواريث نقله عنه أصحابنا. وفي القاموس حمص أي بالكسر كورة بالشام وكحلز يعني بالتشديد والكسر وقنب أي بالفتح حب معروف إلى أن قال وبالضم مشدداً محمود بن علي الحمصي متكلم أخذ عنه الإمام فخر الدين الرازي أو هو بالضاد. وكلامه يدل على أنه ليس منسوباً إلى البلد ولا إلى الحب وأنه ابن علي. وفي كلام الرازي كما سمعت أنه ابن الحسن ويمكن كون أحدهما أباه والآخر جده. ونقل الرازي عنه هذا الاحتجاج يؤيد أخذه عنه وإنه شيخه كما قاله صاحب القاموس. ثم إنه يستفاد من الآية الشريفة أمور، الأول: أن الحسن والحسين ابنا رسول الله ﷺ وإن ابن البنت ابن حقيقة ويؤيده قوله ﷺ ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا، الثاني: صحة النظر والاستدلال وإقامة الحجج لأن الله احتج على النصارى ودل على خلق عيسى من غير أب بخلق آدم، الثالث: إن علياً أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ لما سمعت وإعترف به الفخر الرازي، الرابع: فضل أصحاب الكساء على غيرهم كما اعترف به الزمخشري، الخامس: أنهم المرادون بأهل البيت في الآية الشريفة واحتمال إرادة أزواج النبي ﷺ وحدهم بقرينة ما قبل الآية وما بعدها نفيه تذكير الضمير والأخبار الدالة على أن المراد بأهل البيت أصحاب الكساء كهذا الخبر وغيره واحتمال دخول النساء فيهم وتذكير الضمير للتغليب ينافيه أصالة الحقيقة وما رواه الإمامان مسلم وابن حنبل من إنكاره زيد بن أرقم على حصين بن سبرة لما قال له: أليس نساؤه من أهل بيته؟ فقال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده كما بيناه في «إقناع اللائم على إقامة المآتم» عند ذكر حديث الثقلين وما رواه الترمذي وصححه الحاكم على شرط البخاري من أنه ﷺ جلل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً الحديث.

وهو يدل على انحصار أهل البيت في ذلك الوقت في الخمسة وفي دلالة الآية على عصمتهم من الذنوب ما لا يخفى قال الشهيد أعلى الله درجته في مقدمات الذكرى: لا يقال صدر الآية وعجزها في النساء فتكون فيهن، قلنا: يا أباه الضمير وهذا النقل الصحيح والخروج من حكم إلى آخر في القرآن كثير جداً.

٧ - قال الله تعالى في سورة المائدة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦].

﴿إِذَا قُمْتُمْ﴾ [المائدة: ٦] أي أردتم القيام مثل ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ١٠٢] قالت جليلة أخت جساس لما قتل أخوها زوجها كليباً:

يا ابنة الأقوام إن لمت فلا تعجلني باللوم حتى تسالي

أي أردت اللوم وذلك لأن الفعل مسبب عن الإرادة فأقيم المسبب مقام السبب، والكلام مقيد بوجوب الحدث أي إذا قمتم وكنتم محدثين أو مطلق لاستحباب التجديد والأمر مستعمل في مطلق الطلب من باب عموم المجاز ﴿إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦] إلى هنا بمعنى مع، لإجماع المسلمين عدا زفر وداود على وجوب غسل المرافق ومجيئها بمعنى مع كثير في القرآن وكلام العرب ومنه قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢] ولا تأكلوا أموالكم إلى أموالهم وقال امرؤ القيس:

له كفل كالدعص بلله الندى إلى حارك مثل الرتاج المضبب

ويمكن بقاؤها على معنى الغاية والغاية داخلة بقرينة الإجماع سواء قلنا بأنّ الظاهر في المعنى بإلى الخروج، أو قلنا بعدم الظهور في الدخول ولا الخروج وإنما يثبت أحدهما بقرينة فالخروج كقوله تعالى: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠] «وأتموا الصيام إلى الليل» والدخول كما في: حفظت القرآن من أوله إلى آخره وقوله تعالى: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١] ولا دلالة في الآية على النكس لأن الكلام مسوق لتحديد المغسول لا لبيان كيفية الغسل كما لم يتبين كيفيته في الوجه الشريك مع اليدين في وجوب الغسل بلفظ واحد وذلك لأن اليد من الكتف إلى رؤوس الأصابع فلو قال: اغسلوا أيديكم

وأطلق لفهم أن الواجب غسل تمام اليد إلى الكتف كما أنه لما أطلق الوجه ولم يقيده فهم أن الواجب غسل تمام الوجه فبين أن حد المغسول إلى المرفقين ولا يغسل ما فوقهما، وأما من جهة الأصابع فلا يحتاج إلى التحديد وليس في الكلام تعرض لكيفية الغسل لا في الوجه ولا في اليدين ومثله لو قال: ازرع هذه الأرض إلى هنا وابن هذا الحائط إلى موضع كذا وَخُطّ هذا الثوب إلى نصفه ورش الدار إلى الباب فلا يفهم منه إلا تحديد المزروع والمبني والمخيط والمرشوش لا بيان كيفية العمل ومن أين يكون ابتداؤه وانتهاؤه.

واختلف الناس في أن الواجب غسل الرجلين أو مسحهما فقال الفقهاء الأربعة وجمهور الفقهاء فرضهما الغسل وقال أئمة أهل البيت وتبعهم كافة علماء الإمامية فرضهما المسح، وروي ذلك عن جماعة من الصحابة والتابعين. قال الفخر الرازي في تفسيره: اختلف الناس في مسح الرجلين وفي غسلهما فنقل القفال في تفسيره عن ابن عباس وأنس بن مالك وعكرمة والشعبي وأبي جعفر محمد بن علي الباقر إن الواجب فيهما المسح وهو مذهب الإمامية من الشيعة، وقال جمهور الفقهاء والمفسرين: فرضهما الغسل وقال داود الأصفهاني يجب الجمع بينهما وهو قول الناصر للحق من أئمة الزيدية وقال الحسن البصري ومحمد بن جرير الطبري المكلف مُخَيَّر بين المسح والغسل.

وحكي القول بالمسح أيضاً عن أبي العالية وحكي التخيير عن أبي علي الجبائي إلا أنه هو والطبري قالا بوجوب مسح القدمين ظاهرهما وباطنهما. وروى الطبري في تفسيره بأسانيده عن ابن عباس قال: الوضوء غسلتان ومسحتان، وعن أنس أنه قيل له: إنَّ الحجاج خطب بالأهواز وأمر بغسل الرجلين في الوضوء فقال أنس: صدق الله وكذب الحجاج قال الله تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] وكان أنس إذا مسح قدميه بلّهما، وعن عكرمة قال ليس على الرجلين غسل إنما فيهما المسح، وعن جابر عن أبي جعفر، قال امسح على رأسك وقدميك وعن الشعبي، قال نزل جبرائيل بالمسح ثم قال الشعبي ألا ترى أن التيمم أن يمسح ما كان غسلاً ويلغي ما كان مسحاً وأورد عدة روايات بألفاظ مختلفة عن الشعبي رجليه إنما كان يمسح عليهما حتى خرج منها. وعن قتادة افترض الله غسلين ومسحتين

وعن علقمة، والأعمش ومجاهد والشعبي وأبي جعفر والضحاك أنهم قرأوا وأرجلكم بالخفض أورد ذلك الطبري في سياق نقل أقوال من قال بالمسح دون الغسل فجعل القراءة دليلاً على القول.

أما ما روي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في ذلك فأكثر من أن يحصى بل هو متواتر معنى قولاً وفعلاً، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: ما نزل القرآن إلا بالمسح وسئل أبو جعفر الباقر عليه السلام عن المسح على الرجلين فقال هو الذي نزل به جبرائيل بهذا المعنى، وعن عكرمة أنه صحبه رجل إلى واسط قال: فما رأيته غسل وسئل أبو الحسن موسى بن جعفر عن المسح على القدمين كيف هو فوضع بكفه على الأصابع ثم مسحها إلى الكعبين، وقال الصادق عليه السلام: يأتي على الرجل ستون وسبعون سنة ما قبل الله منه صلاة لأنه يغسل ما أمر الله بمسحه، وقال الرضا عليه السلام: في وضوء الفريضة في كتاب الله تعالى المسح إلى غير ذلك.

قال الفخر الرازي في تفسيره: حجة من قال بوجوب المسح مبني على القراءتين المشهورتين في وأرجلكم فقرأ ابن كثير وحمزة وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر عنه بالجر وقرأ نافع وعاصم في رواية حفص عنه بالنصب ،فنقول: أما القراءة بالجر فهي تقضي كون الأرجل معطوفة على الرؤوس فكما وجب المسح في الرأس فكذا في الأرجل. وقرأ الحسن وأرجلكم بالرفع، وحينئذٍ، فالآية دالة على وجوب المسح لا الغسل أما على قراءة الجر فواضح وأما على قراءة النصب فلأنه معطوف على محل الجار والمجرور جمعاً بين القراءتين والعطف بالنصب على محل الجار والمجرور جمعاً عربي جيد ليس فيه ضعف ولا شذوذ خصوصاً المجرور بالباء الزائدة وهو في كلام العرب أكثر من أن يحصى قالوا ليس فلان بقائم ولا قاعداً وأنشد.

معاوي إننا بشر فأسجح لسنا بالجبال ولا الحديدا

وقال تأبط شراً:

هل أنت باعث دينار لحاجتنا أو عبد رب أخا عون بن مخراق

فنصب عبد رب وتابعه بالعطف على محل دينار وهو اسم رجل وقال الآخر:

جئني بمثل بني بدر لقومهم أو مثل أخوة منظور بن سيار

فعطف مثل بالنصب على محل بمثل لأن جئني بمعنى هات وأعطني وأحضرني مثلهم وقالوا: مررت بزيد وعمراً ذهبت إلى خالد وبكراً ونظيره أن زيداً في الدار وعمرو برفع عمر على محل أن واسمها واحتمل الجد قدس الله روحه في شرح منظومة بحر العلوم جعل الواو للمعية فيكون النصب على المفعول معه وأما على قراءة الحسن وأرجلكم بالرفع فيمكن إنطباقه على القولين أي وأرجلكم ممسوحة أو مغسولة: [وقال المرتضى ﷺ في الانتصار مما انفردت به الإمامية القول بوجوب مسح الرجلين من غير تخيير بين الغسل والمسح قال: وهذه المسألة قد استقصينا الكلام عليها في مسائل الخلاف وبلغنا فيه أقصى الغايات مما لا يوجد في شيء من الكتب غير أنا لا نخلي هذا الموضع من جملة كافية والذي يدل على صحة مذهبنا في إيجاب المسح دون غيره قوله تعالى: ﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦] فأمر بغسل الوجوه وجعل للأيدي حكمها في الغسل بواو العطف ثم ابتدأ جملة أخرى، فقال: وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم فأوجب التصريح للرؤوس المسح وجعل للأرجل مثل حكمها بالعطف فلو جاز أن يخالف بين حكم الأرجل والرؤوس في المسح جاز أن يخالف بين حكم الوجوه والأيدي في الغسل لأن الحال واحد.

ثم قال: إن نصب الأرجل عطفاً على الموضع أولى من عطفها على الأيدي والوجوه لأن جعل التأثير في الكلام للقريب أولى من جعله للبعيد ولأن الجملة الأولى المأمور فيها بالغسل قد انقضت وبطل حكمها باستئناف الجملة الثانية ولا يجوز بعد انقطاع حكم الجملة الأولى أن يعطف عليها ويجري ذلك مجرى قولهم ضربت زيد أو عمراً وأكرمت خالداً وبكراً فإن رد بكراً في الإكرام إلى خالد هو وجه الكلام الذي لا يجوز غيره ولا يسوغ رده إلى الضرب الذي قد انقطع حكمه على أن ذلك لو جاز لترجح ما ذكرناه ليتطابق معنى القراءتين ولا يتنافيا.

ولعل السيد ﷺ أشار بذلك إلى لزوم التعقيد المعنوي الذي كره أهل البيان وهو صعوبة فهم المراد بل تعذره بسبب إزالة شيء من الكلام عن موضعه كما في قول الفرزدق.

وما مثله في الناس إلا مملكاً ... أبو أمه حي أبوه يقاربه

الذي هو مخل ببلاغة القرآن الكريم موجب لحمل الكلام على ما لا يفهم منه

فإن من قال أكرمت زيداً وعمراً وأهنت خالداً وبكراً إن بكراً أيضاً مكروم على التقديم والتأخير كان كلامه ساقطاً دالاً على خلاف مراده وهذا مما يجب تنزيه الكتاب العزيز عنه.

احتجَّ القائلون بالغسل بما رواه الطبري في تفسيره أن النبي ﷺ رأى رجلاً يتوضأ وهو يغسل رجليه فقال بهذا أمرت وإن عمر بن عبد العزيز قال لابن أبي سويد بلغنا عن ثلاثة كلهم رأوا النبي ﷺ يغسل قدميه أدناهم ابن عمك المغيرة وأنه ﷺ رأى قوماً يتوضأون فرأى أعقابهم تلوح فقال: ويل للأعقاب من النار اسبغوا الوضوء، وفي رواية للعراقيب وبما رواه عن عثمان أنه لما وصف وضوء رسول الله ﷺ قال: ثم غسل رجليه وما رووه عن النبي ﷺ: أنه توضأ مرة وغسل رجليه وقال: هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به، وفي خبر آخر: حسنوا الوضوء وأسبغوا الوضوء، وفي خبر آخر: أنه أمر بالتخليل بين الأصابع، وما رواه الطبري في تفسيره عن علي عليه السلام أنه قال: وأرجلكم هذا من المقدم والمؤخر من الكلام وأنه قال اغسل القدمين إلى الكعبين، وعن ابن مسعود: خللوا الأصابع بالماء لا تخللها النار وعن عمر وابنه عبد الله وغيرهما ما يدل على وجوب الغسل دون المسح.

واحتجوا أيضاً بأن الأرجل على قراءة النصب معطوفة على الوجوه من باب التقديم والتأخير كأنه قال اغسلوا وجوهكم وأيديكم وأرجلكم وامسحوا برؤوسكم أو منصوب بمحذوف أي واغسلوا أرجلكم كما في (علفتها تبناً وماءً بارداً) في أحد الوجهين ويأتي الثاني في كلام الأخفش أي وأسقيتها ماءً بارداً وقوله: «متقلداً سيفاً ورمحاً» أي ومعتقلاً رمحاً. قال في الكشاف: قرأ جماعة وأرجلكم بالنصب فدل على أن الأرجل مغسولة.

وعلى قراءة الجر إما مجرورة بالمجاورة كما في قوله تعالى: ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ﴾ [هود: ٢٦] بخفض أليم وقراءة (وحور عين) بالجر فإنه ليس معطوفاً على ولحم طير وإلا لكان تقديره ويطوف عليهم ولدان بحور مع أن الحور يطفن ولا يطاف بهن فيكون جره بمجاورة لحم طير وكما في قولهم: هذا جحر ضب خرب بجر خرب مع أنه صفة لجحر لا لضب وقال امرؤ القيس:

كأن ثبيراً في عرانين وبله ... كبير أناس في بجاد مزمل

بجر مزمل مع أنه صفة كبير وقال آخر:

لم يبق إلا أسير غير منقلب　　او موثق في عقال الأسر مكبول

بجر موثق بالمجاورة لمنقلب وحقه الرفع عطفاً على أسير أو معطوفة على الرؤوس الممسوحة، والمراد بالمسح الغسل الخفيف فقد روي عن أبي زيد الأنصاري أن الغسل الخفيف يسمَّى مسحاً فقد قالوا تمسحت للصلاة، وفي الكشاف فإن قلت فما تصنع بقراءة الجرود وحول الأرجل في حكم المسح؟ قلت: الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصبِّ الماء عليها فكانت مظنة الإسراف المذموم المنهي عنه فعطفت على الرأس الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها.

وقال الفخر الرازي في تفسيره بعدما ذكر أن دلالة الآية على وجوب المسح لا يمكن دفعها بالأخبار وإنها بأسرها من الآحاد ولا يجوز نسخ القرآن بخبر الواحد ما لفظه.

واعلم أنه لا يمكن الجواب عن هذا إلا من وجهين:

الأول: إن الأخبار الكثيرة وردت بإيجاب الغسل والغسل مشتمل على المسح ولا ينعكس فكان الغسل أقرب إلى الاحتياط.

والثاني: إن فرض الرجلين محدود إلى الكعبين والتحديد إنما جاء في الغسل لا في المسح. والثاني منقول عن أبي الفارسي حيث قال: إن التحديد والتوقيت إنما جاء في المغسول ولم يجيء في الممسوح فلما وقع التحديد في المسح علم أنه في حكم الغسل لموافقته الغسل في التحديد. وقال الأخفش: هو معطوف على الرؤوس في اللفظ مقطوع عنه في المعنى كقول الشاعر:

علفتها تبناً وماءً بارداً　　حتى شتت همالة عيناها

والمعنى وأسقيتها ماءً بارداً.

وأجاب المرتضى ﷺ في الانتصار عن الاستدلال بالأخبار بأن جميع ما رووه أخبار آحاد لا يوجب علماً وأحسن أحوالها أن توجب الظن ولا يجوز أن يرجع عن ظواهر الكتاب المعلومة بما يقتضي الظن. قال: وبعد فهذه الأخبار معارضة بأخبار مثلها تجري مجراها في ورودها من طرق المخالفين لنا وتوجد في كتبهم وما ينقلونه

عن شيوخهم ونترك ذكر ما ترويه الشيعة وتتفرد به فإنه أكثر عدداً من الرمل والحصى ومتى عارضناهم بأخبارنا قالوا ما نعرفها ولا رواها شيوخنا، فليت شعري كيف يلزموننا أن نترك بأخبارهم ظواهر الكتاب ونحن لا نعرفها ولا رواها شيوخنا ولا وجدت في كتبنا ولا يجيزون لنا أن نعارض أخبارهم ما يروونه عن النبي ﷺ أنه بال على سباطة قوم فتوضأ ومسح على قدميه ونعليه، وروي عن ابن عباس أنه وصف وضوء رسول الله ﷺ فمسح على رجليه وقد روي عنه أنه قال في كتاب الله جل ثناؤه أتى المسح ويأبى الناس إلا الغسل، وروي عنه أيضاً أنه قال: الوضوء غسلتان ومسحتان وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ما نزل القرآن إلا بالمسح والأخبار الواردة من طرقهم في هذا المعنى كثيرة وهي معارضة لأخبار الغسل ومسقطة لحكمها وقد بينا في مسائل الخلاف الكلام على هذه الأخبار بياناً شافياً.

أقول: روى الطبري في تفسيره بإسناده عن أوس بن أبي أوس قال: رأيت رسول الله ﷺ توضأ ومسح على نعليه ثم قام فصلى. وبإسناده عن حذيفة أتى رسول الله ﷺ سباطة قوم فبال عليها قائماً ثم دعا بماء فتوضأ ومسح على نعليه، وبإسناده عن أوس بن أبي أوس: رأيت رسول الله ﷺ أتى سباطة قوم فتوضأ ومسح على قدميه ثم قال وأما أشبه ذلك من الأخبار الدالة على أن المسح ببعض الرجلين في الوضوء مجزٍ وفي مجمع البيان: وظاهره أنه نقل عن السيد لأن صدر كلامه كان نقلاً عنه إن هذه الأخبار معارضة بأخبار كثيرة وردت من طرقهم ووجدت في كتبهم ونقلت عن شيوخهم مثل ما روي عن أوس بن أبي أوس أنه قال: رأيت النبي ﷺ يتوضأ ومسح على نعليه ثم قام فصلى، وعن حذيفة قال: أتى رسول الله ﷺ سباطة قوم فبال عليها ثم دعا بماء فتوضأ ومسح على قدميه ذكره أبو عبيدة في غريب الحديث إلى غير ذلك مما يطول ذكره. وقال الجد رحمه الله في شرح منظومة بحر العلوم بعد قوله ومسح على نعليه أي العربين غير الساترين لظهر القدم وذكر الجد رحمه الله في شرح المنظومة رواية أخرى لم يذكرها السيد وغيره، قال: وأصحها رواية أوس بن أبي أوس[1] الثقفي من طريق العامة أنه رأى رسول الله ﷺ أتى كظامة قوم بالطائف فتوضأ ومسح على قدميه. وهذه الرواية ذكرها الزمخشري في الفائق فقال ما لفظه: النبي ﷺ أتى كظامة قوم فتوضأ ومسح على قدميه. الكظامة

(١) الذي في الأصل يونس بن أبي إدريس والظاهر أنه تصحيف والصواب ما ذكرناه المؤلف.

واحدة الكظائم وهي آبار تحفر في بطن واد متباعدة ويخرق ما بين بئرين بقناة يجري فيها الماء من بئر إلى بئر ومنه حديث ابن عمر إذا رأيت مكة قد بعجت كظائم وساوى بناؤها رؤوس الجبال فاعلم أن الأمر قد أظلك فخذ حذرك، وفي الفائق: السباطة الكناسة التي تطرح كل يوم بأفنية البيوت فتكثر من سبط عليه العطاء إذا تابعه وأكثره، وفي النهاية: فيه أنه أتى كظامة قوم فتوضأ منها. الكظامة كالقناة وهي آبار تحفر في الأرض متنافسة ويخرق بعضها إلى بعض تحت الأرض فتجتمع مياهها جارية ثم تخرج عند منتهاها فتسيح على وجه الأرض وقيل: الكظامة السقاية ومنه حديث ابن عمر إذا رأيت مكة قد بعجت كظائم أي حفرت قنوات ومنه الحديث، وفي النهاية أيضاً: فيه أنه أتى سباطة قوم فبال قائماً السباطة والكناسة الموضع الذي يرمى فيه التراب والأوساخ وما يكنس من المنازل وقيل هي الكناسة نفسها.

وأجاب السيد رحمه الله عن حديث (ويل للأعقاب من النار) بأنه مجمل لا يدلُّ على وجوب غسل الأعقاب في الطهارة الصغرى دون الكبرى ويحتمل أنه وعيد على ترك غسل الأعقاب في الجنابة وقد روي فيه أن قوماً من أجلاف العرب كانوا يبولون وهم قيام فيترشرش البول على أعقابهم وأرجلهم فلا يغسلونها ويدخلون المسجد للصلاة فكان ذلك سبباً لهذا الوعيد. وأجاب عن أحاديث إسباغ الوضوء بأن الأمر بإسباغ الوضوء وإحسانه لا يدل على وجوب غسل ولا مسح في الرجلين وإنما يدل على فعل الواجب من غير تقصير عنه ولا إخلال به وقد علمنا أن هذا القول منه صلى الله عليه وآله غير مقتض وجوب غسل الرأس بدلاً من مسحه بل يقتضي فعل الواجب من مسحه من غير تقصير وكذلك الرجلين. أقول: وأما ما جاء فيه الأمر بإسباغ الوضوء بعد قوله ويل للأعقاب من النار فلا ينافي التأويل الذي ذكره المرتضى من أن البول يصيب أعقابهم ولا يغسلونه لأن من إسباغ الوضوء وإتمامه غسل الأعقاب النجسة، وأجاب عن تخليل الأصابع بأن الأمر به لا بيان فيه على أنه تخليل أصابع الرجلين أو اليدين ونحن نوجب تخليل أصابع اليدين والقول محتمل لذلك فلا دلالة فيه على موضع الخلاف على أن قوله صلى الله عليه وآله لمن رآه يتوضأ وهو يغسل رجليه: بهذا أمرت يحتمل أن يراد به الإنكار أي أبهذا أمرت وأما حديث من رآه صلى الله عليه وآله يغسل قدميه فيمكن أن يكون غسلهما للتنظيف فتوهم الرائي أنها للوضوء. وأما، ما رووه عن عثمان من أنه لما وصف وضوءه صلى الله عليه وآله قال غسل رجليه فمعارض بما روي عن ابن

عباس من أنه وصف وضوء رسول الله ﷺ فمسح على رجليه كما مر، أما ما رووه عن علي عليه السلام فمعارض بما رواه عنه أبناؤه وشيعته من غير اختلاف بينهم من إيجاب المسح وبما رواه الطبري في تفسيره عمن رأى علياً توضأ فغسل وقال لولا أني رأيت رسول الله ﷺ فعل ذلك ظننت أن بطن القدم أحق من ظاهرها فإنه لم يقل أحد بوجوب غسل ظاهر القدم دون باطنها فالأولى حمله على المسح والظاهر أن يده كان عليها ماء كثير فظن الرائي حين مسح ظاهرها أنه غسله وكيف يقول إمام الفصحاء والبلغاء أنه من المقدم والمؤخر وذلك مخل بالبلاغة كما ستعرف وما عن عمر وابنه معارض بما عن غيره من الصحابة.

والجواب عن احتجاجهم بقراءة النصب على التقديم والتأخير يعلم مما سبق فإن قراءة النصب محمولة على العطف على محل الجار والمجرور الذي هو شائع ذائع في كلام العرب جميعاً بينها وبين قراءة الجر إذ مهما أمكن توافق القراءات فهو أولى من تخالفها وعطفها على الوجوه من أقبح الوجوه لأدائه إلى خروج القرآن الكريم عن البلاغة إلى التعقيد والألغاز ولأن الجملة الأولى قد انقضت وتم حكمها ولو كان لها تابع يغسل لوجب إلحاقه بها لا بجملة ثانية مشتملة على حكم المسح فكان يجب أن يقال اغسلوا وجوهكم وأيديكم وأرجلكم حتى عند من يوجب تأخير غسل الرجلين عن مسح الرأس لعدم إفادة الواو الترتيب على كل حال بل هي لمطلق الجمع فإذا ثبت الترتيب فمن دليل خارج فالانتقال عن جملة أجنبية إلى أخرى أجنبية قبل تمام الأولى غير جائز لأنه مخلٌّ بالبلاغة كما مرت الإشارة إليه في كلام السيد ولأن الكلام إذا وجد فيه عاملان عطف على الأقرب منهما كما هو مذهب البصريين وشواهد مشهورة خصوصاً مع عدم المانع كما في المسألة وأما النصب بفعل مقدر فإنما يجوز ويضطر إلى التقدير إذا لم يمكن حمله على اللفظ المذكور كما مثلوا أما ههنا فلا لإمكان العطف على المحل.

ويؤيد ذلك ما أشار إليه الشعبي فيما مر نقله عنه من أن الله تعالى في آية التيمم قال: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ [النساء: ٤٣] فأوجب في التيمم مسح ما كان يغسل وألغى ما كان يمسح ولو كانت الأرجل تغسل لوجب أن تمسح في التيمم الذي صار المسح فيه بدلاً عن الغسل فقول صاحب الكشاف كما مر: قرأ جماعة بالنصب فدل على أن الأرجل مغسولة مردود بأن قراءة النصب لا

تدل على الغسل لعدم صحة العطف على الوجوه المؤدي إلى حمل القرآن على الوجه المنافي للبلاغة. قال الفخر الرازي في تفسيره أما القراءة بالنصب، فقالوا إنها أيضاً توجب المسح لأن برؤوسكم في محل النصب فإذا عطفت الأرجل جاز فيها النصب عطفاً على المحل والجر عطفاً على الظاهر، وهذا مذهب مشهور للنحاة فظهر أنه يجوز كون عامل النصب في وأرجلكم وامسحوا ويجوز أن يكون أغسلوا لكن العاملين إذا اجتمعا على معمول واحد كان أعمال الأقرب أولى فوجب كون عامل النصب في أرجلكم هو وامسحوا قال: قالوا ولا يجوز رفع ذلك بالأخبار لأنها بأسرها من باب الآحاد ونسخ القرآن بخبر الواحد لا يجوز، أما حمل قراءة الجر على المجاورة فقد رده الفخر الرازي في تفسيره بأن الكسر على الجوار معدود في اللحن الذي قد يتحمل لأجل الضرورة في الشعر وكلام الله يجب تنزيهه عنه، وبأنه إنما يصار إليه حيث يحصل الأمن من الالتباس كما في قوله جحر ضب خرب فإن من المعلوم بالضرورة أن الخرب لا يكون نعتاً للضب بل للجحر والأمن من الالتباس غير حاصل في الآية وبأنه إنما يكون بدون حرف العطف وأما مع حرف العطف فلم تتكلم به العرب لا يقال قد جاء الجر بالمجاورة مع العطف بالواو كقول الشاعر:

فهل أنت إن ماتت أتانك راحل إلى آل بسطام بن قيس فخاطب

بجر خاطب مع وجود الفاء، لأنا نقول: كونه مجروراً بالمجاورة غير معلوم لجواز كونه من الإقواء الذي ورد كثيراً في كلام العرب أو إن خاطب فعل أمر لا اسم فاعل والوجه أظهر، وأما قراءة عذاب يوم أليم فأليم صفة ليوم تجوزاً في الإسناد من باب الإسناد إلى الزمان كما في صام نهاره، أما حور عين فمعطوف على جنات أي في جنات ومصاحبة حور عين قال في الذكرى: أو على أكواب لأن معناه يتنعمون بأكواب ولا يلزم أن يطاف بهن ولو طيف بهن فلا امتناع فيه قال وأما البيت فموثق معطوف على التوهم لأن معنى إلا أسير غير أسير ومثله في العطف على التوهم قول زهير:

بدا لي أني لست مدرك ما مضى ولا سابق شيئاً إذا كان جائيا

بجر سابق على توهم دخول الباء في الخير لكثرة دخولها فيه وقال سيبويه يجوز

في قولهم قام القوم غير زيد وعمرو نصب عمرو على التوهم لأن غير زيد في محل إلا زيداً وهكذا عكس البيت.

وأجاب المرتضى ﷺ في الانتصار عن حمل قراءة الجر على المجاورة بأجوبة الفخر الرازي المتقدمة منها أن الإعراب بالمجاورة شاذ نادر في مواضع لا يلحق بها غيرها ولا يقاس عليها سواها بغير خلاف بين أهل اللغة ولا يجوز حمل كتاب الله ﷻ على الشذوذ الذي ليس بمعهود ولا مألوف وقد مر عن الزجاج أنه لم يجوز ذلك في القرآن. ومنها أن الاعراب بالمجاورة عند من أجازه إنما يكون مع فقد حرف العطف وأي مجاورة تكون عند وجود الحائل ولو كان ما بينه وبين غيره حائل مجاور لكانت المفارقة مفقودة وكل موضع استشهد به على الاعراب بالمجاورة مثل قولهم جحر ضب خرب وكبير أناس في بجاد مزمل لا حرف عطف فيه حائل بين ما تعدى إليه إعراب غيره للمجاورة، ومنها إن الأعراب بالمجاورة إنما استعمل في الموضع الذي ترتفع فيه الشبهة ويزول اللبس في الأحكام ألا ترى أن أحداً لا يشتبه عليه أن لفظة خرب من صفات الجحر لا الضب وإن ألحقها في الاعراب لا يوهم خلاف المقصود وكذلك لفظة مزمل ولا شبهة في أنها من صفات الكبير لا من صفات البجاد وليس كذلك الأرجل لأنه من الجائز أن تكون ممسوحة كالرؤوس فإذا أعربت بإعرابها للمجاورة ولها حكم الأيدي في الغسل كان غاية اللبس والاشتباه ولم تجر بذلك عادة القوم، ومنها أن محصلي أهل النحو ومحققيهم نفوا أن يكونوا أعربوا بالمجاورة في موضع من المواضع وقالوا الجر في جحر ضب خرب على أنهم أرادوا خرب جحره وكبير أناس في بجاد مزمل كبيره، ويجري ذلك مجرى مررت برجل حسن وجهه. وزاد في مجمع البيان فقال فحذف المضاف الذي هو جحر وكبير وأقيم المضاف إليه وهو الضمير المجرور مقامه وإذا ارتفع الضمير استكن في خرب ومزمل فبطل الاعراب بالمجاورة جملة. وقال الزجاج إذا قرأ بالجر يكون عطفاً على الرؤوس فيقتضي كونه ممسوحاً، إلى أن قال: والخفض على الجوار لا يجوز في كتاب الله تعالى ولكن المسح على هذا التجديد في القرآن كالغسل.

وأجاب المرتضى ﷺ عن قول من ادعى أن الغسل الخفيف يسمى مسحاً بوجوه: أحدها إن فائدة اللفظتين في اللغة والشرع مختلفة وقد فرق الله تعالى في آية الطهارة بين الأعضاء المغسولة والممسوحة وفصل أهل الشرع بين الأمرين فلو كانا

متداخلين لما كان كذلك وحقيقة الغسل تقتضي وجوب جريان الماء على العضو وحقيقة المسح تقتضي إمرار الماء من غير جريان الماء على العضو والتنافي بين الحقيقتين ظاهر لأنه من المحال أن يكون الماء جارياً سائلاً وغير جار ولا سائل في حالة واحدة وقد بينا في مواضع كثيرة إن المسح يقتضي إمرار قدر من الماء بغير زيادة عليه فلا يدخل أبداً في الغسل ثانيها: إن الأرجل إذا كانت معطوفة على الرؤوس وكانت الرؤوس فرضها المسح الذي بغسل على وجه من الوجوه فيجب أن يكون حكم الأرجل كذلك لأن العطف مقتض للمسح وكيفيته، ثالثها أن المسح لو كان بمعنى الغسل لسقط استدلالهم بما رووه عن النبي ﷺ إنه توضأ وغسل رجليه لأنه على هذا لا ينكر أن يكون مسحهما فسموا المسح غسلاً وفي هذا ما فيه فأما استشهاد أبي زيد بقولهم تمسحت للصلاة فالمعنى فيه أنهم لما أرادوا أن يخبروا عن الطهور بلفظ موجز ولم يجيزوا أن يقولوا تغسلت للصلاة لأن، ذلك تشبيه بالغسل قالوا بدلاً من ذلك تمسحت لأن المغسول من الأعضاء ممسوح أيضاً فتجوزوا لذلك تعويلاً على أن المراد مفهوم وهذا لا يقتضي أن يكونوا جعلوا المسح من أسماء الغسل.

وقال الجد رحمه الله في شرح منظومة بحر العلوم: وأما من قال بأن المراد بالمسح هو الغسل ولم يجوز الجر بالمجاورة فهو في الحقيقة موافق لنا من حيث لا يدري.

ومن ذلك يعلم الجواب عن قول إن الغسل يشتمل على المسح ولا عكس فكان الغسل أقرب إلى الاحتياط لأنهما حقيقتان متغايرتان شرعاً وعرفاً لا تدخل إحداهما في الأخرى لا أقل من احتمال التغاير فينتفي القرب إلى الاحتياط أما ما ذكره صاحب الكشاف من أن غسل الأرجل مظنة الإسراف فعطفت على الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها فهو موجب لإلحاق كلامه تعالى بالمعميات والألغاز في مقام بيان الأحكام وهو منزه عن ذلك والعجب من مثل الزمخشري كيف دار في خلده مثل هذا الاحتمال ولكن حب نصرة المذهب مع عدم إمكان نصرته قد تؤدي إلى مثل ذلك، قال الشهيد في الذكرى: هؤلاء فروا من مخالفة القواعد النحوية فوقعوا في مخالفة الوضع اللغوي والشرعي لأن المعلوم من الوضع اختلاف حقيقتي المسح والغسل فما الذي بعث على التعبير بأحدهما عن

الآخر وجعله مضلة للأفهام وعرضة للأوهام ومن ذا الذي قال بالاقتصاد في صب الماء على الرجلين من العلماء ومن أين أن الاقتصاد مدلول المسح.

وأجاب المرتضى رحمه الله عما قالوه في تحديد طهارة الرجلين أن ذلك لا يدل على الغسل لأن المسح فعل قد أوجبته الشريعة كالغسل فلا ينكر تحديده كتحديد الغسل ولو صرح سبحانه فقال: وامسحوا أرجلكم وانتهوا بالمسح إلى الكعبين لم يكن منكراً، فإن قالوا: إن تحديد اليدين لما اقتضى الغسل فكذلك تحديد الرجلين يقتضي الغسل، قلنا: أنا لم نوجب الغسل في اليدين للتحديد بل للتصريح بغسلهما وليس كذلك في الرجلين، وإن قالوا: عطف المحدود على المحدود أولى وأشبه بترتيب الكلام قلنا: هذا لا يصح لأن الأيدي محدودة وهي معطوفة على الوجوه التي ليست في الآية محدودة فإذن جاز عطف الأرجل وهي محدودة على الرؤوس التي ليست بمحدودة وهذا أشبه مما ذكرتموه لأن الآية تضمنت ذكر عضو مغسول غير محدود وهو الوجه وعطف عضو محدود مغسول عليه ثم استؤنف ذكر ممسوح غير محدود فيجب أن تكون الأرجل ممسوحة معطوفة محدودة على الرؤوس دون غيره ليتقابل الجملتان في عطف مغسول محدود على مغسول غير محدود وعطف ممسوح محدود على ممسوح غير محدود.

﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦] اختلف في المراد بهما، فقال جمهور الفقهاء: إنهما العظمان الناتئان من جانبي الساق والمشهور بين الإمامية أنهما العظمان الناتئان في ظهر القدم عند معقد الشراك وهما قبتا القدم بل ادعى السيد في الانتصار إجماع الامامية على ذلك قال: ووافقهم محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة وإن كان يوجب غسل الرجلين إلى هذا الموضع وقال إن كل من أوجب من الأمة في الرجلين المسح دون غيره يوجب المسح على هذه الصفة، وقيل: الكعب عبارة عن عظم مستدير مثل كعب البقر والغنم موضوع تحت عظم الساق حيث يكون مفصل الساق والقدم وهذا القول نسبه الفخر الرازي في تفسيره إلى الإمامية وكل من يقول بوجوب المسح قال: وهو قول محمد ابن الحسن، قال: وكان الأصمعي يختار هذا القول ويقول الطرفان الناتئان يسميان المنجمين هكذا رواه القفال في تفسيره.

ولا شك أن نسبة الرازي ذلك إلى الإمامية اشتباه وإنما هو هو قول لبعضهم والمشهور بينهم الأول.

حجة المشهور الأخبار الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام المذكورة في محالها ووجه تسمية ذلك كعباً أن الكعب في اللغة مأخوذ من الارتفاع ومنه جارية كاعب إذا نتأ ثدياها ومنه الكعب لكل ما له ارتفاع فسمي هذا كعباً لارتفاعه في ظهر القدم وأيضاً المفصل يسمى كعباً ومنه كعوب الرمح وهذا محل مفصل وأما من قال بأنه العظم المستدير فلأنه يسمَّى في العرف كعباً وفي معناه من قال إنه المفصل بين الساق والقدم وأورد على تفسيره بالعظم المستدير بأنه شيء خفي فلا يناسب تحديد المحسوس به لكن لو فسر بالمفصل الذي لا يفترق عنه سقط هذا الإيراد حجة الجمهور أنه لو كان الكعب ما ذكره الإمامية لكان الحاصل في كل رجل كعباً واحداً فكان ينبغي أن يقال إلى الكعاب كما قيل إلى المرافق لما كان في كل يد مرفق واحد.

والجواب أن كلا العبارتين صحيحة أعني عبارة التثنية والجمع فالجمع باعتبار جماعة المكلفين والتثنية باعتبار كل مكلف فإنه على تفسير الكعب بقبة القدم أو المفصل يكون لكل مكلف كعبان فتصح التثنية باعتبار كل مكلف كما صح الجمع في المرافق باعتبار جماعة المكلفين وأما السؤال عن أنه إذا كان الأمر كذلك فلم جمع في أحدهما وثنى في الآخر لا بد لذلك من نكتة ووجود كعبين في كل رجل ومرفق واحد في كل يد يصلح أن يكون ذلك المقام بمثلها ولا يخل ببلاغة الكلام تغيير العبارة وإن تماثل المقامان ولا يعد تماثل العبارتين أبلغ ما تخالفهما وللمتكلم أن يعبر بما شاء منهما بعد أن يكون كل منهما صحيحاً بل ربما يكون تخالفهما أقرب إلى البلاغة لكراهة التكرير في السمع كما يقولون في مثله أنه تفنن في العبارة وكم وقع في القرآن الشريف من اختلاف العبارات في المعاني المتحدة أو المتقاربة مثل عذاب أليم. عذاب شديد. عذاب مهين. عذاب عظيم، بعد الذي جاءك من العلم. بعد ما جاءك من العلم. لئلا يعلم بعد علم. لكيلا يعلم من بعد علم. إن الله عليم بذات الصدور. والله عليم بذات الصدور. ولن يتمنوه أبداً. ولا يتمنونه أبداً. ألفينا عليه آباءنا. وجدنا عليه آباءنا. متعنا هؤلاء وآباءهم. متعتهم وآباءهم. متعت هؤلاء وآباءهم. لولا يأتينا بآية. فليأتنا بآية. فأتوا بسورة من مثله. فأتوا بعشر سور مثله. وآتاني منه رحمة. وآتاني رحمة من عنده. إن الساعة آتية. وإن الساعة لآتية. وإنا على آثارهم مهتدون. وإنا على آثارهم مقتدون. ولأجر الآخرة خير. ولأجر الآخرة

أكبر. حتى إذا حضر أحدهم الموت. حتى إذا جاء أحدهم الموت. أخذتهم الرجفة. أخذتهم الصاعقة. أخذتهم الصيحة. ما كان الله أن يتخذ. وما ينبغي للرحمن أن يتخذ. ولعذاب الآخرة أشد. ولعذاب الآخرة أشق. ولعذاب الآخرة أكبر. ولعذاب الآخرة أخزى. سيدخلهم ﷻ سيدخلهم في رحمته. سبحوه بكرة وعشياً. سبحوه بكرة وأصيلاً. ولله يسجد من في السماوات. ولله يسجد ما في السماوات. وألقي السحرة ساجدين. وألقي السحرة سجداً. إن هذا لساحر مبين. إن هذا لساحر عليم. بكل سحار عليم. بكل ساحر عليم. إن الله لسميع عليم. إن الله سميع عليم. إذا السماء انفطرت. إذا السماء انشقت. وأدخل يدك في جيبك. أسلك يدك في جيبك إلى غير ذلك مما لا يحصى.

٨ - قال الله تعالى في سورة آل عمران (١١٩) ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ والله عليم بذات الصدور. أي ببواطنها وخفياتها وأسرارها والمراد بالصدور القلوب مجازاً من استعمال المحل في الحال وذلك لأن الذات تطلق على حقيقة الشيء قال ابن بري: ذات الشيء حقيقته وخاصته. وفي القاموس ذات بينكم حقيقة وصلكم أو ذات البين الحال التي يجتمع بها المسلمون وغلب استعمالها عرفاً في نفس الشيء، فالمراد والله أعلم أن الله عالم بحقيقة القلوب على ما هي عليه كما هو عالم حقيقة جميع الأشياء ومن علم حقيقة الشيء كما هي عليه علم خفياته وبواطنه وجميع ما يشتمل عليه، قال ابن الأنباري: عليم بذات الصدور أي بحقيقة القلوب من المضمرات. والأظهر أن تكون ذات هنا بمعنى صاحبة ويراد بها الأسرار والخفايا الكامنة في الصدور فهي صاحبة الصدور بهذا الإعتبار ونظيرة قولهم عرف ذات نفسه أي سريرته المضمرة وذات اليمين أي جهة اليمين لأنها صاحبة اليمين وكذا ذات الشمال وذات يده أي الأموال التي ملكتها يده وأتيتك. ذات الصبوح وذات الغبوق أي غدوة وعشية وجاء من ذات نفسه أي غير مجبر كأن الذي دعاه إلى المجيء الإرادة التي في نفسه، وقال الأخفش في تفسير: ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١] أنثوا ذات بعض الأشياء قد يوضع له اسم مؤنث ولبعضها اسم مذكر كما قالوا دار وحائط أنثوا الدار وذكروا الحائط وعلى هذا فذات تقع على المذكر وإن كان لفظها مؤنثاً.

٩ - قال الله تعالى في سورة البقرة (٢٣٣) ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾

لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾.

﴿يُرْضِعْنَ﴾ [البقرة: ٢٣٣]: طلب في صورة الخبر يراد به التأكيد حتى كأنه محقق الوقوع مثل المطلقات يتربصن، ولا ينافي ذلك عدم وجوب الإرضاع على الأم وعدم إجبارها عليه وجواز طلبها الأجرة لأن المراد والله العالم بيان وجوب إرضاع الصبي الحولين في الجملة وذكر الوالدات لمكان الغلبة فإن الغالب إرضاع الأم فإن أرضعته مجاناً أو بأجرة وإلا وجب على الأب إحضار ظئر له ويحتمل كون الأمر على جهة الندب أو الوجوب إذا لم يقبل الصبي غير ثدي أمه أو لم يوجد له ظئر أو كان الأب عاجزاً عن الأجرة ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٣] قيد لحولين كاملين أي هذا ثابت لمن أراد إتمام الرضاعة ومن لا يريد ذلك له التنقيص عنها وورد في أخبار أهل البيت عليهم السلام جواز التنقيص شهراً وشهرين وثلاثة، ويحتمل تعلق الجار في لمن بيرضعن أي يرضعن أولادهن حولين للأب الذي يريد إتمام الرضاعة ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٣] لوجوب نفقة الزوجة على الزوج وذكرت هنا وإن كانت واجبة مع الإرضاع وعدمه حثاً للزوج على أدائها مع الإرضاع لو فرض تهاونه فيها بدونه وحثاً للزوجة على الإرضاع ببيان أن الزوج يؤدي لها مقابل عملها، وقيل: أراد الوالدات المطلقات وإيجاب النفقة والكسوة لأجل الإرضاع، وفيه: إن المطلقات إن كن في العدة الرجعية فنفقتهن واجبة مع الإرضاع وعدمه كالزوجات وإن كن بائنات فيجب على الوالد الأجرة مع عدم التبرع لا النفقة ولا تجبر الأم على الارضاع بالنفقة فقط بالمعروف من غير شطط ولا تكليف ما ليس في الوسع وما بعده كالتفسير له وهو أن لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارا.

فانظر: رحمك الله إلى ما تضمنته هذه الآية من الأحكام العادلة المتضمنة للرحمة بالولد والشفقة عليه وللعدل بين الأم والأب في إرضاعه وتربيته وعدم الإضرار به ولا إضرار أحدهما بالآخر ولا تكليفه ما ليس في وسعه تجد أنها موافقة لمصلحة الخلق في كل عصر وزمان ومكان وأنها لا يمكن أن تصدر إلا من المحيط علماً بكل شيء وهو رب الأرباب تقدس وتعالى وإنما قال تعالى: ولا مولود له،

ولم يقل ولا والد كما قال: والدة قيل: إشارة إلى أن الولد للأب ولهذا ينسب إليه وإنما لم يقل على الزوج لأنه قد يكون غير الزوج كالمطلق والمولى وللتنبيه على المعنى المقتضي لوجوب الإرضاع، ومؤن المرضعة على الأب، وفي الكشاف: قيل المولود له دون الوالد ليعلم أن الوالدات إنما ولدن لهم لأن الأولاد للآباء ولذلك ينسبون إليهم لا إلى الأمهات وأنشد للمأمون بن الرشيد:

فإنما أمهات الناس أوعية   مستودعات وللآباء أبناء

فكان عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن إذا أرضعن ولدهم كالأظار ألا ترى أنه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله تعالى: ﴿وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔا﴾ [لقمان: ٣٣] انتهى ويحتمل: في الآية وجه آخر وهو أن الوالد في الحقيقة هي الأم وأما الأب فهو مولود له وإن كان يسمى والداً باعتبار خروج الولد منه في الأصل، قال في القاموس: ولدت تلد فهي والد ووالدة ولم يفسر الوالد بالأب وهذا يدل على ما ذكرناه ويقال في العرف ولد لفلان من الذكور كذا ومن الإناث كذا وله من الأولاد كذا ولا يقال ولد فلان كذا ويقال ولدت فلانة لفلان وإن كان يقال فلان إذا كان أحد أجداده بالاعتبار السابق.

١٠ - قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [الزخرف: ١٥-١٧] جزءاً أي نصيباً يعني حكموا بأن بعض عباده وهم الملائكة أولاد له فإنهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله أو بمنزلة الجزء لأن الولد جزء من والده ووصف الإنسان الذي هذه صفته بكفور بصيغة المبالغة مبين، ظاهر الجحود مع التوكيد بأن واللام والجملة الاسمية لأنه لم يكتف بنسبة للولد إليه تعالى وهو منزه عن ذلك حتى نسب إليه أخس الصنفين في نظره الذي يحزن إذا بشر به وأم للإضراب وبعدها همزة الاستفهام الإنكاري محذوفة ونكر والبنات وعرف البنين لبيان نزول درجتهن عن أدرجة البنين لا سيما في نظرهم والتنكير يناسب الجهالة والتعريف يناسب الشهرة والمعروفية نظير قوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩] وإنما قدم الإناث لأن أول الآية يخلق ما يشاء أي لا ما يشاء الإنسان لا يشاء البنات كان تقديمهن أهم ثم قدم

الذكور بعد ذلك بقوله تعالى: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ [الشورى: ٥٠] أي يجمع لهم بين الذكور والإناث تقول العرب: زوجت ابلي أي جمعت بين صغارها وكبارها ومعنى يزوجهم يجعلهم أزواجاً من الزوج مقابل الفرد ومنه التزويج بمعنى النكاح ﴿ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾ [الزخرف: ١٧] أي جعل له شبهاً وذلك أن كل ولد من كل شيء شبهه وجنسه وذلك أنهم لما جعلوا لله بنات وهم الملائكة وكانوا يحزنون من البشارة بالبنات قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾ [الزخرف: ١٧] أي بالبنات التي تجعل شبهاً لله بزعمهم بإدعائهم إن الملائكة بنات الله فهذا توبيخ لهم على جعل بنات الله مع عدم رضاهم أن يكون لهم بنات ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ [النحل: ٥٨] مما لحقه من الغم ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: ٥٨] مملوء كرباً وغيظاً.

١١ - قال الله تعالى في آخر سورة الزخرف ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [الزخرف: ٨٥-٨٩].

﴿تَبَارَكَ﴾ [الأعراف: ٥٤] تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين وعن أن يكون له ولد فإن ما قبل الآية ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١] وأصله من البرك وهو ثبوت الطائر على الماء أو من برك البعير إذا أناخ في موضعه فلزمه ولما كانت صفات المخلوقين توجب الحدوث والزوال وهو تعالى لا يجوز عليه ذلك كان معناه تعالى بثبوته ودوامه عن صفات المخلوقين التي تنافي الثبوت والدوام وإليه يرجع قول من قال معناه تعالى بأنه الثابت الذي لم يزل ولا يزال (والبركة) أيضاً مأخوذة من الثبوت لأنها في العرف النمو والزيادة فهي عبارة عن ثبوت الخير بنمائه وزيادته ﴿عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] أي يوم القيامة استأثر به فلا يعلم وقته على التعيين غيره ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ﴾ [الزخرف: ٨٦] أي الذين يدعوهم الكفار آلهة ويعبدونهم ويقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى من الأصنام وغيرها لا يملكون الشفاعة ولا يقدرون عليها ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ [الزخرف: ٨٦] كعيسى وعزيز والملائكة فإن لهم عند الله منزلة الشفاعة فلذلك

استثناهم ممن عبد من دون الله فإن كان الذين يدعون شاملاً لهم كما هو الظاهر فالاستثناء متصل وإلا فمنقطع وقيل: إنه استثناء من المشفوع له لا من الشافع أي لا يملكون الشفاعة لأحد إلا من شهد بالحق وكان موحداً وذلك أن النضر بن الحارث ونفراً من قريش قالوا إن كان ما يقوله محمد حقاً فنحن نتولى الملائكة وهم أحق بالشفاعة لنا منه فنزلت ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]ما يشهدون به عن بصيرة وإيقان فيكون اعتقادهم مطابقاً لشهادتهم إذ لا يفيد في الإيمان النطق باللسان مع عدم الاعتقاد بالجنان ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٧] وأخرجهم من العدم إلى الوجود ﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١] لأنهم يعلمون ضرورة أن أصنامهم لم تخلقهم ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١] ويصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره ﴿وَقِيلِهِ﴾ [الزخرف: ٨٨] قرئ بالحركات الثلاث والمشهور قراءة الجر والنصب فالنصب بتقدير ويعلم قيله أي قول النبي ﷺ: أو هو مفعول لفعل محذوف أي قال قيله كما عن الأخفش أو يقول قيله أو معطوف على محل الساعة لأنها مفعول به لا ظرف كما في قول الشاعر:

قد كنت داينت بها حسانا مخافة الإفلاس والليانا
يحسن بيع الأصل والقيانا

كما عن الزجاج أو معطوف على قوله قبل آيات ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم﴾ [الزخرف: ٨٠] كما في الأخفش، والجر على لفظ الساعة أي علم الساعة وعلم قيله، والرفع على الابتداء والخبر ما بعده أو على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقام أصله وعلم قيله بالعطف على علم الساعة كما عن ابن جني والأول أظهر، قال في الكشاف: والذي قالوا ليس بقوي في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضاً ومع تنافر النظم وأقوى من ذلك وأوجه أن يكون الجر والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم أيمن الله وأمانة الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [الزخرف: ٨٨] جواب القسم وكأنه وأقسم بقيله يا رب أو وقيله يا رب قسمي وأقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه إليه.

وقال الرازي إن ما ذكره صاحب الكشاف متكلف أيضاً وههنا إضمار امتلأ

القرآن منه وهو إضمار أذكر على النصب وقت قيله على الجر. وحذف المضاف وبقاء المضاف إليه مجروراً غريب لا يحمل عليه القرآن ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٩] أعرض عنهم بصفحة وجهك ﴿وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ [الزخرف: ٨٩] أي مداراة ومتاركة ولا ينافيه وجوب قتال عبدة الأوثان ككفار قريش لجواز المتاركة في بعض الأحيان للمصلحة.

١٠ - قال الله تعالى في سورة النساء ٣ ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ الإقساط العدل والإنصاف وقد اختلف في وجه المناسبة بين الشرط والجزاء وسبب النزول على أقوال أحسنها وأنسبها بالسياق أنها نزلت في اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد أن ينكحها بدون صداق مثلها فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن في إكمال مهور أمثالهن وأمروا أن ينكحوا ما سواهن من النساء إلى أربع. قال الطبرسي: روي ذلك في تفسير أصحابنا وقالوا إنها متصلة بقوله: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ﴾ [النساء: ١٢٧] الآية.

١١ - قال الله تعالى في سورة النساء بعد أن وصف نفسه بالتواب الرحيم ١٦ ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء: ١٧-١٨] هنا سؤالان: الأول: أن قوله بجهالة بعد الحصر بإنما يفيد أنه لا توبة لغير الجاهل، الثاني: إن قوله عن قريب يفيد أن من أخر التوبة لا توبة له مع أنه ليس كذلك في الموضعين نصاً وإجماعاً بل ضرورة من الدين، والجواب عن الأول: إن كل عاص فهو جاهل لأنه اختار اللذة الفانية على اللذة الباقية والعذاب لأليم ولم يعلم ما يضر نفسه مما ينفعها وذلك من حيث إن العالم الغير العامل هو والجاهل سواء بل شر من الجاهل، قال الصادق عليه السلام: كل ذنب علمه العبد وإن كان عالماً فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربه فقد حكى الله تعالى قول يوسف لإخوته ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩] فنسبهم إلى الجهل لمخاطرتهم بأنفسهم في معصية الله، والجواب عن الثاني: أن المراد والله أعلم بيان قول التوبة قبل وقت الموت وهذا قريب لأن كل آت قريب وظاهر الآية عدم قبول التوبة بعد حضور الموت أي قرب أوانه وحضور

أسبابه من معاينة ملك الموت وغيره وهي حالة الاحتضار وفي بعض روايات أصحابنا عن النبي ﷺ: من تاب قبل موته وقد بلغت نفسه هذه وأهوى بيده إلى حلقه تاب الله عليه، وفي رواية الثعلبي عنه ﷺ: من تاب قبل أن يغرغر بها تاب الله عليه ،وفي رواية: قال سبحانه وتعالى وعزّتي وعظمتي لا أحجب التوبة عن عبد حتى يغرغر بها.

١٢ - قال الله تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ [الفيل: ٣] في مجمع البيان: جماعات في تفرقة زمرة ولا واحد لها في قول أبي عبيدة والفراء كعباديد وقال الكسائي واحدها أبول كعجّول وزعم أبو جعفر الرواسي أنه سمع في واحدها أبالة، وفي الكشاف: أبابيل حزائق الواحدة أبالة وفي أمثالهم ضغث على أبالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت الحزقة من الطير في تضامها بالأبالة وقيل أبابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لها، وفي القاموس: الأبابيل الفرق جمع لا واحد له والإبالة ويخفف وكسكيت وعجّول ودينار القطعة من الطير والخيل والإبل، وعن الأخفش: جاءت إبلك أبابيل، أي فرقاً وطير أبابيل قال وهذا يجيء في معنى التكسير وهو جمع لا واحد له، وقال: بدر الدين في شرح الألفية في الجمع سواء كان له واحد من لفظه مستعمل كرجال وأسود أو لم يكن كأبابيل، أقول: اتفقت كلمة أهل اللغة والنحو وغيرهم على أن أبابيل جمع لكونها على وزن لم تبن عليه الآحاد وإنما اختلفوا في أن لها واحداً أم لا وصاحب القاموس مع تصريحه بأن أبالة وأبيل وأبّول للقطعة من الطير قال إنه لا واحد له إلا أن يريدوا أن لها واحداً بحسب الوضع دون الاستعمال كما يدل عليه كلام بدر الدين المتقدم.

١٣ - قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ [هود: ٨٧] أو أن نفعل معطوف على ما في ما يعبد آباؤنا فهي معمول للترك والمعنى أن نترك ما يعبد آباؤنا أو نترك فعل ما نشاء في أموالنا، فلا نكون مختارين في إنفاقها والتصرف فيها كيفما نشاء وذلك لأن المتدين بالشرع يلزمه أن يكون تصرفه في ماله وإنفاقه له مطابقاً للشرع لا لإرادة نفسه وهواها ولا يجوز عطفه على أن نترك لأنه لم يأمرهم أن يفعلوا في أموالهم ما يشاؤون وإلا أنكروا ذلك وامتنعوا منه.

من مسائل المأمون للرضا عليه السلام

وأجوبتها تتضمن فوائد جليلة

١٤ - في مسائل المأمون للرضا عليه السلام. أخبرني عن قول الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤] فقال الرضا عليه السلام: لقد همت به. ولولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها كما همت به ولكنه كان معصوماً والمعصوم لا يهم بذنب ولا يأتيه. فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن. قال الشيخ البهائي قدس سره فقوله تعالى: همّ بها جواب لولا مقدم عليها أو دال على الجواب كما تقول: قتلتك لولا أن أخاف الله، ثم قال: أكثر النحاة على أن الجزاء لا يتقدم على الشرط لأن له صدر الكلام فالجزاء في قولك أنا ظالم إن فعلت كذا مقدر بعد الشرط والاسمية المقدمة دليل عليه والتقدير إن فعلت كذا فأنا ظالم وذهب بعضهم إلى جواز تقديمه فلا تقدير حينئذٍ وقول الإمام عليه السلام: ولقد همت به لولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها كما همت به ليس نصاً في شيء من المذهبين كما لا يخفى نعم قد يدعى أنه ظاهر في الأول لقرينة تقدير اللام، قال الفخر الرازي: الذين لهم تعلق بهذه الواقعة هم يوسف والمرأة وزوجها والنسوة والشهود ورب العالمين وإبليس وكلهم قالوا ببراءة يوسف عليه السلام من الذنب فلم يبق لمسلم توقف في هذا الباب، أما يوسف، فلقوله: ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾ [يوسف: ٢٦] وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣] وأما المرأة، فلقولها ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقالت الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه (وأما زوجها) فلقوله: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨]، وأما النسوة، فلقولهن امرأة العزيز تراود عن نفسه قد شغفها حباً إنا لنراها في ضلال مبين وقولهن حاش الله ما علمنا عليه من سوء، وأما الشهود فلقوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [يوسف: ٢٦]، وأما شهادة الله بذلك فقوله عز من قائل كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين، وأما إقرار إبليس بذلك، فلقوله فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين فأقر بأنه لا يمكنه إغواء العباد المخلصين وقد قال الله تعالى إنه من عبادنا المخلصين فقد أقر إبليس بأنه لم يغوه وعند هذا نقول إن هؤلاء الجهال الذين

نسبوا إلى يوسف الفضيحة إن كانوا من أتباع دين الله فليقبلوا شهادة الله بطهارته وإن كانوا من أتباع إبليس وجنوده فليقبلوا إقرار إبليس بطهارته وهو كلام طريف جيد جد إنتهى كلام الشيخ البهائي قدس سره.

١٥ - وفي مسائل المأمون للرضا عليه السلام أنه قال: ما معنى قول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] الآية كيف يجوز أن يكون كليم الله موسى بن عمران لا يعلم أن الله لا يجوز عليه الرؤية حتى يسأله هذا السؤال فقال الرضا عليه السلام: إن موسى عليه السلام علم أن الله تعالى جل أن يرى بالأبصار، ولكنه لما كلمه وقربهُ نجيا، رجع إلى قومه وأخبرهم أن الله تعالى كلمه وقربه وناجاه فقالوا: لن نؤمن لك حتى نسمع كلامه كما سمعت أنت وكان القوم سبعمائة ألف رجل فاختار منهم سبعين ألفاً ثم اختار سبعة آلاف ثم اختار منهم سبعمائة ثم اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربه فخرج بهم إلى طور سيناء فأقامهم في سفح الجبل وصعد موسى إلى الطور وسأل الله أن يكلمهُ ويسمعهم كلامهُ فكلمهُ الله تعالى وسمعوا كلامهُ من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام لأن الله تعالى أحدثه في الشجرة ثم جعله منبعثاً منها حتى سمعوه من جميع الوجوه فقالوا لن نؤمن لك بأن هذا كلام الله حتى نرى الله جهرة فلما قالوا هذا القول العظيم بعث الله عليهم صاعقة فأخذتهم بظلمهم فماتوا فقال موسى: يا رب ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا: إنك ذهبت بهم وقتلتهم لأنك لم تكن صادقاً فيما ادعيت من مناجاة الله تعالى إياك فأحياهم الله وبعثهم معه فقالوا إنك لو سألت الله تعالى أن يريك تنظر إليه لأجابك وكنت تخبرنا كيف هو ونعرفه حتى عرفته، فقال موسى: يا قوم الله لا يرى بالأبصار ولا كيفية له وإنما يعرف بآياته ويعلم بأعلامه فقالوا لن نؤمن لك حتى تسأله فقال موسى: يا رب إنك قد سمعت مقالة بني إسرائيل وأنت أعلم بصلاحهم فأوحى الله تعالى يا موسى سلني ما سألوك فلن أؤاخذك بجهلهم فعند ذلك قال موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] يقول رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي وأنا أول المؤمنين منهم بأنك لا ترى، فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن، قال بعض المحققين: في هذا المقام كلاماً مآله إلى أنه لا دليل في الآية على الرؤية لتعليقها

على الممكن وهو استقرار الجبل لأنا لا نسلم أن استقرار الجبل حال التجلي ممكن لأنه سبحانه علق وقوع الرؤية بعد إخباره تعالى بعدم وقوعها حيث قال لن تراني ووقوع الرؤية بعد إخباره سبحانه بأنها لا تقع محال فاستقرار الجبل الذي علق عليه هذا المحال محال أيضاً وتعليق وقوع ما علم امتناعه على أمر صريح في امتناع وقوع ذلك الأمر كما تقول لمن يجادلك في أمر إن كان كلامك هذا حقاً فشريك الباري موجود تريد بهذا أن حقيقة كلامه محال كوجود شريك الباري.

١٦ - وفي مسائل المأمون للرضا عليه السلام أنه قال: أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فقال الرضا عليه السلام: ذاك يونس بن متى عليه السلام ذهب مغاضباً لقومه ﴿فَظَنَّ﴾ [الأنبياء: ٨٧] بمعنى أستيقن ﴿أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧] أن لن نضيق عليه رزقه ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ﴾ [الفجر: ١٦] أي ضيق وقتر ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الأنبياء: ٨٧] ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] بتركي مثل هذه العبادة التي فرغت لها في بطن الحوت فاستجاب الله له قال سبحانه: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝١٤٤﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤٤] فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن، قال الشيخ البهائي رحمه الله: في قول الإمام عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] بتركي مثل هذه العبادة الخ. هذا كلام منه عليه السلام لم أظفر به في شيء من التفاسير التي اطلعت عليها وهو يؤيد ما قاله أهل الكشف والعرفان من أن القرب الذي حصل ليونس عليه السلام في بطن الحوت لم يحصل له قبل ذلك ولا بعده مثله حتى جعل التقام الحوت معراجاً له عليه السلام وقد نقلوا في ذلك حديثاً عن النبي صلى الله عليه وآله.

١٧ - وفي مسائل المأمون للرضا عليه السلام أخبرني عن قول الله عز وجل ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] قال الرضا عليه السلام: لم يكن عند مشركي مكة أعظم ذنباً من رسول الله صلى الله عليه وآله لأنهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة وستين صنماً فلما جاءهم بالدعوة إلى كلمة الإخلاص كبر ذلك عليهم وعظم وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ

يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾﴾ [ص: ٥-٧] فلما فتح الله تعالى على نبيه ﷺ مكة قال يا محمد ﷺ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴿٢﴾﴾ [الفتح: ١-٢] فقال: لقد شفيت صدري يا ابن رسول الله وأوضحت لي ما كان ملتبساً فجزاك عن أنبياء الله وعن الإسلام خيراً. قال الشيخ البهائي: ذكر أصحاب السير إن المشركين كانوا يقولون إن أمكن الله تعالى محمداً من بيته وحكمه في حرمه علمنا أنه نبي حق فلما يسر الله تعالى له ﷺ فتح مكة دخلوا في دين الله أفواجاً كما نطق به الكتاب العزيز في سورة الفتح وزال إنكارهم عليه في الدعوة إلى ترك عبادة الأصنام وصار ذنبه عندهم مغفوراً كما قرره الإمام عليه السلام، قال: والعجب من أكثر علمائنا ومفسريهم حيث غفلوا عن هذا الجواب وتركوه وذكروا وجوهاً ضعيفة، قال: ولا يمكن حمل التقدم والتأخر على تفسير الإمام عليه السلام على ما قبل النبوة وبعدها لأنه ﷺ لم يعدهم إلى التوحيد قبل النبوة ولا على ما قبل الفتح وبعده لأنهم أذعنوا له بعد الفتح ولم يكن مذنباً عندهم حينئذٍ اللهم إلا أن يراد بالنسبة إلى من بلغهم خبر الفتح بعد مدة وإلا نسب حمل ذلك على ما صدر منه ﷺ من الدعوة إلى التوحيد قبل الهجرة وبعدها ويؤيد هذا التفسير أنه لولاه لا تبقى مناسبة بين العلة والمعلول في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ﴿٢﴾﴾ [الفتح: ١-٢] كما لا يخفى.

١٨ - قال الله تعالى في سورة الإنعام ١٥١ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ وفي سورة الإسراء ٣١: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ عن التبيان[1] قدمهم في الوعد بالرزق على أولادهم في الآية الأولى لكون الخطاب مع الفقراء بدليل قوله تعالى من إملاق فكان رزقهم أنفسهم أهم بخلاف قوله تعالى في الآية الثانية فإن المخاطبين أغنياء بدليل قوله خشية إملاق.

١٩ - قال الله تعالى في سورة الحج ٥١ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ

(١) هو تفسير كبير للقرآن للشيخ أبي جعفر الطوسي ومنه استمد صاحب مجمع البيان تفسيره (المؤلف).

قُلُوبُهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقٍۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾ [الحج: ٥٢-٥٥] اختلف في أن الرسول غير النبي أو هما واحد، فقالت المعتزلة: لا فرق بينهما إلا أن الرسول يعم الملائكة والبشر والنبي يختص بالبشر واختاره الطبرسي في مجمع البيان، وقيل: الرسول الذي تنزل عليه الملائكة بالوحي والنبي يوحى إليه في منامه فكل رسول نبي ولا عكس، وقيل: الرسول المبعوث إلى أمة والنبي الذي لا يبعث إلى أمة عن قطرب، وقيل: الرسول المبتدئ بوضع الشرائع والأحكام والنبي الذي يحفظ شريعة غيره عن الجاحظ (والنبي) مأخوذ إمّا من النبأ وهو الخبر لأنه مخبر الله تعالى أو من نبأ إذا ارتفع لرفعة شأنه، احتجوا على الأول بأن الله تعالى خاطب نبيه ﷺ مرة بالنبي ومرة بالرسول، وفيه أنه أعم من المدعي لإمكان إنطباقه على باقي الأقوال لأن الظاهر من الجميع أن الرسول أعم ويدل على الباقي أن ظاهر العطف المغايرة ويكفي فيه التغاير بالعموم والخصوص فهو من عطف العام على الخاص، ومما يدل على المغايرة ما روي أنه قيل لرسول الله ﷺ كم المرسلون؟ فقال: ثلاثمائة وثلاثة عشر فقيل: وكم الأنبياء فقال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً الجم الغفير وكتب أبو جعفر عليه السلام إلى عبد العظيم بن عبد الله الحسني أن الله بعث مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي المرسلون منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً (الحديث) وقد ظهر مما مرَّ أن النبي أعم فالرسول من أوحي إليه فجاءه الملك ظاهراً وأمره عن الله بدعوة الخلق والنبي أعم من ذلك وممن رأى في منامه أو ألهم أو أخبره أحد الرسل أنه نبي.

في الكشاف أن السبب في نزول هذه الآية أن النبي ﷺ لما أعرض عنه قومه وعشيرته وشاقوه تمنى أن لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقاً إلى استمالتهم حتى نزلت عليه سورة النجم وهو في نادي قومه فأخذ يقرؤها فلما بلغ قوله: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٠] ألقى الشيطان في أمنيته التي تمناها أي وسوس إليه بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط إلى أن قال: تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى. وروي الغرانقة. ولم يفطن له حتى أدركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه جبرائيل عليه السلام أو تكلم الشيطان بذلك فأسمعه الناس فلما سجد في آخرها

سجد معه جميع من في النادي وطابت نفوسهم، انتهى ما جاء في الكشاف، (والغرانيق) كمصابيح جمع غرنوق كعصفور وهو الحسن الجميل. ويقال في مفرده أيضاً غرانق كعلابط ولمفرده صيغ أخر كثيرة ويجمع على غرانق كمساجد وغرانقة ويقال شاب غرنوق وغرانق إذا كان ممتلئاً ريا، قال الشاعر:

ربع لقاتلة الغرانق ما به إلا الوحوش خلت له و خلاها

وفي أسباب النزول للواحدي: قال المفسرون لما رأى رسول الله ﷺ تولي قومه عنه وشق عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاءهم به تمنى في نفسه أن يأتيه من الله تعالى ما يقارب به بينه وبين قومه وذلك لحرصه على إيمانهم فجلس ذات يوم في نادٍ من أندية قريش كثير أهله وأحب يومئذٍ أن لا يأتيه من الله تعالى شيء ينفر عنه وتمنى ذلك فأنزل الله تعالى سورة النجم فقرأها ﷺ حتى بلغ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم: ١٩-٢٠] ألقى الشيطان على لسانه لما كان يحدث به نفسه وتمناه: تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى، فلما سمعت قريش ذلك فرحوا ومضى رسول الله ﷺ في قراءته فقرأ السورة كلها وسجد في آخر السورة فسجد المسلمون بسجوده وسجد جميع من في المسجد من المشركين، فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد إلا الوليد بن المغيرة وأبا أحيحة سعيد بن العاص فإنهما أخذا حفنة من البطحاء ورفعاها إلى جبهتيهما وسجدا عليها لأنهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود وتفرّقت قريش وقد سرّهم ما سمعوا وقالوا قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر، وقالوا قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ويخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده فإن جعل لها نصيباً فنحن معه، فلما أمسى رسول الله ﷺ أتاه جبرائيل عليه السلام فقال: ماذا صنعت، تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله سبحانه وقلت ما لم أقل لك فحزن رسول الله ﷺ حزناً شديداً وخاف من الله خوفاً كبيراً فأنزل الله تعالى هذه الآية فقالت قريش ندم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتنا عند الله فازدادوا شراً إلى ما كانوا عليه، ثم روى الواحدي بسنده عن سعيد بن جبير قرأ رسول الله ﷺ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ فألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى وشفاعتهن ترتجي ففرح بذلك المشركون وقالوا قد ذكر آلهتنا فجاء جبرائيل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ وقال أعرض عليّ كلام الله فلما عرض عليه قال أما هذا فلم آتك به هذا من الشيطان فأنزل الله

تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢] إنتهى.

وذكر قريباً من ذلك السيوطي في أسباب النزول فإنه روى عن سعيد بن جبير وابن عباس وغيرهما أن النبي ﷺ قرأ بمكة سورة النجم فلما بلغ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى فقال المشركون ما ذكر آلهتنا بخير قبل هذا اليوم فسجد وسجدوا فنزلت، ثم ذكر إن طرق هذه الرواية كلها ضعيفة أو منقطعة سوى طريق واحد لسعيد بن جبير ثم نقل عن ابن حجر أنه حكى عن ابن العربي وعياض أن هذه الروايات باطلة لا أصل لها، وفي تفسير الجلالين ما نصه:

وقد قرأ النبي ﷺ في سورة النجم بمجلس من قريش بعد ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ بالقاء الشيطان على لسانه من غير علمه ﷺ به تلك الغرانيق وإن شفاعتهن لترتجى ففرحوا بذلك ثم أخبره جبرائيل بما ألقاه الشيطان على لسانه فحزن فسلي بهذه الآية ليطمئن.

وذكر الفخر الرازي في تفسيره نقلاً عن المفسرين نحوا مما مر عن الواحدي في سبب نزول الآية إلى قوله فأنزل الله تعالى هذه الآية، ثم قال: هذا رواية عامة المفسرين الظاهريين أما أهل التحقيق فقد قالوا هذه الرواية باطلة موضوعة واحتجوا عليه بالقرآن والسنة والمعقول، أما القرآن: فآيات ولو تقول علينا. قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي. وما ينطق عن الهوى. وإن كادوا ليفتنونك ولولا أن ثبتناك. كذلك لنثبت به فؤادك. سنقرئك فلا تنسى. وأما السنة، فما روي عن محمد بن إسحاق بن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة فقال: هذا وضع من الزنادقة وصنف فيه كتاباً وقال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ثم أخذ يتكلم في أن رواتها مطعون فيهم. وروى البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والمشركون والإنس والجن وليس فيه حديث الغرانيق وروي هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها البتة حديث الغرانيق ثم قال: وأما المعقول، وذكر فيه خمسة وجوه نقتصر على الخامس منها قال وهو أقوى الوجوه أنا لو جوزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعه وجوزنا في كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك إلى آخر ما قال. وأفحش من ذلك وأشنع ما

رووه أن ذلك جرى على لسانه في الصلاة وبقي عليه لما استقرأه جبرائيل، قال الرازي، في تفسيره يروى عن قتادة ومقاتل أنهما قالا إنه عليه السلام كان يصلي عند المقام فنعس وجرى على لسانه هاتان الكلمتان فلما فرغ من السورة سجد وسجد كل من في المسجد وفرح المشركون بما سمعوه وأتاه جبرائيل عليه السلام فاستقرأه فلما انتهى إلى الغرانيق قال أنا لم آتك بهذا فحزن رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن نزلت هذه الآية.

أقول: وأما الشيعة المفسرون منهم وغيرهم فاتفقوا على بطلان هذه الخرافة قال سيدنا الإمام المرتضى علم الهدى ذو المجدين قدس الله تعالى روحه وجزاه عن الإسلام وأهله أفضل ما جزى المحامين عن الدين والناصرين لسيد المرسلين صلى الله عليه وآله في كتابه تنزيه الأنبياء والأئمة: أما الآية فلا دلالة في ظاهرها على هذه الخرافة التي قصوها وليس يقتضي الظاهر إلّا أحد أمرين أما أن يريد بالتمني التلاوة صلى الله عليه وآله كما قال حسان بن ثابت:

تمنى كتاب الله أول ليلة وآخرها لاقى حمام المقادر

أو يريد بالتمني تمني القلب، فإذا أراد التلاوة، كان المراد أن من أرسل قبلك من الرسل كان إذا تلا ما يؤديه إلى قومه حرفوا عليه وزادوا فيما يقوله وتنقصوا كما فعلت اليهود في الكذب على نبيهم فأضاف ذلك إلى الشيطان لأنه يقع بوسوسته وغروره ثم بيّن أن الله تعالى يزيل ذلك ويدحضه بظهور حجته وينسخه ويحسم مادة الشبهة به وإنما خرجت الآية على هذا الوجه مخرج التسلية له صلى الله عليه وآله لما كذب المشركون عليه وأضافوا إلى تلاوته من مدح آلهتهم ما لم يكن فيها، فإن كان المراد تمني القلب، فالوجه في الآية إن الشيطان متى تمنى النبي صلى الله عليه وآله بقلبه بعض ما يتمناه من الأمور يوسوس إليه بالباطل ويحدثه بالمعاصي ويغريه بها وإن الله ينسخ ذلك ويبطله بما يرشده إليه من مخالفة الشيطان وعصيانه وترك استماع غروره. أقول: لا يبعد ظهور الآية الشريفة في التمني بمعنى القراءة بقرينة قوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته، فإن الآيات ظاهرة في الآيات القرآنية لا سيما بملاحظة ينسخ ويحكم المناسب للآيات القرآنية والذي لا يناسب مع الوسوسة القلبية وقوله ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم فإنه لا ربط لذلك بالوسوسة إلى النبي صلى الله عليه وآله وقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن

رَّبِّكَ﴾ [الحج: ٥٤] الآية فإنه أيضاً لا يتناسب مع الوسوسة القلبية ولا يرتبط بها ولا يصلح علة لدفع الله وسوسة الشيطان عن النبي ﷺ كما لايخفى.

ثم قال المرتضى: (فأما الأحاديث) المروية في هذا الباب فلا يلتفت إليها من حيث تضمنت ما قد نزهت العقول الرسل ﷺ عنه هذا لو لم تكن في أنفسها مطعونة مضعفة عند أصحاب الحديث بما يستغني عن ذكره، وكيف يجيز ذلك على النبي ﷺ من يسمع الله تعالى يقول كذلك لنثبت به فؤادك يعني القرآن. ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٦].

سنقرؤك فلا تنسى، على أن من يجيز السهو على الأنبياء ﷺ يجب أن يجيز ما تضمنته هذه الرواية المنكرة لما فيها من غاية التنفير عن النبي ﷺ لأن الله تعالى قد جنب نبيه ﷺ من الأمور الخارجية عن باب المعاصي كالغلظة والفظاظة وقول الشعر وغير ذلك مما هو دون مدح الأصنام المعبودة دون الله تعالى على أنه لا يخلو ﷺ وحوشي مما قذف به من أن يكون تعمد ما حكوه وفعله قاصداً أو فعله ساهياً فالساهي لا يجوز أن يقع منه مثل هذه الألفاظ المطابقة لوزن السورة وطريقها ثم لمعنى ما تقدمها من الكلام لأنّا نعلم ضرورة أن ما كان ساهياً لو أنشد قصيدة لما جاز ان يسهو حتى يتفق معه بيت شعر في وزنها، وفي معنى البيت الذي تقدمه وعلى الوجه الذي تقتضيه فائدته وهو مع ذلك يظن أنه من القصيدة التي ينشدها. أقول: من يدعي وقوع ذلك منه سهواً يزعم أنه بإسهام الشيطان له فإذا جاز أن يكون للشيطان قدرة على إسهامه نعوذ بالله من ذلك) جاز أن يكون له قدرة على أن ينطقه من غير قصد بما يكون الشيطان قد رتبه وجعله ملائماً لما تقدمه من الكلام. ثم قال المرتضى: على أن بعض أهل العلم قد قال يمكن أن يكون وجه التباس الأمر أن رسول الله ﷺ لما تلا هذه السورة في ناد غاص بأهله وكان أكثر الحاضرين من قريش المشركين فلما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩] وعلم من قرب من مكانه من قريش أنه سيورد بعدها ما يسؤوهم به فيهن قال كالمعارض له والراد عليه تلك الغرانيق الخ فظن كثير ممن حضر أن ذلك من قوله ﷺ اشتبه عليهم الأمر لأنهم كانوا يغلطون عند قراءته ﷺ ويكثر كلامهم وضجاجهم طلباً لتغليطه وإخفاء قراءته، ويمكن أن يكون هذا أيضاً في الصلاة لأنهم كانوا يقربون منه ﷺ في حال صلاته عند الكعبة ويسمعون قراءته ويلغون فيها.

وحكي هذا الوجه في مجمع البيان عن السيد مع بعض التغيير والزيادة حيث قال بعد ما رواه العامة عن ابن عباس: فهذا الخبر إن صح فمحمول على أنه كان يتلو القرآن فلما بلغ إلى هذا الموضع وذكر أسماء آلهتهم وقد علموا من دعائه أنه يعيبها قال بعض الحاضرين: تلك الغرانيق الخ وألقى ذلك في تلاوته ليوهم أن ذلك من القرآن فأضافه سبحانه إلى الشيطان لأنه إنّما حصل بإغوائه ووسوسته وهذا أورده المرتضى في كتاب التنزيه وهو قول الناصر للحق من أئمة الزيدية وهو وجه حسن في تأويله. فكأن المرتضى أراد ببعض أهل العلم الناصر وهو جده لأمه فاطمة بنت الناصر، ثم قال المرتضى: وقيل أيضاً إنه كان إذا تلا القرآن على قريش توقف في فصول الآيات وأتى بكلام على سبيل الحجاج لهم فلما تلا: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ﴾ [النجم: ١٩] الخ قال ﷺ تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى على سبيل الإنكار عليهم وإن الأمر بخلاف ما ظنوه من ذلك وليس يمتنع أن يكون هذا في الصلاة لأن الكلام في الصلاة حينئذٍ كان مباحاً وإنما نسخ من بعد، وقيل: إن المراد بالغرانيق الملائكة وقد جاء مثل ذلك في بعض الحديث فتوهم المشركون أنه يريد آلهتهم، وقيل: إن ذلك كان قرآناً منزلاً في وصف الملائكة فتلاه الرسول ﷺ فلما ظن المشركون أن المراد به آلهتهم نسخت تلاوته وكل هذا يطابق ما ذكرناه من تأويل قوله إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته لأن بغرور الشيطان ووسوسته أضيف إلى تلاوته ﷺ ما لم يرده.

وفي مجمع البيان، قال البلخي: ويجوز أن يكون النبي ﷺ سمع هاتين الكلمتين في قومه وحفظهما فلما قرأها ألقى الشيطان فكاد أن يجريهما على لسانه فعصمه الله ونبهه ونسخ وساوس الشيطان وأحكم آياته بأن قرأها محكمة سليمة مما أراد الشيطان، ويجوز أن يكون النبي ﷺ لما انتهى إلى ذكر اللات والعزى قال الشيطان: هاتين الكلمتين رافعاً بهما صوته فألقاهما في تلاوته في غمار الناس فظن الجهال أن ذلك من قول النبي ﷺ فسجدوا عند ذلك ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢] يجعلها محكمة ثابتة لم تنسخ (ومرض القلوب) النفاق والشك والشبهة والخروج عن الاعتدال ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ المشركون المكذبون الذين لا تلين قلوبهم للحق ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ من المنافقين والمشركين ﴿لَفِى شِقَاقٍ﴾ معاداة ومخالفة ﴿بَعِيدٍ﴾ [الحج: ٥٣] عن الحق أو بعيد المدى كناية عن بعد رجوعهم إلى الحق

﴿فَتُخْبِتَ﴾ [الحج: ٥٤] تخضع وتخشع وتتواضع ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٥] هو عذاب يوم القيامة سمي عقيماً لأنه لا خير فيه أو لا ليل فيه.

٢٠ - قال الله تعالى في سورة المائدة ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ [المائدة: ٣].

قال المفسرون: إنما خص لحم الخنزير بالذكر مع مشاركة الكلب له في التحريم والسباع والمسوخ وكل ما لا يحل أكله من الحيوانات لأن كثيراً من الكفار اعتادوا أكله وألفوه أكثر مما اعتادوه في غيره والإهلال رفع الصوت وفي الذبيحة رفع الصوت بالتسمية وكان المشركون يسمون الأوثان على ذبائحهم والمسلمون يسمون الله ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣] ما ذكر غير اسم الله عليه وقيل ما ذبح لغير الله، وفي مجمع البيان: فيه دلالة على عدم جواز أكل ذبائح من خالف الإسلام لأنهم يذكرون عليه اسم غير الله لأنهم يعنون به من أبد شرع موسى أو اتحد بعيسى أو اتخذه ابناً وذلك غير الله.

أقول: وقد لا يذكرون عليها اسماً أصلاً (والمنخنقة) التي تدخل رأسها بين شعبتين من شجرة فتختنق وتموت عن السدي وقيل التي تختنق بحبل الصائد فتموت عن الضحاك وقتادة وقال ابن عباس: كان أهل الجاهلية يخنقونها فيأكلونها. أقول: والأولى إبقاؤها على العموم (والموقوذة) التي تضرب حتى تموت عن ابن عباس وقتادة والسدي (والمتردية) التي تتردى من جبل أو مكان عال أو تقع في بئر فتموت وما وقع في بئر ونحوه ولا يقدر على تذكيته جاز أن يطعن أو يضرب بالسكين في غير المذبح حتى يبرد ثم يؤكل كما عليه النص والفتوى (والنطيحة) التي ينطحها غيرها فتموت (وما أكل السبع) أي قتله وهي فريسة (إلا ما ذكيتم) أي أدركتم ذكاته فذكيتموه من هذه الأشياء مما يقبل التذكية، ووجه التنصيص على هذه الأشياء مع أن الميتة تعم الجميع أنهم كانوا لا يعدون الميت إلا ما مات حتف أنفه أنه من دون شيء من هذه الأسباب فبين الله تعالى إن حكم الجميع واحد وإن المبيح هو التذكية المشروعة، وعن السدي، أن أناساً من العرب كانوا يأكلون جميع ذلك ويعدون الميت ما مات من الوجع (وما ذبح على النصب) على اسم النصب وهي الأحجار

كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها يعظمونها بذلك ويتقربون به إليها تسمى الأنصاب والنصب واحد قال الأعشى:

وذا النصب المنصوب لا تعبدنه لعاقبة والله ربك فاعبدا

أو الأوثان التي كانوا يعبدونها أو للنصب تقرباً إليها وعلى الأول يدخل فيما أهلّ لغير الله به فيكون من ذكر الخاص بعد العام والنكتة ظاهرة ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ [المائدة: ٣] أي تطلبوا بها معرفة ما قسم لكم مما لكم مما يقسم وهي القداح التي كانوا يتألفون بها جمع قِدْح بالكسر فالسكون بمعنى السهم والسهم خشبة في رأسها حديدة وهي سهام كانت للجاهلية مكتوب على بعضها أمرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي وبعضها لا يكتبون عليه شيئاً فإذا أرادوا سفراً أو غزواً أو تجارة أو نكاحاً أو أمراً يهتمون به ضربوا تلك القداح أي أجالوها وأخرجوا واحداً منها فإن خرج الأول فعلوا وإن خرج الثاني لم يفعلوا وإن خرج الثالث أعادوها. وروى علي ابن إبراهيم في تفسيره عن الصادقين عليهما السلام أن الأزلام عشرة سبعة لها أنصباء وثلاثة لا انصباء لها فالتي لها أنصباء، الفذ، والتوأم، والمسبل، والنافس، والحلس، والرقيب، والمعلى، فالفذ له سهم والتوأم سهمان والمسبل ثلاثة والنافس أربعة والحلس خمسة والرقيب ستة والمعلى سبعة والتي لا أنصباء لها، السفيح، والمسيخ والوغد، وكانوا يعمدون إلى الجزور، فيجزئونه أجزاء ثم يجتمعون عليه فيخرجون السهام ويدفعونها إلى رجل وثمن الجزور على من يخرج له التي لا أنصباء لها، وهذا هو الميسر أي القمار فحرمه الله تعالى ولذلك قيل إن المراد بالاستقسام بالأزلام القمار وقيل الشطرنج وقيل غير ذلك والله أعلم.

٢١ - قال الله تعالى في سورة المائدة ١٩ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾[1] موضع أن نصب عند البصريين وتقديره كراهة أن تقولوا فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وقال

(١) قال الفخري الرازي في تفسيره ما حاصله أن من يجيء بمعنى القراءة قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: ٧٨] أي إلا قراءة لأن الأمي لا يعلم القرآن من المصحف وإنما يعلمه قراءة ثم استشهد ببيت حسان وقال أصل التمني التقدير والقارئ يقدر الحروف (المؤلف).

الكسائي والفراء تقديره لئلا تقولوا. قلت: حذف الجار قبل حرف المصدر قياسي وأما حذف حرف النفي فلا.

٢٢ - قال الله تعالى في آخر سورة الحجر ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ اختلف المفسرون في المراد من السبع المثاني والأكثرون على أنها الفاتحة لأنها سبع آيات (والمثاني) من التثنية لأن الفاتحة تثنى قراءتها في كل صلاة أو من الثناء لاشتمالها على الثناء على الله تعالى مرتين وهو الرحمن الرحيم أو لأنه يثنى ما تقرأ معه من سورة في الصلاة، وقيل: لأنها مقسومة بين الله وعبده على ما روي في الخبر، وقيل: لأن نصفها ثناء ونصفها دعاء، وقيل: لأنها أنزلت مرتين تعظيماً وتشريفاً لها، وقيل: حروفها كلها مثناة نحو الرحمن الرحيم إياك وإياك الصراط صراط، وقيل: لأنها مثنى أهل الفسق عن الفسق وهو المروي عن الباقر والصادق عليهما السلام، وقيل هي السبع الطوال وهي السور السبع من أول القرآن والسابعة الأنفال وبراءة لأنهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بالبسملة، وإنما سميت مثاني لأنه يثنى فيها الأخبار والعبر، وقيل: المثاني القرآن كله كقوله تعالى كتاباً متشابهاً مثاني (والمثاني) جمع مثناة مفعلة أي موضع ثناء وتثنية ونقل عن بعضهم أن السبع المثاني هي الحواميم لأنها سبعة ولعلها سميت المثاني لتثنية حم في كل منها بمعنى أن التثنية واقعة منها بالحاء والميم ومن قال المراد بالمثاني القرآن كله جعل من في قوله من المثاني للتبعيض ومن قال: إنها الحمد قال: انها للبيان أمام عطف للقرآن العظيم عليها فتفسيري على الأول من عطف الكل على البعض على الثاني لبيان الاهتمام بذلك البعض.

٢٣ - اختلف في ذي الكفل المذكور في القرآن من هو، ففي مجمع البيان: قيل انه كان رجلاً صالحاً ولم يكن نبياً ولكنه تكفل لنبي بصوم النهار وقيام الليل وأن لا يغضب ويعمل بالحق فوفى بذلك فشكر الله ذلك له وقيل هو نبي اسمه ذو الكفل وقيل هو إلياس وقيل اليسع بن خطوب وليس اليسع المذكور في القرآن تكفل لملك جبار إن هو تاب دخل الجنة ودفع إليه كتاباً بذلك فتاب الملك، وفي رواية أنه نبي كان بعد سليمان يقضي بين الناس كقضاء داود ولم يغضب قط إلا لله عز وجل وقال الشهيد الثاني قده: في منية المريد في باب ذم الغضب ما صورته: وفي الأخبار

القديمة قال نبي من الأنبياء لمن معه من تكفل لي أن لا يغضب يكون معي في درجتي ويكون بعدي خليفتي فقال شاب من القوم أنا، أعاد عليه فقال الشاب أنا ووفى به فلما مات كان في منزلته بعده وهو ذو الكفل لأنه كفل له بالغضب ووفى به. فالظاهر أن ذلك النبي هو سليمان عليه السلام، وفي الكشاف، قيل هو الياس وقيل زكريا وقيل يوشع بن نون وكأنه سمي بذلك لأنه ذو الحظ من الله والمجدود على الحقيقة وقيل كان له ضعف عمل الأنبياء في زمانه وضعف ثوابهم وقيل خمسة من الأنبياء ذوو اسمين إسرائيل ويعقوب. إلياس وذو الكفل. عيسى والمسيح. يونس وذو النون. محمد وأحمد صلوات الله عليهم أجمعين انتهى.

وفي رسالة بحر العلوم في صلاة المسافر ما لفظه: وفي العيون والعلل وغيرهما في حديث الشامي الذي سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن ستة من الأنبياء لهم اسمان فقال: يوشع بن نون وهو ذو الكفل والخضر وهو تالياً وذكر الأربعة السابقة، وفي تفسير الجلالين: سمي ذا الكفل لأنه تكفل بصيام جميع نهاره وقيام جميع ليله وأن يقضي بين الناس ولا يغضب فوفى بذلك وقيل لم يكن نبياً. والكفل في اللغة الضعف قيل سمي ذا الكفل لأن له ضعف ثواب غيره ممن هو في زمانه لشرف عمله والكفل أيضاً الحظ وسمي ذا الكفل لما له من الحظ، وفي رسالة السيد مهدي بحر العلوم الطباطبائي في صلاة المسافر التي أوردها صاحب مفتاح الكرامة في كتاب الصلاة عند ذكر النخيلة وأنها معسكر الكوفة ولها ذكر كثير في المغازي والسير وأن المعروف بالنخيلة الآن قرية في جزيرة بابل على شاطىء الفرات فوق الحلة السيفية إلى المشرق بنحو من فرسخ مقابلة للكوفة من ناحية الشمال وبينها وبين المسجد نحو من سبعة فراسخ قال ولا يناسبها أخبار النخيلة الآتية وكأنها قد تجددت بعد الكوفة وسميت بالنخيلة لانتقال أهلها إليها أو لغير ذلك، قال: وأظن أن الخيلة هي هذا الموضع المعروف اليوم بالكفل أو فوقه بقليل للخارج من الكوفة فإنه محل واقع في طريق الخارج منها إلى الشام والطريق منها يمر على الطف (أي كما تدل عليه بعض الأخبار) وبه آثار قديمة باقية إلى الآن والمسافة بينه وبين الكوفة للخارج من أطراف المساجد وأوساط البلد يوشك أن يكون بريداً ويشهد لذلك ما رواه نصر بن مزاحم في كتاب صفين بإسناده عن الأصبغ بن نباتة قال: مرت جنازة على علي عليه السلام وهو بالنخيلة فقال: ما يقول الناس في هذا القبر وفي النخيلة قبر عظيم يدفن اليهود

موتاهم حوله فقال الحسن بن علي عليه السلام يقولون هذا قبر هود النبي عليه السلام لما أن عصاه قومه جاء فمات هٰهنا فقال: كذبوا لأنا أعلم به منهم هذا قبر يهوذا بن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم بكر يعقوب ثم قال هٰهنا أحد من مهرة (اسم قبيلة) فأتي بشيخ كبير فقال: أين منزلك قال على شاطئ البحر قال: أين هو من الجبل الأحمر قال: قريباً منه قال: فما يقول قومك فيه قال: يقولون قبر ساحر قال كذبوا ذلك قبر هود وهذا قبر يهوذا بن يعقوب ومعلوم أن القبر الذي يعظمه اليهود في أطراف الكوفة وتدفن موتاها حوله قديماً وحديثاً ليس إلا هذا القبر الذي يعرف بالكفل وقد دل الحديث على أنه قبر يهوذا فيحتمل أن يكون يهوذا هو ذو الكفل أو أنه اشتبه على الناس فسموه به أو عنوا بالكفل غير ذي الكفل (وفي القاموس) في مادة شاش وشوشة موضع بأرض بابل بقربها قبر ذي الكفل عليه السلام. واختلف العلماء في ذي الكفل المذكور في القرآن فقيل: إنه زكريا لقوله تعالى ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧] وقيل: يوشع ابن نون وصي موسى عليه السلام وقيل: بشر بن أيوب الصابر وقيل: حزقيل وقيل: الياس وقيل: اليسع بن خطوب صاحب الياس غير اليسع المذكور في الكتاب وقيل: كان نبياً بعد سليمان بن داود واسمه عوديا بن أدريم كان يقضي بين الناس كما يقضي داود عليه السلام وهو مروي وروي له مع الشيطان قصة مشهورة في الحلم وكظم الغيظ[1] وقيل: كان عبداً صالحاً ولم يكن نبياً تكفل لنبي صوم النهار وقيام الليل وأن لا يغضب وأن يعمل بالحق فوفى فشكر الله له ذلك قيل: والمشهور بين المؤرخين أن ذا الكفل وهو وصي اليسع (وبالجملة) فالأمر فيه غير متحقق لاختلاف

(١) حاصلها إنه كان يصوم النهار ويقوم الليل وليس له وقت ينام فيه إلا وقت القيلولة فأراد إبليس أن يغضبه فجاءه وقت القيلولة في صورة شيخ كبير فقير فدق عليه الباب حين أخذ مضجعه. فقال: من هذا؟ قال: شيخ كبير مظلوم. فقام ففتح الباب فجعل يقص عليه حتى في اليوم التالي فقال ائتني عند الرواح آخذ لك بحقك فلما خرج للقضاء لم يره فلما رجع إلى القائلة في اليوم الثاني وأخذ مضجعه أتاه فدق عليه الباب فقال من هذا قال الشيخ الكبير المظلوم ففتح له فقال ألم أقل لك إذا قعدت فأتني فقال إن خصومي إذا عرفوا إنك قاعد قالوا نعطيك حقك وإذا قمت جحدوني فقال إذا رحت فأتني وفاتته القائلة فراح فلم يره فشق عليه النعاس فقال لبعض أهله لا تدع أحداً يقرب هذا الباب حتى أنام فجاء الشيطان فمنعه الرجل فدخل مني كوة في الباب فاستيقظ الرجل فعرفه فقال أعدو الله قال نعم أعييتني (المؤلف).

الأقوال والأخبار فيه ولا يبعد أن يكون يهوذا بن يعقوب لقوله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام ﴿لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف: ٦٦] فضمنه يهوذا ووفى بكفالته لما كان أمر بنيامين ما كان وتخلف عن أخوته وبقي عند أخيه وهو كبيرهم القائل ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يوسف: ٨٠] فهذا يقضي بحسن الكفالة واستحقاق هذه التسمية وحديث النخيلة مع اشتهار القبر الذي فيها بالكفل يعطي ذلك ويؤيده إن هذا القبر موضوع على القبلة ولو كان ليوشع أو غيره من بعد موسى عليه السلام لكان إلى بيت المقدس انتهى كلام السيد (قده) في الرسالة.

٢٤ - قوله تعالى: «لكنا هو ربي» أصله لكن نا فحذفت همزة أنا وأدغمت النون فيجب أن تقرأ بالنون المشددة المفتوحة بغير مد لأن نون أنا مفتوحة بغير ألف وإن كتبت بالألف لفرق بينها وبين أن المشددة والمخففة وهذا مما يكثر فيه الغلط.

٢٥ - قال الله تعالى في آخر سورة الأحزاب ٧٢ ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾.

إن قيل: كيف يمكن عرض الأمانة على هذه الأشياء وهي جمادات لا تعقل ولا يتصور منها الإباء وعدمه وما هي الأمانة المعروضة وكيف حملها الإنسان قلنا: ذكر المفسرون في الآية وجوهاً كثيرة لا فائدة في أكثرها وأقرب ما يقال في تفسيرها إن عرض الأمانة على هذه الأشياء مجاز وأنواع المجاز كثيرة في كلام العرب وفي كيفية هذا المجاز وجوه أحدها: أن يراد بالأمانة الطاعة والانقياد فهذه الأجرام قد انقادت لأمره تعالى انقياد مثلها في التكوين والإيجاد على هيئات مختلفة وهو ما يتأتى ويمكن من الجمادات كما قال الله تعالى: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ﴾ [الفجر: ١٥] فلم تكن حاله فيما يمكن منه من الطاعة فعلاً وتركاً مثل حالها مع عقله فعصى ما أمر به فلذلك وصف بالظلوم الجهول ثانيها: أن يراد بها الإقرار بالخالق وتوحيده ووصفه بصفات العظمة والكمال وتنزيهه عن صفات النقص فهذه الأجرام شاهدة بذلك بما فيها من آثاره قدرة الله تعالى وعظمته وإتقان صنعه والإنسان أنكر ذلك ثالثها: أن يراد بالأمانة ما هو المتعارف مما يؤتمن عليه الإنسان ويجب عليه أداؤه أو مطلق ما كلف به ويكون ذلك من قبيل ما ينسب إلى الحيوانات

والجمادات ويقال عن لسانها مما هو مختص بالعقلاء وهذا كثير في كلام العرب وما جاء القرآن إلا على طرقهم وأساليبهم كقولهم: قيل للشحم أين تذهب فقال أسوي العوج أي إن السمن يحسن قبح الحيوان والعجف يقبح حسنه وكقولهم: إن الأسد افتقد شاة كان قد أدخرها فسأل الثعلب عنها فقال أكلها الذئب وكان يبغض الذئب فقال الأسد من يشهد بذلك فأراه ذنبه وعليه الدم فافترس الذئب فضربت العرب المثل بذلك فقالوا فلان كالثعلب شهيده ذنبه وقالوا: سئلت البومة لم تظهرين بالليل وتختفين بالنهار فقالت: أخاف أن يصيبني أحد بالعين وقالوا: اطلع قرد في كنيف فقال هذه المرآة الصافية لهذا الوجه الظريف وقالوا: قال الثعلب للأرنب أردفيني خلفك فأردفته فقال لها: ما أفره حمارك فلما مشوا قليلاً قال: ما أفره حمارنا فقالت: انزل قبل أن تقول ما أفره حماري وكلامهم في أمثال هذا ينبو عن الحصر فيكون عرض الأمانة على المذكورات على نحو التمثيل والفرض أي لو عرضت الأمانة على أعظم ما خلق الله من الأجرام وأقواه لأبت أن تحملها وحملها الإنسان على ضعفه (وأما حمل الأمانة) فيراد به والله العالم عدم تأديتها لتزول عن ذمته ويخرج عن عهدتها لأن الأمانة كأنها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها كما يقولون ركبته الديون ولي عليه حق فإذا أداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملها ونحوه قولهم لا يمسك مولى لمولى نصراً شبهوا النصر بالشيء الذي يمكن إمساكه قال الشاعر:

أخوك الذي لا تمسك الحس نفسه وترفض عند المحفظات الكتائف

أي لا يمسك الرقة والعطف عليك (ويمكن) أن يراد بحمل الأمانة حمل عبئها أو إثمها وتبعتها أو نحو ذلك على حذف مضاف وذلك لأن المراد بحملها خيانتها ومن خانها فقد حمل إثمها وتبعتها ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الفجر: ١٥] فقيل: إن المراد به الكافر والفاسق ولا يبعد أن يراد به الجنس ولا ينافيه خروج بعض الأفراد.

٢٦ - قال الله سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١] الإسراء من السرى بوزن هدى وهو السير بالليل خاصة ومنه (عند الصباح يحمد القوم السرى) أما تقييده في الآية بالليل فللدلالة بتنكير الليل على تقليل مدة الإسراء مع أن المسافة بين المسجدين مسيرة أربعين ليلة كذا ذكر الشيخ البهائي في شرح الأربعين.

٢٧ - قال الله تعالى في سورة الدخان ٢٩ ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾.

قيل إنه على حذف مضاف أي أهل السماء والأرض ﴿وَالْأُولَىٰ﴾ [النجم: ٢٥] أن يقال إنه خرج مخرج التهكم إذ يقال في موت الرجل العظيم أنه بكت عليه السماء والأرض وكسفت الشمس لفقده وأظلم القمر ونحو ذلك فبين أنهم لحقارتهم لم تبك عليهم السماء والأرض قال جرير يرثي عمر بن عبد العزيز:

الشمس طالعة ليست بكاسفة   تبكي عليك نجوم الليل والقمرا

أي ليست مع طلوعها كاسفة نجوم الليل والقمر لأن عظم المصيبة قد سلبها ضوءها وربما قالوا أظلم النهار وبدت الكواكب نهاراً قال النابغة:

تبدو كواكبه والشمس طالعة   لا النور نور ولا الإظلام إظلام

وقال طرفة:

إن تنوّله فقد تمنعه   وتريه النجم يجري بالظّهر

أو أنهم ليس لهم عمل صالح في السماء ولا في الأرض لتبكي عليهم فقد روي عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ [الدخان: ٢٩] أنه قيل له أو تبكيان على أحد فقال نعم مصلاه في الأرض ومصعد عمله في السماء وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ: ما من مؤمن إلا وله باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فإذا مات بكيا عليه ومعنى البكاء الاختلال بعده مجازاً كما قالوا بكت الدار بمعنى ظهر عليها الخراب والوحشة قال مزاحم العقيلي:

بكت دارهم من أجلهم فتهللت   دموعي فأي الجازعين ألوم
أمستعبراً يبكي من الهون والبلى   أم آخر يبكي شجوه ويهيم

وقال السدي: لما قتل الحسين بن علي بن أبي طالب بكت السماء عليه وبكاؤها حمرة أطرافها (وروى) زرارة بن أعين عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: بكت السماء على يحيى بن زكريا وعلى الحسين بن علي أربعين صباحاً ولم تبك إلا عليهما قلت: وما بكاؤها قال كانت تطلع حمراء وتغيب حمراء (وأجاب الشريف المرتضى) قدس سره في أماليه المسمى بغرر الفوائد ودرر القلائد عند تفسير هذه الآية

بوجوه خمسة ذكرنا منها الوجوه القريبة وتركنا للبعيدة (منها) أنه على حذف مضاف كما مر واستشهد بآية ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]. ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤] وقولهم السخاء حاتم أي السخاء سخاء حاتم وقول الحطيئة:

وشر المنايا ميت وسط أهله[(١)] كهلك الفتى قد أسلم الحي حاضره[(٢)]

أي منية ميت وقول الآخر:

قليل عيبه والعيب جم ولكن الغنى رب غفور

أراد غنى رب غفور انتهى (والعجب) من السيد رحمه الله كيف أوّل البيت بهذا التأويل الذي لم يخطر ببال الشاعر حتى أخرجه عما أراد الشاعر بالكلية بل صحّفَهُ فإن الموجود في عامة النسخ (ولكن للغنى رب غفور) بجر الغنى باللام وكأن اللام كانت مبدلة بألف في نسخة السيد وحاصل معناه على ما يوافق استشهاد السيد أنه مدح لا ذم وأن هذا الممدوح قليل العيب مع كثرة العيوب في الناس ولكن الغنى عما يجر المعايب هو غنى الله تعالى والصحيح أنه ذم لا مدح بقرينة ما قبله كما ستعرف ومعناه على رواية الغنى بدون لام الجر كما رواه السيد أنه يرى عيبه قليلاً مع كثرة العيب فيه والذي يقلل عيبه غناه لأن الغنى رب غفور أي يستر العيب كما أن الرب الغفور يستر عيوب العباد أما على رواية للغنى مجروراً باللام كما وجدناه في عدة مواضع فمعناه ظاهر وهو أن عيب الغني قليل عند الناس مع كونه كثيراً في الواقع لكن للغني رب غفور يستر العيوب وأول الأبيات وهي لعروة بن الورد:

ذريني للغنى أسعى فإني رأيت الناس شرهم الفقير
وأبعدهم وأهونهم عليهم وإن أمسى له كرم وخير[(٣)]

---

(١) أي على فراشه بدون حرب.

(٢) أسلم الحي: تركه وذهب عنه. والحاضر: المقيم بالبلد وجملة قد أسلم الحي في موضع الحال ومجيئها مع قد بغير الواو نادر أي شر الميتات الميتة حتف الأنف ويشبهها في الشر موت الرجل وليس عنده أحد من أهل الحي (المؤلف).

(٣) الخير بالكسر الكرم والجود قال المنخل:

لا تسألي عن جل ما لي واسألي كرمي وخيري

(المؤلف)

يباعده الندي وتزدريه حليلته وينهره الصغير
وتلقى ذا الغناء له جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل عيبه والعيب جم ولكن للغنى رب غفور

٢٨ - قال الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفلق: ١-٥] قيل: في سبب نزول السورة أن لبيد بن أعصم اليهودي سحر رسول الله ﷺ ودس ذلك في بئر لبني زريق فمرض رسول الله ﷺ فجاءه ملكان فأخبراه بذلك فأمر علياً والزبير وعماراً فأخرجوا ذلك من البئر فوجدوا معقداً فيه اثنتا عشرة عقدة فنزلت المعوذتان فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة وبرئ النبي ﷺ وهذا باطل وكيف يجوز أن يؤثر السحر فيه ﷺ والله تعالى يقول: ﴿يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا ﴿٤٨﴾﴾ [الإسراء: ٤٧-٤٨] ولكن يمكن أن يكون اليهودي أو بناته كما روي اجتهدوا في ذلك فلم يقدروا وأطلع الله نبيه ﷺ عليه فكان دلالة على صدقه (والفلق) الصبح وأصل الفلق الفرق الواسع من قولهم فلق رأسه بالسيف (والغاسق) في اللغة الهاجم بضرره وهو هنا الليل لأنه يخرج السباع من آجامها والهوام من مكامنها ويكون إقدام اللصوص والفساق على الشر فيه أكثر (والوقوب) الدخول ووقوب الليل دخول ظلامه في كل شيء ويظهر من الشهيد الثاني في منية المريد تفسيره بالشيطان ولم أجده لأحد من المفسرين وهو تفسير جيد لأن الشيطان أيضاً هاجم بضرره وقوله (إذا وقب) أي دخل في الإنسان فقد ورد أنه يجري في الإنسان مجرى الدم في العروق (والنفاثات) جمع نفاثة وهن النساء أو الجماعات اللاتي يعقدن عقداً في خيوط ويرقين وينفخن عليها من غير ريق وفي الكشاف أن النفث النفخ مع الريق (والاستعاذة) من شرهن بناء على تأثير السحر أمرها واضح وبناء على عدم التأثير لما يترتب على ذلك من المفاسد واعتقاد الجهلة التأثير (وأما) الاستعاذة من شر الحاسد فلأنه قد يؤديه حسده إلى الإضرار بالمحسود ومكايدته بأنواع الحيل والمكاره بل قد يؤدي إلى قتل المحسود أو لأن الحسد يؤثر سمية وضرراً نظيراً لإصابة بالعين.

٢٩ - مما يفرق به بين القرآن الحديث القدسي إن القرآن مختص بالسماع من

الروح الأمين والحديث القدسي قد يكون إلهاماً ونفثاً في الروع ونحو ذلك وإن القرآن مسموع بعبارة بعينها وهي المشتملة على الإعجاز بخلاف الحديث القدسي.

٣٠ - المحكم في اللغة هو المضبوط المتقن ويطلق في الاصطلاح على ما اتضح معناه في القرآن والحديث وظهر لكل عارف باللغة مغزاه وعلى ما كان محفوظاً من النسخ أو التخصيص أو منهما معاً وعلى ما كان نظمه مستقيماً خالياً عن الخلل وعلى ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً ويقابل بكل من المعاني المتشابه.

٣١ - جمع بعض الناس كتاباً فيما جاء على أوزان الشعر من الكتاب العزيز ووصله بأبيات وشطور أبيات منبهاً في البيت الأول على اسم البحر وسماه قلائد النحور من جواهر البحور (قال) في آخر خطبته ومن لي بمجموع أو مفرق أو فاصلة لو لم أجد من الله الكريم أوفى صلة.

وقال في آخرها أيضاً:

قلت للأي العظيم قدرها إن قلبي هائم في طوركم
ومن الحيرة نادت فكرتي ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾

ونحن نذكر ما وقع عليه اختيارنا من أبياته ونترك الباقي لركته ونبدله بأبيات من نظمنا ننبه عليها في الحاشية (فمنها) من البحر الطويل.

وإن شئتم تحيوا أميتوا نفوسكم ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾

ومنه أيضاً:

طريقان كل في ابتغاء طريقه ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾

ومن البحر المديد:

صدّني فيه لقد كلفوا بهواه مذ بليت بهم
ما ابتغوا إلا تقاطعنا ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾

ومن البحر البسيط:

بقيت خاتم رسل الله كلهم ﴿فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾

ومنه أيضاً[1]:

أين الذين بغوا في الأرض واجترحوا فيها الذنوب غدت فيها مدافنهم
أفناهم الموت طراً واستقل بهم ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾

ومن الوافر:

﴿وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾

ومنه أيضاً:

﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾

ومن الكامل:

﴿يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ﴾

ومن مجزوه:

ومن زال إبليس اللعين يضل في الدين القويم
﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

ومن الهزج:

﴿وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾

ومن الرجز:

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾

ومنه أيضاً:

وغوطة بالشام أضحى أهلها يرونها كجنة تمثيلا
﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾

ومن مجزوه:

﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾

(١) هذا من نظمنا لا من نظم صاحب الكتاب (المؤلف).

ومن بحر الرمل:

﴿مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ﴾

ومن مجزوه:

﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾

ومن بحر السريع:

أوقفني إنسانها في البكا (يا أيها الإنسان ما غركا)

ومنه أيضاً:(١)

قد أكمل الدين لكم ربكم في يوم خم وقوانينكم
فأنزل الله على عبده ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾

ومنه أيضاً:

﴿يا أيها الناس إتقوا ربكم زلزلة الساعة شيء عظيم﴾

ومنه:

من يتق الله ويصبر له ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾

ومن البحر الخفيف:

لا تدع اليتيم يوماً وكن في شأنه كله رؤوفاً رحيما
﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾

ومنه:

وعد الله منه جنة عدن كل من كان صالحاً وتقيا
ليس في وعده وحاشاه خلف ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾

ومن بحر المجتث:

وكيف أخشى ذنوبي (وهو الغفور الودود)

(١) هذا وما بعده من نظمنا ما عدى لا تدع اليتيم. وكيف أخشى ذنوبي (المؤلف).

ومن المتقارب:

إذا خفت يوماً توسل بمن	بمن لراجيه حرزاً حريزا
فيؤمنك الله مما تخاف	﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا﴾



الفصل الثاني

في تفسير جملة من الأحاديث الشريفة وما يرتبط بذلك

وفيه فوائد:

١ - في أمالي المرتضى ﵀: ما تأويل الخبر الذي روي عن النبي ﷺ (أن الميت ليعذب ببكاء الحي عليه) وفي رواية (إن الميت يعذب في قبره بالنياحة عليه) وروى المغيرة بن شعبة قال سمعت النبي ﷺ يقول (من ينح عليه فإنه يعذب بما نيح عليه).

الجواب: إذا كنا قد علمنا بأدلة العقل التي لا يدخلها الاحتمال ولا الاتساع والمجاز قبح مؤاخذة أحد بذنب غيره وعلمنا ذلك أيضاً بأدلة السمع مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤] فلا بد من أن نصرف ما ظاهره بخلاف هذه الأدلة إلى ما يطابقها والمعنى في الأخبار إن صحت روايتها أنه إن أوصى موص بأن يناح عليه ففعل ذلك بأمره وعن أذنه فإنه يعذب بالنياحة وليس معنى يعذب أنه يؤخذ بفعل النواح وإنما معناه أنه يؤاخذ بأمره بها ووصيته بفعلها وإنما قال ﷺ ذلك لأن الجاهلية كانوا يرون البكاء عليهم والنوح فيأمرون به ويؤكدون الوصية بفعله وهذا مشهور قال طرفة بن العبد:

فإن مت فانعيني بما أنا أهله ... وشقي علي الجيب يا أم معبد

وقال بشر بن أبي حازم لابنته عميرة:

فمن يك سائلاً عن بيت بشر[١] ... فإن له بجنب الرده[٢] بابا

ثوى في ملحد لا بد منه ... كفى بالموت نأياً واغترابا

رهين بلى وكل فتى سيبلى ... فأذري الدمع وانتحبي انتحابا

وقد روي عن ابن عباس في هذا الخبر أنه قال وهل (أي غلط) ابن عمر إنما مر

---

(١) أي قبره.

(٢) اسم موضع.

رسول الله ﷺ على قبر يهودي فقال: إنكم لتبكون عليه وإنه ليعذب في قبره (وقد روي) إنكار هذا الخبر عليه أيضاً عن بعض أزواج النبي ﷺ (وهي عائشة) وإنها قالت لما أخبرت بروايته وهل أبو عبد الرحمن كما وهل يوم قليب بدر إنما قال عليه السلام إن أهل الميت ليبكون عليه وإنه ليعذب بجرمه (ووهله) في ذكر القليب إنه روي أن النبي ﷺ وقف على قليب بدر فقال: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ثم قال: إنهم الآن ليسمعون ما أقول فأنكر ذلك عليه وقيل إنما قال عليه السلام إنهم الآن ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق واستشهد بقوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠] انتهى.

(أقول) ما ذكره من حمل التعذيب على صورة الإيصاء بالنوح لا يتم على إطلاقه لمنافاته لما هو المشهور بين أصحابنا على ما يظهر من جواز النوح بغير الباطل مع عدم سماع الأجنبي استناداً إلى الأخبار المستفيضة بذلك وفي بعض الموثقات أن الباقر أوصى إلى ولده الصادق عليه السلام أن يوقف له من ماله شيئاً لنوادب يندبنه عشر سنين بمنى أيام منى ونوح الزهراء عليها السلام على أبيها ﷺ مشهور كنوح الهاشميات على قتلى الطف ولما رجع رسول الله ﷺ من أحد وسمع النياحة على قتلى أحد لكن حمزة لا بواكي له فأمر بعض الأنصار نساءهم أن ينحن عليه فلا بد من التقييد بالنوح المحرم (والأولى) حمله على الغلط كما جاء في الأخبار هذا مع صحة الحديث وأين الصحة فيما يرويه المغيرة بن شعبة وقد أشبعنا الكلام في هذا الحديث وفي مسألة النياحة في كتابنا (اقناع اللائم على إقامة المآتم) فليرجع إليه من أراده.

٢ - في شرح الأربعين حديثاً للبهائي عن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي ﷺ (إن الله حرم الجنة على كل فحاش بذي قليل الحياء لا يبالي بما قال ولا قيل له فإنك إن فتشته لم تجد إلا لغيّة أو شرك شيطان).

قال رحمه الله: لعل المراد من التحريم التحريم زماناً أو المراد بالجنة جنة مخصوصة خلقت لغير الموصوف بالصفات المذكورة وإلا فالمؤمنون لا يخلدون في النار انتهى بمعناه (أقول) حمل التحريم على ذلك لا يخلو من بعد وأقرب منه أن يحمل على أن من كان بهذه الصفات لا يوفق للموت على الإيمان ما لم يرجع عنها أو يراد التحريم من حيث الصفات فأنها موجبة لدخول النار ومقتضية له ولا ينافي

ذلك إعطاؤه الجنة من وجه آخر بعد دخوله النار (ولعل) الأقرب من هذا كله الحمل على المبالغة للدلالة على شدة قبح هذه الصفات كما يقال حرمت النوم على عيني بعد أحبتي ونحو ذلك وباب المجاز والمبالغة واسع في كلام العرب (ثم قال) لغية يحتمل كونه بضم اللام وإسكان الغين المعجمة وفتح الياء المثناة من تحت أي ملغى والظاهر أن المراد به المخلوق من الزنا ويحتمل كونه بالعين المهملة المفتوحة أو الساكنة والنون أي من دأبه أن يلعن الناس أو يلعنوه قال في كتاب أدب الكاتب فعل بضم الفاء وإسكان العين من صفات المفعول وبفتح العين من صفات الفاعل يقال رجل هُمْزة للذي يهزؤ به وهُمَزة لمن يهزأ بالناس وكذلك لعنة ولعنة انتهى كلامه (أقول) العجب وقوع شيخنا البهائي رحمه الله في هذا الاشتباه فأن كلمة لغية فهي بكسر اللام وفتح الغين المعجمة وتشديد الياء المثناة من تحت بمعنى زنية واللام للجر يقال هو لرشدة ولغية والرشدة ضد الغية وعطف شرك شيطان عليه أيضاً دال على ذلك (قال) أو شرك شيطان. المصدر بمعنى اسم المفعول أو إسم الفاعل أي مشاركاً فيه مع الشيطان أو مشاركاً فيه الشيطان (قال المفسرون) في قوله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الإسراء: ٦٤] مشاركة الشيطان لهم في الأموال حملهم على تحصيلها وجمعها من الحرام وصرفها فيما لا يجوز وبعضهم على الخروج في إنفاقها عن الاعتدال أمّا بالإسراف والتبذير أو البخل والتقتير وأمثال ذلك وأما المشاركة لهم في الأولاد فحملهم على التوصل إليها بالأسباب المحرمة من الزنا ونحوه أو حملهم على تسميتهم لهم بعبد العزى وعبد اللات أو تضليل الأولاد بالحمل على الأديان الزائفة والأفعال القبيحة هذا كلام المفسرين (وروى) الشيخ الجليل ثقة الإسلام أبو جعفر بن الحسن الطوسي قدس الله روحه حديثاً يتضمن معنى آخر للمشاركة في الأولاد (روي) في باب الاستخارة للنكاح من تهذيب الأحكام عن أبي بصير عن أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: إذا تزوج أحدكم كيف يصنع قال قلت له: ما أدري جعلت فداك قال: فإذا همّ بذلك فليصل ركعتين ويحمد الله ويقول: (اللهم إني أريد أن أتزوج فاقدر لي من النساء أعفهن فرجاً وأحفظهن لي في نفسها وفي مالي وأوسعهن رزقاً وأعظمهن بركة وقدر لي فيها ولداً طيباً تجعله خلفاً صالحاً في حياتي وبعد موتي) فإذا دخلت عليه فليضع يده على ناصيتها ويقول: (اللهم على كتابك تزوجتها وفي أمانتك أخذتها وبكلماتك استحللت فرجها فإن

قضيت لي في رحمها شيئاً فاجعله مسلماً سوياً ولا تجعله شرك الشيطان) قلت وكيف يكون شرك شيطان فقال لي: إن الرجل إذا دنا من المرأة وجلس مجلسه حضره الشيطان فإن هو ذكر اسم الله تنحى الشيطان عنه وإن فعل ولم يسم أدخل الشيطان ذكره فكان العمل منهما جميعاً والنطفة واحدة قلت فبأي شيء يعرف هذا قال بحبنا وبغضنا (وهذا الحديث) يعضد قاله المتكلمون من أن الشيطان أجسام شفافة تقدر على الولوج في بواطن الحيوانات ويمكنها التشكل باي شكل شاءت انتهى كلام البهائي في أربعينه.

٣ - استدل على ثبوت الكذب في الروايات عن النبي ﷺ خلافاً لمن قال ان الله يصرف قلوب العباد عن أن يكذبوا عليه بما روي عنه ﷺ انه قال كثرت علي الكذابة لأنه إما أن يكون هذا الحديث صحيحاً أو لا وعلى كل منهما يثبت المطلوب.

٤ - في أمالي السيد المرتضى رحمه الله المعروف بالغرر والدرر قال: روى أبو عبيد القاسم بن سلّام (بتشديد اللام) في كتابه غريب الحديث عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: من أحبنا أهل البيت فليستعد للفقر جلباباً (وحكى) السيد عنه أنه رد على من فسر الفقر في الحديث بالفقر في الدنيا قال لأنا نرى فيمن يحبهم مثل ما نرى في سائر الناس من الفقر والغنى واستصوب أن يكون المراد الفقر يوم القيامة فكأنه أراد فليعد لفقره يوم القيامة ما يجبره (وحكى) السيد أيضاً عن عبد الله بن مسلم بن قتيبة أنه قال: وجه الحديث خلافاً ما قاله أبو عبيد وهو أن يراد الفقر في الدنيا بمعنى أن يصبر على التقلل من الدنيا والتقنع فيها وليأخذ نفسه بالكف عن أموال الدنيا وأعراضها وشبه الصبر على الفقر بالجلباب لأنه يستر الفقر ثم استشهد بما روي عنه عليه السلام من أنه رأى قوماً على بابه فقال: يا قنبر من هؤلاء قال: شيعتك قال: ما لي لا أرى فيهم سيماء الشيعة فقال: وما سيماء الشيعة قال: خمص البطون من الطوى ويبس الشفاه من الظمأ وعمش العيون من البكا واستحسن السيد الوجهين خصوصاً الثاني واحتمل وجهاً ثالثاً وهو أن أحد معاني الفقر أن يحز أنف البعير حتى يخلص إلى العظم أو قريب منه فيراد من أحبنا فليلزم نفسه وليخطمها وليقدها إلى الطاعات وليصرفها عما تميل طباعها إليه من الشهوات ويذللها على الصبر عما كره

منها ومشقة ما أريد بها كما يفعل بالبعير الصعب قال: وليس يجب أن يستبعد حمل الكلام على بعض ما يحتمله إذا كان له شاهد من اللغة وكلام العرب.

(أقول): لا يخفى بُعد الوجه الأول الذي اختاره أبو عبيد والثالث الذي احتمله السيد (وهنا وجه آخر) ويمكن رجوع ما ذكره ابن قتيبة إليه وهو أن حبهم الحقيقي لا يكون إلّا مع الاقتداء بهم والاقتفاء لطريقتهم وإطاعة أمرهم في الزهد في الدنيا والتقلل منها وصرف الأموال في سبيل الله وعدم ادخارها كما كانت هذه طريقتهم عليهم السلام وطريقة جدّهم النبي الكريم صلى الله عليه وآله فمن أحبهم حباً حقيقياً لا بد أن يقتدي بطريقتهم في ذلك وهي مؤدية إلى الفقر فليستعد للصبر عليه.

وأقرب من هذه الوجوه كلها أن يحمل الحديث على ظاهره من إرادة الفقر في الدنيا ويكون المراد به نظير ما ورد من أن المؤمن مبتلى وإذا أحب الله عبداً ابتلاه أو صب عليه البلاء صباً وإن الدنيا سجن المؤمن وغير ذلك مما هو متواتر معنى أو مستفيض ولا يخفى أنه لا يوفق لحبهم حباً حقيقياً إلّا من تمّ إسلامه وخلص إيمانه وقد دلّت الأحاديث المستفيضة أو المتواترة كما عرفت المطابقة لما هو المشاهد على أنه كلما تم إيمان الشخص كان معرضاً لبلايا الدنيا ومحنها ومن أعظمها الفقر هذا هو الظاهر من الحديث ولا داعي للعدول عنه إلّا ما توهمه أبو عبيد من أنا نرى فيمن يحبهم مثل ما نرى في سائر الناس من الغنى والفقر (وفيه) ما أشرنا إليه من أن المراد بالمحبة المحبة الحقيقية الكاملة التي لا تجتمع مع حب أضدادهم ولا توجد إلّا في خلص المؤمنين المطيعين لأمرهم المقتدين بطريقتهم وهذا ليس بكثير الوجود في الناس ولا نسلم أن من كان بهذه الصفة مساو لمن فقدها في الغنى والفقر ولا ينافيه عدم إطراد ذلك في جميع الأشخاص فإن الظاهر أن المراد كونه معرضاً للابتلاء بالفقر لا أنه لا بد أن يبتلي بذلك فقد تقتضي المصلحة والحكمة عدم إبتلائه.

وهناك وجه آخر قريب أيضاً وهو أن من أحبهم وعرف بحبهم كان معرضاً للاضطهاد من أعدائهم لا سيما في دولة بني أمية بل ودولة بني العباس بل في كل زمان فقد كانت تهدم دورهم وتنهب أموالهم ويقصون عن الأعمال والولايات ويمنعون العطاء ويعيشون في خوف وتقية وكل ذلك من أسباب الفقر.

٥ - ومن أمالي المرتضى أيضاً عند ذكر الحديث الوارد عنه عليه السلام: (إن أكثر

أهل الجنة البله) قال: فقد قيل فيه أنه لم يرد بالبله ذوي الغفلة والنقص والجنون وإنما أراد البله عن الشر والقبيح وسماهم بلهاً عن ذلك من حيث لا يستعملونه ولا يعتادونه لا من حيث فقد العلم به (قال) ووجه تشبيه من هذه حاله بالأبله ظاهر فإن الأبله عن الشيء هو الذي لا يتعرض له ولا يقصد إليه وإذا كان المتنزه عن الشيء معرضاً عنه هاجراً لفعله جاز أن يوصف بالبله للفائدة التي ذكرناها قال ويشهد بصحة هذا التأويل قول الشاعر:

ولقد لهوت بطفلة ميالة[١] بلهاء تطلعني على أسرارها

أراد أنها بلهاء عن الشر والريبة وإن كانت فطنة لغيرهما وقال أبو النجم العجلي:

من كل عجزاء سقوط البرقع[٢] بلهاء لم تحفظ ولم تضيع[٣]

أراد بالبلهاء ما ذكرنا (قال) ومما يشهد أن المراد بالبله ذلك لا الغفلة قول ابن الدمينة:

بنفسي وأهلي من إذا عرضوا له ببعض الأذى لم يدر كيف يجيب
ولم يعتذر عذر البري ولم تزل به سكتة حتى يقال مريب

وقول الآخر:

أحب اللواتي في صباهن[٤] غرة[٥] وفيهن عن أزواجهن طماح[٦]

---

(١) الطفلة بالفتح الجارية الرخصة الناعمة (والميالة) كثيرة التمايل لدلالها ودقة خصرها وفي نسخة ميادة وهي بمعناها وماد تبختر.

(٢) أي تبرز وجهها ولا تستره ثقة بحسنها وإدلالاً بجمالها نظير قوله:

فلما توافقنا وسلمت أسفرت وجوه زهاها الحسن أن تتقنما

زهاها أي استخفها.

(٣) لم تحفظ أي إن استقامة طرائقها تغني عن حفظها وأنها لعفافها ونزاهتها غير محتاجة إلى حافظ ومسدد (ولم تضيع) لم تهمل في أغذيتها وتنعيمها وترفيهها فتشقى (المؤلف).

(٤) الصبا جهالة الفتوة إذا فتحت الصاد مددت وإن كسرتها قصرت.

(٥) غفلة.

(٦) الطماح ككتاب النشوز والامتناع وأراد به الامتناع ظاهراً دلالاً أو إحياء كما يدل عليه البيت الثاني.

مسرات حب مظهرات عداوة تراهن كالمرضى وهن صحاح[1]

(واحتمل) أن يكون البله في الحديث محمولاً على البله الذي هو الغفلة والنقصان حقيقة قال: فعندنا إن الله تعالى ينعم الأطفال في الجنة والمجانين والبهائم إلى آخر ما قال (أقول) الأبله هو الذي غلب عليه سلامة الصدا لا الناقص العقل أو المجنون كما يفهم من كلام السيد وحينئذٍ فمعنى الحديث إن البله هم من أهل الجنة لبعدهم عن أغلب الشرور التي يبتلي بها غيرهم إن لم يردهم حاجز التقوى كما هو مشاهد في الفريقين وكذلك المراد بالبله المحمود في النساء الذي كثر وصفهن به ما كان ناشئاً عن عدم التجربة وعدم المبالاة بسبب التيه وصغر السن والتقلب في النعم ونحو ذلك لا القصور في العقل والإدراك وعدم الفطنة فإنه لا يحمد في أحد وقوله في البيت الأول الذي استشهد به تطلعني على أسرارها يدل على أن المراد بالبله سلامة الصدر والغفلة في كل شيء لا عن خصوص الشر والريبة فإنه بمنزلة التفسير للبلهاء ويمكن أن يريد بأسرارها ما استتر من محاسنها وكذلك باقي الأبيات التي استشهد بها لا دلالة فيها على إرادة البله عن الشر والريبة بخصوصه.

٦ - وفي أمالي المرتضى أيضاً في تفسير قول النبي ﷺ فيما رواه أبو هريرة: من أحب الأعمال (أو أن أحب الأعمال) إلى الله عز وجل أدومها وإن قل فعليكم من الأعمال بما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا (ذكر) في بيان وصفه عليه السلام الله تعالى بالملل وجوها أربعة أحسنها الوجه الثالث وهو أن يكون المعنى عنكم أنه تعالى لا يقطع عنكم فضله وإحسانه حتى تملوا من سؤاله ففعلهم ملل على الحقيقة وسمى فعله تعالى مللا وليس بملل على الحقيقة للازدواج ومشاكلة اللفظين في الصورة وإن اختلفا في المعنى ومثل هذا قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤] ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] فمن إعتدى علكم فإعتدوا عليه بمثل ما إعتدى عليكم,وجزاء سيئة مثلها ومثله قول الشاعر:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

(١) أما للذبول عيونهن فإنها تشبه كثيراً بالمرضى أو لإظهارهن التكاسل والتفادي من كل شيء تجنباً ودلالاً (المؤلف).

وإنما أراد المجازاة على الجهل لأن العاقل لا يفخر ولا يتمدح بالجهل (أقول) الأولى أن يقال فإن الله لا يقطع الثواب عنكم حتى تملوا من العمل وتقطعوه دعاء كان أو غيره وحمله على خصوص الدعاء والسؤال لا شاهد عليه بل الكلام ظاهر في الأعم وعليه فحاصل معنى الحديث إن العمل الدائم وإن قل أحب إلى الله تعالى من المنقطع وإن كثر لأن الدائم مع قلّته ربما يزيد على المنقطع مع كثرته ثم قال: فعليكم من الأعمال بما تطيقون، أي بما يكون خفيفاً عليكم لا مشقة شديدة فيه لأنه أرجى للدوام ولا تعملوا عملاً شاقاً يكون سبباً للعجز وقطع العمل ثم قال: فإن الله لا يمل أي من ثوابكم على العمل وإن طالت مدته لأنه لا يجوز عليه الملل حتى تملوا من العمل فتقطعوه فينقطع الثواب عنكم فسمي قطعه مللاً من باب المجاز لمشاركته الملل في الأثر الحاصل عنهما وهو قطع الثواب وللمشاكلة كما ذكره السيد والله العالم.

في كتاب المجازات النبوية للسيد الرضي ﷺ في تفسير قوله ﷺ وقد نظر إلى أحد منصرفه من غزاة خيبر (هذا جبل يحبنا ونحبه) قال السيد: هذا القول محمول على المجاز لأنّ الجبل على الحقيقة لا يصح أن يحب ولا يحب إذ محبة الإنسان لغيره وإنما هي كناية على إرادة النفع له أو التعظيم المختص به على ما بيناه في عدة مواضع من كتابينا المشهورين في علوم القرآن وكلا الأمرين لا يصح على الجماد لا التعظيم المختص به ولا النفع العائد عليه فمستحيل أن يعظم أو يعظم أو ينفع أو ينتفع فالمراد إذاً أن أحداً جبل يحبنا أهله ونحن أهله وأهله هم أهل المدينة من الأنصار أوسهم وخزرجهم وغير خاف حبهم النبي عليه السلام وحبه لهم وتعظيمهم له وإعظامه لقدرهم ألا ترى إلى قوله ﷺ: ولو سلك الأنصار شعباً وسلك الناس شعباً لسلكت شعب الأنصار ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار إلى غير ذلك (قال) ومثل هذا الحديث ما روي عنه عليه السلام (نهران مؤمنان النيل والفرات ونهران كافران دجلة ونهر بلخ) فإن كان هذا الخبر صحيحاً فتأويله أن أهل هذين النهرين مؤمنون وأهل هذين النهرين كافرون ويكون ذلك في وقت مخصوص أو على الأغلب من الأحوال في زمان معلوم لأن من أهل هذين النهرين المؤمن والكافر كما أن من أهل ذينك النهرين البر والفاجر.

(أقول) أما كون الجبل لا يحب بصيغة البناء للمفعول فمنظور فيه لأن الحب هو الميل القلبي ويمكن ميل القلب إلى بقعة من الأرض أو مكان مخصوص منها لطيب الهواء وعذوبة الماء ونحو ذلك كما يميل الإنسان إلى وطنه وقد ورد حب الوطن من الإيمان وأما كون الجبل لا يحب بصيغة البناء للفاعل على الحقيقة فظاهر لأنه جماد أما تأويله بأنه يحبنا أهله ونحب أهله فبعيد لأن ما ورد من هذا القبيل مثل قوله تعالى: ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ﴾ [الإسراء: ١٦] يكون للمضاف المحذوف ملابسة شديدة بالمضاف فإن أهل القرية باعتبار كثرة وجودهم فيها وترددهم إليها تكون ملابستهم لها شديدة فيجوز ذكرها وإرادتهم أما أحد فليس له هذه الميزة مع أهل المدينة ومجرد وجوده بجوار المدينة لا يوجب ذلك إذ يشاركه في ذلك غيره من جبالها كعير وعير فما وجه تخصيص أحد، نعم لو قال المدينة نحبها وتحبنا أمكن فيه ذلك (لا يقال) وجه التخصيص وقوع نظره ﷺ عليه في ذلك الوقت دون غيره (لأنا نقول) هذا لا يصلح وجهاً للتخصيص لأن المقصود الأصلي من هذا الكلام على هذا هو بيان حب أهل المدينة له وحبه لهم فعبر عن ذلك بحب المكان فالأنسب أن يذكر مكاناً له مزيد اختصاص بأهل المدينة وتميز عن غيره في إضافته إليهم واحد ليس كذلك ووقوع نظره ﷺ عليه في تلك الساعة لا يجعل له مزيد اختصاص بهم بل الذي له ذلك الاختصاص هي المدينة نفسها بل هذا الكلام ظاهر في أن لأحد ميزة على غيره من جبال المدينة وسائر أماكنها هذا القول منه ﷺ في حقه ولا يمتنع أن يكون لهذا الجبل ميزة في أصل خلقه أوجبت نسبة المحبة إليه مجازاً إن لم تكن حقيقة وإن لم تعرف تلك الميزة بعينها ولم ندركها تفصيلاً وقد جاء في الأخبار إثبات مزايا لبعض بقاع الأرض على بعض نظير ما ورد في النهي عن الشرب في فخار مصر وعن غسل الرأس بطينها وجاء أن جميع بقاع الأرض بكت على الحسين عليه السلام سوى الشام والبصرة وإن كان الظاهر أن الأخير مراد به الأهل باعتبار أن أهل البصرة والشام في ذلك الوقت كانوا بعيدين عن حب أهل البيت عليهم السلام وليس يمتنع اختصاص أحد ببركة من الله تعالى كما اختصت أرض المدينة ومكة بذلك واختص من بينها الحرم والكعبة وهذه البركة صححت إثبات محبتهم عليهم السلام له وصححت التجوز بإثبات محبته لهم (أما) نسبة الإيمان والكفر إلى بعض الأنهار فحملها على إيمان أهلها وكفرهم بعيد بل فاسد فإنه في زمن

النبي ﷺ كان جميع أهلها كفاراً وبعد ذلك صار جميعهم مسلمين والأولى الحمل إن صح الخبر على إرادة أن بعض الأنهار يؤثر ماؤها رقة في الطبع وميلاً إلى الخير وبعضها يؤثر قساوة وبعداً عن الخير أو ما أشبه ذلك ولا ينافي خروج عدة من العلماء والصلحاء من البلدان التي على شاطئ دجلة ونهر بلخ فإن مثل هذه الخواص ليست عللاً تامة كما لا يخفى.



الفصل الثالث

في تفسير جملة من الأبيات التي قد يشكل فهم معناها

وفيه فوائد:

١ - قال علي بن الجهم:

ربما عالج القوافي رجال بالقوافي فتلتوي وتلين
طاوعتهم عين وعين وعين وعصتهم نون ونون ونون

وقد أجاب عن ذلك الصفي الحلي بقوله:

كفمٍ مع دم حم أعين اللفـ ـظات منها حرف الروي يكون
ودواة وحروف خط وحوت السـ ـيم تعصي الروي والكل نون

(وأقول) القوافي الأولى القصائد لأن القصيدة تسمى قافية تسمية للكل باسم جزئه ومنه (فلما قال قافية هجاني) والثانية بمعنى الروي (وحاصل الجواب) أنها طاوعتهم عين الكلمة في فم ودم وحم لأن الميم فيها عين الكلمة ولامها محذوفة فصلحت أن تكون روياً في قصيدة واحدة وعصتهم ألفاظ متغايرة الأواخر وكلها تسمى نوناً وهي الدواة والنون التي هي أحد حروف الهجاء والحوت ومنه ذو النون ليونس عليه السلام فإن هذه الألفاظ الثلاثة لا تصلح روياً في قصيدة واحدة (وفي كشكول الشيخ يوسف البحراني) عن بعض التواريخ في ترجمة ابن الحاجب قال أنشدني الشيخ جمال الدين أبو عمرو عثمان بن الحاجب ما ذكره بعض أصحاب التواريخ في المعميات وذكر البيتين الأولين (قال) ثم قال: كتب هذان البيتان إلى حاذق بإخراج المعميات فأقام ستة أشهر ينظر فيهما إلى أن كشفهما أصلاً فأرضبت عن النظر فيهما لما تبين ثم حلف بإيمان مغلظة أن لا ينظر في معمى أبداً ولم يذكر تفسيرهما من عسرهما من سياق الحكاية ثم بعد أربعين سنة خطراً لي في الليل فتفكرت فيهما فظهر لي أمرهما فإنه أراد بقوله طاوعتهم عين وعين وعين نحو يد وغد ودد لأنها عينات مطاوعة في القوافي مرفوعة ومنصوبة ومجرورة والدال في كل منها عين الكلمة ووزنها فع وأراد (بعصتهم) نون ونون ونون الحوت والدواة وحرف النون

لأنها كلها تسمى نوناً وكلها غير مطاوعة في القوافي ثم نظم ذلك ﷺ في بيتين على وزن السؤال وهما:

أي غـد مـع يـد ذي حـروف ... طاوعت في الروي وهي عيون
ودواة والحوت والنون نونا ... ت عصتهم وأمرها مستبين

ولا يشك عارف أنه لم يرد سوى ذلك انتهى.

ونسب ابن خلكان في تاريخه البيتين إلى ابن الحاجب والذي وجدنا نسبتهما إلى ابن الجهم ولعل الاشتباه نشأ من إنشاد ابن الحاجب لهما فَظُن أنهما له (واعترض) الشيخ يوسف رحمه الله على الجواب المذكور بعد اعترافه بأنه في غاية الحسن ودال على الذكاء المفرط بأنه مسلم في العينات دون النونات لأنها تقع قوافي بلفظ النون ويكون من الجناس الذي اتفق لفظه واختلف معناه كما نظم الناس مثله في الخال والهلال والعين وغير ذلك (أقول) مع كون هذا الاعتراض اعتراضاً على ما ليس مبنياً على التدقيق فهو غير وارد فإن الناظم أراد أن لفظ دواة وحوت ونون تعصي الروي والمعترض يقول لفظ نون الذي هو اسم لكل من هذه المسميات لا يعصي الروي.

٢ - قال أبو تمام يمدح مالك بن طوق بن عتاب التغلبي:

بنى به الله في بدو وفي حضر ... لتغلب سور عز غير منهدم
فجاء والنسب الوضاح جاء به ... كأنه بهمة فيهم من البهم
طعان عمرو بن كلثوم ونائله ... إن السيور التي قدت من الأدم
لو كان يأمل عمرو مثله ولدا ... من صلبه لم يجد للموت من ألم

البهمة هنا الجيش ومنه قولهم فارس بهمة وليث غابة؛ أي كأنه جماعة لقيامه مقامهم وإن كان واحداً (والبهمة) أيضاً الشجاع الذي لا يدري من أين يؤتى والجمع بهم كصرد قال:

ببهمة منيت شهم قلب ... منجد لا ذي كهام ينبو

وقال زيد بن حمل:

هم البحور عطاء حين تسألهم ... وفي اللقاء إذا تلقى بهم بُهَم

(والسير) بالفتح الذي يقدّ من الجلود والجمع سيور والأدم جمع أديم؛ (وعمرو) بن كلثوم التغلبي من أجداد الممدوح وإلى مالك هذا تنسب (رحبة مالك) وهي مدينة بين الرقة وبغداد أحدثها مالك في عهد المأمون: وقيل في عهد الرشيد وكان سبب ذلك أنه اجتاز مع الرشيد في حراقة في الفرات حتى بلغ الشذا فلما قرب من الدواليب قال له مالك لو خرجت إلى الشط إلى أن تجوز هذه البقعة فقال الرشيد أحسبك تخاف هذه الدواليب؛ قال يكفي الله أمير المؤمنين كل محذور ولكن إن رأى ذلك رأياً وإلا فالأمر له فنزل الرشيد إلى الشط فلما بلغت الحراقة موضع الدواليب دارت ثم انقلبت، فسجد الرشيد لله شكراً وفرق مالاً عظيماً على الفقراء بتلك النواحي وقال لمالك وجبت لك علي حاجة فسل؛ فسأله أن يقطعه في هذا الموضع أرضاً يبنيها مدينة تنسب إليه ففعل وأعانه في عمارتها.

٣ - قال أبو العلاء المعري:

وقال الوليد النبع ليس بمثمر وأخطأ سرب الوحش من ثمر النبع

الوليد هو أبو عبادة البحتري الشاعر المشهور والنبع شجر القسي والسهام وهذا إشارة إلى قول البحتري (والنبع عريان ما في فرعه ثمر) وقوله سرب الوحش أراد به ما يسبى من النساء بالقهر والغلبة فجعله ثمراً للنبع باعتبار أنها تؤخذ فتكون من ثمرها على التشبيه أو أراد به ما يصاد من الوحش.

٤ - في وفيات الأعيان لابن خلكان في ترجمة عبد الله بن المعتز (ما لفظه)؛ وله في الخمر المطبوخة وهو معنى بديع وفيه دلالة على أنه كان حنفي المذهب:

خليلي قد طاب الشراب المورّد وقد عدت بعد النسك والعود أحمد

فهاتا عقاراً في قميص زجاجة كياقوتة في درة تتوقد

يصوغ عليها الماء شباك فضة له حلق بيض تحل وتعقد

وقتني من نار الجحيم بنفسها وذلك من إحسانها ليس يجحد

انتهى (وأقول) محل الدلالة البيت الأخير وذلك أن الأئمة الثلاثة على ما نقله الشعراني في ميزانه في باب حد شرب المسكر اتفقوا على أن كل شراب يسكر كثيرة فقليله حرام؛ وأنه يسمى خمراً وفي شربه الحد سواء كان من عنب أو زبيب أو حنطة

أو شعير أو ذرة أو أرز أو عسل أو لبن ونحو ذلك نيّاً كان أو مطبوخاً؛ خلافاً لأبي حنيفة فإنه قال نقيع التمر والزبيب إذا اشتد كان حراماً قليله وكثيره ويسمى نبيذاً لا خمراً فإن أسكر ففي شربه الحد وهو نجس فإن طبخا أو كانا في طبيخ حل منهما ما يغلب على ظن الشارب منه أنه لا يسكره من غير طرب فإن اشتدا حرم الشرب منهما ولم يعتبر في طبيخها أن يذهب ثلثاهما وأما نبيذ الحنطة والأرز والشعير والذرة والعسل فإنه حلال عنده نقيعاً ومطبوخاً وإنما يحرم المسكر منه فقد أحل الشراب المطبوخ المتخذ من التمر أو الزبيب إذا غلب على الظن أنه لا يسكر لقلته من غير طرب وحرم ذلك من غير المطبوخ؛ فلما كان الطبخ سبباً للحل عنده قال ابن المعتز وقتني من نار الجحيم الخ؛ أي كان سبب حلها طبخها على النار فدل على أنه حنفي المذهب.

٥ - قال أبو تمام يمدح محمد بن عبد الملك الزيات:

أعطي ونطفة وجهي في قرارتها   تصونها الوجنات الغضة القشب

(النطفة) الماء الصافي قل أو كثر، وقال أمير المؤمنين عليه السلام في الخوارج؛ لما قيل لهم أنهم عبروا جسر النهروان: مصارعهم دون النطفة فعبّر عن ماء النهر بالنطفة، يريد أعطاني ولم أبذل ماء وجهي له بالسؤال بل أعطاني بغير سؤال يعبر عن السؤال ببذل ماء الوجه وعن تركه بصونه ووجه، المناسبة أن السؤال يوجب قلة الحياء وهم يعبرون عن قلة الحياء بصلابة الوجه أي إنه لا يتأثر بالخجل ومن لوازم الصلابة عدم وجود الماء كما في العود اليابس والأرض اليابسة فعبروا عن السؤال ببذل ماء الوجه وإراقة ماء الوجه ونحو ذلك وعن عدمه بصون ماء الوجه وبقائه ونحو ذلك (والقرارة) ما يقر فيه الشيء (والوجنات) جمع وجنة بتثليث الواو وككلمة وبالتحريك ما ارتفع من الخدين (والغضة) الحسنة الناضرة من النضرة بالفتح وهي الحسن والبهجة (والقشب) بضمتين جمع قشيب وهو المجلو والصدىء والجديد والخلق من أسماء الأضداد والمراد هنا الأول ويحتمل إرادة الثاني بمعنى أنها غضة في الحقيقة لعدم بذلها في السؤال؛ وإن كانت قشباً للرائي لكثرة الأسفار والتقشيب وعدم المبالاة بتحسين الوجه إذ المدار على الحسن الباطني لا الظاهري فإن ذلك ليس مما يتعلق به همم الرجال وإنما هو شأن ربات الحجال.

٦ - قال أبو الفضل بديع الزمان أحمد بن الحسين الهمذاني؛ نسبة إلى همذان المدينة المشهورة من قصيدة يمدح بها الأمير أبا علي:

علي أن لا أريح العيس والقتبا ... وألبس البيض والظلماء واليلبا
وأترك الخود معسولاً مقبلها ... وأهجر الكاس بعرو شربها طربا
حسبي الفلا مجلساً واليوم مطربة ... والسير يسكرني من مسه تعبا
وطفلة كقضيب البان منعطفاً ... إذا مشت وهلال الشهر منتقبا
تظل تنثر من أجفانها دررا ... دوني وتنظم من أسنانها حببا
قالت وقد علقت ذيلي تودعني ... والوجد يخنقها بالدمع منسكبا
لا در در المعالي لا يزال لها ... برق بسوقك لا هوناً ولا كثبا
طلعت لي قمراً سعداً منازله ... حتى إذا قلت يجلو ظلمتي غربا
كنت الشبيبة أبهى ما دجت درجت ... وكنت كالورد أذكى ما أتى ذهبا
أبى المقام بدار الذل لي شرف ... وهمة تصل التخريد والخببا
وعزمة لا تزال الدهر ضاربة ... دون الأمير وفوق المشتري طنبا
وكاد يحكيه صوب الغيث منسكباً ... لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا

(العيس) بالكسر الإبل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة، واحدها أعيس والأنثى عيساء (والقتب) رحل صغير على قدر السنام (والبيض) الحديد الذي يلبس على الرأس واحدته بيضة (واليلب) قيل جلود توضع تحت البيضة وقيل هي الدروع اليمانية كانت تتخذ من الجلود يخرز بعضها إلى بعض؛ اسم جنس الواحدة يلبة قال عمرو بن كلثوم:

عليها البيض واليلب اليماني ... وأسياف يقمن وينحنينا

وظن بعضهم من هذا البيت أن اليلب خالص الحديد وغلطه ابن دريد قال الجوهري (ويقال) اليلب كل ما كان من جنن الجلود لا الحديد ومنه قيل للدرق يلب قال:

عليهم كل سابغة دلاص ... وفي أيديهم اليلب المدار

واليلب في الأصل اسم ذلك الجلد قال أبو دهبل الجمحي:

درمي دلاص شكها شك عجب ... وجوبها الفاتر من سير اليلب

(دهبل) بفتح الدال والباء انتهى (والجواب) القطع والقد جاب النعل جوباً قدها وهو هنا بمعنى اسم المفعول (والفاتر) اللين أراد به ما أجيد دبغه (والسير) ما يقد من الجلد ونسبة اللبس إلى الظلماء مجاز عقلي بعلاقة الاشتمال (ومعسولا) ممزوجاً بالعسل من عسلت الطعام إذا عملته بالعسل، (وعراه) يعروه غشيه وحق الكلام؛ يعروني الطرب لشربها وكأنه ضمن يعرو معنى يكسب والجملة حال أو يعرو على معناها وطرباً تمييز محول عن مضاف؛ والأصل يعروني طرب شربها كما تقول عراني هذا الأمر ذلاً أي عراني ذله (والطفلة) بفتح الطاء المرأة الناعمة (ومنعطفاً ومنتقباً) بفتح الطاء والقاف اسماً مكاني الانعطاف والانتقاب لأن اسمي المكان والزمان يصاغان من غير الثلاثي بوزن اسم المفعول ويحتمل في تشبيه المنتقب بالهلال وجهان (أحدهما) تشبيه الانتقاب على بعض الوجه دون بعض بهيئة الهلال في شكله وفي حسنه ونوره؛ كما قال ابن منير الطرابلسي:

هو كالهلال منقباً ... والبدر حسناً أن سفر

وقلت من أبيات:

بالبدر شبه مسفرا ... وإذا تنقب بالهلال

في وجنتيه وجيده ... ما في الغزالة والغزال

الغزالة الشمس ومنه قول الأمير أبي فراس الحمداني:

ولقد علمت وما علمت ... وإن أقمت على صدوده

إن الغزالة والغزا ... له في ثناياه وجيده

قوله وما علمت أي والذي علمته فهو بمنزلة التأكيد اللفظي أو ما نافية أي علمت تشبيهاً ومبالغة وما علمت حقيقة (ونظير) بيت ابن منير قول الآخر:

تبدت لنا كالشمس تحت سحابة ... بدا حاجب منها وضنت بحاجب

(ثانيهما) تشبيه الوجه بالهلال في الحسن والإنارة دون الهيئة ويؤيده أن الانتقاب غالباً يكون على تمام الوجه (والحبب) ما يعلو الكاس من الفقاقع (قوله) لا در در المعالي. إذا أرادوا المبالغة في مدح شيء وإظهار التعجب منه يقولون لله دره

أي لبنه الذي تغذى به وتربى وأضيف إلى الله تعالى قصداً للتعظيم؛ وقيل لله دره أي عمله وفعله فإذا أرادوا ذم شيء قالوا لا در دره أي لا در لبنه وأرادوا به لا زكا عمله (والهون) السكينة والوقار قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣] والمراد هنا بطء السير والكثب القريب أي يسير بك سيراً لا بطيئاً ولا قريباً.

(والتخويد) سرعة السير (والخبب) نوع من العدو سريع هو أن يرفع الفرس أيامنه وأياسره جميعاً في العدو؛ (والمشتري) نجم في السماء السادسة وهذا التخلص مستحسن جداً وما أحسن استدراكه بقوله دون الأمير (ومن التخلصات المستحسنة) قول أبي تمام في عبد الله بن ظاهر:

يقول في قومس صبحي قد أخذت ... منا السرى وقرى المهرية القود

أمطلع الشمس تبغي أن تؤم بنا ... فقلت كلا ولكن مطلع الجود

(قومس) بفتح القاف وآخرها سين صُقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل (والقرى) بفتح القاف والقصر الظهر معطوف على نا (والمهرية) بفتح الميم الإبل المنسوبة إلى مهرة بن حيدان (والقود) الطوال الظهور والأعناق واحدها أقود (وقوله) أمطلع الشمس استفهام توبيخي على الادعاء لا الحقيقة؛ وأخذ أبو تمام البيتين بلفظهما من قول مسلم بن الوليد:

يقول صبحي وقد جدوا على عجل ... والخيل تستن بالركبان في اللجم

أمطلع الشمس تبغي أن تؤم بنا ... فقلت كلا ولكن مطلع الكرم

(استن) الفرس أي قمص وهو أن يرفع يديه ويطرحهما معاً ويعجن برجليه.

٧ - قال السيّد حيدر الحلي رحمه الله المتوفى سنة ١٣٠٤ هـ الشاعر المشهور صاحب القصائد الكثيرة السائرة في رثاء سيد الشهداء عليه السلام؛ ومما يؤثر عنه أنه لما أنشده منشد قول السيد الرضي رضي الله عنه:

ولو غير قلبي ضم ذا العزم شقه ... ولكنه لا يقتل الصل سمه

حركهُ هذا البيت وقال لله دره مدح قلبه وذم قلب غيره ومدح عزمه وذم عزمه غيره وضرب هذا المثل العظيم بهذه الكلمة العظيمة قال من قصيدة:

حل ما لا تبرك الإبل على مثله يوماً ولو زيدت عقالا

(الإبل) بكسرتين وتسكن الباء واحد يقع على الجمع وليس بجمع ولا اسم جمع جمعها آبال وتصغيرها أبيلة (والعقال) الحبل الذي يعقل به البعير جمعهُ عقل ككتاب وكتب؛ ومن عادة العرب أن تقول عند استعظام أمر:

هذا الأمر لا تبرك عليه أو على مثله الإبل يكنون بذلك عن أنه لا يحتمل؛ وذلك أنهم كانوا إذا حل بهم ضيم أو نزل بهم أمر مهم دفعوه بالرحيل ويحتمل يكون كناية عن الحرب لأن الحرب يلزمها أن لا تكون الإبل باركة.

٨ - قال أبو نواس الحسن بن هاني:

فاسقني البكر التي اعتجرت بخمار الشيب في الرحم

هذا البيت من القصيدة التي يقول فيها في وصف الخمر:

وتمشت في مفاصلهم كتمشي البرء في السقم

(البكر) العذراء وأول كل شيء والمراد الخمر، ووصفها بالبكر إما لأنه أراد أن يكون أول من يفض ختامها ويشرب من دنانها أو إنها من أول دفعة أخرجت من العنب أو نحو ذلك (والاعتجار) لبسة للمرأة (وفي كشكول البهائي حكي أنه ذكر للرشيد هذا البيت فقال لمن حضره ما معناه فقال أحدهم إن الخمرة إذا كانت في دنها كان عليها شيء مثل الزبد وهو الذي أراده؛ وكان الأصمعي حاضراً فقال يا أمير المؤمنين إن أبا علي رجل خطر وأن معانيه لخفية فاسألوه عن ذلك فأحضر وسئل فقال إن الكرم أول ما يخرج العنقود في الزرجون وهي قضبان الكرم يكون عليه شيء شبيه بالقطن؛ فقال الأصمعي ألم أقل لكم إن أبا نواس أدق نظراً مما ذكرتم قوله خطر أي ذو خطر وقدر عظيم.

٩ - قال الشاعر أورده البهائي في الكشكول:

وشادن مبتسم عن حبب مورد الخد مليح الشنب
يلومني العاذل في حبه وما درى شعبان أني رجب

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كانت العرب تسمي المحرم المُؤتَمر وصفر ناجراً وربيعاً الأول خواناً وربيعاً الثاني صواناً وجمادى الأول الحنين وجمادى الآخرة الرنىٔ ورجب

الأصم وشعبان العاذل ورمضان فاتقاً وشوالاً واغلاً وذا القعدة هواعاً وذا الحجة بركاً انتهى. (والمؤتمر) ومؤتمر بأل وبدونها بوزن اسم الفاعل لأنه يأتمر بكل شيء مما تأتي به السنة (وناجر) بالنون والجيم والراء المهملة من النجر وهو شدة الحر، في القاموس هون هو رجب أو صفر (والخوان) كشداد ويضم من الخيانة (وصوان) بكسر الصاد ضمها وتشديد الواو من الصيانة (وحنين) كأمير وسكيت وباللام فيهما اسمان لجمادى الأولى والآخرة (والعاذل) في القاموس اسم شعبان في الجاهلية أو شوال (وهواع) بالعين المهملة كغراب؛ والرنى وفاق ومبرك لم أعثر عليها فيما حضرني من كتب اللغة (وواغل) سمي به لأنه يهجم على شهر رمضان والواغل الداخل على شرب ولم يدعوه؛ وقلت في هذا المعنى من قصيدة:

رجب عند عذله أو يلفى ... رجب مصغياً إلى شعبان

(ونظير هذا) أن أيام الأسبوع كانت عند العرب على غير ما هي عليه الآن ويجمعها قول الشاعر:

أؤمل أن اعيش وأن يومي ... بأول أو بأهون أو جبار
أو التالي دبار فإن أفته ... فمؤنس أو عروبة أو شيار

(أول) الأحد (وأهون) الاثنين (وجبار) بضم الجيم وتخفيف الباء الموحدة الثلاثاء (ودبار) بضم الدال المهملة وتخفيف الباء الموحدة الأربعاء (ومؤنس) الخميس (وعروبة) بفتح العين الجمعة (وشيار) بكسر الشين المعجمة وتخفيف الياء المثناة من تحت السبت.

١٠ - قال محمد بن أبي وهيب الحميري:

من يعمر يفجع بفقد الأحبا ... ومن مات فالمصيبة فيه

هذا مضمون كلام أمير المؤمنين عليه السلام: من قصر عمره كانت مصيبته في نفسه ومن طال عمره تواترت مصائبه ورأى في نفسه وأحبائه ما يسوءه وقريب منه قول الآخر:

من يتمنَّ العمر فليدرع ... صبراً على فقد أحبائه
ومن يعمر يلق في نفسه ... ما يتمناه لأعدائه

١١ - قال الشاعر:

مصيبته إذا أعطى سرور | وإن أخذ الذي أعطى أثابا
فأي النعمتين أحق شكراً | وأجزل في عواقبها إيابا
أنعمته التي أبدت سروراً | أم الأخرى التي ادخرت ثوابا

المراد التسلية عن الميت بأن في وجوده السرور الدنيوي الفاني وفي موته الثواب الأخروي الباقي؛ والثاني أحق بالشكر وأدعى إلى السرور.

١٢ - قال عمر بن الفارض من قصيدة:

نصبا أكسبني الشوق كما | تكسب الأفعال نصباً لام كي
ومتى أشكو جراحاً بالحشى | زيد بالشكوك إليها الجرح كي
عين حسادي عليها لي كوت | لا تعداها اليم الكي كي
عجباً في الحرب أدعى باسلاً | ولها مستقبلاً في الحب كي
ولنا بالشعب شعب جلدي | بمدعم خان وقلبي كاء كي
واجداً منذ جفا برقعها | ناظري من قلبه في القلب كي

وقد وجد بخط الشيخ حسن البوريني أن (الأولى) كي الناصبة (والثانية) بمعنى الوسم (والثالثة) مصدر كوت العين إذا أحدت النظر (والرابعة) بمعنى الجبان وأصله الهمزة فقلبت ياء وأدغمت في الياء (والخامسة) مصدر كاء أي ضعف (والسادسة) مصدر كوته العقرب أي لدغته انتهى (والنصب) التعب وزناً ومعنى (قوله) لا تعداها دعاء على عين الحساد بالكي بالنار وكي الأخيرة مفعول مطلق لكوت (والشعب) الأولى بكسر الشين موضع والثاني بفتحها القبيلة العظيمة (وجفا برقعها ناظري) أي غاب عنه (وقلبه) أي مقلوب برقع وهو عقرب ومن هذه القصيدة قوله:

قل تركت الصب فيكم شبحاً | ما له مما براه الشوق في
خافياً عن عائد لاح كما | لاح في برديه بعد النشر طي
صار وصف الضر ذاتياً له | عن عناء والكلام الحي لي
كهلال الشك لولا أنه | أن عيني عينه لم تتأي
رمضان في هواكم ينقضي | عمره ما بين إحياء وطي

ذهب العمر ضلالاً وانقضى باطلاً إذ لم أفز منكم بشيء
غير ما أوليت من عقد ولا عترة المبعوث حقاً من قصي

(قوله): كما لاح في برديه الخ؛ أي ليس ظهوره إلّا كظهور آثار الطي في الثوب بعد نشره. وصار وصف الضر ذاتياً أي لملازمته له صار كأنه من الذاتيات مع أنه من الأعراض (والحي) الواضح (واللي) الخفي (وهلال الشك) الذي لا يرى في أول الشهر مع احتمال وجوده (وأن) الأولى توكيدية (والثانية) فعل ماض من الأنين (والعين) الأولى بمعنى الباصرة والثانية بمعنى الذات (وتأي) تقصد أي لولا أنينه لم تقصده عيني بالنظر؛ كما قال المتنبي:

كفى بجسمي نحولاً أنني رجل لولا مخاطبتي إياك لم ترني

يحكى أنه سمعه بعضهم فقال: إذاً هو الحدث الذي يسمع صوته ولا يرى.
(قوله) رمضان في هواكم الخ أي هو في هواكم بمنزلة شهر رمضان ينقضي عمره بين السهر والجوع؛ كما أن شهر رمضان ينقضي بين إحياء الليل بالعبادة والجوع في النهار بالصوم.

١٣ - قال أنس بن مالك بن مدركة أو مدرك الخثعمي:

اني وقتل سليك ثمّ أعقله كالثور يضرب لما عافت البقر

(سليك) بالتصغير رجل (وأعقله) أعطي ديته وتسمى الدية عقلاً لأنهم كانوا يؤدونها غالباً من الإبل فتعقل أمام دار المقتول؛ واستشهد به أهل العربية على إضمار أن الناصبة بعد ثم لأن الرواية أعقله بالنصب، (وعافت) الماء لم تشربه قال:

عافت الماء في الشتاء فقلنا بل رديه تصادفيه سخينا

وفيه إلغاز بإدغام اللام في الراء. كانت عادة العرب أن يضربوا الثور وهو ذكر البقر إذا امتنعت الأنثى من شرب الماء، وقيل مع كونها ذوات لبن محتاجة لشرب الماء فإذا هجم الثور على الماء تبعته الأنثى ووردت معه لأن الأنثى تابعة للذكر وهذا كامتناع الغنم أو المعزى من سلوك الطرق أو دخول الدور أو الأخبية حتى يتقدمها الكبش أو التيس وكالنحل تتبع اليعسوب والكراكي تتبع أميرها. (يقول) إنني في أدائي دية سليك مع قتل غيري له مثل الثور يضرب إذا عافت البقر الماء مع أنه غير

عائف له وأنا أؤدي الدية مع أن القاتل غيري وأنا غير قاتل وقد وقع في تفسير هذا البيت وروايته اشتباهات كثيرة لجماعة؛ مثل (ما قيل) إن المعنى أني في عقلي سليكاً وإعطائي الدية عنه إذا قتل قتيلاً كالثور يمتنع غيره عن الشرب ويضرب هو كذلك أنا يجني غيري وأؤاخذ (وفيه) أنه لا يقال عقلت القاتل بل عقلت عنه ويقال عقلت القتيل (وما قيل) إنه يضرب الثور مع عدم احتياجه للماء إرهاباً للأنثى لتخاف فترد الماء وفيه ما لا يخفى، (وبعضهم) رواه أني وقتلي سليكاً وجعل معناه أنه يشبه قتلي سليكاً بضرب الراعي للثور حين تعاف الأنثى الماء لأن قتلي له أدّب قبيلته وأرهبها كما أرهب البقر ضرب الثور. (وفيه) إنه على هذا كان يجب أن يقول إنهم وقتلي سليكاً منهم كالثور (وقال) السيد حيدر الموسوي في شرح الشواهد شبه قتله سليكاً وأداء ديته بالثور يضرب بذنبه ويحرك البقر لتشرب فيرهبها ويسوقها إلى الماء فهي قد جنت على نفسها بيدها؛ كما أن هذا الرجل قد جنى على نفسه بيده انتهى.

وفساده لا يحتاج إلى بيان؛ وقيل: المراد بالثور الطحلب بكسر الطاء واللام الخضرة التي تعلو الماء إذا أزمن فإنه يسمى ثوراً؛ والمراد أن البقر إذا عافت لوجود الطحلب يضربه الراعي ليظهر الماء من تحته وفساده ظاهر أيضاً ويدل على عدم إرادته والذي قبله الشواهد الآتية؛ وقيل: إن سليكا قتل مظلوماً وصاحب الذنب غيره فضرب له هذا المثل الذي يضرب لوضع الشيء في غير موضعه إذ لا ذنب للثور إذا عافت البقر وإنما فعل ذلك بعض الرعاء فوصفوا ظلمه وضربوا به المثل، (وفيه) ما مر من أنه على هذا كان اللازم أن يقول إن سليكاً في قتله مظلوماً كالثور الخ.

ثم أن المعنى البيت قد جاء في أشعارهم كثيراً قال:

فإني إذا كالثور يضرب جنبه إذا لم يعف شرباً وعافت صواحبه

وقال آخر:

فلا تجعلوها كالبقير وفحلها يكسر ضرباً وهو للورد طائع

وما ذنبه إن لم ترد بقراته وقد فاجأتها عند ذاك الشرائع

وقال نهشل بن جري:

كذاك الثور يضرب بالهراوي إذا ما عافت البقر الظماء

الهراوي العصا؛ وقال آخر:

كالثور يضرب للورود إذا تمنعت البقر

وقال الأعشى:

لكالثور والجني يضرب وجهه وما ذنبه إن عافت الماء باقر

كانوا يزعمون أن الجن هي التي تصد الثيران حتى تمسك البقر عن الشرب فتهلك وإن الشيطان يركب قرني الثور، وهذا من جملة خرافاتهم. وقال آخر:

(وأما أن تعاف الماء إلّا لتضربا) واللام هنا للعاقبة مثلها في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]. فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً، وقوله: (لدوا للموت وأبنوا للخراب).

وعلى ذكر خرافات العرب لا بأس بالإشارة إلى بعض ما ينقل عنهم من الخرافات والتخيلات الفاسدة:

(فمن مذاهبهم) وخيالاتهم في البقر أنهم كانوا إذا أجدبوا وأمسكت عنهم السماء عمدوا إلى السَّلَعَ وهو بالتحريك شجر مر والعُشَرَ بالضم فالفتح شجر له صمغ فحزموها وعقدوهما في أذناب البقر وأضرموا فيها النيران وأصعدوها في جبل وعر وأتبعوها يدعون الله ويستسقونه؛ وفي إضرام النار تفأل بالبرق يسوقونها نحو المغرب من دون الجهات.

قال أعرابي:

شفعنا ببقور إلى هاطل الحيا فلم يغنِ عنا ذاك بل زادنا جدبا
فعدنا إلى رب الحيا فأجارنا وصير جدب الأرض من عنده خصبا

وقال آخر يعيب العرب بفعلهم هذا:

لا درّ درّ رجال خاب سعيهم يستمطرون لدى الإعسار بالعشر
أجاعل أنت بيقوراً مسلعة ذريعة لك بين الله والمطر

بيقور وبيقر وباقر وباقور وباقورة أسماء جموع والجمع بقر وبقرات وبقر بضمتين وبقار وابقور وبواقر، (مسلعة) شد السلع بأذنابها (وكانت) الهند تزعم أن البقر ملائكة سخط الله عليها فجعلها في الأرض وإن لها عنده حرمة وكانوا يلطخون

البدن بأخثائها جمع خثي وهو للبقر كالروث للدواب ويغسلون الوجوه بأبوالها ويجعلونها مهور نسائهم ويتبركون بها في جميع أحوالهم، فلعل أوائل العرب حذوا هذا الحذو ويوجد إلى الآن في الهند من يعظم البقر بل المعروف أنهم يعبدونها وحكى لي بعض أهل الهند أنهم يتلقون أخثاءها وأبوالها قبل نزولها إلى الأرض ويتبركون بها وقد وكلوا بها من يخدمها وألبسوها الديباج والملابس الفاخرة.

ويشبه ضرب العرب للثور كما تقدم مذهبهم في العر يصيب الإبل فيكوى الصحيح ليبرأ السقيم والعر بالفتح الجرب وبالضم قروح في مشافر الإبل قال النابغة:

وكلفتني ذنب امرئ وتركتني　　كذي العر يكوي غيره وهو راتع

وقال أعرابي:

كمن يكوي الصحاح يروم برءاً　　به من كل جرباء الإهاب

وقال آخر:

وألزمتني ذنباً وغيري جره　　حنانيك لا تكوي الصحيح بأجربا

وهذان البيتان يدلان على أن بيت النابغة بفتح العين لا بضمها.

(ومن مذاهبهم) ما حكاه ابن الأعرابي قال كانت العرب إذا نفرت الناقة فسميت لها أمها سكنت من النفار، قال:

نقلت لهم ما إسم أمهاهات فادعها　　تجبك ويسكن روعها ونفارها

(ومن تخيلاتهم) التي اتفقوا عليها إنهم قالوا إذا مات الرجل أو قتل خرج من رأسه طائر يسمى بالهامة فإذا كان قتل ولم يؤخذ بثأره لم تزل الهامة تصيح على قبره اسقوني اسقوني فإني صدية حتى يؤخذ بثأره وعن هذا قال النبي ﷺ: لا هامة. وقال أبو زيد الهامة مشددة الميم إحدى هوام الأرض وإنما هي المتكونة المذكورة، وقال أبو عبيدة ما أرى أنا أبا زيد حفظ هذا ومما يدل على أنها ليست بتشديد الميم قول ذي الإصبع:

يا عمرو أن لا تدع شتمي ومنقصتي　　ادعك حيث تقول الهامة اسقوني

ويروى أضربك ولم تستعمل في الشعر إلا مخففة فيما وقفت عليه قال:

وإن أخاكم قد علمتم مكانه بسفح قبا تسفي عليه الأعاصر
له هامة تدعو إذا الليل جنها بني عامر هل للهلالي ثائر

وقال مجنون ليلى قيس بن الملوح العامري:

فيا رب أن أهلك ولم ترو هامتي بليلي أمت لا قبر أعطش من قبري

يريد أنه إذا هلك يكون قتيلاً بحبها فأخذ ثأره يكون منها وهو الذي عبر عنه بري الهامة؛ ويحتمل أن يكون هذا خارجاً عما نحن فيه ويكون ري الهامة الذي طلبه هو وصالها وهما في الدنيا وهم يكنون عما يشفيهم بأنه يروي هامتهم، (ويسمون) الهامة بالصدا والجمع أصداء قال:

يخبرنا ابن كبشة أن سنحيى وكيف حياة أصداء وهام

وقال مجنون ليلى:

ولو تلتقي أصداؤنا بعد موتنا ومن دون رمسينا من الأرض سبسب
لظل صدا صوتي وإن كنت رمة لصوت صدا ليلى يهش ويطرب

ويقرب منه قول توبة بن الحمير:

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت علي ودوني جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقا إليها صدى من جانب القبر صائح

ويحكى أنه لما مات توبة مرت ليلى الأخيلية ومعها زوجها على قبره فقال لها زوجها: هذا قبر توبة الكذاب، فعرجت عليه قالت السلام عليك يا توبة والله ما عهدتك كاذباً فطارت بومة من جانب قبره فنفرت منها ناقتها فسقطت ليلى عنها ميتة ودفنت إلى جانبه؛ ويقال إنه نبت على قبريهما غصنان حتى طالا والتفا وهذا إن صح فهو من غرائب الحكايات؛ وقال حميد بن ثور:

ألا هل صدى أم الوليد مكلم صداي إذا ما كنت رمساً وأعظما

(ومن اعتقاداتهم) التي وافقهم عليها بعض العلماء اعتقادهم بأن السحاب تغترف من البحر وإن لها خراطيم تغترف بها الماء فإذا ارتفع عذب قال شاعرهم:

شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن نئيج

متى بمعنى من والنثيج صوت السحاب حين يخرج من البحر، وقد الطف بعضهم حيث يقول معتذراً عن هدية أرسلها إلى مخدومه:

كالبحر يمطره السحاب وماله فضل عليه لأنه من مائه

(ومن خرافات العرب) أنهم كانوا إذا أرادوا دخول قرية وخافو وباها أو جنا وقفوا على بابها فنهقوا نهق الحمير وعلقوا عليهم كعب أرنب ويسمون هذا النهيق التعشير وقيل: خرج عروة بن الورد وجماعة إلى خيبر ليمتاروا فلما قربوا منها عشروا؛ وأنف عروة أن يفعل مثلهم وقال:

لعمري لئن عشرت من خيفة الردى نهاق حمير أنني لجزوع

في أبيات آخر؛ فيقال إن رفقته مرضوا ومات بعضهم ونجا عروة من المرض والموت.

(وكان) الرجل منهم إذا ضل في فلاة قلب قميصه وصفق بيديه كأنه يومي بهما إلى إنسان فيهتدي قال:

قلبت ثيابي والظنون تجول بي وترمي برجلي نحو كل سبيل

والأصل في قلب الثياب التفاؤل بقلب الحال؛ وجاء في الشريعة الإسلامية نحو ذلك في صلاة الاستسقاء.

(ومن مذاهبهم) إن الرجل منهم كان إذا سافر عمد إلى خيط فعقده في غصن شجرة أو في ساقها فإذا عاد نظر إلى ذلك الخيط فإن وجده بحاله علم أن زوجته لم تخنه، وإن لم يجده أو وجده محلولاً قال قد خانتني وذلك العقد يسمى الرتم ويقال بل كانوا يعقدون طرفاً من غصن الشجرة بطرف غصن آخر قال:

لا تحسبن رتائماً عقدتها تنبيك عنها باليقين الصادق

قال آخر:

يعلل عمرو بالرتائم قلبه وفي الحي ظبي قد أحلت محارمه
فما نفعت تلك الوصايا ولا جنت عليه سوى ما لا يحب رتائمه

وقال آخر:

ماذا الذي تنفعك الرتائم إذا أصبحت وعشقها ملازم

وهي على لذاتها تداوم يزورها طب الفؤاد عازم
بكل أدواء النساء عالم

وقال ابن السكيت إن العرب كانت تقول إن المرأة «المقلات» وهي التي لا يعيش لها ولد إذا وطأت القتيل الشريف عاش ولدها وقال أبو عبيدة تتخطاه المقلات سبع مرات فذلك وطأها له قال:

بنفسي الذي تمشي المقاليت حوله يطأن له كشحاً هضيماً مهشما

(ومن خرافاتهم) إن الغلام منهم كان إذا سقطت سنه أخذها بين السبابة والإبهام واستقبل الشمس إذا طلعت وقذف بها وقال يا شمس أبدليني بسن أحسن منها ولتجر في ظُلمِها آياتك أي شعاعك قال شاعرهم:

وأشنب واضح عذب الثنايا كأن رضابه صافي المدام
كسته الشمس لوناً من سناها فلاح كأنه برق الغمام

قال بعض العلماء أن الناس في عصره في صبيانهم على هذا المذهب.

وكانوا يقولون دم الرئيس يشفي من عضة الكلب.

قال الكميت:

أحلامكم لسقام الجهل شافية كما دماؤكم تشفي من الكلب

(وكانوا) إذا خافوا على أحد الجنون علقوا عليه الأقذار والنجاسات؛ وقالوا التنجيس يشفي إلا من العشق؛ قال:

يقولون علق يا لك الخير رمة وهل ينفعكم التنجيس من كان عاشقا

وكانوا إذا خدرت رجل أحدهم ذكر من يحب أو دعاه فذهب خدرها والخدر بالخاء المعجمة والدال المهملة فتور في البدن ويسمى الإمذال قال كثير:

إذا مذلت رجلي ذكرتك أشتفي بدعواك من مذل بها فيهون

وقال جميل:

وأنت لعيني قرة حين نلتقي وذكرك يشفيني إذا خدرت رجلي

وقال العباس بن الأحنف:

إذا خدرت رجلي ذكرتك يا فوز لكيما يذهب الخدر

ونظير هذا الوهم أنهم كانوا إذا اختلجت عين أحدهم قالوا يرى من يحب قال:

إذا اختلجت عيني تيقنت أنني أراك وإن كان المزار بعيدا

وهذا الوهم باق إلى الآن، (وجمع) بعضهم اختلاجات الأعضاء كلها في مؤلف وذكر لكل واحد منها أثراً خاصاً من مكروه أو محبوب، رأيت ذلك بالفارسية والعربية (وليس) يمتنع عقلاً أن يجعل الله سبحانه القادر على كل شيء هذه الأمور علامات على وقوع وقائع في المستقبل لو أخبرنا بذلك صادق وذكر الأطباء أن هذه رياح فاسدة تكون بين الجلد واللحم.

(ومن مذاهبهم) أن العاشق إذا اشتد به العشق حمله رجل على ظهره وكوي بين إليتيه قال:

وجاءا بالطبيب ليكوياني ولا أبغي عدمتهما اكتواء

ولو أتيا بسلمى حين جاءا لعاضاني من السقم الشفاء

(ومن مذاهبهم) أنهم كانوا يرون أن أكل لحوم السباع يزيد في الشجاعة والقوة؛ وهذا مذهب طبي والأطباء السابقون يعتقدونه قال بعض الأعراب وأكل فؤاد الأسد ليكون شجاعاً فعدا عليه نمر فجرحه:

أكلت من الليث الهصور فؤاده لأصبح أجرى منه قلباً وأقدما

فأدرك مني ثأره بابن أخته فيا لك ثاراً ما أشد وأعظما

(ومن مذاهبهم) المشهورة تعليق كعب الأرنب لأنهم يزعمون أن الجن تهرب من الأرنب لموضع حيضها؛ لأن الذي يحيض من الحيوانات أربعة:

الأرنب والضبع والمرأة والخفاش (وعلى ذكر الأرنب) فلنذكر ما قيل في لحمه فحرمه أئمة أهل البيت وعلماؤهم، وروت العامة عنه ﷺ أنه قال لا آكله ولا أحرمه، قيل ولم قال أحسبها تدمي أي تفترس (ورووا) عن ابن عمر أنه جيء للنبي ﷺ بأرنب فلم يأكلها ولم ينه عنها (وفي أمثال العوام) لحم ثعلب لا حلال ولا حرام؛ لعله مأخوذ مما روته العامة وإبدال الثعلب بالأرنب تحريف:

(ومن مذاهبهم) إن الرجل كان إذا ركب مفازة وخاف على نفسه من طوارق الليل عمد إلى واد ذي شجر فأناخ راحلته في قرارته وعقلها وخط عليها خطاً، ثم قال: أعوذ بصاحب هذا الوادي وربما قال بعظيم هذا الوادي (وعن هذا) قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦] واستعاذ رجل ومعه ولده فأكله الأسد فقال:

قد استعذنا بعظيم الوادي   من شر ما فيه من الأعادي
فلم يجزنا من هزبر عادي

وقال آخر:

هيا صاحب الشجراء هل أنت مانعي   فإني ضيف نازل بفنائكا

(ومن مذاهبهم) أنهم كانوا إذا أحبوا أن الضيف أو غيره إذا رحل لا يعود كسروا شيئاً من الأواني وراءه وهذا مستمر في الناس إلى الآن؛ قال:

كسرنا القدر بعد أبي سراج   فعاد وقدرنا ذهبت ضياعا

(ومنها) أن من ولد في القمر تقلصت غرلته كالمختون، ويجوز أن يكون ذلك من خواص القمر كما أن من خواصه إبلاء الكتان وأنتان اللحم، (وروي) عن أمير المؤمنين عليه السلام إذا رأيت الغلام طويل الغرلة فأقرب به من السؤدد وإذا رأيته قصير الغرلة كأنما ختنه القمر فأبعد به وقال امرؤ القيس لقيصر وقد دخل معه الحمام فرآه أقلف:

لقد حلفت يميناً غير كاذبة   لأنت أقلف إلا ما جنى القمر

(الغرلة) بالغين المعجمة المضمومة والراء المهملة القلفة وزناً ومعنى؛ وهي الجلدة في رأس الإحليل قبل الختان والأقلف والأغلف الذي لم يختن.

(ومنها) كانت المرأة إذا غاب عنها من تحبه أخذت تراباً من موضع قدميه ورجله لأن ذلك أسرع لرجوعه قالت امرأة منهم:

قالت له واقتبضت من أثره   يا رب أنت جاره في سفره
وجار خصييه وجار ذكره

(ومنها) أنهم كانوا يسمون العشاء في العين الهديد وأصله اللبن الخاثر أي

الغليظ فإذا أصاب أحدهم أخذ قطعة من السنام وقطعة من الكبد وقلاهما، وقد قال عند كل لقمة يأكلها بعد أن يمسح جفنه الأعلى بسبابته:

فيا سناما وكبد إلا أذهبا بالهدبد
ليس شفاء الهدبد إلا السنام والكبد

فيذهب العشاء بذلك وهو عدم الإبصار بالليل (والمعروف) في هذا الزمان أن يصيبه العشاء يأخذ القطعة الزائدة من الكبد ويشقها شقوقاً ويلقيها على الجمر ويذر الفلفل المسحوق في شقوقها ويكتحل بمائها ويقول عند الاكتحال بسم الله واسم الهدبد فيشفى ويجوز أن يكون لذلك الماء تأثير في ذهاب العشاء أما التسمية باسم الهدبد فيلزم تركها. (وبعضهم) يأخذ عصاً ويذهب إلى المقبرة في الليل ويدور فيها ويحرك العصا كهيئة من يحصد، وهو يقول:

يا حصاد احصد بلاش احصد هو أو غمر ماش

في ألفاظ أخر من هذا القبيل فيزعم أنه يشفى، وهذا أعجب وأغرب من مذاهب العرب.

(ومنها) أن الورل (وهو دابة مثل الضب) والقنفذ والأرنب والظبي واليربوع والنعام من مراكب الجن وأنهم يرون الجن ويخاطبونهم وأنهم يجامعون السعلاة وإن عمرو ابن يربوع تزوج الغول وأولدها بنين، وكانت تقول له إذا لاح البرق من أرض أهلي فاستر وجهي فلاح البرق مرة ولم يستر وجهها لأنه كان نائماً فما شعر بها إلا وقد طارت إلى أهلها وتركت أولادها وأنهم إلى الآن يدعون بني السعلاة، (ويزعمون) أن الغول إذا ضربت ضربة واحدة بالسيف هلكت فإذا ثني لها عاشت، (وأصوات الجن) عندهم تسمى بالعزيف بالعين المهملة والزاي؛ (قال الجاحظ) في الذين يذكرون عزيف الجن وتغول الغيلان أن ابتداء هذا الأمر الخيال والقوم لما نزلوا بلاد الوحش عملت فيهم الوحشة ومن انفرد وطال مقامه في البلاد الخلاء استوحش ولا سيما مع قلة الأشغال وفقد المذاكرين، والوحدة لا تقطع أيامها إلا بالتمني والأفكار وذلك أحد أسباب الوسواس ومن الشعر المنسوب إلى الجن:

وكل المطايا قد ركبنا فلم نجد ألذ وأشهى من ركوب الأرانب

وقال بعض العرب يكذب ذلك:

أيستمع الأسرار راكب قنفذ لقد ضاع سر الله يا أم معبد

(ويزعمون) أن عمير بن ضبيعة رأى غلماناً ثلاثة يلعبون نهاراً فوثب غلام منهم فقام على عاتقي صاحبه ووثب الآخر فقام على عاتقي الأعلى منهما فلما رآهم كذلك حمل عليهم فصدمهم فوقعوا على ظهورهم وهم يضحكون؛ قال: فلما مررت يومئذٍ بشجرة إلا وسمعت من تحتها ضحكاً ومرض أربعة أشهر.

(ومن مذاهبهم) أن المرأة كانت إذا عسر عليها خاطب النكاح نشرت جانباً من شعرها وكحلت إحدى عينيها مخالفة للشعر المنشور وحجلت على إحدى رجليها ويكون ذلك ليلاً؛ وتقول يا لكاح أبغ النكاح قبل الصباح فيسهل أمرها وتتزوج من قرب (لحجل) هنا المشي على رجل واحدة وقيل: لعل الحاء في لكاح بدل من العين والأصل لكاع كحذام علم للمؤنث بمعنى اللئيمة، (وأقول) يحتمل كونها لفظاً مهملاً نظير قولهم حسن بسن قال رجل لصديقه وقد رأى أمه تفعل ذلك:

أما ترى أمك تبغي بعلاً قد نشرت من شعرها الأقلا

ولم تسوف مقلتيها كحلا ترفع رجلاً وتحط رجلا

هذا وقد شاب بنوها أصلا وأصبح الأصغر منهم كهلا

خذ القطيع ثم سمها الذلا ضرباً به تترك هذا الفعلا

(القطيع) كأمير السوط قال الكميت:

فقل لبني أمية حيث كانوا وإن خفت المهند والقطيعا

وقال آخر:

تصنعي ما شئت أن تصنعي وكحلي عينيك أولا فدعي

ثم احجلي في البيت أو في المجمع ما كل في بعل أرى من مطمع

(وأما) مذهب العرب في أن لكل شاعر شيطاناً يلقي إليه الشعر فمذهب مشهور والشعراء كافة عليه؛ قال أبو النجم:

إني وكل شاعر من البشر شيطانه أنثى وشيطاني ذكر

وقال:

وإذا التقينا نال شعري شعره   ونزا على شيطانه شيطاني

وكانت في العرب (الكهانة) والكهان فيهم كثيرون، وكان لهم كاهنان اسم أحدهما شق وكان نصف إنسان واسم الآخر سطيح وكان يطوي طي الحصير؛ ويتكلمان بكل أعجوبة.

١٤ - قال الشاعر:

إذا ما جاء شهر الصوم فأفطر   على مشويه وكل النهارا

النهار طائر وهو فرخ القطا أو ذكر البوم أو ولد البوم أو ذكر الحبارى جمعه أنوره وأنهر وأنثاه الليل فاتضح بذلك تركيب البيت ومعناه فشهر فاعل جاء والضمير في مشويه راجع إلى النهار من الإضمار قبل الذكر والنهارا مفعول كل وأحسن منه؛ قولنا:

إذا شهر الصيام إليك وافى   فكل ما شئت ليلاً أو نهارا

بهذا شرعة الإسلام جاءت   وفي تفسير هذا العقل حارا

١٥ - قال امرؤ القيس:

كأني لم أركب جواداً لغارة   ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

ولم أسبأ الرق الروي ولم أقل   لخيلي كري كرة بعد أجفال

(أسبأ) كاقرأ من سبأ الخمر بالفتح أي اشتراها (والروي) المملوء (ويحكى) أن أبا الطيب أنشد سيف الدولة قصيدته التي أولها:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم   وتأتي على قدر الكرام المكارم

وكان معجباً بها كثير الاستعادة لها؛ فلما بلغ قوله:

وقفت وما في الموت شك لواقف   كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة   ووجهك وضاح وثغرك باسم

قال قد انتقدنا عليك هذين البيتين كما انتقد على امرئ القيس بيتاه (كأني لم أركب جواداً الخ...) وبيتاك لا يلتئم شطراهما كما ليس يلتئم شطر هذين البيتين كان ينبغي لامرئ القيس أن يقول:

كأني لم أركب جواداً ولم أقل لخيلي كري كرة بعد اجفال
ولم أسبأ الزق الروي للذة ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

ولك أن تقول:

وقفت وما في الموت شك لواقف ووجهك وضاح وثغرك باسم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة كأنك في جفن الردى وهو نائم

فقال أيد الله مولانا إن صح أن الذي استدرك على امرئ القيس هذا كان أعلم بالشعر منه؛ فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ومولانا يعلم أن الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك لأن البزاز لا يعرف إلا جملته والحائك يعرف جملته وتفاريقه لأنه هو الذي أخرجه من الغزلية إلى الثوبية وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد وقرن السماحة في شراء الخمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء؛ وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت أتبعته بذكر الردى وهو الموت ليجانسه ولما كان وجه الجريح المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوساً وعينه من أن تكون باكية قلت ووجهك وضاح وثغرك باسم لأجمع بين الأضداد في المعنى وإن لم يتسع اللفظ لجميعها؛ فأعجب سيف الدولة بقوله ووصله بخمسين ديناراً من دنانير الصلات وفيها خمسمائة دينار.

١٦ - قال أعشى همدان:

رب رفد هرقته ذلك اليو م وأسرى من معشر أقيال

(الرفد) بكسر الراء وربما فتحت القدح العظيم، (وهرقته) كصببته وزناً ومعنى (والأقيال) جمع قيل كبيت وأبيات بمعنى الملوك. والرفد هنا كناية عن الجماجم شبهوها بالقدح وإذا هرقت أي أريق ما فيها من الدم فقد مات صاحبها ولهذا يقال أهريق رفده؛ إذا مات كقولهم صفرت وطابه كفرح أي خلت ويدي صفر من كذا أي خالية قال امرؤ القيس:

(ولو أدركه صفر الوطاب) والوطب سقاء اللبن خاصة والجمع طاب

قال ابن السكيت أنه جلد الجذع فما فوقه (قال) ويقال: لجلد الرضيع الذي يجعل فيل اللبن شكوة ولجلد العظيم بدرة، ويقال لمثل الشكوة مما يكون فيه السمن عكة؛ ولمثل البدرة المشاء؛ وبيت الأعشى خارج مخرج السخرية واستهزاء.

١٧ - قال أبو الطيب المتنبي:

قالت وقد رأت اصفراري من به ... وتنهدت فأجبتها المتنهد

فمضت وقد صبغ الحياء بياضها ... لوني كما صبغ اللجين العسجد

(من به) أي من فعل به هذا الاصفرار وكان السبب فيه ولا يخلو هذا الحذف من سماجة (لوني) أي بمثل لوني (واللجين) الفضة (والعسجد) الذهب، (فإن قيل) الصفرة تكون من الوجل والحمرة من الخجل (فالجواب) إن الحمرة تعرض للخجل أولاً ثم تعرض له الصفرة، ووصفهم له بالحمرة باعتبار حاله الأول ولأنها أشد وأكثر أو أن عروض الصفرة إذا كان الحياء مشرباً بالخوف كما في المقام.

وذكروا في سبب عروض الحمرة عند الحياء أن الروح تهيج فيهيج الدم ويخرج إلى الظاهر فيحمر الجلد كما يحصل ذلك عند الغضب أيضاً وربما أعقبه الاصفرار إذا اشتد الغضب وهذا دليل على عروض الاصفرار في الحياء أيضاً كما بينا، وأما عند الخوف فإن الدم يغور في الجسد فيصفر ولهذا قد يموت الإنسان عند شدة الخوف (ومما يدل) على أن الصفرة تعرض عند الحياء تشبيه العرب صاحب الحياء بالسقيم كثيراً كقول أبي دهبل الجمحي واسمه وهب بن زمعة بن أسيد بن أحيحة بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُمَح ودهبل بفتح الدال والباء سكون الهاء وقد يوجد مضبوطاً بكسر الدال والباء وهو سهو، وكان أبو دهبل معاصراً لمعاوية وابنه يزيد وله رثاء في الحسين عليه السلام يدل على تشيعة لأن رثاءه في ذلك الزمان كانت تضرب عليه الأعناق؛ قال في مدح النبي صلى الله عليه وآله أورده أبو تمام في الحماسة:

نزر الكلام من الحياء تخاله ... ضمِناً وليس بجسمه سقم

(الضمن) السقيم وقول ليلى الأخيلية:

ومخرق عنه القميص تخاله ... بين البيوت من الحياء سقيما

ولا يبعد أن يكون تشبيهه بالسقيم ليس من حيث صفرة اللون بل من حيث الاستكانة وهدو الحركة كما هو شأن السقيم.

١٨ - قال الشاعر:

قالت لترب حولها جالسة ... أخيتا هذا الذي نراه من

قالت لها متيم يشكو الجوى ... قالت بمن قالت بمن قالت بمن

(الترب) بالكسر المقارن في السن والجمع أتراب، والمراد هنا الجنس (ومن) الأولى سؤال جوابه متيم يشكو الجوى (والثانية) سؤال جوابه بمن الثالثة (وقالت) الثالثة صلتها (ومن) الرابعة محكي القول (والمنى) أنه متيم بمن سألت هذا السؤال.

١٩ - قال الشاعر:

كانت مسامرة الركبان تخبرنا ... عن جعفر بن فلاح أحسن الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت ... أذني بأكثر مما قد رأى بصري

(المراد) إن كل شيء خبره أكبر من عيانه ولكن هذا الممدوح مهما بالغ في مدحه الواصفون لا يزيدون عما فيه، لتكامل صفات الحسن والكمال فيه بل إنما يصفون بما فيه أو دونه، ولذلك لما رآه وجد أنه لم يسمع بأكثر مما رآه، وقال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطب نهج البلاغة (وكل شيء من الدنيا سماعه أعظم من عيانه وكل شيء من الآخرة عيانه أعظم من سماعه فليكفكم من العيان السماع من الغيب الخبر)؛ وأكثر مبالغة من البيتين قولي:

لقد كانت الركبان تخبر أنه ... وحيد صفات عنده الخير أجمع
فلما شفا أسقام قلبي لقاؤه ... رأيت لديه فوق ما كنت أسمع

ولكن الفضل للسابق.

٢٠ - قال المتنبي:

عواذل ذات الخال في حواسد ... وإن ضجيع الخود مني لماجد
يرد يداً عن ثوبها وهو قادر ... ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد

(الخود) بالفتح الجارية الحسنة الخلق الشابة أو الناعمة والجمع خودات. وخود بضم الخاء (قوله) وإن ضجيع الخود الخ من باب التجريد أو من بيانية؛ وهو كالشاهد والدليل للشطر الأول وفيه مزج الغزل بالحماسة ولطفه ظاهر؛ (قوله) ويعصي الهوى الخ فيه الجناس بين قادر وراقد.

وفيه إثبات أعلى درجات العفة وأنه يعصي هواه فيما ينافيها حال نومه بعد ما أثبت ذلك في حال يقظته؛ والإنسان يرى في منامه ما ألفه في يقظته (ويشهد له) ما حكاه خالد الأزهري عن نفسه في ديباجة التصريح (وقال الشهيد الثاني) في منية

المريد: نقل بعض الأفاضل عن بعض مشايخه قال حكيت لشيخي مناماً لي فقلت رأيت أنك قلت لي كذا وكذا فقلت لك لم ذاك فهجرني شهراً ولم يكلمني؛ وقال لولا أنه كان في باطنك تجويز المطالبة وإنكار ما أقوله لك لما جرى على لسانك في المنام (قال) والأمر كما قال إذ قلما يرى الإنسان في منامه خلاف ما يغلب في اليقظة على قلبه انتهى. (ومن كلامهم) لا تكاد تصح رؤيا الكذاب لأنه يخبر في اليقظة بما لم يكن فأحر به أن يرى في المنام ما لا يكون؛ وسيأتي في الفائدة (٥٨) من الفصل الخامس من هذا الباب كلام مطول في المنام يفيد في المقام فراجع.

(ومن بديع) ما قيل في العفة قول السيد الرضي:

بتنا ضجيعتين في ثوبي هوى وتقى ... يضمنا الشوق من فرق إلى قدم

وقوله:

خلونا فكانت عفة لا تعففا ... وقد رفعت في الحي عنا الموانع

سلوا مضجعي عني وعنها فإننا ... رضينا بما يخبرن عنا المضاجع

وقلت:

بتنا ضجيعين كما خولطت ... سلافة بالبارد العذب

أو مثل حرفين إذا شددا ... ما فوق هذا القرب من قرب

ما بيننا شيء سوى عفة ... تمنعنا معصية الرب

٢١ - ينسب لمجنون ليلى أنه أتي به إلى البيت الحرام ليتوب فأنشد من جملة أبيات:

أتوب إليك يا رحمان مما ... جنيت فقد تكاثرت الذنوب

وأما عن هوى ليلى وتركي ... زيارتها فإني لا أتوب

يمكن كون الواو في وتركي حالية أي لا أتوب عن حبها وتركي زيارتها ثابت أو حاصل فتكون حالاً مقدرة لأن ترك الزيارة متأخر عن زمان التوبة، أو محققة أي لا أتوب عن حبها وتركي زيارتها حاصل فكيف لو كنت أزورها (ويمكن) كونه من تقديم المعطوف على المعطوف عليه للضرورة وإقامة المصدر مقام الفعل لأنه بمعناه أي وأما عن هوى ليلى فلا أتوب فأترك زيارتها.

٢٢ - قال البحتري واسمه الوليد؛ وينسب إلى بحتر بضم الياء والتاء أحد أجداده من طيء:

كالبدر إلا أنها لا تجتلى　　والشمس إلا أنها لا تغرب

اجتلى البدر نظر إليه وجلوت العروس واجتليتها نظرت إليها مجلوة، (يقول) هي كالبدر حسناً وسناً إلا أن البدر يجتلي وهي لا تجتلي لأنها محجوبة دائماً وهي كالشمس حسناً وسناً إلا أن الشمس تغرب وهي لا تغرب ولا ينافي ذلك جعلها في الشطر الأول محجوبة دائماً عن الأبصار لأن المراد أنها لا تغرب غروباً حقيقياً عن الأبصار والآفاق كما تغرب الشمس؛ وإن كانت محجبة كالشمس المحجوبة بالغمام مع أنها لم تغرب.

٢٣ - قال بعض العرب:

قد سقيت آبالهم بالنار　　والنار قد تشفي من الأوار

(الآبال) بالمد الإبل (والأوار) بالضم حرارة العطش، (والمراد) أنها موسومة بأسماء أصحابها فإذا وردت الماء عرفها الناس فأفرجوا لها حتى تشرب والباء في قوله (بالنار) للسببية أي بسبب وسمها بالنار وفيه إيهام تعليل الشيء بملزوم نقيضه، فإنه جعل سقيها وريها بالنار ومن شأن النار؛ أن توجب العطش لا أن تشفي من حرارته.

٢٤ - قال ابن المستوفي:

رأت قمر السماء فذكرتني　　ليالي وصلها بالرقمتين
كلانا ناظر قمراً ولكن　　رأيت بعينها ورأت بعيني

في معجم البلدان (الرقمتان) تثنية الرقمة وهو مجتمع الماء في الوادي، قال الفراء: يقال عليك بالرقمة ودع الضفة وفي الصحاح الرقمة جانب الوادي وقيل الروضة؛ وقال السكوني: الرقمتان قريتان بين البصرة والنباج وهما على شفير الوادي وقال أبو منصور الرقمتان روضتان بناحية الصمان؛ وقال العمراني: روضتان إحداهما قريب البصرة والأخرى بنجد؛ وقال الأصمعي: الرقمتان إحداهما قرب المدينة والأخرى قرب البصرة وقال الكلابي الرقمتان بأرض بني أسد وأيضاً بشط

فلج من أرض بني حنظلة؛ وقريتان على شفير وادي فلج بين البصرة ومكة، وروضتان في بلاد بني العنبر، وموضع قرب المدينة انتهى ملخصاً، (وإنما) ذكرته ليالي وصلها بالرقمتين عند رؤية القمر لأنها كانت ليالي مقمرة فذكرتها عند رؤية القمر (قوله) كلانا ناظر قمراً أي حين رؤيتها قمر السماء فهي ناظرة إلى قمر السماء وهو ناظر إلى وجهها لأنه لا يناسب حال العشق في ذلك المقام أن يكون مشتغلاً بالنظر إلى شيء غيرها، (قوله) رأيت بعينها الخ؛ ذكر في تفسيره وجوه لا فائدة في ذكرها؛ (والصواب): في تفسيره أنها لما رأت قمر السماء ورأى هو وجهها وكان وجهها هو قمر السماء الحقيقي ادعاء ومبالغة في التشبيه، فكأنه رأى بعينها التي نظرت بها إلى القمر السماء الحقيقي، وكأنها قد رأت بعينه التي رأى بها وجهها لأنها قد نظرت إلى ما رآه وهو قمر السماء الحقيقي؛ فإن وجهها هو قمر السماء الحقيقي ادعاء ومبالغة في التشبيه كما عرفت، وحاصل المعنى أني لم أنظر إلى غير ما نظرت إليه؛ بل كل منا ناظر إلى قمر السماء الحقيقي.

٢٥ - قالت أربعة العدوية كما في أربعين (البهائي) وهي من العباد والعرفاء المشهورين:

لك ألف معبود مطاع أمره دون الإله وتدعي التوحيدا

هذا البيت إشارة إلى ما ورد عن الأنبياء والأئمة الأمناء عليهم الصلاة والسلام من أن الطاعة لأهل المعاصي عبادة لهم، (ومنه) الحديث المرويّ عن الصادق عليه السلام عن عيسى ابن مريم عليه السلام (ومضمونة) أنه مر على قرية قد مات أهلها وجميع ما فيها من الحيوانات فدعا عيسى عليه السلام ربه وناداهم يا أهل هذه القرية فأجابه مجيب لبيك يا روح الله وكلمته؛ فقال: ويحكم ما كانت أعمالكم قال عبادة الطاغوت وحب الدنيا مع خوف قليل وأمل بعيد وغفلة في لهو ولعب، (إلى أن قال) وكيف كانت عبادتكم للطاغوت قال الطاعة لأهل المعاصي (قال البهائي) في شرح الأربعين: ليس كون الطاعة لأهل المعاصي عبادة لهم جارياً على ضرب من التجوز بل هو حقيقية فإن العبادة ليس هي إلا الخضوع والتذلل والطاعة والانقياد ولهذا جعل الله سبحانه اتباع الهوى، والانقياد إلى عبادة للهوى فقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] وجعل طاعة الشيطان عبادة له، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ [يس: ٦٠] وعن الباقر عليه السلام انه قال من أصغى إلى ناطق فقد عبده؛ فإن كان الناطق يؤدي عن الله فقد عبد الله وإن كان يؤدي عن الشيطان فقد عبد الشيطان (وفي الكافي) عن الصادق عليه السلام أنه قال من أطاع رجلاً في معصية فقد عبده (وعن أبي بصير) قال قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] فقال عليه السلام: والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم ولو دعوهم ما أجابوهم ولكن أحلوا لهم حراماً وحرموا عليهم حلالاً فعبدوهم من حيث لا يشعرون (وبطريق آخر)؛ أنه عليه السلام سئل عن هذه الآية فقال: والله ما صلوا لهم ولا صاموا لهم ولكن أحلوا لهم حراماً وحرموا عليهم حلالاً فاتبعوهم (ومنه) ما روي عن الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨٢] ما مضمونه أنهم قوم أطاعوهم في معصية الله فسمى طاعتهم لهم عبادة (أقول) وهذا من الشرك الخفي نعوذ بالله منه.

٢٦ - قال أبو تمام يمدح محمد بن الهيثم بن شبابة من قصيدة:

هم حسدوه لا ملومين مجده   وما حاسد في المكرمات بحاسد

حسده الشيء وحسده عليه تمنى زواله عنه مع الانتقال إلى الحاسد وعدمه من نعمة أو فضيلة أو نحو ذلك؛ فالحسد يتعدى بنفسه وبالحرف والمصدر بفتح السين وأكثر من سكونها كما في الصباح المنير (وأما) تمني النعمة أو الفضيلة مع عدم زوالها عن صاحبها فهو غبطة ولا بأس به شرعاً بخلاف الأول فإنه محرم مهلك، (قوله) لا ملومين حال من الواو في حسدوه (ومجده) مفعول حسدوه، (قوله) وما حاسد في المكرمات بحاسد بمنزلة التعليل لقوله لا ملومين وهو محمول على أحد معنيين (الأول) ما ذكره صاحب الكشاف في تفسير سورة الفلق حيث قال ما لفظه: ورب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: لا حسد إلا في اثنين وقال أبو تمام (وما حاسد في المكرمات بحاسد) وقال (إن العلى حسن في مثلها الحسد) انتهى والحسد الذي جعله محموداً هو الغبطة ويطلق عليه لفظ الحسد وهو المراد في الحديث الذي ذكره وهو ما رواه البخاري في باب اغتباط صاحب القرآن عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وآله قال لا حسد إلا على اثنين رجل آتاه الله الكتاب وقام به آناء الليل والنهار ورجل أعطاه الله مالاً فهو يتصدق به آناء الليل وآناء

النهار؛ (وما رواه) في باب تمني القرآن عن أبي هريرة عنه ﷺ لا تحاسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار يقول لو أوتيت مثل ما أوتي هذا لفعلت كما يفعل ورجل آتاه الله ما لا ينفقه في حقه فيقول لو أوتيت مثلما أوتي هذا لفعلت كما يفعل؛ (وفي النهاية) المعنى ليس حسد لا يضر إلا في اثنتين أهو هذا المعنى متعين في قول أبي تمام: إن العلى حسن الخ.

(المعنى الثاني) أن يراد أنهم غير ملومين لأن الحسد أصبح غير اختياري لهم ولا لوم إلا على الاختياري وهذا على ضرب من المبالغة والإدعاء وهو أن الممدوح بلغ في صفات الكمال إلى حد لا يلحقه فيه غيره، بحيث صار أعداؤه لا يقدرون على ترك الحسد له لشدة توفر الداعي إليه ولما يرونه من قصورهم عن اللحاق به.

وعلى الوجهين فقد ظهر كيف صح إثبات الحسد ونفيه في قوله وما حاسد في المكرمات بحاسد؛ فعلى الأول معناه ما هو بحاسد ملوم وعلى الثاني معناه ما هو بحاسد مختار.

وإثبات الشيء ونفيه باعتبارين كثير في كلام الفصحاء قال أبو الطيب في الشيب:

ابعَد بعِدت بياضاً لا بياض له ... لأنت أسود في عيني من الظلم

وذلك أن من شأن البياض أن يكون محبوباً تستأنس به النفس وينشرح له الصدر وهذا بالعكس فهو كالسواد وأخذ هذا المعنى من أبي تمام حيث يقول في الشيب:

له منظر في العين أبيض ناصع ... ولكنه في القلب أسود أسفع

وهذا كما يقال للعالم التارك لعلمه أنه جاهل ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢] لأن لو إذا دخلت على المثبت صار منفياً؛ وقال أبو تمام:

لا أنت أنت ولا الديار ديار ... خف الهوى وتولت الأوطار

أي لا أنت باق كما كانت ولا الديار باقية كما كانت.

٢٧ - قال أبو الطيب:

قفي تغرم الأولى من اللحظ مهجتي ... بثانية والمتلف الشيء غارمه

(قفي) خطاب للمحبوبة (والأولى) فاعل تغرم (ومن اللحظ) بيان له أي الأولى من اللحظتين؛ (ومهجتي) مفعوله (وبثانية) متعلق بتغرم (والمراد) بالأولى من اللحظ أما لحظة إياها أو لحظها له (فعلى الأولى) يكون المعنى أنه لما نظرها وقع حبها في قلبه من أول نظرة فطلب منها الوقوف لينظرها ثانية فيشتفي قلبه ويتسلى عما وقع فيه من الحب المتلف؛ لولا التزود منها بالنظر ثانياً. وقد قيل (توقّ النظرة بعد النظرة فإنها تزرع في القلوب حباً ينبت سنبل الحسرة).

وهذا مبني على حال غالب الناس من كون الحب يحصل منه في النظرة الأولى بعض الشيء ثم يزداد شيئاً فشيئاً بسبب معاودة النظر، أما البيت ففيه زيادة مبالغة على هذا الكلام حيث جعل المتلف للمهجة هو النظرة الأولى وحدها لتناهي المحبوب في الحسن والجمال؛ بحيث إن كل من رآه يقع حبه الكامل في قلبه أول وهلة (وعلى الثاني) يكون المعنى أنها لما نظرت إليه أول مرة وقع حبها في قلبه وكانت هذه النظرة متلفة لمهجته كما يشبهون اللحاظ بالسهام تارة وبالسيوف أخرى، وينسبون إليها الجرح والقتل والفتك وغير ذلك فطلب منها أن تقف لتنظره نظرة ثانية ليتسلى بنظرها إليه ويشتفي قلبه مما حصل له من النظرة الأولى، ونسبة الغرم إلى النظرة الأولى مجاز بعلاقة السببية إذ وجود الثانية بوصف كونها ثانية موقوف على وجود الأولى، وغرامة الأولى لمهجته من حيث إنها تكون معداً ومقدمة لوجود الثانية التي هي محبوبة إليه ومرغوبة لديه فيشتفي بها قلبه ومهجته. (هذا) ما سنح لي في شرح البيت ثم رأيت في هامش بعض نسخ ديوان المتنبي نقلاً عن بعض الشراح إن مهجتي منادى وهو كناية عن المحبوبة والأولى مفعول تغرم والمعنى قفي يا مهجتي لتغرم اللحظة الأولى لأنها سبب اتلافي بثانية لأعيش بها انتهى. ولم يذكر فاعل تغرم والظاهر أنه ضمير المخاطبة فتكون كتابتها تغرمي بالياء وتحذف لفظاً لالتقاء الساكنين والنون محذوفة للجزم بجواب الطلب والصواب، ما ذكرنا وإما هذا فمع ما فيه من التعسف والقلق في النظم يكاد يقطع بعدم إرادته وقال الشريف الرضي فيما يشبه هذا المعنى:

علقناك يا ظبي الصريم طماعة ... أعندك من نيل لنا فتنيل
أنل نائلاً أولا فثن بنظرة ... فإني بالأولى الغداة قتيل

وهو صريح في أن المراد بالنظرة الأولى والثانية نظرة المحبوب لا نظرة المحب وفي بيت المتنبي تصرف في المعنى وفذلكة ليست في بيت السيد هي التي أوجبت خفاء المعنى في الجملة؛ وفي هذه القصيدة يقول المتنبي:

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

واستدلوا بهذا البيت على شحه وقد كان كذلك فإنما يسبق من المعاني إلى الذهن ما كان غالباً عليه وفيها يقول:

وقد يتزيا بالهوى غير أهله ويستصحب الإنسان من لا يلائمه

٢٨ - قال البحتري وتقدم نسبه وضبط ما ينسب إليه:

وصاعقة من نصله تنكفي بها على أرؤوس الأقران خمس سحائب

يكاد الندى منها يفيض على العدى لدى الحرب في ثنيي قنا وقواضب

(الصاعقة) قصفة الرعد ينقض منها شقة من النار، وفي معناه ما قيل إنها نار تسقط من السماء في رعد شديد، وقيل: الصاعقة الموت وكل عذاب مهلك وصيحة العذاب والمحراق الذي بيد الملك سائق السحاب ولا يأتي على شيء إلا أحرقه (والنصل) حديدة السهم والرمح والسيف ما لم يكن له مقبض والجمع أنصل ونصال ونصول والضمير في نصله للمدوح؛ على حذف مضاف أي نصل سيفه لما عرفت من أن النصل حديدة السيف بدون المقبض فالصواب إضافته إلى السيف لا إلى الممدوح ولهذا يقال نصل السيف ولا يقال نصل فلان بل يقال إلى السيف لا إلى الممدوح ولهذا يقال نصل السيف ولا يقال نصل فلان بل يقال سيفه، والمراد بالأرؤوس جمع كثرة بقرينة المدح إذ كل من جمعي القلة والكثرة يستعمل بمعنى الآخر، (والثني) بالكسر واحد أثناء الشيء أي تضاعيفه (والقواضب) القواطع وهي السيوف (وفي البيت الأول) من حسن التشبيه وبداعته ما لا يخفى فإن الصاعقة تكون من السحاب والرعد كما مر، وقد أشار إلى ذلك البحتري في هذه القصيدة بقوله:

وصيقل آراء يبيت يكدها ويشحذها شحذ المدى للنوائب

يحرق إحراق الصواعق الهبت بنار وينقض انقضاض الكواكب

فصاعقة سيف الممدوح إنما حصلت من سحائب هي أصابع كفه وتشبيه أصابع الكف بالسحائب كثير في كلام الشعراء، قال الشريف الرضي:

أيسمح لي هذا الزمان بصاحب طويل نجاد السيف من آل هاشم
أنامله في الحرب عشر أسنة ولكنها في الجود عشر غمائم

وفي ذكر الأنامل دون الأصابع زيادة مبالغة فإن الأنامل رؤوس الأصابع وهذان البيتان من قصيدة مطلعها:

الا ليت أذيال الغيوث السواجم تجر على تلك الربى والمعالم
ولولاك ما استسقيت مزنا لمنزل فأحمل فيه منة للغمائم

وقال البحتري في نظير معنى البيت الثاني:

والدار تعلم أن دمعي لم يغض فأروح حامل فيه منة من مسعد

ولا يخفى تفاوت ما بيت المعنيين فبيت البحتري يدل على أن عدم حمل المنة للاستغناء عن المسعد، وبيت السيد يدل على أن عدم حملها إباء وعزة نفس حتى عن حمل منة السحاب ويشبه ذلك قول أبي نصر أحمد بن علي الزوزني أورده في اليتيمة:

ولا أقبل الدنيا جميعاً بمنة ولا أشتري عز المراتب بالذل
وأعشق كحلاء المدامع خلقة لئلا يرى في عينها منة الكحل

٢٩ - قال القاضي تقي الدين التميمي المصري في المجون، أورده شهاب الدين محمود الخفاجي في الريحانة.

لنا صديق له في الغانيات هوى و .... لا يزال الدهر طراقا
كأنما هو حرباء الهجير ضحى لا يرسل الساق إلا ممسكاً ساقا

[الحرباء] دويبة تسمى أم حبين بوزن لمصغر وتكنى أبا قرة ويظهر من بعض أهل اللغة أن الحرباء اسم للذكر منها وهي تتلون ألواناً مع الشمس ولذلك يضرب بها المثل في كثرة التقلب والتلون وفي المثل (أحزم من حرباء) لأنه مع تقلبه مع الشمس لا يرسل يده من غصن حتى يمسك آخر وتقول العرب إن الحرباء إذا أنشد لها هذا الشعر تنشر جناحين لها وهو:

أم حبين انشري برديك إن الأمير ناظر إليك
وضارب بسوطه جنبيك

ولعله من خرافات العرب وفي دورانها مع الشمس يقول معاصرنا السيد حيدر الحلي رحمه الله في الحسين عليه السلام:

فحسامه شمس وعزرائيل في يوم الكفاح تخاله حرباءها

قال صاحب الريحانة وقد سبق القاضي تقي الدين إلى هذا ابن نباتة المصري فقال:

لا يشغلنك شيء في زمانك عن وصل الملاح وحاذر كلما عاقا
وكن كما قيل في الحرباء من فطن لا يرسل الساق إلا ممسكاً ساقا

وقال الصاحب بن عباد يهجو رجلاً:

هذا الأديب الذي وافى يفاخرنا أضحى إلى كمر السودان مشتاقا
فما يفارق طومارا يعالجه إلا بآخر يمضي فيه إعناقا
كأنما هو حرباء بتنضبة لا يرسل الساق إلا ممسكاً ساقا

قال وهو تضمين من قول بعض شعراء الجاهلية:

إني أتيح له حرباء تنضبة لا يرسل الساق إلا ممسكاً ساقا

والساق فيه غصن الشجرة ومن الإنسان معروف، وبه قامت التورية وضربه بعض العرب مثلاً لألد الخصام الذي كلما نقضت له حجة أقام أخرى، ويقال حرباء تنضب كمال يقال ذئب غضا وهو شجر يتخذ منه السهام واحدته تنضبة والجمع تنضب.

٣٠ - قال الحماسي:

إلا فتى نال العلى بهمه ليس أبوه بابن عم أمه
ترى الجبال تهتدي بأمه

(بهمه) بهمته وهو ما يهم به الإنسان في نفسه، (ليس أبوه الخ) أي ليست أمه من أقارب أبيه وابنة عم له بل هي غريبة عنه وذلك أن الأم إذا كانت غريبة من الأب كان الولد عندهم أنجب، ومن كلامهم (القرائب للصبر والغرائب للنجابة) وقد ينقض هذا بأمير المؤمنين عليه السلام وأي نجيب أنجب منه إلا أن يقال الكلام جار على الغالب (بأمه) بفتح الهمزة أي بقصده أو بكونه إماماً لها والتقدير بأمه لها.

٣١ - قال أبو الطيب من قصيدة يمدح بها علي بن المنصور الحاجب وتسمى الدينارية؛ لأنه يقال إنه أجازه عليها بدينار وكانت من أوائل شعره:

حاولن تفديتي فخفن مراقبا فوضعن أيديهن فوق ترائبا

في القاموس (الترائب) عظام الصدر أو ما ولي الترقوتين منه أو ما بين الثديين والترقوتين؛ أو أربع أضلاع من يمنه الصدر وأربعة من يسرته أو موضع القلادة؛ [ووضع] الأيدي فوق الترائب لما كان لازماً للتفدية والسلام عادة كما هو كذلك في هذا الزمان كنى هؤلاء النسوة عن التفدية به ودللن عليها بالإشارة خوفاً من أن يتكلمن فيسمع الرقيب كلامهن.

٣٢ - قال امرؤ القيس:

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل

[يمكن] أن يراد بالسهمين لحظ العينين لاشتهار تشبيه لحظ العين بالسهم (ويمكن) أن يراد بهما دمع العينين أو اللحظ والدمع والعلاقة التأثير في القلوب كتأثير السهام في الأجسام؛ [وقال الزوزني] شارح المعلقات المراد بالسهمين المعلى والرقيب من سهام الميسر والجزور يقسم على عشرة أجزاء فللمعلى سبعة وللرقيب ثلاثة فمن فاز بهذين القدحين فقد فاز بجميع الأجزاء فيكون المعنى ما بكيت إلا لتملكي قلبي كله وتفوزي بجميع أعشاره؛ [والأعشار] بمعنى القطع جمع قطعة ولا واحد لها اهـ (وفي القاموس) قلب أعشار أي مقطع على عشر قطع، وقال أبو تمام:

وعهدي بها تحيي الهوى وتميته وتشعب أعشار القلوب وتصدع

(الهوى) بمعنى المهوي من استعمال المصدر بمعنى المفعول، قال:

هواي مع الركب اليمانين مصعد جنيب وجثماني بمكة موثق

فإحياؤه بالوصل وإماتته بالهجر أو الهوى بمعنى الحب وإحياؤه إنماؤه بالدنو والتحبب؛ وإماتته إذهابه بالتباعد والنفور الموجب للبغض أو بالنأي والهجر الموجب للسلو وانقطاع الأمل، قال:

كفي لحاظك عنا ظبية الخمر ليس الصبا اليوم من شأني ولا وطري

مات الغرام فلا أصغي إلى أحد   ولا أريي دموع العين للسهر

أو يراد بإحيائه إهاجته بالهجر أو البعد وبإماتته تسكين ثورته بالوصل والقرب (والشعب) بوزن المنع الجمع والتفريق والصدع والإصلاح والإفساد فهو من أسماء الأضداد؛ والمراد به هنا ضد الصدع (قال الخليل) استعمال الشيء في الضدين من عجائب الكلام؛ (وقال ابن دريد) ليس هذا من الأضداد وإنما هما لغتان لقومين ومن التفريق اشتق اسم المنية (شعوب) وزان رسول لأنها تفرق الخلائق وصار علماً عليها غير منصرف؛ ومنهم من يدخل أل عليها للمح الوصف؛ (والصدع) الشق والتفريق أو الشق نصفين أو الشق بلا تفريق وقوله تعالى ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] أي شق أو فرق جماعتهم بالتوحيد أو فرق بين الحق والباطل أو أنه شبه بشق الشيء الصلب لاحتياجه إلى زيادة الضرب وتأثر المصدوع به، وكذلك أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالاجتهاد في تبليغ الرسالة فشبه تأثيرها بالصدع؛ (مقتل) قال الزوزني هو المذلل غاية التذلل؛ والقتل في الكلام التذليل ومنه قولهم قتلت الشراب إذا كسرت سورته بالمزج بالماء قال الأخطل:

فقلت اقتلوها عنكم بمزاجها   وحبُ بها مقتولة حين تقتل

وقال حسان:

إن التي ناولتني فرددتها   قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

(قتلت) مزجت الماء، (قتلت) دعاء عليه بالقتل أنه مزجها، (لم تقتل) لم تمزج وإنما أرادها صرفاً لأنها أشد تأثيراً (ومنه) قتلت أرض جاهلها وقتل أرضاً عالمها أي أذلت وأذل بمعنى أن الجاهل ذليل والعالم عزيز والظاهر أن اختصاصه بالجهل بالأرض والعلم بها لا شموله لكل عالم وجاهل ونسبة الذل إلى الأرض مجاز بمعنى أن الخبير بالأرض يتصرف فيها ذهاباً ومجيئاً وغيرهما كما يشاء فكأنها طائعة منقادة له غير مستعصية عليه (وينبغي) على تفسيره السابق أن للسهمين أن يراد بالمقتل المقتول الذي مات بالقتل لا المذلل وبعد بيت أبي تمام السابق، قوله:

واقرع بالعتبى حميا عتابها   وقد تستفيد الراح حين تشعشع

وتقفو لي الجدوى بجدوى وإنما   يروقك بيت الشعر حين تصرع

(العتبى) قبول العتاب والاعتراف بما عوتب به، (والحميا) من أسماء الخمر شبه عتابها بالخمر في سورتها وقبوله عتابها بقرع الخمر ومزجها بالماء فإن العتبى تسكن سورة العتاب كما يسكن المزج سورة الخمر، (وتستفيد بالفاء) كما في نسخة الديوان وفي بعض الكتب بالقاف ومعناه غير ظاهر ويحتمل كونه من فاد يفيد بمعنى مات مجازاً عن كسر سورتها أو بمعنى تنقاد وتمكن من شربها بمزجها، (وتشعشع) تمزج (وتقفو) تتبع (والجدوى) العطية (ويروقك) يعجبك [ويصرع] يجعل ذا مصراعين والمصراع ما كانت قافيتان في بيت واحد كما في المطلع وذلك يوجب الحسن في البيت؛ ولذلك يختارونه في المطلع الذي يلزم المبالغة في تحسينه وقد يجعلونه في الوسط والموافقة والتجانس في كل شيء يوجب ميل الطبع إليه وفي هذه القصيدة يقول أبي تمام قبل الأبيات السابقة:

فردت علينا الشمس والليل راغم ... بشمس بدت من جانب الخدر تطلع
نضا ضوؤها صبغ الدجنة وانطوى ... لبهجتها ثوب السماء المجزع
فوالله ما أدري أأحلام نائم ... ألمت بنا أم كان في الركب يوشع

[المجزع] المرصع بالجزع وهو الخرز اليماني الصيني فيه سواد وبياض تشبه به الأعين؛ قال امرؤ القيس:

كأن عيون الوحش حول خبائنا ... وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب

(قال الأصمعي) الظبي والبقرة إذا كانا حيين فعيونهما كلها سود فإذا ماتا بدا بياضها وإنما شبهها بالجزع وفيه سواد وبياض بعد ما موتت، والمراد كثرة الصيد يعني مما أكلناه كثرت العيون عندنا وبه يظهر بطلان ما قيل إنها طالت مسايرتهم حتى ألفت الوحوش رحالهم وأخبيتهم واستشهد البيانيون به على الإيغال وهو أن يأتي الشاعر في القافية بما يتم به المعنى ويزيد في الفائدة فإذا أتى بقوله لم يثقب تحقيقاً للتشبيه؛ لأن الجزع إذا كان غير مثقب كان أشبه بالعيون.

٣٣ - قال امرؤ القيس:

وبيضة خدر لا يرام خباؤها ... تمتعت من لهوٍ بها غير معجل

[قال الزوزني] في شرح المعلقات تشبيه النساء بالبيض من ثلاثة وجوه:

[أحدهما] بالصحة والسلامة عن الطمث أي الاقتضاض والمسن والدنس، ومنه قول الفرزدق:

خرجن إلي لم يطمثن قبلي فهن أصح من بيض النعام

أي لم ينكحن.

[والثاني]: الصيانة والستر لأن الطائر يحضن بيضه ويصونه.

[والثالث]: في صفاء اللون ونقائه لأن البيض يكون صافي اللون نقيه إذا كان تحت الطائر، وربما شبهت النساء ببيض النعام وأريد أنهن بيض تشرب ألوانهن صفرة يسيرة وكذلك لون بيض النعام ومنه قول ذي الرمة [كأنها فضة قد مسها ذهب] أقول: وقال ابن أبي الحديد في إحدى علوياته السبع:

شبيهات بيضات النعام يقلها من العيس أشباه النعام النوافر

وهناك وجه رابع وهو أنها تتصدع من أدنى ملامسة كما أن البيضة كذلك؛ ويرشد إليه تشبيهها بالقوارير قال [يا حادي العيس رفقاً بالقوارير] وهو مأخوذ من قوله ﷺ في بعض غزواته (أرفقوا بالقوارير) يعني النساء نهاهم عن سرعة السير بها.

٣٤ - قال الفاضل الأديب المعاصر الشيخ محمد الجزائري النجفي رحمه الله من قصيدة:

صل الأوتار بالنغم الفصيح وعاط الراح مثل دم الذبيح
وذرني والقبيح فليس شيء يلذ بدون إتيان القبيح
فصل إبكار خمرك بالعشايا وصل بعري الغبوق عرى الصبوح
فما الدنيا سوى راح شمول وعض الخد من رشأ مليح
وإصغاء إلى وتر وناي إذا ناحا على دن جريح

(الأوتار) جمع وتر وهي أوتار البربط التي يضرب عليها (والإبكار) اسم للبكرة بالضم بمعنى الغدوة و(الغبوق) كصبور ما يشرب عند العشي (والصبوح) ما يشرب بالغداة (ويقال) للخمر إذا كانت باردة الطعم (شمولاً) ومشمولة من قولهم غدير مشمول إذا ضربته ريح الشمال حتى يبرد، قال كعب بن زهير يصف الخمرة:

شجت بذي شبم من ماء محنية صاف بأبطح أضحى وهو مشمول

(شجت) مزجت وكسرت سورتها (والشبم) بالفتح البرودة (ومحنية) مكان (والأبطح) المكان المنبطح (والرشأ) ولد الظبية إذا تحرك ومشى (والناي) المزمار وهو ما يغنى به من القصب كأنه معرب (ني) وهو القصب بالفارسية (والدن) وعاء الخمر؛ (وفي البيت) تشبيه مركب شبه هيأة الغناء بالعود مع انصباب الخمر من الدن التي هي بلون الدم بهيأة نوح النائحة على القتيل؛ وتشبيه الخمر بدم الذبيح كثير قال البديع الهمذاني:

وأسقنيها مثلما يلفظه الديك الذبيح

شبه الإبريق في انصباب الخمر منه بالديك الذبيح حال خروج الدم منه (ومنها في المخلص):

أدرها واغتنم في عرس شهم سنيح الملهيات عن البريح

(السنيح) والسانح الظبي يمر ما ناحية اليسار إلى اليمين؛ (والبريح) عكسه. قال كثير:

علا حاجبي الشيب حتى كأنه ظباء جرت منها سنيح وبارح

أي ومنها بارح شبه الحواجب في حالة الشيب بالظباء لأن الظبي بعضه أسود وبعضه أبيض. والعرب تتفاءل بالسانح وتتطير بالبارح (ومن كلامهم) من لي بالسانح بعد البارح أي بالمبارك بعد المشؤوم، وسببه أن الظبي إذا مر من جهة اليسار إلى اليمين تمكن الصائد من رميه وإذا مر من اليمين إلى اليسار لم يتمكن من رميه، وعن في قوله (عن البريح) للبدل كالتي في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٤٨].

٣٥ - قال العجاج على قول الشمني أو أحمد الرجاز على قول السيوطي يصف قوماً أضافوه ثم ضافهم فأتوه بلبن مخلوط بالماء:

بيتنا بحوران ومغزانا نبط ما زلت أسعى نحوهم واختبط

حتى إذا جن الظلام واختلط جاؤوا بمذق هل رأيت الذئب قط

ورواه الشيخ محمد الأمير في حاشية المغني هكذا:

بتنا بحسان ومعزاه تئط تلحس أذنيه وطوراً تمتخط

ما زلت أسعى نحوهم الخ (بحسان) أي بمنزله وهو اسم رجل:

(والأط) صوت الجوف من الخوى (ويروى) جاؤوا بضيح وهو بمعجمة مفتوحة فمثناه تحتية ساكنة فمهملة اللبن الرقيق المخلوط بالماء، (وحوران) بلاد في الشام مشهورة نفي إليها سعد بن عبادة الصحابي الخزرجي ومات بها من سهم أصابه ليلاً وتسمي البلد المدفون بها (الشيخ سعد) ومن بلادهم (بصرى) التي روي أنه ﷺ مر بها في تجارته إلى الشام بمال خديجة أم المؤمنين مع غلامها ميسرة؛ والتي ورد أن آمنة عليها السلام لما ولدته ﷺ سطع نور رأت منه قصور بصرى والشام؛ ومنها (جاسم) التي ولد فيها أبو تمام وذكرها عدي بن الرقاع العاملي في قوله:

لولا الحياء وأن رأسي قد عسا فيه المشيب لزرت أم القاسم

وكأنها بين النساء أعارها عينيه أحور من جاذر جاسم

وسنان أقصده النعاس فرنقت في طرفه سنة وليس بنائم

ومنها (نوى) التي منها الإمام النووي العالم المشهور شارح صحيح مسلم، ومنها (أذرعات) مفرد بصيغة الجمع وفيها يقول الشاعر:

تنورتها من أذرعات وأهلها بيثرب أقصى دارها نظر عالي

ومنها (اللجاءة) حصن عظيم كانوا يلجأون إليه عند الخوف من العدو والطريق إليه صعب المسلك؛ ويقال إنه كان لهذا الحصن باب وضعت خلفه حصاة لم يقدر أحد على فتحه (ومغزاها) من الغزو (ونبط) واد بناحية المدينة قرب حوراء (واختبط) من الخبط وهو الضرب يقال خبطت الناقة برجلها إذا ضربت بها الأرض والمراد هنا التعسف والمشقة في السير لظلام ونحوه (والاختلاط) الامتزاج ومعنى اختلاط الظلام امتزاجه بالأرض وستره إياها؛ (ويقال) اختلط الليل بالتراب والحابل بالنابل والمرعي بالهمل والخاثر بالزباد؛ أمثال تضرب في استبهام الأمر وارتباكه (والحابل) السدا (والنابل) اللحمة (والهمل) الإبل بلا راع ضد المرعي، قال الطغرائي:

قد رشحوك لأمر إن فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

(رشحوك) رأوك أهلاً له (وأربأ) مهموز الآخر أي اهرب (وخثر) اللبن مثلثاً غلظ (وزباد) اللبن بضم الزاي وتشديد الباء ما لا خير فيه (والمذق) بالفتح فالسكون مصدر مذقت اللبن إذا مزجته بالماء والمراد هنا الممذوق مبالغة والمعنى جاؤوا بلبن ممزوج بالماء في لون الذئب وهو بياض يضرب إلى سواد، (وفي قوله) حتى إذا جن الظلام الخ إشارة إلى زيادة بخلهم لأنهم يؤخرون القرى والعرب تتمدح بتعجيله ويأتون بزادهم في الظلام حتى لا يراهم أحد، (قوله) هل رأيت الذئب قال النحويون أنه صفة على تقدير القول أي مقول عند رؤيته وقال بعضهم ما أدري ما الذي دل النحويين على أن هذا وصف ويمكن كونه مستأنفاً كأن قائلاً يقول ما صفته فقال هل رأيت الذئب قط أي هو مثله؛ (وفي الحديث) كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا نعم يا رسول الله قال فإنها مثل شوك السعدان فيكون المعنى هنا بمذق مثل لون الذئب هل رأيت الذئب (ونظير ذلك) ما ذكره صاحب الكشاف في قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [البَقَرَة: ٥] والشيخ عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز في قولهم (هو البطل المحامي) إن معنى التعريف في المفلحون الدلالة على أن المتقين إن حصلت حقيقة المفلحين فهم هم لا يعدونها وإن حصلت حقيقة البطل المحامي فزيد هو هو بعينه ولا تريد أنه البطل المعهود ولا قصر جنس البطل عليه مبالغة وطريقته طريقة هل سمعت بالأسد وعرفت حقيقته فزيد هو هو بعينه وينتظم في هذا السلك قول بعض المعاصرين وقد طلب من صاحبه شيئاً فمنعه فقال مداعباً له:

إن كنت تسأل عن حقيقة ما در ... في البخل فاعلم إن هذا مادر
قد جمعت فيه القبائح كلها ... يا ليت شعري ما يقول الشاعر

فأعطاه ما طلب فقلبه إلى المدح فقال:

إن كنت تسأل عن حقيقة حاتم ... في الجود فاعلم أن هذا حاتم
قد جمعت فيه المحاسن كلها ... يا ليت شعري ما يقول الناظم

(مادر) بكسر الدال رجل يضرب به المثل في البخل بحاتم في الكرم؛ حكي أنه سقى ناقته من حوض فبقي فيه يسير ماء فسلح فيه وأفسده لئلا ينتفع به أحد بعده فسمي مادر لأنه مدر الماء أي أفسده (ونظير ذلك) في قلب الذم إلى المدح ما يحكى

أن رجلين من أدباء النجف الأشرف هجيا أميراً من أمراء خزاعة يقال له ابن شلال فقالا والصدر لأحدهما والعجز للآخر:

لقد لبست خزاعة ثوب خزي غداة غدا ابن شلال أميرا
طويل ما به طول ولكن غدا عن كل مكرمة قصيرا

فلما بلغه ذلك قال لهما أنتما القائلان هذين البيتين قالا نعم؛ ولكن أخطأ الراوي إنما قلنا هكذا:

لقد لبست خزاعة ثوب عز غداة غدا ابن شلال أميرا
طويل ما به قصر ولكن غدا عن كل منقصة قصيرا

فقبل منهما وأجازهما (ومن النمط المتقدم) قول الحاج محمد رضا الأزري:

وأعاد ذاك الجيش يركب ردعه أرأيت صاعقة القضاء المبرم

أي فإن كنت رأيتها فهي هو (والردع) العنق (وركب ردعه) أي سقط لوجهه فدخل عنقه في صدره وأصله في السهم يرمي به فيرتدع نصله فيه يقال ارتدع السهم إذا رجع النصل في السنخ متجاوزاً؛ ومنه ارتدع فلان عن دينه.

وقال الحماسي:

ألست أرد القرن يركب ردعه وفيه سنان ذو غرانيف نائس

(الغرار) الحد (والنائس) المضطرب.

(وقيل) المراد بالردع هنا الكف والدفع أي ادفع القرن وقد ركب ردعي إياه بمعنى لم يرتدع فسقط وقيل: يجوز أن يراد بالردع ما تلطخ به من الدم.

وبعض الناس لما لم يفهم معنى يركب ردعه أبدله بيدعو بعضه (وقط) ذكر لها في المغني ثلاثة معان؛ (منها) أن تكون ظرف زمان لاستغراق ما مضى (قال) وهذه بفتح القاف وتشديد الطاء مضمومة في أفصح اللغات وقد تكسر على أصل التقاء الساكنين وقد تتبع قافه طاءه في الضم وقد تخفف طاؤه مع ضمها أو إسكانها وتختص بالنفي يقال ما فعلته قط والعامة تقول لا أفعله قط وهو لحن واشتقاقه من قططته أي قطعته أي ما فعلته فيما انقطع من عمري لأن الماضي منقطع عن الحال والاستقبال وبنيت لتضمنها معنى قد وإلى انتهى، وقد علمت وقوعها بعد هل في

البيت الذي نحن بصدده (وفي القاموس) فإن قللت بقط فاجزمها نحو ما عندك إلا هذا قط فإن لقيته ألف وصل كسرت؛ نحو ما علمت إلا هذا قط اليوم وبعد أن ذكر اختصاصها بالنفي قال جاءت بعد المثبت في مواضع من البخاري منها في الكسوف أطول صلاة صليتها قط (وفي سنن أبي داود) توضأ ثلاثاً قط وأثبته ابن مالك في الشواهد اللغة قال - أي ابن مالك - وهي مما خفي على كثير من النحاة انتهى. واستدل بدر الدين بن مالك على اسميتها مع أنها لا تقبل شيئاً من علامات الأسماء ولا الأفعال بأنه دل الدليل على نفي حرفيتها لقبولها الإسناد إليها معنى فإن قولك: ما فعلته قط بمنزلة قولك الزمان الماضي ما فعلت فيه فهي مبتدأ في المعنى وإن كانت ظرفاً منصوب المحل في اللفظ وغير الاسم لا يسند إليه لا لفظاً ولا معنى والإسناد الذي جعل علامة للاسم إنما هو الإسناد لفظاً. وللشهاب الخفاجي صاحب الريحانة في رجل يعرف بالذئب:

للذئب نجل فضله لاح على غير نمط
حكى أباه في العلى فهل رأيت الذئب قط

قال وهو كقول لؤلؤ:

وذي قوام أهيف بين الندامى قد نشط
قام يقط شمعة فهل رأيت الغصن قط

وللشهاب الحجازي:

وبدر تم قد سعى بكأس راح وانبسط
حيى وقط كأسه فهل رأيت البدر قط

ولصاحب الريحانة أيضاً:

وكاتب كأنه غصن النقا إذا نشط
يقط أقلاماً له فهل رأيت الغصن قط

ثم قال: والقد والقط متقاربان معنى وهما نوعان من القطع وفيه لطيفة اتفاقية لأن القد قطع الشيء من نصفه أو قطعه نصفين، والقط: قطع الطرف كما في الشمعة والقلم فكأنه لكونه قليلاً من القطع نقص منه العين انتهى.

٣٦ - قال أبو نخيلة بضم النون وفتح الخاء المعجمة يعمر بن حزن:

جارية لم تأكل المرققا ... ولم تذق من البقول الفستقا

من للبدل كالتي في قوله تعالى: ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ [التوبة: ٣٨] ﴿لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَـٰٓئِكَةً فِى الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ [الزخرف: ٦٠] والمعنى أنها بدوية لم تأكل الخبز الرقيق ولا الفستق اللذين هما من مأكول الحضر وإنما تأكل الخبز الثخين وبقول الأرض اللذين هما مأكول أهل البدو ومن عادتهم تفضيل البدو على الحضر قال أبو الطيب:

من الجآذر في زي الأعاريب ... حمر الحلي والمطايا والجلابيب

أفدي ظباء فلاة ما عرفن بها ... مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب

ولا برزن من الحمام مائلة ... أوراكهن صقيلات العراقيب

حسن الحضارة مجلوب بتطرية ... وفي البداوة حسن غير مجلوب

ومن هوى كل من ليست مموهة ... تركت لون مشيبي غير مخضوب

وقال المعري:

الموقدون بنجد نار بادية ... لا يحضرون وفقد العز في الحضر

وقال السيد الرضي:

أعاريب ما يدرون ما الريف بالفلا ... ولا يغبطون القوم أما تريفوا

رذايا هوى إنَّ برق تطالعوا ... وإن عارضوا الطير الغوادي تعيفوا

توارك للشق الذي هرآ من ... نوازل بالأرض التي هي أخوف

(الريف) أرض فيها زرع وخصب (والرذايا) جمع رذية وهي الناقة المهزولة من السير (والتعفيف) زجر الطير تفؤلاً وتشؤماً (ولما) كانت من الجارة يسبق منها إلى الأذهان معنى التبغيض توهم البعض أنها في البيت كذلك وإن الشاعر توهم أن الفستق من جملة البقول (ففي الصحاح) ظن هذا الأعرابي أن الفستق من البقل وهكذا يروى بالباء وأنا أظنه بالنون لأن الفستق من النقل لا من البقل انتهى وهذا عجيب متى كان الشاعر الأعرابي تخفى عليه البقول وأنواعها ويتوهم دخول الفستق فيها الجهل منه بأسمائها وهل تعرف أسماؤها إلا منه وتروى إلا عنه أم لجهل منه

بأنواعها وأصنافها وهو العالم بها على شدة اختلافها (ومنبت العشب لا يخفى على الراعي) ومع الغض عن ذلك فأي فائدة في إخبار عنها بأنها لم تأكل الفستق الذي هو بعض البقول إلا أن يريد أنها من البقول التي تأكلها أهل الحضر لا أهل البوادي وظن الجوهري أنه بالنون من بعض الظن.

٣٧ - قال أبو تمام من قصيدة يمدح بها عمر بن عبد العزيز الطائي:

إن الكرام كثير في البلاد وإن ... قلوا كما غيرهم قل وإن كثروا
لا يدهمنك من دهمائهم عدد ... فإن كلهم أو جلهم بقر
فكلما أمست الأخطار بينهم ... هلكى تبين من أمسى له خطر
لو لم تصادف شياة البهم أكثر ما ... في الخيل تحمد الأوضاح والغرر

(كثرة الكرام) مع قلتهم باعتبار أن الواحد منهم يعادل الألوف وقلة غيرهم ومع كثرتهم باعتبار قلة نفعهم فهم كالعدم فألوفهم لا تعادل الواحد من غيرهم فلذلك كان الكرام كثيرين مع قلتهم.

كما قال الشاعر:

والناس ألف منهم كواحد ... وواحد كالألف إن أمر عنا

(لا يدهمنك) من أدهمه الأمر يدهمه إذا ساءه من باب أفعل يفعل والدهماء مؤنث أدهم وهو الأسود والعدد الكثير وجماعة الناس وهو المراد هنا وضمير (دهمائهم) عائد إلى غير الكرام أي لا يسوءنك كثرة اللئام فإن جميعهم أو أكثرهم بقر لمشاركتهم لها في الصفات وليسوا من نوع الإنسان حتى يكون فقدهم الكرم مما يسوء لأن من ليس من شأنه أن يتصف بالكمال لا يثقل على الطبع فقده له وهذا من باب الإدعاء والمبالغة (والأخطار) جمع خطر بالكسر وهو الإبل الكثيرة أو أربعون أو مائتان أو ألف (والخطر) بفتحتين الشرف لما ذكر أن الكرام مع قلتهم كثيرون واللئام مع كثرتهم قليلون كأن قائلاً يقول ما الذي يميز بينهم ويعرفنا الكريم من اللئيم فقال يبين ذلك نحر الإبل وهلاكها فيما بينهم فكلما أمست الإبل هلكى فيما بينهم تبين صاحب القدر والشرف من غيره فمن كان أكثر نحراً لها فهو الكريم؛ (أو المراد) كلما أمست الأخطار أي الأقدار والفضائل مفقودة فيما بينهم تجوزا بهلاكها عن فقدها تبين صاحب القدر والشرف وزاد قدره وضوحاً وظهوراً إذ بضدها تتبين

الأشياء فكلما كثرت أضداد الشيء زاد وضوحاً فكثرة اللئام توجب ظهور الكرام، ولو كان جميع الناس كراماً لم يكن لأحد على أحد فضل، (والشياة) جمع شية وهي كل لون يخالف معظم لون الفرس أو غيره قال الله تعالى: ﴿مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧١] مسلمة من السلامة أي مبرأة من العيوب (لاشية) لا وضح فيها يخالف لون جلدها (والبهم) جمع بهيم وهو الأسوج (والأوضاح) جمع وضح وهو البياض يقال بالفرس وضح إذا كانت به شية كالغرة والتحجيل ومنه الموضحة شجة التي تبدي وضح العظم أي بياضة والوضاح الرجل الأبيض اللون الحسنة وسمّت العرب جذيمة الأبرش بالوضاح لأنه كان أبرص فتحاشوا من تسميته بالأبرص فسموه الأبرش والوضاح، كنوا بالوضح عن البرص وقالوا أوضح الرجل إذا ولد له أولاد بيض (والغرر) جمع غرة وهي بياض في الجبهة فهو من عطف الخاص على العام؛ وهذا البيت كالحجة للذي قبله أي إن البياض الذي في الخيل السوداء لو لم يصادف أكثر ما فيها من اللون أي لو لم يوجد مع اكثر لونها فيكون الأكثر غيره وهو أقل لم يكن محموداً فالأوضاح والغرر إنما حمدت لقلتها في جنب بقية اللون ولو كانت كثيرة في الفرس كالذي أكثر لونه أو كله أبيض لم يكن ذلك البياض محموداً كما تحمد الغرر والحجول؛ وكذلك الكرام إنما يحمدون لقلتهم في جنب غيرهم من اللئام وهذه القصيدة من غرر قصائد أبي تمام وفيها يقول:

خرجن في حلل كالروض ليس لها ... إلا الحلي على أعناقها زهر
بدرة حفها من حولها درر ... أرضى غرامي فيها دمعي الدرر
ريم أبت أن يريم الحزن لي جلداً ... فالعين عين بماء الشوق تنهمر
صب الشباب عليها وهو مقتبل ... ماء من الحسن ما في صفوه كدر
لولا العيون وتفاح الخدود إذاً ... ما كان يحسد أعمى من له بصر
قالوا أتبكي على رسم فقلت لهم ... من فاته العين أدنى شوقه الأثر

إن الكرام كثير؛ الأبيات الأربعة وبعدها:

نعم الفتى عمر في كل نائبة ... نابت وقلّ له نعم الفتى عمر
مجرد سيف رأى من عزيمته ... للناس صيقله الإطراق والفكر
عضباً إذا سله في وجه نائبة ... جاءت إليه صروف الدهر تعتذر

ساماه قوم وطعم الموت في فمه كالشهد وهو على أحناكهم صبر
فدى له مقشعر حين تسأله خوف السؤال كأن في جلده ابر
لله دربني عبد العزيز فكم أردوا عزيزاً غداً في خده صعر
تتلى وصايا المعالي بين أظهرهم حتى لقد ظن قوم أنها سور
يا ليت شعري من هاتا مآثره ماذا الذي ببلوغ النجم ينتظر
سافر بطرفك في أقصى مكارمنا إذ لم يكن لك في تأثيلها سفر
هل أورق المجد إلا في بني أدد او أجتني قط لولا طيء ثمر
لولا أحاديث أبقتها أوائلنا من السدى والندى لم يعرف السمر

(يريم الحزن) من رامه يريمه أي يبرحه أي أبت أن يبرح الحزن لي جلداً؛ (والصعر) الميل في الخد خاصة وصعر خده أي أماله من الكبر ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان: ١٨] والتأثيل التأصيل أي انظر في مكارمنا كلها حيث إنك لا تقدر على تأصيل مثلها وبنائه وغاية ما يمكنك النظر فيها بطرفك (وأدد وطيء) من أجداد المادح والممدوح (والسدى) بفتح السين ندى الليل وهو حياة الزرع وأريد به هنا الجود وعطف الندى عليه تفسير؛ قال الكميت: (فأنت الندى فيما ينوبك والسدى) (والسمر) بالتحريك حديث الليل.

٣٨ - قالت ليلى الأخيلية أورده أبو تمام في الحماسة:

لا تغزون الدهر آل مطرف إن ظالماً فيهم وأن مظلوما
قوم رباط الخيل وسط بيوتهم وأسنة زرق تخال نجوما
ومخرق عنه القميص تخاله بيت البيوت من الحياء سقيما
حتى إذا رفع اللواء رأيته تحت اللواء على الخميس زعيما

نهته عن غزوهم على كل حال إن كان مبتدئاً أو منتقماً لأنه لا يقدر على الانتصار (ومخرق عنه القميص) أي إنه مبتذل أي لابس ثياب بذلة قد تخرقت عنه لأنه لا يهمه حسن اللباس بل حسن الأفعال والسجايا، وقيل: إنه كناية عن كرمه فقميصه تخرق لكثرة تشبث السؤال به وقيل: وصفته بغلظ المناكب ومن كان كذلك أسرع الخرق إلى قميصه وقيل: وصفته بكثرة الغزوات واتصال الأسفار فقميصه مخرق لذلك والأول أقرب؛ (من الحياء سقيماً) أي ينتقع لونه لشدة حيائه وإنما

يستحي من أن لا يكون بلغ من كرم ما في نفسه، (واللواء) العلم الأعظم لأنه يلوى لكبره فلا ينشر إلا عند الحاجة، (والخميس) الجيش لأنه يكون خمس كتائب أو خمسة صفوف المقدمة والميمنة والميسرة والقلب والجناح، والأولى إخراج المقدمة لأنها تكون متقدمة عن الجيش غير مختلطة به وجعله ميمنة وميسرة قلباً وجناحين (والزعيم) الرئيس سمي زعيماً لأنه يزعم عنهم أي يقول كما يسمي قيلاً ومقولاً وصفته بوفور العقل لعدم مبالاته باللباس مع أنه رئيس القوم وبشدة الحياء في السلم مع الشجاعة والسطوة في الحرب والألم وإلا لم يكن زعيم الجيش.

قال أبو الطيب:

حيـيـون إلا أنـهـم فـي نـزالـهـم أقـل حـيـاءً مـن شـفـار الـصـوار

٣٩ - قال الفرزدق يصف الذئب حين أطعمه من زاده في بعض أسفاره من أبيات:

تـعش فـإن عـاهـدتـنـي لا تـخـونـنـي نـكـن مـثـل مـن يـا ذئـب يـصـطـحـبـان

فـأنـت امـرؤ يـا ذئـب والـغـدر كـنـتـمـا أخـيـيـن كـانـا أرضـعـا بـلـبـان

وكـل رفـيـقـي كـل رحـل وإن هـمـا تـعـاطـى الـقـنـا قـومـاهـمـا إخـوان

(في المغني) هذا البيت أي الأخير من المشكلات لفظاً وإعراباً ومعنى، (وقال) إن (كل) في رحل زائدة (وتعاطى) أصله تعاطياً فحذفت لامه للضرورة أو ألف تعاطى لام الفعل ووحد الضمير لأن الرفيقين ليسا باثنين معينين بل هما كثير كقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [الحجرات: ٩] ثم حمل على اللفظ إذ قال هما أخوان كما قيل: ﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩] وجملة هما أخوان خبر كل (وقوما) أما بدل من القنا لأن قومهما من سببهما إذ معناه تقاومهما فحذف الزوائد فهو بدل اشتمال أو مفعول لأجله أي تعاطى القنا لمقاومة كل منهما الآخر أو مفعول مطلق من باب (صنع الله) لأن تعاطي القنا يدل على تقاومهما؛ (ومعنى البيت) أن كل الرفقاء في السفر إذا استقروا رفيقين فهما كالأخوين لاجتماعهما في السفر والصحبة وإن تعاطى كل منهما مغالبة الآخر؛ انتهى.

(ونقول) سبحان من تفرد بالكمال وتنزه عن النقص، هذا ابن هشام مع فضله وتبحره في العلوم العربية حرف بيت الفرزدق وقرأه غلطاً واشتبه فيما لا يشتبه فيه

أحد فجعله من المشكلات لفظاً وإعراباً ومعنى ولا إشكال فيه بشيء من ذلك ولا شبه أشكال، وهكذا قد يقع من أعاظم العلماء الغلط وللاشتباه فيما لا يغلط فيه أحد كل ذلك دليل على نقص الإنسان مهما بلغ من الكمال إلا من عصمه الله، وذلك أنه قرأ قوما هما بنصب الميم وتنوينها وإنما هي بدون تنوين مضافة إلى هما فوقع فيما وقع فيه من الاستشكال في أفراد ضمير تعاطى حتى زعم أن أصله تعاطيا وفي إعراب قوما ومعناها، وغير ذلك من الخبط الذي وقع فيه ولم يصب في شيء مما ذكره وسبب ذلك كله غلطه في قراءة البيت (أما جعله) كل في كل رحل زائدة فأصاب فيه، وأنت ترى أن معنى البيت ولفظه وإعرابه كلها واضحة جلية لا شبهة ولا اشكال فيها فهو يقول كل رفيقين في سفر أخوان وأن تعاطى القنا قوماهما وعشيرتاهما أن كان بين قوميهما حرب وقتال وعداوة لأن ضرورة الصحبة واحتياج كل منهما إلى الآخر في الغربة تدعوهما إلى أن يتعاونا ويكونا كالأخوين وإن كان بين قوميهما حرب وعداوة؛ فيجب أن لا يلتفتا إلى ذلك ويفرضاه كأنه لم يكن؛ وابن هشام هو الذي حكى في كتابه أن جارية غنت بحضرة بعض الخلفاء العباسيين:

أظلوم إن مصابكم رجلاً أهدى السلام تحية ظلم

فرد عليها بعض الحاضرين بأن الصواب رجل لأنه خبر أن؛ فقالت الجارية إن شيخها أقرأها إياه رجلاً بالنصب فأرسل الخليفة خلفه فأبان أن الصواب ما قرأته وإن رجلاً مفعول مصابكم وظلم الخبر وليس اشتباه من رد عليها بأعظم من اشتباه ابن هشام في بيت الفرزدق؛ ولسنا نريد بهذا الغض من مقام ابن هشام وإمامته في علم العربية ولكننا نريد أن نبين أن أعاظم العلماء قد يشتبهون فيما لا يشتبه فيه أصاغر الطلبة؛ ونستدل بذلك على أن الكمال المطلق لله وحده وهذا الجوهري إمام اللغة يقول في الصحاح ويقال للجلدة التي بين العين والأنف «سالم» قال عبد الله بن عمر في ابنه:

يديرونني عن سالم وأريغه وجلدة بين العين والأنف سالم

قال وهذا المعنى أراد عبد الملك في جوابه عن كتاب الحجاج: أنت عندي سالم والسلام ويقول صاحب القاموس: أن قوله غلط واستشهاده باطل ويقول ابن بري: هذا وهم قبيح وإنما سالم بن عبد الله بن عمر فجعله لمحبته بمنزلة جلدة بين

عينيه وأنفه وقال غير واحد من الأئمة: أنه غلط تبع فيه خاله أبا نصر الفارابي في كتابه ديوان الأدب وقال بعضهم: الصحيح إن البيت لزهير وإنما كان يتمثل به ابن عمر ولو أردنا استيفاء أغلاط أكابر العلماء التي لا تقع من صغار الطلبة لطال الكلام، فسبحان من لا يغلط ولا ينسى.

٤٠ - قال:

أكلنا بها ديكاً وديكاً وديكة ... وديكاً وديكاً كان بالأمس يدرج
وما جملة الأدياك إلا ثلاثة ... وهذا كلام مستقبم معوج

(وديكاً) الثانية صفة ديكاً بوزن فعيل أي سميناً من الودك وهو الشحم؛ (وديكة) أنثى الديك (وديكاً) في الشطر الثاني معطوف وما بعده صفته.

٤١ - قال:

جارية قلت لها ألا ... رعيت في الحب لنا إلا
وطرفك الأزرق ما باله ... يحدث فينا لحظة القتلا
قالت ألا يقتل طرف حكى ... لون سنان الرمح والشكلا
قد عملت إن على أنها ... حرف وقد أشبهت الفعلا

(ألا) بفتح الهمزة وتشديد اللام حرف تحضيض، (وإلا) بالكسر أي عهداً قال تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ٨]. لا يرعون في مسلم إلا ولا ذمة؛ أي عهداً أو حلفاً أو قرابة أو جواراً.

٤٢ - قال تأبط شراً:

شامس في القر حتى إذا ما ... ذكت الشعرى فبرد وظل

(الشامس) ذو الشمس (والقر) بالضم ضد الحر (والشعرى) بالكسر نجم يشتد عند طلوعه الحر؛ قال تعالى: ﴿هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ﴾ [النجم: ٤٩] يقول ذو حر في وقت البرد وبدر في وقت الحر فهو منتفع به في الحالين والمراد وصفه بالكرم فمن لجأ إليه في الشتاء وجد عنده ما يدفئه من الطعام واللباس كالشمس تدفئ المقرور من وفد عليه في الصيف حين يطلع نجم الشعرى وجد عنده ظلاً ظليلاً وماء بارداً يطفئ حره.

٤٣ - قال:

لك الثلثان من قلبي وثلثا ثلثه الباقي
وثلثا ثلث ما يبقى وثلث الثلث للساقي
وتبقى أسهم ست تقسم بين عشاقي

نريد عدداً له ثلثان ولثلثه ثلثان ولثلث ثلثه ثلثان ولثلث ثلث ثلثه ثلث فنضرب ثلاثة في ثلاثة الحاصل تسعة نضربها في ثلاثة يحصل سبعة وعشرون نضربها في ثلاثة يحصل أحد وثمانون ثلثاها أربعة وخمسون أعطاها له وثلثها سبعة وعشرون أعطاه ثلثيها ثمانية عشر بقي تسعة أعطاه ثلثي ثلثها وهو اثنان بقي سبعة أعطى منها ثلث الثلث الباقي وهو واحد للساقي؛ بقي ستة تقسم على العشاق.

٤٤ - قال أبو العلاء المعري:

وما إربي إلّا معرس معشر هم القوم لا سوق العروس ولا الشط
شكرتهم شكر الوليد بفارس رجالاً بحمص كان جدهم السمط

في القاموس (العروس) حصن باليمن (والشط) بلدة باليمامة وموضع بالبصرة يضاف إلى عثمان بن أبي العاص الصحابي اهـ، (والوليد) اسم البحتري الشاعر (وحمص) بالكسر فالسكون بلد مشهور بين دمشق وحلب في نصف الطريق؛ قال في (مراصد الإطلاع) يسمى باسم من أحدثه وهو حمص بن مكنف العمليقي وبها قبر خالد بن الوليد وابنه عبد الرحمن وعاص بن عنم، وفي غربي الطريق من حماه بقرب حمص قصر بناه خالد بن الوليد بن عبد الملك ويقال إن القبر الذي يزار على أنه قبر خالد بن الوليد وقبر خالد هذا؛ (انتهى مراصد الإطلاع) وفي حمص يقول الشاعر:

وما يستوي المصران حمص وجلق ولا قصر جيرون بها والخورنق

في المراصد (جلق) بكسرتين وتشديد اللام وقاف اسم لكورة الغوطة كلها وقيل قرية من قراها؛ وقيل دمشق نفسها وقيل صورة امرأة يجري الماء من فيها بقرية من قراها (وجيرون) سقيفة مستطيلة على عمد وسقائف حولها مدينة تطيف بها وهي بدمشق في وسطها كالمحلة باب الجامع الشرقي إليها يسمى باب جيرون؛ وقيل جيرون قرية الجبابرة في أرض كنعان انتهى المراصد. وفي القاموس (الخورنق) قصر

للنعمان الأكبر معرب خورنكاه أي موضع الأكل ونهر بالكوفة وبلد بالمغرب وبلدة ببلخ. وفي المراصد الخورنق بفتحتين وراء ساكنة ونون مفتوحة وآخره قاف بلد بالمغرب وقرية على نصف فرسخ من بلخ وهو فارسي معرب عن خرنكاه وتفسيره موضع الشرب، وأما الخورنق الذي ذكرته العرب في أشعارها وضربت به الأمثال في أخبارها فليس بأحد هذين وإنما هو موضع بالكوفة قيل إنه نهر والمعروف أنه القصر القائم إلى الآن بالكوفة بظاهر الحيرة؛ قيل بناه (النعمان بن المنذر) في ستين سنة، بناه له رجل يقال له (سنمار) فكان يبني فيه السنتين والثلاث ثم يغيب الخمس سنين وأكثر وأقل ويطلب فلا يوجد ثم يأتي فيحتج؛ فلما فرغ من بنائه صعد النعمان على رأسه ونظر إلى البحر تجاهه والبر خلفه فقال ما رأيت مثل هذا البناء قط فقال سنمار إني أعلم موضع آجرة لو زالت لسقط القصر؛ فقال له النعمان يعرفها أحد غيرك قال: لا قال النعمان لأدعنها لا يعرفها أحد؛ ثم أمر فقذف من أعلى القصر إلى أسفله فتقطع فضربت العرب به المثل، وقالوا جزاء سنمار وقيل الذي أمر ببنائه بهرام كور بن يزدجرد بن سابور وكان بهرام كور أصابته في صغره علة تشبه الاستسقاء فبعث به إلى النعمان وبنى له الخورنق (انتهى المراصد)؛ وفي سنمار يقول الشاعر:

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر وحسن فعل كما يجزى سنمار

وحينئذٍ فالمراد بالبيت السابق إثبات التفاضل بين الشام وحمص وبين قصر جيرون بالشام والخورنق الذي بالحيرة، وليس بحمص قصر يسمى الخورنق ليكون التفضيل بينه وبين قصر جيرون.

(وبنو السمط) قوم من أهل حمص. روى الشريف المرتضى في أماليه بسنده عن البحتري قال كنت عند أبي العباس المبرد فتذاكرنا شعر عمارة بن عقيل فقال أبو العباس لقد أحسن عمارة في قوله لخالد بن يزيد لما وجه إليه بهذين البيتين:

لم أستطع سيراً لمدحة خالد فجعلت مدحيه إليه رسولا

فليرحلن إلى نائل خالد وليكفين رواحلي الترحيلا

قال البحتري فقلت له لمروان بن أبي حفصة في عبد الله بن طاهر وقد أتاه نائله من الجزيرة ما هو أحسن من هذا وأنشدته:

لعمري لنعم الغيث غيث أصابنا ببغداد من أرض الجزيرة وابله
فكنا كحي صبح الغيث أهله ولم يرتحل أضعانه ورواحله

فقال نعم هذا أحسن، فقلت له أن لي في بني السمط وقد أتاني برهم من حمص ما لا يتضع عن الجميع وأنشدته:

جزى الله خيراً والجزاء بكفه بني السمط أخدان السماحة والمجد
هم وصلوني والمهامه بيننا كما ارفض غيث من تهامه في نجد

فقال هذا والله أرق مما قالا وأحسن انتهى، وهذان البيتان لم أجدهما في ديوان البحتري الموجود الآن بأيدي الناس؛ وفي القاموس بنو السمط قوم من النصارى.



الفصل الرابع

في تفسير بعض الأمثال

وفيه فوائد:

١ - من أمثال العرب قولهم (أصح من عير أبي سيارة) (قال) في القاموس أبو سيارة عُمَيلة بن خالد العدواني كان له حمار أسود أجاز الناس عليه من المزدلفة إلى منى أربعين سنة وكان يقول أشرق ثبير كيما نغير أي كي نسرع إلى النحر فقيل أصح من عير أبي سيارة انتهى، وثبير جبل بتلك الجهات وإشراقه إشراق الشمس عليه لأن النفر من المزدلفة يكون بعد شروق الشمس.

٢ - ومن أمثالهم (كبر عمر وعن الطوق) قال في القاموس مثل يضرب للابس ما هو دون قدره وهو عمرو بن عدي وكان خاله جذيمة جمع غلماناً من أبناء الملوك يخدمونه منهم عدي وكان جميلاً فعشقته رقاش أخت جذيمة فقالت له: إذا سقيت الملك فسكر فاخطبني إليه فسقى عدي جذيمة والطف له فلما سكر قال له: سلني ما أحببت قال: زوجي رقاش أختك قال: قد فعلت فعلمت رقاش أنه سينكر إذا أفاق فقالت للغلام: ادخل على أهلك ففعل فأصبح في ثياب جدد وطيب فلما رآه جذيمة قال: ما هذا قال: أنكحتني أختك البارحة قال: ما فعلت وجعل يضرب وجهه ورأسه وأقبل على رقاش وقال:

خبريني وأنت غير كذوب ... أبحر زنيت أم بهجين[1]

أم بعبد فأنت أهل لعبد ... أم بدون فأنت أهل لدون

قالت: بل زوجتني كفواً كريماً من أبناء الملوك فأطرق جذيمة فلما علم عدي بذلك خاف فهرب ولحق بقومه ومات هنالك وعلقت منه رقاش وأتت بابن سماه جذيمة عمراً وتبناه وأحبه وكان لا يولد له فلما ترعرع كان يخرج مع الخدم يجتنون للملك الكمأة فكانوا إذا وجدوا كمأة خياراً أكلوها وأتوا بالباقي إلى الملك وكان عمرو لا يأكل منه ويأتي به كما هو ويقول: (هذا جناي وخياره فيه إذ كل جان يده

(١) الهجين اللئيم ومن الخيل غير العتيق.

إلى فيه) ثم أنه خرج يوماً عليه حلي وثياب فاستطير[1] ففقد زماناً فضرب في الآفاق فلم يوجد ثم وجده مالك وعقيل ابنا فارج رجلان من بَلقين[2] كانا متوجهين إلى جذيمة بهدايا فبينما هو بوادي في السماوة انتهى إليهما عمرو بن عدي فسألاه من أنت قال ابن التنوخية فقالا لجارية معهم أطعمينا فأطعتمهما فأشار عمرو إليها أن أطعميني فأطعمته ثم سقتهما فقال عمرو اسقيني فقالت (لا تطعم العبد الكراع[3] فيطمع في الذراع) ثم أنهما حملاه إلى جذيمة فعرفه وضمه وقبّله وقال لهما: لكما حكمكما فسألاه منادمته فلم يزالا نديميه وبعث عمراً إلى أمه فأدخلته الحمام وألبسته وطوقته طوقاً كان له من ذهب فلما رآه جذيمة قال كبر عمرو بن الطوق انتهى، ورأيت هذا المثل على غير هذا الوجه (لا تعط العبد كراعاً فيطلب ذراعاً ولا تعطه ذراعاً فيطلب باعاً) يضرب لمن يعطى الشيء فيطمع فيما فوقه (وجذيمة) هذا كان يقال له جذيمة الأبرش وجذيمة الوضاح لأنه كان به برص فتحاشوا أن يقولوا جذيمة الأبرص (ونديماه) هذان كان يضرب بهما المثل ولم يزالا نديميه حتى فرق بينهم الموت وذكرتهما العرب في أشعارها قال متمم بن نويرة يرثي أخاه مالكاً من قصيدة:

وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن نتصدعا

٣ - ومن أمثالهم (رب كلمة تقول دعني) قالوا أصلها أن بعض ملوك الحيرة كان قد استراب ببعض خوله فنزل يوماً وهو يتصيد على تلعة ونزل أصحابه حوله فأفاضوا في حديث كثير فقال ذلك الإنسان أترى لو أن رجلاً ذبح على هذه التلعة هل كان يسيل دمه إلى أول الغائط فقال الملك هلموا فاذبحوه لننظر فذبحوه فقال الملك: رب كلمة تقول دعني.

---

(١) أي ذعر.

(٢) أصله بني القين والعرب تخفف أمثال ذلك إذا كانت اللام قمرية فتقول بلعنبر بلحارث أصله بني العنبر بني الحارث وغير ذلك.

(٣) الكراع كغراب من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس وهو مستدق الساق ويؤنث وفي الحديث لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدي إلى كراع لقبلت (المؤلف).

الفصل الخامس

في بعض المسائل الفقهية وما يجري هذا المجرى

وفيه فوائد:

١ - في كتاب سوق المعادن للفقيه الورع الزاهد العابد المعاصر الشيخ محمد ابن علي بن محمد آل عز الدين العاملي قدس سره.

قال: قال السيد المحيط السيد جواد العاملي صاحب مفتاح الكرامة في تعليقاته على الوافي[1] عند ذكر نجاسة الخنزير بأجمعه حتى ما لا تحله الحياة: ولا بأس بذكر حكاية حكاها شيخنا البهائي في شرحه على الفقيه (قال:) كنت مع الشاه عباس الأول غفر الله له في الصيد إذ عرض خنزير طويل الجثة عظيم السن فضربه الشاه بالسيف ضربة نصفه بها ثم أمر بقلع سنه والإتيان بها إليه فوجد مكتوباً عليه لفظ الجلالة بخط بيّن فحصل لنا ولمن حضر من العسكر المنصور نهاية العجب فإن ذلك من أغرب الغرائب ولما أرانيها أدام الله نصرهُ قال كيف يجتمع هذا مع نجاسة الخنزير فعرضت لديه أن السيد المرتضى (قده) قائل بطهارة ما لا تحله الحياة من نجس العين ووجود هذا الخط على هذا السن ربما يؤيد كلامه فإن السن مما لا تحله الحياة وكان بعض الأطباء حاضراً في المجلس الأشرف فقال: قد صرح الشيخ في القانون بأن بعض العظام فيها حياة والسن من جملة تلك العظام فيكون مما تحله الحياة البتة فقلت له: كلام ابن سينا غير راجح عندنا بعد نقل علمائنا قدس الله سرهم عن أئمتنا عليهم السلام: إن السن مما لا تحله الحياة وأنها كالظفر والشعر والقرن فحرك رأسه ورمى تعظيماً لابن سينا فأردت كسر سورة استعظامه فقلت له: إن لي مع ابن سينا بحثاً لا يخلص منه وهو أنه ناقض نفسه في هذا الكلام الذي نقلته أنت عنه لأنه ذكر في بحث أمراض الأسنان من القانون أنها من جملة العظام التي لها حس البتة وقال في بحث تشريح الأسنان ليس لشيء من العظام حسن البتة إلا الأسنان

---

(١) هي تقريرات درس أستاذه السيد مهدي بحر العلوم في كتاب الوافي يذكر أولاً السند ثم اللغة ثم المعنى (المؤلف).

وظاهر تلك العبارة موجبة جزئية فيثبت الحس لبعض وتلك سالبة كلية منفية عن الكل وهل هذا إلا عين التناقض فطأطأ رأسه وقال أراجع القانون فقلت له راجع ألف مرة انتهى (قال) صاحب سوق المعادن: صحة هذه الحكاية لا تثبت مذهب المرتضى لأن النجاسة من التكليفات الراجعة إلى العباد ولا يقتضي ذلك منع كتابة لفظة الجلالة على الحيوان النجس من قبل الله تعالى نعم يحرم علينا أن نكتب وكون أحكامه تعالى معللة بالعلل والأغراض لا يستلزم علمنا بها بل قد حررنا في غير مقام من الأصول أن الله تعالى حكماً يتعبد به صرفاً ليس المطلوب فيه إلا تعبد العبد من غير أن تكون في الفعل مصلحة مقتضية لذلك ولعل هذا منها وإلا فيما الفرق بين الكلب وابن آوى حتى إن هذا نجس وهذا طاهر فحيث جاءت الروايات عنهم عليهم السلام بنجاسة الخنزير وهي تقتضي نجاسة جميع أجزائه حلتها الحياة أم لا فلا يعدل إلى مثل هذه الحكاية انتهى. (أقول) صحة هذه الحكاية لا تثبت مذهب المرتضى بل ولا وتؤيده فإن طهارة سن الخنزير في ذاتها لا تنفع مع ابتلالها دائماً بريقه وفضلات فمه النجسة إجماعاً والتصاقها بلحمه النجس كذلك فالاعتذار عن هذه الحكاية بمذهب المرتضى واه جداً (أما قوله): إن النجاسة من التكاليف الراجعة إلى العباد الخ ففيه إن عدم جواز الكتابة منا إنما هو للاحترام علمنا ذلك هنا وإن لم يجب أن نعلم الحكمة في كل مقام فما يكون فيه الإهانة لاسمه تعالى لا يعقل صدوره منه فأما أن يلتزم بطهارة هذا الخنزير وإن كانت الأحكام معللة بالعلل والأغراض لأن المقتضي للنجاسة يمكن أن يعارض في شخص هذا الخنزير بما هو أقوى منه أو يقال بأن قبح إيصال النجاسة إلى اسمه تعالى ربما يعارضه ما هو أهم مما يعلمه المطلع على خفايا الأمور فلا يكون قبيحاً (والأوجه) من ذلك أن يقال إن القبيح إيجاد مثل هذه الكتابة بفعله تعالى أو فعل أحد المكلفين أما لو حدثت بكتابة الريح أو تغير لون بعض السن بشيء مما يدخل في فم الخنزير أو نحو ذلك فلا يجب عليه تعالى إزالتها وإن وجبت علينا بعد العثور عليها (أما) ما ذكره من أن الله حكماً يتعبد به صرفاً الخ ففيه أنه قد تحقق في الأصول أيضاً أنه لا يجوز خلو التكليف عن مصلحة وحكمة نعم لا يجب أن تكون في المكلف به بل قد تكون في نفس التكليف ولعل هذا مراده (أما) قوله ما الفرق بين الكلب وابن آوى ففيه أن عدم ظهور الفرق لا يوجب عدمه في الواقع مع أن تخالفهما خلقةً وطبعاً كاف في الفرق.

٢ - ذكر الفقهاء في باب الوضوء عند تحديد الوجه وجوب غسل ما دارت عليه الإبهام والوسطى عرضاً وما بين قصاص الشعر إلى طرف الذقن طولاً؛ فيجب غسل ما دخل في الحد دون ما خرج إلا من باب المقدمة من غير فرق في الدخول والخروج بين الصدغ والعذار والعارض ومواضع التحذيف والنزعتين وغيرها وفي الروضة يدخل في الحد مواضع التحذيف والعذار والعارض لا النزعتان.

ولا بأس بضبط هذه الألفاظ وتفسيرها (فالقصاص) مثلث القاف آخر منبت الشعر فوق الجبهة (والذقن) بالذال المعجمة والتحريك مجمع اللحيين أي العظمين النابت عليهما العارضان (والصدغ) بالضم هو المنخفض الذي ما بين الأذن والعين وحدّه من الأعلى ما بين أعلى الأذن والحاجب ومن الأسفل إلى أول العذار والشعر المتدلي على هذا الموضع (والعذار) الشعر النابت على ما يحاذي منتصف الأذن من مبدأ العظم الناتىء إلى ما يحاذي طرف الأذن الأسفل (والعارض) الشعر المنحط عن القدر المحاذي للأذن إلى الذقن فالعذار بين الصدغ والعارض (والنزعة) بالتحريك موضع إنحسار الشعر من جانبي الجبهة وهو أنزع وهي زعراء ولا يقال نزعاء (ومواضع التحذيف) الشعر الخفيف بين الصدغ والنزعة سميت بذلك لكثرة حذف النساء والمترفين الشعر منها.

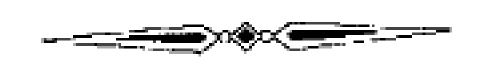
٣ - ذكر فقهاؤنا من جملة ما يستثنى من نجاسة أجزاء الميتة الإنفحّة بكسر الهمزة وفتح الفاء؛ وقد تكسر وتشديد الحاء وقد تخفف ويقال مِنفَحة ومِنفحة وهي كرش الجدي ما دام يرضع قبل أن يأكل فإذا أكل فهو كرش يعقد بما فيها الجبن بعد تجميده وحكمها عندنا الطهارة بما فيها ولو كانت من الميت إلا أنها تغسل مما أصابها من النجاسة إذا كانت من الميت.

دعاء للرزق:

٤ - في أربعين شيخنا البهائي رحمه الله بسنده عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ديناً كان علي فقال يا علي قل (اللهم أغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك) فلو كان عليك مثل صبير ديناً قضاه الله عنك (وصبير) بوزن أمير اسم جبل باليمن ليس باليمن جبل أعظم منه، (قال الشيخ البهائي) إنه كثر علي الدين حتى تجاوز ألفاً وخمسمائة مثقال ذهباً وتشدد أصحابه في تقاضيه غاية

التشدد حتى شغلني الاهتمام به عن أكثر أشغالي ولم يكن لي في وفائه حيلة ولا إلى أدائه وسيلة فواظبت على هذا الدعاء بعد الصلوات خصوصاً الصبح فيسر الله قضاءه عني في مدة يسيرة؛ بأسباب غريبة ما كانت تخطر بالبال ولا تمر بالخيال انتهى.

(أقول) وأنا من يوم إطلاعي على هذا الحديث واظبت على قراءة هذا الدعاء في أعقاب الصلوات فما وجدت ضيقاً في المعاش والحمد لله إلا نادراً.



كلام في الاستخارات

وهي أنواع:

الأول الاستخارة بالقرآن الشريف،

٥ - (روى) الكليني بسند ضعيف عن الصادق عليه السلام لا تتفاءل بالقرآن؛ (وحمل) على أن المراد بالتفاؤل إستخراج المغيبات ونحو ذلك لا الإستخارة أو التفاؤل والتطير بما يسمع من آياته أو يتلى مما يدل على خير أو شر على عادة العرب في ذلك، (وفي بعض الأخبار) ما يدل على جواز التفاؤل بالقرآن لاستخراج المغيب كما روي عن زين العابدين عليه السلام أنه لما بشر بمولد زيد وأراد تسميته فتح المصحف ونظر إلى أول حرف في الورقة فكان وفضل الله المجاهدين (الآية) ثم طبقه ثم فتحه ثلاثاً فكان أول في الورقة إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم إلى قوله وذلك وهو الفوز العظيم، ثم قال هو والله زيد هو والله زيد فسمي زيداً وذلك لأنه كان قد علم أنه يستشهد من ولده من اسمه زيد ويجاهد في سبيل الله، فلما كانت الآيتان تدلان على شهادته وجهاده سماه زيداً (وفي هذا الحديث) دلالة على عظم شأن زيد وأن جهاده كان في سبيل الله لا طلباً للرياسة (ووردت) أخبار كثيرة في مدحه عن أهل العصمة عليهم السلام وفي بعضها أنه لو ظفر بها لسلمها إلى أهلها (ويدل) على أن خروجه كان غضباً لله لا طلباً للإمارة ما ورد في سبب خروجه حين قال له هشام بن عبد الملك في كلام دار بينهما أخوك البقر؛ فقال له زيد سماه رسول الله صلى الله عليه وآله الباقر وتسميه أنت البقر لشد ما اختلفتما في الدنيا وستختلفان في الآخرة ثم خرج إلى

العراق كما هو مشهور. ثم نعود إلى المقصود (فنقول) قد ورد من الأخبار المعتبرة ما يدل على جواز الاستخارة بالقرآن الشريف (وللاستخارة به) طرق كثيرة مذكورة في محالها إلا أن أكثرها لم يرد فيه شيء يعتمد عليه (وخير ما فيها) من حيث السند طريق واحد فنحن نقتصر عليه وهو ما ذكره العلامة المجلسي في مفاتيح الغيب وبعض الفضلاء في رسالة له في الاستخارة قائلاً إنه المشهور: وهو الدعاء بطلب الخيرة من الله تعالى وفتح القرآن والنظر إلى أول الصفحة اليمنى والعمل بها؛ فإن كانت آية رحمة أو أمر بخير فهي جيدة وإن كانت آية غضب أو نهي عن شر أو أمر بعقوبة فهي ردية؛ وإن كانت ذات وجهين فهي متوسطة. (ويدل) على جواز الاستخارة بهذا النحو ما رواه الشيخ في التهذيب وجعفر القمي صاحب كتاب الغايات والسيد ابن طاوس بسند معتبر عن اليسع بن عبد الله القمي قلت لأبي عبد الله عليه السلام إني أريد الشيء فأستخير الله فيه فلا يؤثق فيه الرأي أفعله أو أدعه فقال انظر إذا قمت إلى الصلاة فإن الشيطان أبعد ما يكون من الإنسان إذا قام إلى الصلاة أي شيء يقع في قلبك فخذ به وافتح المصحف فانظر إلى أول ما ترى فيه فخذ به، فإن الظاهر أنه عليه السلام ذكر له طريقين (أحدهما) الأخذ بما يقع في قلبه عند قيامه إلى الصلاة الذي هو أحد طرق الاستخارة المنصوصة بعدة نصوص كما فصل في محله، (وثانيهما) فتح المصحف فلا يكون فتح المصحف مقيداً بحال القيام إلى الصلاة بل في أي حال كان نعم يستفاد منه كون تلك الحال أرجح لمطلق الاستخارة لبعد الشيطان فيها وليس المراد أنه يجمع بين الأمرين في الاستخارة الأخذ بما يقع في قلبه وفتح المصحف فإنه خلاف ظاهر السياق مع أنه ربما تخالف ما يقع في القلب مع ما يظهر في المصحف، (والظاهر) أن المراد بأول ما يراه أول الصفحة اليمنى لوقوع النظر عليه غالباً ابتداء ولأنه أمر مضبوط تحسن الإحالة عليه ولو أريد أول ما يقع عليه النظر من أي موضع كان لم يكن إحالة على أمر مضبوط إذ ربما يقع النظر على آيتين تدل إحداهما على الخير والأخرى على الشر أو أكثر من آيتين، (ثم) إن الظاهر الاكتفاء بما في أول الصفحة إذا كان كلاماً تاماً وإن كان مرتبطاً بما في باطنها بحيث يعد معه آية واحدة لأن ذلك أول ما رآه وقد أمر بالأخذ بأول ما رآه أما لو كان كلاماً ناقصاً كلفظة واحدة أو لفظتين لا يفيدان فائدة تامة فلا يبعد النظر إلى ما يتممه مما في باطن الصفحة اليمنى والأخذ به، (ومما يؤيد) جواز الاستخارة

القرآن ما عن السيد ابن طاوس رحمه الله في كتاب فتح الأبواب أنه قال ذكر الشيخ الإمام المستغفري الخطيب في سمرقند في دعواته: إذا أردت أن تتفاءل بكتاب الله عزوجل فاقرأ سورة الأخلاص ثلاث مرات ثم صل على النبي وآله ثلاثاً (ثم قل) **اللهم إني تفاءلت بكتابك وتوكلت عليك فأرني من كتابك ما هو المكتوم من سرك المكنون في غيبك**؛ ثم افتح الجامع وخذ الفال من الخط الأول في الجانب الأول من غير أن تعد الأوراق او الخطوط كذا ورد مسنداً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، (والمراد) بالجامع القرآن التام الجامع لجميع السور والآيات وفيه تأييد للتعويل على أول الصفحة أيضاً؛ ولجواز التفاؤل بالقرآن (قال العلامة المجلسي) في مفاتيح الغيب بعد ذكر رواية المستغفري ما تعريبه: هذا الحديث وإن كان من طرق العامة إلا أنه يمكن جعله مؤيداً لكون الاستخارة بالصفحة الأولى انتهى. (وحينئذ) فلا بأس عند الاستخارة بالقرآن بقراءة الدعاء الذي في رواية المستغفري أولاً ثم فتح القرآن وقراءة الإخلاص قبله ثلاثاً مع الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله كما ذكره.

الثاني - الاستخارة بالسبحة:

ولها طرق (الأول) ما حكاه العلامة المجلسي في مفاتيح الغيب وبعض الفضلاء في رسالته عن العلامة الحلي في منهاج الصلاح عن والده عن السيد رضي الدين محمد الآوي عن صاحب الزمان عليه السلام [١] أنه يقرأ فاتحة الكتاب عشر مرات وأقل منه ثلاث مرات والأدون منه مرة؛ ثم يقرأ إنا أنزلناه عشر مرات ثم يقول هذا الدعاء ثلاث مرات (اللهم إني استخيرك لعلمك بعواقب الأمور وأستشيرك لحسن ظني بك في المأمول والمحذور؛ اللهم إن كان الأمر الفلاني مما قد نيطت بالبركة إعجازه وبوادية وحفت بالكرامة أيامه ولياليه فخر لي فيه خيرة ترد شموسه ذلولا وتفيض أيامه سروراً؛ اللهم أما أمر فائتمر وأما نهي فانتهي، اللهم إني استخيرك برحمتك خيرة في عافية) (ثم) يقبض على قطعة من السبحة ويضمر إن كان عدد تلك القطعة فرداً فهو أفعل وإن كان زوجاً فهو لا تفعل أو بالعكس. (ثم) إن الذي أورده صاحب الرسالة تفيض أيامه بالفاء والياء المثناة من تحت والضاد المعجمة (وفي مفاتيح الغيب)

---

(١) الظاهر أنه رواه عنه مشافهة (المؤلف).

تقعص بالقاف والعين والصاد المهملتين بمعنى ترجع (وقال) الكفعمي في كتابه الجنة الواقية المعروف بالمصباح ذكر العلامة في مصباحه إن هذه الإستخارة مروية عن صاحب الأمر عليه السلام، وذكر عين هذه الرواية إلا أنه قال بعاقبة الأمور بدل بعواقب وبدل «فخر لي فيه» فخر لي اللهم خيرة، وبدل تقعص بالصاد المهملة تقعض بالضاد المعجمة وهي تؤدي معناها، وقوله في مصباحه لعله هو منهج الصلاح أو في العبارة تحريف، وذكرها الشهيد في الذكرى مقتصراً عليها في الاستخارة بالعدد أي بمثل السبحة والحصى ونحوهما فإنه بعد أن ذكر جملة من أنواع الاستخارة؛ (قال) ومنها الاستخارة بالعدد ولم تكن هذه مشهورة في العصور المضية قبل زمان السيد الكبير العابد رضي الدين محمد بن محمد الآوي الحسيني المجاور بالمشهد المقدس الغروي رحمه الله، وقد رويناها عنه وجميع مروياته عن عدة من مشايخنا عن الشيخ الكبير الفاضل جمال الدين بن المطهر عن والده رضي الله عنهما عن السيد رضي الدين عن صاحب الأمر عليه الصلاة والسلام؛ وذكر الرواية السابقة إلى آخر الدعاء كما ذكرناه أولاً إلا أنه قال بعاقبة الأمور فخر لي اللهم فيه خيرة وتقعض بالضاد المعجمة، (وببالي) إني وجدت في بعض الكتب ولا أعلم الآن أين وجدته (في المأمون) بالنون لا باللام وهو يناسب المقابلة بالمحذور، (وكيف كان) فينبغي الجمع بين هذه النسخ التي أشرنا إليها فيقرأ الدعاء هكذا : **(اللهم إني استخيرك لعلمك بعاقبة الأمور**(بعواقب الأمور) **واستشيرك لحسن ظني بك في المأمول والمحذور** (في المأمون والمحذور) **اللهم إن كان الأمر الفلاني** (وتسميه) **مما قد نيطت بالبركة إعجازه وحفت بالكرامة أيامه ولياليه فخر لي اللهم فيه خيره ترد شموسه ذلولا وتفيض** (وتقعض. وتقعص) أيامه سروراً اللهم أما أمر فأئتمر وإما نهي فأنتهي اللهم إني استخيرك برحمتك خيرة في عافية) وعن السيد ابن طاوس في كتاب الاستخارت أنه قال وجدت بخط أخي الصالح الرضي الآوي محمد بن محمد الحسيني ضاعف الله سعادته وشرف خاتمته ما هذا لفظه (عن الصادق عليه السلام) من أراد أن يستخير الله فليقرأ الحمد عشر مرات وإنا أنزلناه عشر مرات (ثم يقول) اللهم إني أستخيرك لعلمك بعواقب الأمور وأستشيرك لحسن ظني بك في المأمول والمحذور، اللهم إن كان أمري هذا مما أنيطت بالبركة إعجازه وبواديه وحفت بالكرامة أيامه ولياليه فخر لي فيه خيرة ترد شموسه ذلولاً وتفيض أيامه سروراً يا الله

فإما (أما) أمر فائتمر وأما نهي فأنتهي اللهم خر لي برحمتك خيرة في عافية (ثلاث مرات)، ثم يأخذ كفاً من الحصى أو السبحة (قال السيد) هذا لفظ الحديث ولعل المراد بأخذ الحصى أو السبحة أن يكون قد قصد بقلبه أنه إن خرج العدد فرداً كان أفعل وإن خرج زوجاً كان لا تفعل انتهى ما يتعلق به الغرض من كلام السيد وقد نقلنا الدعاء المحكي في هذه الرواية عن رسالة بعض الأصحاب في الاستخارات والموجود فيها تفيض أيامه بالفاء ويحتمل كونها بالقاف، ولكن الموجود في مفاتيح الغيب عند نقل ذلك عن ابن طاوس عن الأوي يدل على أنها تقعض بالضاد المعجمة (هذا) واعلم أننا لم نعثر على ما يدل على الاكتفاء بقراءة غير الحمد مرة واحدة ولا وجدناه في كلام أحد ممن سبق أو تأخر غير أن صاحب الجواهر قدس سره؛ قال عند ذكر الاستخارة بالسبحة كما روي عن الصادق وصاحب الزمان عليهما السلام وعليها العمل في زماننا هذا من العلماء وغيرهم (وصورتها) أن يقرأ الحمد عشر مرات؛ ثلاثاً أو مرة وإنا أنزلناه كذلك وهذا الدعاء ثلاث مرات أو مرة (ثم قال) قال في الذكرى لم تكن هذه الاستخارة إلى آخر ما تقدم نقله عن الذكرى وزاد عليه ما حكاه في الذكرى عن ابن طاوس عن الأوي كما نقلناه سابقاً إلا أن نقله عن الذكرى يدل على أن الذي فيها قراءة الدعاء مرة واحدة مع أنه صرح بالثلاث (هذا) والذي ذكره من الاكتفاء بمرة واحدة في كل القدر والدعاء لم نجده لغيره كما عرفت والشهرة؛ التي نقلها عن أهل عصره من علماء وغيرهم لم نعلم لها مستنداً كما أنه قد اشتهر في زماننا هذا أيضاً الاكتفاء بمرة واحدة في الجميع من غير مستند سوى ما ذكره في الجواهر وشبهه، وقد كنت ممن يعمل بذلك أول الأمر قبل مراجعة الاخبار وكلام العلماء ثم تركه حين اتضح الحال؛ (ولعله) قدس سره يكتفي بكل ما يختاره الإنسان من تضرع ودعاء واختيار طريقة للعدد كما هو محكي عن بعض علمائنا مستفيداً له من إيكال الأمر في جعل الفرد أمراً والزوج نهياً أو بالعكس إلى اختيار المستخير في الرواية السابقة (ويؤيده) أننا كنا أول الأمر نكتفي بالمرة في الجميع ويظهر معنا للاستخارة أسرار عجيبة.

الطريق الثاني للاستخارة بالسبحة:

ما نقله العلامة المجلسي في مفاتيح الغيب ومحكي البحار عن والده عن شيخنا البهائي أنه كان يقول: سمعنا مذاكرة عن مشايخنا عن صاحب الأمر صلوات الله

عليه في الاستخارة بالسبحة أنه يأخذها ويصلي على النبي ﷺ ثلاث مرات ويقبض على السبحة ويعد اثنتين اثنتين فإن بقيت واحدة فهو افعل وإن بقيت اثنان فهو لا تفعل (وفي مفاتيح الغيب) أيضاً ما تعريبه أن والده رحمه الله كان يستخير بهذا الطريق في الأمور المستعجلة.

الطريق الثالث للإستخارة بالسبحة:

ما في مفاتيح الغيب ومحكي البحار نقلاً عن بعض فضلاء البحرين في كتابه عن كتاب السعادات عن الصادق عليه السلام قال: يقرأ الحمد مرة والإخلاص ثلاثاً ويصلي على محمد وآل محمد خمس عشرة مرة ثم يقول (اللهم إني أسألك بحق الحسين وجده وأبيه وأمه وأخيه والأئمة من ذريته أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تجعل لي الخيرة في هذه السبحة وأن تريني ما هو الأصلح لي في الدين والدنيا اللهم إن كان الأصلح في ديني ودنياي وعاجل أمري وآجله فعل ما أنا عازم عليه فأمرني وإلا فانهني إنك على كل شيء قدير) ثم تقبض قبضة من السبحة وتعدها وتقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله إلى آخر القبضة فإن كانت الأخيرة سبحان الله فهو مخير بين الفعل والترك وإن كانت الحمد لله فهو أمر وإن كانت لا إله إلا الله فهو نهي.

الثالث الاستخارة بالرقاع:

وهذه أضبط الإستخارات وأحسنها عند السيد ابن طاوس وأكثر المتأخرين كما حكاه العلامة المجلسي في مفاتيح الغيب وغيره في غيره (وعن الروض) أنها أشهر الاستخارات (وعن الإحتجاج) كتب الحميري إلى القائم عليه السلام يسأله عن الرجل تعرض له حاجة مما لا يدري أيفعلها أم لا فيأخذ خاتمين فيكتب في أحدهما نعم أفعل وفي الآخر لا تفعل فيستخير الله مراراً ثم يرى فيها فيخرج أحدهما فيعمل بما يخرج فهل يجوز ذلك أم لا والعامل به التارك له أهو مثل الإستخارة أم هو سوى ذلك فأجاب عليه السلام الذي سنه العالم عليه السلام في هذه الاستخارة بالرقاع والصلاة.

ثم إن الاستخارة بالرقاع مروية بعدة طرق أشهرها وأوثقها وعليه عمل الأصحاب كما عن العلامة المجلسي في البحار طريق واحد فنحن نقتصر عليه (وهو)

ما رواه الكليني في الكافي والشيخ في التهذيب والمصباح والسيد ابن طاوس وغيرهم بأسانيد معتبرة عن هارون بن خارجة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا أردت أمراً فخذ ست رقاع واكتب في ثلاث منها (بسم الله الرحمن الرحيم خيرة من الله العزيز الحكيم لفلان ابن فلانة لا افعله) وفي ثلاث (بسم الله الرحمن الرحيم خيرة من الله العزيز الحكيم لفلان ابن فلانة لا تفعله) ثم ضعها تحت مصلاك ثم صل ركعتين فإذا فرغت فاسجد سجدة وقل فيها مائة مرة (أستخير الله برحمته خيرة في عافية) وفي المصباح أستخير الله العظيم (ثم) استو جالساً وقل: (اللهم خر لي وأختر لي في جميع أموري في يسر منك وعافية) ثم اضرب بيدك إلى الرقاع فشوشها وأخرج واحدة واحدة فإن خرج ثلاث متواليات لا تفعل فلا تفعله وإن خرجت واحدة افعل والأخرى لا تفعل فأخرج من الرقاع إلى خمس فانظر أكثرها فاعمل به ودع السادسة لا تحتاج إليها (والذي) في المصباح افعل ولا تفعل بغير ضمير (والذي) في مفاتيح الغيب نقلاً عن الكتب المتقدمة بالضمير في الموضعين كما نقلنا نحن عنها (وعن) أكثر نسخ النفلية افعله بالهاء (وعن الفوائد الملية) أنه كتب عليها المصنف في بعض كتبه لفظ صح تأكيداً لإثباتها (وحينئذ) فالأولى الجمع بين الأمرين عند كتابه الرقعة والتخيير غير بعيد (وفي) مفاتيح الغيب ومحكي البحار: اعلم أنه ليس في هذه الرواية ذكر الغسل وذكره بعض العلماء في هذه الاستخارة لوروده في سائر أنواع الاستخارة ولا بأس به وزاد في مفاتيح الغيب إن ورود الغسل لصلاة الحاجة يصلح أيضاً مؤيداً (ثم قال) وأيضاً ليس فيها تعيين سورة في الصلاة وذكر بعضهم سورتي الحشر والرحمن لورودها في الاستخارة المطلقة، فلو قرأهما أو الإخلاص ثلاثاً في ركعة كما في بعض روايات الاستخارة لم أستبعد حسنه انتهى.

(أقول) الأولى عدم قراءة الإخلاص ثلاثاً لمخالفته المعهود في الفريضة وعدم ثبوت التوظيف أما سورتا الحشر والرحمن فلا بأس بقراءتهما لكن لا بنية التوظيف (ثم) إن المذكور في الخبر أنه مع خروج واحدة افعل وواحدة لا تفعل يخرج إلى الخمس مع أنه قد لا يحتاج إلى إخراج الخمس كما لو خرج أولاً أفعل ثم ثلاثة لا تفعل أو بالعكس أو خرج اثنتان افعل وواحدة لا تفعل وواحدة افعل أو بالعكس فالظاهر أن المراد أنه لا يحتاج إلى اخراج الستة بل يكتفي بالأقل المؤدي للغرض وذكر الخمسة لبيان أقصى الاحتمالات، (واحتمال) لزوم إخراج الخمسة تعبداً

لفائدة خفيت علينا لا يلتفت إليه (ثم) أنه لا يظهر من الرواية تفاوت في الحسن بين جميع صوره وكذا الرداءة، (ولكن) عن السيد علي بن طاوس في كتاب الاستخارات أنه إذا توالى الأمر في الرقاع فهو خير محض وإن توالى النهي فهو شر محض؛ وإن تفرقت كان الخير والشر موزعاً بحسب تفريقها على أزمنة ذلك الأمر بحسب ترتيبها؛ (وعن الفوائد الملية) ونحن قد جربنا ما ذكره ابن طاوس فوجدناه كما قال انتهى (وفي مفاتيح الغيب) وغيره عن بعض العلماء أنهم جعلوا لها مراتب لسرعة خروج افعل أو لا تفعل وتوالي أحدهما بأن يكون الخروج في الأربع أولى بالفعل أو الترك من الخروج في الخمس أو يكون خروج مرتين افعل ثم لا تفعل ثم افعل أحسن من الابتداء بلا تفعل ثم افعل ثلاثاً وكذا العكس، إلى غير ذلك من الاعتبارات التي تظهر بالمقايسة بما ذكر قال بعض العلماء وليس ببعيد (أقول) أما أن الخروج في الأربع أولى من الخروج في الخمس فظاهر الوجه بناء على ما ذكره ابن طاوس من توزيع الخير والشر بحسب أزمنتها فالأمر الذي يكون فيه شر في زمان واحد وخير في ثلاثة أزمنة مثلاً أولى من الذي فيه شر في زمانين وخير فيه ثلاثة أما باقي الصور فترجيح بعضها على بعض غير معلوم كترجيح ما ابتدئ فيه بافعل على ما ابتدئ فيه بلا تفعل مع كون كل منهما في ضمن أربع غايته أن يكون الشر في بعضها متقدماً على الخير وفي بعضها متأخراً لا أن يكون الشر في بعضها متقدماً على الخير وفي بعضها متأخراً لا أن يكون الشر في بعضها أكثر منه في الآخر، (وقد) ذكر السيد ابن طاوس في جملة آدابها أن لا يتكلم بين أخذ الرقاع (وعن) السيد ابن باقي في مصباحه أنه ينبغي أن يكون في يد المستخير خاتم عقيق قد نقش فيه اسم محمد وعلي يخرج الرقاع بيده اليمنى، (ثم) إن المحكي عن السيد ابن طاوس أنه رجح الاستخارة بالرقاع على سائر الاستخارات، وعن «مفتاح الكرامة» أن ابن طاوس ادعى الإجماع على الاستخارة بالرقاع ممن روى ذلك من أصحابنا ومن الجمهور؛ لأنه نقل هذه الاستخارة عن جماعة كثيرين من العامة إلى آخر ما ذكره.

حكايات غريبة للاستخارة:

وقد ذكر ابن طاوس لهذه الاستخارة جملة من الغرائب والتجربات؛ (قال) منها أنه طلبني بعض أبناء الدنيا وأنا بالجانب الغربي من بغداد فبقيت اثنين وعشرين يوماً

أستخير الله جل جلاله كل يوم في أن ألقاه في ذلك اليوم فتأتي الاستخارة لا تفعل في أربع رقاع أو في ثلاث منها متواليات ما اختلفت في المنع مدة أثنين وعشرين يوماً؛ فظهر لي حقيقة سعادتي في تلك الاستخارات.

(ومنها) أنني وصلت الحلة في بعض الأوقات التي كنت فيها بدار السلام فأشار بعض الأقوام بلقاء بعض أبناء الدنيا من ولاة البلاد الحلية فأقمت بالحلة لشغل كان لي شهراً فكنت كل يوم استصلحه للقائه أستخير الله جل جلاله أول النهار وآخره في لقائه في ذلك الوقت فتأتي الاستخارة لا تفعل فتكلمت نحو خمسين استخارة في مدة إقامتي كلها فهل يبقى مع هذا عندي لو كنت لا أعلم حال الاستخارة أن هذا صادر عن الله جل جلاله العالم بمصلحتي هذا مع ما ظهر بذلك من سعادتي وهل يقبل العقل أن يستخير الإنسان خمسين استخارة؛ تطلع كلها اتفاقاً لا تفعل (ومما) وجدت من عجائب الاستخارات أنني قد بلغت من العمر نحو ثلاث وخمسين سنة ولم أزل أستخير منذ عرفت حقيقة الاستخارات وما وقع فيها أبداً خلل ولا ما أكره ولا ما يخالف السعادات والعنايات انتهى.

قال العلامة المجلسي في مفاتيح الغيب ما ترجمته: انه جرب أنواع الاستخارات تجربات كثيرة وسمع من جماعة كثيرة من اخوانه وصلحاء أقربائه ومعارفه أموراً غريبة في هذا الباب خصوصاً هذه الاستخارة والاستخارة بالقرآن الشريف انتهى.

وحيث انجرّ الكلام إلى ذكر أسرار الاستخارات فلا بأس بذكر بعض ما اتفق لشيخنا الشهيد الثاني قدس سره من ذلك من الأمور العجيبة كما حكاه عن نفسه في سفره إلى القسطنطينية؛ لطلب تدريس إحدى المدارس.

قال ومن غريب ما اتفق لنا بحلب أننا أزمعنا عند الدخول إليها على تخفيف الإقامة بها فخرجت قافلة إلى الروم على الطريق المعهود المار بمدينة أذنة فاستخرنا الله على مرافقتها فلم يخر لنا وكان قد تهيأ بعض طلبة العلم من أهل الروم إلى السفر على طريق طوقان وهو طريق غير مسلوك غالباً لقاصد قسطنطينية وذكروا انه قد تهيأت قافلة للسفر على الطريق المذكور فاستخرنا الله تعالى على السفر معهم فأخار به فتأخر سفرهم وساءنا ذلك فتفاءلت بكتاب الله تعالى على الصبر وانتظارهم فظهر

قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨] فاطمأنت النفس لذلك. وخرجت قافلة أخرى من طريق أذنه وأشار الأصحاب برفقتهم لما يظهر من مناسبتهم فاستخرت الله على صحبتهم فلم تظهر خيرة، وتفاءلت بكتاب الله على انتظار الرفقة الأولى وإن تأخروا كثيراً فظهر قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ١٦] ثم خرجت قافلة أخرى على طريق أذنه فاستخرت الله تعالى على الخروج معها فلم تظهر خيرة فضقت لذلك ذرعاً وسئمت الإقامة وتفاءلت بكتاب الله تعالى في ذلك فظهر قوله ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩] ثم خرجت قافلة رابعة على الطريق المذكور فاستخرت الله على رفقتها فلم تظهر خيرة وكانت قافلة التي أمرنا بالسفر معها تسوفنا بالسفر يوماً بعد يوم وتكذب كثيراً في أخبارنا ففتحت المصحف صبيحة يوم السبت وتفاءلت فظهر قوله تعالى: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] فتعجبنا من ذلك غاية التعجب وقلنا إن كانت القافلة تسافر في هذا اليوم فهو من أعجب الأمور وأغربها وأتم البشائر بالخير والتوفيق؛ فأرسلنا بعض أصحابنا نستعلم الخبر فقالوا له اذهب إلى أصحابك وحملوا ففي هذا اليوم نخرج فحمدنا الله على هذه النعم العظيمة والمنن الجسيمة التي لا يقدر على شكرها (ثم) بعد ذلك ظهر لإقامتنا بحلب تلك المدة فوائد وأسرار وخيرات لا تحصى وأقلها أنه بعد ذلك بلغنا ممن سافر على تلك الطريق التي نهينا عنها أن عليق الدواب ومأكل الناس كان في غاية القلة والصعوبة والغلاء العظيم حتى أنهم كانوا يشترون العليقة الواحدة بعشرة دراهم عثمانية واحتاجوا مع ذلك إلى حمل الزاد أربعة أيام لعدم وجوده في الطريق لا للدواب ولا للإنسان؛ فلو كنا نسافر في تلك الطريق لاتجه علينا ضرر عظيم لا يوصف بل لا يفي جميع ما كان بيدنا من المال بالصرف في الطريق خاصة لكثرة ما معنا من الدواب والأتباع، كانت العليقة في طريقنا أكثر الأوقات بدرهم واحد عثماني وأقل إلى أن وصلنا ولم نفتقر إلى حمل شيء البتة بل جميع طريقنا تمر على البلاد العامرة والخيرات الوافرة فالحمد لله على نعمه الغامرة؛ انتهى.

ومما يحكى عن بعض صلحاء العلماء أنه استخار لبعض الناس في القرآن فقال

للمستخير وكان مكارياً اشتر الدابة التي عزمت على شرائها فإن شرائها مصلحة وكان المكاري قد استخار على شراء دابة وكانت الآية ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: ٣٥]

واستخار عنده آخر (فقال) له الجارية التي يريد شراءها تبول في الفراش وكان الرجل قد نوى شراء جارية وكانت الآية ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: ٢٥]

ومن عجائب أسرار الاستخارة أن بعض أصحابنا من خريجي المدارس العصرية كان في الخدمة العسكرية أيام الحرب العامة فاقتضى الحال أن يدخل المستشفى بدمشق في محلة القصاع جهة باب توما وهو المستشفى الإنكليزي الذي جعلته الحكومة العثمانية مستشفى عسكرياً، فلما تمت مدته في المستشفى أمروه بأن يتهيأ للخروج وأرسلوا خلف جندي ليصحبه إلى قطعته العسكرية فوقف ينتظر حضور الجندي ثم استخار الله في أن يخرج ولا ينتظر فظهرت خيرة فخرج وعلى الباب جندي يمنع كل داخل وخارج فلم يعرض له وذهب إلى بيته آمناً فكان كلما أراد الخروج يستخير فإن ظهرت خيرة خرج وإلا فلا فلم يعرض له أحد بشيء حتى وضعت الحرب أوزارها مع أنه كان كل من يمشي في سوق أو زقاق يسأل عن وثيقته، فمن ذلك اليوم صار له اعتقاد عظيم في الاستخارة.

ويقول مؤلف الكتاب إنني قد رأيت من أنواع الاستخارات أموراً غريبة كثيرة أذكر هنا جملة منها:

(منها) إنني كنت في أوائل طلبي للعلم مع أخ في الله صالح شريك لي في الدرس وكنا نقرأ في مكان لم تعجبنا القراءة فيه وأردنا الذهاب إلى غيره فعزمنا على التفاؤل بالقرآن الكريم لي وله ففتحت المصحف فكانت الآية ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [طه: ٢٥-٣٥] فتوجهنا من فورنا إلى ذلك المكان وكان فيه النجاح.

(ومنها) أنه في أثناء طلبي للعلم عرضت لي عوائق وحواجز قوية تعذر علي رفعها وبقيت كذلك مدة وأنا أتشاغل تشاغلاً ثم تهيأ جماعة يريدون السفر إلى

العراق لطلب العلم في النجف الأشرف فعرضوا عليّ السفر معهم فعرضت ذلك على المرحوم والدي في حال يتعسر علي فيها السفر معهم جداً من وجوه عديدة أهونها عدم النفقة، فأمرني والدي رحمه الله بالاستخارة بذات الرقاع فخرجت جيدة فكانت سعادتي الدنيوية والأخروية في سفري ذلك؛ ولو تأخرت لم أتمكن بعد ذلك وفاتني خير عظيم.

(ومنها) أني أيام إقامتي بدمشق ذهبت منها إلى جبل عامل ومعي طفل لا يبلغ العشر فبتنا في الطريق في قرية تسمى (كفر حور) ومطرت السماء تلك الليلة مطراً كأفواه القرب؛ وأصبحنا والغيم متراكم والمطر يتقاطر وتلك البلاد شديدة البرد وأكثر ما يسقط فيها في الشتاء الثلج فعزمت على البقاء حتى ينقطع المطر ويؤمن الخطر وقلت لمن معي من المكارين اذهبوا إذا شئتم فإني مقيم فطلبوا مني أن أستخير لهم فكانت جيدة فحملوا دوابهم والمطر ينزل قليلاً وكان معهم جماعة من الدروز استأجروهم لحمل البضاعة فأنكر الدروز عليهم سفرهم غاية الإنكار وقالوا لهم إنكم تغررون بأموال التجار فلم يلتفتوا إلى قولهم وما فرغوا من التحميل حتى زاد نزول المطر فتوقفوا ثم سألوني أن أستخير لهم على البقاء فخرجت غير جيدة فعندها قويت نفوسهم وعزموا على السفر والدروز يلومونهم أشد اللوم وهم لا يلتفتون إلى قولهم، فلم يجد الدروز بداً من موافقتهم لأنهم مستأجرون لهم (ولما) رأيت ذلك قلت لمن معي أفلا نستخير كما استخاروا قالوا: بلى فخرجت الاستخارة على السفر أمراً على البقاء نهياً فخرجنا والمطر يتقاطر؛ فلما تجاوزنا القرية قليلاً حتى تقشع السحاب وظهرت الشمس وتأذينا من حرارتها آخر النهار.

(ومنها) أنه طلبني بعض الإخوان للحضور إلى مكان وألح علي في ذلك كثيراً ورجح الحضور فاستخرت الله تعالى فلم توافق الاستخارة ثم أعاد الطلب والإلحاح مراراً وأنا أستخير فلا توافق الاستخارة حتى تكرر ذلك مراراً كثيرة وفي جميعها تخرج الاستخارة نهياً؛ ثم ظهر بعد ذلك أن الصلاح كان في عدم الذهاب.

ولو أردنا استقصاء جميع ما اتفق لنا من عجائب الاستخارات لطال الكلام فلنقتصر على هذا القدر.

كيفية صلاة العيدين:

٦ - وهي واجبة مع وجود السلطان العادل؛ مستحبة عند عدمه ومع استحبابها لا يشترط فيها شروط الجمعة من الجماعة والعدد الخاص ويعد فرسخين بين الجماعتين وغير ذلك؛ ووقتها من طلوع الشمس يوم العيد إلى الزوال ويستحب تأخيرها إلى ارتفاع الشمس؛ وفي الفطر أزيد بمقدار الإفطار وإخراج الفطرة وليس فيها أذان ولا إقامة بل يقول المؤذن استحباباً (الصلاة) ثلاثاً (وهي) ركعتان يكبر للإحرام ثم يقرأ الحمد وسورة ويجهر استحباباً ثم يكبر بعد القراءة ويقنت إلى أن يتم خمس تكبيرات غير تكبيرة الإحرام وخمس قنوتات بعد كل تكبيرة قنوت ثم يكبر ويركع ويسجد، ثم يقوم ويقرأ الحمد وسورة بدون أن يكبر قبلها سوى تكبير الرفع من السجود الأخير ثم يكبر ويقنت إلى أن يتم أربع تكبيرات وأربع قنوتات ثم يكبر للركوع ويركع ويسجد ويتشهد ويسلم (والأفضل) أن يقرأ في الركعة الأولى بعد الحمد سورة الشمس وفي الركعة الثانية بعد الحمد سورة الغاشية أو يقرأ في الأولى سبح باسم ربك الأعلى وفي الثانية الشمس؛ ولو أراد أن يقرأ غير هذه السور جاز لكن هذه السور أفضل فإن لم يحفظها فليقرأ غيرها.

أما القنوت فله أن يقنت بما شاء من الأدعية والأفضل القنوت بالمأثور؛ (وورد) عن أئمة أهل البيت عليهم السلام القنوت بين كل تكبيرتين بهذا الدعاء:

اللهم أهل الكبرياء والعظمة وأهل الجود والجبروت وأهل العفو والرحمة وأهل التقوى والمغفرة؛ أسألك في هذا اليوم الذي جعلته للمسلمين عيداً ولنبيك محمد صلى الله عليه وآله ذخراً ومزيداً أن تصلي على محمد وآل محمد كأفضل ما صليت على عبد من عبادك؛ وصل على ملائكتك ورسلك واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، اللهم إني أسألك من خير ما سألك عبادك المرسلون؛ وأعوذ بك من شر ما عاذ منه عبادك المرسلون.

إن شئت فأقنت بهذا الدعاء الذي قال الباقر عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقنت به بين كل تكبيرتين، وهو:

أشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ اللهم أهل الكبرياء والعظمة إلى آخر الدعاء السابق.

أو تقنت بين كل تكبيرتين بما روي عن الصادق عليه السلام:

الله ربي أبداً نبيي أبداً وعلي وليي أبداً والحسن ولي أبداً وتسمي الأئمة عليهم السلام إلى آخرهم (ثم تقول) ولا أحد إلا الله.

واعلم أن لفظ الحديث الوارد في هذا الدعاء بعد قوله وعلي وليي أبداً هكذا والأوصياء أئمتي أبداً وتسميتهم إلى آخرهم وهو كما يحتمل ما ذكرنا من قول وفلان وليي أبداً بالنسبة إلى كل إمام يحتمل أن يراد قول والأوصياء أئمتي أبداً الحسن والحسين وعلي بن الحسين إلى آخرهم، أو والأوصياء الحسن والحسين الخ أئمتي أبداً، أو والحسن والحسين الخ أئمتي أبداً بدون لفظ الأوصياء وبأي كيفية منها دعوت فهو حسن (وأن) أردت توزيع هذه الأدعية الثلاثة على التكبيرات الثلاث ثم تكرير بعضها في الباقي جاز؛ (فإن) لم تحفظ واحداً من هذه الأدعية فأقنت بما شئت.

فإذا فرغت من صلاة العيد فقم واخطب خطبتين وأنت قائم؛ فإن الخطبة فيها بعد الصلاة عكس الجمعة ويجوز ترك الخطبتين مع استحباب الصلاة وإن كانت جماعة فإذا فرغت من الخطبة الأولى فاجلس جلسة خفيفة؛ ثم قم واخطب الخطبة الثانية.

خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام يوم الفطر:

رواها الصدوق في كتاب من لا يحضره الفقيه؛ وهذا مختصرها:

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون لا نشرك بالله شيئاً ولا نتخذ من دونه ولياً والحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وله الحمد في الدنيا والآخرة وهو الحكيم الخبير، بكلمته قامت السماوات السبع واستقرت الأرض المهاد وثبتت الجبال الرواسي وجرت الرياح اللواقح وسار في جو السماء السحاب وقامت على حدودها البحار، نحمده كما حمد نفسه وكما هو أهله ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونشهد أن إله إلا الله وحده لا شريك له يعلم ما تخفي النفوس وما تجن البحار ولا تواري منه ظلمة ولا تغيب عنه غائبة وما تسقط من ورقه من شجرة ولا حبة في ظلمه إلا يعلمها ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين، ونشهد أن محمداً عبده ونبيه ورسوله إلى خلقه

وأمينه على وحيه وأنه قد بلغ رسالات ربه وجاهد في الله الحائدين عنه وعبد الله حتى أتاه اليقين ؛وصلى الله على محمد وآله، (أوصيكم) عباد الله بتقوى الله الذي رغب في التقوى وزهد في الدنيا وحذر المعاصي وتعزز بالبقاء وذلل خلقه بالموت والفناء، والموت غاية المخلوقين ومعقود بنواصي الباقين لا يعجزه أباق الهاربين يهدم كل لذة ويزيل كل نعمة ويقطع كل بهجة، والدنيا دار كتب الله لها الفناء ولأهلها منها الجلاء فأكثرهم ينوي بقاءها ويعظم بناءها فارتحلوا منها يرحمكم الله بأحسن ما بحضرتكم، ولا تطلبوا منها أكثر من القليل ولا تسألوا منها فوق الكفاف وارضوا منها باليسير ألا إن الدنيا قد تنكرت وأدبرت وآذنت بوداع إلا وأن الآخرة قد أقبلت وأشرفت وآذنت بإطلاع، إلا وأن المضمار اليوم والسباق غداً إلا وأن السبقة الجنة والغاية النار أفلا تائب من خطيته قبل يوم منيته إلا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه، جعلنا الله وإياكم ممن يخافه ويرجو ثوابه إلا أن هذا اليوم يوم جعله لكم عيداً وجعلكم له أهلاً فاذكروا الله يذكركم وادعوه يستجب لكم وأدوا فطرتكم فإنها سنة نبيكم وفريضة واجبة من ربكم فليؤدها كل امرئ منكم عنه وعن عياله كلهم ذكرهم وأنثاهم وصغيرهم وكبيرهم وحرهم ومملوكهم عن كل إنسان منهم صاعاً من براً وصاعاً من تمراً وصاعاً من شعير وأطيعوا الله فيما فرض عليكم وأمركم به من أقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإحسان إلى نساءكم وما ملكت إيمانكم، وأطيعوا الله فيما نهاكم عنه من قذف المحصنة وإتيان الفاحشة وشرب الخمر وبخس المكيال ونقص الميزان وشهادة الزور والفرار من الزحف، عصمنا الله وإياكم بالتقوى وجعل الآخرة خيراً لنا ولكم من الأولى أن أحسن الحديث وأبلغ موعظة المتقين كتاب الله العزيز الحكيم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١-٤]. ثم يجلس كجلسة العجلان ثم يقوم؛ فيقول:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونتوكل عليه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه وآله، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك ونبيك صلاة نامية زاكية ترفع بها درجته وتبين بها فضله، وصل على محمد وبارك على محمد وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت على

إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم انصر جيوش المسلمين وسراياهم ومرابطيهم في مشارق الأرض ومغاربها إنك على كل شيء قدير، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات اللهم اجعل التقوى زادهم والإيمان والحكمة في قلوبهم وأوزعهم أن يشكروا نعمتك التي أنعمت عليهم، وأن يوفوا بعهدك الذي عاهدتهم عليه إله الحق خالق الخلق، اللهم اغفر لمن توفي من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ولمن هو لاحق بهم من بعدهم منهم إنك أنت العزيز الحكيم، إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون، اذكروا الله يذكركم فإنه ذاكر لمن ذكره واسألوا الله من رحمته وفضله فإنه لا يخيب عليه داع دعاه؛ ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

خطبة لأمير المؤمنين ﷺ في عيد الأضحى:

رواها الصدوق أيضاً في كتاب من لا يحضره الفقيه؛ هذا مختصرها:

الله أكبر الله أكبر زنة عرشه ورضى نفسه؛ وعدد قطر سمائه وبحاره وله الأسماء الحسنى والحمد لله حتى يرضى وهو العزيز الغفور؛ الله أكبر الله أكبر كبيراً ولا إله إلا الله كثيراً وسبحان الله حنّاناً قديراً والحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، من يطع الله ورسوله فقد اهتدى وفاز فوزاً عظيماً ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً بعيداً وخسر خسراناً مبيناً، أوصيكم عباد الله بتقوى الله وكثرة ذكر الموت والزهد في الدنيا التي لم يمتع بها من كان قبلكم ولن تبقى لأحد من بعدكم، وسبيلكم فيها سبيل الماضين فأزمعوا عباد الله بالرحيل من هذه الدار ولا يغلبكم الأمل فوالله لو حننتم حنين الوله العجال وجأرتم جؤار متبتلي الرهبان وخرجتم إلى الله من الأموال والأولاد التماس القربة إليه في ارتفاع درجة عنده أو غفران سيئة أحصتها كتبته وحفظتها رسله لكان قليلاً فيما أرجو لكم من ثوابه وأتخوف عليكم من أليم عقابه، وبالله لو انماثت قلوبكم انمياثاً وسالت عيونكم من رغبة إليه ورهبة منه دما ثم عمرتم في الدنيا ما كانت الدنيا باقية ما جزت أعمالكم ولو لم تبقوا شيئاً من جهدكم لنعمه العظام عليكم وهداه إياكم إلى الإيمان وما كنتم لتستحقوا أبد الدهر بأعمالكم جنته ولا رحمته ولكن

برحمته ترحمون وبهداه تهتدون وبهما إلى جنته تصيرون، جعلنا الله وإياكم برحمته من التائبين والعابدين، هذا يوم حرمته عظيمة وبركته مأمولة والمغفرة فيه مرجوة فأكثروا ذكر الله تعالى واستغفروه وتوبوا إليه أنه هو التواب الرحيم، وإذا ضحيتم فكلوا وأطعموا وأهدوا وأحمدوا الله على ما رزقكم من بهيمة الأنعام وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأحسنوا العبادة وأقيموا الشهادة وأرغبوا فيما كتب عليكم وفرض من الجهاد والحج والصيام فإن ثواب ذلك عظيم لا ينفد وتركه وبال لا يبيد؛ وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر وأخيفوا الظالم وانصروا المظلوم وخذوا على يد المريب وأحسنوا إلى النساء وما ملكت أيمانكم، وأصدقوا الحديث وأدوا الأمانة وكونوا قوامين بالحق لا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور أن أحسن الحديث ذكر الله وأبلغ موعظة المتقين كتاب الله، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١-٤].

ثم يجلس جلسة كجلسة العجلان؛ ثم يخطب بالخطبة الثانية التي تقدمت صلاة عيد الفطر؛ وكان عليه السلام يخطب بها بعد الجمعة أيضاً.

في يوم الجمعة:

فضله

اعلم أن يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع والروايات في فضله وفضل ليلته كثيرة فهو خيرة الله من الأيام وسيدها، ولم تطلع الشمس على أفضل منه ولا أكثر معافى من النار تنزل فيه الرحمة ويغفر فيه للعباد وتضاعف فيه الحسنات وتمحى فيه السيئات وترفع فيه الدرجات وتستجاب فيه الدعوات وتكشف فيه الكربات وتقضى فيه الحوائج العظام؛ لله فيه عتقاء وطلقاء من النار ومن مات فيه أو في ليلته مات شهيداً ويبعث آمناً ويكتب لمن مات فيه عارفاً بحق أهل البيت عليهم السلام براءة من النار وبراءة من العذاب ومن مات في ليلته عتق من النار وليس للمسلمين عيد بعد يوم غدير خم أولى منه بل هو أعظم عند الله من يومي الفطر والأضحى، وفيه ساعة بل ساعات يستجاب فيها الدعاء ما لم يدع بمحرم وهي الساعة التي تدلى فيها نصف عين الشمس للغروب؛ وما بين فراغ الإمام من الخطبة إلى استواء الصفوف، وهو

وليلته أربع وعشرون ساعة لله في كل ساعة منها ستمائة ألف عتيق من النار ويؤذن فيه للحور العين فيشرفن على الدنيا فيلقن أين الذين يخاطبوننا إلى ربنا، وفيه تفتح أبواب السماء لصعود أعمال العباد وتزخرف الجنان وتزين ولله في ليلته ملك ينادي من أول الليل إلى آخره يا طالب الخير أقبل ويا طالب الشر أقصر؛ وآخر ينادي هل من تائب فيتاب عليه هل من مستغفر فيغفر له هل من سائل فيعطى سؤله؛ اللهم أعط كل منفق خلفاً وكل ممسك تلفاً حتى يطلع الفجر.



صلاة الجمعة

الأقوى أن صلاة الجمعة مع عدم وجود السلطان العادل واجبة تخييراً بينها وبين الظهر؛ وهي ركعتان وشرطها الجماعة والعدد وأقله خمسة أحدهم الإمام والخطبتان المشتملتان على حمد الله والصلاة على نبيه محمد ﷺ والوعظ وقراءة سورة خفيفة على الأحوط ويجب تقديمها على الصلاة عكس العيدين؛ وقيام الخطيب مع القدرة والجلوس بينهما جلسة خفيفة وإسماع العدد المعتبر والأحوط اتحاد الإمام والخطيب ويجب أن لا يكون بين الجمعتين أقل من فرسخ؛ ويستحب فيها الجهر بالقراءة وقراءة سورة الجمعة في الركعة الأولى وسورة المنافقين في الثانية وبلاغة الخطيب واعتماده على سيف أو عصا والجلوس قبل الخطبة؛ ويحرم البيع بعد الأذان للجمعة مع وجوبها عيناً ومنافاة البيع لها.



الخطبة الأولى للجمعة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه؛ ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا (من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له) وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أكرمه بالنبوة أميناً على غيبه ورحمة للعالمين، وصلى الله على محمد وآله وسلم، أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأخوفكم من عقابه فإن الله ينجّي من أتقاه بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم

يحزنون ويكرم من خافه يقيهم شر ما خافوا ويلقيهم نضرة وسروراً، وأرغبكم في كرامة الله الدائمة وأخوفكم عقابه الذي لا انقطاع له ولا نجاة لمن استوجبه فلا تغرنكم الدنيا ولا تركنوا إليها فإنها دار غرور، كتب الله عليها وعلى أهلها الفناء فتزودوا منها الذي أكرمكم الله به من التقوى والعمل الصالح فإنه لا يصير إلى الله من أعمال العباد إلا ما خلص منها ولا يتقبل الله إلا من المتقين وقد أخبركم الله عن منازل من آمن وعمل صالحاً وعن منازل من كفر وعمل في غير سبيله، فقال: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود: ١٠٣-١٠٨] نسأل الله الذي جمعنا لهذا الجمع أن يبارك لنا في يومنا هذا وأن يرحمنا جميعاً إنه على كل شيء قدير، أن كتاب الله أصدق الحديث وأحسن القصص أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ ثم اقرأ سورة التكاثر أو غيرها واجلس جلسة خفيفة ثم قم.



الخطبة الثانية يوم الجمعة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونؤمن به ونتوكل عليه؛ ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وجعله رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى؛ أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ينفع بطاعته من أطاعه والذي يضر بمعصيته من عصاه؛ الذي إليه معادكم وعليه حسابكم فإن التقوى وصية الله فيكم وفي الذين من قبلكم قال الله تعالى: ولقد ﴿وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء: ١٣١] اللهم صل على محمد عبدك ورسولك سيد المرسلين وعلى

آله وذريته الأئمة الطيبين الطاهرين إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر؛ والبغي يعظكم لعلكم تذكرون؛ اللهم اجعلنا ممن يذكر فتنفعه الذكرى.

وهاتان الخطبتان مأثورتان عن أئمة أهل البيت ﷺ ويحسن أن يدعو قبل آية أن الله يأمر بالعدل والاحسان بنصر جيوش المسلمين وإعلاء كلمة الدين وبالترضي عن أئمة المسلمين وخيار الصحابة والتابعين؛ وبالمغفرة للمؤمنين والمؤمنات وغير ذلك.



التعصيب والعول

اعلم أن معظم مسائل المواريث التي وقع فيها الخلاف بين فقهاء الشيعة وغيرهم تبتني على الخلاف في مسألتي التعصيب والعول؛ ومعرفة ذلك تتوقف على تقديم مقدمات:

(الأولى): الوارث منهم من يرث بالفرض وهم الذين فرض الله لهم سهاماً مخصوصة في القرآن وهي ستة (النصف) للزوج مع عدم الولد وللزوجة وللبنت مع انفرادها عن الابن وللأخت للأبوين أو الأب مع انفرادها عن الأخ منهما أو من أحدهما (والربع) للزوج مع الولد وللزوجة مع عدمه (والثمن) للزوجة مع الولد للزوج (والثلثان) للبنتين فصاعداً. والأختين فصاعداً للأبوين أو الأب مع الإنفراد عن الابن والأخ (والثلث) للأم مع عدم الولد وللاثنين فأكثر من ولد الأم (والسدس) لكل من الأبوين مع الولد وللأم مع من يحجبها من الإخوة وللواحد من كلالة الأم.

ومنهم من يرث بالقرابة وهم الذين لم يفرض الله لهم سهاماً معينة في القرآن وهم من عدا من ذكر كالأولاد الذكور وحدهم أو مع الإناث فإنه لم يفرض لهم في القرآن سهم معين وإنما بين كيفية قسمتهم بأن للذكر مثل حظ الأنثيين؛ وكالأعمام والأخوال والأجداد المدلول عليهم بآية أولي الأرحام.

(المقدمة الثانية) في حساب الفرائض والغرض منه معرفة أقل عدد يمكن إخراج

سهام الوارث منه صحيحة بدون كسر ليسهل معرفة قسمة التركة على الورثة على وجه الضبط ويتوقف على أمور (الأول) العددان (أما متماثلان) كثلاثة وثلاثة وستة وستة (أو متداخلان) وهما اللذان إذا أسقط أقلهما من الأكثر بغير رجوع مرتين أو مراراً أفناه أو إذا زيد على الأقل مثله مرة أو مراراً ساوى الأكثر ويلزمه أن لا يزيد الأقل عن نصف الأكثر كثلاثة وستة وأربعة واثني عشر وهذا بالنسبة إلى غير الواحد لأن حكم الواحد مع جميع الأعداد التباين (أو متوافقان) وهو ما لا يعد أقل الأكثر بغير رجوع ويفنيهما عدد آخر غير الواحد فإن أفناهما الاثنان فمتوافقان بالنصف كالستة والعشرة أو الثلاثة فمتوافقان بالثلث كالتسعة والاثني عشر أو الأربعة فبالربع كالثمانية والاثني عشر وهكذا هذا إذا كان العدد المفني لهما مخرجاً لأحد الكسور التسعة المشهورة وهي النصف إلى العشر وإن كان العدد المفني لهما فوق العشرة فالموافقة بالكسر المضاف كنصف السدس إذا أفناهما الاثنا عشر كالأربعة والعشرين والستة والثلاثين أو نصف السبع أو ثلث الخمس أو غير ذلك وإن تعدد المفني لهما فالموافقة بأقل عدد يفنيهما (أو متباينان) وهما اللذان إذا أسقط أقلهما من الأكثر مرة أو مراراً بقي واحد ولا يفنيهما إلا الواحد سواء تجاوز أقلهما نصف الأكثر كثلاثة وخمسة أو لا كثلاثة وسبعة.

(الثاني) جرت عادة أهل الحساب بإخراج الحصص من أقل عدد ينقسم على أرباب الحقوق من دون كسر ومخارج السهام أقل عدد يخرج منه السهم صحيحاً فمخرج النصف أقل عدد له نصف صحيح وهو اثنان وهكذا فمخارج السهام الستة المفروضة خمسة النصف من اثنين والثلث والثلثان من ثلاثة والربع من أربعة والسدس من ستة والثمن من ثمانية.

(الثالث) أما أن يقع في المسألة واحد من المفروض الستة المتقدمة أولاً.

(وعلى الثاني) إن تساووا في الاستحقاق قسم المال على عدد رؤوسهم كأربعة أولاد ذكور القسمة من أربعة وإن اختلفوا في الاستحقاق كأولاد ذكور وإناث فاجعل لكلٍّ سهمين أو لكل أنثى سهماً فما اجتمع فمنه القسمة (وإن وقع) في المسألة واحد من هذه الفروض أو أثنان مع اتحاد المخرج كالثلث والثلثين فالقسمة من مخرج الفرضين فلو خلّف أختين للأب ومثلهما للأم فالقسمة من ثلاثة للأختين للأب الثلثان اثنان ينقسم عليهما وللأختين للأم الثلث واحد لا ينقسم عليهم فانكسرت

الفريضة في مخرج النصف فنضرب اثنين مخرج النصف في أصل الفريضة ثلاثة الخارج ستة تنقسم على الكل بدون كسر (وإن وقع) فيها اثنان فصاعداً مع اختلاف المخرج (فإن كان) المخرجان متداخلين اكتفى بالأكثر ومنه القسمة كما لو خلف زوجة وبنتاً للزوجة الثمن مخرجه ثمانية وللبنت النصف مخرجه اثنان نكتفي بالثمانية أو خلف بنتاً واحد الأبوين فنكتفي بالستة (وإن كانا متباينين) ضربنا أحدهما في الآخر فما خرج فمنه القسمة كما لو خلف زوجة وأما للزوجة الربع مخرجه أربعة وللأم الثلث مخرجه ثلاثة والثلاثة والأربعة متباينان نضرب أحدهما في الآخر فالقسمة من اثني عشر أو زوجة وبنتين فالقسمة من أربعة وعشرين أو زوجاً وأما فالقسمة من ستة (وإن كانا متوافقين) نضرب وفق أحدهما في مجموع الآخر كما لو خلف زوجة وواحداً من كلالة الأم للزوجة الربع ومخرجه أربعة وللواحد من كلالة الأم السدس ومخرجه ستة يتوافقان بالنصف نضرب نصف أحدهما في الآخر فالقسمة من أثني عشر أو خلف زوجة واحد الأبوين فالقسمة من أربعة وعشرين (وإن كان) في الورثة ذو فرض وغيره فالعبرة بذي الفرض.

(إذا عرفت ذلك) ظهر لك أن (كل فريضة) فيها نصف وما بقي كزوج وأخ أو نصفان كزوج وأخت لأب فهي من اثنين (وكل فريضة) فيها ثلثان أو هما وما بقي كأختين من أب منفردات أو مع جد مثلاً أو ثلث وما بقي كإخوة من الأم وأخوة من الأب أو ثلثان وثلث كأختين لأب مع أخوة لأم فهي من ثلاثة (وكل فريضة) فيها ربع وما بقي كزوج وابن أو زوج وأخوة أو ربع ونصف كزوج وبنت فهي من أربعة للتداخل (وكل فريضة) فيها سدس وما بقي كأحد الأبوين مع ابن أو سدس ونصف كأخت لأب وواحد من كلالة الأم أو سدس وثلثان كأحد الأبوين مع البنتين فهي من ستة للتداخل أيضاً (وكل فريضة) فيها ثمن وما بقي كزوجة مع ابن أو ثمن ونصف كزوجة مع بنت فهي ثمانية (وكل فريضة) فيها ربع وثلثان كزوج وبنتين أو ربع وثلث كزوجة وأم أو ربع وسدس وما بقي كزوجة وأم وابن فهي من اثني عشر للتباين في الأولين والتوافق في الثالث بالنصف (وكل فريضة) فيها ثمن وثلثان كزوجة وبنتين أو ثمن وسدس وما بقي كزوجة وأحد الأبوين وابن فهي من أربعة وعشرين للتباين في الأول والتوافق بالنصف في الثاني؛ وقس على ذلك الباقي .

(الرابع) إذا لم يكن في الوارث صاحب فرض فالأمر واضح من أنه يقسم المال

عليهم بحسب ما ثبت في الشرع كعمة وخال مثلاً ولا يحتاج إلى عمل آخر، (وإذا كان) في الوارث من له سهام مقدرة من السهام الستة المتقدمة فإما أن يكون المال الموروث يفي بتلك السهام ولا يزيد منه شيء؛ وإما أن يفي ويزيد وإما أن يكون ناقصاً عن تلك السهام فهنا أقسام ثلاثة:

القسم الأول:

أن يكون المال الموروث يفي بتلك السهام ولا يزيد منه شيء فالأمر واضح كزوج وأخت لأب لكل منهما النصف وكل مال له نصفان لا أزيد ولا أقل؛ وكبنتين وأبوين للأبوين الثلث وللبنتين الثلثان وكل مال له ثلث وثلثان لا أزيد ولا أقل؛ وكزوج وأخوين للأب للزوج النصف بالفرض وللأخوين النصف بالقرابة .

القسم الثاني:

أن يكون المال الموروث يفي بتلك السهام ويزيد عنها (فإن) كان هناك مساو في المرتبة لا فرض له فالفاضل له بالقرابة كأبوين وزوج للزوج النصف وللأم الثلث يبقى سدس يعطى للأب، وكأبوين وزوجة للزوجة الربع وللأم الثلث والباقي للأب كأبوين وابن وزوج للزوج الربع وللأبوين سدسان والباقي للابن وكزوج وأخوين من أم وأخ من أب للزوج النصف وللأخوين من الأم الثلث والباقي للأخ من الأب إلى غير ذلك (وإن) لم يكن مساو في المرتبة رد على ذوي الفرض كلهم أو بعضهم بالتفصيل الآتي بنسبة سهامهم عند أصحابنا الإمامية؛ وعند غيرهم من الفقهاء يعطى الزائد للعصبة وإن بعدوا وهذه هي مسألة.

التعصيب

وهو توريث العصبة ما زاد عن نصيب ذوي الفروض (والعصبة) بفتحتين جمع عاصب ككفرة وكافر؛ (قال في النهاية) العصبة الأقارب من جهة الأب (وفي الصحاح) عصبة الرجل بنوه وقرابته لأبيه (وفي القاموس) العصبة الذين يرثون الرجل عن كلالة من غير والد ولا ولد، فأما في الفرائض فكل من لم يكن له فريضة مسماة

وقوم الرجل الذين يتعصبون له (وفي المصباح) العصبة القرابة الذكور الذين يدلون بالذكور هذا معنى ما قاله أئمة اللغة انتهى، (قال الجوهري) إنما سموا عصبة لأنهم عصبوا بالرجل أي أحاطوا به فالأب طرف والابن طرف والأخ جانب والعم جانب انتهى، وقيل: إن العصبة من العصب بمعنى الشدة والقوة لأنهم قوة له أو بمعنى الشد لالتفاف بعضها على بعض أو من التعصيب بمعنى المحاماة والمدافعة أو أن الإنسان كشجرة وهم عروقها وأعصابها أو من العَصَب لما ورد أن أعصاب الولد وعظامه وعروقه من نطفه الأب واللحم والدم وغيرهما من الأم، (وكيف كان) فالمراد بالعصبة الولد ذكراً أو أنثى والأب ومن تدلى بهما (وبعبارة أخرى) ما عدى قرابة الأم وحدها لكن لا يخفى أن النزاع بين الإمامية وغيرهم ليس في مطلق العصبة لأن بعضها كالابن والبنت وغيرهما من ذوي الفروض أو من هو في درجتهم ليس قابلاً لهذا النزاع، ولهذا فسر بعض أصحابنا العصبة بمن يتقرب بالأب من الأخوة والأعمام وغرضه تفسير العصبة التي وقع فيها الخلاف لا الأعم كما بيناه في كتاب (كشف الغامض في أحكام الفرائض)، وقد سمعت تصريح القاموس بخروج الوالد والولد عن العصبة ولغير الإمامية في التعصيب تفاصيل وأحكام متشعبة تطلب من محالها ويطول الكلام بذكرها ومحل الخلاف بين الفريقين أمران على ما قيل (الأول) أنه مع عدم وجود صاحب الفرض يقدم العصبة على غير العصبة غير عند الإمامية؛ وإن تساويا في القرب كمن مات وخلف عماً وعمة فالإرث للعم دون العمة وعند الإمامية يتشاركان (والثاني) أنه مع زيادة الفريضة على السهام يعطى الزائد للعصبة عند غير الإمامية وهم من يتقرب بالأب من الأخوة والأعمام وإن بعدت الأقرب فالأقرب؛ ولا يعطى لذوي الفروض إذا لم يكونوا عصبة وعند الشيعة يرد الفاضل على ذوي الفروض بنسبة سهامهم ولكن لا يكون الرد على جميع أهل الفروض بل يستثنى منهم أصناف خمسة لا يرد عليهم أصلاً (الأول) الأم مع الحاجب لها من الأخوة بالشروط المقررة إجماعاً (الثاني والثالث) الزوج والزوجة مع وجود وارث غيرهما عدى الإمام فلا يرد عليهما إجماعاً أما مع الإمام فيرد على الزوج دون الزوجة على المشهور المنصور (الرابع) ذو السبب الواحد إذا اجتمع مع من له سببان كالأخت أو الأختين للأبوين مع واحد أو أكثر من كلالة الأم فالزائد عن فريضة الكلالتين يرد على الأخت للأبوين أو الأختين على المشهور المنصور.

وقال الحسن بن أبي عقيل العماني والفضل بن شاذان يرد على الجميع وهو قول شاذ (فإذا) اجتمع أخت للأبوين مع واحد من كلالة الأم فالفريضة من ستة: للأخت للأبوين النصف ثلاثة وللواحد من كلالة الأم السدس واحد يبقى اثنان يردان على الأخت للأبوين على المشهور؛ وعلى الجميع أرباعاً عند الحسن والفضل فتصير قسمة التركة من أربعة (وإذا) اجتمع أخت للأبوين مع متعدد من كلالة الأم فالفريضة من ستة أيضاً للأخت للأبوين النصف ثلاثة ولكلالة الأم الثلث اثنان يبقى واحد يرد على الأخت للأبوين على المشهور؛ وعلى الجميع أخماساً عند الحسن والفضل فقسمة التركة من خمسة (وإذا) اجتمع أختان للأبوين مع واحد من كلالة الأم فالفريضة من ستة للأختين الثلثان وأربعة وللواحد من كلالة الأم السدس واحد يبقى واحد يرد على الأختين عل المشهور وعلى الجميع أخماساً عند الحسن والفضل فالقسمة من خمسة (الخامس) المتقرب بالأب وحده مع المتقرب بالأم وحدها فهل يختص الرد بقرابة الأب أو يرد على الجميع بنسبة سهامهم قولان مشهوران أظهرهما الأول كما لو اجتمع اخت أو أختان للأب مع من ذكر فيختص الرد بالمتقرب بالأب على أحد القولين ويرد على الجميع أرباعاً أو أخماساً على القول الآخر.

(قال المرتضى) رحمه الله في الانتصار إن القائلين بالتعصيب يعولون في هذا الأصل الجليل على أخبار ضعيفة وإدعاء الإجماع على قولهم في التعصيب غير ممكن مع الخلاف المعروف سابقاً ولاحقاً، لأن ابن عباس كان يخالفهم فيه ويذهب إلى مثل مذهب الإمامية ويقول فيمن خلف ابنة وأختان أن المال كله للبنت دون الأخت، ووافقه في ذلك جابر بن عبد الله وحكى الساجي أن عبد الله بن الزبير قضى بذلك وحكى الطبري مثله ورويت موافقة ابن عباس عن إبراهيم النخعي في رواية الأعمش عنه وذهب داود بن علي الأصفهاني إلى مثل ما حكيناه ولم يجعل الأخوات عصبة مع البنات فبطل إدعاء الإجماع مع ثبوب الخلاف متقدماً ومتأخراً، ثم استدل على بطلان التصعيب بقوله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧] وهذا نص في إن للرجال من الميراث نصيباً وإن للنساء نصيباً فمن قال بتوريث الرجال دون النساء كالعم مع العمة فجعل الميراث للعم دونها خالف ظاهر الآية وأيضاً فتوريث الرجال دون النساء مع التساوي في القربى والدرجة من أحكام

الجاهلية وقد قال الله تعالى أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً (قال) واعتماد المخالفين في العصبة على حديث رواه ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال يقسم المال على أهل الفرائض على كتاب الله فما تركت فلأولى ذكر قرب، قال: وهذا خبر لم يروه أحد من أصحاب الحديث إلا من طريق طاوس ولا رواه (ابن ظ) طاوس إلا عن أبيه عن ابن عباس ولم يقل ابن عباس فيه سمعت ولا حدثنا وطاوس يسنده تارة إلى ابن عباس في رواية وهب (وهيب خ. ل) ومعمره؛ وتارة يرويه عنه الثوري وعلي بن عاصم عن أبيه مرسلاً غير مذكور فيه ابن عباس فيقول الثوري وعلي بن عاصم عن (ابن ظ) طاوس عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ ثم هو مختلف اللفظ لأنه يروى فما أبقت الفرائض فالأولى ذكر وروي أيضاً فالأولى عصبة قرب وروي أيضاً فالأولى عصبة ذكر وفي رواية أخرى فالأولى رجل ذكر عصبة واختلاف اللفظ والطريق واحد يدل على ضعفه، وقد خالف ابن عباس الذي يسند هذا الخبر إليه مدلوله في توريث الأخت بالتعصيب إذا خلف الميت بنتاً وأختاً كما مر وراوي الخبر إذا خالف مغناه كان فيه ما هو معلوم.

(ثم) من أين لنا أن معنى العصبة المذكورة في الخبر ما يذهبون إليه وليس في اللغة العربية لذلك شاهد ولا في العرف الشرعي؛ (فأما اللغة) فإن الخليل بن أحمد قال في كتاب العين إن العصبة مشتقة من الأعصاب وهي التي بين أطراف العظام ولما كانت هي الواصلة بين المتفرق من الأعضاء حتى التأمت وكان ولد البنات أولاداً للجد كما أن أولاد الأولاد ولد للجد والجد جد للجميع كان البنات في جميع ولدهن إلى الجد وضم الأهل والقبيلة المنسوبة إلى الجد كالبنين وكانوا جميعاً كالأعصاب التي تجمع العظام وتلائم الجسد فوجب أن يسموا جميعاً عصبة، وذكر أبو عمرو غلام ثعلب قال قال ثعلب قال ابن الأعرابي العصبة جميع الأهل من الرجال والنساء فإن هذا هو المعروف المشهور في لغة العرب وإن الكلالة ما عدى الوالدين والولد من الأهل فإذا كانت اللغة على ما ذكرنا فهي شاهدة بضد ما يذهب إليه مخالفونا في العصبة وليس ههنا عرف شرعي مستقر في هذه اللفظة لأن الاختلاف واقع في معناها، لأن في الناس من يذهب إلى أن العصبة إنما هي القرابة من جهة الأب وفيهم من يذهب فيها إلى أن المراد بها قرابة الميت من الرجال الذين اتصلت قرابتهم من جهة الرجال كالعم والأخ دون الأخت والعمة ولا يجعل للرجال

الذين اتصلت قربتهم من جهة النساء عصبة كإخوة الميت، وفيهم من جعل العصبة مأخوذة من التعصب والنصرة ومع هذا الاختلاف لا إجماع يستقر على معناها على أنهم يخالفون لفظ هذا الحديث (فإن قالوا) نخص هذا اللفظ إذا ورثنا الأخت مع البنت قلنا: ما الفرق بينكم إذا خصصتموه ببعض المواضع وبيننا إذا فعلنا في تخصيصه مثل ما فعلتم فجعلناه مستعملاً فيمن خلف اختين لأم وابن أخ وابنة أخ لأب وأم وأخاً لأب فإن الأختين من الأم فرضهما الثلث وما بقي فلأولي ذكر قرب وهو الأخ من الأب وسقط ابن الأخ وبنت الأخ لأن الأخ أقرب منهما وفي من خلف إمرأة وعماً وعمة وخالاً وخالة وابن أخ أو أخاً. للمرأة الربع وما بقي فلأولي ذكر وهو الأخ أو ابن الأخ وسقط الباقون (ثم يقال) لهم من أي وجه كانت الأخت مع البنت عصبة (فإن قالوا) من حيث عصبها أخوها قلنا: فألا جعلتم البنت عصبة مع عدم البنين ويكون أبوها هو الذي يعصبها وإذا كان الابن أحق بالتعصب من الأب والأب أحق من الاخ فأخت الاب أحق بالتعصب كثيراً من أخت الأخ فيلزمهم أن يجعلوا العمة عند عدم العم عصبة (فإن قالوا) البنت لا تعقل عن أبيها قلنا: والأخت أيضاً لا تعقل فلم تجعلونها عصبة مع البنات فإن تعقلوا بما رووه عن النبي ﷺ أنه أعطى الأخت مع البنت قلنا: هذا حديث لو صح وبرىء من كل قدح لكان مخالفاً لنص الكتاب لأن الله تعالى قال: ﴿وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥] فنص على أن القربى وتداني الأرحام سبب في استحقاق الميراث والبنت أقرب من الأخت وأدنى رحماً؛ (وخبرهم) الذي يعملون عليه في توريث الأخت مع البنت رواه الهذيل بن سرحيل إن أبا موسى الأشعري سئل عن رجل ترك بنتاً وابنة ابن وأختاً وأمه؛ فقال لابنته: النصف وما بقي فللأخت (ويخبر) يرويه الأسود بن زيد قال قضى فينا معاذ بن جبل على عهد رسول الله ﷺ فأعطى البنت النصف والأخت النصف ولم يورث العصبة شيئاً (أما الخبر الأول) فقد قدح أصحاب الحديث في روايته وضعفوا رجاله وقيل إن هذيل بن سرحيل مجهول ضعيف ولو زال هذا القدح لم يكن فيه حجة لأنه ما أسنده عن النبي ﷺ (وكذلك) القول في خبر معاذ وليس في قوله إنه كان على عهد رسول الله ﷺ حجة لأنه قد يكون على عهده ما لا يعرفه وله عرفه لأنكره؛ وقد امتنع من توريث الأخت مع البنت من هو أقوى من معاذ وهو أولى بأن يتبع وهو ابن عباس وفي حديث معاذ

أيضاً ما يقتضي بطلان قول من يذهب إلى أن الأخت تأخذ بالتعصيب مع البنت لأنه قال ولم يورث للعصبة شيئاً لأنها لو كانت عصبة في هذا الموضع لم يقل ذلك بل كان يقول ولم يورث باقي العصبة شيئاً (قال) ولا يجوز أن يستدل على أن الأخت لا ترث مع البنت بقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ﴾ [النساء: ١٧٦] فشرط في توريث الأخت فقد الولد فلا ترث مع البنت لأنها ولد وذلك لأنه تعالى إنما شرط في هذا الفرض المخصوص للأخت فقد الولد وليس ذلك بمانع من أن ترث مع فقد هذا الشرط بسبب آخر؛ فإن تعليق الحكم بشرط لا يدل على ارتفاعه مع فقد الشرط على ما بيناه في كتاب أصول الفقه. (وأقول) الحق كما بين في أصول الفقه ثبوت مفهوم الشرط فالآية بمفهومها دالة على عدم ارث الأخت مع البنت (ومما) ذكره رحمه الله من الفروع المتفرعة على القول بالتعصيب وعدمه ما لو خلف بنتاً وعماً فعلى التعصيب للبنت النصف وللعم الباقي وعلى عدمه المال كله للبنت بالفرض والرد وكذا لو كان مكان العم ابن العم وكذا لو كان مكان البنت اثنتان، ولو خلف الميت عمومة وعمات أو بني عم فمخالفنا يورث الذكور من هؤلاء دون الإناث لأجل التعصيب ونحن نورث الذكور والإناث. (قال) فإن قيل إذا كنت تستدلون على أن العمات يرثن مع العمومة وبنات العم يرثن مع بني العم ونحو ذلك بآية للرجال نصيب الآية ففيها حجة عليكم في موضع آخر إذ يقال لكم إلا ورثتم العم وابن العم مع البنت بظاهر هذه الآية قلنا: لا خلاف إذ المراد بالآية مع الإستواء في القرابة والدرجة ألا ترى أنه لا يرث ولد الولد ذكوراً كانوا أو إناثاً مع الولد لعدم التساوي في الدرجة والقرابة وليس كذلك العمومة والعمات وبنات العم وبنو العم لتساوي الدرجة والقرابة؛ والمخالف يورث الرجال منهم دون النساء وظاهر الآية حجة عليه اهـ.

وقال الشيخ الطوسي رحمه الله في التهذيب: إنهم تعلقوا في صحة التعصيب بخبر رووه عن وهيب عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال الحقوا الفرائض فما أبقت الفرائض فلأولي عصبة ذكر، (وبخبر) رواه عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر إن سعد بن الربيع قتل يوم أحد وإن النبي ﷺ زار امرأته فجاءت بابنتي سعد فقالت: يا رسول الله إن أباهما قتل يوم أحد وأخذ عمها المال كله ولا تنكحان إلا ولهما مال؛ فقال النبي ﷺ سيقضي الله في ذلك فأنزل الله

تعالى يوصيكم الله في أولادكم حتى ختم الآية؛ فدعا النبي ﷺ عمهما وقال له أعط الجاريتين الثلثين وأعط أمهما الثمن وما بقي فلك (واستدلوا) أيضاً بقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى ۝٦﴾ [مريم: ٥-٦] وإنما خاف أن يرثه عصبته فسأل الله ولياً يرثه ولم يسأله ولية لأنها لا تمنع العصبة (وأجاب الشيخ رحمه الله عن ذلك) بآية للرجال نصيب الآية وتقدمت في كلام المرتضى؛ (وبقوله تعالى) ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥] في كتاب الله فحكم الله تعالى أن ذوي الأرحام بعضهم أولى ببعض وإنما أراد بذلك الأقرب فالأقرب بلا خلاف ونحن نعلم أن البنت أقرب من ابن ابن الأخ ومن ابن العم ومن العم نفسه لأنها تتقرب بنفسها إلى الميت وابن العم يتقرب بالعم والعم بالجد والجد بالأب والأب بنفسه ومن يتقرب بنفسه أولى ممن يتقرب بغيره بظاهر التنزيل، فإذا كان الخبر الذي رووه يقتضي أن من يتقرب بنفسه أولى ممن يتقرب بغيره بظاهر التنزيل فإذا كان الخبر الذي روووه يقتضي أن من يتقرب بغيره أولى ممن يتقرب بنفسه فينبغي أن نحكم ببطلانه (قال) وقد طعن في هذه الأخبار بما يرجع إلى سندها وقيل: في الخبر الأول أنه رواه يزيد بن هارون عن سفيان عن ابن طاوس عن أبيه عن النبي ﷺ مرسلاً ولم يذكر فيه ابن عباس وإنما ذكر فيه ابن عباس وهيب وسفيان أثبت من وهيب وأحفظ منه ومن غيره، قالوا وهذا يدل على أن الرواية غير محفوظة حكى ذلك الشيخ عن الفضل بن شاذان (وقال هو) إن هذا ليس طعناً لأنهم قد رووها مسندة من غير طريق وهيب، روى أبو طالب الأنباري عن الفريابي والصاغاني جميعاً قالا حدثنا أبو كريب عن علي بن سعيد الكندي عن علي بن عابس عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال الحقوا بالأموال الفرائض فما أبقيت الفرائض فلأولي عصبة ذكر؛ (قال) ولكن الذي يدل على بطلان هذه الرواية أنهم رووا عن طاوس خلاف ذلك وأنه تبرأ من هذا الخبر؛ وذكر أنه لم يروه وإنما هو شيء ألقاه الشيطان على ألسنة العامة؛ (روى) ذلك أبو طالب الأنباري قال حدثنا محمد بن أحمد البربري قال حدثنا بشر بن هارون قال حدثنا الحميري (الحميدي) قال حدثني سفيان عن أبي إسحاق عن قارية بن مضرب قال جلست إلى ابن عباس وهو بمكة فقلت يا ابن عباس حديث يرويه أهل العراق عنك وطاوس مولاك يرويه إن ما أبقت الفرائض فلأولي عصبة ذكر قال

أمن أهل العراق أنت قلت نعم قال أبلغ من وراءك أني أقول إن قول الله ﷻ آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً فريضة من الله (وقوله) وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وهل هذه إلا فريضتان وهل أبقتا شيئاً ما قلت هذا طاوس يرويه عليّ، قال قارية بن مضرب فلقيت طاوساً فقال لا والله ما رويت هذا على ابن عباس قط وإنما الشيطان ألقاه على ألسنتهم قال سفيان أراه من قبل ابنه عبد الله ابن طاوس فإنه كان على خاتم سليمان بن عبد الملك وكان يحمل على هؤلاء القوم حملاً شديداً يعني بني هاشم، (قال) ثم لا خلاف بين الأمه إن هذا الخبر ليس على ظاهره لأن ظاهره يقتضي ما أجمع المسلمون على خلافه ألا ترى أن رجلاً لو مات وخلف بنتاً وأخاً وأختاً فمن قولهم أجمع إن للبنت النصف وما بقي فللأخ والأخت، للذكر مثل حظ الأنثيين والخبر يقتضي إن ما بقي للأخ لأنه الذكر لا يكون للأخت شيء، وذلك لو أن رجلاً مات وترك بنتاً وابنة ابن وعماً أن يكون للبنت النصف وما بقي للعم لأنه أولي ذكر ولا تعطى بنت الابن شيئاً وكذلك في أخت لأب ولأم وأخت لأب وابن عم أن لا تعطى الأخت من الأب شيئاً بل تعطى الأخت من قبل الأب والأم النصف وما يبقى لابن العم لأنه أولي ذكر؛ وكذلك في بنت وابن وابنة ابن وكذلك في بنت وبنت ابن وأخوة وأخوات لأب وأم وأمثال ذلك كثيرة جداً (فإن قالوا) جميع ما ذكرتموه لا يلزمنا شيء منه لأنا لم نقل في هذه المواضع إلا لظواهر دلت عليه صرفتنا عن استعمال الخبر فيه ألا ترى إن البنت مع بنت الابن والعم إنما اعطينا لابنة الابن السدس لأن الظاهر يقتضي أن للبنتين الثلثين وإذا علمنا أن للبنت من الصلب النصف علمنا أن ما يبقى وهو السدس لبنت الابن وكذلك القول في الأخت للأب والأم والأخت للأب والعم وكذلك في بنت وبنت ابن وابن عم لأن للأختين الثلثين وقد علمنا أن للأخت من قبل الأب والأم النصف فما بقي بعد ذلك وهو السدس للأخت من قبل الأب وكذلك قوله ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١] يقتضي أن بنت الصلب وبنت الابن وابن الابن المال بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين؛ وإذا علمنا أن للبنت من الصلب النصف علمنا أن ما بقي للباقين على ما فرض (قيل لهم) هذا الذي ذكرتموه باطل لأن الموضع الذي يتناول أن للأختين الثلثين يقتضي إن لكل واحد منهما مثل نصيب صاحبتها وليس فرض كل واحدة منهما مع الانضمام فرضها من الانفراد، وكذلك

القول في البنت من الصلب مع بنت الابن فإن كان الظاهر يتناوله يقتضي أن يكون لكل واحدة منهما مثل نصيب صاحبتها وإذ لم يفعلوا ذلك علمنا أنهم مناقضون ومتعلقون بالأباطيل وكذلك القول في المسائل الآخر جار هذا المجرى (على) إن هذا إنما ألزمناهم به على أصولهم ومذاهبهم لأن عندنا إن هذه المسائل كلها الأمر فيها بخلاف ذلك لأن مع البنت لا يرث أحد من الأخوة والأخوات على حال ولا يرث معها أحد من ولد الولد ولا مع الأخت من الأب والأم يرث العم ولا الأخت من قبل الأب لقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥] والبنت للصلب أولى وأقرب من جميع من ذكروه لكن على تسليم ذلك قد بينا أنهم تاركون لظاهر الخبر وإذا تركوا ظاهره إلى ما قالوه جاز لنا أن نحمله على ما نقوله بأن نقول أنه على تسليمه يحتمل أشياء (منها) أن يكون مقدار في رجل مات وخلف أختين من قبل الأم وابن أخ وابنة أخ لأب وأم وأخاً لأب إلى آخر ما تقدم في كلام السيد (قال) فإن قيل ليس ما ذكرتموه صحيحاً لأن أولى ذكر يجوز الميراث مع التساوي في الدرج فإما إذا كان أحدهما أقرب فلا يتناوله الخبر قلنا: في ظاهر الخبر أنه مع التساوي في الدرج بل هو عام في المتساويين والمتباعدين وإذا حملنا على شيء برأت عهدتنا على أنه لو كان المراد به مع التساوي في الدرج لم يجز لهم إن يورثوا ابن العم والعم مع البنت لأن البنت أقرب منهما؛ ولا محيص عن ذلك إلا بالتعلق بعموم الخبر مع أن ذلك أيضاً ممكن مع التساوي في الدرج كمن خلف زوجة وأختاً لأب وأم للزوجة سهمها المسمى الربع والباقي للأخ للأب والأم ولا ترث معه الأخت للأب (أو من) خلفت زوجاً وعماً من قبل الأب والأم وعمة من قبل الأب للزوج النصف سهمه المسمى والباقي للعم وليس للعمة شيء.

(قال الشيخ رحمه الله) وقد ألزم القائلون بالعصبة من الأقوال الشيعة ما لا يحصى كثيرة (منها) أن يكون الولد الذكر للصلب أضعف سبباً من ابن ابن عم فيمن خلف ثمانياً وعشرين بنتاً وابناً واحداً للابن سهمان من ثلثين ولكل بنت سهم فلو كان بدل الابن ابن ابن العم فله عشرة أسهم من ثلاثين وعشرون سهماً للبنات لأن فرضهن الثلثان والباقي له بالتعصيب؛ فيلزم تفضيل البعيد على الولد للصلب وفي ذلك خروج عن العرف والشريعة وترك لقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥]. ثم قيل لهم كما تقولون إن ترك هؤلاء البنات ومعهم بنت ابن فقالوا للبنات

الثلثان وما بقي للعصبة وليس لبنت الابن شيء لأن البنات قد استكملن الثلثين وإنما يكون لبنات الابن إذا لم تستكمل البنات الثلثين (قيل لهم) فإن المسألة على حالها إلا أنه مع بنت الابن ابن ابن (قالوا) للبنات الثلثان وما بقي فبين ابن الابن وابنة الإبن للذكر مثل حظ الأنثيين (قلنا لهم) فقد نقضتم أصلكم وخالفتم حديثكم فلم لا تجعلون ما بقي للعصبة في هذه المسألة كما جعلتموه في التي قبلها فتجعلون ما بقي لابن الابن الذي هو عصبته إذ كن البنات قد إستكملن الثلثين كما استكملن في التي قبلها ولم تأخذوا في هذه المسألة بالخبر الذي رويتموه فتعطوا ابن الابن ولا تعطوا ابنة الابن شيئاً وفي أي كتاب أو سنة وجدتم أن بنات الابن إذا لم يكن معهن أخوهن لم يرثن شيئاً فإذا حضر أخوهن ورثن بسبب أخيهن (ثم أجاب) عن الخبر الثاني الذي احتجوا به بأن رواية رجل واحد وهو عبد الله بن محمد بن عقيل وهو عندهم ضعيف ولا يحتجون بحديثه وهو منفرد بهذه الرواية.

(أقول) وأما التعلق بآية ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ﴾ [مريم: ٥] «إلى قوله» ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي ۝٦﴾ [مريم: ٥-٦] فعجيب ممن يروي ويعتقد قول: إنا معاشر الأنبياء لا نورث (قال الشيخ في التهذيب) أما قوله إنه سأل ولياً ولم يسأل ولية فإنما ذلك لأن الخلق كلهم يرغبون في البنين دون البنات فهو عليه السلام إنما سأل ما عليه طبع البشر كلهم وهو كان يعلم أنه لو ولد له أنثى لم تكن ترث العصبة البعداء مع الولد الأقرب ولكن رغب فيما يرغب الناس كلهم فيه على أن الآية دالة على أن العصبة لا ترث مع الولد الأنثى لقوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ [آل عمران: ٤٠] والعاقر لا تلد فلو لم تكن امرأته عاقراً وكانت تلد لم يخف الموالي من ورائه لأنها متى ولدت ولداً ما كان ذكراً أو أنثى ارتفع عقرها وأحرز الولد الميراث ففي الآية دلالة واضحة على أن العصبة لا ترث مع أحد من الولد ذكوراً كانوا أو إناثاً على أنا نسلم أن زكريا عليه السلام سأل الذكر دون الأنثى بل الظاهر يقتضي أنه طلب الأنثى كما طلب الذكر ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٧ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ۝٣٨﴾ [آل عمران: ٣٧-٣٨] فإنما طلب زكريا عليه السلام حين رأى مريم على حالها أن يرزقه الله مثل مريم لما رأى من منزلتها عند الله ورغب إلى الله في مثلها وطلب إليه عز وجل أن يهب له ذرية طيبة مثل

مريم فأعطاه الله أفضل مما سأل فأمر زكريا حجة عليهم في إبطال العصبة إن كانوا يعقلون (انتهى) ما أورده الشيخ رحمه الله في التهذيب.

أما ما ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في إبطال التعصيب فبالغ حد التواتر وسئل الصادق عليه السلام: المال لمن هو للأقرب أم للعصبة فقال: المال للأقرب والعصبة في فيه التراب ومثل ذلك في أخبار كثيرة وعليه انعقد إجماع الإمامية ولم يخالف فيه أحد منهم.

القسم الثالث

أن يكون المال الموروث ناقصاً عن تلك السهام كأن يجتمع في الوراث من فرض له ثلثان ومن فرض له نصف أو من فرض له ربع ومن فرض لهما سدسان ومن فرض له ثلثان ونحو ذلك، فإن المال لا يمكن أن يخرج منه نصف وثلثان أو ربع وسدسان وثلثان ولا يكون النقص إلا بوجود أحد الزوجين بين الوراث وهذه هي مسألة.

العول

وهو في اللغة يقال للزيادة والنقيصة فهو من أسماء الأضداد ويقال للميل كما عن أبي عبيد ومنه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣] وعال إذا كثر عياله وعالت الناقة بلبنها رفعته، (وعند الفقهاء) هو الزيادة في السهام عند زيادتها عن الفريضة بحيث يحصل النقص على الجميع فيمكن كونه من الزيادة لزيادة السهام ومن النقص لحصوله على الجميع فإذا أضيف العول إلى المال كان نقصاناً وإذا أضيف إلى السهام كان زيادة، ومن الميل لميل الفريضة بالجور على أهل السهام بنقصانها عليهم فكانت عائلة ومن عال بمعنى كثرت عياله لكثرة السهام في الفريضة فشبهت بمن كثر عياله ومن الارتفاع لارتفاع الفريضة بزيادة السهام.

وهذه المسألة مما وقع فيه الخلاف بين علماء الإمامية وغيرهم كمسألة التعصيب المتقدمة وعليهما يبتني معظم مسائل الميراث كما تقدم وتختلف القسمة على المذهبين اختلافاً كثيراً (فذهب فقهاء الإمامية كافة إلى بطلان العول) وإن

النقص إنما يكون على بعض ذوي السهام دون بعض فلا يكونون كلهم في هذه الصورة وارثين بالفرض بل بعضهم بالفرض وهو من لم ينقص عليه وبعضهم بالقرابة وهو من دخل عليه النقص وسيأتي بيان من يدخل عليه النقص ومن لا يدخل (وذهب) إلى ما تذهب إليه الإمامية من الصحابة ابن عباس وشدد النكير في ذلك حتى أنه طلب المباهلة عند الحجر الأسود ثقة بصحة قوله وعطاء بن أبي رباح ومن الفقهاء داود بن علي الأصفهاني وحكاه الفقهاء من العامة عن محمد بن علي بن الحسين الباقر عليه السلام وعن محمد بن الحنفية (وقال باقي الفقهاء) بل يدخل النقص جميع الورثة بنسبة سهامهم كأصحاب الديون إذا ضاق المال عن حقهم وهو العول.

(مثال ذلك) إذا ماتت امرأة وتركت زوجاً وأختين للأبوين أو للأب للزوج النصف بالفرض وللأختين الثلثان بالفرض مخرج النصف اثنان ومخرج الثلثين ثلاثة نضرب أحدهما في الآخر لتباين يحصل ستة فالفريضة من ستة للزوج نصفها ثلاثة وللأختين ثلثاها أربعة عالت الفريضة بواحد فعندنا يأخذ الزوج النصف تاماً ويدخل النقص على الأختين فيكون لهما الباقي وعند العامة يزاد على الفريضة واحد فتجعل من سبعة أي تجعل التركة سبعة أجزاء بدلاً من ستة فيأخذ الزوج ثلاثة أجزاء من سبعة من التركة وقد كان له ثلاثة من ستة وتأخذ الأختان أربعة أجزاء من سبعة من التركة وقد كان لهما أربعة من ستة فيكون النقص قد دخل على الزوج والأختين بنسبة سهامهم، وهكذا باقي مسائل العول على هذا القياس (والضابط) عندنا إن النقص يدخل على البنت أو البنتين فصاعداً وعلى من يتقرب بالأبوين أو الأب خاصة من الأخت والأخوات دون من يتقرب بالأم ولا يدخل النقص على الزوجين ولا على الأبوين ولا على كلالة الأم.

فلو تركت زوجاً وأبوين وبنتاً الفريضة من اثني عشر حاصلة من ضرب اثنين في ستة ثلاثة في أربعة للزوج ربعها ثلاثة وللأبوين سدساها أربعة وللبنت نصفها ستة فالسهام ثلاثة عشر عالت الفريضة بواحد فتأخذ البنت الباقي بعد الربع والسدسين؛ (ولو تركت) زوجاً واحد الأبوين وبنتين فصاعداً الفريضة من اثني عشر حاصلة من ضرب أربعة في ثلاثة والسهام ثلاثة عشر فتأخذ البنتان الباقي بعد الربع والسدس ولو تركت زوجاً وأبوين وبنتين فصاعداً الفريضة من اثني عشر حاصلة من ضرب اثنين في ستة

أو ثلاثة في أربعة والسهام خمسة عشر عالت الفريضة بثلاثة فتأخذ البنتان الباقي بعد الربع والسدسين (ولو ترك) زوجة وأبوين وبنتين الفريضة من أربعة وعشرين حاصلة من ضرب أربعة في ستة أو ثلاثة في ثمانية والسهام سبعة وعشرون عالت الفريضة بثلاثة نصيب الزوجة فتأخذ البنتان الباقي بعد الثمن والسدسين، (ولو تركت) زوجاً مع كلالة الأم وأخت أو أخوات للأب أو للأب والأم فللزوج النصف ولكلالة الأم السدس أو الثلث والباقي للأخت والأخوات.

(وربما) جعل الضابط في دخول النقص وفي الرد في مسألتي العول والتعصيب إن النقص إنما يدخل على من له فرض واحد في الكتاب المجيد كالبنت والبنات والأخت والأخوات فإن البنت قد فرض لها فرض واحد وهو النصف وكذا الأخت والبنتان فرض لهما فرض واحد وهو الثلثان وكذا الأختان فهؤلاء يدخل عليهم النقص عند النقيصة ويرى عليهم عند الزيادة بخلاف من فرض له فرضان كالزوج حيث فرض له النصف مع عدم الولد والربع معه والزوجة حيث فرض لها الربع مع عدم الولد والثمن معه والأم حيث فرض لها الثلث مع عدم الولد والسدس معه، فهؤلاء لا يكون عليهم رد كما لا يدخل عليهم نقص وذلك لأن من له الغنم فعليه الغرم ومن لا غنم له لا غرم عليه.

وقال المرتضى ﵀ في الانتصار: الذي يذهب إليه الشيعة إن المال إذا ضاق على سهام الورثة قدم ذوو السهام المؤكدة من الأبوين والزوجين على البنات. والأخوات من الأم على الأخوات من الأب والأم أو من الأب وجعل الفاضل عن سهامهم لهن انتهى، (ومراده) بتأكيد السهام إن من فرض له سهم على حال ثم سهم آخر أقل منه على حال آخر فهذا سهمه مؤكد، ومن لم يفرض له إلا سهم واحد فهذا سهمه غير مؤكد وهذه الضابطة منقوضة بالأب فليس له في الكتاب إلا سهم واحد ومع ذلك لا يدخل النقص عليه ويرد عليه وبكلالة الأم فليس لها في الكتاب إلا سهم واحد ومع ذلك لا يدخل النقص عليها ولا يرد عليها كما مر ويمكن الحمل على الغالب لا على الضابطة الحقيقية (وهذه الضابطة) مستفادة من قول ابن عباس في الحديث الآتي: كل فريضة لم يهبطها الله عن فريضة إلا إلى فريضة فهذا ما قدم الله وكل فريضة إذا زالت عن فرضها لم يبق لها إلا ما بقي فتلك التي أخر (وأول) مسألة

وقع فيها العول في الإسلام على ما رواه العامة في زمن عمر حين ماتت امرأة في عهده عن زوج وأختين فجمع الصحابة وقال لهم فرض الله للزوج النصف وللأختين الثلثين فإن بدأت بالزوج لم يبق للأختين حقهما؛ وإن بدأت بالأختين لم يبق للزوج حقه فأشيروا علي فاتفق رأي أكثرهم على العول؛ ثم أظهر ابن عباس الخلاف وبالغ فيه.

ومما روي عن ابن عباس في إنكار العول ما روى من طرق العامة بأسانيد عديدة وكلها عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله[1] بن عتبة قال جالست ابن عباس فعرض ذكر الفرائض في المواريث (إلى أن قال) متحدثاً عن ابن عباس. فقال ابن عباس سبحان الله العظيم أترون الذي أحصى رمل عالج عدداً جعل في مال نصفاً ونصفاً وثلثاً فهذان النصفان قد ذهبا بالمال فأين موضع الثلث، فقال له زفر بن أوس البصري فمن أول من أعال الفرائض فقال عمر بن الخطاب لما التفت الفرائض عنده ودفع بعضها بعضاً فقال: والله ما أدري أيكم قدم الله وأيكم أخر وما أجد شيئاً هو أوسع من أن أقسم عليكم هذا المال بالحصص فأدخل على كل ذي سهم ما دخل عليه من عول الفرائض، وأيم الله لو قدم من قدم الله وآخر من أخر الله ما عالت فريضة، فقال له: زفر وأيها قدم وأيها أخر فقال كل فريضة لم يهبطها الله عن فريضة إلا إلى فريضة فهذا ما قدم الله. وأما ما أخر فكل فريضة إذا زالت عن فرضها لم يبق لها إلا ما بقي فتلك التي أخر. فأما الذي قدم: فالزوج له النصف، فإذا دخل عليه ما يزيله عنه رجع إلى الربع، لا يزيله عنه شيء والزوجة لها الربع، فإذا دخل عليها ما يزيلها عنه صارت إلى الثمن، لا يزيلها عنه شيء. والأم لها الثلث، فإذا زالت عنه صارت إلى السدس، ولا يزيلها عنه شيء. فهذه الفرائض التي قدم الله. وأما التي أخر ففريضة البنات والأخوات، لها النصف والثلثان، فإذا أزالتهن الفرائض عن ذلك لم يكن لهن إلا ما بقي فتلك التي أخر. فإذا اجتمع ما قدم الله وما أخر بدىء بما قدم الله فأعطي حقه كاملاً فإن بقي شيء كان لمن أخر فإن لم يبق شيء فلا شيء له، (فقال) له زفر فما منعك أن تشير بهذا الرأي على عمر فقال هبته والله وكان امرءاً مهيباً فقال الزهري والله لولا أنه تقدمه إمام عدل كان أمره على الورع فأمضى أمراً

(١) عن العلل عبيد الله بن عبد الرحمن بن عتبة.

فمضى ما اختلف على ابن عباس في العلم اثنان (قوله) وإن لم يبق شيء فلا شيء له لا يخفى أنه فرض غير واقع إذا لا بد أن يفضل لهم شيء وحمله في المسالك على المبالغة في تقديم من قدمهم الله تعالى وهذا الحديث حجة على الخصم لأنه من طريقهم، (وقد) كان مصدر ابن عباس عن رسول الله ﷺ وعن أمير المؤمنين عليه السلام فهو تلميذه والآخذ عنه وسعة علم ابن عباس وكثرة روايته عن النبي ﷺ لا ينكرها أحد فلا وجه لترك قوله إلى قول غيره ممن اجتهد برأيه واعتذار الزهري بأنه تقدم إمام عدل كان أمره على الورع غير تام لأن كونه إمام عدل لا يمنع جواز الخطأ عليه؛ فيما علم أنه أمضاه باجتهاده لا بروايته ومع ذلك فظاهر الزهري موافقة ابن عباس واعترافه بإصابته وغزارة علمه.

(ثم) أن هذا الحديث قد اشتمل على فوائد كثيرة (منها) الاحتجاج على بطلان العول بالعقل لاستلزامه المحال ونسبة الجهل أو العبث إليه تعالى عن ذلك علواً كبيراً وهو المشار إليه بقوله أترون الذي أحصى رمل عالج عدداً جعل في مال نصفاً ونصفاً وثلثاً؛ (ومنها) أن أصل القول بالعول كان بالرأي والاجتهاد لا بالرواية عن النبي ﷺ (ومنها) بيان استفادة من يدخل عليه النقص من آيات الفرائض حيث جعل لهم فرضاً واحداً وجعل لغيرهم فرضاً أدنى عند وجود من يزيلهم عن فرضهم الأعلى ففرض لهم فرضين تنبيهاً على الاهتمام بهم وأنهم لا ينقصون عن فرضهم الأعلى إلا إلى هذا الفرض الأدنى وهو اعتبار حسن قريب من دقائق القرآن، والظاهر أن ابن عباس ذكره رواية لا استنباطاً (ومنها) بيان ضابطة من يدخل عليه النقص ومن لا يدخل بالتقريب المذكور (ومنها) إمكان استفادة ضابطة الرد من ضابطة النقص فيرد على من له فرض واحد دون من له فرضان فإن من فرض له فرضان كما استفيد من ذلك أنه لا ينقص عن الأعلى إلا إلى الأدنى قد يستفاد منه أنه لا يزيد عن الأعلى مؤيداً بأنه من لم الغنم عليه الغرم؛ وقد مر انتقاض الضابطين وتوجيهه.

(حجة الشيعة) على بطلان العول أمور؛ (الأول) العقل وهو ما تقدمت الإشارة إليه في كلام ابن عباس من أنه يستحيل على الله تعالى أن يفرض في مال ما لا يسعه من السهام؛ (لا يقال) القائلون بالعول لا يقولون إن الله تعالى قد فرض في المال الواحد ما لا يسعه بل مقتضى عموم أدلة الفروض ذلك لكن استحالته قرينة عقلية

على إرادة إن لكل واحد بنسبة ما فرض له (لأنا نقول) استحالة ذلك لا تعين إرادة دخول النقص على الكل بنسبة سهامهم بل كما يحتمل ذلك يحتمل كون البعض ليس من أهل الفروض في هذه الصورة فيكون له الباقي فتعيين أحد الاحتمالين يحتاج إلى دليل، ويمكن تعيين الاحتمال الثاني بما يأتي في الأمر الثاني من أن اللازم منه تقييد بعض أدلة الفروض بخلاف الأول فإنه يقتضي الخروج عن الظاهر في جميعها، (الثاني) ما أشار إليه المرتضى في الانتصار: وهو إنا إذا أنقصنا جميع ذوي السهام وأعطينا كل واحد منهم بعض ما تناوله النص خصصنا ظواهر كثيرة وصرفناه عن الحقيقة إلى المجاز، وإذا أنقصنا أحدهم عدلنا فيما تخص هذا المنقوص وحده عن الظواهر وأبقينا عداه على ظاهره؛ وحقيقته فإذا كان التخصيص والانصراف عن الحقيقة إنما يفعل للضرورة فقليله أولى من كثيره ولا يعتبر بما يفعله مخالفونا من تسميتهم ما هو خمس في الحقيقة ربعاً وما هو أقل من السدسين بأنه سدسان ولا بالثمن عن التسع وما أشبه ذلك لأنهم سموا الشيء بغير اسمه الموضوع له وخرجوا عن موجب اللغة انتهى.

ويمكن إن يقال أن الخصم إما أن يدعي شمول أدله الفروض لصورة العول حقيقة ولكنه حيث لم يمكن القسمة على مقتضى المعاني الحقيقة قسمنا على مقتضى ما يقرب منها أو مجازاً؛ أما شمولها حقيقة فموجب لنسبة الجهل إليه تعالى عن ذلك أو الحكم بالمحال وأما شمولها مجازاً فموجب لاستعمال اللفظ في المعنى الحقيقي والمجازي في استعمال واحد وهو باطل كما قرر في الأصول وحمله على عموم المجاز بأن يكون استعمل في معنى يعم الحقيقي والمجازي مجازاً باطل إذ لا يوجد قدر جامع سيما مع أن تلك المعاني المجازية غير محصورة ولا مضبوطة بل تزيد وتنقص؛ مع أننا نعلم ضرورة أن ألفاظ السهام المقدرة أريد بها معانيها الحقيقة لا معان أخر مجازية على أن القرينة عموم المجاز مفقودة واستحالة إرادة الحقيقة لا تعين هذا المجاز كما مر على أن دخول النقص على الجميع بنسبة سهامهم أيضاً فرع شمول إطلاق السهام لموضع النزاع حقيقة؛ وإلا فلا تبقى سهام حتى ينسب النقص إليها وجعل النسبة إليها باعتبار ثبوتها في غير المقام لا يصح لأن ثبوتها في غير المقام مع العلم بعدم ثبوتها في المقام والشك فيما هو الثابت لا يصحح إن الثابت هو بنسبة غيره، المقام (الثالث) ما أشار إليه المرتضى في الانتصار أيضاً من أن

الذي نجعل النقص داخلاً عليه وحدة قد اجتمعت الأمة على دخول النقص عليه في الجملة فنحن نقول وحده وأنتم تقولون مع غيره أما غيره فما وقع إجماع على نقصه من سهامه ولا قام دليل على ذلك وظاهر الكتاب يقتضي أن له سهماً معلوماً فيجب أن نوفيه إياه ونجعل النقص لاحقاً بمن أجمعوا على نقصه (الرابع) إن الله تعالى قد فضل البنين على البنات في كل الفرائض فمن تركت زوجاً وأبوين وعشر بنين لا يكون للبنين إلا ما يبقى فإذا كان مكان البنين بنات أفلا ترضى لهن أن يأخذن مثل ما يأخذ البنون وقد فضل الله البنين على البنات بالنصف، (واعترض) بأن البنتين ذوات سهام مسماة مثل الأبوين وليس للبنين سهم مسمى إنما هم عصبة ولهم ما فضل فينبغي أن يوفر على البنات سهامهن كما يوفر على الأبوين أو العول؛ (وأجيب) بأن الابن إنما يكن له سهم لأن له الكل والبنت لها النصف ومتى اجتمعا كان للابن مثلان وللبنت مثل واحد، (الخامس) الروايات المستفيضة بل المتواترة وفيها الصحاح عن أئمة أهل البيت عليهم السلام بعد إطباق الإمامية عليه وقد ثبت في غير المقام حجية أقواله وأنهم أحد الثقلين الواجب اتباعهما كصحيحة ابن مسلم وصحيحة الفضلاء الأربعة عن الباقر عليه السلام إن السهام لا تعول (وفي صحيحة أخرى) عنه عليه السلام أنه اقرأ ابن مسلم صحيفة كتاب الفرائض هي إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط علي بيده فإذا فيها السهام لا تعول: (وفي كتاب الرضا عليه السلام) إلى المأمون والفرائض على ما أنزل الله في كتابه ولا عول فيها (وقال) الباقر عليه السلام: إن السهام لا تعول لا تكون أكثر من ستة (وقال زرارة) هذا ليس مما فيه اختلاف بين أصحابنا عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام (وقال الباقر عليه السلام) أيضاً إن السهام لا تكون أكثر من ستة أسهم (وقال عليه السلام) إن الذي يعلم رمل عالج ليعلم أن الفرائض لا تعول على أكثر من ستة (وقال عليه السلام) السهام ليس تجوز ستة؛ ثم قال كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إن الذي أحصى رمل عالج ليعلم أن السهام لا تعول على ستة لو يبصرون وجهها لم تجز ستة، (وقال الصادق عليه السلام) أصل الفرائض من ستة أسهم لا تزيد على ذلك ولا تعول عليها، (وقال عليه السلام) كان ابن عباس يقول إن الذي يحصي رمل عالج ليعلم إن السهام لا تعول من ستة فمن شاء لاعنته عند الحجر إن السهام لا تعول من ستة إلى غير ذلك من الأخبار. (والظاهر) إن المراد بالسهام هي الستة المفروضة في الكتاب، والمراد بقوله لا تعول أو لا عول فيها أنها لا تنقص بحيث يصير الثمن

تسعاً والربع خمساً مثلاً ونحو ذلك أو لا تزيد عن الستة المعهودة بأن يزاد عليها التسع والخمس وغير ذلك، ويؤيد الأخير قوله في بعض الروايات لا تكون أكثر من ستة بعد قوله لا تعول وكذا قوله لا تعول على أكثر من ستة أي لا تزيد وكان الظاهر لا تعول على ستة كما في الخبرة الآخر ولعله بمعنى على ستة فأكثر، كما قالوا في قوله عليه السلام لا تسافر المرأة فوق ثلاثة أيام إلا ومعها زوجها أو ذو محرم أو ما هذا معناه إن المراد ثلاثة أيام فما فوق؛ وكذا قوله لا تجوز ستة أي لا تتعداها فتكون أكثر بزيادة التسع والخمس وغيرهما بسبب العول (أما قوله) لا تزيد على ذلك ولا تعول عليها فلعله من عطف التفسير (وقوله) لا تعول من ستة أي لا تنقص أو لا تزيد عنها على أن تكون من بمعنى عن.

احتج القائلون بالعول بأمور (أحدها) القياس على الدين مع قصور المال فإنهم يقتسمونه بنسبة ديونهم؛ والجامع الاستحقاق وقصور المال وهذا الوجه محكي عن أبي ثور؛ (والجواب) بالفرق بين الدين والميراث إذا لا يستحيل أن يكون على شخص من الدين ما لا يفي به ماله بل مع فقد المال كلية، بخلاف الميراث فإنه يستحيل أن يفرض الله في مال ما يقصر عنه فيكون له نصف وثلثان أو أن يستحق شخص الإرث مع فقد التركة وذلك لأن الدين يتعلق بالذمة وهي تقبل تحمل الجميع، فإذا عرض تعلقه بعين المال ولم يسع الجميع لم يكن ذلك محالاً إذ معنى هذا التعلق استحقاق كل أن يستوفي بنسبة دينه وهذا لا محال فيه إنما المحال كل استيفاء جميع دينه بخلاف الإرث فإنه يتعلق بنفس التركة تعلق انحصار وهي لا تقبل تعلق جميع السهام ولهذا يجب الخروج من حقوق الديان كلا ولا يعد أخذ أحد منهم قسطه استيفاء لجميع حقه بل لبعضه فلو قدر المديون على إيفاء الدين بعد تقسيطه ماله وجب عليه الخروج من باقي حقهم ومع موته يبقى الباقي في ذمته ويصح احتسابه عليه من الحق وإبراؤه منه ومع بقائه يعوضون عنه في الآخرة؛ والإرث مخالف للدين في جميع ذلك ولو فرض اتساع أموال الميت مكن استيفاء جميع الديون منها بخلاف العول فإن الحقوق متعلقة بأجزاء مسماة ولا يجوز أن تستوفي قط من مال ميت واحد قل أو كثر فبطل القياس.

وأجاب المرتضى قدس سره في الانتصار: بأن أصحاب الديون مستوون في وجوب

استيفاء أموالهم من تركة الميت وليس لأحد مزية على الآخر في ذلك فإن اتسع المال لحقوقهم استوفوها وإن قصر تساهموا وليس كذلك مسائل العول لأن بعض الورثة أولى بالنقص من بعض انتهى، وما ذكرناه من الجواب الأول لعدم احتياجه إلى إثبات أن بعض الورثة أولى بالنقص من بعض. .

(الثاني) القياس على الوصية إذا أوصى لاثنين أو ثلاثة وضاق المال فإنه يدخل النقص على الكل.

(والجواب) إن الحق عندنا أن يقدم ما أوصى به أولاً فما بعده حتى يستوفي الثلث ويبطل ما عداه وإن لم يرتب بل أوصى لجماعة دفعة واحدة بمال بأن قال أعطوهم ألفاً ولم يف الثلث فإنه يدخل النقصان على الجميع؛ لأنه ليس لكل واحد منهم سهم معين بل إنما استحقوا على الاجتماع قدراً مخصوصاً فقسم فيهم كما يقسم الشيء المستحق بين الشركاء؛ هكذا أجاب الشيخ رحمه الله في التهذيب.

(الثالث) ما رووه عن عبيدة السلماني عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سئل وهو على المنبر عن رجل مات وخلف زوجة وأبوين وبنتين؛ فقال عليه السلام: بغير روية صار ثمنها تسعاً حتى عد ذلك من كراماته فإن حساب هذه المسألة يحتاج إلى مدة طويلة وقد أجاب عنه بدون فكره ولا روية وتسمى هذه (بالمسألة المنبرية) وهي لا تنطبق إلا على العول.

وأجاب المرتضى رحمه الله في الانتصار بأن دعواهم أنه عليه السلام كان يقول بالعول باطلة؛ لأنا نروي عنه خلاف هذا القول ووسائطنا إليه النجوم الزاهرة من عترته كزين العابدين والباقر والصادق والكاظم عليهم السلام وهؤلاء أعرف بمذهب أبيهم ممن نقل خلاف ما نقلوه وابن عباس وما تلقى أبطال العول في الفرائض إلا عنه، (ومعولهم) في الرواية عنه أنه كان يقول بالعول عن الشعبي والحسن بن عمارة والنخعي، فأما الشعبي فإنه ولد سنة ست وثلاثين والنخعي ولد سنة سبع وثلاثين وقتل أمير المؤمنين عليه السلام سنة أربعين فكيف تصح رواياتهم عنه، والحسن ابن عمارة مضعف عند أصحاب الحديث ولما ولي المظالم قال سليمان بن مهران الأعمش ظالم ولي المظالم، ولو سلم كل من ذكرناه من كل قدح وجرح لم يكونوا بإزاء من ذكرناه من السادة والقادة الذين رووا عنه أبطال العول فأما الخبر المتضمن إن ثمنها صار تسعاً فإنما رواه سفيان عن رجل لم يسمه والمجهول لا حكم له، وما رواه عنه أهله أولى

وأثبت وفي أصحابنا من تأول هذا الخبر إذا صح على أن المراد به أن ثمنها صار تسعاً عندكم أو أراد الاستفهام وأسقط حرفه كما أسقط في مواضع كثيرة. انتهى كلام المرتضى ويكون الاستفهام إنكارياً كما ذكره الشيخ في التهذيب واحتمل أيضاً في التهذيب الحمل على التقية بدليل أنه لم يمكنه المظاهرة بكثير من مذاهبه حتى قال لقضاته وقد سألوه بم نحكم أمير المؤمنين فقال اقضوا كما كنتم تقضون حتى يكون الناس جماعة أو أموت كما مات أصحابي؛ (قال) وقد روى هذا الوجه المخالفون لنا (روى) أبو طالب الأنباري قال حدثني الحسن بن محمد بن أيوب الجوزجاني قال حدثنا عثمان بن أبي شيبة قال حدثنا يحيى بن أبي بكر عن شعبة عن سماك عن عبيدة السلماني قال كان علي على المنبر فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين رجل مات وترك ابنتيه وأبويه وزوجة؛ فقال علي عليه السلام: صار ثمن المرأة تسعاً قال سماك قلت لعبيدة وكيف ذلك قال إن عمر بن الخطاب وقعت في إمارته هذه الفريضة فلم يدر ما يصنع وقال للبنتين الثلثان والأبوين السدسان وللزوجة الثمن؛ قال: هذا الثمن باقياً بعد الأبوين والبنتين؛ فقال له أصحاب محمد: أعط هؤلاء فريضتهم للأبوين السدسان وللزوجة الثمن وللبنتين ما يبقى؛ فقال: فأين فريضتهما الثلثان فقال له علي بن أبي طالب لهما ما يبقى فأبى ذلك عليه عمرو بن مسعود فقال علي: على ما رأى عمر؛ قال عبيدة: وأخبرني جماعة من أصحاب علي بعد ذلك في مثلها أنه أعطى للزوج الربع من الابنتين وللأبوين السدسين والباقي رد على البنتين وذلك هو الحق وإن أباه قومنا؛ (أقول) فهذا الحديث الوارد في المسألة المنبرية مصرح بأن علياً عليه السلام كان لا يقول بالعول وأنه أظهر الموافقة مداراة وأن عبيدة راوي الحديث مصوب لعدم العول فكيف يصح بعد هذا التعويل على هذا الحديث.

المسألة الحمارية

٩ - وهي امرأة توفيت عن زوج وأم وأخوين لأم وأخ لأبوين؛ (قال) الشرقاوي في حاشيته على التحرير لزكريا الأنصاري: وتسمى بالحمارية لأنها وقعت في زمن عمر رضي الله عنه فحرم الأشقاء فقالوا هب إن أبانا حمار ألسنا من أم واحدة فشرك بينهم

(وروي) أنه قضى به مرة فلم يشرك ثم شرك في العام الثاني؛ فقيل له: إنك أسقطته في العام الماضي فقال ذلك على ما قضينا وهذا على ما نقضي؛ وروي هب أن أبانا كان حجراً ملقى في اليم فلذا سميت بالحجرية واليمية انتهى، وهذا إنما يتم على القول بالتعصيب أما عندنا فللزوج النصف؛ والباقي للأم ولا شيء للأخوة سواء الأشقاء وغيرهم.



لطيفة أشبه باللغز

١٠ - قال صاحب النخبة الأزهرية في تخطيط الكرة الأرضية عند الاستدلال على كروية الأرض: (الدليل الثالث) قال الفقهاء في المواريث إذا مات متوارثان في يوم واحد وزمن واحد منه لكن أحدهما في المشرق والآخر في المغرب فإن المغربي يرث المشرقي؛ لما إن وقت المشرقي متقدم في الوجود على وقت المغربي في الزوال مثلاً وهذا لا يتأتى إلا من تحدب سطح الأرض انتهى، (أقول) يعني إذا مات مشرقي ومغربي متوارثان يوم الخميس الخامس من شوال سنة كذا عند الزوال مثلاً كان موت المشرقي أسبق من موت المغربي؛ ولأن طلوع الشمس على أفق المشرقي اسبق من طلوعها على أفق المغربي فيحدث الزوال يوم الخميس المذكور في المشرق قبل حدوثه في المغرب وربما يكون وقت الزوال في المشرق يوم الخميس ليلاً في المغرب؛ ويكون ذلك ليلة الخميس فوقت الزوال في المغرب يكون يوم الجمعة في المشرق؛ فلذلك يرث المغربي المشرقي دون العكس.



نجاسة ميتة الإنسان

١١ - قال أبو حنيفة بنجاسة الآدمي إذا مات لكنه يطهر بالغسل وبه قال الشافعي في المرجوح من قوليه وهو مذهب الإمامية كافة، (قال الشعراني) في ميزانه: ومن ذلك (أي ما اختلفوا فيه) قول الإمام مالك وأحمد والشافعي في أرجح

قوليه بطهارة الآدمي إذا مات مع قول الإمام أبي حنفية والمرجوح من قولي الشافعي بأنه ينجس لكنه يطهر بالغسل (إلى أن قال) فإن قال قائل كيف قال الإمام أبو حنيفة كنجاسة الآدمي مع حديث إن المؤمن لا ينجس حياً ولا ميتاً فالجواب يحتمل إن هذا الحديث لم يبلغه أو بلغه ولم يصح عنده انتهى.

(وأقول) إن صح الحديث أمكن حمله على أنه لا ينجس نجاسة ذاتية لا يمكن زوالها؛ كنجاسة باقي الميتات فإن النجاسة التي تزول بالغسل أشبه بالنجاسة العرضية وكما قيد الحديث في الحي بالنجاسة الذاتية التي لا تزول لما علم من أن بدن المؤمن يتأثر بالنجاسات وينجس بها لكنه يطهر بالمطهر يمكن تقييده في الميت بذلك.

١٢ - لو طلق رجل زوجته رجعياً ثم سافر ومات في العدة؛ ولما تعلم فانتظرت إلى انقضاء العدة الرجعية وتزوجت ثم علمت بأنه كان قد مات في العدة فهذا من الفروع الدقيقة وقل من ذكره ويقع الابتلاء به وفيه وجوه.

(الأول) صحة النكاح الثاني وعدم الحاجة إلى تجديد عقد ووجوب الاعتداد أربعة أشهر وعشرة أيام من حين بلوغ الخبر ثم تحل للزوج الثاني بدون تجديد عقد، (أما) صحة النكاح الثاني فلوقوعه على خلية من البعل ومن العدة أما من البعل فواضح لموته وأما من العدة فلأنها إنما تجب من حين بلوغ الخبر وقبله لا عدة ولو مضى على ذلك سنين وأما وجوب الاعتداد من حين بلوغ الخبر فلعموم الأدلة وأما وجوب امتناع الزوج الثاني عنها مدة العدة فلأن ذلك من أحكام المعتدة.

(ويرد) على هذا الوجه إن كونها خلية من الزوج مسلم أما من العدة فإن أريد به أنه لم يقع في زمن العدة فمسلم أيضاً؛ لكنه لا يفيد لصدق إن هذا العقد وقع على من لزمتها العدة ولم تعتد بعد؛ وقد فهم من أدلة الشرع إن من لزمتها العدة ليس لها أن تتزوج قبل أن تعتد؛ (لا يقال) لزوم العدة لها فعلاً ممنوع لأنه معلق على أمر لم يحصل وهو بلوغ الخبر فهو كما لو قلنا هذه المرأة تلزمها العدة إن تزوجت وطلقت فكما إن ذلك ليس بمانع من جواز العقد عليها قبل حصول المعلق عليه فكذا هنا (لأنا نقول) فرق واضح بينهما فهنا العدة ثابتة في الواقع لحصول سببها وهو موت الزوج وليس ثبوتها ولزومها معلقاً على شيء فهذه المرة عليها أن تعتد وليس لها أن

تتزوج بدون عدة وإذا تزوجت فنكاحها فاسد كل ذلك ثابت بما فهم من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [البقرة: ٢٣٤] وهذه الزوجة داخلة في هذا العموم لأنها قد توفي عنها زوجها ومعنى يتربصن أي ليس لهن أن يتزوجن قبل التربص وهذا شامل لها لأنها لم تتربص بعد فإذا تزوجت قبل التربص كان النكاح فاسداً، غاية الأمر إن مبدأ التربص يكون من بلوغ الخبر (والحاصل) إن معنى وجوب العدة عدم جواز التزويج قبل حصولها فكيف يصح عقد هذه المرأة وهو قد حصل قبل الاعتداد وكونه وقع في زمان خال من الزوجية ومن العدة غير كاف في الصحة إذ يكفي في الفساد وقوعه قبل الاعتداد الذي ثبت لزومه.

(الثاني) فساد العقد وحرمتها مؤبداً مع الدخول (أما الأول) فلما مر في رد القول الأول (وأما الثاني) فلأنها وإن لم تكن معتدة إلا أنها في حكمها.

ويرد عليه إن كونها في حكم المعتدة من حيث التحريم مؤبداً ممنوع تمسكاً بأصالة الحل والتحريم، وإنما ثبت في العقد في زمان العدة والدخول فلا يلحق به غيره لعدم الدليل.

(الثالث) فساد العقد وعدم التحريم المؤبد لعدم وقوع النكاح في العدة بل قبلها فله تجديد العقد عليها بعد انقضاء عدة الوفاة؛ وهذا هو الأقوى كما يظهر من رد الوجهين الأولين والله أعلم.



مسائل فقهة امتحانية

١٣ - مسألة منقولة عن الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان رضوان الله عليه؛ وهي:

رجل صحيح دخل على مريض فقال له أوص؛ قال: بما أوصي وإنما يرثني زوجتاك وأختاك وعمتاك وخالتك وجدتاك؛ في ذلك يقول الشاعر:

أتيت الوليد ضحى عائداً ... وقد خامر القلب منه السقاما

فقلت له أوص فيما تركت ... فقال ألا قد كفيت الكلاما

فـفـي عـمـتـيـك وفـي جـدتـيـك وفي خـالـتـيـك تـركـت الـسـوامـا
وزوجـاك حـقـهـمـا ثـابـت وأخـتـاك مـنـه تـحـوز الـتـمـامـا
هـنـاك أيـا ابـن أبـي خـالـد ظـفـرت بـعـشـر حـويـن الـسـهـامـا

(الجواب) هذا المريض تزوج جدتي الصحيح أم أمه وأم أبيه فأولد كل واحدة منهما إبنتين فإبنتاه من جدته أم أبيه هما عمتا الصحيح وابنتاه من جدته أم أمه هما خالتا الصحيح وتزوج الصحيح جدتي المريض أم أمه وأم أبيه وتزوج أبو المريض أم الصحيح فأولدها ابنتين فقد ترك المريض أربع بنات وهن عمتا الصحيح وخالتاه وترك جدتيه وهما زوجتا الصحيح وترك امرأتيه وهما جدتا الصحيح وترك أختيه لأبيه وهما أختا الصحيح لأمه فلبناته الثلثان ولزوجيته الثمن ولجدتيه السدس ولأختيه لأبيه ما بقي. وهذه المسألة على مذهب العامة دون الخاصة.

١٤ - (مسألة فقهية منقولة عن الشيخ المفيد أيضاً) وهي: امرأة ورثت أربعة أزواج واحداً بعد واحد فصار لها نصف أموالهم جميعاً وللعصبة النصف الباقي.

(الجواب) هذه امرأة تزوجها أربعة أخوة واحداً بعد واحد وورث بعضهم بعضاً مهما وكان جميع مالهم ثمانية عشر ديناراً للواحد منهم ثمانية دنانير وللآخر منهم ستة وللآخر ثلاثة وللآخر دينار واحد فتزوجها الذي له الثمانية ثم مات عنها فصار لها الربع مما ترك وهو ديناران وما بقي للأخوة الثلاثة لكل واحد ديناران فصار لصاحب الستة ثمانية ولصاحب الثلاثة خمسة ولصاحب الدينار ثلاثة ثم تزوجها الذي له ثمانية ومات عنها فورثت الربع مما ترك وهو ديناران وصار ما بقي وهو ستة دنانير بين أخويه لكل واحد ثلاثة فصار للذي له خمسة دنانير ثمانية وللذي له ثلاثة ستة ثم تزوجها صاحب الثمانية ومات عنها فورثت منه الربع دينارين وصار ما بقي لأخيه وهو ستة فحصل له بهذه الستة مع الستة الأولى اثنا عشر ديناراً ثم تزوجها وهو الباقي من الأخوة وله اثنا عشر ديناراً ومات عنها فورثت الربع ثلاثة دنانير فصار جميع ما ورثت منهم تسعة دنانير من الأول ديناران ومن الثاني ديناران ومن الثالث ديناران ومن الرابع ثلاثة فذلك تسعة وهو نصف ما كانوا يملكون والباقي للعصبة كما قلنا.

١٥ - (مسألة فقهية امتحانية) رجل له امرأتان فأرضعت إحداهما من لبنه صبياً من عرض الناس فحرمت عليه الأخرى.

(الجواب) أبو صبي زوج ابنه الصغير أمة الغير فأعتقها سيدها فاختارت نفسها فوقعت الفرقة أو باعها ففسخ المشتري عقد نكاحها على الفور ثم أعتقها فتزوجت برجل ولهذا الزوج زوجة أخرى قد جاءت بولد منه فأرضعت بلبنه الصبي الذي كان زوج بها من قبل فحرمت ضرتها عليه وهي الجارية المعتقة لأنها صارت حليلة ابن له من الرضاعة إذ الصبي صار ابناً رضاعياً له وهي كانت حليلته.

١٦ - (مسألة أخرى) رجل له زوجة وأم ولد فأرضعت زوجته من لبنه صبياً أجنبياً من عرض الناس فحرمت عليه أم ولده.

(الجواب) هذا رجل له أمة مزوجة من صبي فباعها من رجل له زوجة ففسخ المشتري نكاحها ثم استولدها فأرضعت زوجته من لبنه ذلك الصبي فحرمت عليه أم الولد لأن الولد صار ابناً رضاعياً له وقد كانت هي زوجته.

١٧ - (مسألة أخرى) رجل له زوجتان أرضعت إحداهما من لبنه صبياً أجنبياً من عرض الناس فتحرم بذلك زوجته الأخرى الغير المرضعة عليه وعلى ذلك الصبي المرتضع.

(الجواب) يفهم من المسألتين السابقتين لأن تلك الأمة في الصورتين السابقتين كما حرمت على الرجل الذي هي زوجته لأنها صارت حليلة ابنه من الرضاعة كذلك حرمت على الصبي المرتضع من ضرتها لأنها صارت حليلة أبيه من الرضاعة.

١٨ - (من كتاب كنز الفرائد لأبي الفتح الكراجكي)

(مسألة) إمرأة لها بعل صحيح البعولة أمكنت نفسها من رجل كامل العقل رضي الدين فوطأها من غير حرج في ذلك عليهما وبعلها المذكور كاره لذلك كراهة الطباع راض به من جهة التسليم للشريعة رضاء الاختيار.

(الجواب) هذه امرأة نعي إليها زوجها فاعتدت وتزوجت فوطأها بالنكاح الشرعي لعدم علمهما ببقاء زوجها ثم بلغ زوجها ما فعلته فكرهه من جهة الطباع ورضي به من جهة التسليم للشرع.

١٩ - ومنه (مسألة أخرى) رجلان كان يمشيان فسقط على أحدهما جدار فقتله فحرمت على الآخر في هذه الحال زوجته.

(الجواب) هذا رجل زوج عبده ابنته وخرجا يمشيان فسقط على المولى الجدار فقتله فصار العبد بذلك ميراثاً للبنت فحرمت عليه في الحال لملكها له.

٢٠ - ومنه (مسألة أخرى) رجل غاب عن زوجته ثلاثة أيام فكتبت إليه: أني قد تزوجت بعدك وأنا محتاجة إلى نفقة فأنفذ إلي ما أنفقته على نفسي وزوجي فوجب لها ذلك عليه ولم يكن له منه مخرج.

(الجواب) هذه مسألة في معنى التي قبلها وهي امرأة زوجها أبوها عبداً له وأعطاه مالاً وأذن له في السفر والتجارة بالمال فخرج العبد قبل أن يدخل بها فلما صار على يومين من البلد مات سيده فصار ميراثاً لابنته التي زوجه بها مولاه فحرمت بذلك عليه وحلت للأزواج في الحال إذ لا عدة عليها فتزوجت رجلاً وأنفذت إلى عبدها بأن يحمل إليها من تركة أبيها التي في يده ما تصرفه فيما تشاء فوجب ذلك عليه.

٢١ - ومنه (مسألة في المواريث) إخوان لأب وأم ورث أحدهما المال كله ولم يرث الآخر شيئاً وليس بينهما خلاف في ملة.

(الجواب) كان الميت ابن أحدهما فورثه الأب خاصة دون أخيه الذي هو عم الميت.

٢٢ - ومنه (مسألة أخرى) إخوان لأب وأم ورثا ميراثاً كان لأحدهما ثلاثة أرباع المال وللآخر الربع.

(الجواب) الموروث إمرأة تركت ابني عمها وأحدهما زوجها فورث منها النصف بحق زوجته وورث مع أخيه الباقي وهو الربع من جميع المال.

٢٣ - ومنه (مسألة أخرى) رجل وابنه ورثا مالاً فكان بينهما بالسوية.

(الجواب) هذا رجل تزوج بابنة عمه فماتت وخلفته وأباه الذي هو عمها فكان له بحق الزوجية النصف ولعمها الذي هو أبو زوجها النصف الآخر.

مسائل إمتحانية منظومة

٢٤ - ثلاثة إخوة لأب وأم ... وفي التقدير كلهم ذكور

أتاهم إرثهم فتقاسموه ... فما ظلم الصغير ولا الكبير

فحاز الأكبر أن الثلث منه ... وباقي المال أحرزه الصغير

وتروى هذه الأبيات هكذا:

ثلاثة إخوة لأب وأم وكلهم إذا عدوا ذكور
أتاهم إرثهم فتقاسموه وقاضي القوم عدل لا يجورُ
فحاز الأكبر أن الثلث منه وباقي المال أحرزه الصغير

(الجواب) هؤلاء ثلاثة أخوة لأب وأم ولهم ابنة عم أو عمة أو خال أو خالة أو نحو ذلك تزوجها أصغرهم فماتت ولا وارث لها سواهم فالفريضة من ستة حاصلة من ضرب ثلاثة مخرج الثلث والثلثين نصيب الأخوة في اثنين مخرج نصيب الزوج وهو النصف للزوج النصف ثلاثة والثلاثة الباقية بينه وبين أخويه ثلاثاً فيكون له ثلاثة نصيب الزوجية وواحد نصيب القرابة المجموع أربعة هي ثلثا الستة وللأخوين اثنان هي ثلث الستة.

٢٥ - من كتاب كنز الفوائد للكراجكي (مسألة من عويص النسب).

الأقول لابن أم حماة أمي أنا ابن أخي ابن أختك غير وهم
فلو زوجت أختك من أخ لي فأولد لها غلاماً كان عمي
وكان أخي لذلك العم عماً وصار العم مثل دمي ولحمي
فمن أنا منك أو من أنت مني أجب إن كنت ذا لب وفهم

(الجواب) القائل ابن ابن المقول له الذي له هو خال أب القائل وأخت المقول له هي أم أبي القائل فإذا تزوجها أخو القائل لأمه وهو جائز لأنه لا قرابة بينهما فأولدها غلاماً فالغلام عم القائل لأنه يصير أخاً لأبيه ويكون القائل أيضاً عماً للغلام من الأم وكانت الأخوة للقائل من أبيه وأمه أعماماً للغلام.

٢٦ - ومنه (مسألة فقهية لأبي النجا) شعراً:

أتعرف من قد باع من مهر أمه أباه فوفاها بحق صداقها
وكانت قديماً أشهدت كل من رأت بأن أباه قد أبتّ طلاقها

الجواب:

إذا أنت عقدت المسائل ملغزاً أتتك جوابات تحل وثاقها
تزوج عبد حرة أنجبت فتى وصادفه قول إيان فراقها

فأنكحه مولاه من بعد رغبة ... لما قد رأى منها وأسنى صداقها
فوكلت ابن العبد في قبض مهرها ... وأفلس مولاها وأبدى عناقها
فباع الوكيل العبد بالحكم إذا رأى ... هوى أمه في بيعها وارتفاقها

(تفسير الجواب) هذه امرأة حرة تزوجت عبداً فولدت منه ابناً ثم طلقها العبد فتزوجها مولاه بصداق مسمى فوكلت ابنها من العبد بقبض مهرها وأفلس المولى فقضي لها بالعبد في واجبها فوكلت ابنها في بيعه لاستيفاء صداقها.

٢٧ - ومنه (مسألة) من عويص الفقه لأبي النجا محمد بن المظفر ذكروا إن أبا النجا سئل عن معنى هذين البتين:

أتعرف خالاً أحرز المال كله ... ففاز به من دون عم وما غضب
وما الخال عم الميت حين تنصه ... ولكنه أدنى وأولى إذا نسب

فأجاب:

تفهم جواباً تستفد بافتهامه ... غرائب علم طارف حين تكتسب
هو ابن أخيه من أبيه وخاله ... لأم فخذ قولاً يفهّم ذا الأدب
وذلك لما زوجت أم أمه ... أخاه يقيناً من أبيه إذا انتسب
فجاءته بابن فهو لا شك خاله ... لأم وسنخ القوم وابن أخ لأب
فأحرز إرث العم من دون عمه ... كذلك يقضي ذو التفقه والأدب

(تفسير الجواب) هذا رجل تزوج أخوه لأبيه جدته أم أمه فجاءت بابن فهو خاله لأمه وهو ابن أخيه لأبيه فلما مات عن عمه وهذا الخال كان أولى بالميراث من العم لأنه ابن أخ (وفيه قول آخر) فيقال: رجل تزوج امرأة وزوج ابنه من أمها فجاءت كل واحدة منهما بإبن فإبن الكبرى هو خال ابن الصغرى وهو ابن أخيه لأبيه (وقد روي) إن هذا اتفق في أيام عبد الملك بن مروان وأنه دخل إليه رجل من أهل الشام فقال له يا أمير المؤمنين: إني تزوجت امرأة وزوجت إبني أمها ولا غنى بنا عن رفدك فقال: إن أخبرتني ما قرابة ما بين أولادكما فعلت فقال: يا أمير المؤمنين هذا حميد بن بجدل قد قلدته سيفك ووليته ما وراء بابك فاسأله عنها فإن أصاب لزمني الحرمان وإن أخطأ اتسع لي العذر فدعا بالبجدلي فسأله عنها فقال: يا أمير المؤمنين إنك ما

قدمتني على العلم بالأنساب ولكن على الطعن بالرماح ثم قيل له الجواب وهو أن أحدهما عم الآخر والآخر خاله.

٢٨ - ومنه (مسألة) تزوج زيد امرأة وزوج ابنه عمر ابنتها فرزقا منهما ولدين ما قرابة ما بين الولدين.

(الجواب) ولد زيد من المرأة عم ولد عمرو من بنتها وخاله لأنه أخو أبيه من أبيه وأخو أمه من أمه والآخر ابن أخيه وابن أخته.

٢٩ - ومنه (ومسألة أخرى) تزوج زيد امرأة وزوج ابنه عمراً أختها فرزقا منهما ولدين ما قرابة ما بين الولدين.

(الجواب) ابن ابن زيد عم ابن عمرو وابن خالته وابن عمرو ابن أخته وابن خالته.

٣٠ - ومنه: رجلان قال أحدهما للآخر: يا عمي أنا عمك.

(الجواب) إن أخاه لأمه تزوج جدته أم أبيه فجاءت بابن فهو عم الابن لأمه والابن عمه لأمه.

(وجواب ثان) وهو أن رجلين تزوج كل منهما أم الآخر فجاءت كل منهما بابن فكل واحد من الابنين عم الآخر..

٣١ - ومنه: رجل توفي فورثته زوجته وأخوها فكان لزوجته الثمن ولأخيها الباقي.

(الجواب) هذا رجل تزوج امرأة وزوج ابنه أمها فولدت أم امرأته من ابنه ابناً ثم مات ابن الرجل ثم مات الرجل فورثته وابن ابنه الذي هو أخوها من أمها.



من مستطرفات مسائل الفقه في الأنساب

٣٢ - ومنه: اثنان تزوج كل منهما أم الآخر فرزقا منهما ولدين ما قرابة ما بين الولدين.

(الجواب) كل منهما عم الآخر لأنه أخو أبيه من أمه كما مر.

٣٣ - ومنه: إثنان تزوج كل منهما بنت الآخر فرزقا منهما ولدين ما قرابة ما بين الولدين.

(الجواب) كل منهما خال الآخر لأنه أخو أمه وهو أيضاً ابن أخته.

٣٤ - ومنه: اثنان تزوج كل منهما أخت الآخر ورزقا ولدين ما قرابة ما بينهما.

(الجواب) كل منهما ابن عمة الآخر وابن خاله.

٣٥ - ومنه: رجلان تزوج كل منهما جدة الآخر لأمه فرزقا ولدين ما قرابة ما بينهم.

(الجواب) كل واحد من الولدين خال الرجل المتزوج أم أمه لأن الرجل ابن جدته لأمه والولد أخو أمه من أمها وكل واحد من الولدين ابن أخت صاحبه وخال أبيه.

٣٦ - ومنه: رجلان تزوج كل منهما جدة الآخر لأمه فرزقا ولدين ما قرابة ما بينهم.

(الجواب) كل واحد من الولدين خال الرجل المتزوج أم أمه لأن الرجل ابن جدته لأمه والولد أخو أمه من أمها وكل واحد من الولدين ابن أخت صاحبه وخال أبيه.

٣٧ - لي خالة وأنا خالها ... ولي عمة وأنا عمها

فأما التي أنا عم لها ... فإن أبي أمه أمها

أبوها أخي وأخوها أبي ... ولي خالة هكذا حكمها

فأين الفقيه الذي عنده ... شروط الشريعة أو علمها

يبين لنا سبباً واضحاً ... فيجلي صريحاً لنا فهمها

(الجواب) هذا رجل له أخ لأمه وجدة لأبيه فتزوج الأخ بالجدة فأولدها بنتاً فتلك البنت عمة للرجل لأنها أخت أبيه وهو عمها لأنه أخو أبيها (وأما) التي هي خالته وهو خالها هذا رجل له جد لأمه وأخت لأبيه فتزوج الجد بالأخت فأولدها بنتاً فكانت خالته لأنها أخت أمه وهو خالها لأنه أخو أمها.

من مسائل الفقه المستطرفة

٣٨ - ومن الكتاب المقدم الذكر: امرأة طلقها زوجها ومضت في عدتها حتى قاربت النصف ثم وجب عليها استئناف العدة من أولها من غير أن تكون أخلت فيما مضى بشيء.

(الجواب) هذه لا تحيض وهي في سن من تحيض طلقها زوجها بعد الدخول فوجبت العدة عليها بالشهور فلما مضى من عدتها قريب شهر ونصف حاضت فوجب عليها إلغاء ما مضى واستئناف العدة بالحيض وفي هذا الجواب خلاف ووفاق غيرنا.

٣٩ - ومنه: امرأة طلقها زوجها فوجبت عليها العدة أياماً معلومة فعمد إنسان إلى طاعة الله ففعلها فوجب على المرأة عند فعل الطاعة من العدة في الأيام مثل ما كان لزمها.

(الجواب) هذه أمة طلقها زوجها فحاضت حيضتين في شهر واحد فلما كان قبل تقضي الشهر بيوم أو يومين قبل أن تطهر من الحيضة الثانية أعتقها مولاها فوجبت عليها عدة الحرة ثلاثة قروء فلم تستوف ذلك حتى كملت ثلاثة أشهر وفي الجواب خلاف من بعض العامة أيضاً.

٤٠ - ومنه: رجل تزوج امرأة على مهر غير موزون ولا مكيل ولا ممسوح ولا هو جسم ولا جوهر ولا شيء من الأموال والعروض فتم نكاحه بذلك وكان مصيباً.

(الجواب) هذا عقد على تعليم سورة أو آية من كتاب الله والشيعة مجمعة على هذا وبعض غيرهم يوافق فيه.

٤١ - ومنهُ: إمرأة أجنبية من رجل قالت قولاً حل له به فرجها من غير مهر ولا أجر ولا عقد أكثر مما تقدم منها من القول.

(الجواب) هذه المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ فنزل القرآن بتحليلها له وتحريم ذلك على غيره.

٤٢ - ومنه: امرأة عدتها ساعة من الزمان.

(الجواب) هذه حامل طلقت فوضعت بعد ساعة من الطلاق.

٤٣ - ومنه: تزوج رجل امرأة على ألف درهم ثم طلقها فوجب عليه عليها ألف وخمسمائة درهم.

(الجواب) هذه قبضت من زوجها جميع مهرها وهو ألف درهم ثم أشهدت على نفسها أنه صدقة عليه فطلقها قبل الدخول فوجب له عليها الألف بالصدقة والخمسمائة بالطلاق قبل الدخول.

٤٤ - ومنه: امرأة جامعها ستة نفر فوجب على أحدهم القتل وعلى الثاني الرجم وعلى الثالث الجلد وعلى الرابع نصف الجلد وعلى الخامس التعزير ولم يجب على السادس شيء.

(الجواب) كان أحدهم ذمياً فعليه القتل والآخر محصناً فعليه الرجم والآخر بكراً فعليه الجلد والآخر عباً فعليه نصف الجلد والآخر صبياً فعليه التعزير والآخر زوجاً فلا شيء عليه.

٤٥ - ومنه: رجل له جارية يملك جميعها لا تحل له حتى يجامعها رجل غيره.

(الجواب) هذا كان زوجاً لهذه الجارية فطلقها تطليقتين ثم ابتاعها فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره.

٤٦ - ومنه: (مسألة ذكرها المفيد ﷺ في كتاب الإشراف) رجل اجتمع عليه عشرون غسلاً فرض وسنة ومستحب اجزه من جميعها غسل واحد.

(الجواب) هذا رجل احتلم وأجنب نفسه بإنزال الماء وجامع في الفرج وغسل ميتاً ومس آخر بعد برده بالموت قبل تغسيله ودخل المدينة لزيارة رسول الله ﷺ وأراد زيارة الأئمة هناك وأدرك فجر يوم العيد وكان يوم جمعة وأراد قضاء غسل يوم عرفة وعزم على الصلاة الحاجة وأراد قضاء صلاة الكسوف وكان عليه في يوم بعينه صلاة ركعتين بغسل وأراد التوبة من كبيرة على ما جاء عن النبي ﷺ وأراد صلاة الاستخارة وحضرت صلاة الاستسقاء ونظر إلى مصلوب وقتل وزغة وقصد إلى الباهلة وأهرق عليه ماء غالب النجاسة.

٤٧ - ومنه: قال شيخنا المفيد (ره): أحد عشر شيئاً من الميتة التي تقع عليها الذكاة حلال وهي الشعر والوبر والصوف والريش والسن والعظم والظلف والقرن

والبيض واللبن والإنفحة وعشرة أشياء من الحي الذي تقع عليه الذكاة حرام وهي الفرث والدم والقضيب والأنثيان والحيا والرحم والطحال والأشاجع وذات العروق ويكره أكل الكليتين لقربهما من مجرى البول وليس أكلهما حراماً ا هـ .

(أقول) في اللبن روايتان بالحل والحرمة ويمكن حمل رواية الحل على الذاتي والحرمة على العرضية بسبب النجاسة بملاقاة الميتة وحينئذٍ فلو عمل اللبن جبناً أمكن تطهيره وأكله والإنفحة مر تفسيرها في الفائدة الثالثة من هذا الفصل والمحرمات التي عدها هي تسعة لا عشرة فكأنه عد معها الكليتين تغليباً أو سقط واحد من الناسخ. أما ذات العروق فلا يظهر المراد منها والظاهر أن صواب العبارة وذات الأشاجع والعروق وتكون العروق من المكروه.

٤٨ - ومنه: أملى عليَّ شيخي (ره): إن في الرأس والجسد أربع فرائض وعشر سنن ففريضتان في الرأس غسل الوجه في الوضوء والمسح بالرأس وفريضتان في الجسد غسل اليدين الرجلين ومسح الرجلين وأما السنن فهي سنن إبراهيم الخليل عليه السلام وهي الحنيفية خمس منها في الرأس وهي فرق الشعر لمن كان على رأسه شعر وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس منها في الجسد وهي الختان وقص الأظافير ونتف الإبطين وحلق العانة والاستنجاء.

٤٩ - في كشف الغطا عند ذكر شرائط الاعتكاف قال: إنه يجوز الخروج لصلاة الجمعة والعيد (فيقال) كيف يكون الاعتكاف في يوم العيد مع أن شرط الاعتكاف الصوم يوم العيد حرام.

(الجواب) إن هذا مبني على أن القاتل في الأشهر الحرام إذا صام الكفارة وصادف يوم العيد يصومه كما أشار إليه كاشف الغطاء في البغية.

٥٠ - رجل عنده امرأة حامل فأوصى بشيء من تركته لهذه المرأة وحملها بأن قال إن ولدت ذكراً فله الثلثان ولها الثلث وإن ولدت أنثى فللأم الثلثان وللبنت الثلث فولدت توأمين ذكراً وأنثى فكيف يقسم بينهم؟

(الجواب) للزوجة نصف الموصى به وللبنت السدس والابن الثلث لأن الموصى به يضيق عن هذه الوصية فيقسم على الموصى لهم بنسبة سهامهم نظير العول عند من يقول به ونظير الدين إذا ضاقت عليه التركة فالزوجة لها على أحد

التقديرين الثلث وعلى التقدير الآخر الثلثان وذلك جميع الموصى به وقد تحقق التقديران معاً فيكون لها جميعه والابن له الثلثان بموجب الوصية والبنت لها الثلث بموجبها ولما لم يمكن تنفيذ ذلك كله فيعطى لكل منهم نصف ما أوصي له به فللزوجة ثلث ونصف ثلث وذلك هو النصف وللابن ثلث وللبنت نصف ثلث.

ومن مستطرفات مسائل الفقه

٥١ - من كتاب جواهر الفقه للقاضي سعد الدين أبي القاسم عبد العزيز ابن نحرير ابن عبد العزيز بن البراج الذي تولى قضاء طرابلس الشام ثلاثين سنة. مسلم وجب عليه إخراج الزكاة من ماله لسنة معينة فلما أخرجها وجب عليه إخراجها ثانياً عن السنة بعينها.

(الجواب) هذا في بلده من يعلم استحقاقه للزكاة فنقلها إلى بلد ثانيه فتلفت.

٥٢ - ومنه: رجل نظر إلى امرأة أول النهار حراماً فلما ارتفع النهار حلت له فلما زالت الشمس حرمت عليه فلما كان العصر حلت له فلما غربت الشمس حرمت عليه فلما كان العشاء حلت له فلما انتصف الليل حرمت عليه فلما كان الفجر حلت له فلما ارتفع النهار حرمت عليه فلما كان الظهر حلت.

(الجواب) هذا رجل نظر إلى أمة قوم أول النهار بغير إذنهم بشهوة فكان نظره محرماً فلما ارتفع النهار اشتراها فحلت له فلما زالت الشمس أعتقها فحرمت عليه فلما كان العصر تزوجها فحلت له فلما كان المغرب ظاهر منها فحرمت عليه فلما كان العشاء كفَّر كفارة الظهار فحلت له فلما كان نصف الليل ارتد فحرمت عليه فلما كان الفجر عاد إلى الإسلام فحلت له فلما ارتفع النهار خلعها فحرمت عليه فلما كان الظهر عقد عليها فحلت له.

وهذه مسألة سيدنا الإمام الجواد التي سأل عنها يحيى بن أكثم بحضرة المأمون فلم يجب عنها بشيء وانقطع.

٥٣ - ومنه: امرأة ولدت على فراش زوجها ببغداد فلحق الولد برجل في

البصرة فلزمه دون صاحب الفراش من غير أن يكون شاهد الامرأة ولا عرفها ولا عقد عليها وطئها حلالاً ولا حراماً.

(الجواب) هذه بكر ساحقتها ثيب مجامعة زوجها لها فسقطت نطفة الرجل من الثيب في البكر فحملت وبعد تسعة أشهر تزوجت ودخل بها زوجها فولدت ليلة دخوله بها ولداً كاملاً فقررها فأقرت بما جرى وأقرت به الثيّب أيضاً فلحق المولود بصاحب النطفة وهذه حكومة الحسن بن علي عليه السلام على ما ورد به الخبر.

٥٤ - ومنه: رجل توفي عن زوجة وأخ لأبيه وأمه فورثه زوجته وأخ لها ولم يرث أخو لأبيه وأمه منها شيئاً.

(الجواب) هذا تزوج امرأة وزوّج ابنه أمها فولدت الأم لابنه ذكراً ثم مات ابنه فورثه ومات هو بعده فكانت تركه زوجته وأخيها لأمها لأنه ابن لابنه ولا يرث أخوه شيئاً منه.

٥٥ - ومنه: رجل مات فورثه سبعة إخوة وأخت لهم فكان لكل واحد منهم الثمن.

(الجواب) هذا تزوج أم امرأة أبيه فولدت منه سبعة بنين فصار أبناؤه هؤلاء اخوة إمرأة أبيه لأمها ثم مات الابن وبقي أبوه ثم مات الأب فورثت امرأته الثمن وورث بنو ابنه الباقي.

٥٦ - ومنه: رجل كان يصلي إماماً بنفسين وهو صائم فالتفت عن يمينه فنظر إلى قوم يتحدثون فحرمت عليه امرأته وبطلت صلاته وصومه ووجب جلد المأمومين ونقض الجامع.

(الجواب) هذا رجل تزوج بامرأة غاب زوجها وشهد رجلان بوفاته وأنه وصى بداره أن تجعل مسجداً وكان يصلي إماماً بالرجلين وهو صائم في آخر يوم من شهر رمضان فالتفت فرأى زوج المرأة قد قدم والناس يقولون ثبت أن اليوم العيد ورأى إلى جانبه ماء وكان يصلي بالتيمم فتحرم عليه المرأة بقدوم زوجها ويبطل صومه بثبوت العيد وصلاته برؤية الماء ويجلد الرجلان بشهادة الزور وينقض المسجد لفساد وقفه ويعود لمالكه.

٥٧ - عثرنا في بعض مكتبات جبل عامل على مخطوط قديم فيه رسالة في الحج والعمرة من مؤلفات الشهيد الأول قدس الله سره فأحببنا إثباتها هنا وهذه صورتها.

رسالة في الحج والعمرة من مصنفات الشيخ الأعظم

شمس الدين محمد بن مكي قدس الله روحه:

بسم الله الرحمن الرحيم بعد حمد الله تعالى على آلائه وصلواته على أفضل أنبيائه محمد مصطفى وأحبائه. هذه رسالة في الحج والعمرة وجيزة مستوفاة وضعتها تقرباً إلى الله تعالى وهي فصلان.

الأول في أفعال العمرة:

وهي أربعة (**فأولها الإحرام**) ومعناه توطين النفس على اجتناب الصيد والنساء والطيب على العموم والقبض على الأنف من كريه الرائحة والاكتحال بالسواد وبما فيه طيب وإخراج الدم وقص الأظفار وإزالة الشعر وقطع الشجر والحشيش النابتين في الحرم إلا في ملكه والأذخر وشجر الفواكه والكذب والحلف بالله وقتل هوام الجسد ولبس المخيط للرجال ولبس الخفين وما يستر ظهر القدم ولبس الخاتم للزينة والحلي للمرأة إلا أن يكون معتاداً فيحرم عليها إظهاره للزوج والحناء للزينة وتغطية الرأس للرجل والوجه للمرأة والتظليل للرجل سائراً ولبس السلاح[1] بعد التلبية ولبس ثوبيه إلا أن يأتي بالمحلل من الأفعال وكيفيته أن ينوي من الميقات بعد لبس ثوبي الإحرام.

(أحرم) بالعمرة المتمتع بها إلى حج الإسلام حج التمتع وألبي التلبيات الأربع لعقد هذا الإحرام لوجوب الجميع قربة إلى الله (**لبيك اللهم لبيك لبيك إن الحمد والنعمة والملك لك لا شريك لك لبيك**) وهي هذه قيود:

(أ) أُحْرِم وهو القصد إلى الفعل المذكور آنفاً.

(ب) بالعمرة وهي عبارة عن زيارة البيت الحرام محرماً للطواف والسعي.

---

(١) هذه العبارة إلى قوله وكيفيته وقع فيها خلل والمراد أن نية الإحرام لا تنعقد إلا بالتلبية فيحرم بعد النية والتلبية ولبس ثوبي الإحرام ما كان محللاً من الأفعال التي تحرم على المحرم وكيفية النية المقارنة للتلبية أن ينوي الخ.

(ج) المتمتع بها أي المتوصل بها إلى الحج وبه تخرج العمرة المفردة كما خرج بالعمرة الحج.

(د) إلى حج الإسلام وبه تخرج العمرة المتمتع بها إلى حج النذر وشبهه.

(هـ) حج التمتع وبه يخرج ما يتمتع بها إلى حج الإسلام حج القران أو حج الأفراد فإنه وإن لم يكن مشروعاً إلا أنه متصور.

(و) لوجوب الجميع معناه أفعل هذا الأفعال لكونها واجبة اللطف في تكليف وبه يخرج الندب.

(ز) قربة إلى الله أي أوقع هذه الأفعال لكونها يتقرب بها إلى رضا الله ولكونه أهلاً أن يعبد بهذه العبادة (ومعنى) قوله: لبيك إجابة لك يا رب وإخلاصاً بعد إخلاص لك وإقامة على طاعتك بعد إقامة (ومعنى) اللهم يا الله ويجوز كسر إن وفتحها والكسر أجود لعموم الآيات[1] (ومعنى) التلبية بالنسبة إلى الحمد والنعمة إلى غيرها بسببه وفي هذه التلبية إشارة إلى إجابة نداء داعي الله جل ذكره الذي نادى به إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ [الحج: ٢٧] وإشارة إلى الإخلاص في الطاعة وإلى تنزيه الباري تعالى عن الشريك وإلى الإقامة على طاعة الله عز وجل.

وثانيها الطواف:

وهو حركات حول بيت الله مخصوصة بها التقرب إلى رضا الله تعالى والتأسي بالنبي صلى الله عليه وآله وهو صلاة إلا في تحريم الكلام.

ومندوبه أفضل من الصلاة المندوبة للمجاور (وواجباته) أحد عشر:

(أ) النية وهي: أطوف سبعة أشواط طواف العمرة المتمتع بها إلى حج الإسلام حج التمتع لوجوبه قربة إلى الله وقيوده تظهر من القيود الأولى.

(ب) إيقاعه عند ابتدائه[2] وهو جعل أول جزء من مقاديم البدن عند أول جزء من الحجر الأسود مما يلي الركن اليماني تحقيقاً أو بحسب غلبة الظن.

---

(١) وقع هنا خلل في العبارة والمراد أن الكسر أرجح لأن التلبية تكون عامة بخلاف عامة الفتح فإن التلبية تكون خاصة بالنسبة إلى الحمد والنعمة وما ذكر معها.

(٢) في العبارة خلل والمراد أنه يجب في الطواف البدأة بالحجر الأسود بمعنى جعل أول جزء الخ.

(ج) الحركة عقيبها بلا فصل وهي الشروع في الطواف.

(د) استدامة حكمها حتى يفرغ ومعناه البقاء على ذلك العزم الذي عزم عليه إبتداء ولما كان الباقي لا يحتاج إلى تأثير عند الأكثر كان معناه البقاء عليها أي لا يأتي في أثنائها بما ينافيها كنية القطع للطواف أو الزيادة أو جعله طواف الحج مثلاً أو لحج النذر أو لعمرة مفردة أو جعله مندوباً أو غير ذلك من المنافيات.

(هـ) جعل البيت على اليسار.

(و) جعل المقام على اليمين.

(ز) إدخال الحجر في الطواف.

(ح) التداني من البيت بحيث لا يخرج من كل جانب عن بعد المقام.

(ط) خروجه بجميع بدنه عن البيت.

(ي) إكمال سبعة أشواط مبدؤها الحجر وخاتمتها من حيث ابتدأ.

(يا) حفظ العدد فلو شك في النقيصة بطل وكذا لو شك في الزيادة قبل بلوغ الحجر.

وشروطه خمسة:

(أ) طهارة البدن والثوب عن النجاسة وإن عفي عنها في الصلاة.

(ب) الطهارة من الحدث أو حكمها كالمتيمم.

(ج) ستر العورة التي يجب سترها في الصلاة.

(د) الختان للرجل المتمكن منه.

(هـ) المولاة وهي أن يكمل أربعة أشواط منه فلو قطعه قبل إكمالها لعذر أو غيره استأنف (ولازمه الركعتان) وهي كالصلاة اليومية ومحلهما خلف المقام ووقتهما بعد الطواف (ونيتها) أصلي ركعتي طواف عمرة الإسلام المتمتع بها إلى حج الإسلام حج التمتع أداء لوجوبهما قربة إلى الله ويتخير فيهما بين الجهر والإخفات والأفضل الجهر ليلاً والإخفات نهاراً.

وثالثها السعي:

وهو حركات مخصوصة من الصفا إلى المروة ويجب إيقاعه بعد الطواف في

يومه فلو أخره إلى الغد لا لعذر ثم وأجزأ (وواجباته) بعد ذلك اثنا عشر:

(أ) أن ينوي على الصفا بأن يقارن أول جزء منه أول جزء منه. اسعى سبعة أشواط للعمرة المتمتع بها إلى حج الإسلام حج المتمتع لوجوبه قربة إلى الله.

(ب) الاستمرار عليها حكماً.

(ج) أن يشرع في الحركة عقيبها بلا فصل.

(د) الذهاب في الطريق المعهودة.

(هـ) البدأة بالصفا.

(و) الختم بالمروة بأن يلصق أصابع قدميه بأول جزء منه أو بجزء منه.

(ز) الإحاطة بالمسافة ولو إجمالاً قبل إيقاع النية لامتناع توجه القصد إلى المجهول المطلق.

(ح) الموالاة المذكورة في الطواف احتياطاً.

(ط) استقبال المطلوب بوجهه فلو مشى مستدبراً بطل.

(ي) إيقاعه بعد الركعتين.

(يا) حفظ العدد فلو شك الشك المذكور في الطواف بطل.

ورابعها التقصير:

وهو قطع بعض الشعر أو قص بعض الأظفار وبه يتحقق الإحلال من إحرام العمرة (ونيته) أقصر للإحلال من إحرام العمرة المتمتع بها إلى حج الإسلام حج التمتع لوجوبه قربة إلى الله.

الفصل الثاني

في أفعال الحج

وهي خمسة أبواب:

الأول: الإحرام به ومعناه وواجبه وكيفيته تقدمت ولا فرق بينهما البتة في شيء إلا أنه ينوي أحرم إحرام الإسلام حج التمتع وألبي التلبيات الأربع لعقد إحرام حج الإسلام حج التمتع لوجوب ذلك قربة إلى الله إلى آخره.

الثاني: الوقوف بعرفة وهو الكون بها من زوال الشمس يوم التاسع من ذي الحجة إلى غروبها (وحدّها) من نمرة إلى ثوية إلى ذي المجاز إلى عرفة إلى الأراك (وتجب) النية. **أقف بعرفة من هذه الساعة إلى غروب الشمس في حج الإسلام التمتع لوجوبه قربة إلى الله** (ومثله) الوقوف بالمشعر (وحدّه) من المأزمين إلى الحياض إلى وادي محسّر (ووقته) ليلاً من غروب الشمس ليلة العاشر إلى طلوع فجره (واختياريه) التام من طلوع العاشر إلى طلوع شمسه (ونيته) **أقف بالمشعر الحرام من هذه الساعة إلى طلوع الشمس في حج الإسلام حج التمتع لوجوبه قربة إلى الله** (ونية) المبيت به: **أبيت هذه الليلة بالمشعر الحرام في حج الإسلام حج التمتع لوجوبه قربة إلى الله.**

الثالث: إتيان منى ويجب فيها الرمي لجمرة العقبة بسبع حصيات يوم النحر بعد الطلوع الشمس إلى غروبها (ونيته) **أرمي هذه الجمرة بسبع حصيات في حج الإسلام حج التمتع أداء لوجوبه قربة إلى الله** (ويجب) فيها إصابة الجمرة بفعله بإلقاء الحصاة عليها بما يصدق عليه اسم الرمي وكون الحصاة من الحرم غير مرمي بها؛ (والترتيب) حيث يجب رمي الثلاث ابتداء بالأولى فالوسطى فجمرة العقبة ويحصل برمي أربع لا عامداً (والتتابع) في رمي السبع في إصابتها ولا يشترط الموالاة، (والجمرة) اسم لتلك البنية فلو زالت ثم جددت رماها (ثم يجب عليه) الثني من الإبل أو البقر أو المعزى أو جذع من الضأن بشروط تمامية خلقته وعدم هزاله (ومحله) منى (وحدها) من العقبة إلى وادي محسر (ووقته) يوم النحر فإن فات ذبح طول ذي الحجة (ونيته) مقارنة لأول جزء من الذبح؛ (والنية) أذبح هذا الهدي في حج الإسلام حج التمتع

لوجوبه قربة إلى الله (ثم يجب) أن يهدي قسماً منه ويتصدق بقسم ويأكل آخر، (والنية) أهدي أو أتصدق أو آكل من هذا الهدي في حج الإسلام حج التمتع لوجوبه قربة إلى الله؛ (ثم يجب) بها الحلق أو التقصير من الشعر كل منهما واجب مخير وليس أحدهما بدلاً عن صاحبه وبه يتحقق التحلل من إحرام الحج إلا من الطيب والنساء والصيد، (ونيته) أحلق أو أقصر للإحلال من إحرام الحج الإسلام حج التمتع لوجوبه قربة إلى الله مقارنة لأول جزء منه.

الرابع: إتيان مكة للطواف والسعي وطواف النساء، (وكيفيتهما) كما تقدم إلا في النية فإنه ينوي: أطوف سبعة أشواط طواف حج الإسلام حج التمتع لوجوبه قربة إلى الله. أصلي ركعتي طواف الحج حج الإسلام حج التمتع أداء لوجوبهما قربة إلى الله. أسعى سبعة أشواط سعي حج الإسلام حج التمتع لوجوبه قربة إلى الله. أطوف طواف النساء في حج الإسلام حج التمتع أداء لوجوبه قربة إلى الله.

الخامس: العود إلى منى وذلك بعد قضاء هذه الأفعال وتحلله من جميع ما أحرم منه؛ ولا يجوز تأخير هذه الأفعال عن الحادي عشر اختياراً فيأثم وتجزي والعود واجب لمنى للمبيت بها ليلاً ورمي الجمار نهاراً (ونية المبيت) أبيت هذه الليلة بمنى في حج الإسلام حج التمتع لوجوبه قربة إلى الله (ونية) الرمي ووقته كما تقدم. وإن فاته رمي يوم أو حصاة قضاهما من الغد بعد طلوع الشمس مقدماً على الحاضرة، (ونيتهما) أرمي هذه الجمرة بسبع حصيات أو بحصاة في حج الإسلام حج التمتع قضاء لوجوبه قربة إلى الله (وإن) كان نائباً عن غير أضاف إلى جميع ما ذكرنا عند كل نية نيابة عن فلان ابن فلان لوجوبه عليه وعلي قربة إلى الله؛ فينوي في الإحرام مثلاً أحرم بالعمرة المتمتع بها إلى حج الإسلام حج التمتع نيابة عن فلان ابن فلان لوجوب ذلك عليه وعلي قربة إلى الله وكذا باقي الأفعال.

(نجزت هذه الرسالة والحمد لله رب العالمين؛ وصلى الله على محمد وآله الطاهرين).

يوم الأربعاء

٥٨ - في عيون أخبار الرضا بسند متصل عن الرضا عليه السلام عن آبائه عن الحسين ابن علي عليهما السلام، أنه قال: كان علي بن أبي طالب عليه السلام بالكوفة في الجامع إذ قام إليه رجل من الشام فسأله (إلى أن قال) فلم سميت مكة أم القرى قال: لأن الأرض دحيت من تحتها ثم جلس وقام رجل آخر فكان مما سأله أن قال: ما بال الماعز معرقبة الذنب بادية الحياء والعورة، (فقال) لأن الماعزة عصت نوحاً عليه السلام لما أدخلها السفينة فدفعها فكسر ذنبها والنعجة مستورة الحياء والعورة لأن النعجة بادرت بالدخول إلى السفينة فمسح نوح بيده على حياها وذنبها فاستوت الإلية، ثم قام إليه رجل آخر فقال: أخبرني عن يوم الأربعاء وتطيرنا منه وثقله وأي أربعاء هو قال آخر أربعاء في الشهر وهو المحاق (قال) قتل قابيل أخاه، (وفيه) ألقي إبراهيم عليه السلام في النار (وفيه) وضعوه في المنجنيق (وفيه) غرق الله عزّ وجلّ فرعون وفيه غضب الله على قوم لوط بجعل عاليها سافلها (وفيه) أرسل الله الريح على قوم عاد (وفيه) أصبحت كالصريم (وفيه) سلط الله على النمرود البقة (وفيه) طلب فرعون موسى عليه السلام ليقتله (وفيه) خر عليهم السقف من فوقهم (وفيه) أمر فرعون بذبح الغلمان (وفيه) خرب بيت المقدس من فوقهم (وفيه) أحرق مسجد سليمان بن داود عليه السلام بإصطخر من كورة فارس (وفيه) قتل يحيى بن زكريا عليه السلام (وفيه) أظل قوم فرعون أول العذاب (وفيه) خسف الله تعالى بقارون (وفيه) ابتلى أيوب عليه السلام بذهاب ماله وولده (وفيه) أدخل يوسف عليه السلام السجن (وفيه) قال الله تعالى: إنا دمرناهم وقومهم أجمعين (وفيه) أخذتهم الصيحة (وفيه) عقروا الناقة (وفيه) أمطرت عليهم حجارة من سجيل (وفيه) شج النبي صلى الله عليه وآله وكسرت رباعيته (وفيه) أخذت العمالقة التابوت، انتهى.

(وفي أحسن التقويم) عن الرضا عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال آخر أربعاء في الشهر نحس مستمر، (وقيل للصادق عليه السلام): لأي شيء يصام يوم الأربعاء قال لأن النار خلقت يوم الأربعاء، (وعن علي عليه السلام) توقوا الحجامة والنورة يوم الأربعاء فإنه يوم نحس مستمر وفيه خلقت جهنم، (وعن الباقر عليه السلام) عادانا من كل شيء حتى من الطيور الفاختة ومن الأيام الأربعاء، (وعن الصادق عليه السلام) إنما أمرنا

بصوم يوم الأربعاء من وسط الشهر لأنه لم يعذب قوم قط إلا فيه فيرد عنا بصومه نحسه (وعن الرضا عليه السلام) يوم الأربعاء يوم نحس مستمر لأنه أول الأيام وآخر الأيام التي ذكرها الله في قوله سبع ليال وثمانية أيام حسوماً (انتهى أحسن التقويم)، وفيه أيضاً عن الهادي عليه السلام أنه احتجم يوم الأربعاء فذكر ما يرويه أهل الحرمين عن النبي صلى الله عليه وآله من أنه يورث البياض (أي البرص) فكذبهم وقال إنه يتولد من الحمل في الطمث (وفيه) عن الصادق عليه السلام أنه احتجم يوم الأربعاء بعد العصر، (وفيه) سئل أبو الحسن الثاني عليه السلام عن الخروج يوم الأربعاء لا يدور[1] فكتب عليه السلام من خرج يوم الأربعاء لا يدور خلافاً على أهل الطيرة وقي من كل آفة وعوفي من كل عاهة وقضي له حاجة، ومن احتجم في يوم الأربعاء لا تدور خلافاً على أهل الطيرة عوفي من كل عاهة ولم تخضر محاجمه[2].

(وفي آداب المتعلمين) للمجلسي أن بداية السبق في طلب العلم ينبغي أن تكون يوم الأربعاء: وإنه ما بدىء به شيء إلا وتم، وعلل ذلك بأنه يوم نحس على الكافرين فيكون يوم بركة ويمن على المؤمنين، (أقول) قد ظهر أن الأخبار الدالة على نحوسة يوم الأربعاء بعضها خصه بآخر أربعاء من الشهر وبعضها أطلق وبعضها صرح بنحوسته من وسط الشهر وبعضها ظاهرة التعميم كالمعللة نحوسته بأنه أول أيام الحسوم وآخرها (ويمكن) الجمع بأن آخر أربعاء في الشهر أشد نحوسته ولا سيما مع ما ذكر في الأصول من عدم حمل المطلق على المقيد في المستحبات والمكروهات، وبذلك صرح في محكي مجمع البيان من أنه يوم نحس لا سيما آخر أربعاء من الشهر (ولا ينافيه) ظهور ما دل على نحوسته من وسط الشهر في أنه أشد نحوسة من غيره لإمكان حمله على أنه أشد نحوسته من أوله أو ما بعد الوسط قبل آخر أربعاء (إنما الكلام) في الجمع بين النهي عن الحجامة فيه وبين فعل بعضهم عليهم السلام لها فيه وبين ما دل على نحوسته وبين الترغيب في الخروج فيه الدال على عدم نحوسته (ويمكن الجمع) بين الأولين بالحمل على الاضطرار والخوف من تأخير الحجامة كما روي

---

(١) أي آخر أربعاء من الشهر ليس بعدها أربعاء وجملة لا يدور صفة يوم الأربعاء بناء على عدم إفادة الألف واللام التعريف هنا مثلها في قوله (ولقد أمر على اللئيم يسبني) أو حال منه.

(٢) اخضرار المحاجم فساد محل الحجامة واسوداده (المؤلف).

أن الكاظم عليه السلام: احتجم يوم الأربعاء وهو محموم فلم تتركه الحمى فاحتجم يوم الجمعة فتركته على أنه نفى ما رواه أهل الحرمين من أنه يورث البرص وذلك لا ينافي نحوسته (وبين الأخيرين) بأنه نحس على أهل الطيرة أو من خرج لا بقصد المخالفة عليهم غير نحس على من خرج بقصد ذلك (وفيه) أن ظاهر ما تضمن مخالفة أهل الطيرة عدم النحوسة فيه الموجبة للطيرة وذم ما يتطير منه وإذا كان نحساً في نفسه فلا موجب للذم. (ويمكن) دفعه بأن المراد بأهل الطيرة من يتطير من كل شيء فمن خرج فيه متوكلاً على الله قاصداً مخالفة كثيري الطيرة التي دل الشرع على عدم تأثيرها ففي نهج البلاغة (الطيرة ليست بحق) دفعت عنه نحوسته وحصلت له الفوائد التي في الخبر الأخير، (أما الحمل) على أنه نحس على الكافرين يمن على المؤمنين فينا، فيه تعليل نحوسته في الرواية الأولى بالمصائب التي وقعت فيه على الأنبياء عليهم السلام (والتوجيه) بأن الشرور الدنيوية على الأنبياء لا تعد شراً لأنها تعقب السعادة الأخروية اجتهاد في مقابل النص، (نعم) إن ورد أنه ما بدىء به شيء إلا وتم مكن تخصيص نحوسته بغير الابتداء على تأمل فيه.

وفي كشكول البهائي؛ عن أبي الفرج المعافى في كتاب الجليس والأنيس قال: بينا أبو إسحاق مزيد ذات يوم جالس إذ جاء أصحابه فقالوا: يا أبا إسحاق هل لك في الخروج إلى قبا أو أحد ناحية قبور الشهداء فإن هذا يوم كما ترى طيب فقال: اليوم يوم أربعاء ولست أبرح من منزلي، فقالوا: وما تكره من يوم الأربعاء وهو يوم ولد فيه يونس بن متى؛ فقال: بأبي وأمي صلوات الله عليه فقد التقمه الحوت فقالوا: يوم نصر فيه رسول الله صلى الله عليه وآله على الأحزاب؛ فقال: أجل بعد ما زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر.

٥٩ - في تفصيل حال الرؤيا في المنام وهي وإن لم تكن من المسائل الفقهية إلا أنها لا تخلو عما يرتبط بها، ونقتصر في ذلك على نقل كلام لشيخنا المفيد رحمه الله، نقله عنه الكراجكي في كنز الفوائد فقال:

فصل في الرؤيا في المنام وجدت لشيخنا المفيد رضي الله عنه في بعض كتبه: إن الكلام في باب رؤيا المنامات عزيز وتهاون أهل النظر به شديد والبلية بذلك عظيمة، وصدق القول فيه أصل جليل والرؤيا في المنام تكون من أربع جهات:

إحداها: حديث النفس بالشيء والفكر فيه حتى يحصل كالمنطبع في النفس فيخيل إلى النائم ذلك بعينه، وأشكاله ونتائجه وهذا معروف بالاعتبار.

الجهة الثانية: من الطبائع وما يكون من قهر بعضها لبعض فيضطرب له المزاج ويتخيل لصاحبه ما يلائم ذلك الطبع الغالب من مأكول ومشروب ومرئي ومنكوح وملبوس ومبهج ومزعج، وقد نرى تأثير الطبع الغالب في اليقظة والشاهد حتى أن من غلبت عليه الصفراء ويصعب عليه الصعود إلى المكان العالي يتخيل له من وقوعه منه ويناله من الهلع والزمع ما لا ينال غيره ومن غلبت عليه السوداء يتخيل له أنه قد صعد في الهواء وناجتهُ الملائكة ويظن صحة ذلك حتى أنه ربما إعتقد في نفسه النبوة وأن الوحي يأتيه من السماء وما أشبه ذلك.

الجهة الثالثة: ألطاف من الله عزّ وجلّ لبعض خلقه من تنبيه وتبشير وإعذار وإنذار فيلقي في روعه ما ينتج له تخيلات أمور تدعوه إلى الطاعة والشكر على النعمة وتزجره عن المعصية وتخوفه الآخرة ويحصل له بها مصلحة وزيادة فائدة وفكر يحدث له معرفة.

والجهة الرابعة: أسباب من الشيطان ووسوسة يفعلها للإنسان ويذكره بها أموراً تحزنه وأسباباً تغمه وتطمعه فيما لا يناله أو يدعوه إلى ارتكاب محظور يكون فيه عطبه أو تخيل شبهه في دينه يكون منها هلاكه وذلك مختص بمن عدم التوفيق لعصيانه وكثرة تفريطه في طاعات الله سبحانه.

ولن ينجو من باطل المنامات وأحلامها إلا الأنبياء والأئمة عليهم السلام ومن رسخ في العلم من الصالحين، وقد كان شيخي رحمه الله قال لي: إن كل من كثر علمه واتسع فهمه قلت مناماته فإن رأى مع ذلك مناماً وكان جسمه من العوارض سليماً فلا يكون منامه إلا حقاً، يريد بسلامة الجسم عدم الأمراض المهيجة للطباع وغلبة بعضها على ما تقدم به البيان.

والسكران أيضاً لا يصح له منام وكذلك الممتلىء من الطعام لأنه كالسكران ولذلك قيل إن المنامات قلما تصح في ليالي شهر رمضان.

فأما منامات الأنبياء صلوات الله عليهم فلا تكون إلا صادقة وهي وحي في الحقيقة ومنامات الأئمة عليهم السلام جارية مجرى الوحي؛ وإن لم تسم وحياً ولا تكون قط

إلا حقاً وصدقاً وإذا صح منام المؤمن لأنه من قبل الله تعالى كما ذكرناه (وقد جاء) في الحديث عن رسول الله ﷺ إنه قال: رؤيا المؤمن جزء من سبعة وسبعين جزءاً من النبوة (وروي) عن علي عليه السلام (وروي عنه (ض) خ ل) أنه قال: رؤيا المؤمن تجري مجرى كلام تكلم به الرب عنده.

فأما وسوسة شياطين الجن فقد ورد السمع بذكرها قال الله تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝﴾ [الناس: ٣-٦] وقال: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١] وقال: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢] وما ورد السمع به فلا طريق إلى دفعه.

فأما كيفية وسوسة الجني للإنسي فهو إن الجن أجسام رقاق لطاف فيصح أن يتوصل أحدهم برقة جسمه ولطافته إلى غاية سمع الإنسان ونهايته فيوقر فيه كلاماً يلبس عليه إذا سمعه ويشتبه عليه بخواطره؛ لأنه لا يرد عليه ورود المحسوسات من ظاهر جوارحه ويصح أن يفعل هذا بالنائم واليقظان جميعاً وليس هو من العقل مستحيلاً.

وروى جابر بن عبد الله قال: بينما رسول الله ﷺ يخطب إذ قام إليه رجل فقال يا رسول الله إني رأيت كأن رأسي قد قطع وهو يتدحرج وأنا أتبعه؛ فقال له: رسول الله ﷺ لا تحدث بلعب الشيطان بك؛ ثم قال: إذا لعب الشيطان بأحدكم في منامه فلا يحدثن به أحداً.

وأما رؤية الإنسان للنبي ﷺ أو أحد الأئمة عليهم السلام في المنام فإن ذلك عندي على ثلاثة أقسام؛ قسم أقطع على صحته وقسم أقطع على بطلانه وقسم أجوز فيه الصحة والبطلان فلا أقطع فيه على حال. (فأما) الذي أقطع على صحته فهو كل منام رئي فيه النبي ﷺ أو أحد الأئمة عليهم السلام وهو فاعل لطاعة أو آمر بها وناه عن معصية أو مبين لقبحها وقائل لحق أو داع إليه وزاجر عن باطل أو ذام لمن هو عليه، (وأما) الذي أقطع على بطلانه فهو كل ما كان على ضد ذلك لعلمنا أن النبي ﷺ والإمام عليه السلام صاحبا حق وصاحب الحق؛ بعيد عن الباطل، (وأما) الذي أجوز فيه الصحة والبطلان فهو المنام الذي يرى فيه النبي أو الإمام عليهما السلام وليس هو آمراً ولا

ناهياً ولا على حال يختص بالديانات مثل أن يراه راكباً أو ماشياً أو جالساً ونحو ذلك.

فأما الخبر الذي يروى عن النبي ﷺ من قوله من رآني فقد رآني فإن الشيطان لا يتشبه بي، فإنه إذا كان المراد به المنام يحمل على التخصيص دون أن يكون في كل حال ويكون المراد به القسم الأول من الثلاثة الأقسام لأن الشيطان لا يتشبه بالنبي ﷺ في شيء من الحق والطاعات، (وأما) ما روي عنه ﷺ من قوله من رآني نائماً فكأنما رآني يقظان فإنه يحتمل وجهين (أحدهما): أن يكون المراد به رؤيا المنام ويكون خاصاً كالخبر الأول على القسم الذي قدمناه (والثاني) أن يكون أراد به رؤية اليقظة دون المنام ويكون قوله نائماً حالاً للنبي ﷺ وليست حالاً لمن رآه فكأنه قال من رآني وأنا نائم فكأنما رآني وأنا منتبه والفائدة في هذا المقام أن يعلمهم بأنه يدرك في الحالتين إدراكاً واحداً فيمنعهم ذلك إذا حضروا عنده وهو نائم أن يفيضوا فيما لا يحسن أن يذكروه بحضرته وهو منتبه، وقد روي عنه ﷺ أنه غفا ثم قام يصلي من غير تجديد وضوء فسئل عن ذلك فقال: إني لست كأحدكم تنام عيناي ولا ينام قلبي، وجميع هذه الروايات أخبار آحاد فإن سلمت فعلى هذا المنهاج. وقد كان شيخي رحمه الله يقول إذا جاز من بشر أن يدعي في اليقظة إنه إله كفرعون ومن جرى مجراه مع قلة حيلة البشر وزوال اللبس في اليقظة فما المانع من أن يدعي إبليس عند النائم بوسوسته له أنه نبي مع تمكن إبليس مما لا يتمكن منه البشر وكثرة اللبس المعترض في المنام، (ومما) يوضح لك إن من المنامات التي يتخيل للإنسان أنه قد رأى فيها رسول الله والأئمة صلوات الله عليهم منها ما هو حق ومنها ما هو باطل إنك ترى المتخالفين في المذهب يقول أحدهما رأيت في المنام رسول الله ﷺ وأمرني بكذا مما يوافق مذهبه ويقول الآخر، رأيت رسول الله ﷺ في النوم وأمرني بكذا مما يوافق مذهبه ويخالف مذهب الآخر فنعلم لا محالة أن أحد المنامين حق والآخر باطل فأولى الأشياء أن يكون الحق منهما ما ثبت الدليل في اليقضة على صحة ما تضمنه والباطل ما أوضحت الحجة عن فساده وبطلانه وليس يمكن أحدهما أن يقول للآخر إنك كذبت في قولك إنك رأيت رسول الله ﷺ لأنه يقدر أن يقول له مثل هذا بعينه وقد شاهدنا بعض من انتقل عن مذهبه وأخبرنا بأنه يرى منامات بالضد مما كان يراه قبل فبان بذلك أن أحد المنامين باطل وأنه من نتيجة

حديث النفس أو من وسوسة إبليس ونحو ذلك. وإن المنام الصحيح هو لطف من الله سبحانه بعبده على المعنى المتقدم وصفة وقولنا في المنام الصحيح إن الإنسان رأى في نومه النبي ﷺ إنما معناه أنه كأنه قد رآه وليس المراد به التحقيق في اتصال شعاع بصره بجسد النبي ﷺ وأي بصر يدرك به حال نومه وإنما هي معان تصورت في نفسه تخيل له فيها أمر لطف الله تعالى له به قام مقام العلم وليس هذا بمناف للخبر الذي يروى من قوله: من رآني فقد رآني؛ لأن معناه فكأنما رآني وليس يغلط في هذا المكان إلا من ليس له من عقله اعتبار انتهى.

وهذا الكلام من الشيخ المفيد رحمه الله كاف واف في تحقيق حال المنامات وما يصح منها وما لا يصح وسبب ذلك، (وقد) أشار فيه إلى بيان أنه كيف يمكن للإنسان أن يدرك في منامه المغيبات حتى جعل ذلك في الحديث المتقدم جزءاً من سبعة وسبعين جزءاً من النبوة وبمنزلة كلام تكلم به الرب عنده وذلك بما ذكره في الجهة الثالثة فإن قدرته تعالى لا يعجزها إيجاد ما يدرك به النائم المغيبات الآتية من الإلقاء في روعه أو غير ذلك.

وأخبرني بعض الأطباء أن بعض علماء الإفرنج قال: جعلوا الحواس الظاهرة خمساً وهي ست والسادسة الحاسة التي بها يدرك النائم المغيبات المحسوسة مما لا ريب فيه ذلك ليس من مدركات الحواس الباطنة، وإن كنا لم نعلم إلى الآن ما هي تلك الحاسة انتهى مضمونه.

وقد بان بما مر سبب ذلك وأنه لا يستلزم وجود حاسة سادسة لا نعلم حقيقتها.

واعلم أن من علامات صحة المنام كونه منتظماً غير مشوش كأنه مرئي في اليقظة (ومن) علامات عدم صحته كونه مشوشاً غير منتظم (ومن) إمارات كذب مدعي رؤية المنام ذكره أموراً مطولة وتفاصيل مرتبة منظمة قلما يتفق مثلها في اليقظة، كما ترى بعض الناس يذكر أنه رأى داراً عظيمة فيها من الحجر والغرف كذا وكذا ويجنبها بستان فيه من أنواع الثمار والفواكه والأنهار، ودخل إليه رجل صبيح الوجه يعلوه النور على رأسه عمامة خضراء وثيابه خضر ومعه رجال من صفتهم كذا وكذا، وقال له: كذا وكذا وأمره بكذا وكذا وأوصاه بكذا وكذا.

ومن هذا القبيل ما أورده معاصرنا الشيخ يوسف النبهاني البيروتي في كتاب له

أسماه «سعادة الدارين» مملوء بالمنامات ومما أورده فيه صفحة (١٥٨) عن عامر بن نجا الساري؛ أنه قال ما مُلخصه على طوله: دخلت المسجد الحرام وكان بي نوعاً تكسر ودوران رأس ووقعت على جنبي الأيمن لئلا يأخذني النوم فتنتقض طهارتي فإذا رجل من أهل البدع جاء ونشر مصلاه وأخرج لويحاً من جيبه أظنه الحجر وعليه كتابه وصلى صلاة طويلة مرسلاً يديه فيها على عادتهم؛ (وما الذي عابهُ من إرسال اليدين في الصلاة وهو مذهب الإمام مالك) وكان يسجد على ذلك اللوح وإذا فرغ من صلاته سجد عليه وأطال، وكان يمرغ خديه عليه ويتضرع في الدعاء فلما رأيت ذلك كرهت وقلت في نفسي لئن كان رسول الله ﷺ بيننا لنخبره بسوء صنيعهم وما هم عليه من البدع (وأي بدعة) في السجود على الحجر أو التراب المتخذ من أرض مباركة والسجود على الأرض أفضل باتفاق المسلمين، ثم غلبني النوم فكنت بين اليقظة والمنام فرأيت النبي ﷺ وأصحاب المذاهب بيد كل منهم كتاب مجلد يريدون قراءة مذاهبهم واعتقادهم عليه والنبي على زي أهل التصوف (طبعاً لأن رائي المنام صوفي) فجاء الإمام الشافعي ثم الإمام أبو حنيفة وبيد كل كتاب فقرأ عليه مذهبه واعتقاده وجلس بجنب صاحبه ثم جاء صاحب كل مذهب وكلهم يقرأ ويقعد بجنب الآخر فلما فرغوا إذا واحد من المبتدعة الملقبة بالرافضة جاء (ولا شك أنه جعفر بن محمد إمام الرافضة أو رجل من قبله جاء ليقرأ مذهبه على جده أسوة ببقية أئمة المذاهب وهو إنما أخذ مذهبه عن آبائه عن جده جبرائيل عن الله تعالى) وفي يده كراريس غير مجلدة (والظاهر أن المجلد كان مشغولاً بتجليد كتب أئمة المذاهب فلم يتيسر للإمام جعفر الصادق أن يجلدها بجلد قماش؛ فضلاً عن جلد إفرنجي) فيها ذكر عقائدهم الباطلة (ومن أين عرف بطلانها قبل قراءتها) وهم أن يدخل الحلقة ويقرأ فخرج واحد وزجره وأخذ الكراريس من يده ورمى بها وطرده وأهانه (والعجب كيف ساغ له طرده وإهانته قبل إقامة الحجة عليه وكيف مكنه النبي ﷺ من ذلك) ثم قرأت على النبي ﷺ قواعد العقائد للغزالي إلى أن بلغت إلى صفة النبي ﷺ فما رأيت النبي ﷺ أكثر استبشاراً بقراءة أحد مثلما كان بقراءتي عليه (وهذا يقتضي أنه أكرم على رسول الله ﷺ من جميع أئمة المذاهب) ثم انتبهت وعلى عيني أثر الدمع انتهى.

فانظر وتأمل واعجب إلى حد يبلغ الجهل والتعصب واتباع الأهواء وحب

نصرتها بالإنسان؛ وقد فصلنا ما في هذا المنام المختلق من الطرائف في كتابنا (القول الصادق) وفي كتاب النبهاني من طرائف المنامات المضحكات المبكيات ما لا يتسع لنا المقام لذكره.

ومن هذا القبيل المنام الذي يتكرر نشره في أكثر الأعوام وينسب إلى خادم الروضة المطهرة الشيخ أحمد الذي لم يخلق بعد، وقد قرأه مراراً الخاص والعام.

وكثيراً ما يكون المنام الصحيح بنحو الإشارة والرمز (كما) في رؤيا أحد صاحبي السجن أنه يعصر خمراً والآخر أنه يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه، الذي فسره له يوسف عليه السلام بأنه يصلب فتأكل الطير من رأسه (وكما في رؤيا ملك مصر) سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات التي فسرها عليه السلام أيضاً بالسنين المجدبة والمخصبة كما حكى ذلك كله القرآن الكريم، (وكما) رأت أم الفضل زوجة العباس عليه السلام كأن قطعة من لحم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقعت في حجرها فحزنت لذلك فعبرها لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن فاطمة عليها السلام تلد غلاماً وترضعه أم الفضل (ورأى) رجل في زماننا كأنه صعد على شجرة خضراء فجعلت تيبس حتى يبست كلها فقصه على معبر ولم يخبره أنه هو الذي رآه فقال له: إن صاحب هذا المنام يموت قبل تمام الحول فتوفي الرجل غريقاً قبل تمام الحول، (ورأيت) مرة كأن بعض العلماء الأموات راكب على دابة عالية والناس حافون به وكأنه وإياهم ذاهبون إلى الحج وهم ينادون برفيع أصواتهم بالتلبية وأنا أمشي قريباً منهم في السفح وهم على مني وكأن طيوراً كالفراش أقلبت بسرعة وصارت تقع على الناس وهم يحيدون عنها ويهربون منها؛ فلما كان بعد يومين توفي شخص وحمل الناس جنازته وحفوا بها وهم ينادون بالتهليل والتسبيح وكنت في السفح قريباً منهم وهم على مني وجاء المطر فجعل الناس يهربون منه ويتقونه، (كما) أنه قد يقع المنام كما رئي (فقد كنت) مرة في بعض القرى مشتغلاً بطلب فرأيت ليلة الخميس أني حضرت إلى قريتنا وذهبت إلى ساحة القرية فرأيت رجلاً يبيع كتباً مخطوطة فأخذت بعضها فكان كما رأيت وكان من جملتها كتاب فيه قصة بختنصر ولم يكن سبق لذلك الرجل تعاطي بيع الكتب في غير تلك المرة ولا سبقت لي به معرفة.

وبعد كتابة ما مر عثرنا على كلام للمرتضى رحمه الله في ملحق أماليه نذكر هنا

حاصله قال: المنامات صحيحة أم باطلة ومن فعل من هي ومن أي جنس هي وما السبيل إلى تمييز صحيحها من باطلها؛ وما وجه صحتها وما وجه الإنزال عند رؤية المباشرة في المنام؟

وأجاب بأن النائم غير كامل العقل ولهذا يعتقد الاعتقادات الباطلة وجميع المنامات إنما هي اعتقادات يبتدؤها النائم في نفسه، ولا يجوز أن تكون من فعل غيره من المخلوقين لعدم قدرتهم على ذلك والقديم تعالى هو القادر على أن يفعل في قلوبنا ابتداء من غير سبب أجناس الاعتقادات ولا يجوز أن يفعل في قلب النائم إعتقاداً النائم جهل وهو تعالى لا يفعل الجهل.

(وينبغي) تقسيم ما يتخيل النائم أنه يراه إلى أقسام ثلاثة:

١) ما يكون من غير سبب اعتقاداً مبتدأ.

٢) ما يكون من وسواس الشيطان يفعل في داخل سمعه كلاماً خفياً فيعتقد النائم إذا سمعه أنه رآه، فكثير من النيام يسمعون حديث من يتحدث قريباً منهم فيعتقدون أنهم يرون ذلك الحديث في منامهم.

٣) ما يكون سببه خاطر يفعله الله أو بأمر بعض الملائكة بفعله ومعناه أن يكون ذلك كلاماً يفعل في داخل السمع فيعتقده النائم. والمنامات الدعية إلى الخير والصلاح في الدين يجب صرفها إلى هذا الوجه وكذا المنامات الصادقة سببها فعل الله كلاماً في سمعه لضرب من المصلحة، (والسبب) في صحة منامات الأنبياء عليهم السلام أنه يمكن أن يكون الله تعالى أعلم النبي بوحي أني سأريك في منامك في وقت كذا ما يجب أن تعمل عليه؛ وعليه يحمل منام إبراهيم عليه السلام، في ذبح ولده.

ثم ذكر في حديث: (من رآني فقد رآني فإن الشيطان لا يتخيل بي): إنا قد علمنا إن المحق والمبطل والمؤمن والكافر قد يرونه عليه السلام في النوم ويخبر كلا بضد ما يخبر به الآخر؛ (وأجاب) بأنه خبر واحد ضعيف من أضعف الأخبار ومع تسليم صحته يمكن أن يراد به من رآني في اليقظة (قال) فأما ما يهذي به الفلاسفة في هذا الباب فيما صح من المنامات من أن النفس أطلعت على عالمها فأشرفت على ما يكون فالذي يذهبون إليه في حقيقة النفس غير مفهوم ولا مضبوط وما هذا الإطلاع والى شيء يشيرون بعالم النفس. (وأما سبب الإنزال) فيجب أن يبنى على تحقيق

سببه في اليقظة مع الجماع وليس هو ما يهذي به صحاب الطبائع لأنا قد بينا في غير موضع أن قولهم لا أصل له وإن الإحالة فيه سراب، وأما سبب الماء فإن الله تعالى أجرى العادة بإخراجه من ظهر الرجل عند هذه الحركة المخصوصة وليس يمتنع أن يجري الله العادة بخروجه من الظهر عند اعتقاد النائم أنه يجامع وإن كان باطلاً اهـ.



الفصل السادس

في بعض المسائل الأصولية وما يجري مجراها

وفيه فوائد:

(١) الإحباط - ذهبت الوعيدية وهم الذين لا يجوزون العفو عن الكبائر إلى القول بالإحباط واختلفوا في معناه بعد اتفاقهم على اختصاصه بالكبائر، (فالجبائية) وهو أتباع أبي علي الجبائي من المعتزلة على أن المتأخر من المعصية والطاعة يسقط استحقاق المتقدم منهما زاد عليه أو نقص أو ساواه فإن كان المتأخر المسقط هو المعصية فهو الإحباط وإن كان الطاعة فهو التكفير، فإذا كان طول عمره مطيعاً وختم له بكبيرة لم يتعقبها بطاعة أحبطت جميع عماله وصار كمن لم يطع أصلاً واستحق الخلود في النار وإن وافى على الإيمان فكانت الكبيرة عندهم بمنزلة الكفر إذا وافى عليها لم يستحق ثواباً على عمل وإذا كان طول عمره على الكبائر وختم له بطاعة لم يتعقبها بكبيرة كفرت جميع تلك الكبائر بالغاً ما بلغت، وإن يتب عنها ومات مصراً عليها يسرق ويزني ويشرب ويسفك الدماء ويقطع السبيل إلا أنه بعد ذلك عمل طاعة واحدة لم يأت بعدها بكبيرة فإنها تمحص عنه جميع تلك العظائم حتى كأنه لم يعمل منها شيئاً ودخل بها الجنة حتماً لأنه صار بمنزلة من لم يعص وقد أطاع. وحجتهم على ذلك دعوى تنافي اسحقاق الثواب واستحقاق العقاب لاقتضاء أحدهما القرب والآخر البعد وهما ضدان يجتمعان بل يزيل المتأخر المتقدم مع ما جاء في الكتاب والسنة من الإحباط والتفكير.

(والبهشمية) وهم أتباع ابنه أبي هاشم الجبائي قالوا بالموازنة وهي إن الطاعة والمعصية إن تساويا تساقطا حتى كأنه لم يصنع شيئاً لا خيراً ولا شراً فلا يستحق ثواباً ولا عقاباً وإن تفاوتا سقط الناقص وما يساويه من الزائد وبقي الباقي منه فإن كان طاعة دخل بها الجنة وإن كان معصية دخل النار؛ وذلك أنه لما رأى فساد ما التزمه أبوه وقبحه عدل إلى هذا القول.

ومن الغريب أن السيد نعمة الله الجزائري الأخباري في كتابه (الأنوار النعمانية) ذهب إلى القول بالإحباط بمعنى الموازنة كما حكاه عنه المحقق السيد محسن

الكاظمي صاحب المحصول في مقدمة كتابه (وسائل الشيعة إلى أحكام الشريعة)؛ وأنه شنع بذلك على الأصوليين لقولهم بطرح النقل أو تاويله إذا تعارض مع العقل؛ (قال) من هنا تراهم في مسائل الأصول يذهبون إلى أشياء كثيرة قد قامت الدلائل النقلية على خلافها لوجود ما تخيلوه أنه دليل عقلي كقولهم بنفي الإحباط في العمل مع وجود الدلائل من الكتاب والسنة على أن الإحباط الذي هو الموازنة بين الأعمال؛ وإسقاط المتقابلين وإبقاء الراجح حق لا شك فيه اهـ.

(وأجاب) المحقق الكاظمي في كتابه المذكور بأن ما جاء في الكتاب من الإحباط إنما أريد به حقيقته في اللغة أعني الإبطال حسبما قال قال عز من قائل ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] لا المصطلح بين المتكلمين كما عليه المعتزلة من قولي الجبائية والبهشمية المتقدمين وكلاهما ضلالة بينما اتفق أصحابنا على المنع منهما وتضليل من يذهب إليهما، كيف وشرط القبول الموافاة على الإيمان والإحباط إنما تكاثر في الكفار كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧] ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [البقرة: ٦١] إلى قوله: ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٧] ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [المائدة: ٥] ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨] ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٤٧] ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ شَـٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَـٰلِدُونَ﴾ [التوبة: ١٧] وبعد ذكر المنافقين والكفار ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [التوبة: ٦٩] ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٦] ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ﴾ [الكهف: ١٠٥] ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ [الأحزاب: ١٩] وفي الذين ارتدوا على أدبارهم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨] فلم يرد به إلا البطلان من رأس (وأما) ما جاء في غيرهم وقلما يكون كقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢] فالمراد فوات

ثواب ذلك العمل مع حصول الإثم كما تبطل بالرياء والعجب والمن والأذى كما قال ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٤] أو بطلان ما يقع فيه من العمل كما وقع لأم إسماعيل مع الجارية عند الإحرام حيث قال لها أبو عبد الله عليه السلام عند الرجوع إلى ذلك الموضع: ها هنا حبط عملك وأين هذا من بطلان ما يسبق من الإعمال أو الموازنة.

(وقال) المحقق الكاظمي أيضاً: إن مقال الجبائي في الإحباط والتكفير مخالف لما استقامت عليه الشريعة ونطق به الكتاب المجيد وتواترت به الأخبار (أما الإحباط) فأول ما فيه أنه لو كان لكان من عظم الظلم لأنه يسقط أجر سبعين عاماً وهو على الإيمان لا يزايله لمعصية واحدة وهو يعد بالثواب على كل طاعة على أن من شرط الإحباط عندهم عدم تعقيب المعصية بطاعة وإلا كفرتها ومعلوم أن الإيمان من أفضل الطاعات بل هو أعظمها حتى أنه لا يقبل شيء منها إلا به وهو مع المعصية ويعدها لفرض الموافاة به فيكون مكفراً لها روح. فلا يعقل الإحباط مع الموافاة به (وأما الشريعة) فمعلوم أن المطيعين على رجاء من الله عز وجل أما بمغفرة منه تعالى أو شفاعة شافع وإن المتشرعة بل سائر الناس على المنع من اليأس بل هو من أعظم الكبائر وما جاء من الوعد على الطاعات كالوعيد على المعاصي أظهر من أن يخفى ولو لم يكن إلا قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧-٨] لكفى (وأما التكفير) فإنه وإن جاز على الحكيم الرؤوف الرحيم أن يعفو عن المعاصي وإن كبرت مع الموافاة بالإيمان والمحبة والولاية لكن لا على وجه اللزوم وامتناع المؤاخذة كما يزعم هؤلاء لتوهم تنافي الاستحقاقين ولو تم ما زعموا للزم أن لا يبقى على مؤمن كبيرة قط لتعقبها بالإيمان وإني وهو تعالى يقول: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝١٢٣ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ [النساء: ١٢٣-١٢٤] في أمثالها وما بعد ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [الزلزلة: ٧] (وأما مقال ابنه) فهو كمقاله في الفساد لمخالفته الكتاب والسنة وطريق العقلاء على أنه لا يتصور مع الإيمان الباقي مساواة ولا زيادة معصية عليه، اللهم إلا أن تفضي كثرة المعاصي إلى ذهابه فلا يتصور أيضاً مساواة ولا زيادة طاعة عليه مع أنه يخرج حينئذ عن محل الكلام إذ الكلام مع الموافاة على الإيمان أفهذا هو الحق الذي لا شك فيه أو ليست الشريعة تنادي بأربابها بالجزاء على كل طاعة ومعصية إلا

أن يعفو الله متى كان الإسقاط فيهم للإحباط والتكفير أو الموازنة ضربة لازم كما يزعم هؤلاء الضالة واستحسنه هذا الغافل؛ انظر من الذي يأخذ بمستحسنات العقول هو أو الأصحاب انتهى.

(وأقول) إن من السخافة بمكان ما حكاه من الاحتجاج على الإحباط بتنافي استحقاق الثواب والعقاب لاقتضاء أحدهما القرب والآخر البعد وهما ضدان، فإن القرب والبعد الحاصلين بالطاعة والمعصية لا يراد بهما القرب والبعد المكاني بل المعنوي نظير الرضا والسخط اللذين يجتمعان باختلاف الحيثية كما يرضى الشخص عن عبده أو خادمه بإطاعته له في أمر ويسخط عليه في عصيانه بأمر آخر، (وهذان) القولان مع أنه لا دليل عليهما من عقل ولا نقل قام الإجماع على بطلانهما ودل عليه الكتاب العزيز كالآيتين المذكورتين وغيرهما مما دل على وعد الله تعالى المطيعين بالثواب وإيعاد العاصين بالعقاب كما هو مقتضى العدل (نعم) ورد الشرع بإحباط جملة من المعاصي للطاعات بمعنى إبطال ثوابها يوم القيامة بل ذلك معلوم من الشرع والأدلة النقلية به متواترة معنى وهذا لا غائلة فيه فيكون وعد الله تعالى بالثواب مشروطاً بعدم وقوع تلك المعاصي كالارتداد المحيط لجميع الأعمال كما دلت عليه الآيات السابقة وغيرها بل مقتضى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] عدم القبول من الفاسق كما أنه قد ورد تكفير بعض الطاعات للمعاصي بمعنى عفو الله تعالى عن العبد بسبب فعله لبعض الطاعات ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هُود: ١١٤] والآيات الواردة بذلك كثيرة وأخبار به مستفيضة كما ورد في القتل أنه مكفر لجميع الذنوب (وعن الباقر عليه السلام) كل ذنب يكفره القتل في سبيل الله عز وجل إلا الدين فإنه لا كفارة له إلا إداؤه (أي تأدية الغير له) أو يقضي صاحبه أو يعفو الذي له الحق وهذا بخلاف الإحباط الذي ذهب إليه الجبائيان الذي ماله إلى الكسر والانكسار الذي لا يساعد عليه عقل ولا نقل.

ما ورد في الميزان ووزن الأعمال يوم القيامة ونجاة من رجحت حسناته وإستحقاق العذاب لمن رجحت سيئاته ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٦] وهم من تساوت حسناتهم وسيئاتهم كما نطق به الكتاب وفسرت بعضه السنة فهو أمر خارج عن ذلك كما لا يخفى.

الكلام على مسألة الضد

٢ - اختلف الأصوليون في اقتضاء الأمر بالشيء النهي عن ضده. وهذه المسألة من مهمات المسائل الأصولية لدقة مأخذها وكثرة فروعها في الفقه (وأهم ما فيها) أمران:

الأول: تحقيق الحال في اقتضاء الأمر بالشيء النهي عن ضده الخاص معنى لا لفظاً فإن ذلك هو محل الإشكال ومحط الأنظار وأهم ما فيه إثبات أن فعل الواجب هل يتوقف على ترك ضده فإذا ثبت التوقف كان ترك الضد واجباً بناء على ما هو الحق من وجوب مقدمة الواجب فيكون فعله حراماً؛ وهو معنى النهي عنه وإلا لم يبق دليل على حرمة الضد.

الثاني: إذا أمر بضدين أحدهما موسعاً والآخر مضيقاً ففعل الموسع هل يبطل إذا كان عباده (أما الأمر الأول) فقد اختلفت أنظار فحول العلماء في توقف فعل الضد على ترك ضده كما اختلفت في توقف الترك على الفعل (والمراد) بالضدين الأمرين الوجوديان اللذان لا يمكن اجتماعهما فإن كان لهما ثالث أمكن ارتفاعهما؛ وإلا لم يمكن كالحركة والسكون (والذي) نسب إلى المشهور توقف فعلى الضد على ترك ضده دون العكس (والعكس) محكي عن الكعبي وعن الشيخ الرئيس أنه قال وجود الضد سبب لإنتفاء الضد الآخر انتهى. وتوقف فناء الضد على طريانان الضد مشهوربين المتكلمين (والذي) اختاره سلطان العلماء والمحققون من أهل عصره وما قاربه وحكاه بعض المعاصرين عن سيد محققي الحكماء وعن الفاضل البهائي في الزبدة والفاضل الجواد في شرحها والمحقق السبزواري عدم التوقف من الجانبين وهو الحق، (وعن) المحقق الخوانساري التفصيل بين رفع الضد الموجود وعدم الضد المعدوم بالتزام كون الأول مقدمة لمجيء الضد الآخر وإنكار المقدمية في الثاني فهو مفصل بين الرفع والدفع في ترك الضد؛ وأما فعل الضد فليس مقدمة للترك مطلقاً مستظهراً ذلك أيضاً من المحقق الدَّوَّاني فهذه أقوال أربعة، (وزيد) فيها خامس وهو التوقف من الجانبين وعزي إلى الحاجبي والعضدي ولكن لا ينبغي عده بين الأقوال فإنه ما كان ليقول عاقل فضلاً عن عالم بالتوقف من الجانبين الذي هو

دور محال، (والذي) صدر منهما إنهما في مسألة الضد اعترفا بتوقف فعل الواجب على ترك ضده لكن منعاً وجوب المقدمة وفي مسألة أخرى وهي شبهة الكعبي في إنكار المباح اعترفا بأن فعل المباح مقدمة لترك الحرام ولكن منعا أيضاً وجوب المقدمة فلزمهما القول بالتوقف عن الجانبين ولا شك أنهما حين البحث في إحدى المسألتين غفلا عما ذكراه في المسألة الأخرى ومثل هذا لا يعد قولاً في المسألة كما لا يخفى (والمقصود) بالبحث تحقيق توقف فعل الضد على ترك ضده وعدمه؛ (أما العكس) فلا بحث لنا عنه.

(احتج) القائلون بتوقف فعل الضد على ترك ضده الذي فرعوا عليه اقتضاء الأمر بالشيء النهي عن ضده بأن الضدين متنافيان لذاتيهما بحيث يمتنع اجتماعهما في محل واحد؛ فإن ذلك هو معنى التضاد فيكون فعل كل ضد مانعاً عن الآخر إذ لا معنى للمانع إلا ذلك وعدم المانع شرط بالبديهة وعليه الاتفاق فترك كل ضد مقدمة شرطية لفعل الضد الآخر.

ولا مانع من كون العدم شرطاً في الوجود لأن الشرط ليس بمؤثر؛ وإن توقف عليه تأثير المؤثر إنما الممتنع كون العدم هو المؤثر في الوجود وإلا لانسد إثبات وجود الصانع.

(وأورد) على هذا الاحتجاج بأن مجرد التنافي بين الشيئين وعدم اجتماعهما لا يقضي بالتمانع فقد ثبت التنافي في أمور كثيرة باعتراف من قال بتمانع الضدين وذلك كالنقيضين، (وهما الأمران اللذان لا يجتمعان ولا يرتفعان كالعدم والوجود) وكالضد ولوازم ضده وكالضدين اللذين يكون وجود أحدهما وعدم الآخر معلولين لعلة واحدة (وبالجملة) المانع ما يلزم من وجوده العدم بمعنىً أن يكون وجوده مقتضياً ومؤثراً في عدم الممنوع كالرطوبة المانعة من إحراق النار؛ وحينئذٍ فيكون تأثير النار للإحراق مشروطاً بعدم الرطوبة وموقوفاً عليه ومجرد كون الشيئين لا يجتمعان في الوجود من غير ثبوت التمانع المصطلح بينهما لا يقتضي كون وجود أحدهما موقوفاً على الآخر كما لا يخفى.

هذا وقد استدل بعضهم على كون الضد مانعاً بأنا لو فرضنا وجود أحد الضدين وفرضنا وجود مقتضي الآخر جامعاً لجميع شرائط التأثير غير عدم الضد الموجود لم

يؤثر إلا بعد ارتفاعه وهذ دليل على كون الضد مانعاً من ضده وإلا لترتب المقتضى على المقتضي لاستحالة تخلف المعلول عن العلة.

وأورد عليه بامور (منها) أن توقف تأثير العلة على عدم الضد لا يقتضي كون الضد مانعاً لجواز أن يكون وجود الضد سبباً لانتفاء الشرط؛ فيكون وجود الشرط موقوفاً على عدم الضد فيكون توقف تأثير المقتضي على عدمه عريضاً ناشئاً من توقف شرطه عليه فلا يكون وجوده مانعاً إذ سبب انتفاء الشرط لا يعد مانعاً ولما كان وجود العرض مشروطاً بقابلية المحل فإذا وجد السواد في محل انتفى شرط وجود البياض وهو قابلية المحل لاشتغاله بالسواد، (لا يقال) إذا فرضت إن وجود الضد مشروط بقابلية المحل فهو موقوف عليه فإذا كانت قابلية المحل موقوفة على عدم الضد الآخر كان وجود الضد موقوفاً عليه أيضاً وصار وجود الضد الآخر مانعاً منه (لأنا نقول) تظهر الثمرة في صورة تعدد الأضداد فلو كانت ثلاثة كالسواد والبياض والحمرة فإذا وجدت الحمرة في محل وفقد السواد والبياض فلو كان كل من السواد والبياض مانعاً من الآخر كان وجود كل منهما موقوفاً على عدم الآخر، أما لو كان وجود كل منهما سبباً في فقدان شرط الآخر لم يكن وجود واحد منهما موقوفاً على عدم الآخر حال عدمه وإنما يكون موقوفاً على عدمه حال وجوده أما حال عدمهما فليس شيء منهما موقوفاً على عدم الآخر بل وجود كل منهما موقوف على عدم الحمرة الشاغلة للمحل والموجبه لفقد الشرط، (ثم) إن حاصل هذا الرد يرجع إلى منع إمكان وجود مقتضي الضد جامعاً لجميع الشرائط سوى عدم الضد الآخر كما لا يخفى.

(ومنها) أنه مع تسليم ما ذكر إنما تثبت مانعية الضد في الصورة التي ذكرها لا على الإطلاق، ويجوز كون الشيء مانعاً في حال دون حال والمفيد في المقام إثبات المانعية على الإطلاق.

احتج المانعون من توقف فعل الضد على ترك ضده بوجوه أقواها وجهان:

الأول: إن من المعلوم بالوجدان أنه إذا حصلت إرادة المأمور به وانتفى الصارف عنه حصل هناك أمران فعل المأمور به وترك ضده فيكونان إذاً معلولي علة واحدة؛ فلا وجه لجعل ترك الضد من مقدمات فعل الآخر وذلك مثل السبب الباعث

على حصول أحد النقيضين فإنه هو الباعث على رفع الآخر من غير ترتب وتوقف بينهما بل هما موجودان في مرتبة واحدة، (أقول) وهو جيد فإن من كان مشغولاً بالكتابة مثلاً ثم عرض له ما يوجب ذهابه إلى السوق فتركها وذهب إلى السوق فإنه يرى من نفسه أن الشوق والرغبة في الذهاب إلى السوق هو الذي نشأ عنه ترك الكتابة والذهاب في آن واحد؛ ولا يجد ترتباً بينهما (وقال) بعض المحققين من المعاصرين إن صريح الوجدان شاهد بأن ترك الضد إما مستند إلى إرادة الآخر كاستناده إليها وينبعث منها كانبعاثه أو إلى الصارف الذي هو مقارن للإرادة وعلى التقديرين لا يكون لأحدهما تقدم طبيعي على الآخر فكيف يكون مقدمة شرطية له إنتهى.

(وكأن) مراده الترديد بحسب الحالات فإنه مرة يوجد صارف عن أحد الضدين مقارن لإرادة الآخر ومرة لا يكون هناك صارف غير إرادة الآخر.

الثاني: إن ترك الضد لو كان مقدمة لفعل ضده لكان الفعل أيضاً مقدمة للترك بطريق أولى لأن منشأ التوقف الذي زعموه هو المانعية حيث عللوه بها وهي موجودة من الطرفين؛ فإذا كان عدم الضد شرطاً في وجود ضده كان وجود ضده علة في عدمه لأن وجود المانع علة تامة في عدم الممنوع؛ إذ بوجوده يفقد جزء من أجزاء العلة التامة للوجود وهو الشرط من حيث إن عدم المانع شرط ومن المعلوم أن فقد جزء من أجزاء علة الوجود علة تامة في العدم وحينئذٍ فيتوقف كل من الفعل والترك على الآخر وهو دور محال فتوقف الفعل على الترك توقف المشروط على الشرط وتوقف الترك على الفعل توقف المعلول ولذلك قيل إنه أولى بالتوقف فإن توقف المعلول على علته أوضح ذلك وأكد من توقف المشروط على شرطه (وإلى هذا الوجه) أشار سلطان العلماء في حاشية العضدي على ما حكي عنه حيث قال: فلو كان ترك الضد مقدمة لفعل ضده فكون فعل الضد مقدمة لترك ضده أولى بالإذعان ولما كان منشأ توهم التوقف هو المقارنة الاتفاقية حصل الاشتباه في المقامين مع أنه محال ا هـ.

(وقال) في حاشية المعالم في جواب احتجاج من احتج على اقتضاء الأمر بالشيء النهي عن ضده بأن فعل الجواب لا يتم إلا بترك ضده الخ ما لفظه: التحقيق في الجواب منع كون ترك الضد الخاص مقدمة وموقوفاً عليه للواجب وإنما يحصل

معه في الوجود بلا توقف من الطرفين والعجب توهم الكعبي كون فعل أحد الضدين مقدمة لترك الضد الآخر على عكس المذكور هنا وأعجب من ذلك تسليم مصنف المختصر وشارحه ما ذكر في الموضعين مع تنافيهما وإنما أجابا في الموضعين بمنع كون مقدمة الواجب واجباً مطلقاً إنتهى.

وقد أجيب عن لزوم الدور المذكور بأنه وإن قلنا بتوقف فعل الضد على ترك ضده لا يلزم منه توقف الترك على الفعل حتى يلزم الدور فإنه إذا فقد المقتضي للضد كالصلاة مثلاً أو فقد جزء من أجزاء علته غير عدم المانع كان ذلك كافياً في عدمه ولا يتوقف على وجود المانع كالإزالة بل سواء وجد أو فقد تعدم الصلاة لفقد علتها التامة، نعم لو فرض وجود مقتضي الصلاة وجميع أجزاء علتها غير عدم المانع وهو والإزالة بحيث لولا المانع لوجدت كان عدمها حينئذٍ موقوفاً على الإزالة فيجيء الدور إلا أن هذا الفرض يجوز أن يكون محالاً فلا يلزم الدور لأن الموقوف على المحال محال، هكذا نقل عن المحقق الخوانساري مكتفياً بإحتمال كون هذا الفرض محالاً لكفاية الاحتمال في رد الاستدلال.

وحاول بعض المحققين في حاشية المعالم إثبات استحالة مجامعة فعل الضد لتمام المقتضي لفعل ضده ولم يكتف بالاحتمال فقال ما حاصلة: لأن وجود الضد لا بد له من إرادة سابقة عليه وهي كافية في سببية الترك لأن السبب الداعي إلى أحد الضدين صارف عن الآخر فلا يكون الترك مستنداً إلى فعل الضد في وقت من الأوقات فلا يكون فعل الضد مجامعاً لتمام المقتضي لفعل الضد الآخر، إذ وجود الصارف ينافي وجود تمام المقتضي إذا من تمامه الإرادة وهي لا تجتمع مع إرادة الضد الآخر؛ (ثم) اعترض على نفسه بإمكان تقرير الدور بين إرادة الضد ونفس الضد الآخر فإنهما أيضاً متضادان فيقال إرادة الإزالة سبب في ترك الصلاة كما ذكرت فلو كان ترك الصلاة مقدمة لإرادة الإزالة لزم الدور، (وأجاب) بمنع التضاد بينهما لأن مجرد عدم الاجتماع لا يقتضي المضادة كما في لوازم المتضادين ومدار التضاد على عدم إمكان الاجتماع الذاتي وامتناع الاجتماع في المقام عرضي فإن امتناع اجتماع إرادة الضد مع ضده من جهة مضادة هذه الإرادة لإرادة الضد الآخر ولذا كانت إرادة أحدهما صارفة عن الآخر، (وأجاب) بأن إرادة الفعل وعدمها إنما

تتفرع على حصول الداعي وعدمه فقد لا يوجد الداعي إلى الضد أصلاً فيتفرغ عليه عدم الإرادة من غير أن يتسبب ذلك عن إرادة الضد الآخر وقد يوجد الداعي لكن يغلبه الداعي إلى الضد الآخر المأمور به مثلاً فلا يكون عدم الإرادة حينئذٍ أيضاً مستنداً إلى إرادة الضد الآخر بل إلى غلبة داعيه، وعلى أي حال فلا تأثير لنفس الإرادة في انتفاء الإرادة الأخرى بل كل من إرادة أحد الضدين وعدم إرادة الآخر مستند إلى علة واحدة وهي غلبة الداعي، (ثم) أورد على نفسه بأنا نجري الكلام بالنسبة إلى غلبة الداعي إلى الضد المأمور به وغلبة الداعي إلى ضده لكونهما ضدين وقد صار رجحان الداعي إلى الفعل سبباً لانتفاء رجحان الداعي إلى ضده والمفروض توقف الرجحان المذكور على انتفاء رجحان داعي ضد اللزوم فيلزم الدور (وأجاب) بأنه لا سببيه بين رجحان داعي الفعل وإنتفاء رجحان داعي ضده بل رجحان الداعي إلى الفعل إنما يكون بعين مرجوجة الداعي إلى الضد فهما حاصلان في مرتبة، واحدة من غير توقف بينهما حتى يتقدم أحدهما على الآخر في المرتبة فرجحان الداعي إلى المأمور به مثلاً مكافىء في الوجود لمرجوحية الداعي إلى ضده، إذ الرجحانية والمرجوحية من الأمور المتضايفة ومن المقرر عدم تقدم أحد المتضايفين على الآخر في الوجود.

وأورد عليه (أولاً) بأنه صرح في دفع الدور بأن ترك الضد مستند إلى إرادة الضد لا إلى نفسه؛ وفي جواب السؤال الثاني بأن ترك الضد مستند إلى عدم الداعي وهما متناقضان؛ (وثانياً) بأن ما ذكره في دفع الدور من منع توقف الترك على الفعل قاض بعدم توقف الفعل على الترك أيضاً لأن مقدمية الترك للفعل إنما نشأت من كون كل من الضدين مانعاً من الآخر وعدم المانع شرط فإذا فرض استحالة ترك أحد الضدين إلى فعل الآخر كما يدعيه لم يكن وجود أحد الضدين مانعاً من الآخر لأن المانع ما يؤثر في عدم الممنوع والمفروض هنا خلافه (وثالثاً) إن ما ذكره من استحالة مجامعة فعل الضد لتمام المقتضي لفعل ضده ممنوع لجواز اجتماع تمام المقتضي مع الفعل بأن توجد الإرادة للضد ولم يبق مانع من وجوده إلا الاشتغال بضد آخر (وفيه) إن المسلم وقوعه هو حصول ميل وشوق إلى فعل الضد المعدوم، لكن لا بد أن يكون الشوق والميل الحاصل إلى الضد الموجود أقوى منه وإلا لترك الموجود وأوجد المعدوم وحينئذٍ فلا يكون تمام المقتضي موجوداً لأنه عبارة عن الإرادة التامة التي

يترتب عليها حصول الفعل لولا المانع والإرادة هنا ناقصة مغلوبة بإرادة الضد الموجود وهي التي نشأ منها الضد لا من وجود الضد الآخر كما لا يخفى (ورابعاً) إن آخر كلامة استقر على أن إرادة أحد الضدين مستندة إلى غلبة الداعي وانتفاء إرادة الآخر إلى مغلوبية الداعي والغالبية والمغلوبية من الأمور المتضايفة التي لا توقف ولا ترتب بينها وهذا على خلاف مقصوده أدل لأن العلتين إذا كانتا في مرتبة واحدة بأن كانتا متضايفتين أو معلولتي علة واحدة كان معلولاهما أيضاً كذلك، وكذا إذا كان لمعلوليهما معلول آخر وهكذا فإن النسبة الملحوظة في آخر مراتب العلل ثابتة في جميع مراتب المعلولات ويمتنع انقلابها من التضايف إلى الترتب الطبيعي بين المعلولين وإلا لزم تخلف المعلول عن العلة (وخامساً) إن مرجع الجواب عن الدور بهذا الوجه إلى الدليل الوجداني الذي أقيم على عدم كون ترك الضد مقدمة لفعل ضده حيث إن القائل بكون الفعل والترك متقارنان متساويان في الرتبة وليس لأحدهما تقدم على الآخر حتى يكون مقدمة له يقول إن ترك الضد وفعل الضد ينشئان من شيء واحد وهي إرادة الضد مثلاً، وإن كلا منهما يستند إليها ولا مدعى له سواه فقد جرى الحق على لسان المجيب من حيث لا يشعر.

وأما التفصيل في توقف فعل أحد الضدين على ترك الآخر بين رفع الضد الموجود فيتوقف وعدم الضد المعدوم فلا يتوقف فهو من متفرداته ومع ذلك فلم يذكر له حجة وإنما اقتصر على قوله: يجوز أن يقال إن المانع إذا كان موجوداً فعدمه مما يتوقف عليه وجود الشيء وأما إذا كان معدوماً فلا وقد احتج له بعضهم ببعض الوجوه الضعيفة فلا نطيل بذكرها وردها (هذا) الكلام على الأمر الأول.

(وأما الأمر الثاني) وهو أنه إذا كان أحد الضدين المأمور بهما موسعاً والآخر مضيقاً فهل يبطل الموسع إذا فعله قبل المضيق وكان عبادة فعلى القول باقتضاء الأمر بشيء النهي عن ضده يلزم البطلان لاقتضاء النهي في العبادات الفساد وهذه هي ثمرة الخلاف في مسألة الضد؛ مثال ذلك من صلى في الوقت الموسع ولم يزل النجاسة عن المسجد مع علمه بها وقدرته أو صلى وعليه دين مستحق وصاحبه يطالب به ولم يؤده أو سافر إلى الحج وعليه من الخمس أو الزكاة أو الدين ولم يؤده مع عدم إمكان التأدية في السفر إلى غير ذلك، (وأنكر) الشيخ البهائي رحمه الله هذه الثمرة فحكم بفساد الضد الموسع مع كونه عبادة لأن بالشيء مضيقاً إن لم يقتض النهي عن ضده

فلا أقل من أن يقتضي عدم الأمر بضده فيفسد لعدم الأمر لعدم إمكان صحة العبادة بغير أمر.

وأورد عليه بأنه يكفي في صحة الضد مجرد الرجحان والمحبوبية للمولى فيصبح والحال هذه أن يتقرب به والضد بناء على عدم حرمته لم يخرج عن المحبوبية والرجحان لعدم حدوث ما يوجب مبغوضيته وخروجه عن قابلية التقرب؛ وإنما ارتفع الأمر المتعلق به فعلاً من جهة المزاحمة لا غير.

والحق عدم ارتفاع الأمر بالموسع بالكلية بل هو باق لكنه مقيد بعصيان الأمر المضيق وبذلك يندفع محذور قبح اجتماع الأمر بالضدين لأن ذلك إذا كانا مطلقين أما إذا كان أحدهما مطلقاً والآخر مقيداً بعصيان الأمر بالمضيق والعزم عليه فلا كما هو واقع في العرفيات (وقولهم) بكفاية الرجحان والمحبوبية في صحة التقرب وإن لم يكن مرّ فعلاً اعتراف منهم بما ذكرنا من حيث لا يشعرون وإذا كان هذا الفعل باقياً على الرجحان والمحبوبية فأي مانع من طلبه على تقدير العصيان أو العزم عليه.

الفصل السابع

فيما يتعلق بعلم العربية

وفيه فوائد:

(١) عن كتاب تقويم اللسان لابن الجوزي: جواب لا يجمع وقول العامة أجوبة كتبي وجوابات كتبي غلط والصحيح جواب كتبي.

(٢) وعنه: حاجات وحاج جمع حاجة وحوائج غلط.

(٣) وعنه: يقال حميت المريض لا أحميته.

(٤) وعنه: يقال للقائم اقعد وللنائم اجلس والعكس غلط.

(٥) وعنه: يقال الحمد لله كان كذا لا الذي كان كذا.

(٦) وعنه: العروس يقال للرجل والمرأة لا للمرأة فقط.

(٧) وعنه: لا يقال كثرت عيلته إنما يقال كثرت عياله والعيلة الفقر.

(٨) وعنه: المصطكي بفتح الميم والضم غلط.

(٩) في القاموس: التشويش والمشوش والتشوش كلها لحن ووهم الجوهري والصواب التهويش والمهوش والتهوش.

(١٠) وفيه في باب القاف مع اللام: القلقل كزبرج نبت له حب أسود حسن الشم محرك للباه لا سيما مدقوقاً بسمسم معجوناً بعسل وعرق هذا الشجر المغاث ومنه المثل (دقك بالمنخار حب القلقل) والعامة بالفاء غلطاً.

(١١) وفيه: البقرة بالتحريك للمذكر والمؤنث.

(١٢) وفيه: الجفن بالفتح غطاء العين من أعلى وأسفل جمعة أجفن وأجفان وجفون وغمد السيف ويكسر.

(١٣) مصدر فعّل تَفعال بفتح التاء كتجوال وتطواف وتكرار عكس الاسم فإنه التاء كتمساح.

(١٤) قيل مما يغلط فيه الخاصة لفظ سائر فإنهم يستعملونه بمعنى الجميع وليس

كذلك بل هو بمعنى الباقي ومنه السؤر للبقية والفضلة (وفي القاموس) السائر الباقي لا الجميع كما توهم جماعات وقد يستعمل له كقول الأحوص:

فجلتها لنا لبابة لما وقذ النوم سائر الحرس

انتهى وإذا كان بمعنى الباقي فيراد به جميع الباقي.

(١٥) الكاغد بفتح الغين كما في القاموس والمصباح وفي المصباح ربما قيل بالذال المعجمة وهو معرب (انتهى) والعامة تغلط فيه فتقوله بالكسر الغين.

(١٦) الرهط اسم للجماعة دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة وليس له واحد من لفظه.

(١٧) عن الثعالبي كل ظهر يكتب بالظاء إلا ضهر الجبل فإنها بالضاد وكل غلط بالطاء إلا غلت الحساب فإنه بالتاء وكل بيض بالضاد إلا بيظ النمل فإنه بالظاء.

(١٨) ديوان أصله دوّان لأنه من التدوين قلبت الواو الأولى ياء ولهذا لم تقلب الثانية مع أن الواو والياء إذا اجتمعتا في كلمة واحدة والأولى منهما ساكنة قلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء لأن هذا مخصوص بما إذا لم تكن الياء مقلوبة عن غيرها.

(١٩) أصل آل أهل قلبت الهاء ألفاً بدليل تصغيرها على أهيل لأن الهاء والألف يقلب كل منهما إلى الآخر كما في حكاية بعضهم أل فعلت أصله هل فعلت وكما في قول الشاعر:

لهنّك سمح ذا يسار ومعدما كما قد ألفت الحلم مرضى ومغضبا

أصله لأنك سمح وكما في ماء أصله ماه بدليل جمعه على مياه وحيث كان أصل آل أهل فيكونان متحدين معنى (قال في القاموس) أهل الرجل عشيرته وذوو قرباه وأقرباه ثم قال آل الله ورسوله أولياؤه (وفي المصباح) الآل أهل الشخص وهم ذوو قرابته وقد أطلق على أهل بيته وعلى الأتباع (انتهى) فإطلاقه على غير القرابة مجاز وبذلك اعتذر عن ترك ذكر الصحابة في الصلاة على النبي ﷺ وقيل إنما اقتداء بالنبي ﷺ حيث قال في تعليم الصلاة عليه: قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد وهو الذي جرى عليه أئمة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم خلفاً عن سلف

والذي أوجبه الشرع في الصلوات المفروضة والمسنونة وقد نهى صلى الله عليه وآله وسلم عن الصلاة البتراء وهي إفراده بالصلاة عن الآل وينبغي عدم ترك التسليم مع الصلاة للأمر به في الآية وإن لم يذكر في هذه الرواية (ومن العجيب) مع هذا كله ما جرى عليه جمهور علماء أهل السّنة من عدم ذكرهم الآل معه ﷺ عند الصلاة عليه فإن ذكروهم ذكروا معهم أصحابه اللهم إلا نفراً قليلاً منهم الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتبه كلها كالإصابة وغيره ولا نجد لهم في ذلك عذراً إلا كاعتذارهم عن تسنيم القبور مع ورود السّنة بالتسطيح واعتذارهم عن ترك التحنك مع ورود النهي عن العمامة القمعاء وصرف آية التطهير وغيرها إلا غيرهم مع ورود الروايات في صحاحهم بأنها نزلت فيهم وغير ذلك أما قوله تعالى: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] فلا يقتضي ذلك فإنه أمر بالصلاة عليه ولم يبين كيفيتها وبينها هو عليه السلام بقوله: **قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد** ولا شك أن اللازم اتباع المأثور عنه ﷺ في كيفية التصلية نعم لا بأس بإضافة أصحابه المنتجبين إلى الآل بل هو أكمل ولا ينافيه الاقتصار على الآل في الحديث المذكور فإنه لبيان التصلية المأمور بها في الآية الشريفة وإن المطلوب فيها هذا المقدار لا بشرط عدم الزيارة والصلاة من الله تعالى المغفرة والرحمة ورفع الدرجة فتصح بالنسبة إلى كل أحد من المؤمنين فضلاً عن الصحابة المنتجبين كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ [الأحزاب: ٤٣] ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٥٧] وقال عليه السلام: اللهم صل على آل فلان (قال) ابن أبي الحديد في شرح النهج إلا أنها صارت مخصوصة في العرف بالنبي ﷺ ولا تطلق على غيره إلا معه فلا يقال في العرف اللهم صل على فلان إلا أمير المؤمنين عليه السلام فإنهم يقولون صلوات الله عليه انتهى. وفي الأدعية المأثورة عن أئمة هل البيت عليهم السلام وكفى بهم قدوة الصلاة على جميع الأئمة عليهم السلام وعلى الزهراء عليها السلام وابني رسول الله ﷺ وابنته رقية وذلك يفوت حد الإحصاء ثم إن في ذكرهم معه حين تعليمه الصلاة عليه وعدم ذكر أصحابه إشارة إلى أنهم منه وهو منهم وإن الصلاة عليهم من جملة الصلاة عليه فإن نورهم واحد وطينتهم واحدة كما أفصح عنه قوله تعالى في آية المباهلة ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١] وقوله عليه السلام: يوم أحد في حق علي عليه السلام: أنه مني وأنا منه ومواخاته له وقوله: علي مني بمنزلة الروح من

الجسد. علي مني بمنزلة الذراع من العضد. علي مني بمنزلة الصنو من الصنو. حسين مني وأنا من حسين. فاطمة بضعة مني إلى غير ذلك ولله در القائل:

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من قديم الفخر أنكم من لا يصلي عليكم لا صلاة له

وعن الكسائي منع إضافة آل إلى المضمر ولم يوافقه غيره إذ لا قياس يعضده ولا سماع يؤيده.

(٢٠) إعراب هلم جرا: هلم اسم فعل بمعنى ائت، وجرا: مفعول مطلق لحال محذوف تقديره هلم جارا الحكم إلى غير هذا المذكور جرا.

(٢١) ليس للعرب شهل بالمعجمة إلا شهل بن شيبان أحد شعراء الحماسة (وليس لهم) شمس بضم الشين إلا شمس بن مالك الذي يقول فيه الشاعر:

وإني لمهد من ثنائي فقاصد به لابن عمي الصدق شمس بن مالك

(وليس لهم) سلمى بضم السين إلا التي ينسب إليها زهير بن أبي سلمى والد كعب صاحب بانت سعاد؛ نص عليه الدماميني؛ (وليس لهم) زبير بفتح الزاي إلا والد عبد الله بن الزبير الأسدي الشاعر أحد شعراء الحماسة وهو غير عبد الله بن الزبير الصحابي المشهور (وليس لهم) عدس بضم الدال غير عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم والباقي عدس بالفتح نص عليه أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي في شرح ديوان الحماسة. وفي حواشي أمالي المرتضى كل عدس في العرب بضم العين وفتح الدال إلا عدس بن زيد فإنه مضموم العين والدال انتهى. وهو الذي يقول فيه مسكين الدارمي من قصيدة أوردها السيد المرتضى في أماليه:

وأنا بني قومي عُدُس وهم الملوك وخالي البشر

وعن الشيخ يوسف البحراني في لؤلؤة البحرين عن بعض حواشي الخلاصة إن كل ميثم بكسر الميم إلا ميثم البحراني فإنه بفتحها. وليس للعرب حضين بالضاد المعجمة إلا حضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشي؛ نص عليه ابن أبي الحديد في شرح النهج وقول بعضهم فيه حصين بالصاد المهملة غلط.

أخبار الحضين بن المنذر الرقاشي

والحضين هذا من ربيعة البصرة كان مع أمير المؤمنين عليه السلام بصفين؛ ولما نافس شقيق بن ثور خالد بن المعمر السدوسي على راية ربيعة وكانت مع خالد اصطلحا على أن يولياها الحضين بن المنذر وكان يومئذٍ شاباً حدث السن فأقبل وهو غلام يزحف بها وكانت حمراء فأعجب علياً عليه السلام زحفه وثباته فقال:

لمن راية حمراء يخفق ظلها ... إذا قيل قدمها حضين تقدما
ويدنو بها بالصف حتى يزيرها ... حياض المنايا تقطر الموت والدما
تراه إذا ما كان يوم عظيمة ... أبى فيه الأعزة وتكرما
جزى الله قوماً صابروا في لقائهم ... لدى البأس خيراً ما أعف وأكرما
وأحزم صبراً يوم يدعى إلى الوغى ... إذا كان أصوات الرجال تغمغما
ربيعة أعني أنهم أهل نجدة ... وبأس إذا لاقوا خميساً عرمرما

وروي عن الحضين أنه قال: أعطاني علي عليه السلام راية ربيعة وقال بسم الله سر يا حضين واعلم أنه لا يخفق على رأسك راية مثلها أبداً هذه راية رسول الله صلى الله عليه وآله.

وذكر المبرد في الكامل: أنه لما فتح قتيبة بن مسلم سمرقند أفضى إلى أثاث لم ير مثله وإلى آلات لم ير مثلها فأراد أن يري الناس عظيم ما أنعم الله عليه ويعرفهم أقدار القوم الذين ظهر عليهم فأمر بدار ففرشت وفي صحنها قدور ترتقى بالسلالم؛ فإذا بالحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشي قد أقبل والناس جلوس على مراتبهم والحضين شيخ كبير فلما رآه عبد الله بن مسلم قال لأخيه قتيبة ائذن لي في معاتبته قال: لا ترده لأنه خبيث الجواب فأبى عبد الله إلا أن يأذن له وكان عبد الله يضعف وكان تسور حائطاً إلى امرأة قبل ذلك فأقبل على الحضين فقال: أمن الباب دخلت يا أبا ساسان قال أجل أسنّ عمك عن تسور الحيطان قال أرأيت هذه القدور قال هي أعظم من أن لا ترى قال ما أحسب بكر بن وائل رأى مثلها قال أجل ولا عيلان ولو رآها لسمي شبعان ولم يسم عيلان؛ قال عبد الله: يا أبا ساسان أتعرف الذي يقول:

عزلنا وأمرنا وبكر بن وائل ... تجر خصاها تبتغي من تحالفه

قال أعرفه وأعرف الذي يقول:

فادي العزم من فادي قشيراً ومن كانت له أسرى كلاب
وخيبة من يخيب على غني وباهلة بن يعصر والركاب

يريد يا خيبة من يخيب قال أفتعرف الذي يقول:

كأن فقاح الأزد حول بن مسمع إذا عرقت أفواه بكر بن وائل

قال نعم أعرفه وأعرف الذي يقول:

قوم قتيبة أمهم وأبوهم لولا قتيبة أصبحوا في مجهل

قال أما الشعر فأراك ترويه فهل تقرأ من القرآن شيئاً، قال نعم اقرأ منه الأكثر الأطيب ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] فأغضبه فقال: والله بلغني أن امرأة الحضين حملت إليه وهي حبلى من غيره قال فما تحرك الشيخ عن هيئته الأولى ثم قال على رسله وما يكون تلد غلاماً على فراشي؛ فيقال: فلان بن الحضين كما يقال عبد الله بن مسلم فأقبل قتيبة على عبد الله وقال لا يبعد الله غيرك إنتهى.

وأبو ساسان كنية الحضين كما في كامل ابن الأثير وبكر بن وائل من أجداد ربيعة قبيلة الحضين وعيلان من أجداد عبد الله بن مسلم ويشير بتلاوة الآية والبيت الأخير إلى خمول نسب عبد الله لأنهم من (باهلة) وهي من أخمل قبائل العرب وأوضعها وأخسها نسباً؛ وإنما اشتهر فيها قتيبة بن مسلم بإمارته من قبل ملوك بني أمية (وغني) أيضاً من القبائل الخاملة ولذلك جمعهما الشاعر في البيتين السابقين والنسبة إليها غنوي (وكانت) العرب تعير من ينتسب إلى باهلة وتأنف من ذلك وأشعارهم في ذلك كثيرة كقول الشاعر:

إذا باهلي تحته حنظلية له ولد منها فذاك المذرع

أي الذي أمه أشرف من أبيه وقول الآخر:

وما ينفع الأصل من هاشم إذا كانت النفس من باهله

وقول الآخر:

ولـو قـيـل لـلـكـلـب يـا بـاهـلـي عوى الكلب من لؤم هذا النسب[1]

وحكي إنه قيل لأبي عبيدة إن الأصمعي ادعى في نسبه إلى باهلة فقال: هذا لا يمكن لأن الناس إذا كانوا من باهلة تبرؤوا منها فكيف ينتسب إليها من ليس منها (وحكى) ابن خلكان عن بعض المجاميع إن الأشعث بن قيس قال للنبي ﷺ أتتكافأ دماؤنا قال نعم ولو قتلت رجلاً من باهلة لقتلتك به؛ (وقال) قتيبة بن مسلم المتقدم لهبيرة بن مسروح أي رجل أنت لو كانت أخوالك من غير سلول فلو بادلت بهم فقال أصلح الله الأمير بادل بهم من شئت من العرب وجنبني باهلة. (ولقي) أعرابي شخصاً في الطريق فسأله ممن أنت فقال من باهلة فرثى له فقال وأزيدك أني لست من صميمهم ولكن من مواليهم فجعل الأعرابي يقبل يديه ورجليه، فقال: ولم هذا فقال لأن الله تعالى ما ابتلاك بهذه الرزية في الدنيا إلا وسيعوضك الجنة في الآخرة. وقيل: لرجل أيسرك أن تدخل الجنة وأنت باهلي قال بشرط أن لا يعلم أهل الجنة بذلك.

وكانت باهلة من شيعة بني أمية منحرفة عن أهل البيت ﷺ. كما أن ربيعة كانت من شيعة علي عليه السلام وكان مسلم أبو قتيبة كبير القدر عند يزيد بن معاوية على ما ذكره ابن خلكان في تاريخه؛ واسم أبيه عمرو وهو الذي كان على باب ابن زياد حين أتي بمسلم بن عقيل عليه السلام أسيراً إلى ابن زياد وقد إشتد به العطش فرأى قلة ماء باردة على باب القصر؛ فقال: اسقوني من هذا الماء فقال له مسلم بن عمرو الباهلي أتراها ما أبردها والله لا تذوق منها قطرة حتى تذوق الحميم في نار جهنم فقال له ابن عقيل: لأمك الثكل ما أجفاك وأفظك وأقسى قلبك أنت يا ابن باهلة أولى بالحميم والخلود في نار جهنم مني؛ (وكان) قتيبة بن مسلم والياً على خراسان لعبد الملك بن مروان وفي أيام ولايته عليها فتح سمرقند وغيرها وما دعا عبد الله بن مسلم إلى التعرض للحضين إلا كونه من محبي أمير المؤمنين عليه السلام وولده، فأخزاه على يده (والحضين هذا) هو الذي أشار على يزيد بن المهلب والي خراسان قبل قتيبة بعدم

(١) المرء يحمله؛ ويوم القيامة يحاسب المولى جبل شأنه العباد على أعمالهم. وخلق الله جل وعلا الجنة لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشياً، وجعل النار - والعياذ بالله - لمن عصاه ولو كان سيداً قرشياً. الناشر.

الذهاب إلى الحجاج حين استدعاه خداعاً ليعزله ويولي قتيبة وكانت خراسان داخله ولاية الحجاج فلم يقبل منه يزيد فقال الحضين:

أمرتك أمراً حازماً فعصيتني فأصبحت مسلوب الإمارة نادما
فما أنا بالباكي عليك صبابة ولا أنا بالداعي لترجع سالما

فلما قدم قتيبة خراسان قال للحضين: كيف قلت ليزيد قال قلت:

أمرتك أمراً حازماً فعصيتني فنفسك أولى اللوم إن كنت لائما
فإن يبلغ الحجاج إن قد عصيته فإنك تلقى أمره متفاقما

قال فماذا أمرته به قال أمرته أن لا يدع صفراء ولا بيضاء إلا حملها إلى الأمير.

(٢٢) ذكاء بالضم والمد الشمس؛ ونص الصلاح الصفدي في شرح لامية العجم على منع دخول أل عليه؛ وفي القاموس أنه غير منصرف والعلة فيهما كونه علما فلا تدخله أل لأنه وضع بدونها ولا يصح صرفه للعلمية والتأنيث المعنوي؛ وليست الألف فيه للتأنيث لأنه ليس من أوزان ألف التأنيث الممدودة، وأيضاً لو كانت الألف للتأنيث لكان الاسم على حرفين مع أنه معرب فالهمزة الثانية فيها أصلية ووزنها فعال.

(٢٣) عرف الكلام بأنه اللفظ المفيد فائدة تامة؛ وقيد صاحب المغني الفائدة بالقصد لإخراج كلام النائم والمجنون وما جرى على اللسان من غير قصد الإخبار به وإن وافق ثبوت معناه، (وقال الدماميني) في الشرح لا حاجة إلى التقييد بالقصد لخروج كلام النائم والمجنون وشبههما بقيد الإفادة فلو قال النائم زيد قادم ووافق قدومه فالفائدة حصلت من شاهدة القدوم لا من الإخبار، (وأقول) لا نسلم عدم الفائدة في مثل ذلك لأن الكلام ينظر فيه إلى ذاته بقطع النظر عن جميع العوارض وظاهر أن من سمع زيد قادم استفاد منه القدوم ولم يفهم منه إلا ذلك المعنى وليس معنى الإفادة إلا فهم المعنى من اللفظ عند إطلاقه، ولهذا إذا كان غير مطابق للواقع عد كلاماً بلا كلام ونظيره قولهم إن الخبر محتمل للصدق والكذب أي في حد ذاته ومع قطع النظر عن كل شيء حتى خصوص مادته فلا ينافيه إن من الأخبار ما لا يحتملهما؛ ومن هنا يمكن القول بدخول كلام النائم والمجنون ونحوهما.

(٢٤) المشهور تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء ومنهم من قسمه إلى خبر وطلب

وإنشاء؛ لأنه أما إن يتقدم وجود معناه على وجود لفظه أو يتأخر عنه أو يقاربه، فالأول الخبر والثاني الطلب والثالث الإنشاء (وفيه) أنه لا يعقل تأخر وجود المعنى عن وجود اللفظ في جميع أقسام الإنشاء الطلب وغيره، فإذا قلت: اضرب فهم منه الأمر بالضرب الذي هو معناه عن النطق به وكذا قولك أخرج زيد فإن معناه الاستفهام عن خروجه ولا يعقل تأخره عن اللفظ، نعم الذي يتأخر الامتثال في الأول والإفهام في الثاني وذلك ليس هو معنى اللفظ ويمكن أن يكون المراد بتأخر المعنى تأخر الامتثال مسامحة، ويكون المراد أن الكلام إن كان لمعناه متعلق يمكن تأخره عن اللفظ فطلب وإلا فإنشاء كأنت حر وأنت طالق ولا مشاحة في الاصطلاح.

(٢٥) الإنشاء معنى من معاني الحروف يوجب البناء في الاسم وبه؛ قال الأندلسي وابن الحاجب في كم الخبرية نقله عنهما الشيخ الرضي وقيل غير ذلك؛ والظاهر إن نعم وبئس على القول باسميتهما مبنيان لذلك، وقد دل على بعض أفراد الإنشاء بالحروف كأدوات الاستفهام والشرط والتحضيض وغيرها.

(٢٦) نقل ابن أبي الحديد في شرح النهج عن بعض أئمة اللغة في زمانه؛ أن الفخار بكسر الفاء وأنه مما يغلط فيه الخاصة فيفتحونها لأنه مصدر فاخر وفاعل يجيء مصدره على فعال بالكسر لا غير، كقاتل قتالاً ونازل نزالاً وخاصم خصاماً وغير ذلك (قال) وعندي أنه لا يبعد أن يكون مفتوح الفاء مصدر فخر بالضم لا فاخر جاء مصدر الثلاثي إذا كان عينه ولامه حرف حلق على فعال بالفتح كسمح سماحاً وذهب ذهاباً؛ اللهم إلا أن ينقل ذلك عن شيخ أو كتاب موثوق به إنتهى.

(٢٧) من شرح النهج لابن أبي حديد عند شرح قول السيد رحمه الله في الخطبة معجبين ببدائعه ومتعجبين من نواصعه (قال) معجبين من قولك أعجب فلان بنفسه وبرأيه فهو معجب بهما، والاسم العجب بالضم ولا يكون ذلك إلا في المستحسن، ومتعجبين من قولك تعجبت من كذا والاسم العجب وقد يكون في الشيء يستحسن ويستقبح ويتهول منه ويستغرب ومن ذلك قول أبي تمام:

أبدت أسى أن رأتني مخلس القصب وآل ما كان من عجب إلى عجب

يريد أنها كانت معجبة أيام الشبيبة بحسنه، فلما شاب انقلب ذلك العجب عجباً

إما استقباحاً أو تهولاً منه واستغراباً (انتهى) ومخلس من قولهم أخذ رأسه إذا صار فيه سواد وبياض والشعر مخلس والقصب جمع قصبة وهي الخصلة من الشعر.

(٢٨) الأسى بالضم التأسي والعزاء والصبر؛ وبالفتح الوجد والحزن.

(٢٩) تجيء اللام بمعنى على كثيراً كقولهم مضى لسبيله قال الشاعر:

مضى لسبيله معن وأبقى ... مآثر لن تبيد ولن تنالا

وقال الآخر:

فأوجرته لدن الكعوب مثقفاً ... فخر صريعاً لليدين وللفم

كما يجيء على بمعنى اللام كقوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٥] أي لأجل هدايته لكم؛ وقوله ﷺ: من حفظ على أمتي أربعين حديثاً مما يحتاجون إليه في أمر دينهم بعثه الله ﷻ يوم القيامة فقيهاً عالماً؛ أي حفظ لأجلهم ويحتمل كونه بمعنى من كما قيل في قوله تعالى: ﴿إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: ٢] والمراد بكونه فقيهاً عالماً أنه يحشر بمجرد ذلك في زمرة الفقهاء والعلماء الذين يرجح مدادهم على دماء الشهداء.

(٣٠) تقول: بينا أنا جالس إذ جاء زيد. فبينا هي بين الظرفية أشبعت فتحتها فصارت ألفاً ويقع بعدها حينئذٍ إذ الفجائية غالباً تقول بينا أنا عسر إذ جاء الفرج وعاملها محذوف يفسره الفعل الواقع بعدها عند بعضهم وبعضهم يجعلها خبراً عن مصدر مسبوق من الفعل أي بين أوقات إعساري مجيء الفرج وقد تزاد بعدها ما فيقال بينما.

(٣١) قيل: أصل اللهم يا الله أمّنا بالخير فخفف بحذف الهمزة والنون لكثرة الاستعمال فصار اللهم بعد حذف يا النداء وكلمة بالخير ولذلك جاز عند أهل هذا القول الجمع بين الميم ويا لغير ضرورة وهو منقول عن الفراء والأكثر على أن أصله يا الله فحذف حرف النداء وعوض عنه بالميم المشددة ولذلك لا يجمع بينهما إلا فيما ندر من قوله:

إني إذا ما حدث ألما ... أقول يا اللهم يا اللهما

وقول الفراء كونه تخرصاً على الغيب يلزم منه جواز أن يقال اللهم وارحمنا كما

يقال يا الله أمنا وارحمنا وعدم جواز اللهم ارحمنا كما لا يجوز يا الله أمنا بالخير ارحمنا ويمكن الجواب أن يكون للشيء مع الذكر ما ليس له مع الحذف وبالعكس فلم يجز اللهم وارحمنا لاستقباحه في الظاهر بالعطف على غير معطوف عليه وجاز اللهم ارحمنا بإسقاط حرف العطف لعدم استقباحه في الظاهر، والأولى أن يقال بناء على صحة ما ذكره الفراء أنها صارت في العرف نداء لله تعالى ولم يعد يلحظ فيها الأصل الذي كانت عليه، ولها ثلاثة استعمالات، أحدها: النداء المحض نحو اللهم أرحمنا، ثانيها: أن يذكرها المجيب تمكيناً للجواب في نفس السامع كما إذا قيل لك أزيد قائم فتقول: اللهم نعم أو لا، ثالثها: أن تستعمل دليلاً على الندرة وقلة الوقوع نحو أنا أزورك اللهم إذا لم تدعني لأن وقوع الزيارة مقروناً بعدم الدعاء قليل ومنه قول المصنفين الأمر كذا اللهم إلا أن يكون كذا فيستعملونها في الجواب الضعيف أو الكلام المستبعد وكأنه قيل: اللهم إني أستعينك على ضعف هذا الكلام. واختلف فيها في الموضعين الأخيرين فقيل: إنها ليست معربة ولا مبنية لعدم التركيب وقيل بل مبنية لأنها للنداء وإن كان غير حقيقي ولو سلم خروجها عن النداء بالكلية فذلك لا يستلزم خروجها عن حكمها من البناء لأن خروج الكلمة عن معناها الأصلي لا يستلزم خروجها عن حكمها من البناء لأن خروج الكلمة عن معناها الأصلي لا يستلزم خروجها عن حكمها من البناء لأن خروج الكلمة عن معناها الأصلي لا يستلزم خروجها عما لها من إعراب وبناء.

(٣٢) الواو في سبحان ربي العظيم وبحمده إما حالية أو عاطفة والتقدير وأنا متلبس بحمده على التوفيق لتنزيهه والتأهيل لعبادته لأن سبحان مصدر كغفران بمعنى التنزيه ولا يكاد يستعمل إلا مضافاً منصوباً بفعل محذوف كمعاذ الله، فمعنى سبحان ربي أنزهه تنزيهاً عما يليق بجناب قدسه وعز جلاله وهو مضاف إلى المفعول وربما جوز كونه مضافاً إلى الفاعل بمعنى التنزه وذلك أنه لما أسند التسبيح إلى نفسه فكأنه أوهم ذلك تبجحاً فعقب بهذه الجملة الحالية ليزول على قياس ما قيل في: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

(٣٣) إذا تقدمت إن على ما فإن شريطة وما زائده تأخرت عنها فما نافية وإن زائدة.

(٤٣) تستعمل ذات اسماً موصولاً بمعنى التي في لغة طيء، حكاه الفراء نحو بالفضل ذو فضلكم الله به والكرامة ذات أكرمكم الله به بالفضل متعلق محذوب أي

أسألكم بالفضل أو الباء للقسم وبه الثانية بفتح الباء وسكون الهاء والأصل بها لعود الضمير إلى الكرامة فنقلت حركة الهاء إلى الباء بعد حذف حركتها ثم حذفت الألف لإلتقاء الساكنين فصار به.

(٣٥) الفرق بين المستتر والمحذوف إن المستتر ليس له لفظ يدلُّ عليه بخلاف المحذوف فليس للضمير المستتر في قم مثلاً لفظ يدل عليه وأما قولهم إن تقديره أنت فهو من باب التعبير عنه بالمنفصل لعدم وجود لفظ يدلّ على معناه وأما المحذوف في نحو زيد ضربت فله لفظ وهو الهاء فيقال: ضربته ولهذا قيل إن المنصوب والمجرور لا يستتران.

(٣٦) الضمير المستتر جوازاً ما يمكن حلول الظاهر أو الضمير المنفصل محله، (فالأول) كما في زيد يقوم فتقول يقوم أبوه، (والثاني): كقولك إنما قام هو وزيد عمرو ضاربه هو، والمستتر وجوباً ما لا يمكن فيه ذلك كأمر الواحد ومضارع الحاضر وإنما وجب إستتار الضمير فيها لأنها موضوعة للحاضر المتكلم أو المخاطب فلا يصح وقوع الظاهر بعدها لأنه موضوع للغيبة. وأورد على التقسيم المذكور بأن الاستتار للضمير في قام من نحو زيد قام واجب ولا يجوز إبرازه متصلاً ولا منفصلاً فلا يقال زيد قام هو على الفاعلية بل على التوكيد للمستتر وأما خلف الظاهر له أو الضمير المنفصل ففي غير تركيبة لإفادته الحصر والإسناد إلى السببي، بل التحقيق أن يقال ينقسم العامل إلى ما لا يرفع إلا الضمير المستتر كأقوم وقم وإلى ما يرفعه وغيره كقام، والجواب: إنهم لا يريدون بكون الضمير جائز الاستتار أنه لا يصح إبرازه ويكونه واجبه أنه لا يصح إبرازه وإلا لكانت كل الضمائر واجبة الاستتار كما ينقل عن بعض النحاة وهو لا ينافي هذا التقسيم لأنه يفسر وجوب الاستتار بعدم صحة البروز وجوازه بصحته بل يريدون بوجوب الاستتار عدم جواز الخلو عن الضمير وهو معنى عدم صحة حلول الظاهر أو الضمير المنفصل محله وبجوازه صحة الخلو عنه وهو معنى صحة الحلول المذكور لأنه لازمه فالنزاع لفظي، وأيضاً فالحكم على الضمير المنفصل بأنه توكيد لا فاعل محل تأمل لأن سيبويه جوز في قوله تعالى إن يمل هو كون هو فاعلاً وكونه توكيداً وضمير الوصف الجاري على غير من هو له فاعل باتفاق.

(٣٧) قولهم: لا سيما. لا لنفي الجنس وسي بمعنى المثل ويثنى على سيان ويقع ما بعدها مجروراً بإضافتها على أن ما زائدة أو على البدل من ما على أنها نكرة غير موصوفة وعلى التقديرين فالخبر محذوف وقد يرفع مما بعد سي على أنه خبر مبتدأ محذوف والجملة صفة ما أي لا مثل شيء هو كذا وروي الجر والرفع في قول امرىء القيس (ولا سيما يوم بدارة جلجل) وقد ينصب على التمييز فقد أجيز فيه الرفع والنصب والجر ولا سيما معناها الاستثناء بمعنى إخراج ما بعدها عما قبلها في أن الحكم فيه بالطريق الأولى وكثيراً ما يحذف عنها لا فيقال أكرم القوم سيما زيداً وقد يقع بعدها الجملة الحالية نحو (حب الصبيح لا سيما وهو مليح) والعامل في هذه الجملة ما في كلمة ما من معنى الفعل لا مثل للمحبة في هذه الحالة.

(٣٨) قولهم: فضلاً عن كذا. فضلاً مصدر فعل محذوف من قولك أنفقت الدراهم وفضل منها كذا أي بقي. يتوسط بين كلامين متغايرين نفياً وإثباتاً إما لفظاً نحو فلان لا ينظر إلى الفقير فضلاً عن إعطائه أو معنى نحو تقاصرت أفكار الأكثرين عن حل هذا التركيب أي لم تبلغه فضلاً عن أن يصلوا إلى كنهه وفاعل الفعل المحذوف ضمير يعود إلى مضمون النفي، والمعنى استبعاد المنفي مع أنه أولى بالوقوع واستحالة ما فوقه أعني ما وقع بعد فضلاً والتقدير فضل عدم نظر فلان إلى الفقير فضلاً عن إعطائه له أي زاد عليه في الاستحالة وإن اشتركا فيها هذا في النفي الصريح وأما في المعنوي فالتقدير فضل عدم بلوغ الأفكار إلى حلّه فضلاً عن الوصول إلى كنه معناه.

(٣٩) الفرق بين الصفة والنعت، قيل: إن النعت يستعمل فيما يتغير فقط والصفة تستعمل فيما يتغير وما لا يتغير، وقيل: إن النعت يكون بالجثة كطول وقصر والصفة تكون بالأفعال كضارب وجارح وعلى القولين يقال صفات الله ولا يقال نعت الله ولم يستعمل النعت في الله، وقيل: الصفة تستعمل في المدح والذم والنعت في المدح فقط والحاصل إن الصفة أعم.

(٤٠) إذا اتصلت ياء المتكلم بمن وعن ولدن وقد وقط كلاهما بمعنى حسب، فالأكثر إلحاق نون الوقاية وجاء التجريد منها في الجميع ولعل السر أنها وضعت مبنية على السكون فكسر آخرها إخراج لها عن وضعها.

(٤١) قولهم كأنك بالشتاء مقبل ونحوه قال ابن الأنباري: كأن فيه بمعنى الظن أي أظنه مقبلاً ويرده أنه لا يفهم من كأن هنا معنى الظن على ما هو المتبادر منها بل الظاهر بناؤها على معناها من التشبيه والمراد تشبيه لحالة الحاضرة بالمقبلة وجعل ما لم يقع بمنزلة الواقع لقصد تحقيقه وتثبيت صدوره كما يعبر عنه بالماضي في مثل قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الكهف: ٩٩] أو لقصد تقريب زمان وقوعه (وجعل) في المغني من جملة معاني كأن التقريب حكاه عن الكوفيين قال وحملوا عليه كأنك بالشتاء مقبل وكأنك بالفرج آت وكأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل وقول الحريري كأني بك تنحط[1]، وقد اختلف في إعراب ذلك، فقيل: الكاف والياء الواقعان بعد كأن حرفا خطاب وتكلم والباء زائدة في اسم كأن والمعنى كأن الشتاء مقبل وكأنك تنحط، وقيل: الكاف والياء في كأنك وكأني كافتان لكأن عن العمل كما يكفها ما والياء زائدة في المبتدأ كما زيدت في بحسبك درهم، وقيل: المتصل بكأن اسمها والظرف خبرها والجملة بعدها حال بدليل قوله كأنك بالشمس وقد طلعت وعليه فيصبح أن يقال كأنك بالشتاء مقبلاً وكأنك بالفرج آتياً بالنصب، وقيل: الأصل كأني أبصرك تنحط وكأني أبصر الدنيا لم تكن ثم حذف الفعل وزيدت الباء وقال الشيخ الرضي: الأولى أن تبقى كأن على معناها من تشبيه ولا يحكم بزيادة شيء ونقول التقدير كأنك تبصر بالدنيا أي تشاهدها من قوله تعالى: ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾ [القصص: ١١] والجملة بعد المجرور بالباء حال أي كأنك تبصر بالدنيا وتشاهدها غير كائنة، وقال البصريون: إنها حرف تشبيه والمعنى كأن حالتك في الدنيا حال من لم يكن فيها فالمشبه والمشبه به الحالتان لا الشخص والفعل الذي هو الخبر وهناك بعض الأقوال الواضحة الفساد.

(٤٢) قولهم أجدك لا تفعل هو بفتح الجيم وكسرها والكسر أفصح ونصب الدال وهو كثير في كلامهم قال جرير:

أجدك هل تذكر عهد نجد ... وحيا طالما انتظروا الإيابا

الإياب مفعول لأجله لانتظروا مبنياً للمفعول أو مفعول به لفعل محذوف يفسره انتظروا وقال الحماسي:

---

(١) بتشديد الطاء أي من أعلى إلى أسفل أو من ظهر الأرض إلى بطنها.

خليلي هبا طالما قد رقدتما أجدكما لا تقضيان كراكما

والجد بفتح الجيم العظمة والحظ والغنى والاجتهاد والاسم من الأخيرين الجد بالكسر ومن الأول منهما قولهم فلان محسن جداً قال ابن السكيت: ولا يقال جداً بالفتح وهو مفعول مطلق لمحذوف ومن الأول أيضاً قولهم فيه خطر جداً عظيم أي عظيم جداً وقولهم هو عالم جد أو عالم، جد عالم قال سيبويه: يريدون بذلك التناهي وأنه قد بلغ الغاية فيما يصفونه به من الخلال، قال الحماسي يرثي امرأته:

أمرر على الجدث الذي حلت به أم العلاء فنادها لو تسمع
أنى حللت وكنت جد فروقة بلداً يمر به الشجاع فيفزع

وقال البحتري:

يا بؤس نفس عليها جد آسفة وشجو قلب إليها جد مرتاح

والجد بالكسر أيضاً التحقيق والتحقيق المبالغ فيه.

قال الجواهري: أجدك بفتح الجيم وكسرها بمعنى واحد (أي من الجد ضد الهزل مصدر أو اسم مصدر أو من الاجتهاد كذلك) ولا يتكلم به إلا مضافاً قال أبو عمرو: معناهما مالك أجداً منك ونصبهما على المصدر أي مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف وقال الأصمعي: معناه أبجد منك هذا فنصبه بنزع الخافض وقال ثعلب: ما أتاك في الشعر من قولك أجدك فهو بالكسر وإذا أتاك بالواو وجدك فهو مفتوح وقال الليث من قال أجدك بكسر الجيم فإنه يستحلفه بجده وحقيقته وإذا فتح الجيم استحلفه بجده وهو بخته وقيل بجده أبي أبيه وقال سيبويه: أجدك بكسر الجيم مصدر كأنه قال أجداً منك ولكنه لا يستعمل إلا مضافاً وأجاز الفارسي في قولهم أجدك لا تفعل تقديرين أن تكون لا تفعل موضع الحال وأن يكون أصله أجدك أن لا تفعل ثم حذفت إن وبطل عملها، وقال الشلوبين: فيه معنى القسم وقال أبو حيان: الاسم المضاف إليه جد حقه أن يناسب فاعل الفعل الذي بعده في التكلم والخطاب والغيبة نحو أجدي لا أكرمك وأجدك لا تفعل واجده لا يزورنا وعلة ذلك أنه مصدر يؤكد الجملة التي بعده فلو أضفته لغير فاعله اختل التوكيد.

(٤٣) إذا اجتمع همزتا الاستفهام والوصل فإن كانت الثانية مكسورة حذفت ولا لبس لأن همزة الاستفهام مفتوحة نحو ابنك قائم وإن كانت همزة الوصل مفتوحة لم

يجز حذفها لالتباس الاستفهام بالخبر، لكن لما كان يلزم منه الثقل باجتماع المثلين توسلوا إلى التخفيف إما بقلب الهمزة الثانية ألفاً أو تسهيلها والتسهيل يقال له: بين بين هو أن تنحو بالهمزة نحو حرف حركتها وهو المشهور وتصير بين الهمزة وبين ذلك الحرف وغير المشهور أن تنحو بها نحو حرف حركة ما قبلها وذلك كقوله تعالى: ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣] ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩] ﴿ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ [يونس: ٩١] وقد علم من ذلك حال همزة الاستفهام إذا دخلت على أل.

(٤٤) إذا فسر بأي لفظ تقول وقع بعد أي فعل مسند للضمير حكي الضمير أي كان للمتكلم لأنه إذا حكى المتكلم عن نفسه ضمَّ الضمير نحو تقول استكتمته الحديث أي سألته كتمانه بضم تاء سألته جئت بإذا مكان أي فتحت التاء فقلت إذا سألته وذلك لأنه إذا فسر بأيّ كان المفسر والمفسر متحدين وما قبل أي وهو المفسر مضموم التاء فما بعدها كذلك، وإذا فسر بإذا كانت ظرفاً لتقول وفاعل تقول هو المخاطب فكذلك الفاعل فيما أضيف إليه إذا لأن صدر الكلام بمنزلة الجزاء ولا يتم ذلك إلا على التطابق بينهما كما هو ظاهر. وإذا فسر بأي جاز تصدير الكلام بيقال بالبناء للمفعول وتقول على الخطاب.

وقد نظم حكم التفسير بإذا والتفسير بأي بعضهم، فقال:

إذا كنيت بأي فعلاً تفسره ... فضم تاءك فيه ضم معترف
وإن تكن بإذا يوماً تفسره ... ففتحة التاء أمر غير مختلف

كنيت أي أتيت بفعل خفي المعنى وأصلها بمعنى سترت وبأي متعلق بتفسره.

(٤٥) المستفاد من التتبع أن مثل قولنا رأيت زيد بن عمر أعني ما تكون فيه ابن بين اسمين أولهما منصوب فيه زيد وينطق به بدون تنوين كالممنوع من الصرف لأن تنوينه موجب للثقل.

(٤٦) إذا أردت أن تعرّف العدد قلت مائة الدرهم وألف الرجل وكذلك ما دون العشرة تقول عشرة الدراهم وثلاثة الأثواب هذا في العدد المضاف إلى مميزه، أما ما كان مميزه منصوباً فتدخل أل على العدد لا على المميز تقول العشرون والإحدى عشرة جارية وكذلك ما بين الأحد عشر إلى تسعة عشر وإلى تسعة وتسعين، فأما إدخال

الألف واللام في العشرة وما دونها والمائة وما فوقها فهو خطأ في القياس فلا يجوز العشرة أثواب والأربعة دراهم والمائة ألف درهم إذ لا يجوز إضافة آل إلى العاري بل تدخل أل على المضاف إليه فإذا تكررت الإضافة دخلت أل على آخر لفظة منها، تقول: ثلاثمائة ألف الدرهم؛ وبعضهم يجيز الثلاث المائة الألف الدرهم والضابط إن المميز إذا لم يكن مجروراً بالإضافة جاز دخول أل العدد وإن كان مجروراً بالإضافة دخلت أل على المميز لئلا تدخل أل على المضاف؛ والمضاف إليه عار منها كذا يفهم من أدب الكاتب لابن قتيبة.

(٤٧) قال أبو نواس:

غير مأسوف على زمن ينقضي بالهم والحزن

غير هنا مبتدأ ولا خبر له لأنه بمنزلة قولك ما مأسوف فالمبتدأ في الحقيقة هو مأسوف وغير بمنزلة أداة النفي، وهو وصف يستغني بمرفوعه عن الخبر هذا هو الصواب في إعرابه وذكر في المغني وجهين آخرين لا يخلوان عن تعسف.

(٤٨) الإنفحة بكسر الهمزة وفتح الفاء قد تكسر وتشديد الحاء وقد تخفف؛ ويقال المنفحة والبنفحة بكسر الأول وفتح الفاء، قال ابن السكيت: حضرني أعرابيان فصيحان من بني كلاب فسألتهما عن الإنفحة فقال أحدهما لا قول إلا أنفحة يعني بالهمزة وقال الآخر لا قول إلا منفحة ثم افترقا على أن يسألا جماعة من بني كلاب فاتفقت جماعة على قول هذا وجماعة على قول هذا فهما لغتان والجمع أنافح ومنافح (في الصحاح) هي كرش الحمل أو الجدي ما لم يأكل فإذا أكل فهو كرش عن أبي زيد (وفي القاموس) هي شيء يستخرج من بطن الجدي الرضيع أصفر فيعصر في صوفة فيغلظ كالجبن فإذا أكل الجدي فهو كرش، وتفسير الجوهري الإنفحة بالكرش سهو انتهى. وقول صاحب القاموس فإذا أكل الجدي فهو كرش صريح في أن الإنفحة هي الوعاء الذي فيه الشيء الأصفر المتكون من اللبن وذلك الوعاء هو الذي يسمى بعد الأكل كرشاً، وهذا هو الذي قصده الجوهري ولكنه عبر عنه قبل الأكل بالكرش لضيق العبارة مع وجود القرينة فنسبة السهو إليه من السهو مع أن تفسير القاموس له ولا بالشيء الأصفر وقوله أخيراً فإذا أكل الجدي فهو كرش كالمتناقض فإن أراد أن الإنفحة تطلق على الشيء الأصفر من باب إطلاق اسم

المحل على الحال فليكن إطلاق الجوهري لها على الكرش من باب إطلاق الشيء على ما يؤول إليه، ثم الظاهر أن الإنفحة اسم للكرش وما فيه من اللبن وقد حكم فقهاؤنا بطهارتهما إن أخذت من الميتة تبعاً لروايات أئمة أهل البيت عليهم السلام؛ لا أنها تغسل مما أصابها من النجاسة ومرت في الفوائد الفقهية.

(٤٩) قولهم وهذا كما ترى قيل الكاف هنا ليست للتشبيه بل للتنبيه ولم أر من ذكر لها هذا المعنى حتى صاحب المغني والظاهر أنها للتشبيه وما مصدرية والجار صفة لمصدر محذوف؛ أي وهذا ظاهر ظهوراً كالرؤية بالعين.

(٥٠) حكى صاحب المغني في بحث أن المكسورة الهمزة المشددة عن بعضهم أنه حمل قراءة من قرأ: ﴿هَٰذَانِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه: ٦٣] إن بتشديد نون إن على كون اسم إن ضمير الشان (وضعّفه) بأن الموضوع لتقوية الكلام لا يناسبه الحذف قال والمسموع من حذفه شاذ إلا في ان المفتوحة إذا خففت فاستسهلوه لوروده في الكلام بُني على التخفيف فحذف تبعاً لحذف النون ولأنه لو ذكر لوجب التشديد إذ الضمائر تردّ الأشياء إلى أصولها ألا ترى أن من يقول لدنك ولم يك ووالله يقول لدنك ولم يكنه وبك لأفعلن ثم ذكر من معاني الباء القسم (قال) وهي أصل حروفه لذلك خصت بجواز ذكر الفعل معها نحو أقسم بالله لأفعلن ودخولها على الضمير نحو بك لأفعلن واستعمالها في القسم الاستعطافي نحو بالله هل قام زيد. أهل وقد علم بما ذكره في باء القسم من أن سبب اختصاص الضمير بها دون غيرها من حروف القسم أنها أصل حروفه تفسير ما ذكره في بحث إن مما مر وهو أنه لما كانت الضمائر ترد الأشياء إلى أصولها فقد ردت حرف القسم إلى أصله وهو الباء فلم يدخل على الضمائر من حروف القسم غيرها ويمكن أن يكون سبب دخول باء القسم على الضمير شبهها بباء الجر التي ليست للقسم وعدم دخول واو القسم عليه كونها على صورة واو العطف التي لا يعطف بها الضمير إلا منفصلاً وأما التاء فدخولها على الضمائر مستكره في اللفظ.

(٥١) يجوز تضمين فعل معنى فعل آخر فيتعلق به ما يتعلق بالآخر من ظرف ومفعول وخلافه وهو كثير في الكلام العرب وفي القرآن العزيز وقد اختلف فيه على أقوال أنهاها الشيخ يس في حاشية التصريح إلى ثمانية وليس في نقلها كثير فائدة

والمناسب أن يقال (أما) أنه حذف متعلق ما هو أجنبي عن العامل المذكور مع الدلالة عليه بمعموله أو أنه لوحظ معه معنى آخر من غير استعماله فيه ومن غير تقدير لفظ آخر معه بناء على عدم جواز استعمال اللفظ في المعنيين الحقيقي والمجازي بل ولو قيل بجوازه أو أريد معنى يشملهما وهو المسمى بعموم المجاز وجوازه اتفاقي وذلك لأن المفهوم من التضمين مجرد تلك الملاحظة لا الاستعمال في المعنيين ولا عموم المجاز وهذه الملاحظة هي المعبر عنها بإشراب اللفظ للمعنى الآخر من غير استعماله فيه (ثم) إن المحذوف يقدر حالاً للمذكور مأخوذاً من اللفظ الآخر كما قاله صاحب الكشاف في قوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥] المعنى ولتكبروه حامدين وقد يعكس فيؤخذ الحال من المذكور كما في علم الله لأفعلن المعنى أقسم بالله عالماً لا عكسه لأن أقسم جملة إنشائية لا تقع حالاً إلا بتأويل واسم الفاعل الواقع حالاً قائم مقامها فيعطى حكمها وفي قوله تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٩] يقدر ألبثه مائة عام مماتاً لا أماته ملبثاً لأنه يلزم كون الحال مقدرة لا مقارنة والأصل كونها مقارنة.

(٥٢) كأين اسم مركب من كاف التشبيه وأي المنونة وبعد التركيب صار المجموع كاسم مفرد بمعنى كم الخبرية ولا يتغير لفظه لأنه كالمحكي فيقدر فيه الإعراب ويعرب إعراب كم الخبرية ويوقف عليه بالنون لأن التنوين لما دخل في التركيب أشبه النون الأصلية ولهذا رسم المصحف نوناً وبعضهم يقف عليه بحذف النون لحاظاً لحكمه في الأصل من الحذف في الوقف ومجيئها بمعنى كم الخبرية هو الغالب وقد تقع نادراً بمعنى كم الاستفهامية أثبته بعض النحاة - مستدلاً بقول أبي بن كعب لابن مسعود كأين تقرأ سورة الأحزاب آية فقال: ثلاثاً وسبعين ونفاه آخرون والغالب في تمييزها الجر بمن ولم تقع في القرآن إلا كذلك وجاء تمييزها في كلام بعض العرب منصوباً وسيأتي شاهده وفيها لغة أخرى وهي أن تكون بصيغة اسم الفاعل من كان ولذلك زعم يونس أنها اسم فاعل من كان وهو بعيد إذ لا داعي إلى التزام إسكان النون بل بنوا من الكلمتين لما ركبوهما صيغة فاعل كما قال المبرد وبهذه اللغة قرأ بعضهم في القرآن الكريم وجاءت في الشعر كثيراً قال:

وكائن ترى من حال دنيا تغيرت وحال صفا بعد اكدرار غديرها

وقال آخر يرثي قتلى بدر من المشركين من بيات:

وكائن بالقليب قليب بدر من الفتيان والشرب الكرام
وكائن بالقليب قليب بدر من الشيزى تكلل بالسنام

ويروى وماذا بالقليب قليب بدر (والشرب) جمع شارب كصحب وصاحب الجماعة يجتمعون على الشراب قال الحماسي:

وقد أغدو على شرب كرام نشاوى واجدين لما نشاء

(والشيزى) عود يتخذ منه الأواني قال:

ترى الجفان من الشيزى مكللة قدامه زانها التشريف والكرم
ينوبها الناس أفواجاً إذا نهلوا علواً كما على بعد النهلة النعم

النهل أول الشرب والعل بعده (وقال الحماسي):

وكائن تركت من كريمة معشر عليها الخموش ذات حزن تفجع

يقول كم قتلت من كبار الناس وتركت كريمته تخمش وجهها تفجعاً عليه.

(٥٣) للصفة المشبهة ست وثلاثون صورة حاصلة من ضرب أحوال الصفة الست وهي كونها عاملة للرفع أو النصب أو الجر مع التجرد من أل والاقتران بها في أحوال المعمول الست وهي كونه بأل أو مضافاً لما فيه أل أو مضافاً لضمير الموصوف أو للمضاف إلى ضميره أو مجرداً من أل والإضافة أو مضافاً إلى المجرد وكلها تفهم من قول ابن مالك في ألفيته.

فارفع بها وانصب وجر مع أل ودون أل مصحوب أل وما اتصل
بها مضافاً أو مجرداً ولا تجرر بها مع أل سما من أل خلا
ومن إضافة لتاليها وما لم يخل فهو بالجواز وسما

ففهم من قوله فارفع بها إلى قوله دون أحوال الصفة الست وفهم من قوله مصحوب أل إلى قوله مجرداً أحوال المعمول الست لأن قوله أو مضافاً يشمل المضاف لما فيه أل والمضاف إلى ضمير الموصوف والمضاف إلى المضاف إلى ضميره والمجرد والمضاف إلى المجرد وهذه أربعة وقوله مصحوب أل وقوله أو

مجرداً اثنان فهذه ستة والمراد بقوله وما إتصل ما إتصل بالصفة ولم ينفصل عنها بأل (والممتنع) منها أربعة وهي إضافة الصفة مع أل إلى الخالي منها ومن الإضافة أو إلى المضاف إلى الخالي منهما أو إلى ما فيه ضمير الموصوف أو إلى المضاف إلى الخالي منهما أو إلى ما فيه ضمير الموصوف أو إلى المضاف إلى ما فيه ضميره كالحسن وجه والحسن وجه أب والحسن وجهه والحسن وجه أبيه وهي المشار إليها بقوله ولا تجرر بها إلى قوله ومن إضافة لتاليها أي لا تجرر بالصفة حال كونها مع أل اسماً خاياً من أل ومن الإضافة لما فيه أل فيدخل فيه الصور الأربع وإنما امتنعت هذه الأربع لأن الإضافة فيها لم تفد تعريفاً كما في غلام زيد ولا تخفيفاً كما في الحسن الوجه وهو ظاهر ولا تخلصاً من قبح حذف الرابط أو التجوز في العمل كما في الحسن الوجه (بيان ذلك) أن الحسن الوجه بالرفع فيه قبح خلو الصفة عن ضمير الموصوف وبالنصب فيه قبح إجراء وصف القاصر مجرى المتعدي فإذا جر المعمول لم يلزم شيء من القبحين فالجر فيه رافع للقبحين (والحاصل) أنه على كل من الرفع والنصب لا بد أن يلزم أحد القبحين وعلى الجر لا يلزم شيء منهما بخلاف ما نحن فيه.

(أما الصورتان الأوليان) فإنه وإن لزم القبح على الرفع بخلو الصفة عن ضمير الموصوف لكن لا يلزم على النصب قبح أصلاً لأن النصب فيهما على التمييز إذ المعمول نكرة وإضافته لا تفيد التعريف فالقبح لازم على الرفع لا غير وأما على النصب فلا قبح فلا يجوز الجر فيهما لكونه متفرغاً عن النصب ولا قبح عن النصب ولا قبح على النصب حتى يكون الجر رافعاً له (وأما الصورتان الأخيرتان) فإنه وإن لزم القبح على النصب بلزوم التجوز في العمل لكون المعمول معرفة لكن لا يلزم على الرفع لوجود الضمير العائد إلى الموصوف في المعمول فلا تكون الصفة خالية من ضمير الموصوف (ومن المعلوم) إن الأصل في المعمول الرفع لكونه فاعلاً فإذا أريد الجر حول إلى النصب ثم منه إلى الجر فالجر متفرغ عن النصب المتفرغ عن الرفع. والنصب وإن كان قبيحاً لكون المعمول معرفة إلا أن الرفع ليس بقبيح فالقبح أيضاً لازم على أحد الوجهين دون الآخر فلا يتعين الجر لرفع القبح بخلافه في الحسن الوجه فإنه يتعين الجر إذا أريد رفع القبح ولهذا قلنا من قبح حذف الرابط والتجوز في العمل لأنه إن كان الجر متفرعاً عن النصب أفاد رفع قبح التجوز في

العمل وإن كان متفرغاً عن الرفع أفاد رفع قبح خلو الصفة عن ضمير الموصوف وذلك لأنه على النصب يكون الضمير مستتراً في الصفة فلا تكون خالية عن ضمير الموصوف فتأمل في هذا المقام فأني لم أر من أوضحه ليظهر المرام.

(٥٤) الماتح بالمثناة الفوقية الذي يستقي من البئر من فوقها والمايح بالتحتية الذي يكون في البئر لأجل أن يملأ الدلو قال:

يا أيها المايح دلوي دونكا إني رأيت الناس يحمدونكا

ويقال إنه لأمرة أرسلته إلي طلحة الطلحات فلما سمعه قال هذه تشتهي البطيخ فأرسل إليها بطيخاً حشاه بالدراهم أو الدنانير وسئل بعضهم عن الفرق بين الماتح والمايح فقال المنقط من أعلى للأعلى ومن أسفل للأسفل.

(٥٥) بسر بن أرطاة ويقال ابن أبي أرطاة بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة (والعجب) من بعضهم مع فضله وسعة إطلاعه أنه قال في تفسيره لمفردات نهج البلاغة على ما في بعض الطبعات ولعله أصلحه في البعض الآخر: الموجود في النسخ بالشين المعجمة وأظنه بالسين مع أن الموجود في نسخ نهج البلاغة وكتب التواريخ التي رأيناها بالمهملة وعليه نص في القاموس فإن وجد بالمعجمة فهو غلط من النساخ فما أدري أين اطلع عليه بالمعجمة وكيف ظن مع ذلك أنه بالمهملة وإنما اللغة بالرواية وليته نظر في القاموس الذي يوجد عند كل أحد.

(وبسر) هذا أرسله معاوية بجيش عدده ألفان وستمائة مقاتل إلى مكة والمدينة واليمن فأخرج عنها عمال أمير المؤمنين أبا أيوب الأنصاري عامل المدينة وعبيد الله وقثما ابني العباس عاملي اليمن ومكة وأخاف الناس وتهددهم وشتمهم وقتل كل من لم يبايع لمعاوية وكل من ظن أنه من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام حتى قتل في وجهه ذلك ثلاثين ألفاً وحرق قوماً بالنار وأحرق دوراً كثيرة وممن قتله غلامان صغيران لعبيد الله بن العباس عامل اليمن. إسمهما سليمان وداود كانا بمكة وهربا مع أهل مكة فأضلوهما وهجم عليهما بسر فأخذهما وذبحهما وقيل بل قتلهما على درج صنعاء فقالت أمهما ترثيهما:

ها من أحس بابني اللذين هما كالدرتين تشظى عنهما الصدف

ها من أحس بابني اللذين هما سمعي وقلبي فقلبي اليوم مختطف

ها من أحس بابني اللذين هما مخ العظام فمخي اليوم مزدهف
نبئت بسراً وما صدقت ما زعموا من قيلهم ومن الإفك الذي اقترفوا
انحى على ودجي ابنيَّ مرهفة مشحوذة وكذاك الإثم يقترف
من دل والهة حرى مسلبة على صبيين ضلا إذ مضى السلف

ودعا أمير المؤمنين عليه السلام على بسر وكان فيما دعا به (اللهم لا تمته حتى تسلبه عقله) فلم يلبث إلا يسيراً حتى وسوس وذهب عقله فكان يهذي بالسيف ويقول أعطوني سيفاً أقتل به لا يزال يردد ذلك فاتخذ له سيف من خشب وكانوا يدنون منه المرفقة فلا يزال يضربها حتى يصرع ويغشى عليه وكان يضرب على الزق المنفوخ حتى ينتثر فلبث كذلك إلى أن هلك إلى لعنة الله وعذابه (قال ابن أبي الحديد) في شرح نهج البلاغة كان مسلم بن عقبة ليزيد وما عمل في المدينة في وقعة الحرة كما كان بسر لمعاوية وما عمل في الحجاز واليمن من أشبه أباه فما ظلم.

نبني كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثلما فعلوا
(انتهى).

(وكان) بسر مع معاوية بصفين فطلب مبارزة علي عليه السلام في بعض الأيام فلما علاه علي عليه السلام بالسيف وأيقن أن حتفه في تلك الضربة أبدى سوأته كما فعل ذلك عمرو قبله وقد أولع الشعراء بذلك فقال الحارث بن النضر السهمي من شعراء ذلك الوقت:

أفي كل يوم فارس ليس ينتهي وعورته تحت العجاجة باديه
يكف بها عنه علي سنانه ويضحك منها في الخلاء معاويه
بدت أمس من عمرو فقنع رأسه وعورة بسر مثلها حذو حاذيه
فقولا لعمرو ثم بسر ألا انظرا سبيلكما لا تلقيا الليث ثانيه
ولا تحمدا إلا الحيا وخصاكما هما كانتا والله للنفس واقيه
فلولاهما لم تنجوا من سنانه وتلك بما فيها عن العود ناهيه
متى تلقيا الخيل المشيحة صبحه وفيها علي فاتركا الخيل ناحيه
وكونا بعيداً حيث لا تدرك القنا نحوركما أن التجارب كافيه
وإن كان منه بعد في النفس حاجه فعودا إلى ما شئتما هي ماهيه

وقال الأمير أبو فراس الحمداني رحمه الله:

ولا خير في دفع الردى بمذلة كما ردها يوماً بسوءته عمرو

وقال ابن منير الطرابلسي:

بطل بسوءته يقاتل لا بصيرته الذكر

وقال المؤلف من قصيدة علوية:

لاقاه عمرو والأسنة شرع لقيا الحمامة للعقاب الكاسر
وتلاه بسر ثم ما نجاهما منه سوى فعل الخسيس الغادر
فثنى حياء عنهما وعفا ولم يرهقهما عفو الكريم القادر

وقال أيضاً من قصيدة أخرى علوية:

لا كعمرو إذا رام لقياه في الروع ومن دون ذاك خرط القتاد
وتلاه بسر فلما أحسا بالردى من حسامه وهو بادي
أبديا سوأة فكف حياء عنهما عفو قادر معتاد
ما لفرخ يعترض الصقر وما للضباع والآساد

(٥٦) قال: ابن الحاجب في الشافية إذا اتصل الجار بما الاستفهامية كتب بالألف نحو حتام وإلام وعلام لشدة الاتصال لأن علام مثل غلام من قبل اتصال ميم الاستفهامية بعلى اتصالاً شديداً (وقول) اتفق لي أيام الطفولية أن كنت أكتبها بالألف جرياً على المتعارف فرآها بعض رفقائي من هو أسن مني وأعرف فضرب عليها وكتبها بصورة الياء فاعتذرت إليه لظني أن الأمر كما زعم حتى رأيت كلام ابن الحاجب فإياك والمسارعة إلى التخطئة قبل المراجعة ويستثنى من ذلك متى فإنها تكتب منفصلة عن ما فتكتب بصورة الياء قال الشيخ الرضي وإنما لم توصل لقلة استعمالها بخلاف البواقي.

(٥٧) قولهم فلان لا أصل له ولا فصل؛ الأصل الحسب والفصل اللسان.

(٥٨) ما يجوز فيه الدال المهملة والذال المعجمة (بغداد) و(منجّد) للرجل المجرب قال:

ببهمة منيت شهم قلب منجّد لاذ وكهام ينبو

(وأم ملدم) للحمى (والمحذاف) للشيء الذي يرمى به (ودففت) على الجريح أي أجهزت عليه (وحذف) الطائر أي حرك جناحيه في طيرانه (والكاغد) للورق (وذعرته) أي أفزعته.

(٥٩) عن كتاب أدب الكتاب لابن قتيبة (مما) جاء مخففاً والعامة تشدده الرباعية للسن والرفاهية والكراهية وفعلت كذا طماعية في معروفك والدخان والقدوم (ومما) جاء مفتوحاً والعامة تكسره الكتان والعقار والدجاج والدجاجة وفص الخاتم (مما) جاء مكسوراً والعامة تفتحه الدهليز والإنفحة والضفدع (ومما) جاء مكسوراً ومضموماً والعامة تفتحه على وجهه طلاوة وثياب جدد والجدد بفتح الدال الطرائق قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ﴾ [فاطر: ٢٧] (ومما) جاء مضموماً والعامة تكسره المصران جمع مصير كجربان جمع جريب.

(٦٠) يفرق بين المصدر واسم المصدر من حيث المعنى ومن حيث اللفظ (أما الأول) فبأن المصدر موضوع لنفس الحدث واسم المصدر موضوع للفظ المصدر فدلالته على الحدث بالواسطة كما في الفعل واسم الفعل (وأما الثاني) فبأن اسم المصدر لا بد أن يكون في أوله ميم زائدة لغير مفاعلة أو يكون لغير الثلاثي بوزن مصدر الثلاثي فالأول كالمضرب والمحمدة والثاني كالغسل والوضوء فإنهما لغير الثلاثي وهو اغتسل وتوضأ لكنهما بوزن مصدر الثلاثي كشغل ودخول.

(٦١) الفرق بين القد والقط إن القد هو القطع بالطول والقط القطع بالعرض وفي أمير المؤمنين عليه السلام (كانت ضرباته وتراً إذا اعتلى قد وإذا اعترض قط).

(٦٢) الفرق بين الرهط والنفر إن الرهط من الثلاثة إلى العشرة والنفر من ثلاثة إلى التسعة.

(٦٣) ويح اسم فعل بمعنى الترحم وويل كلمة عذاب وبعضهم يستعمل كلاً مكان الآخر.

(٦٤) الطاغوت فلعوت من الطغيان وهو تجاوز الحد أصله طغيوت قدمت لامه على عينه ثم قلبوا الياء ألفاً ويجيء مفرداً كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠] وجمعاً كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم﴾ [البقرة: ٢٥٧].

(٦٥) قرة العين كنايه عن الفرح والسرور والظفر بالمطلوب وأصل القرة بالضم البرودة وإنما كنوا به عن الفرح لأن العرب تزعم أن دمعة الفرح باردة ودمعة الحزن حارة ولهذا كانوا يقولون في الدعاء على شخص سخنت عينه وأسخن الله عينه يقال مرت عينه تقر بالفتح والكسر قرة بالفتح والضم (والقر) أيضاً بالضم ضد الحر.

(٦٦) همدان بالميم الساكنة والدال المهملة قبيلة من اليمن سكنت الشام والعراق وكان منها يوم صفين فرقة مع أمير المؤمنين عليه السلام وفرقة مع معاوية وفيها يقول الشاعر:

همدان همدان وعك عك ... سيعلم اليوم من الأرك

وكانت عك مع معاوية وهم الذين كانوا يضعون حجراً ويقولون لا نفر حتى يفر هذا الحكر وكانوا يقلبون الجيم كافاً وكذلك أكثر القبائل بعضها مع أمير المؤمنين عليه السلام وبعضها مع معاوية وربما برز الرجل إلى أخيه وهو لا يعرفه (فروي) أن رجلاً من أهل الشام طلب البراز فخرج إليه رجل من أهل العراق فصرعه العراقي وأراد ذبحه فإذا هو أخوه لأبيه وأمه فقال: لا أدعه حتى يأتيني أمر أمير المؤمنين وبقي جاثياً على صدره فأرسل إليه أمير المؤمنين عليه السلام أن اتركه فتركه وإلى همدان ينسب الحارث الهمداني من خواص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وهو المخاطب بالأبيات المشهورة له عليه السلام وأولها:

يا حار همدان من يمت يرني ... من مؤمن أو منافق قبلا

وإليهم ينسب الشيخ بهاء الدين العاملي محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني المعروف بالبهائي كما ذكر ذلك عن نفسه وإلى ذلك يشير الشيخ جعفر الخطي البحراني الشاعر المشهور في قصيدته التي يمدح بها الشيخ البهائي معارضاً قصيدة البهائي في صاحب الزمان عجل الله فرجه وفيها يقول الخطي:

فيا ابن الأولى أثنى الوصي عليهم ... بما ليس تثني وجهه يد إنكار

بصفين إذ لم يلف من أوليائه ... وقد عض ناب للوغى غير فرار

وأبصر منهم جند حرب تهافتوا ... على الموت إسراع الفراش إلى النار

سراعاً إلى داعي الحروب يرونها ... على شربها الإعمار متهم اعمار

أطاروا غمود البيض واتكلوا على ... مفارق قوم فارقوا الحق فجار

وأرسوا وقد لاثوا على الركب الحبى بروكاً كهدي أبركوه لجزار
فقال وقد طابت هنالك نفسه رضى وأقروا عينه أي إقرار
فلو كنت بواباً على باب جنة كما أفصحت عنه صحيحات آثار

وكانت همدان العراق ممن صبر يوم صفين فروي عنهم في بعض أيامها حين استحر القتل ورأوا فرار الناس عمدوا إلى غمود سيوفهم فكسروها وعقلوا أنفسهم بعمائمهم وجثوا على الركب فقال فيهم أمير المؤمنين عليه السلام من أبيات:

فلو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

(وهمذان) بالميم المفتوحة والذال المعجمة مدينة مشهورة من بلاد الجبل (وفي مراصد الإطلاع) همذان مدينة من مدن الجبال أعذبها ماء وأطيبها هواء وهي أكبر مدينة بها قيل كانت أربع فراسخ في مثلها وإنما خربها بختنصر ولم تزل بعد ذلك خراباً إلى أن عمرها دارا بن دارا وحصنها ونقل أمواله إليها وما زالت محلاً للملوك ومعدناً لأهل الدين والفضل إلا أن شتاءها مفرط البرد حتى قيل فيه أشعار كثيرة وأفردت فيه كتب إلا أنها مع ذلك كثيرة الزهر والرياحين في الربيع وأرضهم تنبت الزعفران وعندهم أنواع من الألبان لا تكون في بلاد غيرهم (أقول) وإليها ينسب أبو الفضل بديع الزمان الهمذاني الكاتب المشهور أحد كتاب الدنيا ومن طرائفه قوله:

الإنسانية والهمذانية لا يجتمعان (وفيها صنف لأبو تمام كتاب الحماسة لأبي الوفاء بن سلمة لما حبسه الثلج عن الخروج منها (وحكى) لنا شيخنا الفقيه الشيخ آقا محمد رضا الهمذاني صاحب مصباح الفقيه (قده) إن من يمسك بيده في الشتاء حديدة الباب التي تجعل لأجل وضع القفل تلتصق بأصابعه فلا تنفصل عنها إلا بانسلاخ الجلد لشدة البرد كما لو كانت محمية بالنار ويتعذر في الشتاء سلوك الطرقات من كثرة الثلج (وسألت) أنا شخصاً من قرى همذان كم بينكم وبين همذان فقال في الصيف فرسخان وفي الشتاء أيام.

(٦٧) قولهم مثلوج الفؤاد يستعمل في الذم ويكنى به عن البلادة ويستعمل في الكناية عن الفرح والسرور والطمأنينة قال في القاموس والمصباح:

ثلجت النفس من باب نصر وفرح ثلوجاً وثلجاً اطمأنت كأثلجت والمثلوج الفؤاد البليد انتهى.

ومن الثاني قول سيف بن ذي يزن لعبد المطلب ﷺ حين وفد عليه في جملة كلام له: ثلج صدرك وقال الحاج هاشم الكعبي شاعر آل محمد في ذكر مبيت علي عليه السلام على الفراش.

فرقدت مثلوج الفؤاد كإنما يهدي القراع لسمعك التغريدا

وذلك لأن الحزن يوجب هيجان النفس وحرارة القلب فلذلك يقولون عند إرادة بيانه أو المبالغة فيه بين جوانحه نار وجمر الغضا بين ضلوعه ويقولون نار الوجد والشوق وأمثال ذلك وهو في كلامهم بلغ النهاية في الكثرة فلما عبروا عن الحزن بحرارة الفؤاد عبروا عن ضده ببرودته وبالغوا فيه بنسبته إلى الثلج ومر في تفسير قرة العين زعم العرب أن دمعة الحزن حارة ودمعة الفرح باردة وقد أكثر الشعراء عند بيان شدة الوجد من قولهم أن دمع العين يجري مما أذابته نار القلب.

(٦٨) قوله: بيضة البلد يستعمل للمدح والذم فإذا استعمل في المدح أريد به التفرد أي هو واحد البلد الذي ليس مثله أحد في الشرف كالبيضة التي هي وحدها ليس معها غيرها وإذا استعمل في الذم أريد به الوصف بالذلة ولذلك يقولون هو أذل من بيضة البلد أي بيضة النعام وهي التريكة التي تتركها في الفلاة فلا تحضنها أي إنه منفرد لا ناصر له بمنزلة بيضة قام عنها الظليم وتركها لا خير فيها ولا منفعة وقال ابن الأعرابي إذا مدح بها فهي التي فيها الفرخ لأن الظليم حينئذٍ يصونها وإذا ذمَّ بها فهي التي قد خرج الفرخ عنها ورمى بها الظليم فداسها الناس والإبل (فمن المدح) قول: أم كلثوم أخت عمرو بن عبد ود ترثيه حيث قتله علي عليه السلام.

لو كان قاتل عمرو غير قاتله بكيته ما أقام الروح في جسدي

(وفي رواية) لكنت أبكي عليه آخر الأبد.

لكن قاتله من لا يعاب به أبوه قد كان يدعى بيضة البلد

من هاشم في ذراها وهي صاعدة إلى السماء تميت الناس بالحسد

قوم أبى الله إلا أن يكون لهم كرامة الدين والدنيا بلا لدد

يا أم كلثوم ابكيه ولا تدعي بكاء معولة حرى على ولد

(ومن الذم) قول الراعي يهجو عدي بن الرقاع العاملي:

لو كنت من أحد يهجى هجوتكم يا ابن الرقاع ولكن لست من أحد

تأبى قضاعة لم تعرف لكم نسباً وابنا نزار فأنتم بيضة البلد

وقال صنان بن عباد اليشكري وقيل المتلمس وقيل ثور بن القار اليشكري:

لو كان حوض حمار ما شربت به إلا بإذن حمار آخر الأبد

لكنه حوض من أودى بإخوته ريب المنون فأمسى بيضة البلد

حمار اسم شخص وقال حسان:

أمسى الخلابيس قد عزوا وقد كثروا وابن الفريعة أمسى بيضة البلد

الخلابيس اللئام والأنذال واحدها خلبوس بضم الخاء (والفريعة) كهجينة أم حسان بن ثابت وهي فريعة بنت خالد بن خنيس بن لوذان أي أمسى اللئام الأنذال أعزاء كثيرين وأمسيت وحيداً ذليلاً وقول أبي حاتم أنه أراد به المدح سهواً منه.

(٦٩) وروى ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة وغيره من أهل السير والأخبار أن فاطمة لما جرى بينها وبين أبي بكر ما جرى في أمر فدك واستشهدت ببعلها وولديها خطب فقال في خطبته: إلا من سمع فليقل ومن شهد فليتكلم إنما هو ثعالة شهيده ذنبه مربٌ لكل فتنة هو الذي يقول كروها جذعة بعدما هرمت يستعينون بالضعفة ويستنصرون بالنساء كأم طحال أحب أهلها إليها البغي إلا أني لو شئت لقلت ولو قلت لبحت إني ساكت ما تركت (ثم) التفت إلى الأنصار فقال: قد بلغني يا معشر الأنصار مقالة سفهائكم إلى آخر كلامه (قال ابن أبي الحديد) قرأت هذا الكلام على النقيب أبي يحيى جعفر بن يحيى بن أبي زيد البصري وقلت له: بمن يعرض؟ فقال: بل يصرح فقلت: لو صرح لم أسألك فضحك وقال بعلي بن أبي طالب قلت: هذا الكلام كله لعلي قال: نعم إنه الملك يا بني فسألته عن غريبه فقال: (ثعالة) اسم للثعلب علم غير مصروف (وشهيده ذنبه) أي لا شاهد له على ما يدعيه إلا بعضه وجزء منه (وأصله) مثل قالوا: إنّ الثعلب إذا أراد أن يغري الأسد بالذئب قال له: إنه قد أكل الشاة التي كنت أعددتها لنفسك وكنت حاضراً قال: فمن يشهد بذلك فرفع ذنبه وعليه دم وكان الأسد قد افتقد الشاة فقبل شهادته وقتل الذئب (ومرب) ملازم أرب بالمكان أقام (وكروها جذعة) أعيدوها إلى الحال الأولى يعني الفتنة والهرج (وأم طحال) امرأة بغي في الجاهلية كان يضرب بها المثل فيقال أزنى

من أم طحال انتهى. وقد رد عمر بن عبد العزيز فدكاً على أولاد فاطمة عليها السلام كما رفع السب عن أمير المؤمنين عليه السلام قالوا كانت أول ظلامة ردها دعا حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب وقيل: بل دعا علي بن الحسين فردها عليه ثم أخذت منهم ثم ردها السفاح ثم المهدي مخالفة لسنة بني أمية ثم ردها المأمون لكمال علمه ومعرفته.

(٧٠) ذكر بدر الدين بن مالك في شرح ألفية والده أن أفعل التفضيل إنما رفع الاسم الظاهر في مسألة الكحل وهي ما إذا ولي نفياً أو استفهاماً وكان مرفوعه أجنبياً مفضلاً على نفسه باعتبارين نحو ما رأيت رجلاً أحسن في عينه الكحل منه في عين زيد دون غيرها إلا نادراً لحلول الفعل محله كما يعمل غيره من الصفات إذا كان كذلك لأنه في معنى ما رأيت رجلاً يحسن في عينه الكحل كحسنه في عين زيد أما إذا لم يتقدمه نفي أو شبهه نحو رأيت رجلاً أحسن في عينه الكحل منه في عين زيد أو كان معموله سببياً نحو ما رأيت رجلاً أحسن منه أبوه فإنه وإن أمكن حلول الفعل محله إلا أن المعتبر حلول الفعل الذي يبنى منه مفيداً فائدته ولو قلت رأيت رجلاً يحسن في عينه الكحل كحسنه في عين زيد فبنيته من الفعل الذي اشتق منه أفعل التفضيل فاتت الدلالة على التفضيل وهو ظاهر أو يحسن في عينه الكحل كحلاً في عين زيد فبنيته من حسنه إذا فاقه في الحسن فاتت الدلالة على الغريزة المستفادة من أفعل التفضيل وكنت قد جئت بغير الفعل الذي يبنى منه أفعل وكذا لو قلت ما رأيت رجلاً يحسن أبوه كحسنه فأتت الدلالة على التفضيل أو قلت يحسنه أبوه فأتت الدلالة على الغريزة ولم تأت بما أشتق منه أفعل.

هذا محصل كلامه وفيه نظر (أولاً) إن الفعل الذي يبني منه أفعل ويحل محله لا يلزم أن يدل على الغريزة إن سلم دلالة عليها فإن أفعل التفضيل يشتق من أفعال الغرائز وغيرها.

(ثانياً) إذا كان قولنا ما رأيت أحداً يحسن أبوه كحسنه لا يدل على نفي التفضيل بل على نفي المساواة فليكن قولنا ما رأيت رجلاً يحسن في عينه الكحل كحسنه في عين زيد كذلك لعدم تصور الفرق وإذا كان الثاني يدل على نفي التفضيل بل على أفضلية الكحل في عين زيد منه في جميع العيون عرفاً فليكن الأول كذلك وهذه العلة تفرد بها بدر الدين ولم يذكرها غيره من المحققين كالشيخ الرضي وغيره.

(٧١) أنظور لغة في أنظر لبعض العرب ذكره في القاموس ويمكن كونه من مخالفة القياس ومنه قول الشاعر:

وإنني حيثما يثني الهوى بصري   من حيثما سلكوا أدنو فأنظورا

ونصب أنظور جاء على غير القياس وأمثاله مما خالف القياس كثير في كلام العرب.

(٧٢) في الألفية:

النعت تابع متم ما سبق   بوسمه أو وسم ما به اعتلق

الضمير في بوسمه راجع لما سبق وهو المنعوت.

(٧٣) قيل إن العرب تخاطب الواحد بخطاب الاثنين كقوله:

فإن تزجراني يا ابن عفان انزجر   وإن تدعاني أحم عرضا ممنعا

وقول امرىء القيس (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل) والذي يخطر بالبال إن البيت الأول من قبيل ضرورة الشعر لإقامة الوزن وذلك ليس بمستغرب فإن العرب توسعوا في أشعارهم توسعاً كثيراً في مقامات عديدة خالفوا فيها قواعد لسانهم فاغتفرت لهم وعدت من غيرهم لحناً وتكلف علماء النحو والبيان لها تكلفات لتطبيقها على القواعد العربية التي استنبطوها من تتبع كلامهم (فمنه) ما سموه أقواء وهو تخالف القوافي في الرفع والنصب والخفض وهو كثير في كلامهم (ومنه) ما سموه شاذاً أو تأولوا له تأويلات بعيدة كقول امرىء القيس في قصده قيصر ملك الروم:

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه   وأيقن إنّا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك إنما   نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا

فإنه لا مسوغ لنصب نعذر بحسب قواعدهم فحملوه على الشذوذ ويمكن كونه من الاقواء (والدرب) هو درب الروم الفاصل بينها وبين بلاد العرب إلى غير ذلك مما يطول الكلام باستقصائه (وأما البيت الثاني) فالظاهر أنه ليس من خطاب الواحد بخطاب الاثنين وإنما خاطب صاحبيه وإنما فعلت العرب ذلك لأن الرجل يكون أدنى أعوانه اثنين راعي إبله وراعي غنمه والرفقة أدنى ما تكون ثلاثة ولذا كثر في كلامهم

قول: يا صاحبي ويا خليلي ونحو ذلك بلفظ التثنية (وقد) يطلقون لفظ الاثنين على الواحد في الشعر توسعاً كقولهم الغوطتان لغوطة دمشق والنيربان لمكان بها وإنما هي غوطة واحدة ونيرب واحد قال أبو نواس:

يومن أهل الغوطتين كأنما   لها عند أهل الغوطتين ثؤور

كما أطلقوا الجمع على الواحد في قول الشاعر:

وهاشم في فلاة وسط بلقعة   تسفي الرياح عليه عند غزات

ومن عادتهم إطلاق لفظ الجمع على الاثنين أو الواحد كقولهم عظيم المناكب وغليظ المشافر ولا يكون له إلا منكبان وشفتان وشديد مجامع الكتفين ولا يكون له إلا مجمع واحد قال:

شديد مجامع الكتفين باق   على الحدثان مختلف الشؤون

وقال امرؤ القيس يصف فرساً:

يزل الغلام الخف عن صهواته   ويلوي بأثواب العنيف المثقل

مع أنه ليس للفرس إلا صهوة واحدة وهي مقعد الفارس من ظهر الفرس (والخف) الخفيف (والعنيف) من العنف أي يزلق عن ظهره من لم يكن جيد الفروسية ويرمي بأثواب الرجل العنيف الثقيل الماهر في الفروسية لشدة عدوه لأنه غاية ما يمكنه إمساك نفسه على ظهره دون ثيابه كردائه وعباءته.

(٧٤) كانت العرب تقول في تحيتها أنعم صباحاً وربما قالوا: عم صبحاً قال امرؤ القيس:

إلا عم صباحاً أيها الطلل البالي   وهل يعمن من كان في العصر الخالي
وهل يعمن من كان أقرب عهده   ثلاثون شهراً أو ثلاثة أحوال

ويروى إلا أنعم وهم ينعمن وقال الآخر:

أتوا ناري فقلت منون أنتم   فقالوا الجن قلت عموا ظلاما

(وقوله) منون مما خولف فيه القواعد العربية بجمع من الاستفهامية جمع تصحيح فهو قبيل ما مر في الفائدة السابقة، وقال زهير بن أبي سلمى المزني:

فلما عرفت الدار قلت لربعها ألا انعم صباحاً أيها الربع وأسلم

(ومعنى) أنعم صباحاً نعمت صباحاً أي طاب عيشك في صباحك من النعمة بفتح النون وهي طيب العيش (ونعم) بالكسر أصاب نعمة وخصت الصباح بهذا الدعاء لأن الغارات وغيرها تقع صباحاً (وفيها) أربع لغات (أنعم صباحاً) بكسر العين من نعم ينعم كضرب يضرب أو من نعم ينعم كحسب يحسب ولم يأت على فعل يفعل بكسر العين فيهما من الصحيح غيرهما وقال سيبويه إن بعض العرب أنشده قول امرىء القيس:

ألا أنعم صباحاً أيها الطلل البالي وهل ينعمن من كان في العصر الخالي

بكسر العين من ينعمن (وأنعم صباحاً) بفتح العين من نعم ينعم كعلم يعلم (وعم صباحاً) من وعم يعم كوضع يضع (وعم صباحاً) من وعم يعم كوعد يعد ويمكن كونهما مخففين من أنعم وينعم.

(٧٥) يقولون فلان خليفة الخضر إذا كان كثير السفر قال أبو تمام:

خليفة الخضر من يربع على وطن في بلدة فظهور العيس أوطاني

(٧٦) يقولون للجارية الحسناء أبقيت من رضوان وهي كناية بديعة لدلالتها على أنها من الحور العين قال:

جست العود بالبنان الحسان وتثنت كأنها غصن بان

فسجدنا لها جميعاً وقلنا إذ شجتنا بالحسن والإحسان

حاش لله أن تكوني من الإنـ ـس ولكن أبقت من رضوان

(جست العود) اختبرته لتغني به (وشجتنا) أطربتنا يستعمل للفرح والحزن (بالحسن) أي حسن وجهها أو صوتها أو هما (والإحسان) الإجادة للغناء (والبيت الأخير) يشير إلى مضمون الآية الكريمة حكاية عن يوسف والنسوة ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١]

(٧٧) من أمثالهم: من دخل ظفار حمر (ظفار) كقطام وحذام مدينة باليمن (وحمر) بالتشديد تكلم بالحميرية أي لغة حمير لأنهم أهل ظفار (قيل) إنه أمر خرج مخرج الخبر أي فليحمر والمراد أن من كان بين قوم فليواسهم في أعمالهم.

(٧٨) الفرق بين الشك والوهم والتخييل إن (الشك) تصور الأمرين مع التردد وعدم الترجيح (والوهم) بسكون الهاء الطرف المرجوح مقابل الظن وبفتح الهاء كالغلط وزناً ومعنى (والتخييل) مجرد إدراك الطرفين من غير نظر إلى التردد بينهما أو ترجيح أحدهما على الآخر.

(٧٩) توهم بعض الأساطين من المعاصرين إن الإشباع الواجب في الضمير بشروطه المقررة في محلها يجب أن يكون بحيث لا يتولد من واو وهو غلط لأن أقل ما يتحقق به الإشباع الواجب أن يتولد منه واو ألا ترى أنه لو وقع الضمير الواجب إشباعه في بيت من الشعر وألحقت بالهاء ميماً مثلاً بدل الإشباع لم يختل الوزن ولو أسقطتها لاختل كقوله:

له بفناء البيت سوداء فخمة ... تلقم أوصال الجزور العراعر

فلو قال لهم بدل له كان الوزن صحيحاً ولو نقص ذلك الحرف لاختل وزن البيت.

(٨٠) بنو الصيداء بطن من بني أسد وفيهم يقول الشاعر:

يا بني الصيداء ردوا فرسي ... إنما يفعل هذا بالذليل

والنسبة إليه صيداوي وناجية بن عمارة الصيداوي وكليب الصيداوي كلاهما من رواة أصحابنا وعمرو بن خالد الصيداوي قتل مع الحسين عليه السلام بكربلاء وتوهم أن النسبة إلى صيدا البلد بساحل الشام من قصور الإطلاع.

(٨١) قصيدة ابن الحاجب في المؤنثات السماعية وجوباً وما يجوز فيه الوجهان:

نفسي الفداء لسائل وافاني ... بمسائل فاحت كروض جنان
أسماء تأنيث بغير علامة ... هي يا فتى في عرفهم ضربان
قد كان فيها يونث ثم ما ... هو فيه خيّر باختلاف معاني
أما التي لا بد من تأنيثها ... ستون منها (العين) و (الأذنان)
والنفس. ثم. الدار. ثم الدلو. من ... اعدادها و. السن. و. الكتفان
وجهنم. ثم. السعير. و. عقرب ... والأرض. ثم. الأست والعضدان

ثم. (الجحيم) و (نارها) ثم. العصا والريح. منها. واللظى. ويدان
والغول. والفردوس. والفلك التي في البحر تجري وهي في القرآن
(وعروض) شعر. والذراع وثعلب والملح. ثم الفاس. والوركان
والقوس. ثم. المنجنيق وأرنب والخمر. ثم. البئر. والفخذان
وكذاك في (ذهب) و (ونهر) حكمهم أبداً وفي (ضرب) بكل مكان
(والعين) للينبوع (والدرع) التي هي من حديد قط (والقدمان)
وكذاك في (كبد) و (كرش) ثم في (أفعى) ومنها. الشمس. والعقبان
وكذاك في (فرس) و(كأس) ثم في (سقر) ومنها(الحرب) والنعلان
(والعنكبوت) تدب (والموسى) معاً ثم (اليمين) و (وإصبع) الإنسان
(والرجل) منها (والسراويل) التي في الرجل كانت زينة العريان
وكذا (الشمال) من الإناث ومثلها (ضبع) ومنها (الكف والساقان)
أما الذي قد كنت فيه مخيّراً هو كان سبعة عشر في التبيان
السلم. ثم المسك. ثم القدر في لغة ومنها (الحال) كل أوان
والليث. منها. والطريق. وكالثرى ويقال في (عنق) كذا (ولسان)
وكذاك أسماء (السبيل) و (كالضحى) وكذا (السلاح) لقاتل طعان
والحكم هذا في (القفا) أبداً وفي (رحم) وفي (السكين والسلطان)
وقصيدتي تبقى وإني أكتسي ثوب الفناء وكل شيء فاني

(٨٢) أبيات من كلام العرب العاربة تصلح لأن يستشهد بها على مسائل من النحو (قال) حنظلة الطائي:

يا شريك ابن عمير هل من الموت محاله

يروى بنصب شريك وإبن على التخفيف كما في يا زيد بن عمرو وقال أياس (فهل تعجزني بقعة من بقاعها) فيه دخول نون التوكيد على الفعل المستفهم عنه وقال المنخل اليشكريّ:

يا هند هل من نائل يا هند للعاني الأسير

فيه جواز دخول من الزائدة في الاستفهام على النكرة والتوكيد اللفظي في يا هند

(ويحتمل) كون اللام في للعاني للاستغاثة (وقال) النابغة الذبياني:

(فإن يرجع النعمان نفرح ونبتهج) فيه مجيء الجواب والشرط مضارعين.

(وقال) امرؤ القيس: (بقتل بني أسد ربهم) فيه إضافة المصدر إلى الفاعل ونصب المفعول.

(وقال) زهير العبسي:

إذا سيم ضيماً كان للضيم منكراً وكان لدى الهيجاء يخشى ويرهب

فيه عطف الترادف (وقال) الأفوه الأودي:

ألوت بإصبعها وقالت إنما يكفيك مما لا أرى ما قد أرى

فيه دخول ما الكافة على إن وإهمالها لدخولها على الجملة الفعلية وكون قد للتحقيق مع دخولها على المضارع وقال كليب (لا ترهبي خوفاً ولا تستنكري) فيه كون ناصب المفعول المطلق من معناه (وقال أيضاً):

زلفت إليهم بالصفائح والقنا على كل ليث من بني غطفان

فيه كون على بمعنى مع. وقال أيضاً: (وأنصاب وائل لئن عادت لأضعن سهمي في ضرعها) فيه حذف جواب المتأخر من الشرط والقسم (وقالت البسوس):

ولكنني أصبحت في دار غربة متى يعد فيها الذئب يعد على شاتي

فيه كون الشرط والجزاء مضارعين (وقال جساس):

واعلم بأنا لا نسلم جارنا فعل اللئيم به ولا الأنكاس

فيه كون عامل المفعول المطلق من معناه (وقال أيضاً):

وسنان رمحي كالشهاب أديره بيدي أغر مهذب ذي باس

فيه منع أعز من الصرف وفيه التجريد.

وقالت جليلة أخت جساس زوجة كليب:

يا قتيلاً هدم الدهر به سقف بيتي جميعاً من عل

فيه التوكيد بجميعاً وهو قليل (وقال) امرؤ القيس بن عانس الصحابي:

ولو عن ثنا غيره جاءني   وجرح اللسان كجرح اليد

فيه جواز حذف الفعل بعد لو (وقال أيضاً):

يا رب باكية عليّ   ومنشد لي في المجالس

فيه دخول يا على رب (وقال أيضاً):

أو قائل يا فارساً   ماذا رزئت من الفوارس

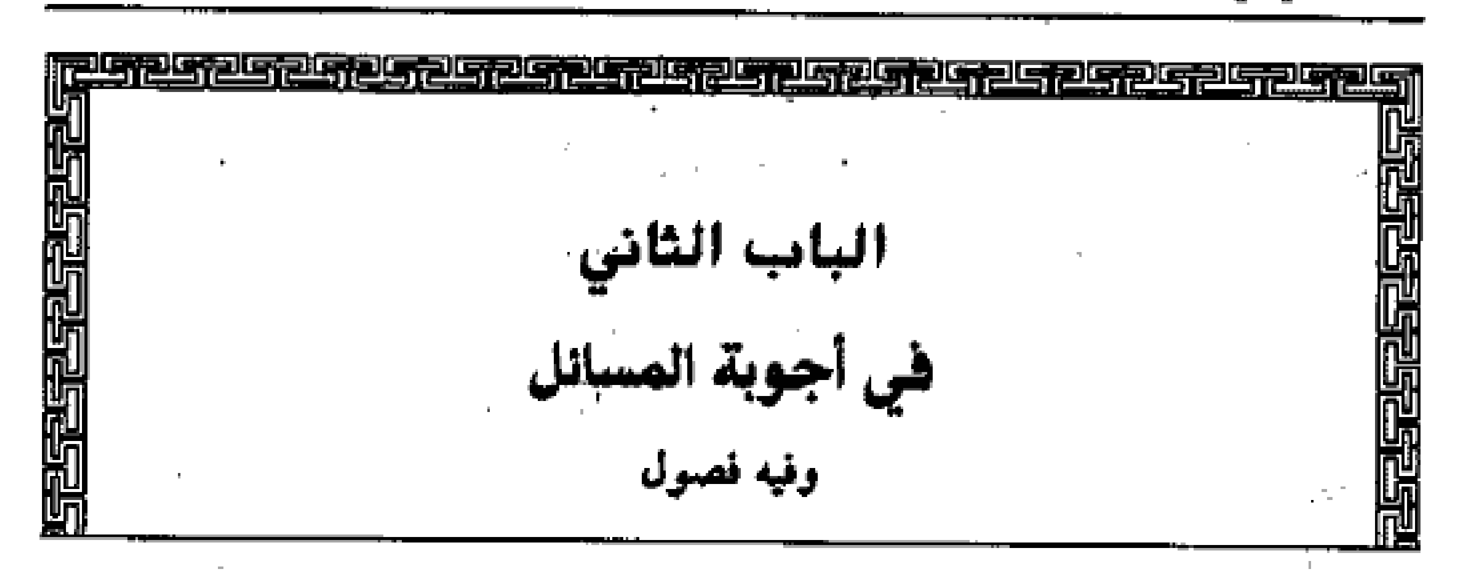
فيه الندبة بيا ولحوق الألف في آخر المندوب وإلا لقيل يا فارس لأنه نكرة مقصودة وجواز ندبة النكرة المقصودة (وقال علقمة الغساني):

طحا بك قلب في الحسان طروب   بعيد الشباب عصر حان مشيب

طحا اتسع وذهب كل مذهب وفيه إضافة عصر إلى الجملة (وقال امرؤ القيس):

قفي قبل التفرق يا ضباعا   ولا يك موقف منك الوداعا

فيه ترخيم ضباعة.



الباب الثاني
في أجوبة المسائل
وفيه فصول

الفصل الأول

في مسائل سئل عنها الشيخ المفيد عليه الرحمة في المسائل العكبرية

قال السائل الإمام عندنا مجمع على أنه يعلم ما يكون فما بال أمير المؤمنين عليه السلام خرج إلى المسجد وهو يعلم أنه مقتول وقد عرف قاتله والوقت والزمان، (وما بال) الحسين بن علي عليه السلام سار إلى الكوفة وقد علم أنهم يخذلونه ولا ينصرونه وأنه مقتول في سفرته هاتيك ولم لما حضر وعرف أن الماء قد منع منه وأنه إن حفر أذرعاً قريبة نبع الماء ولم يحفر وأعان على نفسه حتى تلف عطشاً، (والحسن عليه السلام) وادع معاوية وهادنه وهو يعلم أنه ينكث ولا يفي ويقتل شيعة أبيه عليه السلام.

فأجاب الشيخ رحمه الله عنها بقوله (أما الجواب) عن قوله إن الإمام يعلم ما يكون فإجماعنا أن الأمر على خلاف ما قال؛ وما أجمعت الشيعة على هذا القول وإنما إجماعهم ثابت على أن الإمام يعلم الحكم في كل ما يكون دون أن يكون عالماً بأعيان ما يحدث، ويكون علي التفصيل والتمييز وهذا يسقط الأصل الذي بني عليه الأسئلة بأجمعها ولسنا نمنع أن يعلم الإمام أعيان ما يحدث ويكون بإعلام الله تعالى أن له ذلك (فأما) القول بأنه يعلم كلما يكون فلسنا نطلقه ولا نصوب قائله لدعواه فيه من غير حجة ولا بيان؛ (والقول) بأن أمير المؤمنين عليه السلام كان يعلم قاتله والوقت

الذي يقتل فيه فقد جاء الخبر متظاهراً أنه كان يعلم في الجملة أنه مقتول وجاء أيضاً بأنه يعلم قاتله على التفصيل فأما علمه بوقت قتله فلم يأت عليه أثر على التحصيل ولو جاء به أثر لم يلزم فيه ما يظنه المعترضون إذ كان لا يمتنع أن يتعبده الله تعالى بالصبر على الشهادة والاستسلام للقتل ليبلغ بذلك من علو الدرجات ما لا يبلغه إلا به، ولعله بأن يطيعه في ذلك طاعة لو كلفها سواه لم يردها ولا يكون بذلك أمير المؤمنين عليه السلام ملقياً بيده إلى التهلكة ولا معيناً على نفسه معونة تستقبح في العقول. (وأما) علم الحسين عليه السلام بأن أهل الكوفة خاذلوه فلسنا نقطع على ذلك إذا لا حجة عليه من عقل ولا سمع ولو كان عالماً بذلك لكان الجواب عنه ما قد قدمناه في الجواب عن علم أمير المؤمنين عليه السلام بوقت قتله ومعرفته قاتله كما ذكرنا، (وأما) دعواه علينا أنا نقول إن الحسين عليه السلام كان عالماً بموضع الماء قادراً عليه فلسنا نقول ذلك ولا جاء به خبر على أن طلب الماء والاجتهاد فيه يقضي بخلاف ذلك ولو ثبت أنه كان عالماً بوضع الماء لم يمتنع في العقول أن يكون متعبداً بترك السعي في طلب الماء من حيث كان ممنوعاً منه حسبما ذكرناه في أمير المؤمنين عليه السلام، غير أن ظاهر الحال بخلاف ذلك على ما قدمناه، (والكلام) في علم الحسن عليه السلام بعاقبة موادعته معاوية بخلاف ما تقدم وقد جاء الخبر بعلمه بذلك وكان شاهد الحال له يقضي به غير أنه دفع به عن تعجيل قتله وتسليم أصحابه إلى معاوية وكان في ذلك لطف في بقائه إلى حال مضيه ولطف لبقاء كثير من شيعته وأهله وولده ودفع الفساد في الدين هو أعظم، ودفع الفساد الذي حصل عند هدنته وكان عليه السلام أعلم بما صنع لما ذكرناه وبينا الوجوه فيه إنتهى كلامه زاد الله تعالى في علو درجته.

وعن السيد مهنا بن سنان أنه سأل العلامة الحلي قدس سرهما عن مثل ذلك في أمير المؤمنين عليه السلام (فأجاب) بأنه يحتمل أن يكون أخبر بوقوع القتل في تلك الليلة ولم يعلم في أي وقت من تلك الليلة، أو أي مكان يقتل وأن تكليفه عليه السلام مغاير لتكليفنا فجاز أن يكون بذل مهجته الشريفة صلوات الله عليه في ذات الله تعالى كما يجب على المجاهد الثبات وإن كان ثباته يفضي إلى القتل. (وقد أجاب) السيد المرتضى علم الهدى رحمه الله في تنزيه الأنبياء عن خروج الحسين عليه السلام بما حاصله أنه عليه السلام لم يكن عالماً بأنه يقتل في وجهه ذلك ولم يكن بعيداً في العادة انتصاره على عدوه بعد ما جاءه من كتب أهل الكوفة وما أظهروا له من الطاعة.

(يقول) المؤلف عفى الله تعالى عنه؛ (أما) ما ذكره المفيد أعلى الله مقامه من أن الإمام عليه السلام لا يعلم جميع ما يكون إلا في الأحكام فهو الحق الذي لا شبهة فيه وكذلك النبي صلى الله عليه وآله إذا لم يدل على ذلك دليل من عقل ولا نقل؛ وإنما قام الدليل على عدم جواز جهل النبي أو الإمام شيئاً من الأحكام عند حاجة العباد إليه ولا يجب أن يعلم النبي صلى الله عليه وآله الأحكام كلها قبل وقت الحاجة إليها؛ وقد كانت الأحكام تنزل على النبي صلى الله عليه وآله تدريجاً بحسب الحاجة بل الدليل من النقل على عدم علم الإمام بل والنبي عليه السلام لبعض ما يحدث في غير الأحكام موجود بل لعله متواتر، كما أنه لا شك في أنهم كانوا يعلمون بعض ما يحدث بتعليم من الله عز وجل وما دل من الآثار على أنهم يعلمون علم ما كان وما يأتي محمول على أنهم إذا أرادوا أن يعلموا علموا بأقدار من الله تعالى أو بسؤال ملك يقال له المسدد كما يدل عليه بعض الأخبار؛ جمعاً بين ذلك وبين ما دل على عدم علمهم ببعض ما يكون ويشهد لهذا الجمع الأخبار أو أنهم يعلمون جملة من الوقائع المهمة لا جميع ما يكون؛ (وأما أمير المؤمنين عليه السلام) فيظهر من بعض الأخبار الواردة في شهادته وغيرها أنه كان عالماً بوقت قتله (فمن ذلك) ما عن الكافي بالإسناد عن الحسن بن الجهم قلت للرضا عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام قد عرف قاتله والليلة التي يقتل فيها والموضع الذي يقتل فيه؛ وقوله لما سمع صياح الأوز في الدار صوائح تتبعها نوائح وقول أم كلثوم لو صليت الليلة داخل الدار وأمرت غيرك يصلي بالناس فأبى عليها وكثر دخوله وخروجه تلك الليلة بلا سلاح وقد عرف عليه السلام أن ابن ملجم قاتله بالسيف كان هذا مما لم يجز تعرضه؛ فقال عليه السلام: ذلك كان ولكنه حينّ تلك الليلة لتمضي مقادير الله عز وجل، (ولكن) لا محذور في علمه عليه السلام بذلك كما أوضحه المفيد قدس سره، (أما الحسن عليه السلام) فلا ينبغي الارتياب في أنه كان عالماً بما صار إليه أمره مع معاوية من نكث عهده وعدم الوفاء له بما شرط له وقدم مع ذلك على الصلح دفعاً لما هو أعظم من المفاسد التي وقعت بسبب الصلح؛ بل كان يقع ذلك صالح أو لم يصالح ولكنه بالصلح خفف المفاسد التي كانت تقع لو لم يصالح فإن أكثر أصحابه كانوا منافقين وهواهم مع معاوية يراسلهم ويراسلونه ولو لم يصالح لسلموه إلى معاوية يداً بيد، ومن تأمل الآثار علم صحة ذلك وأمسهم به رحماً عبيد الله بن العباس ترك العسكر الذي أرسله الحسن عليه السلام مقدمة له وجعله أميره وانسل ليلاً إلى

معاوية فما الظن بغيره من المنافقين الذين كانوا رؤساء مطاعين والناس تقاتل تبعاً لهم حمية وغيرة لا للدين مثل الأشعث بن قيس الذي كان شريكاً في قتل أمير المؤمنين عليه السلام وإضرابه؛ وكان الأشعث رئيساً مطاعاً وأهل البصائر كانوا أقل قليل ومع ذلك فما فعل الحسن عليه السلام ما فعل إلا بأمر من الله تعالى ووصيه من رسوله ووصيه صلوات الله عليهما.

(وأما الحسين عليه السلام) فلا يبعد أنه كان عالماً بأنه يقتل في ذلك الوجه كما يظهر لمن تأمل الأخبار الواردة في الوقعة من مبدأ خروجه من المدينة إلى حين قتله كما أوضحناه في خاتمة (لواعج الأشجان) وفي إقناع اللائم على إقامة المآتم وقد كان مأموراً بالجهاد وإن علم أنه يقتل لما عمل الله في مبايعته ليزيد ولو قهراً من المفاسد التي تهدم أساس الدين فقد فدى دين جده بنفسه ونال الدرجة العالية بشهادته ولا قبح في ذلك ولا محذور وقد كلف الله تعالى كثيراً من عباده بالصبر على القتل لمصلحة ليست بأهم مما ذكرناه والله العالم.

وعلى ذكر الأشعث بن قيس ونفاقه وعداوته لأمير المؤمنين عليه السلام وذريته نقول إن هذه العداوة تورثها منه أبناؤه، (روى) الكليني في الكافي بسنده عن الصادق عليه السلام إن الأشعث بن قيس شرك في دم أمير المؤمنين عليه السلام وابنته جعدة سمت الحسن عليه السلام ومحمد ابنه شرك في دم الحسين عليه السلام انتهى. (أقول) وذلك لأن الأشعث تآمر مع ابن ملجم وصاحبيه في قتل أمير المؤمنين عليه السلام وأعانهم وشجعهم على ذلك، وابنه محمد هو الذي أرسله ابن زياد مع جماعة للقبض على مسلم بن عقيل وهو الذي أعطى مسلماً الأمان ولم ينفعه ذلك، وكان مع النفر الذين ألحوا على هاني حتى ذهب معهم إلى ابن زياد فقتله وكان عالماً بحقيقة الحال، وأرسله ابن زياد إلى حرب الحسين عليه السلام مدداً لابن سعد في ألف فارس، وهو الذي قال للحسين عليه السلام عند أول الحرب يا حسين ابن فاطمة أي حرمة لك من رسول الله صلى الله عليه وآله ليست لغيرك، فتلا الحسين عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ٣٣-٣٤]، ثم قال: والله إن محمداً لمن آل إبراهيم وإن العترة الهادية لمن آل محمد، من الرجل فقيل محمد بن الأشعث بن قيس الكندي فرفع رأسه إلى السماء فقال اللهم أر محمد ابن الأشعث ذلاً في هذا اليوم لا تعزه بعد هذا اليوم أبداً فعرض له عارض فخرج من العسكر يتبرز فسلط الله عليه عقرباً فلدغته فمات بادي العورة.

الفصل الثاني

في مسائل سئل عنها المحقق الكركي قدس سره

وجدنا بخط الشيخ علي بن أبي الفتح المزرعي العاملي بتاريخ سنة تسعمائة وعشر ما صورته.

من فوائد الشيخ الأجل شيخ الإسلام والمسلمين العلامة المحقق المدقق آخر المجتهدين؛ الشيخ نور الدين علي بن عبد العالي قدس الله روحه؛ وكان عما كتب دامت سيادته.

(أقول) المراد به المحقق الكركي وإن لم يصرح به لا المحقق الميسي المتحد معه في الاسم واللقب واسم الأب والعصر وتقارب تاريخ الوفاة، فالكركي توفي سنة تسعمائة وأربعين أو سبع وثلاثين، والميسي توفي سنة تسعمائة وثمان وثلاثين أو ثلاث وثلاثين وذلك للتصريح في المسألة الثالثة وجوابها بأن المسؤول يرى استجاب التسليم والذي يرى ذلك هو المحقق الكركي ولم ينقل مثله عن الميسي ويدل آخر الكلام المتقدم على أن السائل عنها بعض من لهم السيادة.

مسألة ١: قوله في التحرير في التيمم (لا فرق بين جوانب المنزل وصوب المقصد) هل هذا رد على أحد أو احتمال فإن المفيد رحمه الله قال: إنه لا يجب الطلب واستشكله وكذا ابن فهد رحمه الله إلا أن العبارة لا تنطبق للرد على هذا القول؛ فالمسؤول من فضل سيدي إيضاح ذلك بنظره الثاقب وفكره الصائب.

(الجواب) إن ذلك رد على الشافعي لا على أحد من أصحابنا لعدم المطابقة؛ وهذا البحث كالمتمم لفائدة البحث الذي قبله (وتحقيقه) أنه لو غلب على ظنه وجود الماء في الزائد على الغلوتين أو الغلوة وجب عليه طلبه مع المكنة ولا فرق في ذلك بين كون الماء المطلوب عن يمين المنزل أو يساره أو غير ذلك من جوانبه أو صوب مقصده والشافعي يفرق فيوجب السعي إذا كان الماء عن يمين المنزل ويساره دون صوب المقصد معللاً فيه بنسبة جوانب المنزل إليه دون صوب الطريق وضعفه ظاهر.

مسألة ٢: ذكر الشهيد في ذكراه إن الحديد المشرب بالنجس في طهارته بتشربته في الكثير الطاهر احتمال فظاهر العبارة أنه لا يطهر بدون التشربة وسمعنا من بعض

من عاصرناه أنه يطهر بالكثير بدون التشربة إلا أنه كلما حكه بالمسن يجب تطهيره فسيدي من فضله يكشف لعبده اللبس عن ذلك بما يقويه.

الجواب: إنما أراد شيخنا بتشربته بالكثير الطاهر طهارته بجملته أعني ظاهره وباطنه؛ فإن طهاره ظاهره بالكثير والقليل على الوجه المعتبر مما لا يشك فيه قطعاً ولم يرجع هو رحمه الله فإن عبارته إنما تتناول طهارته بجملته يظهر ذلك بالتأمل الصحيح لعبارته. ووجه طهارته بذلك عموم النص الشامل له وإمكان انفصال الغسالة عنه؛ نعم كلما بدا منه أجزاء لم يصبها الماء المطهر بحك أو غيره احتيج إلى تطهيره لذلك مع احتمال أن لا ينجس بالتشربة بالنجس في ظاهره وإن كان فيه بعد والله أعلم.

مسألة ٣: هل المولى مستمر على القول بندبية التسليم فعلى القول به لو نوى الإنسان الوجوب للاحتياط تفصياً من الخلاف هل تبطل صلاته وهل وجود الخلاف شبهة في إسقاط ذلك الاعتقاد.

الجواب: إن القول بندبية التسليم قوي متين وإن القول بالوجوب لا يخلو عن حجة قوية وفي مثل هذا نية الوجوب على قصد الاحتياط جائزة قطعاً لعموم الأمر بالاحتياط، ولا تبطل به الصلاة قطعاً فإنه إذا كان ندباً لم تبطل بالحدث المتخلل بينها وبينه فكيف الظن بهذا الاعتقاد والله أعلم.

مسألة ٤: لو دفع شخص إلى آخر شيئاً عطية لصداقة بينهما من غير تصريح بوجه من الوجوه؛ أو دفع الزوج إلى زوجته قبل الدخول شيئاً على سبيل الهدية في الظاهر من غير تصريح أو الأب لولده ثم بعد تلف العين طلب الرجوع في ذلك فهل يقبل منه الرجوع؛ وكذا لو كانت العين باقية أفتونا مأجورين رحمكم الله.

الجواب: ليس له الرجوع بعد التلف لأنه غير مضمون العاقبة ولعموم الإذن أيضاً بالتصرف المستفاد من الفعل أعني الدفع على سبيل الإهداء ولإجماع الناس في جميع الأعصار والأمصار على قبول الهدية من غير وجود عقد. (سقط هنا من النسخة جواب ذيل السؤال).

مسألة ٥: لو أخل عامل المساقاة ببعض ما شرط عليه فماذا يثبت له وعليه أوضحوا لعبدكم هذه المسألة.

الجواب: المحفوظ أن المالك يتخير بين فسخ العقد لفوات الشرط وبين إلزام العامل بأجرة نفس العمل المشروط لوجوبه، وقد فات فيرجع إلى عوضه فإن فسخ المالك احتمل ثبوت أجرة المثل للعامل فيما عمل لأنه عمل محترم صدر بالإذن لأن ما أذن في جملته فقد أذن في إبعاضه قطعاً وعدم الوفاء بالشرط أثر ثبوت الخيار ويحتمل أن لا أجرة بالكلية لأن الإذن في العمل مقيد بالشرط فيرتفع بارتفاعه لارتفاع الجنس بارتفاع الفصل ومن ثم لا يجوز التصرف في العين المأخوذة بالبيع الفاسد إذا علم الفساد وحينئذٍ فيكون متبرعاً بالعمل فلا يستحق ولأن المبذول هو الحصة وقد فاتت بالفسخ والتفويت من قبل العامل ولا يستحق شيئاً غيرها ونحن في ذلك من المتوقفين إلى أوان التأمل الصادق له وإن كان الثاني لا يخلو من وضوح.

مسألة ٦: المشهور عندنا تقديم قول الزوج في دعوى مهر المثل وعدم تقديره بمهر السنة: فهل هذا مذهب مولانا فإن قلنا به فهل حكم وارث الزوجين حكمهما في ذلك.

الجواب: أما تقديم قول الزوج في دعوى مهر المثل فإنما هو بعد الدخول إذا أنكر الزوج أصل المهر وللكلام فيه مجال؛ وأما عدم تقديره بمهر السنة فأقول به وحكم وارث الزوجين حكمهما لانتقال الحق إلى كل منهما والله أعلم.

مسألة ٧: لا تجوز الصلاة نفلاً لمن عليه فريضة واستثني من ذلك ما لا يضر بالفرض ما المراد بالإضرار وهل يذهب سيدي إلى ذلك.

الجواب: القول بالتوسعة المحضة هو الوجه والمراد بالإضرار بالقضاء هو الاشتغال به على وجه يستوفي توجه النفس، بحيث لا يبقى معه توجه إلى تمام فعل القضاء وليس هذا بخارج عن القول بالتوسعة المحضة فإن شيخنا ذكر ذلك في البيان وأحال تحقيقه على الذكرى وفيها اختار التوسعة.

مسألة ٨: اللحن في العقود مبطل لها أم لا، وهل فرق في ذلك بين مغير المعنى وغيره وهل فرق بين النكاح وغيره.

الجواب: نعم هو مبطل لها إذا كانت لازمة سواء غير معنى أم لا لتوقف ترتب أثر العقود على اللفظ المخصوص، وإصالة بقائه على ما كان قبلها حتى يحصل المزيل الشرعي وهو الإيجاب والقبول على قانون العرب ومن ثم لم تكن المعاطاة

عقداً وكان الأصح عدم جواز تقديم القبول على الإيجاب وهذا بخلاف غير اللازم للاكتفاء فيها بمجرد الأفعال الدالة على القصود فالأقوال أولى ولا يفرق بين النكاح وغيره سوى في جواز تقديم القبول تخفيفاً لحياء المرأة غالباً.

مسألة ٩: لو أقر إنسان لغيره بشيء عند شهود أو عند المقر له مع علم المقر له بسبق الملك ولم يعلم وجه انتقاله فهل له بهذا الإقرار التصرف في المقر به أفتنا مأجوراً.

الجواب: نعم لعموم قولهم ﷺ إقرار العقلاء على أنفسهم جائز ولإصالة الصحة في إخبار المسلم إلا ما أخرجه دليل وحينئذٍ فيجوز له التصرف بما أقر له به لاستلزامه سبباً موجباً للملك إذا لا يتم صحة الإقرار إلا به والعلم بعينه غير شرط إنما الشرط ثبوته في الجملة في نظر الشرع، والله أعلم.

مسألة ١٠: ما يقول سيدي فيمن له محل عند الناس وعلى ظاهر العدالة غير أنه يستخف بالطلبة من غير ذنب فينسبهم إلى الأخلاق السيئة ويعرض عنهم غاية الإعراض فهل هذا قادح في عدالته وإذا استغفر مطلقاً من غير ذنب ذكره هل يحكم بعود عدالته وإذا ذكر أنه تائب من ذلك ثم لم ير منه أثر التوبة فهل يكفي قوله أم لا أفتنا مأجوراً.

الجواب: ذلك أسوأ حالاً من الغيبة وإن لم يكن ذلك باستخفاف، ويقدح في عدالته إن أصر عليه قطعاً ومع عدم ظهور إمارة الإقلاع احتمال وإن ظهر أن إستخفافه بهم وإعراضه عنهم لخصوصية كونهم طلبة لا لأمر آخر خشي عليه من أمر آخر وراء ذلك وإنما يحكم بعود عدالته إذا ظهر منه إمارة الإقلاع والندم على ذلك على وجه يفيد ظن ذلك؛ والله أعلم.

مسألة ١١: قولهم فإن الميت لا قول له وإن كان مجتهداً فإذا أفتى المجتهد الحي بضده تعين وترك فتوى الأول، فإذا مات الآخر ولم يوجد بعده مجتهد أصلاً أو تعذر أو تعسر الوصول إليه فهل الحكم على حاله أو يتخير المستفتي في العمل بقول كل منهما وإذا كان الواسطة مقلداً ومات فهل يجوز العمل بما أخذ عنه أو وجد بخطه نقلاً عن شيخه سواء وجد مقلد مساوله أو أعلم نقل ما نافى ذلك أو لا عن مجتهد أو مقلد هل يتعين الترافع إلى الأعلم من النقلة والأخذ عنه أولاً لأن ذلك لم

يذكره العلماء إلا في حق المجتهدين، أفتنا مسهلاً بلغك الله جميع مأمولك أنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير.

الجواب: بعد موت المجتهد الثاني يتساوى قوله وقول الأول من هذه الجهة ويطلب الترجيح بالنسبة إلى جهة أخرى كالعلم ومع التساوي يتخير هذا إن قلنا بالتعويل على أقاويل الموتى كما يراه بعض العلماء وليس بشيء، لأن هذا المذهب إنما يعرف لبعض العامة وهو المشهور بينهم[١] وأما أصحابنا الإمامية رضوان الله عليهم فإنهم بين قائل بجوازه لمن له قول وهو الفقيه العدل الحي والحجة على ذلك مشهورة وتعسر الاجتهاد لو صح لم يكن سبباً للجواز إذا لو تعذر العلم بشيء من الأحكام الشرعية لم ينتقل حكم التكليف، كيف وذلك من تقصير المكلف وفي بعض الأخبار إشارة إلى ذلك وربما وجد لبعض شراح مبادئ الأصول[٢] القول بالأول[٣] ويحكى عن الفاضل المحقق فخر الدين[٤] والشيخ أحمد بن فهد رحمهما الله والعجب التعسر (وكذا) في ذلك على التمسك بكلامهما أو كلام غيرهما مع أن التقليد لا محل له في هذه المسألة إذا ليست من مسائل الفقه، وإنما محل التقليد مسائله وأعجب من ذلك تقليدهما والإعراض عن كلام رؤساء الأصحاب فإن كان ميلاً إلى الرخص فأعجب على أنهما لا يعدان من علماء الأصولين والله أعلم (وكتب علي بن عبد العالي).

---

(١) عبارة الجواب من هنا إلى الآخر فيها خلل ظاهر سببه سقوط شيء من قلم الناسخ وحقها أن تكون هكذا أو نحوه.
وأما أصحابنا الإمامية فاتفقوا على عدم جواز تقليد الميت فإنهم بين قائل بوجوب الاجتهاد عيناً وعدم جواز التقليد وبين قائل بجوازه لمن له قول وهو الفقيه العدل الحي أما المقلد فلا يجوز الرجوع إلى قوله وتعسر الاجتهاد لو صح لم يكن سبباً للجواز الخ.

(٢) لعل المراد به كتاب مبادئ الوصول إلى علم الأصول للعلامة الحلي.

(٣) لم يظهر المراد منه وكأن المراد به تقليد الميت أو الرجوع إلى قول المقلد.

(٤) هو ولد العلامة الحلي. (المؤلف).

الفصل الثالث

في أجوبة المسائل الدمشقية التي سئل عنها المؤلف

وقد أفردنا لذلك كتاباً مستقلاً وما نذكره هنا بعض من ذلك

مسألة ١: ما حكم الصيد إذا كبر الإنسان عند إطلاق البندقية ونزل الطير ميتاً مصاباً بالخردق أو البارود.

الجواب: لا يحل أكله وإنما ذلك في الرمي بالسهم ونحوه من الآلة الجارحة؛ لأنه هو الذي ورد فيه النص من الشارع والتذكية أمر شرعي جعل لها الشارع أسباباً خاصة وما لم ينص عليه الشارع لم يثبت كونه سبباً للتذكية والحيوان إنما يحل بعد الموت بالتذكية فما شك في تذكية فالأصل فيه عدم التذكية فيحرم والله أعلم.

مسألة ٢: يشتري الرجل بضاعة من التاجر بالدين فيقيدها عليه قروشاً كما هو المتعارف في الشام عند السمان والخبار وغيرهما ثم يزيد سعر الليرة أو ينقص فهل لهذا البائع أن يأخذ دينه بحسب سعر الليرة يوم الدين أو ليس له أخذه إلا بحسب سعرها يوم الوفاء؛ أوله أخذ ثمن المثل إذا كان البيع غير صحيح وكيف يكون البيع صحيحاً أو فاسداً.

الجواب: هذه البيوع المتعارفة بالقروش فاسدة لأن القرش ليس له مسمى في الخارج معين يقصد حين البيع وإنما يقصد به جزء من خمسة وعشرين جزءاً من ريال مجيدي؛ أو جزء من مائتين وخمسين جزءاً من ليرة عثمانية مثلاً أو من غير ذلك فهو كلي مصاديقه مرددة بين الذهب والفضة ومن شرط صحة البيع تعيين الثمن والمثمن، وعليه فيكون للبائع في ذمة المشتري في الفرض المذكور مثل السلعة التي اشتراها وتلفت وليس له في ذمته قروش، نعم لو عين القروش ذهباً أو فضة فيكون له ما عين زادت قيمته أو نقصت والله أعلم.

مسألة ٣: هل للزانية عدة وهل تتفاوت الحال بينما إذا شك أو تبين أنها حامل أو لا.

الجواب: لا حرمة لماء الزاني ولا فرق بين الحامل وغيرها؛ لكن الأحوط

والأفضل استبراؤها بحيضة خوفاً من اختلاط المياه والأنساب إذا لم يظهر حملها والله أعلم.

مسألة ٤: من أتبع دين البهائية هل يجب على أخته أو أمه أو غيرهما من المحارم أن يتسترن منه بحيث لا يرى شعورهن وبدنهن.

الجواب: لا يجب لأن تحريم المحارم والأحكام اللاحقه بها منوطة في الكتاب العزيز والسنة المطهرة بصدق اسم الأم والأخت والبنت وغير ذلك؛ والتقييد لا دليل عليه والله أعلم.

مسألة ٥: رجل أوصى بمبلغ معين من القروش ثم زاد سعر الليرة فهل يؤخذ هذا المبلغ بحسب سعر الليرة يوم الوصية أو بحسب سعرها عند إرادة انفاذ الوصية.

الجواب: القرش اسم لمسمى كلي مردد بين الذهب والفضة كما مر في جواب السؤال الثاني ويمقتضى ذلك إن للوارث والوصي إخراج ما يسمى قرشاً زاد سعر الليرة أو نقص ولكن يحتمل انصراف الوصية إلى سعر الليرة عند الوصية باعتبار أن الذهب صار أساساً للمعاملات في هذا الوقت فالأحوط مع بلوغ الوارث ورضاه الأخذ بحسب سعر الليرة عند الوصية؛ ولكن الأقوى الأول والله أعلم.

مسألة ٦: أرجو أن تشرحوا لي كيف كانت سيرة النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام والصحابة رضوان الله عليهم في الجمع والتفريق بين الصلاتين.

الجواب: الذي ثبت من سيرة النبي ﷺ ومذهب أئمة أهل البيت عليهم السلام أنه إذا زالت الشمس دخل وقت الظهر والعصر، إلا أن هذه قبل هذه حتى تغيب الشمس وتختص الظهر من أوله؛ أدائها والعصر من آخره كذلك بقدر وكذلك المغرب والعشاء وبذلك قال كثير من فقهاء أهل البيت عليهم السلام وقيل: لا تختص فلو كان معذوراً في تقديم إحداهما على الأخرى لنسيان صحت ولو في الوقت المختص، وتدل بعض الروايات على احتسابها الأولى فيأتي بالثانية يجوز الجمع بين الصلاتين اختياراً في الحضر.

وقد روى مسلم في صحيحه ما يدل على ذلك صريحاً في عدة روايات؛ (فقال) في باب جواز الجمع بين الصلاتين في السفر ما لفظه[1] حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة

---

(١) ص ٤١٦ ج ٣ بهامش إرشاد الساري طبع مصر.

وأبو كريب قالا حدثنا أبو معاوية (ح) وحدثنا أبو كريب وأبو سعيد الأشج واللفظ لأبي كريب قالا حدثنا وكيع كلاهما عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: جمع رسول الله ﷺ بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالمدينة في غير خوف ولا مطر.

في حديث وكيع قلت لابن عباس ما أراد إلى ذلك؛ قال: أراد أن لا يحرج أمته. وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو عن جابر ابن زيد عن ابن عباس صليت مع النبي ﷺ ثمانياً جميعاً وسبعاً جميعاً قلت يا أبا الشعثاء أظنه أخر الظهر وعجل العصر وأخر المغرب وعجل العشاء قال وأنا أظن ذلك[1].
حدثنا أبو الربيع الزهراني حدثنا حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن جابر بن زيد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ صلى بالمدينة سبعاً وثمانياً الظهر والعصر والمغرب والعشاء. وحدثنا أبو الربيع الزهراني حدثنا حماد عن الزبير بن الخريت عن عبد الله ابن شقيق قال خطبنا ابن عباس يوماً بعد الظهر حتى غربت الشمس وبدت النجوم وجعل الناس يقولون الصلاة الصلاة فجاء رجل من بني تميم لا يفتر ولا ينثني الصلاة الصلاة فقال ابن عباس أتعلمني بالسنة لا أم لك، ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ جمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء قال عبد الله بن شقيق فحاك في صدري من ذلك شيء[2] فأتيت أبا هريرة فسألته فصدق مقالته. وحدثنا ابن أبي عمر حدثنا وكيع حدثنا عمران بن حدير عن عبد الله بن شقيق العقيلي قال: قال: رجل لابن عباس الصلاة فسكت ثم قال: الصلاة فسكت ثم قال: الصلاة فسكت؛ ثم قال: لا أم لك أتعلمنا بالصلاة كنا نجمع بين الصلاتين على عهد رسول الله ﷺ.

قال النووي في شرح صحيح مسلم ما لفظه: هذه الروايات الثابتة في مسلم كما تراها وللعلماء فيها تأويلات ومذاهب وقد قال الترمذي في آخر كتابه: ليس في كتابي حديث أجمعت الأمة على ترك العمل به إلا حديث ابن عباس في الجمع بالمدينة من غير خوف ولا مطر، وحديث قتل شارب الخمر في المرة الرابعة وهذا

---

(١) هذا ظن لا يغني من الحق شيئاً ولا يساعده إطلاق اللفظ ولا يدل عليه شيء من الروايات الأخر إن لم تدل على خلافه (المؤلف).

(٢) أي وقع في نفسي نوع شك وتعجب واستبعاد (النووي).

الذي قاله الترمذي في حديث شارب الخمر هو كما قاله فهو حديث منسوخ دل الإجماع على نسخه وأما حديث ابن عباس فلم يجمعوا على ترك العمل به بل لهم أقوال؛ (منهم) من تأوله على أنه جمع بعذر المطر وهذا مشهور من جماعة من الكبار المتقدمين وهو ضعيف بالرواية الأخرى من غير خوف ولا مطر، (ومنهم) من تأوله على أنه كان في غيم فصلى الظهر ثم انكشف الغيم وبان أن وقت العصر دخل فصلاها وهذا أيضاً باطل لأنه وإن كان فيه أدنى احتمال في الظهر والعصر لا احتمال فيه في المغرب والعشاء، (ومنهم) من تأوله على تأخير الأولى إلى آخر وقتها فصلاها فيه فلما فرغ منها دخلت الثانية فصلاها فصارت صلاته صورة جمع وهذا ضعيف وباطل لأنه مخالف للظاهر مخالفة لا تحتمل وفعل ابن عباس الذي ذكرناه حين خطب واستدلاله بالحديث لتصويب فعله وتصديق أبي هريرة وعدم إنكاره صريح في رد هذا التأويل، (ومنهم) من قال هو محمول على الجمع بعذر المرض أو نحوه مما هو في معناه من الأعذار وهذا قول أحمد بن حنبل والقاضي حسين من أصحابنا واختاره الخطابي والمتولي والروياني من أصحابنا وهو المختار في تأوله لظاهر الحديث ولفعل ابن عباس وموافقة أبي هريرة ولأن المشقة فيه أشد من المطر وذهب جماعة من الأئمة إلى جواز الجمع في الحضر للحاجة لمن لا يتخذه عادة وهو قول ابن سيرين وأشهب من أصحاب مالك وحكاه الخطابي عن القفال والشاشي الكبير من أصحاب الشافعي عن أبي إسحاق المروزي عن جماعة من أصحاب الحديث واختاره ابن المنذر ويؤيده ظاهر قول ابن عباس أراد أن لا يحرج أمته فلم يعلله بمرض ولا غيره؛ انتهى كلام النووي.

(وأقول) ما أدري ما الذي يدعو إلى ارتكاب التأويلات الفاسدة في الأحاديث الصريحة فإن كان لزعم مخالفة الحديث لإجماع الأمة كما سمعت عن الترمذي فهو زعم فاسد، وكيف يدعي إجماع الأمة على أمر خالف فيه مثل ابن عباس حبر الأمة وخالف فيه أبو هريرة من الصحابة كما يدل عليه تصديقه لمقالة ابن عباس كما سمعت وخالف فيه من الصحابة أيضاً علي عليه السلام وابن عمر وأبو موسى وجابر وسعد بن أبي وقاص وعائشة كما ستعرف حكاية الشهيد رواية العامة ذلك عنهم، وخالف فيه أئمة أهل البيت عليهم السلام وجماعة من علماء أهل السنة باعتراف النووي كما عرفت ودلت عليه الروايات الصريحة المودعة في أحد الصحاح الستة ومن أصحها، (أما

التأويلات) التي نقلها النووي فقد كفانا مؤنة بيان فسادها، (وأما) التأويل الذي اختاره هو فلا يقل عنها ظهور فساده فإن ظاهر أحاديث ابن عباس جواز الجمع لا لعذر أصلاً وأن السبب في فعل النبي ﷺ ذلك إرادة التسهيل على أمته وعدم التضييق عليها ففعل ذلك لبيان جوازه؛ وإنما اقتصر على المطر والخوف لأنهما من الأعذار الغالبة والمريض غالباً يصلي في بيته ولا يحضر الجماعة وهل يتصور عاقل أن ابن عباس الذي خطبهم من بعد العصر حتى غربت الشمس وبدت النجوم كان مريضاً ولذلك أخر صلاة المغرب عن أول وقتها؛ وأراد أن يجمع بينها وبين العشاء واستشهد بما رواه عن النبي ﷺ من الجمع بين الصلاتين وإذا كان النبي ﷺ جمع لمرض فكيف ساغ لابن عباس أن يجمع وهو صحيح يخطب الناس من العصر إلى ظهور النجوم حتى زاحم وقت فضيلة المغرب وقام الناس ينادون الصلاة الصلاة، وإذا كان النبي ﷺ جمع في حال المرض فكيف ساغ لابن عباس أن يطلق كلامه وهو في مقام البيان ولا يقيده بحال المرض فهذا التأويل أيضاً ساقط كبقية التأويلات التي نقلها، (وأما) قوله لظاهر الحديث فلا أدري أي ظاهر يدل على ذلك بل ظاهره إن لم يكن صريحه غير هذا التأويل وكذا قوله ولفعل ابن عباس فإن فعله صريح كما عرفت في نفي هذا التأويل وكذا موافقة أبي هريرة له (أما قوله) ولأن المشقة أشد فيه من المطر فطريف إذ يقال له ثبت العرش ثم أنقش فمن سلم التقييد بالمطر حتى يقاس عليه المرض ويقيد به ويحمل عليه إطلاق الحديث (والعجب) منه كيف اختار هذا التأويل مع اعترافه أخيراً بأن ذلك خلاف ظاهر قول ابن عباس حيث لم يقيد بمرض ولا غيره.

(وروى) البخاري في صحيحه في آخر باب صلاة العصر بالإسناد عن أبي أمامة صلينا مع عمر بن عبد العزيز الظهر ثم خرجنا حتى دخلنا على أنس ابن مالك فوجدناه يصلي العصر؛ فقلت يا عم ما هذه الصلاة التي صليت قال العصر وهذه صلاة رسول الله ﷺ التي كنا نصلي معه (قال القسطلاني) في شرح صحيح البخاري وأخرجه مسلم والنسائي في الصلاة انتهى. والتعجب يدل على أنه قدمها على الوقت كما قاله شيخنا في الذكرى فيبطل بذلك اعتذار القسطلاني بأن عمر بن عبد العزيز أخر الظهر إلى آخر وقتها حتى كانت صلاة أنس العصر عقيبها قبل أن تبلغه السنة في التعجيل أو لعذر عرض فإنه لو كان كذلك لما كان لقوله يا عم ما هذه

الصلاة متعجباً ومنكراً عليه معنى؛ (وعلى كل حال) فلا خلاف عندنا في جواز الجمع حضراً وسفراً للمختار وغيره (قال الشهيد في الذكرى) ورواه العامة عن علي عليه السلام وابن عباس وابن عمر وأبي موسى وجابر وسعد بن أبي وقاص وعائشة؛ وروى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله جمع بين الظهرين والعشاءين من غير خوف ولا سفر؛ وفي لفظ آخر من غير خوف ولا مطر وكلاهما في الصحاح انتهى.

ومعظم أهل السنة على عدم جواز الجمع بين الصلاتين لغير عذر محتجين بأن المواقيت ثبتت تواتراً من قول النبي صلى الله عليه وآله وفعله، (وجوابهم) الأحاديث السابقة وأنهم قائلون بجواز الجمع في السفر والعذر فلو كان الوقت غير مضروب للفريضة الثانية لاستحال فعلها فيه كما استحال جمع الصبح والظهر والعصر والمغرب في وقت أحدهما ذكره الشهيد في الذكرى قال وابن المنذر عن أئمتهم لما صح عنده أحاديث الجمع ذهب إلى جوازه كما قاله الإمامية إنتهى، وقد عرفت نقل النووي له عن غير ابن المنذر وميله إليه هذا الكلام في جواز الجمع.

وأما استحباب التفريق ففي صلاة المغرب والعشاء لا إشكال ولا خلاف في استحبابه بين أصحابنا وتدل عليه النصوص الواردة عن أئمتنا عليهم السلام، وأول وقت فضيلة العشاء ذهاب الشفق المغربي فلها وقت فضيلة ووقتا أجزاء، (أما) الظهر والعصر فاختلفت فيهما الروايات ظاهراً ولذلك اختلفت الأقوال من فقهائنا، (ففي) شملة من روايات أهل البيت عليهم السلام أن حائط مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله كان بقدر قامة قبل أن يسقف فكان إذا بلغ الظل ذراعاً بذراع اليد أي قدمين أي سبعي الشاخص لأن قامة كل أحد سبعة أشبار بشبره صلى الظهر فإذا بلغ الظل ذراعين صلى العصر، وفسرت ذلك جملة من الأخبار بأن الذراع هو وقت لنافلة الظهر فيستحب لمن يصلي النافلة تأخير الظهر عن أول الوقت وغايته إلى الذراع فإذا لم يصل النافلة استحب له صلاة الظهر أول وقتها وإذا صلى النافلة قبل انتهاء الذراع استحب له تعجيل الفرض وإذا لم يصل النافلة حتى مضى الذراع فقد خرج وقتها فيصلي الفريضة ويقضي النافلة وأن الذراعين وقت لنافلة العصر على نحو ما مر في الظهر، وعلى هذا فاستحباب التفريق والتأخير في الظهرين إنما هو لمريد صلاة النافلة أما من لا يريد صلاتها فالأفضل له تعجيل الظهر وبعدها العصر هكذا تدل جملة من الأخبار، وأفتى به

بعض العلماء (وفي) جملة من روايات أهل البيت عليهم السلام أن وقت صلاة الظهر من الزوال إلى أن يصير الظل قامة أي ظل كل شيء مثله ووقت العصر قامة ونصف إلى قامتين أي إلى أن يصير ظل كل شيء مثليه، (وفي) بعض الأخبار تفسير القامة والقامتين بالذراع والذراعين وأن قامة رجل رسول الله صلى الله عليه وآله كانت ذراعاً؛ (وفي بعضها) أن وقت الظهر بعد الزوال بقدم وهو محمول على إمكان صلاة النافلة في ذلك؛ (وجماعة) من محققي علمائنا منهم الشهيد في الذكرى وصاحب الجواهر يرون استحباب التفريق بين الظهر والعصر وإن للعصر وقت فضيلة ووقتي أجزاء كالعشاء إلا في مواضع مخصوصة مذكورة في كتب الفقه، (وأول) وقت فضيلة العصر بعد خروج وقت فضيلة الظهر إما المقدر بالنافلتين والظهر أو المقدر بما تقدم من الأقدام أو المثل وتقديره بالأقدام غير بعيد لوجود إمارة التقية في التجديد بالقامة من تفسيرها بالذراع بعيد عن ظاهر اللفظ وامتناع الإمام عليه السلام عن الجواب في بعض الروايات.

(وكيف كان) فيدل على استحباب التفريق ما ذكره الشهيد في الذكرى بقوله لأنه المعلوم من حال النبي صلى الله عليه وآله حتى أن رواية الجمع بين الصلاتين فتشهد بذلك وقد صرح به المفيد في باب عمل الجمعة قال: والفرق بين الصلاتين في سائر الأيام مع الاختيار وعدم العوارض أفضل، قد ثبتت السنة به إلا في يوم الجمعة وظهري عرفة وعشائي المزدلفة فالجمع أفضل، وابن الجنيد حيث قال لا يختار أن يأتي الحاضر بالعصر عقيب الظهر التي صلاها مع الزوال إلا مسافراً أو عليلاً أو خائفاً ما يقطعه عنها بل الاستحباب للحاضر أن يقدم بعد الزوال وقبل فريضة الظهر شيئاً من التطوع إلى أن تزول الشمس قدمين أو ذراعاً من وقت زوالها ثم يأتي بالظهر ويعقبها بالتطوع من التسبيح أو الصلاة حتى ظن مصير الفيء أربعة أقدام أو ذراعين ثم يصلي العصر ولمن أراد الجمع بينهما من غير صلاة أن يفصل بينهما بمائة تسبيحة. والأصحاب في المعنى قائلون باستحباب التأخير وإن لم يصرح بعضهم اعتماداً على صلاة النافلة بين الفريضتين انتهى. (وفي الجواهر) وأما العصر فالذي يظهر من ملاحظة النصوص وما تضمنته من انتظار الصلاة بعد الصلاة ومن إضافة الوقت فيها إلى العصر وأن لكل صلاة وقتين وأن المواقيت خمس وتأخير المستحاضة والمسافر الظهر إلى وقت العصر وأن الجمع رخصة للسفر أو العلة أو الجمعة أو نحو ذلك مما لا يخفى على

من استقرأ جميع نصوص الباب الواردة في الكتب الأربعة وغيرها أنها تؤخر عن أول الوقت؛ وأن لها وقتين أجزائيين سابق ولاحق كالعشاء؛ بل ظاهر أخبار عمر بن حنظلة وأحمد بن عمر وأحمد بن أبي نصر وزرارة وابن وهب وابن ميسر وخبر الفضل بن شاذان المروي عن العلل والعيون المشتمل على علل المواقيت وخبر المجالس المشتمل على تعليم محمد بن أبي بكر لما ولي مصر وما في نهج البلاغة وغير ذلك مما لا يسع الفقيه تعداده وإحصاؤه لكن بناء على إرادة قامة الإنسان من القامة في بعضها لا الذراع يكون التأخير إلى المثل الذي هو منتهى فضيلة الظهر؛ ويؤيده محافظة العامة على هذا الوقت إذ الظاهر أنهم أخذوه يداً عن يد انتهى. (ومما) يدل على استحباب التفريق خبر ملاقاة الحر للحسين عليه السلام المشتمل على تفريقه عليه السلام بين الظهر والعصر، والله أعلم.

مسألة ٧: هل لله إرادة فيما يقع في دنيانا من الشرور والمظالم؟

الجواب: الشرور الواقعة في الدنيا على نحوين (أحدهما) مثل الجدب وقلة المطر والوباء ونحو ذلك، وهذه من فعل الله تعالى وبإرادته لمصالح علمها من تأديب عباده وعقابهم على سوء فعلهم أو امتحانهم واختبارهم أو زيادة الثواب لهم في الآخرة أو غير ذلك، (وثانيهما) ما يقع من العباد من مثل السرقة والنهب والقتل والظلم والحروب وفعل المنكرات كالزنا وشرب المسكر وغير ذلك وهذه من فعل العباد على الأصح؛ خلافاً للأشاعرة القائلين بأن أفعال العباد كلها مخلوقة لله تعالى فإن كان المراد من الإرادة المحبة فالله تعالى لا يحب الشر والظلم لأن محبة ذلك قبيحة والله تعالى منزه عن القبيح؛ نعم ربما ورد إطلاق الإرادة على ذلك من باب المجاز بمعنى أن الله تعالى قادر على أن يمنع عباده من الظلم والشر بوجه القهر وعدم التمكين لهم ولكنه لم يفعل لأنه لو فعل ذلك لبطل الثواب والعقاب، وإنما خلق فيهم الاختيار ومكنهم من الفعل والترك وردعهم عن القبيح على لسان أنبيائه ورسله بالترهيب والترغيب وخوفهم العقاب ووعدهم الثواب وذلك كاف في قطع العذر وإقامة الحجة فصح إطلاق الإرادة على عدم المنع مجازاً لوجود العلاقة والقرينة العقلية وهي امتناع القبيح عليه تعالى قرينة المجاز والله العالم.

مسألة ٨: يحتج بعض الوهابية لطهارة الخمر بالآية: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [المائدة: ٩٠] فيقول إن الميسر والأنصاب والأزلام

ليست بنجسة فكذلك الخمر المذكور في الآية لأن كلمة رجس خبر عن الجميع فالمرجو بيان ذلك ووجوه الاختلاف في هذه المسألة .

الجواب : نجاسة الخمر ثابتة بالروايات الصحيحة عن أهل البيت عليهم السلام وأما الآية الشريفة المشار إليها فيمكن الاستدلال بها على نجاسة الخمر فضلاً عن أن تكون دليلاً على طهارتها ؛ وذلك لأن الرجس في اللغة هو القذر فالآية دالة على نجاسة الأشياء المذكورة كلها لولا المعارض؛ ولكن دل الدليل على عدم نجاسة ما عدى الخمر من الأشياء المذكورة في الآية فتبقى دلالة الآية على نجاسة الخمر بحالها لعدم المعارض ولو سلمنا أن لفظ الرجس في الآية لا يراد به النجس لعدم نجاسة ما عدا الخمر كما ذكر في السؤال فغاية الأمر أن لا تكون الآية دالة على نجاسة الخمر لا أنها دالة على طهارتها فلا تكون الآية على هذا التقدير دالة على نجاسة الخمر ولا على طهارتها فيلزم الرجوع إلى دليل غيرها .

مسألة ٩ : هل يصح إطلاق الكافر والمسلم على الصغير الذي ليس بمكلف؛ وإذا كان لا يصح فلماذا يحكم الشرع بنجاسة صغار المشركين.

الجواب : يصح إطلاق اسم الكافر والمسلم على الصغير بالتبعية؛ فمن انعقد وأحد أبويه مسلم حكم عليه بالإسلام تبعاً ومن انعقد وأبواه معاً كافران محكوم عليه بالكفر تبعاً ؛ فتجري حينئذٍ على كل منهما أحكام الكفر والإسلام من الطهارة والنجاسة وغيرهما بالتبعية والمستند في ذلك النص الثابت بالطرق المعتبرة.

مسألة ١٠ : لماذا لا يجوز الوضوء قبل الوقت مع أن الصلاة تنعقد بوضوء وقت متقدم .

الجواب : لا يجوز الوضوء قبل الوقت لعدم الأمر به والوضوء عبادة لا تصح بدون الأمر؛ وعدم الأمر به لكونه واجباً لأجل الصلاة والصلاة لا تجب قبل وقتها وأما صحة الصلاة بالوضوء السابق على الوقت إذا فرض صحته واستمراره إلى حين دخول الوقت فلأن الوضوء بعد دخول الوقت إنما يجب على المحدث والمستمر وضوءه إلى ما بعد الوقت ليس بمحدث.

مسألة ١١ : أليس من الأوفق اليوم تغيير حكم اللقطة من كون أخذها من موضعها مكروهاً ؛ وكون الأحسن تركها أليس من الأوفق تبديله؟

الجواب: تغيير الأحكام وتبديلها لا يكون إلا لله تعالى وهو المسمى بالنسخ؛ ولو جاز للناس تغيير الأحكام لكانوا كلهم أنبياء ولحصل الهرج والمرج ولم يبق من الشريعة رسم لاختلاف الأنظار في مقتضيات الأحوال والحكم بالاستحسان والمصالح المرسلة وإن قال به طائفة من المسلمين؛ إلا أن علماء أهل البيت قد اتفقوا على بطلانه وتضافر النقل عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ببطلانه والعقل قاض بذلك لما قدمناه مع أن القائلين بذلك لا يقولون به مثل المقام لأنه لا يكون فيما ورد فيه نص بل فيما لا نص فيه؛ إذ لا يجوز الاجتهاد في مقابل النص إجماعاً واللقطة حكمها منصوص من الشارع؛ (والحاصل) أن تبديل الأحكام لا يكون لغير الله تعالى وأما على مذهب العدلية فلأنها تابعة للمصالح والمفاسد التي لا يحيط بها إلا الله تعالى وأما عند غيرهم فلأنها موقوفة على ورود النص من الشارع، وقد ثبت أن حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة وتوهم أن النهي عن أخذ اللقطة إنما هو لأجل أن يجيء صاحبها فيأخذها واليوم لو تركها الملتقط لأخذها من يأكلها لقلة الأمانة في الناس فيه (أولاً): أن ذلك حكمة لا علة والحكمة لا يجب إطرادها كما بين في محله (ثانياً): إن هذا المعنى كان موجوداً في العصر الأول لأن قلة الأمانة ليس بحادث في الناس وفي كل زمان يوجد فيهم الأمين والخائن (ثالثاً): أن على مريد الالتقاط ترك أخذها من باب الكراهة لرجاء أن يجيء صاحبها فيأخذها فإذا تركها بهذه النية كان مثاباً فلو جاء غيره وأخذها لم يكن عليه من ذلك شيء ودعوى العلم بأنه لا بد أن يأخذها غيره فتنتفي فائدة تركها ممنوعة ولو فرض العلم بأنه لا بد أن يأخذها الغير تقول بارتفاع الكراهة إذا فرض انحصار علة الكراهة في ذلك لكنه غير معلوم (رابعاً): يجوز أن تكون علة الكراهة ابتلاءه بها بوجوب التعريف عليه سنة وقد يقصر في ذلك فيقع في الإثم أو يحصل عليه مشقة في التعريف أو غير ذلك.

مسألة ١٢: ما يترتب على منه يعلم أن أخته أو ابنته أو إحدى أقاربه قد زنت؛ فإنا رأينا بعض أهل هذا العصر قتلوا أخواتهم بالرصاص بدعوى أنهن زنين ومنهم من أوعز إلى غيره بقتلها، وكذلك نرجو بيان هذه المسألة في السرقة وغيرها من المحرمات.

الجواب: يجب على كل من علم بصدور محرم ردع الفاعل بما يقدر عليه باللسان فإن لم ينجح فبالضرب ونحوه من أنواع الإهانة كالإعراض عنه مقتصراً على

الأقل فإن لم ينجح ترقى إلى الأكثر كل ذلك مع أمن الضرر وعدم المفسدة كوقوع فتنة يكون ضررها أعظم ونحو ذلك وإلا سقط الوجوب، واقتصر على الإنكار بالقلب (والحاصل) يجب إنكار المنكر والنهي عنه بكل ما يمكن سواء في ذلك الزنا وغيره؛ نعم ورد في الشرع أن من وجد مع زوجته من يزني بها فله قتلهما ويجب تقييده بأمن الضرر؛ لكن في الصحيح عن الصادق عليه السلام أن أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالوا لسعد بن عبادة لو وجدت على بطن امرأتك رجلاً ما كنت صانعاً قال كنت أضربه بالسيف فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا سعد فكيف بالأربعة الشهود فقال: يا رسول الله بعد رأي عيني وعلم الله أن قد فعل قال: أي والله بعد رأي عينك وعلم الله أن قد فعل لأن الله عزّ وجلّ قد جعل لكل شيء حداً وجعل لمن تعدى ذلك الحد حداً وهو محمول على بيان الحكم في الظاهر لأن عليه القود إلا أن يأتي على دعواه ببينة أو يصدقه الولي؛ وهي يسري هذا الحكم إلى غير الزوجة محتاج إلى التأمل والمراجعة والله أعلم.

مسألة ١٣: ذكرتم في جواب المسألة ١١ أن العلة تطرد والحكمة لا يجب إطرادها؛ فما الفرق بين الحكمة والعلة وما هما؟

الجواب: الحكمة هي الأمر الداعي إلى تشريع الحكم والعلة هي الأمر الذي إن وجد وجد الحكم وإذا انتفى انتفى، فالحكمة لا يجب إطرادها والعلة أن تكون مطردة (مثال الأول) إن الحكمة في تشريع العدة هي حفظ الأنساب خوفاً من الحمل ولولا العدة لزم اختلاط الأنساب؛ لكن لو علم أن المطلقة المدخول بها غير حامل لغيبة الزوج عنها زمناً طويلاً أو لغير ذلك لم تسقط العدة لأن حفظ الأنساب حكمة لتشريع العدة والحكمة لا يجب إطرادها نظير ما لو منع الحاكم من الخروج ليلاً خوفاً من السرقة فلو علم من شخص أنه غير سارق يشمله هذا المنع، (ومثال الثاني) ما لو قال الشارع هذا الماء لا ينجس لأنه نابع فإذا انتفت عنه صفة النبع وصار راكداً لم يثبت له هذا الحكم لأن المعلول ينتفي علته والله أعلم.

مسألة ١٤: علم الطب من أشد لوازم الناس وأعظم ما يحتاج إليه وهو غير ممكن الحصول بسوى درس الوجود الإنساني وتشريحه ومعرفة مواقع الأعضاء ومنافعها، وكل هذا يستلزم تشريح أجساد أموات الآدميين فهل في الأمر من محذور شرعي؟

الجواب: تشريح بدن الآدمي المحترم غير جائز لما فيه من المثلة المنهي عنها ولما فيه من الإهانة وحرمة الآدمي المحترم ميتاً كحرمته حياً، أما غير المحترم كمنكر الصانع ومن ضارعه فلا يبعد عدم حرمة تشريح بدنه لا سيما إذا كان ذلك لغرض صحيح كتعلم الطب لعدم الدليل على وجوب احترامه وحرمة التمثيل به لغرض صحيح؛ وإن ورد أنه ﷺ نهى عن المثلة ولو بالكلب العقور إلّا أن ذلك منصرف إلى صورة عدم وجود الغرض الصحيح.

ثم أن علم التشريح الظاهرعدم توقف تعلمه على التشريح العلمي لإمكانه بدونه نعم مع التشريح العلمي يكون أتم وأسهل فمع فرض حرمة تشريح البدن لا يباح لأجل تعلم الطب وإن كان تعلمه من الواجبات الكفائية لعدم التوقف ولو فرض التوقف فهو لا يتوقف على تشريح البدن المحترم لإمكانه بتشريح غيره أما البدن المشكوك فالظاهر عدم حرمة تشريحه لكن في هذا الزمان لا يمكن تعلم الطب بدون التشريح العملي لالتزام المعلمين به وعدم اعتقادهم بلزوم احترام بدن من الأبدان فمع فرض العلم بأنه إذا أراد تعلم الطب لا بد أن يبتلي بتشريح البدن المحترم لا يبعد حرمة التعلم إلا مع فرض بقاء الوجوب الكفائي، لعدم قيام من به الكفاية فيباح لذلك التشريح المحرم لأن مصلحة حفظ النفوس أهم في نظر الشرع من مفسدة تشريح البدن؛ والله أعلم.

مسألة ١٥: يقال إن جهل المكلف بالحكم لا يكون حجة لدرء الإثم؛ وهذا يلزمه أن يكون المكلف عارفاً بجميع الأحكام الشرعية في أول يوم من أيام تكليفه مع أن ذلك متعذر على كل إنسان فلا بد أن يكون الجاهل معذوراً في فعله أو عدمه فما هو الصواب في هذا كله مع الدليل؟

الجواب: عمومات الأدلة الدالة على رفع القلم عن الصغير حتى يكبر تقتضي عدم وجوب التعلم عليه قبل البلوغ؛ وحينئذٍ فيجب عليه التعلم في أول أوقات بلوغه بما لا يضر بأمر معاشه ومعاده ويقدم في ذلك الأهم فالأهم مثلاً إذا بلغ عند الزوال فالأهم له تعلم الوضوء والصلاة وأحكامهما فلا يشتغل حينئذٍ بأحكام الصوم أو الحج أو البيع وهكذا فإذا بذل وسعه في التعلم وصدر منه ما يخالف الشرع جهلاً من دون تقصير لعدم تمكنه من تعلمه ولا من الاحتياط فيه مع بذل وسعه كان معذوراً؛ وإلا فلا وهذا نادر الوقوع أو غير واقع والله أعلم.

مسألة ١٦: هل يرث ابن المتعة أو لا يرث وتفصيل حكمه.

الجواب: ابن المتعة ابن شرعي؛ لا شبهة ولا إشكال في أنه يرث ويورث كغيره وتجري عليه جميع أحكام الأولاد، نعم لو نفاه الأب ينتفي عنه ظاهراً بدون لعان بخلاف الولد من الزوجة الدائمة والذي ولد على فراش الأب فإنه لا ينتفي إلا باللعان؛ والله أعلم.

مسألة ١٧: هل يجوز أن تكون مدة المتعة مائة سنة؛ مثلاً بحيث تصبح بهذا القيد هي والنكاح الدائمي سواء.

الجواب: تجوز المتعة إلى مدة يعيش إليها الزوجان غالباً بحسب العادة بدون إشكال؛ مثلاً إذا كان الزوجان في سن العشرين لهما أن يعقدا إلى أربعين أو خمسين أو ستين سنة ولا يبعد جواز العقد إلى العمر الطبيعي المقدر بمائة وعشرين سنة؛ ففي الفرض المذكور لهما أن يعقدا إلى مائة سنة والله أعلم.

مسألة ١٨: ذكرتم في الحصون المنيعة أن زوجة المتعة ترث وتورث مطلقاً أو مع الشرط على قول؛ أو مع شرط عدم الإرث على قول آخر فما مذهبكم في هذه المسألة لنقلدكم فيه؟

الجواب: النكاح المنقطع لا يوجب إرثاً بين الزوجين مع الإطلاق في العقد أو اشتراط عدم الإرث على الأصح؛ أما مع اشتراط الإرث في العقد ففيه إشكال أقربه عدم تأثير هذا الشرط والله أعلم.

مسألة ١٩: الملك المسلم حمل جنوده المسلمين على قتال الملك المشرك الذي ينضوي تحت لوائه بعض رعاياه المسلمين في صفوف القتال كما جرى في الحكومة التركية؛ والهنود المسلمين الذين كانوا يقاتلون مع الإنكليز فإذا تلاقى الفريقان وقتل منهما فما حكم القاتل والمقتول؛ وكيف يكون تكليف الرجل المسلم في هذا المأزق بينوا لنا ذلك بالتفصيل.

الجواب: مذهب علماء أهل البيت عليهم السلام وجوب الجهاد لأجل الدفاع وعدم وجوبه لأجل الفتح في زمان غيبة الإمام العادل، ومعنى الوجوب الدفاعي إنه إذا خيف على بلاد المسلمين أن يملكها سواهم أو خيف على بيضة الإسلام أي جمهوره ومجتمعه وشوكته وجب الجهاد؛ فلو فرض أن المسلمين يحاربون مع الكفار جاز

للمسلمين الآخرين محاربتهم وقتالهم ودفعهم عن بلادهم؛ بل لو فرض أن المسلمين المحاربين مع الكفار مكرهون على الحرب وتترس بهم المسلمون وتوقف الدفاع على قتلهم جاز قتلهم للضرورة والمقتول في جهاد الدفاع شهيد يدفن بثيابه ولا يغسل ويصلى عليه؛ والمقاتل مع الكفار مأثوم فاسق وإن قتل استحق النار والله أعلم.

مسألة ٢٠: دجاجة احتوشها أولاد حتى اضطروها إلى دخول دار ولم يعرف صاحب الدار لمن هي، ثم باضت فما تكليف الرجل وكيف حكم ذلك البيض وهل يجوز التصرف فيه وفي الدجاجة؟

الجواب: الحيوان الذي لا يمتنع من صغار السباع ومنه الدجاج لا يجوز أخذه في العمران؛ ويجوز في الفلاة فلو أخذه في العمران تخيّر بين حفظه لمالكه وبين دفعه إلى الحاكم إن كان غير الشاة كما هو فرض السؤال، وأما الشاة فلها حكم آخر وفي الفرض المذكور إذا لم يكن صاحب الدار وضع يده على الدجاجة (أي استولى عليها) ليس عليه شيء وأما إذا نوى الاستيلاء عليها والحال أنها في داره فقد صارت تحت يده ووجب عليه كما ذكرنا أما حفظها لصاحبها أو الدفع إلى الحاكم وأما البيض فيباع ويحفظ ثمنه لصاحبه أو يدفع إلى الحاكم؛ وعلى كل حال فالدجاجة المذكورة لا يجري عليها حكم اللقطة والله أعلم.

مسألة ٢١: قوله تعالى في سورة الصافات ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] فيه دلالة على مخلوقية الأفعال لله تعالى كما يقوله الأشاعرة فما هو الجواب عنها.

الجواب: بعد ما دلّ البرهان وقام الوجدان على أن أفعال العباد صادرة منهم باختيارهم من غير جبر ولا إكراه، وأنهم هم الذين فعلوها باختيارهم ولم يفعلها الله تعالى ولا أكرههم عليها وبعدما دلت الآيات الشريفة على نسبة الأفعال إلى فاعليها وإنهم فعلوها بأنفسهم وعلى نفي الإكراه والجبر وجب حمل ما ينافي ظاهره ذلك من الآيات أن وجد على معنى لا ينافي الاختيار، وفعل العباد لأفعالهم مثل كونه تعالى خلقهم وجعلهم مختارين بأن خلق فيهم القدرة على الخير والشر وأنه قادر على إجبارهم فصح نسبة الفعل إليه أو ما شاكل ذلك مجازاً، أما الآية المذكورة فالمراد بما يعملون فيها (والله أعلم)؛ ما يعملونه بأيديهم من الأصنام فما موصولية لا مصدرية والله أعلم.

(وكتب محسن الحسيني العاملي)

الفصل الرابع

في جواب المسألة الصيداوية

مسألة ١: إنني حرصاً على تطبيق أحكام التجويد ومراعاة قواعد الإخراج وتعميم ذلك بين طبقات الناس طبعت عدة نشرات ووزعتها وقدمت لسيادتكم واحدة منها؛ وقد قابل عملي هذا السواد الأعظم بالاستحسان خلا فرداً من المشايخ نازعني في مراعاة أحرف الإخراج الثلاثة (الثاء والذال والظاء) وقال إن عدم مراعاتها غير مبطل للصلاة أي إذا قرأ المصلي لفظ (ثم) بدون أن يخرج لسانه بالثاء لا تبطل صلاته فأمسكت عن مناقشته وجئت إلى بحر علمكم أستقي منه ما يروي الغلة ويشفي العلة؛ فهل ما قاله صحيح أو في المسألة تفصيل فنرجو من سيادتكم البيان الشافي في القدر المبطل وهل إذا كان غير مبطل للصلاة على بعض الأقوال يجوز تلاوة ولا حرج على التالي من ذلك أدامكم الله مرجعاً لكل سائل وموئلاً لكل نائل، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الجواب: ليس جميع ما ذكره علماء التجويد واجب المراعاة وتركه مبطلاً للصلاة ومفسداً للقراءة؛ بل جل ما ذكروه من محسنات القراءة لا من واجباتها، نعم جملة مما ذكروه يجب مراعاته مثل التفريق بين مخرج الضاد والظاء على الأصح لكن لا يجب إخراجهما من المخرج الذي عينوه بل يكفي النطق بكل منهما كما هو؛ وإن خرج من غير المخرج الذي عينوه لأن ذلك ممكن وما ذكروه مبني على الأسهل ومثل إشباع هاء الضمير إذا كان ما قبلها متحركاً نحو له وبه؛ فإن ذلك مما ثبت في لغة العرب ألا ترى إل قول الشاعر:

له بفناء البيت سوداء فخمة تلقم أوصال الجزور العراعر

فإنه أو لم تشبع الهاء من له لاختل الوزن ومثل الهمس في بعض المقامات حيث يتوقف عليه ظهور الحرف الثاني في مثل (أشهد) فإنه كثيراً ما يتوقف ظهور الهاء على همس الشين أي السكوت عليها سكتة خفيفة وبدون ذلك قد تخفى الهاء فتنطق الكلمة بصورة (أشد) ومثل أحكام همزتي الوصل والقطع ومثل المد الواجب؛ وبعضه الأحوط عدم تركه مثل الإدغام الواجب والغنة.

وما عدا لا يجب مثل إخراج الحروف من مخارجها المخصوصة بالكيفية التي ذكرها أهل التجويد ومنه المذكور في السؤال؛ بل يكفي صدق التلفظ بالحرف وإن خرج من غير المخرج الذي عينوه كما مر في الظاء والضاد ومثل تقدير المد بكونه بقدر ألفين أو أكثر أو أقل فزيادته عن ذلك لا تضر إلا إذا خرجت الكلمة عن كونها تلك الكلمة إلى غير ذلك من الأحكام التي ذكروها لعدم الدليل على وجوب مراعاتها؛ وما ذكره بعض من نظم في علم التجويد من قوله:

وبعد فالتجويد فرض لازم　　من لم يجود القرآن آثم

إن أراد به جميع أحكام التجويد فهو ممنوع؛ وإن أراد الواجب منها مما أشرنا إلى بعضه فله وجه؛ والله أعلم.



الفصل الخامس

في أجوبة المسائل الصافيتية

وهي مسائل وردت إلينا من بلاد صافيتا.

مسألة ١: ما سبب الجهر بالصلاة ليلاً والمخافتة نهاراً؟

الجواب: الأحكام الشرعية منها ما تظهر لنا حكمتها أو بعضها؛ ومنها ما لا تظهر ولا يجب علينا معرفة جميع حكم العبادات على التفصيل ولا يمكننا ذلك إلا بورود النص من الشارع، لكننا نعلم أن الله تعالى لا يأمر إلا بما فيه مصلحة ولا ينهى إلا عما فيه مفسدة، وإلا كان عابثاً تعالى عن ذلك ومن جملة ما ورد بيان حكمته من قبل الشارع ما ذكر في السؤال.

روى الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالصدوق في كتاب «علل الشرائع» بسنده عن محمد بن حمزة قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام لأي علة يجهر في صلاة الفجر وصلاة المغرب وصلاة العشاء الآخرة وسائر الصلوات مثل الظهر والعصر لا يجهر فيها، قال لأن النبي صلى الله عليه وآله لما أسري به إلى السماء كان أول صلاة فرضها الله عليه صلاة الظهر يوم الجمعة فأضاف الله عز وجل إليه الملائكة تصلي خلفه وأمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وآله أن يجهر بالقراءة ليبين لهم فضله ثم افترض عليه العصر ولم يضف إليه أحداً من الملائكة وأمره أن يخفي القراءة لأنه لم يكن وراءه أحد، ثم افترض عليه المغرب ثم أضاف إليه الملائكة فأمره بالإجهار وكذلك العشاء الآخرة فلما كان قرب الفجر افترض الله عليه الفجر وأمره بالإجهار ليبين للناس فضله كمابين للملائكة فلهذه يجهر فيها (وفي الحديث) بيان علة الجهر بالقراءة في ظهر الجمعة الذي هو مستحب.

(وقال) الفضل بن شاذان النيسابوري من قدماء علماء الشيعة المعاصرين للأئمة عليهم السلام والراوين عنهم: (فإن قال قائل) فلم جعل الجهر في بعض الصلوات ولا يجهر في بعض (قيل) لأن الصلوات التي يجهر فيها لأن يمر المار فيعلم أن ها هنا جماعة فإن أراد أن يصلي صلى لأنه أتى جماعة يصلى فيها سمع وعلم ذلك من

جهة السماع والصلاتان اللتان لا يجهر فيهما فإنما هي صلاة تكون بالنهار وفي أوقات مضيئة فهي تعلم من جهة الرؤية فلا يحتاج فيها إلى السماع انتهى.

ويمكن أن يكون من جملة الحكم في ذلك أن الصلاة الليلية وصلاة الصبح تكون عند النعاس أو غلبته والجهر يساعد على طرده؛ بخلاف الصلاة النهارية ويمكن كون الحكمة في الجهر بصلاة الصبح مع أنها من صلاة النهار أن ينتبه النائم فيقوم ويصلي ويمكن أن يكون هناك حكم أخرى لا نعلمها والله أعلم.

مسألة ٢: ما السبب في تقديم النوافل على الفروض نهاراً وتأخيرها ليلاً؟

الجواب: يعلم هذا من جواب المسألة الأولى، (ويمكن) أن يكون من جملة الحكم في ذلك أن نوافل النهار أكثر فإذا صلى الفريضة قبلها ربما يكسل عنها، ويمكن كون الحكمة أن صلاتي الظهرين تكونان عند اشتغال الناس بأشغالهم فربما يتأخرون عند إرادة حضور الجماعة فجعلت النافلة قبلها ليشتغل الإمام بها وينتظر اجتماع المأمومين بخلاف صلاتي العشاءين فإنهما عند فراغ الناس من أشغالهم؛ فيسرعون إلى حضورهما والله أعلم.

مسألة ٣: ما سبب جواز الجهر بالبسملة نهاراً دون السورة؟

الجواب: يعلم هذا من جواب المسألة الأولى، (ويمكن) كون الحكمة في ذلك أن في الجهر باسمه تعالى زيادة تعظيم له وحثاً على الالتفات إليه وتنبيهاً للمصلي أنه لمن يصلي ومن يخاطب وإيقافاً للمأموم على الشروع في الحمد وعلى انتهائها والشروع في السورة؛ لأنه قد يحتاج إلى ذلك لئلا تفوته الجماعة لا سيما المسبوق الذي يحتاج أن يعرف أين صار الإمام وهل هو في الأوليين ليترك القراءة أو الأخيرتين ليقرأ ولتنبيه الغافل عن الصلاة ليقوم إليها إلى غير ذلك والله أعلم.

مسألة ٤: ما العلة في ضم الأصابع والتوجه بباطن الكفين إلى القبلة وإسبال اليدين خلافاً لمن لا يفعل ذلك؛ ويدعي الإصابة في الجميع لزعمه أنه عن النبي ﷺ وما تأويلهم في نقصان ركعات النوافل من كل وقت خلافاً لما عليه الشيعة.

الجواب: أما ضم الأصابع فيعرف جوابه مما مر في جواب المسألة الأولى (ويمكن) كون الحكمة فيه أنه أقرب إلى الأدب والخضوع والخشوع والتوجه بباطن

الكفين إلى القبلة إيماء إلى تعظيمها والصلاة إليها (وأما إسبال اليدين) فهو أيضاً أقرب إلى الأدب والخضوع والاستسلام له تعالى، (أما التكفير) فهو من فعل كفار العجم ولا ينبغي التشبه بهم (وأول) من أدخله في الصلاة بعض الصحابة اجتهاداً واستحساناً وذلك لما جيء إليه بأسارى الفرس فكفّروا له، فقال: ما هذا قالوا شيء نعظم به أمراءنا فأمر أن يجعل في الصلاة فجعل فيها، وبقي إلى اليوم عند أهل المذاهب سوى المالكية والإمامية كما وقع الاجتهاد والاستحسان في إسقاط حي على خير العمل من الأذان والإقامة لئلا يزهد الناس في الجهاد إذا علموا أن الصلاة خير العمل، وفي تحريم المتعتين، وإثبات العول في الفرائض مما خالف فيه بعض الصحابة وأئمة أهل البيت إلى غير ذلك مما وقع من التغيير في الأحكام بسبب عدم أخذها من معدنها ومحاولة دخول مدينة العلم من غير بابها والله أعلم.

مسألة ٥: هل كانت السيدة فاطمة عليها السلام وسائر نساء العترة الطاهرة أميات أو لا وهل يقضي العقل بعصمتهن قولاً وفعلاً؟

الجواب: يظهر من بعض الأخبار أن السيدة فاطمة عليها السلام لم تكن أمية وذلك قول الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام لبعض ولد الحسن عليه السلام لما أجاب الصادق عن مسألة غامضة سأله عنها أمير المدينة بأمر خليفة الوقت العباسي: من أين علمت هذا؟ قال: قرأت في كتاب أمك فاطمة ولعل المتتبع يعثر على غير هذا (أما) سائر نساء العترة فيجوز أن يكون فيهن الأمية وغيرها وحالهن في ذلك سائر نساء الأمة (أما العصمة) فليست ثابتة لغير البضعة الزهراء عليها السلام.

مسألة ٦: هل يعرف للآن قبر السيدة فاطمة عليها السلام أين هو أو لا؟ وإذا كان معروفاً فكيف قول الشيخ محمد كاظم الأزري البغدادي في قصيدته الشمسية في حق فاطمة عليها السلام؟

وثوت لا يرى لها الناس قبراً أي قدس يضمه مثواها

الجواب: إن مولاتنا فاطمة الزهراء عليها الصلاة والسلام لما حضرتها الوفاة أوصيت علياً عليه السلام بثلاث وصايا نفذها بعد وفاتها:

١ - أن يدفنها ليلاً ولا يدع أحداً ممن وقع بينها وبينهم خصام في حياتها ولا من أتباعهم أن يحضر جنازتها.

٢ - أن يتزوج بعدها بابنة أختها أمامة بنت زينب؛ زوجة أبي العاص بن الربيع وقالت له إنها تكون لولدي مثلي.

٣ - أن يتخذ لها نعشاً كانت وصفته لها أسماء بنت عميس وكانت رأته في هجرتها إلى الحبشة؛ وأخبرتها أن الحبشة يتخذونه فاستحسنته الزهراء عليها السلام لما فيه من الستر للمرأة؛ فلما توفيت حضر الناس ينتظرون أن تخرج الجنازة فخرج إليهم أبو ذر وقال انصرفوا فإن ابنة رسول الله أخر اخراجها هذه العشية فانصرفوا، فلما جن الليل دفنها علي عليه السلام ومعه الحسنان وعمار والمقداد وعقيل والزبير وأبو ذر وسلمان وبريدة ونفر من بني هاشم فدفنوها في جوف الليل وسووا قبرها الأرض لئلا يعرف فلذلك خفي على الناس قبرها واختلفوا في موضعه، (فقيل) في بيتها (وقيل) في البقيع، وقيل: بين القبر والمنبر، وأنه إليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله: ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة والأصح أنها دفنت في بيتها؛ والله أعلم.

مسألة ٧: هل حدث بالقرآن العظيم شيء من التغيير عن عهد النبي الكريم صلى الله عليه وآله وإذا كان حدث فمن المحرف إذاً، وهل توجد نسخة منه بدون تغيير.

الجواب: المسلمون متفقون على عدم وقوع الزيادة في القرآن الكريم (أما النقيصة) ففي بعض شواذ الأخبار ما يدل على وقوعها، ولكن الذي عليه المحققون من العلماء الذين على أقوالهم المعول والذي يدل عليه النظر الصحيح عدم وقوع النقص وإن تلك الأخبار الشاذة محمولة على أن ذلك كان من باب التفسير لا من نفس القرآن وجعل الصدوق عدم تحريف القرآن وأنه ما بين الدفتين بغير زيادة ولا نقصان من اعتقادات الإمامية، والله أعلم.

مسألة ٨: كيف وكلنا نعتقد عصمة الأنبياء جميعاً في أقوالهم وأفعالهم منذ نشأتهم لم يذكر القرآن الحكيم نبياً إلا ذكره بما ينبيء ظاهره (والعياذ بالله) أنه أخطأ كقوله تعالى حكاية عن آدم عليه السلام ﴿وَعَصَىٰ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١] وعن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦] فاغفر لي الآية وعن إبراهيم عليه السلام ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [ابراهيم: ٤١] وهلم جرا ما عدا السيد المسيح فإنه لم يذكر بشيء من ذلك قط.

الجواب: لما دل الدليل القطعي العقلي والنقلي على وجوب عصمة جميع

الأنبياء وجب تأويل كل ما ينافي بظاهره ذلك، كما أنه لما دل الدليل القطعي العقلي والنقلي على عدم جواز كون الباري تعالى جسماً وجب تأويل كل ما ينافي بظاهره ذلك من إثبات اليد والعين ونحوها له تعالى، وقد صنف السيد الشريف المرتضى علم الهدى ﷺ كتاباً في ذلك سماه (تنزيه الأنبياء والأئمة) بلغ فيه الغاية.

أما ما يقال من أن القرآن الكريم نعى على جميع الأنبياء ذنوبهم ما عدا المسيح عليه السلام ويتشبث به المبشرون بالنصرانية في هذا الزمان إثبات إلهية عيسى عليه السلام فغير صحيح، لأن كثيراً من الأنبياء غير عيسى عليه السلام ممن ليسوا في درجته ولا في درجة من نسب إليهم ما ظاهره الذنب لم ينسب إليهم في القرآن شيء من الذنوب وشاركوا عيسى عليه السلام في ذلك، فيجب على مقتضى زعمهم أن يكونوا آلهة أيضاً منهم (إدريس عليه السلام) فلم يذكر في القرآن إلا بأنه كان صديقاً نبياً وأن الله تعالى رفعه مكاناً علياً (وإسحاق عليه السلام) فلم يذكر في القرآن إلا بأنه نبي من الصالحين وأنه بارك عليه وهداه وأنه من أولي الأيدي والأبصار (وإسماعيل عليه السلام) فلم يذكر إلا بأنه ممن فضله على العالمين وأنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً ومن الأخيار ومن الصابرين (وإلياس عليه السلام) فلم يذكر إلا بأنه من المرسلين ومن الصالحين (واليسع عليه السلام) فلم يذكر إلا بأنه ممن فضله على العالمين وأنه من الأخيار (وأيوب عليه السلام) فلم يذكر إلا بأنه أوحي إليه (وزكريا عليه السلام) فذكر بأنه من الصالحين ووصف بالخشوع (وذو الكفل عليه السلام) فوصف بأنه من الأخيار ومن الصالحين ومن الصابرين (ولوط ونوح وهود ويحيى ويعقوب عليهم السلام) وكلهم لم يوصفوا إلا بالصفات الجميلة؛ ولم يوصفوا بما ظاهره الذنب والله أعلم.

مسألة ٩: تضاربت الأقوال في وجود الجن وعدمه فمنهم من قال إنه حيوان هوائي يتشكل بأشكل، ومنهم من أنكر ذلك وزعم أنه من خرافات العرب.

الجواب: قد صرح القرآن الكريم بوجود الجن كقوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ﴾ [الجن: ١] قل لو اجتمعت الإنس والجن وغير ذلك من الآيات فلا مناص لمسلم عن القول بوجوده وهو جسم ناري شفاف وليس بحيوان؛ وقد ورد أنه يتشكل بأي شكل شاء حتى الكلب والخنزير، ومثله الملك الذي يتشكل بأي شكل شاء إلا الكلب والخنزير ولا مانع عقلياً ولا نقلياً من وجود الجن فلزم القول بوجوده والله أعلم.

مسألة ١٠: ثبت لدى الباحثين كروية الأرض ودورانها حتى تطاولت ألسنتهم إلى الرد كتاب الله العظيم حيث قال ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النّمل: ٨٨] فإن المراد بمرورها هنا يوم القيامة فقط وهذا القيد يقضي بجمودها قبل ذلك اليوم (كما يرى) إلى غير ذلك من الآيات المنافية لاعتقادهم فهل يتأتى تطبيقها على حسب ما يعتقدون أو لا.

الجواب: لا إشكال في كروية الأرض عند المتقدمين والمتأخرين من أهل الهيئة والبرهان يساعد على ذلك وليس في الشرع ما ينافيه، (أما حركتها) ودورانها فقدماء أهل الهيئة كانوا ينكرون ذلك ويقولون بحركة الشمس فقط، حركتين يحدث من إحداهما الليل والنهار ومن الأخرى الفصول الأربعة، والمتأخرون جعلوا الحركة التي يحدث منها الليل والنهار هي للأرض ولهم على ذلك أدلة معروفة وكل ذلك ممكن لا مانع منه عقلاً ولا نقلاً؛ ولو فرض أنه ورد في القرآن الكريم أو في الشرع ما يوهم عدم حركة الأرض فهو محمول على ما يظهر للعيان من سكونها أما آية ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ [النمل: ٨٨] فالمراد (والله العالم) بمرورها مر السحاب زوالها من مكانها واندكاكها لا مجرد تحركها فلا يلزم جمودها قبل القيامة كما لا يخفى، بل قيل إن في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ [الفرقان: ٤٥] دلالة على حركة الأرض والله أعلم.

مسألة ١١: ما المستند عندنا في الجمع بين العمة وبنت أخيها والخالة وبنت أختها برضاهما، خلافاً لمن ينكر ذلك علينا ويأتي بالأحاديث المتعددة لتأييد مذهبه.

الجواب: المستند فيه الأحاديث الواردة عن أهل بيت النبوة الذين هم مفاتيح باب مدينة العلم وأخذوا علومهم عن آبائهم عن جدهم الرسول ﷺ عن جبرائيل عن الله تعالى، وليس في الكتاب العزيز ما يمنع ذلك بل ظاهر حصر محرمات النكاح فيه وإحلال ما وراءها حلية ذلك ولو مع عدم رضاهما، لكن دل الدليل على عدم الجواز بدون رضاهما أما الأحاديث التي يرويها غيرنا لتأييد مذهبه فهي معارضة بما نرويه وإذا تعارض الحدثان وجب عرضهما على كتاب الله تعالى والأخذ بما وافقه وطرح ما خالفه أو تأويله، وقد عرفت أن ظاهر الكتاب الجواز ولو أردنا العمل بظاهر كل خبر لزم الهرج والمرج والله أعلم.

مسألة ١٢: روي عنه ﷺ أنه قال لعلي عليه السلام يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق؛ وقال عليه السلام: هلك فيّ اثنان محب غال ومبغض قال، فهل يصح رجوع الغالي أو الناصبي إلى الولاية بعد أن غلا في حبه أو قلا في بغضه؛ وهل نحكم بكفر أحدهم بإنكاره أن الولاية هي العروة الوثقى وأيهما أفضل.

الجواب: من تاب تاب الله عليه وليس الغالي والناصبي إلا كغيره ممن يقبل الله توبته وإن كان وثنياً، وناصب العداوة لعلي عليه السلام عندنا كافر كالخوارج وكذلك الغالي في حبه بحيث أوصله إلى درجة الألوهية، وأما قولكم وهل نحكم إلى آخر السؤال فلا يخلو من إجمال ولعلكم تريدون من أنكر إمامته ولم ينصب له العداوة فهذا لا يحكم بكفره لأن الإمامة ليست من ضروريات دين الإسلام، (وقولكم) أيهما أفضل إن أردتم الغالي والناصب فلا فضل لأحدهما والتفضيل يقتضي المشاركة والزيادة، وإن أردتم الغالي ومنكر الإمامة فقد بان جوابه من تكفير الغالي دون منكر الإمامة والله أعلم.

مسألة ١٣: كيف ولم يكن في عهده ﷺ غير الجلود وسعف النخل قدروا على جمع هذه الأحاديث والروايات فهل كانوا يحفظونها كلها غيباً ويلقنها بعضهم بعضاً إلى زمن الورق والطباعة أو لا؟.

الجواب: كون الورق غير موجود في ذلك الزمن لم يثبت بل لعل الثابت ضده لكنه كان قليلاً، وكثيراً ما كانوا يكتبون على السعف والجلود والكتف (وهو العظم المسمى اليوم الرفش) ورق الغزال وغيرها والأحاديث منها ما كانوا يكتبونه ومنها كانوا يحفظونه كحفظهم أشعارهم وأخبارهم وخطبهم الكثيرة.

مسألة ١٤: أثبت الفلكيون أن الكواكب مؤلفة من المواد المؤلفة منها الأرض لا تختلف عنها في شيء إلا في الحجم؛ ما عدا الشمس فإنها كتلة نارية فكيف تطبيقها على ما في القرآن العظيم؟

الجواب: ليس في القرآن العظيم ما ينافي ذلك أما قوله تعالى: ﴿جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥] وقوله تعالى: «ومصابيح وزينة» ونحو ذلك مما قد يتوهم منافاته باعتبار دلالته على أن الكواكب مضيئة فلا منافاة فيه لجواز كون ضوئها مكتسباً من غيرها كما ثبت ذلك في القمر الذي نوره مكتسب من نور الشمس، حتى

إن أرادوا أنها كالأرض مؤلفة من تراب وحجر ومعادن لجواز اكتسابها نوراً من غيرها بجعلها مضيئة لنا ولو كانت مركبة من أجسام كثيفة كما تنير الأرض بنور الشمس مع كثافة أجرامها والله أعلم.

مسألة ١٥: في المناقب عن علي عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله خلق خلقه في ظلمة؛ ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من النور شيء اهتدى ومن أخطأه ضل؛ فمن أصابه شيء من النور أو أخطأه هل كان لأعمال توجب لهما ذلك أول ا وإلا فكيف أصاب قوماً وأخطأ آخرين[1]؟

الجواب: ظاهر الخبر أن الإصابة وعدمها ليسا بسبب الأعمال؛ بل الأعمال مسببة عنها وهذا كناية عن التوفيق وعدمه فلا يستلزم الجبر والله أعلم.

مسألة ١٦: هل نظم مولانا أمير المؤمنين وأبناؤه عليهم السلام الشعر، أم لا؟ وهل ما ينسب إليهم منه لهم مع أنه دون أقوالهم البالغة أقصى درجات البلاغة على أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقله وهم مقتدون به قولاً وفعلاً.

الجواب: لا شك أن أمير المؤمنين عليه السلام قد نظم الشعر وتطابقت الأنقال على كثير منه مثل قوله عليه السلام:

دعوت فلباني من القوم عصبة ... فوارس من همدان غير لئام

فوارس من همدان ليسوا بعزل ... غداة الوغى من شاكر وشبام

لهمدان أخلاق ودين يزينهم ... وبأس إذا لاقوا وجد خصام

جزى الله همدان الجنان فإنها ... سمام العدى في كل يوم زحام

فلو كنت بواباً على باب جنة ... لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وقوله عليه السلام يوم صفين وقد أقبل الحضين بن المنذر الرقاشي وهو يومئذٍ شاب يزحف برايته؛ وكانت حمراء فأعجب علياً زحفه وثباته فقال:

لمن راية حمراء يخفق ظلها ... إذا قيل قدمها حضين تقدما

ويدنو بها في الصف حتى يزيرها ... حياض المنايا تقطر الموت والدما

---

(١) ينابيع المودة ج ١ ص ١٣.

تراه إذا ما كان يوم كريهة أبى فيه إلا عزة وتكرما
جزى الله عني والجزء بكفه ربيعة خيراً ما أعف وأكرما

إلى غير ذلك مما روته الثقات الأثبات، ولا يلتفت إلى قول من قال إنه لم يثبت عنه شيء من الشعر، ويشبه أن يكون مثل إنكار نسبة نهج البلاغة إليه وقد جمعنا ما صح من شعره عليه السلام في ديوان مرتب على حروف المعجم نسأله تعالى التوفيق لإكماله وطبعه، نعم ليس كل ما نسب إليه من الشعر هو له بل بعضه معلوم أنه ليس له، وكذلك باقي الأئمة عليهم السلام قد صحت نسبة الشعر إلى كثير منهم وليس هو دون كلامهم، وبعض ما ينسب إليهم لم تصح نسبته وبعضه معلوم أنه ليس لهم لركته أما عدم نظم جدهم صلى الله عليه وآله للشعر فليس عجزاً بل لحكمة اقتضت ذلك، وهي دفع شبهات المنافقين عن القرآن العظيم بأنه ليس قول شاعر ولا يحب مساواتهم عليهم السلام له في ذلك والله أعلم[1].

مسألة ١٧: روي بالإسناد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: لم يكذب إبراهيم عليه السلام غير ثلاث ثنتين في ذات الله قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣] وقوله في سارة (هي أختي) وعندنا أن جميع الأنبياء منزهون عن جميع الفواحش فكيف تأويل ذلك؟

الجواب: إن صح الحديث فالمراد بالكذب التورية وهي جائزة للمصلحة وليست كذباً وتسميتها كذباً فيه نوع مجاز على أن الكذب جائز للمصلحة، وتجب التورية إن أمكن (وروي) أنه عنى بقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] إني سأسقم وكل ميت سقيم وذلك أنهم أرادوا ان يخرجوه إلى معبدهم فأوهمهم أنه استدل بالنجوم على أنه مشارف للسقم لأنهم كانوا منجمين وكانوا يخافون العدوى، وقيل: في قوله: ﴿فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣] أنه مشروط بقوله إن كانوا ينطقون أو غير ذلك من الوجوه المذكورة في محلها؛ وعنى بقوله أختي أنها أخته في الدين الله أعلم.

مسألة ١٨: قال صلى الله عليه وآله: أنا ابن الذبيحين يعني عبد الله وإسماعيل؛ وفي تفسير

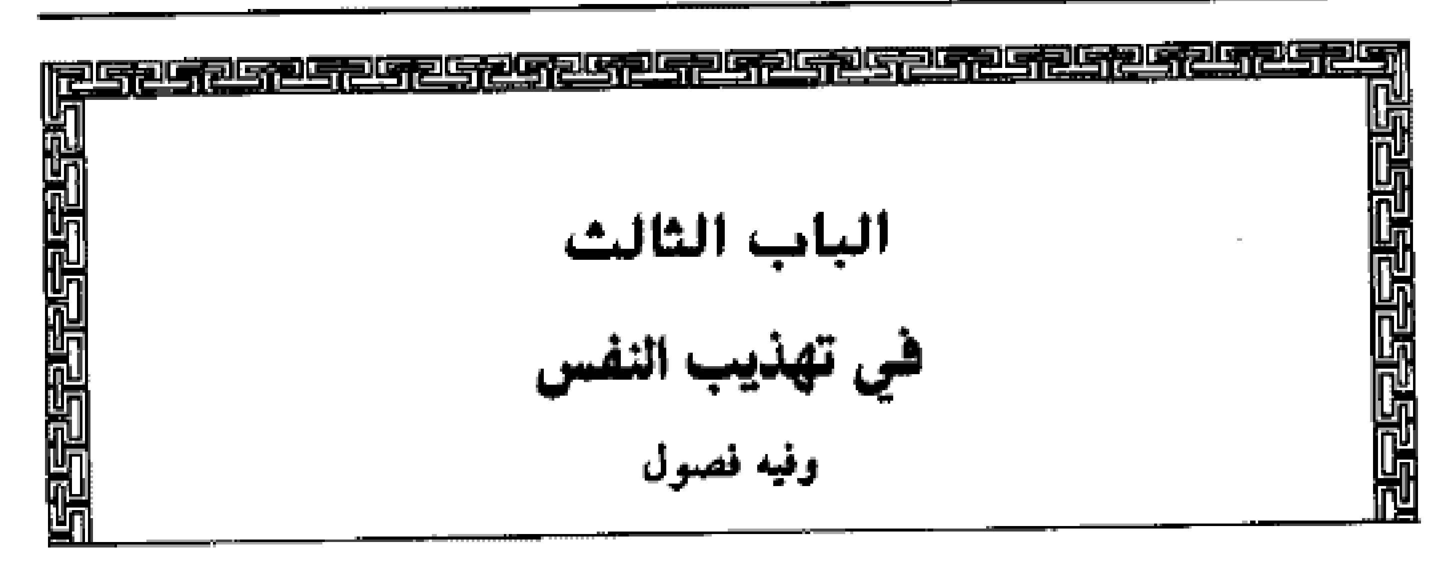
---

(١) من فضل المولى جل شأنه؛ تمكنت دار المرتضى/بيروت - لبنان من طباعة ديوان الإمام علي عليه السلام - للمرحوم الإمام الأكبر السيد محسن الأمين.

الرازي عن علي عليه السلام وعمر والعباس رضي الله عنه وغيرهم أن الذبيح هو إسحاق لا إسماعيل والنبوة جعلت في ذرية إسحاق كما نص عليه القرآن الكريم.

الجواب: اختلف في الذبيح هل هو إسحاق أو إسماعيل؛ والذي صححه جماعة من أهل النقل أنه إسماعيل ومع ذلك فالنبوة في ذرية إسحاق؛ والله أعلم.





الباب الثالث
في تهذيب النفس
وفيه فصول

الفصل الأول

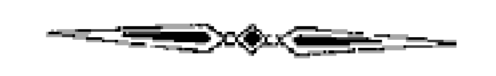
في الحكم والآداب المنثورة

(١) في نهج البلاغة: وقال عليه السلام لرجل سأله أن يعظه: لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويرجي[1] التوبة بطول الأمل، يقول: في الدنيا بقول الزاهدين ويعمل فيها بعمل الراغبين، أن أعطي منها لم يشبع وإن منع منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي، ينهى ولا ينتهي ويأمر الناس بما لا يأتي يحب الصالحين ولا يعمل عملهم ويبغض المذنبين وهو أحدهم، يكره الموت لكثرة ذنوبه ويقيم على ما يكره الموت له، إن سقم ظل نادماً وإن صح أمن لاهياً، يعجب بنفسه إذا عوفي ويقنط إذا ابتلي إن أصابه بلاء دعا مضطراً وإن ناله رخاء أعرض مغتراً تغلبه نفسه على يظن ولا يغلبها على ما يستقين، يخاف على غيره بأدنى من ذنبه ويرجو لنفسه بأكثر من عمله إن استغنى بطرو فتن وإن افتقر قنط ووهن، يقصر إذا عمل ويبالغ إذا سأل، إن عرضت له شهوة أسلف المعصية وسوّف التوبة وإن عرته محنة انفرج عن شرائط الملة[2] يصف العبرة ولا يعتبر ويبالغ في الموعظة ولا يتعظ، فهو بالقول مدل ومن العمل مقل، ينافس فيما يفنى ويسامح فيما يبقى يرى الغنم مغرماً والغرم مغنماً يخشى الموت ولا يبادر، ويستعظم من معصية غيره ما يستقل أكثر منه

(١) يؤخر.
(٢) أي قال أو فعل ما يوجب الخروج عن الدين (المؤلف).

من نفسه، ويستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة غيره فهو على الناس طاعن ولنفسه مداهن، اللغو مع الأغنياء أحب إليه من الذكر مع الفقراء يحكم على غيره لفسه ولا يحكم عليها لغيره، يرشد غيره ويغوي نفسه فهو يطاع ويعصي ويستوفي ولا يوفي، ويخشى الخلق في غير ربه ولا يخشى ربه في خلقه.

قال السيد الرضي ﷺ: لو لم يكن في هذا الكتاب إلا هذا الكلام لكفى به موعظة وحكمة بالغة لمبصر وعبرة لناظر مفكر.



خطبة لأمير المؤمنين ﷺ خالية من حرف الألف:

(٢) قال ابن أبي الحديد: تذاكر قوم من أصحاب رسول الله ﷺ أي حروف الهجاء أدخل في الكلام فأجمعوا على الألف؛ فأنشأ علي ﷺ خطبة خالية من حرف الألف رواها كثير من الناس وهي هذه:

حمدت من عظمت منته وسبغت نعمته وسبقت غضبه رحمته وتمت كلمته ونفذت مشيته وبلغت قضيته، حمدته حمد مقر بربوبيته متخضع لعبوديته متنصل من خطيته متفرد بتوحيده مؤمل مغفرة تنجيه يوم يشغل عن فصيلته[1] وبنيه، ونستعينه ونسترشده ونستهديه ونؤمن به ونتوكل عليه وشهدت له شهود مخلص موقن وفردته تفريد مؤمن متيقن ووحدته توحيد عبد مذعن ليس له شريك في ملكه ولم يكن له ولي في صنعه، جل عن مشير ووزير وعن عون ومعين ونصير ونظير، علم فستر وبطن فخبر وملك فقهر وعصي فغفر وحكم فعدل، لم يزل ولن يزول ليس كمثله شيء وهو بعد كل شيء رب متعزز بعزته متمكن بقوته متقدس بعلوه متكبر بسموه، ليس يدركه بصر ولم يحط به نظر قوي منيع بصير سميع رؤوف رحيم، عجز عن وصفه من يصفه وضل عن نعته من يعرفه، قرب فبعد وبعد فقرب يجيب دعوة من يدعوه ويرزقه ويحبوه ذو لطف خفي وبطش قوي ورحمة موسعة وعقوبة موجعة، رحمته جنة عريضة مونقة وعقوبته جحيم ممدودة موبقة، وشهدت ببعث محمد رسوله وعبده

(١) فصيلة الرجل رهطه الأدنون.

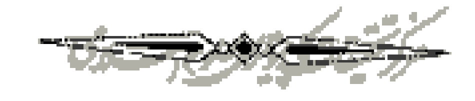
وصفيه ونبيه ونجيبه وحبيبه وخليله بعثه في خير عصر وحين فترة وكفر رحمة لعبيده ومنة لمريده ختم به وشيد به حجته، فوعظ ونصح وبلغ وكدح رؤوف بكل مؤمن رحيم سخي رضي ولي زكي عليه رحمة وتسليم وبركة وتكريم من رب غفور رحيم قريب مجيب وصيتكم يا معشر من حضرني بوصية ربكم وذكرتكم بسنة نبيكم فعليكم برهبة تسكن قلوبكم وخشية تذري دموعكم وتقية تنجيكم قبل يوم يبليكم ويذهلكم يوم يفوز فيه من ثقل وزن حسنته وخف وزن سيئته، ولتكن مسألتكم وتملقكم مسألة ذل وخضوع وشكر وخشوع بتوبة ونزوع وندم ورجوع، وليغتنم كل مغتنم منكم صحته قبل سقمه وشبيبته قبل هرمه وسعته قبل فقره وفرغته قبل شغله وحضره قبل سفره، قبل تكبر وتهرم وتسقم يمله طبيبه ويعرض عنه حبيبه وينقطع عمره ويتغير عقله ثم قيل: هو موعوك وجسمه منهوك ثم جد في نزع شديد وحضرة كل قريب وبعيد فشخص ببصره وطمح نظره ورشح جبينه وعطف عرنينه وسكن حنينه وحزنته نفسه وبكته عرسه وحفر رمسه ويتم ولده وتفرق عنه عدده وقسم جمعه وذهب منه بصره وسمعه؛ ومدد وجرد وعري وغسل ونشف وسجي وبسط له وهيئ؛ ونشر عليه كفنه وشد منه ذقنه وقمص وعمم وودع وسلم وحمل فوق سرير وصلي عليه بتكبير، ونقل من دور مزخرفة وقصور مشيدة وحجر منجدة وجعل في ضريح ملحود وضيق مرصود بلبن منضود مسقف بجلمود وهيل عليه حفره[1] وحثي عليه مدره وتحقق حضره[2] ونسي خبره ورجع عنه وليه وصفيه ونديمه ونسيبه، وتبدل به قرينه وحبيبه فهو حشو قبر ورهين قفر يسعى بجسمه دود قبره ويسيل صديده من منخره يسحق برمة لحمه وينشف دمه ويرم عظمه حتى يوم حشره، فنشر من قبره يوم ينفخ في صور ويدعى بحشر ونشور فثم بعثرت قبور وحصلت سريرة صدور وجيء بكل نبي وصديق وشهيد وتوحد للفصل قدير بعبده خبير بصير، فكم من زفرة تفنيه وحسرة تضنيه موقف مهول ومشهد جليل بين يدي ملك عظيم وبكل صغير وكبير عليم فحينئذٍ يلجمه عرقه ويحصره قلقه عبرته غير مرحومة وصرخته غير مسموعة وحجته غير مقبولة، تزوّل[3] جريدته ونشر صحيفته ونظر في سوء عمله وشهدت عليه عينه بنظره ويده ببطشه

(١) الحفر بالتحريك ويسكن التراب المخرج من المحفور.

(٢) الحضر خلاف البادية.

(٣) تزول الشيء أجاده.

ورجله بخطوه وفرجه بلمسه وجلده بمسه فسلسل جيده وغلت يده وسيق فسحب وحده فورد جهنم بكرب وشدة فظل يعذب في جحيم ويسقى شربة من حميم فشوي وجهه وتسلخ جلده وتضربه زبنيته[1] بمقمع من حديد، ويعود جلده بعد نضجه كجلد جديد يستغيث فتعرض عنه خزنة جهنم ويستصرخ فلبث حقبة يندم. نعوذ برب قدير من شر كل مصير ونسأله عفو من رضي عنه ومغفرة من قبله فهو ولي مسألتي ومنجح طلبتي فمن زحزح عن تعذيب ربه وجعل في جنته بعزته وخلد في قصور مشيدة وملك بحور عين وحفدة وطيف عليه بكؤوس وسكن حضيره قدس وتقلب في نعيم وسقي من تسنيم وشرب من عين سلسبيل ومزج له بزنجبيل مختم بمسك وعبير مستديم للملك مستشعر للسرور ويشرب من خمور في روض مغدق ليس يصدّع من شربه وليس ينزف، وهذه منزلة من خشي ربه وحذر نفسه معصيته فهو قول فصل وحكم عدل وخبر قص ووعظ نص تنزيل من حكيم حميد نزل به روح قدس مبين على قلب نبي مهتد رشيد صلت عليه رسل سفرة مكرمون بررة عذت برب عليم حكيم كريم من كل عدو لعين رجيم فليضرع متضرعكم وليبتهل مبتهلكم وليستغفر كل مربوب منكم لي ولكم وحسبي ربي وحده.



كتاب نثر اللئالىء

(٣) وجدنا في بعض المخطوطات القديمة التي عثرنا عليها في بعض مكتبات جبل عامل القديمة كتاباً جمعة الشيخ أبو علي الطبرسي صاحب مجمع البيان رحمه الله من كلام أمير المؤمنين عليه السلام رتبه على حرف المعجم؛ وسماه (نثر اللئالئ) وقد وجدنا هذا الكتاب أيضاً مطبوعاً على هامش الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام لكنه غير منسوب إلى أحد؛ وقد يوجد تفاوت يسير بين النسختين بالتقديم والتأخير وزيادة بعض الفقرات؛ فنشير إلى محل تلك الزيادة وهذه صورة ما وجدناه في المخطوط القديم:

(١) زبنية على وزن عقربة؛ واحد الزبانية وهم عند العرب الشرط، وسمي بذلك بعض الملائكة لدفعهم أهل النار إليها كما يفعل الشرط في الدنيا.

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب نثر اللئالئ من كلام مولانا وسيدنا أمير المؤمنين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين أبي الحسن المرتضى علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام على حروف المعجم؛ جمعه الشيخ الإمام الفاضل أبو علي الطبرسي رَحِمَهُ اللهُ.



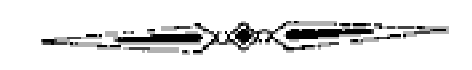
حرف الألف

إيمان المرء يعرف بأيمانه، أخوك من واساك بالنشب[1] لا من واساك بالنسب. أخوان هذا الزمان جواسيس العيوب. إظهار الغنى من الشكر. أدب المرء خير من ذهبه. أدب عيالك تنفعهم. أداء الدّين من الدّين. استراحة النفس في اليأس. إخفاء الشدائد من المروءة. أحسن إلى المسيء تسده.



حرف الباء

بر الوالدين شرف. بركة المال في إداء الزكاة. بشر نفسك بالظفر بعد الصبر. بع الدنيا بالآخرة تربح. بكاء المرء من خشية الله قرة عينه. بلاء الإنسان من اللسان. بركة العمر في حسن العمل. بكرة السبت والخميس بركة. بشاشة الوجه عطية ثانية. برك لا تبطله بالمنة. باكر بالخير تسعد. بطن المرء عدوه.



حرف التاء

تواضع المرء يكرمه. توكل على الله يكفك، تأخير الإساءة من المروءة. تدارك

(١) في هامش النسخة النشب المال والعقار؛ وفي هامش الدايون: أخوك من واساك في الشدة؛ ولم يذكر الفقرة الثانية. (المؤلف).

في آخر العمر ما فاتك في أوله. تكاسل المرء في الصلاة من ضعف الإيمان. تفاءل بالخير تنلهُ. تأكيد المودة في الحرمة. تغافل عن المكروه توقر. تزاحم الأيدي على الطعام بركة. تطرف بترك الذنوب.



حرف الثاء

ثبات النفس بالغذاء وثبات الروح بالغنى. ثلاث مهلكات بخل وهوى وعجب. ثلث الإيمان حياء وثلثُه عقل وثلثُه جود. ثلمة الدين موت العلماء. ثلمة الحرص لا يسدها إلا التراب. ثوب السلامة لا يبلى. ثَمِّن إحسانك بالاعتذار. ثبات الملك بالعدل، ثواب الآخرة خير من نعيم الدنيا. ثناء الرجل على معطيه مستزيد.



حرف الجيم

جد بما تجد. جهد المقل كثير. جمال المرء في الحلم. جليس السوء شيطان. جولة الباطل ساعة وجولة الحق إلى الساعة. جودة الكلام في الاختصار. جليس الخير غنيمة. جالس الفقراء تزدد شكراً. جل من لا يموت.



حرف الحاء

حلم المرء عونه. حلي الرجال الأدب وحلي النساء الذهب. حياءُ المرء ستره. حموضات الطعام خير من حموضات الكلام. حرقه الأولاد محرقة الأكباد. حسن الخلق غنيمة. حدة المرء تهلكه. حرم الوفاء على من لا أصل له. حرفة المرء كنزه.

حرف الخاء

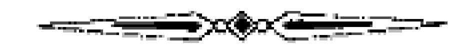
خف الله تأمن غيره. خالف نفسك تسترح. خير الأصحاب من يدلك على الخير. خابت صفقة من باع الدين بالدنيا. خليل المرء دليل عقله. خوف الله يجلو القلب. خلو القلب خير من ملء الكيس. خلوص الود من حسن العهد. خير المال ما أنفق في سبيل الله. خير النساء الولود الودود.

حرف الدال

داء النفس في الحرص. دواءُ القلب الرضا بالقضاء. دليل عقل المرء قوله. دليل أصل المرء فعله. دوام السرور برؤية الإخوان. دولة الأرذال آفة الرجال. دينار الشحيح حجر. دين الرجل خدينه. دولة الملوك بالعدل. دارِ من جفاك تخجيلا، دم على كظم الغيظ تحمد عواقبه.

حرف الذال

ذم الشيء من الاشتغال به. ذر الطاغي في طغيانه. ذنب واحد كثير وألف طاعة قليل. ذواق السلاطين محرقة الشفتين. ذكر الأولياء ينزل الرحمة. ذل المرء في الطمع. ذكر الموت جلاءُ القلوب. ذكر الشباب حسرة. ذليل الفقر عزيز عند الله، ذلاقة اللسان رأس المال.



حرف الراء

رؤية الحبيب جلاء العين. راع أباك يراعك ابنك. رفاهية العيش في الأمن. رتبة العلم أعلى الرتب. رزقك يطلبك فاستر، رسول الموت الولادة. رواية الحديث انتساب إلى رسول الله ﷺ. رعونات النفس متعباتها. راع الحق عند غليان النفس. رفيق المرء دليل عقله.



حرف الزاي

زن الرجال بموازينهم. رحمة الصالحين رحمة. زلة من العاقل كثير (زلة العاقل كثيرة خ ل). زوال العلم أهون من موت العلماء. زر المرء على قدر إكرامه لك. زهد العامي مضلة. زيارة الحبيب إطراء المحبة. زوايا الدنيا مشحونة بالرزايا. زيارة الضعفاء من التواضع. زينة الباطن خير من زينة الظاهر.



حرف السين

سوء الظن من الحزم. سرور الدنيا غرور. سوء الخلق وحشة لا خلاص منها. سيرة المرء تنبئ عن سريرته. سلامة في حبس اللسان. سكوت اللسان سلامة الإنسان. سادة الأمة الفقهاء. سكرة الأحياء سوء الخلق. سلاح الضعفاء الشكاية، سمو المرء في التواضع.



حرف الشين

شين العلم الصلف. شر الأموال أبعدها من الشرع. شمر في طلب الجنة. شح

الغني عقوبته. شمة من المعرفة خير من كثير العمل. شفاء الجنان من قراءة القرآن. شيبك ناعيك. شرط الإلفة ترك الكلفة. شر الناس من يتقيه الناس. شحيح غني أفقر من فقير سخي.



حرف الصاد

صدق المرء نجاته. صحة البدن في الصوم. صبرك يورث الظفر. صلاة الليل بهاءٌ في النهار. صلاح البدن في السكوت. صفاءُ القلب من الإيمان. صفو العيش من القناعة. صلاح الإنسان في حفظ اللسان. صاحب الأخيار تأمن الأشرار. صمت الجاهل ستره. صل الأرحام تكثر حشمك. صلاح الدين في الورع وفساده في الطمع.



حرف الضاد

ضرب الحبيب أوجع. ضل سعي من رجا غير الله. ضمن الله رزق كل أحد. ضياءُ القلب من أكل الحلال. ضرب اللسان أشد من طعن السنان. ضل من ركن إلى الأشرار. ضل من باع الدين بالدنيا. ضيق القلب أشد من ضيق اليد. ضاق صدر من ضاقت يده. ضاقت الدنيا على المتباغضين.



حرف الطاء

طاب وقت من وثق بالله. طوبى لمن رزق العافية. طول العمر مع الطاعة من خلع الأنبياء. طال عمر من قصر تعبه. طلب الأدب أولى من طلب الذهب. طال حزن من قصر رجاؤه. طر مع الأشكال. طاعة العدو هلاك. طاعة الله غنيمة. طوبى لمن لا أهل له.

حرف الظاء

ظلم المرء يصرعه. ظلم الملوك أولى من دلاله الرعية. ظلامة المظلوم لا تضيع. ظلم الظالم يقوده إلى الهلاك. ظمأ المال أشد من ظمأ الماء. ظلمة الظلم تظلم الإيمان. ظل عمر الظالم قصير. ظل الكريم فسيح. ظل الأعوج أعوج.



حرف العين

عش قنعاً تكن ملكاً. عيب الكلام تطويله. عاقبة الظلم وخيمة. علو الهمة من الإيمان. عدو عاقل خير من صديق جاهل. عسر الأمر مقدمة اليسر. عليك بالحفظ دون الجمع للكتب. عقوبة الظالم سرعة الموت. عقيب كل ليل يوم.



حرف الغين

غنم من سلم. غلا قدر المتقين. غمرة الموت أهون من مجالسة من لا يهواه قلبك. غلام عاقل خير شيخ جاهل. غاب خطأ من عاب نفسه. غدرك من دلك على الإساءة. غشك من أسخطك بالباطل. غضبك من الحق مقبحة. غنيمة المؤمن وجدان الحكمة.



حرف الفاء

فاز من ظفر بالدين. فخر المرء بفضله أولى من فخره بأصله. فلجك على خصمك في الاحتمال. فعل المرء يدل على أصله. فرع الشيء يخبر عن أصله. فاز من سلم من شر نفسه. فكاك المرء في الصدق. في كل قلب شغل. فسدت نعمة من كفرها.

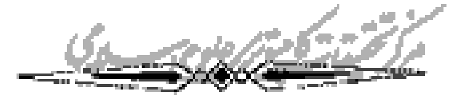
حرف القاف

قبول الحق من الدين. قول المرء يخبر عما في قلبه. قوة القلب من صحة الإيمان. قاتل الحريص حرصه. قدر في العمل تنج من الزلل. قيمة المرء ما يحسنه. قرين المرء دليل دينه. قرب الأشرار مضره. قسوة القلب من الشبع. قدر المرء ما يهمه. قول الجاهل في فيه.



حرف الكاف

كلام الله دواء القلب. كافر سخي أرجى من مسلم شحيح. كفران النعمة مزيلها. كفى بالشيب داء. كفى للحسود حسده. كمال العلم في الحلم. كفاك من عيوب الدنيا لا تبقى. كفاك هماً علمك بالموت. كمال الجود الاعتذار معه. كفاك بالشيب ناعياً. كفى بالموت واعظاً.



حرف اللام

لكل غم فرج. لكل داء دواء. لين الكلام قيد القلوب. لين قولك تحبب. ليس الشيب من العمر. ليس للحسود راحة. ليس لسلطان العلم زوال. ليس الشهرة من الرعونة. لكل عداوة مصلحة إلا عداوة الحسود. لو يرى العبد الأجل ومروره لأبغض الأمل وغروره.



حرف الميم

مشرب العذب مزدحم. من علت همته طالت همومه. من كثر كلامه كثر ملامه. مجلس العالم روضة من رياض الجنة. مهلكة المرء حدة طبعه. مصاحبة الأشرار

ركوب البحر. ما ندم من سكت. مجلس الكرام حصون الكلام. منقبة المرء تحت لسانه. مجالسة الأحداث مفسدة الدين.



حرف النون

نور المؤمن من قيام الليل. نسيان الموت صدأ القلب. نور القبر في الصلاة في الظلم (نور قلبك بالصلاة في الظلمة خ ل). نعيت إلى نفسك حين شاب رأسك. نم آمناً تكن في أمهد الفراش، نيل المنى في الغنى. نار الفرقة أحر من نار جهنم. نور مشيبك لا تظلمه بالمعصية. نور وجه المؤمن في التقى. نضرة الوجه في الصدق.



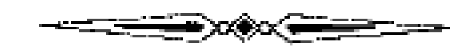
حرف الواو

والاك من لم يعادك. وضع الإحسان في غير موضعه ظلم. وزر صدقة المنان أكثر من أجره. ولاية الأحمق سريعة الزوال. ويل لمن ساء خلقه وقبح خَلقه. وحده المرء خير جليس السوء. واساك من تغافل عنك. ويل للمحسود من حسده. ولي الطفل مرزوق. ويل لمن وتر الأحرار.



حرف الهاء

هموم المرء بقدر همته. هيهات من نصحه العدو. هم السعيد آخرته وهم الشقي دنياه. هلاك المرء في العجب. هربك من نفسك أنفع من هربك من الأسد. هامة المرء همته. هاشم الثريد غير آكله. هلك الحريص وهو لا يعلم. همة المرء قيمته. هات ما عندك تعرف به.



حرف اللام ألف

لا فقر للعاقل. لا دين لمن لا مروءة له. لا كرامة للكاذب. لا راحة للحسود. لا غم للقانع. لا حرمة للفاسق. لا وفاء للمرأة. لا قذف للفاحش. لا إيمان لمن لا أيمان له. لا غنى لمن لا فضل له.

حرف الياء

يأتيك ما قدر لك. يعمل النمام في ساعة فتنة أشهر. يزيد الصدقة في العمر. يطلبك الرزق كما تطلبه. يأمن الخائف إذا وصل إلى ما خافه. يصير أمر الصبور إلى مراده. يبلغ المرء بالصدق منازل الكبار. يسود المرء قومه بالإحسان إليهم. يأس القلب رأس النفس. يسعد الرجل بمصاحبة السعيد.

تم كتاب نشر اللئالئ وقد عددنا كلماته فوجدناها مائتين وإحدى وتسعين كلمة وكان آخر النسخة المنقول عنها ما صورته: اللهم لا تخيب رجاءنا وارزقنا سعادة الدارين ببركة السعداء عندك، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين، كتبها لنفسه فقير يومه وأمسه المحتاج إلى عفو الله ورحمته وشفاعة نبيه ﷺ العبد الفاني بهاء الدين حسين بن محمد قاسم؛ غفر الله له ولجميع المؤمنين بمحمد وآله الطاهرين صلى الله عليهم.



من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في الباب الأخير من نهج البلاغة:

(٤) كن في الفتنة كابن اللبون[1] لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب. من رضي عن نفسه كثر الساخط عليه. إذا أقبلت الدنيا على قوم أعارتهم محاسن غيرهم وإن

(١) ابن اللبون الذي استكمل السنة الثانية ودخل في الثالثة؛ والأنثى بنت اللبون لأن أمها في الأغلب تضع غيرهما فتكون ذات لبن (والفتنة) الخصومة والحرب بين رئيسين ضالين.

أدبرت عنهم سلبتهم محاسن أنفسهم. خالطوا الناس مخالطة إن متم معها بكوا عليكم وإن عشتم حنوا إليكم. إذا قدرت على عدوك فاجعل العفوّ عنه شكراً للقدرة عليه. أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان وأعجز منه من ضيّع من ظفر به منهم. إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر. من جرى في عنان أمله عثر بأجله. أقيلوا ذوي المروءات عثراتهم فما يعثر منهم عاثر إلا ويده بيد الله يرفعه. الفرصة تمر مر السحاب فانتهزوا فرص الخير. من أبطأ به عمله لم يسرع به حسبه. من كفارة الذنوب العظام إغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب. يا ابن آدم إذا رأيت ربك سبحانه يتابع عليك نعمه وأنت تعصيه فاحذره. ما أضمر حاسد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه. أفضل الزهد إخفاء الزهد. إذا كنت في إدبار والموت في إقبال فما أسرع الملتقى. الحذر الحذر فوالله لقد ستر حتى كأنه غفر. كن سمحاً ولا تكن مبذراً وكن مقدراً ولا تكن مقترا. من أسرع إلى الناس فيما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون. لسان العاقل وراء قلبه وقلب الأحمق وراء لسانه. سيئة تسوءك خير من حسنة تعجبك. قدر الرجل على قدر همته؛ وصدقه على قدر مروءته؛ وشجاعته على قدر أنفته؛ وعفته على غيرته. احذروا صولة الكريم إذا جاع واللئيم إذا شبع[1]، لا غنى كالعقل ولا فقر كالجهل ولا ميراث كالأدب ولا ظهير كالمشاورة. الصبر صبران صبر على ما تكره وصبر عما تحب. الغنى في الغربة وطن والفقر في الوطن غربة. القناعة كنز لا ينفد. المال مادة الشهوات. من حذرك كمن بشرك. اللسان سبع إن خلي عنه عقر. المرأة عقرب حلوة اللسبة. أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام. فقد الأحبة غربة. لا تستحي من إعطاء القليل فإن الحرمان أقل. العفاف زينة الفقر والشكر زينة الغنى. إذا تمّ العقل نقص الكلام. نفس المرء خطاه إلى أجله. إن الأمور إذا اشتبهت اعتبر آخرها بأولها. الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق. قيمة كل امرىء ما يحسنه. من ترك قول لا أدري أصيبت مقاتله. إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة.

---

(١) أخذه البحتري فقال:

أراقب صول الوغد حين يهزه اقتدار وصول الحر حين يضام

ومثله قول أبي الطيب:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

إضاعة الفرصة غصة. توقوا البرد في أوله وتلقوه في آخره فإنه يفعل في الأبدان كفعله في الأشجار أوله يحرق وآخره يورق. لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث في نكبته وغيبته ووفاته. جهاد المرأة حسن التبعل. استنزلوا الرزق بالصدقة ومن أيقن بالخلف جاد بالعطية. تنزل المعونة على قدر المؤونة. ما عال من اقتصد. التودد نصف العقل والهم نصف الهرم. المرء مخبوء تحت لسانه. هلك امرؤ لم يعرف قدره. عاتب أخاك بالإحسان إليه واردد شره بالإنعام عليه. من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومن من أساء به الظن. من استبد برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركهم في عقولهم. لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. كم من أكلة تمنع أكلات. إذا هبت أمراً فقع فيه فإن شدة توقيه أعظم مما تخاف منه[1] الطمع رق مؤبد ثمرة التفريط الندامة وثمرة الحزم السلامة. لا خير في الصمت عن الحكم كما أنه لا خير في القول بالجهل. كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلا وعاء العلم فإنه يتسع به. المودة قرابة مستفادة. أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع. من أشرف أفعال الكريم غفلته عما يعلم. من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه. (وسئل) عن الإيمان فقال: الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان. من أتى غنياً فتواضع له لغناه ذهب ثلثا دينه. وسئل عن قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] فقال: هي القناعة. شاركوا الذين قد أقبل عليهم الرزق فإنه أخلق للغنى وأجدر بإقبال الحظ (وقيل له) صف لنا العاقل فقال: هو الذي يضع الشيء مواضعه فقيل فالجاهل قال قد فعلت. إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار وإن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار. المرأة شر كلها وشر ما فيها إنه لا بد منها؛ من طاع التواني ضيع الحقوق ومن أطاع الواشي ضيع الصديق. الحجر الغصب في الدار رهن على خرابها. من ظن بك خيراً فصدق ظنه. أفضل الأعمال ما أكرهت نفسك عليه. الحدة ضرب من الجنون لأن صاحبها يندم فإن لم يندم فجنونه مستحكم. صاحب السلطان كراكب الأسد يغبط بموضعه وهو أعلم بموقعه. قليل تدوم عليه أرجي من كثير مملول منه. رسولك ترجمان

(١) أخذه المتنبي فقال:

كل ما لم يكن من الصعب في الأنـ ... ـفس سهل فيها إذا هو كانا

عقلك وكتابك أبلغ من ينطق عنك. ما زنى غيور قط. اتقوا ظنون المؤمنين فإن الله جعل الحق على ألسنتهم. اتقوا معاصي الله في الخلوات فإن الشاهد هو الحاكم. أقل ما يلزم لله سبحانه وتعالى أن لا تستعينوا بنعمه على معاصيه. المسؤول حر حتى يعد. ماء وجهك جامد يقطره السؤال فانظر عند من تقطره. الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق والتقصير عن الاستحقاق عي أو حسد. أشد الذنوب ما استهان به صاحبه. من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره ومن سل سيف البغي قتل به. من كثر كلامه كثر خطأه ومن كثر خطأه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار. ومن نظر في عيوب غيره فأنكرها ثم رضيها لنفسه فذلك هو الأحمق بعينه. لا تظنن بكلمة خرجت من أحد سوءاً وأنت تجد لها في الخير محتملاً. البخل جامع لمساوئ العيوب وهو زمام يقاد به إلى كل سوء. الكلام في وثاقك ما لم تتكلم فإذا تكلمت به صرت في وثاقه فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك فرب كلمة سلبت نعمة. لا تقل ما لم تعلم بل لا تقل كل ما تعلم فإن الله سبحانه قد فرض على جوارحك كلها فرائض يحتج بها عليك يوم القيامة. الطمأنينة إلى كل أحد قبل الاختبار عجز. من هوان الدنيا على الله لا يعصى إلا فيها ولا ينال ما عنده إلا بتركها. المنية ولا الدنية. ومن لم يعط قاعداً لم يعط قائماً. ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالاً على الله. التقى رأس الأخلاق كفاك أدباً لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك. قال عليه السلام في صفة الدنيا أن الله سبحانه وتعالى لم يرضها ثواباً لأوليائه ولا عقاباً لأعدائه. مسكين ابن آدم مكتوم الأجل مكنون العلل محفوظ العمل تؤلمه البقة وتقتله الشرقة وتنتنه العرقة. من أصلح سريرته أصلح الله علانيته ومن عمل لدينه كفاه الله أمر دنياه ومن أحسن فيما بينه وبين الله أحسن الله ما بينه وبين الناس. الحلم غطاء ساتر والعقل حسام قاطع؛ فاستر خلل خلقك بحلمك وقاتل هواك بعقلك. لا ينبغي للعبد أن يثق بخصلتين العافية والغنى بينا تراه معافى إذا سقم وبينا تراه غنياً إذا افتقر، الزهد كله بين كلمتين من القرآن قال الله سبحانه: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣] ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد الزهد بطرفيه. ليس بلد أحق بك من بلد خير البلاد ما حملك. ما مزح امرؤ مزحة إلا ومج من عقله مجة. الحلم والأناة توأمان نتيجتهما الهمة. الغيبة جهد

العاجز رب مفتون بحسن القول فيه. ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا. شر الإخوان من تكلف له.

(٥) قال أمير المؤمنين عليه السلام عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب ويفوته الغنى الذي إياه طلب فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء؛ وعجبت للمتكبر الذي كان بالأمس نطفة ويكون غداً جيفة؛ وعجبت لمن شك في الله وهو يرى خلق الله وعجبت لمن نسي الموت وهو يرى من يموت؛ وعجبت لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الاولى، وعجبت لعامر دارالفناء وتارك دار البقاء.

(٦) وقال عليه السلام في صفة المؤمن: بشره في وجهه وحزنه في قلبه أوسع شيء صدراً وأذل شيء نفساً يكره الرفعة ويشنأ السمعة طويل غمه بعيد همه كثير صمته مشغول وقته شكور صبور مغمور بفكرته ضنين بخلته سهل الخليقة لين العريكة نفسه أصلب من الصلد وهو أذل من العبد.

(٧) وقال عليه السلام: إن للوالد على الولد حقاً وإن للولد على الوالد حقاً، فحق الوالد على الولد أن يطيعه في كل شيء إلا في معصية الله سبحانه، وحق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن أدبه ويعلمه القرآن.

(٨) وقال عليه السلام إن أولياء الله هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا إذ نظر الناس إلى ظاهرها واشتغلوا بأجلها إذا اشتغل الناس بعاجلها، فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم وتركوا منها ما علموا أنه سيتركهم ورأوا استكثار غيرهم منها استقلالاً ودركهم لها فوتاً أعداء لما سالم الناس وسلم لما عادى الناس، بهم علم الكتاب وبه علموا وبهم قام الكتاب وبه علموا وبهم قام الكتاب وبه قاموا لا يرون مرجو فوق ما يرجون ولا مخوفاً فوق ما يخافون.

(٩) العقل عقلان موهوب ومكسوب، فالعقل الموهوب هو الذي خلقه الله تعالى في عباده يميزون به بين القبيح والحسن والمكسوب هو الذي يكتسبه المرء بالمعاشرة والتجارب قال الشاعر:

وإن العقل عقلان ... فموهوب ومكسوب

ولا ينفع مكسوب ... إذا لم يك موهوب

كما لا تنفع الشمس ونور العين محجوب

وتروى لأمير المؤمنين عليه السلام هكذا:

رأيت العقل عقلين فمسموع ومطبوع
ولا ينفع مطبوع إذا لم يك مسموع
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

(١٠) قيل: ثلاثة تذهب ثلاثة الاستخفاف بالصالحين يذهب الآخرة والاستخفاف بالملوك يذهب الدنيا والاستخفاف بحوائج الناس يذهب المروءة.

(١١) قال أمير المؤمنين عليه السلام ثلاثة مجالستهم تميت القلب الأغنياء والنساء والأنذال فانظر لعاقبة أمرك فثمرة الحزم السلامة وثمرة التفريط الندامة.

(١٢) وقال عليه السلام: للمنافق ثلاث علامات يخالف لسانه قلبه وقلبه فعله وعلانيته سريرته؛ (وللمرائي) ثلاث علامات يكسل إذا كان وحده وينشط إذا كان مع الناس ويتعرض في كل أمر فيه محمدة؛ (وللحاسد) ثلاث علامات يغتاب إذا غاب ويتملق إذا حضر ويشمت بالمصيبة؛ وللمسرف ثلاث علامات يأكل ما ليس له ويلبس ما ليس له ويشتري ما ليس له.

(١٣) قيل ثلاث لا تحتاج إلى ثلاث. الموت إلى مرض. والمحبة إلى حسن. والسعادة إلى علم.

(١٤) قال معاوية يوماً لخالد بن عمر لِمَ أحببت علياً؟ قال: على ثلاث خصال على حلمه إذا غضب وعلى صدقه إذا قال وعلى عدله إذا حكم.

(١٥) قيل لا تطلب الحوائج من ثلاثة. لا تطلبها من كذوب فإنه يقربها وإن كانت بعيدة ويبعدها وإن كانت قريبة. ولا من رجل قد جعل المسألة مأكلة فإنه يقدم حاجته قبلها ويجعل حاجتك وقاية لها. ولا من أحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك.

(١٦) قيل مصائب الدنيا ثلاث: المشي ولو قدم والبنت ولو مريم والدين ولو درهم.

(١٧) قيل مصائب الدنيا أربع عالم زل وعابد مل وغريب اعتل وعزيز قوم ذل.

(١٨) قيل طريق الجنة في أيدي أربعة العالم والزاهد والعابد والمجاهد فإذا

صدق العالم في دعواه رزق الحكمة (والزاهد) يرزق الأمن والعابد يرزق الخوف والمجاهد يرزق الثناء.

(١٩) قال أمير المؤمنين لابنه الحسن عليه السلام: يا بني أحفظ عني أربعاً وأربعاً لا يضرك ما عملت معهن. إن أغنى الغنى العقل. وأكبر الفقر الحمق. وأوحش الوحشة العجب. وأكرم الحسب حسن الخلق. يا بني إياك ومصادقة البخيل فإنه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه؛ وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بأكله؛ وإياك ومصادقة الكذاب فإنه كالسراب يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب.

(٢٠) عن الترمذي: خمس صلاحها في خمس؛ صلاح الصبيان في المكتب والنساء في البيوت والفتيان في العلم والكهول في المساجد والقاطع في السجن.

(٢١) قيل: خمس خصال تزيد المرء هيبة وكمالاً؛ لزوم الصمت؛ وترك ما لا يعنيه؛ والنظر إلى عيوب نفسه. وترك عيوب غيره. والاستعانة على الحوائج بالكتمان.

(٢٢) قال أمير المؤمنين عليه السلام: دواء القلب خمسة أشياء. قراءة القرآن بالتدبر وخلاء البطن وقيام الليل. والتضرع عند السحر. ومجالسة الصالحين.

(٢٣) وقال عليه السلام: المعاصي ستة حب الدنيا والرياسة والطعام. والنساء. والنوم. والراحة.

(٢٤) قيل لبعضهم بما تعرف الأولياء في الخلق قال بسبعة أشياء: بلطف لسانهم وحسن خلقهم وبشاشة وجوههم وسخاوة أكفهم وقلة اعتراضهم؛ وقبول عذر من اعتذر إليهم وكمال الشفقة على جميع الخلق برهم وفاجرهم.

(٢٥) قيل سبعة لا ينبغي لذي لب أن يشاورهم جاهل وعدو وحسود ومرائي وجبان وبخيل وذي هوى فإن (الجاهل) يضل (العدو) يريد الهلاك (والحسود) يتمنى زوال النعمة (والمرائي) واقف مع رضا الناس (والجبان) من دأبه الهرب (والبخيل) حريص على جمع المال فلا رأي له في غيره (وذو الهوى) أسير هواه فهو لا يقدر على مخالفته.

(٢٦) قال بعض العرفاء: من جلس عند العالم ولم يطق الحفظ من علمه فله سبع كرامات: ينال فضل المتعلمين وتحبس عنه الذنوب ما دام عنده وتنزل الرحمة

عليه إذا خرج من منزله طالباً للعلم وإذا جلس في حلقة العالم نزلت الرحمة عليه فحصل له منها نصيب؛ وما دام في الاستماع يكتب له طاعة وإذا استمع ولم يفهم وضاق قلبه بحرمانه عن إدراك العلم فيصير ذلك الغم وسيلة إلى حضرة الله تعالى لقوله تعالى: «أنا عند المنكسرة قلوبهم»؛ ويرى اعزاز المسلمين للعالم وإذلالهم للفساق فيرد قلبه عن الفسق وتميل طبيعته إلى العلم؛ ولهذا أمر ﷺ بمجالسة الصالحين.

(٢٧) قال بعضهم: علم الله تعالى سبعة نفر سبعة أشياء: علم آدم عليه السلام الأسماء كلها (والخضر) علم الفراسة (يوسف) التعبير (وداود) صنعة الدروع (وسليمان) منطق الطير (وعيسى) التوراة والإنجيل؛ ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل (ومحمداً ﷺ) الشرع والتوحيد ويعلمه الكتاب والحكمة (فعلم آدم) كان سبباً في سجود الملائكة والرفعة عليهم (وعلم الخضر عليه السلام) كان سبباً لوجود موسى عليه السلام تلميذاً له وتذلله؛ وكذلك يوشع عليه السلام كما يستفاد من الآيات الواردة في القصة (وعلم يوسف عليه السلام) كان سبباً للرياسة والدرجة (وعلم سليمان عليه السلام) منطق الطير كان سبباً لوجدان بلقيس والغلبة (وعلم عيسى عليه السلام) التوراة كان سبباً لزوال التهمة عن أمه عليها السلام (وعلم محمد عليه السلام) كان سبباً في الشفاعة.

(٢٨) قال بعض العارفين من جلس مع ثمانية أصناف من الناس زاده الله ثمانية أشياء؛ (من جلس مع الأغنياء) زاده الله تعالى حب الدنيا والرغبة فيها (ومع الفقراء) حصل له الشكر والرضا بقسم الله تعالى (ومع السلطان) زاده الله تعالى القسوة والكبر (ومع النساء) زاده الله تعالى الجهل والشهوة (ومع الصبيان) ازداد من الجرأة على الذنوب وتسويف التوبة (ومع الصالحين) ازداد رغبة في الطاعات (ومع العلماء) ازداد من العلم.

(٢٩) قال المؤمنين عليه السلام ثمانية إذا أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم؛ الذاهب إلى مائدة لم يدع إليها والمتأمر على رب البيت وهو ضيف وطالب الخير من أعدائه وطالب الفضل من اللئام والداخل بين اثنين في سرّ لم يدخلاه فيه والمستخف بالسلطان والجالس في مجلس ليس من أهله والمقبل بالحديث على من لا يسمعه منه.

(٣٠) قال عامر الشعبي تكلم أمير المؤمنين علي عليه السلام بتسع كلمات ارتجلهن ارتجالاً فقأن عيون البلاغة وائتمن جواهر الحكمة وقطعن جميع الأنام عن اللحاق بواحدة منهن (ثلاث) منها في المناجاة (وثلاث) منها في الحكمة (وثلاث) منها في الأدب (فأما) اللاتي في المناجاة (فقال): إلهي كفى بي عزاً أن أكون لك عبداً. وكفى بي فخراً أن تكون لي رباً. أنت كما أحب فاجعلني كما تحب.

وأما اللاتي في الحكمة (فقال): قيمة كل امرىء ما يحسنه. وما هلك امرؤ عرف قدره. والمرء مخبوء تحت لسانه. وأما اللاتي في الأدب فقال: أمنن على من شئت تكن أميره. واحتج إلى من شئت تكن أسيره. واستغن عمن شئت تكن نظيره.

(٣١) أوصت أعرابية بنتها ليلة إهدائها فقالت: إنك قد خلفت العش الذي فيه درجت والوكر الذي منه خرجت إلى منزل لم تعرفيه وقرين لم تألفيه، فكوني له أمة يكن لك عبداً واحفظي عني خصالاً عشراً (أما الأولى والثانية) فحسن الصحابة له بالقناعة وجميل المعاشر بالسمع والطاعة (الثالثة والرابعة) التفقد لمواقع عينه والتعهد لمواضع أنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يجد أنفه خبيث ريح (واعلمي) أن الكحل أحسن الحسن المفقود والماء أطيب الطيب الموجود (والخامسة والسادسة) الحفظ لماله والإرعاء لحشمة وعياله (واعلمي) أن أصل الاحتفاظ بالمال التقدير وأصل الإرعاء حسن التدبير (والسابعة والثامنة) التعهد لوقت طعامه والهدوء والسكون عند منامه فحرارة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة (والتاسعة والعاشرة) لا تفشين له سراً ولا تعصين له أمراً؛ فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره وإن عصيت أمره أوغرت صدره.

(٣٢) قال بعض الحكماء من غرس عشرة اجتنى عشرة (من غرس العلم) اجتنى النباهة (ومن غرس الزهد) اجتنى العزة (ومن غرس الإحسان) اجتنى المحبة (ومن غرس الفكر) اجتنى الحكمة (ومن غرس الوقار) اجتنى الهيبة (ومن غرس المداراة) اجتنى السلامة (ومن غرس الكبر) اجتنى المقت (ومن غرس الحرص) اجتنى الذل (ومن غرس الطمع) اجتنى الخزي (ومن غرس الحسد) اجتنى الكمد.

(٣٣) قيل أمعاء ابن آدم ثمانية عشر شبراً ستة للطعام وستة للشراب وستة للنفس فلا ينبغي أن يزيد شيء منها عن حده.

(٣٤) قالت الفرس: الأعمال خمسة وعشرون (خمسة) منها بالقضاء والقدر وهي الزوجة والولد والمال والملك والحياة (وخمسة) منها بالكسب والاجتهاد وهي العلم والكتابة والفروسة ودخول الجنة أو النار (وخمسة) منها بالطبع وهي المداراة والوفاء والتواضع والسخاء والصدق (وخمسة) منها بالعادة وهي المشي في الطريق والأكل والنوم والجماع والبول المفرط (وخمسة) منها بالإرث وهي الجمال وطيب الخلق وعلو الهمة والتكبر والرياء.

(٣٥) وجد في بعض خزائن العجم لوح مكتوب فيه: كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو؛ فإن موسى عليه السلام ذهب ليقتبس ناراً فنودي بالنبوة.

(٣٦) أوصى بعض الحكماء ولده وكان جليساً للسلطان، فقال: يا بني إياك أن تلبس من الثياب ما يديم الناس بسببه النظر إليك، وعليك بالأبيض الناعم واجتنب الوشي فإنه لا يلبسه إلا ملك أو أمير وإياك أن يجد أحد منك خلوفاً[1]، وعليك بالزنجبيل واللبان فإنه يطيب خلوف فمك ويصلح بدنك ويحدد ذهنك، وإياك حاشية الملك أن تتعرض لهم فإنهم يرضيهم منك اليسير ما لم يروا منك تحاملاً؛ وكن من العامة قريباً يكثر دعاؤهم لك ولا تنسب إلى دناءة فإنك لا تستقيلها.

(٣٧) قال جابر: هلاك الرجل أن يحتقر ما في بيته أن يقدمه إلى ضيفه وهلاك الضيف أن يحتقر ما قدم إليه.

(٣٨) قال بعض الفلاسفة: العلم ميت يحييه الطلب، فإذا حيي فهو ضعيف يقويه الدرس، فإذا قوي بالدرس فهو محتجب تظهره المناظرة فإذا ظهر فهو عقيم نتاجه العمل.



حكم متفرقة من كلام الحكماء والعارفين:

(٣٩) ما أبين وجوه الخير والشر في مرآة العقل إذا لم يصدئها الهوى. أحرى بمن كان عاقلاً أن يكون عما لا يعنيه غافلاً. لا تجالس الحمقى فإنه يعلق بك من

---

(١) الخلوف بوزن قعود، يقال خلف فمه خلوفاً، إذا تغيرت رائحته، ومنه الحديث لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. (المؤلف).

مجالستهم يوماً من الفساد ما لا يعلق بك من مجالسة العقلاء دهراً فإن الفساد أشد التحاماً بالطبائع. مروءة الرجل صدق لسانه واحتمال عثرات إخوانه. المرء يعرف ببرده كالسيف لا يعرف بغمده. استحي من مدح من لو كان غائباً لبالغت في ذمة ومن ذم من لو كان حاضراً لسارعت إلى مدحه. آخر الدواء الأجل. السرور الرضا بالقسم والطاعة في النعم ونفي الاهتمام برزق غد. استظهر على من دونك بالنفل وعلى نظرائك بالإنصاف وعلى من فوقك بالإجلال تأخذ بأزمة التدبير. من نافس الإخوان قل صديقه. الجهل مطية سوء من ركبها زل ومن صحبها ذل. من كان عبداً للحق فهو حر. من سلك الجدد أمن العثار. من تأنى نال ما يتمنى. من بذل بعض عنايته لك فابذل جميع شكرك له. من قاس الأمور فهم المستور. صديقك من صدقك لا من صدّقك. من عاب نفسه فقد زكاها. من بلغ غاية ما يحب فيتوقع غاية ما يكره. لا سرف في الخير كما لا خير في السرف. اللسان الصغير الجرم عظيم الجرم. لا تشرب السم اتكالاً على ما عندك من الدرياق. ارع من عظمك من غير حاجة إليك. إياك وما يعتذر منه. لا تكن رطباً فتعصر ولا يابساً فتكسر. يهلك الناس في حالتين فضول المال وفضول الكلام. وعد بلا وفاء عداوة بلا سبب. وضع الإحسان في غير موضعه ظلم. جليس المرء مثله. مجلس العلم روضة من رياض الجنة. من فك كفيه وكف فكيه فهو من أنفع الناس. ربما كانت العطية خطية والعناية جناية. لو صور الصدق لكان أسداً ولو صور الكذب لكان ثعلباً. من لم يصبر على كلمة سمع كلمات. المنية تضحك عن الأمنية. الحر عبد إذا طمع والعبد حر إذا قنع. الفرصة سريعة الفوت بطيئة العود. الأنام فرائس الأيام. اتبع ولا تبتدع. غش القلوب يظهر على اللسان والوجه. في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق. قلل طعامك تحمد منامك. من اشترى ما لا يحتاج إليه باع ما يحتاج إليه. لا تعد نفسك من الناس ما دام الغضب غالباً عليك. من ساواك بنفسه ما ظلمك. رب زارع لنفسه حاصد لسواه. زر غباً تزدد حباً. فقد الإخوان غربة. مقتل الرجل بين فكيه. من حسن إسلام المرء ترك ما لا يعنيه. أحسن إذا أردت أن يحسن إليك. افهم الناس من ينظر في العواقب. التواضع زيادة في الشرف. جمال المرء في التواضع. من صادق العلماء زها بدره ومن رافق السفهاء وهى قدره. اجتهد في طلب العلوم تنفرد بما يرفعك إلى النجوم. التقوى أفضل حلة والمروءة أجل خلة. الحق سيف

قاطع والحلم درع مانع. اليأس يعز الأصاغر والطمع يذل الأكابر. لا تقل إلا ما يطيب عنك نشره ولا تفعل إلا ما يسطر لك أجره؛ من تكلم فيما لا يعنيه أدخل نفسه فيما لا يرضيه.

(٤٠) من كلام لقمان: القلوب مزارع فازرع فيها الكلمة الطيبة فإن لم تتمتع بثمرها تتمتع بخضرتها.

(٤١) قال ابن عباس: لو كانت تاجراً لما أتجرت غير المسك لأنه إن فاتني ربحه لم يفتني ريحه.

(٤٢) من كلام الصاحب بن عباد: من استماح البحر العذب استخرج اللؤلؤ الرطب. من كفر النعمة استوجب النقمة من لم ينفعه يسير الإشارة لم ينفعه كثير العبارة.

(٤٣) قال الأحنف بن قيس واسمه صخر والأحنف لقبه: خير الإخوان من أن استغنيت عنه لم يزدك في المودة؛ وإن احتجت إليه لم ينقصك وإن كوثرت عضدك وإن استرفدت رفدك.

(٤٤) حكي أن أويساً القرني كان يقتات من المزابل؛ ولباسه من الخرق التي يجمعها من المزابل فيغسلها ويلفق بعضها إلى بعض، وربما مر به الصبيان فيرمونه بالأحجار يظنون به الجنون فبينما هو يقتات من المزبلة إذ نبحته كلبة فقال لها كلي مما يليك وأنا آكل مما يليني؛ فإذا جزت الصراط فانا خير منك وإلا فأنت خير مني؛ وكان أقاربه يقولون إنه مجنون.

(٤٥) من كلام بعضهم: العلم والأدب كنزان لا ينفدان وسراجان لا يطفأان وحلتان لا يبليان؛ من نالهما أصاب الرشاد وعرف طريق المعاد وعاش سعيد بين العباد. ولا يكون العالم عالماً حتى تكون فيه ثلاث خصال: لا يحتقر من دونه ولا يحسد من فوقه ولا يأخذ على العلم ثمناً.

(٤٦) قيل لرجل من فصحاء العرب بم نلت العلم؟ قال: بلسان سؤول وقلب عقول؛ (ثم قال): إن للعلم آفة وإضاعة ونكداً واستجاعة فآفته النسيان وإضاعته أن تحدث به غير أهله ونكده الكذب واستجاعته إن صاحبه منهوم لا يشبع.

(٤٧) افتخر بعض الأغنياء عند بعض الحكماء بالآباء والأجداد وبزخارف

المال المستفاد؛ فقال له الحكيم: إن كان في هذه فخر فينبغي أن يكون الفخر لها لا لك؛ وإن كان آباؤك كما ذكرت فالفخر لهم لا لك.

(٤٨) قيل لما ضربت الدراهم والدنانير حملها اللعين إبليس وقال هذه سلاحي وقرة عيني بها أغوي وأطغي وأكفر بني آدم ويستوجبون بسببها النار.

(٤٩) كتب بعض الحكماء إلى بعض الملوك: إن أحق الناس بذم الدنيا وبغضها من بسط له فيها وأعطي فوق حاجته منها؛ لأنه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه أو على جمعه فتفرقه أو على سلطانه فتهدم قواعده أو تدب على جسمه فتسقمه أو بمن هو ضنين به من أحبابه وأهل مودته فالدنيا أحق بالذم الآخذة ما تعطي الراجعة فيما تهب، بينما تضحك صاحبها إذا أضحكت منه غيره وبينما تبكيه إذا أبكت عليه، وبينما هي تبسط كفيه بالعطاء إذا بسطتهما بالمسألة تعقد على رأس صاحبها اليوم وتعفره في التراب في غد سواء عليها ذهاب من ذهب وبقاء من بقي تجد في الباقي من الذاهب خلفاً وترضى من كل شيء بدل.

(٥٠) قال شقيق: إذا أردت أن تكون في راحة فكل ما أصبت والبس ما وجدت وارض بما قضي عليك.

(٥١) من أمثال العرب: إن لله جنوداً منها العسل[1] إن البلاء موكل بالمنطق. إن الذليل الذي ليست له عضد، إنك لا تجني من الشوك العنب؛ أول الحزم المشورة. إياك وأن يضرب لسانك عنقك؛ آفة المروءة خلف الموعد. إياك والبغي فإنه عقال النصر. إياك وإعراض الرجال، اتبع السيئة الحسنة تمحها. اتق شر من أحسنت إليه. تناس مساوئ الإخوان يدم لك ودهم. حبك الشيء يعمي ويصم.

(٥٢) وصايا ونصائح للعلماء وطلاب العلم منقولة من كلام بعض العرفاء:

ينبغي اتهامك لنفسك ولا تحسن الظن بها، واعرض خواطرك على العلماء ولا تعجل ولا تعجب، فمع العجب العثار ومع الاستبداد الزلل، ومن لم يعرق جبينه إلى أبواب العلماء لم يعرق في الفضيلة، ومن لم يخجلوه لم يبجله الناس، ومن لم يبكتوه لم يسود ومن لم يحتمل ألم التعلم لم يذق لذة العلم، ومن لم يكدح لم يفلح

(١) تمثل به معاوية حين دس إلى الأشتر سماً في عسل فمات منه.

(لا تتألم) إذا أعرضت عنك الدنيا ولو عرضت لك لشغلتك عن كسب الفضائل فإذا تمكن الرجل في كسب العلم وشهرته خطب من كل جهة وعرضت عليه المناصب وجاءته الدنيا صاغرة فأخذ ما أهدته وماء وجهه موفر وعرضه ودينه مصون، (والعالم) مع هذا لا يجد إلا من يميل إليه ويؤثر قربه ويأنس به ويرتاح بمداناته، (وإياك) والغلظة في الخطاب والجفاء في المناظرة فإن ذلك يذهب ببهجة الكلام ويسقط فائدته ويعدم حلاوته ويجلب الضغائن ويمحق المودات ويصير القائل مستثقلاً سكوته أشهى إلى السامع من كلامه ويثير النفوس على معاندته ويبسط الألسن بمخاشنته وإذهاب حرمته، (ولا تترفع) حيث تستقتل ولا تتنازل حيث تستخس وتستحقر، واجعل كلامك كله جزلاً وأجب من حيث تعقل لا من حيث تعتاد وتألف وانزح عن عادات الصبا وتجرد عن مألوفات الطبيعة واجعل كلامك لا هوتياً في الغالب لا ينفك عن خبر أو قول حكيم أو بيت نادر أو مثل سائر.

(٥٣) عن أحدهم عليه السلام أشقى الناس من يكرمونه مخافة لسانه، وما شيء أحق بطول السجن من اللسان وهو يشرف في كل يوم على الجوارح فيقول كيف أصبحتم فيقولون بخير إن تركتنا لأننا نثاب ونعاقب بك.

٥٤ - من نهج البلاغة: المرء أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وهو ما بينهما يحمل العذرة ومع ذلك يفخر، قال الشاعر:

ما بال من أوله نطفة وجيفة آخره يفخر

وقيل: ما لابن آدم والفخر وقد خرج من موضع البول مرتين وأوله نجس وآخره نجس؛ أخرجه الله تعالى من ظلمات الأرحام حتى توسد مهد الإنعام وكبر فاشمخر بأنفه وعتا على ربه.

٥٥ - قيل: لبعضهم أيما أحب إليك أخوك أم صديقك؟ فقال: ما أحب أخي إلا إذا كان لي صديقاً.

٥٦ - قال ابن عباس: القرابة تقطع والمعروف يكفر؛ وما رأيت كتقارب القلوب.

الفصل الثاني

في الحكم والآداب المنظومة

(١) قدر لرجلك قبل الخطو موضعها ... فمن علا زلقاً عن غرة زلجا

۞ ۞ ۞

(٢) ومن يك ذا فم مر مريض ... يجد مراً به الماء الزلالا

۞ ۞ ۞

(٣) من الديوان المنسوب لأمير المؤمنين عليه السلام :

أخوك الذي إن أجهضتك ملمة ... من الدهر لم يبرح لها الدهر واجما
وليس أخوك بالذي إن تشعبت ... عليك أمور ظل يلحاك لائما

۞ ۞ ۞

(٤) لا يصدفنك عن أمر تحاوله ... فراق أهل وأحباب وجيران
تلقى بكل ديار ما حللت بها ... أهلاً بأهل وأوطاناً بأوطان

۞ ۞ ۞

(٥) البحتري من قصيدة:

قنعت وجانبت المطامع لابساً ... لباس محب للنزاهة مؤثر
وآنسني علمي بأن لا تقدمي ... مفيدي ولا مزر بحظي تأخري
ولو فاتني المقدور مما أريده ... بسعي لأدركت الذي لم يقدر

۞ ۞ ۞

(٦) وله من أخرى:

ينال الفتى ما لم يؤمل وربما ... أتاحت له الأقدار ما لم يحاذر

۞ ۞ ۞

(٧) تريد مهذباً لا عيب فيه ... وهل عود يكون بلا دخان

(٨) ولست بمستبق اخالاً تلمه على شعث أي الرجال المهذب

⊛ ⊛ ⊛

(٩) المتنبي:

وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تكون جبانا
كل ما لم يكن من الصعب في الأنـ ـفس سهل فيها إذا هو كانا

⊛ ⊛ ⊛

(١٠) إذا أعجبتك خصال امرىء فكنه تكن مثلما يعجبك
فليس على المجد والمكرما ت إذا جئتها حاجب يحجبك

⊛ ⊛ ⊛

(١١) من أبيات:

فالسامع الذم شريك به ومطعم المأكول كالآكل
مقالة السوء إلى أهلها أسرع من منحدر سائل
ومن دعا الناس إلى ذمه ذموه بالحق وبالباطل

⊛ ⊛ ⊛

(١٢) كف عن الناس إذا شئت إن تسلم من قول جهول سفيه
من قذف الناس بما فيهم تقذفه الناس بما ليس فيه

⊛ ⊛ ⊛

(١٣) وليس صديقي من إذا قلت كلمة تخيل في أثناء موقعها أمرا
ولكنه من إن قطعت بنانه توهمها قصداً لمصلحة أخرى

⊛ ⊛ ⊛

(١٤) اطلب ولا تضجر من مطلب فآفة الطالب أن يضجرا
أما ترى الحبل وتكراره في الصخرة الصماء قد أثرا

⊛ ⊛ ⊛

(١٥) ألم تر إن الله قال لمريم وهزي إليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزه جنته ولكن كل شيء له سبب

❁ ❁ ❁

(١٦) من نال من دنياه أمنية أسقطت الأيام منها الألف
وكدرت من عيشه ما صفا وفرقت من جسمه ما ألف

❁ ❁ ❁

(١٧) إن العيون رمتك إذ قابلتها وعليك من مهن الثياب لباس
أما الطعام فكل لنفسك ما اشتهت واجعل لباسك ما اشتهته الناس

❁ ❁ ❁

(١٨) الحريري:

عليك بالصدق ولو أنه أحرقك الصدق بنار الوعيد
واطلب رضا المولى فأغبى الورى من أسخط المولى وأرضى العبيد

❁ ❁ ❁

(١٩) ما مات من كان حياً ذكره أبداً وفي الدفاتر قد تتلى فوائده
ولم يزل ذكره في الناس منتشراً وتنفع الناس في الدنيا عوائده

❁ ❁ ❁

(٢٠) الشريف الرضي:

ولا بد أن أسمى لأشرف رتبة وأمنع عن عيني لذيذ منامي
وأقتحم الخطب المهول بحيث أن أرى الموت خلفي تارة وأمامي
فإما مقاماً يضرب النجم دونه سرادقه أو ناعياً لحمامي
إذا أنا لم أبلغ مقاماً أرومه فكم حسرات في نفوس كرام

❁ ❁ ❁

(٢١) رضيتم من الدنيا بأيسر بلغة وأفنيتم أيامكم بمنام

فمن ذا الذي يغشاكم لملمة ... ومن ذا الذي يغشاكم بسلام
ألم تعلموا أن اللسان موكل ... بمدح كرام أو بذم لئام

❀ ❀ ❀

(٢٢) أبو العلاء المعري:

بقدر الجد تكتسب المعالي ... ومن رام العلى سهر الليالي
تروم الجد ثم تنام ليلاً ... يغوص البحر من طلب اللئالئ
ومن طلب العلوم بغير كد ... أضاع العمر في طلب المحال

❀ ❀ ❀

(٢٣) في الناس قوم أضاعوا مجداً ولهم ... ما في المكارم والتقوى لهم إرب
سوء التأدب أرداهم وأرذلهم ... وقد يزين صحيح المنصب الأدب

❀ ❀ ❀

(٢٤) لقد لامت فأكثرت الملاما ... وهيجت الصبابة والغراما
تقول لقد أهانتك الليالي ... لأنك ما قطعت لها ظلاما
وفاتتك المنى إذ نمت عنها ... وأدركها الذي هجر المناما
فقلت لها رعاك الله مهلاً ... فإني سوف أبلغك المراما
بعزم تعجز الآراء عنه ... وحزم يقطع العضب الحساما

❀ ❀ ❀

(٢٥) وقالوا يعود الماء في النهر جارياً ... ويخضر جنباه وتصفو المشارع
فقلت إلى أن يرجع الماء جارياً ... ويعشب جنباه تموت الضفادع

❀ ❀ ❀

(٢٦) اضرب وليدك تأديباً على رشد ... ولا تقل هو طفل غير محتلم
فرب شق برأس جر منفعة ... وقس على شق رأس السهم والقلم

❀ ❀ ❀

(٢٧) شفاء العمى طول السؤال وإنما — دوام العمى طول السكوت على الجهل
فكن سائلاً عما عناك فإنما — دعيت أخا عقل لتبحث بالعقل

❁ ❁ ❁

(٢٨) رددت إلى مليك الخلق أمري — فلم أسأل متى يقع الكسوف
وكم سلم الجهول من المنايا — وعوجل بالحمام الفيلسوف

❁ ❁ ❁

(٢٩) اصحب إذا ما صحبت ذا أدب — مهذباً زان خلقه الخلق
ولا تصاحب من في طبائعه — شر فإن الطباع تسترق

❁ ❁ ❁

(٣٠) تصور الدنيا بعين الحجى — لا بالتي أنت بها تنظر
الدهر بحر فاتخذ زورقاً — من عمل الخير به تعبر

❁ ❁ ❁

(٣١) لا تنظرن إلى عقل ولا أدب — إن الجدود قرينات الحماقات
واسترزق الله مما في خزائنه — فكل ما هو آت مرة آتي

❁ ❁ ❁

(٣٢) وإذا صاحبت فاصحب ماجداً — ذا حياء وعفاف وكرم
قائلاً للشيء لا إن قلت لا — وإذا قلت نعم قال نعم

❁ ❁ ❁

(٣٣) بعض العرب في كتمان السر:

ومستودعي سراً كتمت مكانه — عن الحس خوفاً أن ينمّ به الحس
وخفت عليه من هوى النفس شهوة — فأودعته من حيث لا تبلغ النفس

❁ ❁ ❁

(٣٤) كل الأمور تبيد عنك وتنقضي — إلا الثناء فإنه لك باقي

ولو أنني خيرت كل فضيلة ما اخترت غير مكارم الأخلاق

❁ ❁ ❁

(٣٥) لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه على ما تجلى يومه لا ابن أمسه
وما الفخر بالعظم الرميم وإنما فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

❁ ❁ ❁

(٣٦) المبرد:

ما القرب إلا لمن صحت مودته ولم يخنك وليس القرب بالنسب
كم من قريب دوي الصدر مضطغن ومن بعيد سليم غير مقترب

❁ ❁ ❁

(٣٧) بشار:

تود عدوي ثم تزعم أنني صديقك إن الرأي منك لعازب
وليس أخي من ودني رأي عينه ولكن أخي من ودني وهو غائب

❁ ❁ ❁

(٣٨) بعض العرب القحطانيين من بلاد اليمن في وصيته لبنيه:

أوصيكم بما وصى أباكم أبوه عن أبيه عن الجدود
أذيعوا العلم ثم تعلموه فما ذو العلم كالغر البليد
ولا تصغوا إلى حسد فتغووا غواية كل مختبل حسود
وذودوا الشر عنكم ما استطعتم فليس الشر من خلق الرشيد
وكونوا منصفين لكل دان لينصفكم من القاصي البعيد
وباب الكبر عنكم فاتركوه فإن الكبر من شيم العبيد
عليكم بالتواضع لا تزيدوا على فضل التواضع من مزيد
وإن الصفح أفضل ما ابتغيتم به شرفاً من الملك المعتد
وحق الجار لا تنسوه فيكم تنالوا كل مكرمة وجود

❁ ❁ ❁

(٣٩) لشيخنا الفقيه العلامة المعاصر التقي الورع العابد الزاهد الشيخ محمد علي آل عز الدين العاملي، المتوفى سنة ١٣٠١ هـ طاب ثراه:

يا قلب مالك عن هداك بغفلة ... قد غال منك هواك ما قد غالا
إن الزمان لجوهر ترمي به ... رمي القوي عن القسي نبالا
فاجهد لنفسك أن تفوتك ساعة ... إلا بها ترضي الإله تعالى
ولئن نسيت وصيتي قد بعتها ... وهي الثمينة بالرخيص ضلالا

❀ ❀ ❀

(٤٠) من معلقة طرفة بن العبد البكري:

ولا خير في خير يرى الشر دونه ... ولا قائل يأتيك بعد التلدد
لعمرك ما الأيام إلا معارة ... فما أسطعت من معروفها فتزود
أرى الموت عداد النفوس ولا أرى ... بعيداً غداً ما أقرب اليوم من غد
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي
إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ... ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي
أرى الموت لا يرعى على ذي قرابة ... وإن كان في الدنيا عزيزاً بمقعد

❀ ❀ ❀

(٤١) للشيخ أبي الحسن الكستي البيروتي المعاصر:

ذو الجهل يلقى كمال الشيء منقصة ... وينظر النور إذ يبدو له ظلما
كنسوة السوء يكرهن اللحى أبداً ... حتى العمائم في أبصارهن عمى

❀ ❀ ❀

(٤٢) الشيخ حسين الجزري:

لا تعجبن إن حط قدرك سافلاً ... وسما أخوك إلى المحل الأشرف
أو ما ترى نوع الأديم فإنه ... منه الحذاء ومنه جلد المصحف

❀ ❀ ❀

(٤٣) وله:

لا يضر الكريم قلة مال ... لا ولا باللئيم يجدي الثراء
فشبا مرهف الجبان كليل ... وبصنديدها تقد العصاء

❁ ❁ ❁

(٤٤) المتنبي:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله ... وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم
لا تخدعنك من عدو دمعة ... وارحم شبابك من عدو يرحم
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى ... حتى يراق على جوانبه الدم
والظلم من شيم النفوس فإن تجد ... ذا عفة فلعلة لا يظلم
ومن البلية عذل من لا يرعوي ... عن جهله وخطاب من لا يفهم
ومن العداوة ما ينالك نفعه ... ومن الصداقة ما يضر ويؤلم

❁ ❁ ❁

(٤٥) إذا كان ما فات لا يسترد ... وما خط في اللوح لا ينمحي
فلا تأمنن ولا تندمن ... ولا تحزنن ولا تفرحا

❁ ❁ ❁

(٤٦) الشريف الرضي من قصيدة:

كن في الأنام بلا عين ولا أذن ... أولا فعش أبد الأيام مصدورا
الناس أسد تحامي عن فريستها ... إما عقرت وإما كنت معقورا
كم وحدة هي خير من مصاحبة ... ينسى الجميع ويغدو الفذ مذكورا
من كشف الناس لم يسلم له أحد ... والناس داء فخل الداء مستورا

❁ ❁ ❁

(٤٧) ما انتفع المرء بمثل عقله ... وخير ذخر المرء حسن فعله

❁ ❁ ❁

(٤٨) لقد قنعت همتي بالخمول ... وصدت عن الرتب العاليه

وما جهلت طيب طعم العلا ولكنها تؤثر العافيه

❁ ❁ ❁

(٤٩) ولقائلهما:

بقدر الصعود يكون الهبوط فإياك والرتب العاليه
وكن في مكان إذا ما سقطت تقوم ورجلاك في العافيه

❁ ❁ ❁

(٥٠) سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب وإن كثرت منه لدي الجرائم
فما الناس إلا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثل مقاوم
فأما الذي فوقي فأعرف قدره واتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذي دوني فإن زل صنت عن إجابته نفسي وإن لام لائم
وأما الذي مثلي فإن زلّ أو هفا تفضلت أن الحر بالفضل حاكم

❁ ❁ ❁

(٥١) أبو تمام حبيب بن أوس الطائي:

أتأمل في الدنيا تجد وتعمر وأنت غداً فيها تموت وتقبر
تلقح آمالاً وترجو نتائجها وعمرك مما قد ترجيه أقصر
تحوم على إدراك ما قد كفيته وتقبل بالآمال فيه وتدبر
وهذا صباح اليوم ينعاك ضوؤه وليلته تنعاك إن كنت تشعر
ورزقك لا يعدوك إما موجل على حالة يوماً وإما مؤخر
ولا حول محتال ولا وجه مذهب ولا قدر يرجيه إلا المقدر
وقد قدر الأرزاق من ليس عادلاً عن العدل بين الناس فيما يقدر
فلا تأمن الدنيا وإن هي أقبلت عليك فما زالت تخون وتغدر
فما تم فيها الصفو يوماً لأهله ولا الرنق إلا ريثما يتغير
وما لاح نجم لا ولا ذر شارق على الخلق إلا حل عمرك يقصر
تطهر وألحق ذنبك اليوم توبة لعلك منه إن تطهرت تطهر

وشمر فقد أبدى لك الدهر وجهه ... وليس ينال الفوز إلا المشمر
فهذي الليالي مؤذناتك بالبلى ... تروح وأيام كذاك تبكر
وأخلص لدين الله صدراً ونية ... فإن الذي تخفيه يوماً سيظهر
وقد يستر الإنسان باللفظ فعله ... فيظهر عنه الطرف ما كان يستر
تأمل وفكر في الذي أنت صائر ... إليه غداً إن كنت ممن يفكر
فلا بد يوماً أن تسير لحفرة ... بأثنائها تطوى إلى يوم تنشر

⊛ ⊛ ⊛

(٥٢) أبو العلاء المعري من قصيدة:

غير مجد في ملتي واعتقادي ... نوح باك ولا ترنم شادي
وشبيه صوت النعي إذا قيـ ... ـس بصوت البشير في كل نادي
أبكت تلكم الحمامة أم غنـ ... ـت على فرع غصنها المياد
صاح هذي قبورنا تملأ الرحـ ... ـب فأين القبور من عهد عاد
خفف الوطء ما أظن أديم الـ ... أرض إلا من هذه الأجساد
وقبيح بنا وإن قدم العهـ ... ـد هوان الآباء والأجداد
سر إن اسطعت في الهواء رويداً ... لا اختيالاً على رفات العباد
رب لحد قد صار لحداً مراراً ... ضاحك من تزاحم الأضداد
ودفين على بقايا دفين ... في طويل الأزمان والآباد
فاسأل الفرقدين احتا ... من قبيل وآنسا من بلاد
كم أقاما على زوال نهار ... وأنارا لمدلج في سواد
تعب كلها الحياة فما أعـ ... ـجب إلا من راغب في ازدياد
إن حزنا في ساعة الموت أضعا ... ف سرور في ساعة الميلاد
خلق الناس للبقاء فضلت ... أمة يحسبونها للنفاد
إنما ينقلون من دار أعما ... لٍ إلى دار شقوة أو رشاد
ضجعة الموت رقدة يستريح الـ ... جسم فيها والعيش مثل السهاد
زحل أشرف الكواكب قدراً ... من لقاء الردى على ميعاد

ولنار المريخ من حدثان الد هر مطفٍ وإن علت باتقاد
والثريا رهينة بافتراق الشمـ ـمل حتى تمد في الأفراد
بأن أمر الإله واختلف النا س فداعٍ إلى ضلال وهادي
والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد
واللبيب اللبيب من ليس يغتر بكونٍ مصيره للفساد

❀ ❀ ❀

(٥٣) النضر بن لوي:

قالت طريفة ما تبقى دراهمنا وما بنا سرف فيها ولا خرق
أنا إذا اجتمعت يوماً دراهمنا ظلت إلى طرق الخيرات تستبق
لا يألف الدرهم المضروب صرتنا لكن يمر عليها وهو منطلق
حتى يصير إلى نذل يخلده يكاد من صره إياه ينمزق

❀ ❀ ❀

(٥٤) لعمرك إن المال قد يجعل الفتى سنياً وإن الفقر بالمرء قد يزري
وما رفع النفس الدنية كالغنى وما وضع النفس النفيسة كالفقر

❀ ❀ ❀

(٥٥) وإخوان تخذتهم دروعاً فكانوها ولكن للأعادي
وخلتهم سهاماً صائبات فكانوها ولكن في فؤادي
وقالوا قد صفت منا قلوب لقد صدقوا ولكن من ودادي

❀ ❀ ❀

(٦٥) أبو فراس الحمداني:

ما للعبيد من الذي يقضي به الله امتناع
ذدت الأسود عن الفرا ئس ثم تفرسني الضباع

❀ ❀ ❀

(٥٧) وله:

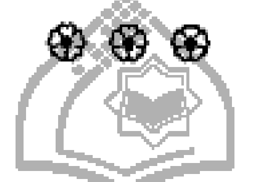
ليس جواداً معطية بسؤال | قد يمن السؤال غير جواد
إنما الجود ما أتاك ابتداء | لم تذق فيه ذلة الترداد

❀ ❀ ❀

(٥٨) وله:

ولما تخيرت الأخلاء لم أجد | صبوراً على حفظ المودة والعهد
سليماً على طي الزمان ونشره | أميناً على النجوى صحيحاً على البعد
ولما أساء الظن بي من جعلته | وإياي مثل الكف نيطت إلى الزند
حملت إلى ظني به سوء ظنه | وأيقنت أني في الأنام أنا وحدي
وإني على الحالين في العتب والرضا | مقيم على ما يعرف الناس من ودي

❀ ❀ ❀



(٥٩) أبو الفتح البستي:

يقولون ذكر المرء يحيا بنسله | وليس له ذكر إذا لم يكن نسل
فقلت لهم نسلي بدائع حكمتي | فإن فاتنا نسل فإنا بها نسلو

❀ ❀ ❀

(٦٠) أبو العتاهية:

الخلق كلهم عيا | ل الله تحت ظلاله
فأحبهم طرا إليه | ابرهم بعياله

❀ ❀ ❀

(٦١) ابن المعتز:

يا رب جود جر فقر امرئ | فقال للناس مقام الذليل
فاشدد عرى مالك واستبقه | فالبخل خير من سؤال البخيل

❀ ❀ ❀

(٦٢) أبو عفان:

إن أمس منفرداً فالليث منفرد … والبدر منفرد والسيف منفرد

❀ ❀ ❀

(٦٣) القاضي الجرجاني:

ما تطعمت لذة العيش حتى … صرت في وحدتي لكتبي جليسا
إنما السوء في مداخلة النا … س فدعها وكن كريماً رئيسا

❀ ❀ ❀

(٦٤) منصور الفقيه:

الناس بحر عميق … والبعد عنهم سفينه
وقد نصحتك فانظر … لنفسك المسكينه

❀ ❀ ❀

(٦٥) محمد بن بشير:

كم من مضيع فرصة قد أمكنت … لغد وليس غدٌ له بمواتي
حتى إذا فاتت وفات طلابها … ذهبت عليها نفسه حسرات

❀ ❀ ❀

(٦٦) ابن الرومي:

عيب الأناة وإن كانت مباركة … إن لا خلود وان ليس الفتى حجرا

❀ ❀ ❀

(٦٧) القطامي:

قد يدرك المتأني بعض حاجته … وقد يكون مع المستعجل الزلل
وربما فات قوماً بعض نجحهم … من التأني وكان الحزم لو عجلوا

❀ ❀ ❀

(٦٨) قال الأصمعي قلت لبشار بن برد: يا أبا معاذ والله ما سمعت في المشورة أحسن من قولك:

إذا بلغ الري المشورة فاستعن بحزم نصيح أو نصاحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فإن الخوافي عدة للقوادم

❁ ❁ ❁

(٦٩) النابغة الجعدي:

ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا
ولا خير في حلم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
(٧٠) لن يدرك المجد أقوام وإن كرموا حتى يذلوا وإن عزوا لأقوام
ويشتموا فترى الألوان مشرقة لا صفح ذل ولكن صفح أحلام

❁ ❁ ❁

(٧١) أبو أحمد اليمامي:

غالبت كل شديد فغلبتها والفقر غالبني فأصبح غالبي
إن أبده يفضح وإن لم أبده يقتل فقبح وجهه من صاحب

❁ ❁ ❁

(٧٢) صالح بن عبد القدوس:

بلوت أمور الناس سبعين حجة ولابست صرف الدهر في العسر واليسر
فلم أر بعد الدين خيراً من الغنى ولم أر بعد الكفر شراً من الفقر

❁ ❁ ❁

(٧٣) لعله الطرماح:

ومن يطلب الأعلى من العيش لم يزل حزيناً على الدنيا كثير غبونها
إذا رمت أن تحيا سعيداً فلا تكن على حالة إلا رضيت بدونها

❁ ❁ ❁

(٧٤) لبيد العامري:

ما عاتب الحر الكريم كنفسه ... والمرء يصلحه الجليس الصالح

❁ ❁ ❁

(٧٥) الجاحظ:

أتطلب أن تكون وأنت شيخ ... كما قد كنت أيام الشباب
لقد كذبتك نفسك أي ثوب ... خليع كالجديد من الثياب

❁ ❁ ❁

(٧٦) الصمت زين والسكوت سلامة ... فإذا نطقت فلا تكن مهذارا
فلئن ندمت على سكوتك مرة ... فلتندمن على الكلام مرارا

❁ ❁ ❁

(٧٧) لو كنت ناراً وكان السر من برد ... واستحفظونيه لم يضرر به لهبي

أين هذا من قول القائل

ولا تودع الأسرار أذني فإنما ... تصبنّ ماء في إناء مثلم

وقال الحسين بن بشير فيمن يفشي السر:

لحا الله امرءاً أوعاك سراً ... لتكتمه وفض الله فاه
فإنك بالذي استوعيت منه ... أنم من الزجاج بما حواه

❁ ❁ ❁

(٧٨) ابن عفيف:

أسرع وسر طالب المعالي ... بكل واد وكل مهمه
وإن لحا عاذل جهول ... فقل له يا عذول مه مه

❁ ❁ ❁

(٧٩) إن تلقك الغربة في معشر ... قد أجمعوا فيك على بغضهم
فدارهم ما دمت في دارهم ... وأرضهم ما دمت في أرضهم

(٨٠) يا مغرماً بوصال عيش ناعم ستصد عنه طائعاً أو كارها
إن الحوادث تزعج الأحرار عن أوطانهم والطير عن أوكارها

❀ ❀ ❀

(٨١) المتنبي:

إذا ما كنت في أمر مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في أمر عظيم

❀ ❀ ❀

(٨٢) الفقيه الشيخ عبد الله نعمه العاملي رحمه الله:

لا تكثرن من الشكاية إن أتى أمر الإله وأظلمت تلك اللجج
واصبر كما صبر الكرام فربما جرت إليك عواقب الصبر الفرج
(٨٣) إذا تضايق أمر فانتظر فرجاً فأضيق الأمر أدناه إلى الفرج

❀ ❀ ❀

(٨٤) لابن هشام عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام صاحب المغني وغيره المولود بالقاهرة سنة ٧٠٨ هـ، وعاش بعد تأليف المغني نحو أربع سنين:

ومن يصطبر للعلم يظفر بنيله ومن يخطب الحسناء يصبر على البذل
ومن لم يذل في طلب العلا يسيراً يعش دهراً طويلاً أخا ذل

❀ ❀ ❀

(٨٥) فخر بعضهم على أحد الشعراء فقال فيه الشاعر:

دهر علا قدر الوضيع به وترى الشريف يحطه شرفه
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه سفلاً وتعلو فوقه جيفه

❀ ❀ ❀

(٨٦) وقال آخر في هذا المعنى:

لا غرو أن فاق الدني أخا العلا في ذا الزمان وهل لذلك جاحد

فالدهر كالميزان يرفع كل ما هو ناقص ويحط ما هو زائد

❀ ❀ ❀

(٨٧) وكائن ترى من حال دنيا تغيرت وحال صفا بعد اكدرار غديرها
وكم طالب من حاجة لن ينالها ومن يائس منها أتاه بشيرها
وقد تغدر الدنيا فيضحي غنيها فقيراً ويغنى بعد بؤس فقيرها

❀ ❀ ❀

(٨٨) مسكين الدارمي:

رب مهزول سمين عرضه وسمين الجسم مهزول الحسب

❀ ❀ ❀

(٨٩) العباس بن الأحنف:

قلبي إلى ما ضرني داعي يكثر أحزاني وأوجاعي
كيف احتراسي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي

❀ ❀ ❀

(٩٠) لا تهين الفقير علك أن تر كع يوماً والدهر قد رفعه
وصل حبال البعيد إن وصل الحبـ ـل واقص القريب إن قطعه
وأرض من الدهر ما أتاك به من قر عيناً بعيشه نفعه

❀ ❀ ❀

(٩١) أبو الطيب المتنبي:

وجائزة دعوى المحبة في الهوى وإن كان لا يخفى كلام المنافق
وما يوجع الحرمان من كف حارم كما يوجع الحرمان من كف رازق

❀ ❀ ❀

(٩٢) مهيار الديلمي:

تلحي على البخل الشحيح بماله أفلا تكون بماء وجهك ابخلا

أكرم يديك عن السؤال فإنما ... قدر الحياة أقل من أن تسألا
ولقد أضم إلي فضل قناعتي ... وأبيت مشتملاً بها متزملا
وإذا امرؤ أفنى الليالي حسرة ... وأمانيا أفنيتهن توكلا

❁ ❁ ❁

(٩٣) القاضي الأرجاني:

وقالوا توصل بالخضوع إلى الغنى ... وما علموا أن الخضوع هو الفقر
وبيني وبين المال شيئان حرما ... علي الغنى نفسي الأبية والدهر
إذا قيل هذا اليسر أبصرت دونه ... مواقف خير من وقوفي بها العسر

❁ ❁ ❁

(٩٤) إن المرآة لا تريـ ... ـك خدوش وجهك في صداها
وكذاك نفسك لا تريـ ... ـك عيوب نفسك في هواها

❁ ❁ ❁

(٩٥) ابن سينا:

إنما النفس كالزجاجة والعقـ ... ـل سراج وحكمة الله زيت
فإذا أشرقت فإنك حي ... وإذا أظلمت فإنك ميت

❁ ❁ ❁

(٩٦) الممزق العبدي:

وما المرء إلا كالشهاب وضوؤه ... يحور رماداً بعد إذا هو ساطع

❁ ❁ ❁

(٩٧) بشار:

اسكن إلى سكن تسر به ... ذهب الزمان وأنت منفرد
ترجو غداً وغداً كحاملة ... في الحي لا يدرون ما تلد

❁ ❁ ❁

(٩٨) أبو العتاهية:

ولرب شهوة ساعة قد أورثت حزناً طويلا

❀ ❀ ❀

(٩٩) أرى ولد الفتى كلاً عليه فطوبى للذي أمسى عقيما
فإما أن يربيه عدوا وإما أن يخلفه يتيما
وإما أن يصادفه حمام فيصبح حزنه أبداً مقيما

❀ ❀ ❀

(١٠٠) لعمرك ليس إمساكي لبخلي ولكن لا يفي بالخرج دخلي
ومن طبعي السماحة غير أني على قدر البساط مددت رجلي

❀ ❀ ❀

(١٠١) قال الباقر عليه السلام ما عرف الله من عصاه (وأنشد) - لعلّه لأبي العتاهية:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمرك في الفعال بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن أحب مطيع

❀ ❀ ❀

(١٠٢) صن النفس وأحملها على ما يزينها تعش سالماً والقول فيك جميل
ولا تريِن الناس إلا تجملاً نبا بك دهر أو جفاك خليل
(١٠٣) لقاء الناس يفيد شيئاً سوى الهذيان من قيل وقال
فأقلل من لقاء الناس إلا لكسب العلم أو إصلاح حال

❀ ❀ ❀

(١٠٤) فيمن يجمع الكتب ولا يعلم ما فيها:

زوامل للأسفار لا علم عندهم بجيدها إلا كعلم الأباعر
لعمرك ما يدري البعير إذا غدا بأوساقه أو راح ما في الغرائر

❀ ❀ ❀

(١٠٥) شطور أبيات تجري مجرى الأمثال وتشتمل على الآداب والحكم ويحتاج إليها الكاتب والخطيب:

فمنها من شعر المتنبي قوله:

مصائب قوم عند قوم فوائد ... ومن قصد البحر استقل السواقيا
وخير جليس في الزمان كتاب ... إن المعارف في أهل النهى ذمم
وربما صحت الأجسام بالعلل ... وفي الماضي لمن بقي اعتبار
وتأبى الطباع على الناقل ... ومنفعة الغوث قبل العطب
هيهات تكتم في الظلام مشاعل ... ومخطىء من رميّه القمر
وما خير الحياة بلا سرور ... بجبهة العير يفدى حافر الفرس
ولكن طبع النفس للنفس قائد ... كل ما يمنح الشريف شريف
والجوع يرضي الأسود بالجيف ... ومن فرح النفس ما يقتل
ويستصحب الإنسان من لا يلائمه ... إن النفيس غريب حيثما كانا
إذا عظم المطلوب قل المساعد ... ومن يسد طريق العارض الهطل
وفي عنق الحسناء يستحسن العقد ... لا تخرج الأقمار من هالاتها
ولكن صدم الشر بالشر أحزم ... أنا الغريق فما خوفي من البلل
فإن الرفق بالجاني عتاب ... إن القليل من الحبيب كثير
بغيض إلي الجاهل المتعاقل ... وليس كل ذوات المخلب السبع
في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل ... ليس التكحل في العينين كالكحل
فإن في الخمر معنى ليس في العنب ... هكذا هكذا وإلا فلا لا

⊛ ⊛ ⊛

(١٠٦) ومنها من شعر غير المتنبي:

ومن البر بها يكون عقوقا ... إن الوعيد سلاح العاجز الحمق
رب غم يدب تحت سرور ... وعند جهينة الخبر اليقين
ومن يخطب الحسناء لم يغله المهر ... نعم الجدود ولكن بئسما ولدوا
يساء إلينا ثم نؤمر بالشكر ... هان على الملساء ما لاقى الدبر

قطعت جهيزة قول كل خطيب — خطأ الطبيب إصابة المقدار
كل فتاة بأبيها معجبة — ما كل يوم ينال المرء ما طلبا
متى احتاج النهار إلى دليل — إن الذبابة تدمي جبهة الأسد
وشر عداوة المرء السباب — فإن الحر في الدنيا قليل
السيف أصدق أنباء من الكتب — إن الطيور على أشكالهم تقع

❀ ❀ ❀

(١٠٧) الأمثال المنظومة:

إذا جاء موسى ولقى العصا — فقد بطل السحر والساحر
إلا كل شيء ما خلا الله باطل — وكل نعيم لا محالة زائل
الخير لا يأتيك متصلاً — والشر يسبق سيله المطرا
إنما أنفسنا عارية — والعواري شأنها أن تسترد
إذا ملك لم يكن ذا هبة — فدعه فدولته ذاهبه
إن كنت لا ترضى بما قد ترى — فدونك الحبل به فاختنق
إذا كان رب البيت بالطبل مولعاً — فشيمة أهل البيت كلهم الرقص
إذا ما أراد الله اهلاك نملة — سمت بجناحيها إلى الجو تصعد
ضاقت ولو لم تضق لما انفرجت — والعسر مفتاح كل ميسور
الرزق يخطىء باب عاقل قومه — ويبيت بوابا بباب الأحمق
إذا لم تستطع أمراً فدعه — وجاوزه إلى ما تستطيع
عتبت على سلم فلما تركته — وجربت أقواماً بكيت على سلم
المستجير بعمرو عند كربته — كالمستجير من الرمضاء بالنار
ولربما بخل الكريم وما به — بخل ولكن سوء حظ الطالب
اقلب طرفي لا أرى غير صاحب — يميل مع النعماء حيث تميل
كنت من كربتي أفر إليهم — فهم كربتي فأين الفرار

❀ ❀ ❀

(١٠٨) أبيات تجري مجرى الأمثال من شعر المتنبي:

وكل امرىء يولي الجميل محبب   وكل مكان ينبت العز طيب

في سعة الخافقين مضطرب   وفي بلاد من أختها بدل

ذل من يغبط الذليل بعيش   رب عيش خف منه الحمام

من يهن يسهل الهوان عليه   ما لجرح بميت إيلام

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً   وحسب المنايا أن يكن أمانيا

وأتعب من ناداك من لا تجيبه   وأغيظ من عاداك من لا تشاكل

لا تشتر العبد إلا والعصا معه   إن العبيد لأنجاس مناكيد

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته   وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

ووضع الندا في موضع السيف بالعلا   مضر كوضع السيف في موضع الندا

وما قتل الأحرار كالعفو عنهم   ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا

وقيدت نفسي في ذراك محبة   ومن وجد الإحسان قيداً تقيدا

وما الجمع بين الماء والنار في يدي   بأصعب من أن أجمع الجد والفهما

يخفي العداوة وهي غير خفية   نظر العدو بما أسر يبوح

والأمر لله رب مجتهد   ما خاب إلا لأنه جاهد

إليك فإني لست ممن إذا اتقى   عضاض الأفاعي نام فوق العقارب

ليس الجمال لوجه صح ما رنه   أنف العزيز بقطع العز يجتدع

وليس يصح في الأفهام شيء   إذا احتاج النهار إلى دليل

وقد يتزيّا بالهوى غير أهله   ويستصحب الإنسان من لا يلائمه

وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا   إذا لم يكن فوق الكرام كرام

ما كل ما يتمنى المرء يدركه   تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

على قدر أهل العزم تأتي العزائم   وتأتي على قدر الكرام المكارم

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى   عدواً له ما من صداقته بد

وإذا كانت النفوس كباراً   تعبت في جوارها الأجسام

وإذا خفيت على الغبي فعاذر   إن لا تراني مقلة عمياء

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا

ذريني أنل ما لا ينال من العلى فصعب العلى في الصعب والسهل في السهل

تريدين إدراك المعالي رخيصة ولا بد دون الشهد من أبر النحل

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

وما الصارم الهندي إلا كغيره إذا لم يفارقه النجاد وغمده

وإذا الحلم لم يكن في طباع لم يحلم تقادم الميلاد

كريشة في مهب الريح طائرة لا تستقر على حال من القلق

وما الحسن في وجه الفتى شرفاً له إذا لم يكن في فعله والخلائق

وما يوجع الحرمان من كف حارم كما يوجع الحرمان من كف رازق

ما كل من طلب المعالي نافذاً فيها ولا كل الرجال فحولا

❁ ❁ ❁

(١٠٩) ومنها من شعر غير المتنبي:

ولا خير في دفع الردى بمذلة كما ردها يوماً بسوآته عمرو

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

وما أنا إلا المسك في كل بلدة أضوع وأما عندكم فأضيع

إذا ما أخ خلى أخاه لأكل بدا بأخيه الأكل ثم به ثنى

وإذا حلت الهداية قلبا نشطت للعبادة الأعضاء

وكم من سمي ليس مثل سميه وإن كان يدعى باسمه فيجيب

إن الزرازير لما قام قائمها توهمت أنها صارت شواهينا

إن الفتى من يقول ها أنا ذا ليس الفتى من يقول كان أبي

ما كل ماء كصداء لوارده كلا ولا كل نبت فهو سعدان

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

وما الشعر إلا ما أبانت صدوره قوافيه لا ما الفكر فيه تحيرا

إذا لم يكن صدر المجالس سيداً فلا خير فيمن صدرته المجالس

لا تقل أصلي وفصلي أبداً إنما أصل الفتى ما قد فعل
ينبت الورد من الشوك كما ينبت النرجس أيضاً من بصل
لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصار
خليلي قطاع الطريق إلى الحمى كثير وأما الواصلون قليل
إذا ابتدرت دموع من عيون تبين من بكى ممن تباكى
إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل
ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد
والناس من يلق خيراً قائلون له ما يشتهي ولأم المخطيء الهبل
ومهما تكن عند امرىء من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم
تبين أعقاب الأمور إذا مضت وتقبل أشباهاً عليك صدورها
ومن عجب الأشياء أنك لا تدري وإنك لا تدري بأنك لا تدري
ولا تحتقر كيد الضعيف فربما تموت الأفاعي من سموم العقارب
فقد هد قدما عرش بلقيس هدهد وخرب فار قبل ذا سد مأرب

❀❀❀

(١١٠) قصيدة لابن دريد في الآداب والأمثال:

ما طاب فرع لا يطيب أصله حمى مواخاة اللئيم فعله
وكل من آخى لئيماً مثله
من يشتك الدهر يطل في الشكوى فالدهر ما ليس عليه عدوى
مستشعر الحرص عظيم البلوى
من أمن الدهر أتي من مأمنه لا تستثر ذا لبد من مكمنه
وكل شيء ينبغي من معدنه
لكل ناع ذات يوم ناعي وإنما السعي بقدر الساعي
قد يهلك المرعي عنف الراعي
من يترك القصد تضق مذاهبه دل على فعل امرىء مصاحبه
لا تركب الأمر وأنت عائبه

من لزم التقوى استبان عدله من ملك الصبر عليه عقله
نجا من العسر وبان فضله

يجلو اليقين كدر الظنون والمرء في تقلب الشؤون
حتى توفاه يد المنون

يا رب حلو سيعود سما ورب حمد سيحوز ذما
ورب روح سيصير هما

من لم تصل فارض إذا حباكا وأوله حمداً إذا قلاكا
وأوله منك الذي أولاكا

مالك إلا ما عليك مثله لا تحمدن المرء ما لم يبله
والمرء كالصورة لولا فعله

يا ربما أورثت اللجاجه ما ليس للمرء إليه حاجه
وضيق أمر يتبع انفراجه

ليس يقي من لم يق الله الحذر وليس يقدر امرؤ على القدر
والقلب يعمى مثلما يعمى البصر

كم من وعيد يخرق الآذانا كأنما يعني به سوانا
أصمنا لإهمال بل أعمانا

ما أفسد الخرق رساه[1] الرفق وخير ما أنبأ عنك الصدق
كم صعقة دل عليها البرق

لكل ما يؤذي وإن قل ألم ما أطول الليل على من لم ينم
وسقم عقل المرء من شر السقم

أعداء غيب أخوة التلاقي يا سوأتا لهذه الأخلاق
كأنما اشتقت من النفاق

أنف الفتى وهو ضريم أجدع من وجهه وهو قبيح أشنع
هل يستوي المحفوظ والمضيع

(١) يقال رسا بينهم إذا صح ذكره/ تاج العروس. (المؤلف).

ما منك من لم يقبل المعاتبه وشر أخلاق الفتى المواربه
ينجيك مما تكره المجانبه
متى تصيب الصاحب المهذبا هيهات ما أعسر هذا المطلبا
وشر ما طالبته ما استصعبا
أف لفعل الأشمط النصاب رب معيب فعله عياب
ذم الكلام حذر الجواب
لكل ما يجري جواد كبوه ما لك إلا إن قبلت عفوه
من ذا الذي يسقيك عفواً صفوه
لا يسلك الشر سبيل الخير والله يقضي ليس زجر الطير
كم قمر عاد إلى قمير
لم يجتمع جمع لغير بين لفرقة كل اجتماع اثنين
يعمى الفتى وهو بصير العين
الصمت إن ضاق الكلام أوسع لكل جنب ذات يوم مصرع
كم جامع لغيره ما يجمع
مالك إلا ما بذلت مال في طرفة العين يحول الحال
ودون آمال الفتى الآجال
كم قد بكت عين وليس تضحك وضاق من بعد اتساع مسلك
لا تبر من أمرأ عليك يملك
خير الأمور ما حمدت غبه لا يرهب المذنب إلا ذنبه
والمرء مقرون بمن أحبّه
كل مقام فله مقال كل زمان فله رجال
وللعقول تضرب الأمثال
دع كل أمر منه يوماً يعتذر عف كل ورد غير محمود الصدر
لا تنفع الحيلة في الماضي القدر
نوم امرىء خير له من يقظه لم يرضه فيها الكرام الحفظه
وفي صروف الدهر للمرء عظه

مسألة الناس لباس ذل   من عف لم يسأم ولم يمل
فارض من الأكثر بالأقل

جواب سوء المنطق السكوت   قد أفلح المبتده الصموت
ما حم من رزقك لا يفوت

في كل شيء عبرة لمن عقل   قد يسعد المرء إذا المرء اعتدل
ترجو غداً ودون ما ترجو الأجل

من لك بالمحض وليس محض   يخبث بعض ويطيب بعض
ورب أمر قد نهاه النقض

كم زاد في ذنب جهول عذره   ذا مرض يعيى عليك أمره
يخشى امرؤ أمراً ولا يضره

يا رب احسان يعود ذنباً   ورب سلم سيعود حربا
وذو الحجى يحمل إن أحبا

قد يدرك المعسر في إعساره   ما يبلغ الموسر في إيساره
وينتهي الهاوي إلى قراره

الشيء في نقص إذا تناهى   والنفس تنقاد إلى رداها
مذعنة يحث سائقاها

الناس في فطرتهم سواء   وإن تسوت بهم الأهواء
كل بقاء بعده فناء

لم يغل شيء وهو موجود الثمن   مال الفتى ما فضه لا ما احتجن
إذا حوى جثمانه ثرى الجنن

المال يحكي الغي في أثقاله   وإنما المنفق من أمواله
ما عمر الخلة من سواله

من لاح في عارضه القتير   فقد أتاه بالبلى نذير
ثم إلى ذي العزة المصير

رأيت غير الصبر مما يحمد   وإنما النفس كما تعود
وشر ما يطلب ما لا يوجد

إن اتباع المرء كل شهوه ليلبس القلب لباس قسوه
وكبوة العجب أشد كبوه

من يزرع المعروف يحصد ما رضي لكل شيء غاية ستنقضي
والشر موقوف لذي التعرض

لا يأكل الإنسان إلا ما رزق ما كل أخلاق الرجال تتفق
هان على النائم ما يلقى الأرق

من يلدغ الناس له من يلدغه لسان ذي الجهل وشيكا يوتغه[1]
لا يعدم الباطل حقاً يدمغه

كل زمان فله نوابغ والحق للباطل ضد دامغ
يغصك المشرب وهو سائغ

رب رجاء فض من مخافه ورب أمن سيعوف آفه
ذو النجح لا يستبعد المسافه

كم من عزيز قد رأيت ذلاً وكم سرور مقبل تولى
وكم وضيع شال فاستقلا

لا خير في صحبة من لا ينصف والدهر يجفو مرة ويلطف
والموت يفني كل عين تطرف

رب صباح لامرىء لم يمسه حتف الفتى موكل بنفسه
حتى يحل في ضريح رمسه

إني أرى كل جديد بالي وكل شيء فإلى زوال
فاستشف من جهلك بالسؤال

آن رحيل فأعدّ الزادا آن معاد فاحذر المعادا
لا يملك العمر وإن تمادى

إنك مربوب مدين تسأل والدهر عن ذي غفلة لا يغفل
وكلما قدمته محصل (حتى يجيء يومك المحصل خ ل)

---

(١) بالتاء المثناة من فوق من اوتغه الله أي أهلكه. (المؤلف).

الفصل الثالث

في بعض الأخلاق والأفعال المحمودة والمذمومة

وفيه فوائد:

١ - الحسد

وهو تمني زوال النعمة أو الفضيلة أو نحو ذلك عن المحسود؛ (أما) تمني ذلك مع عدم زواله عن صاحبه فهو غبطة لا بأس بها في أمور الدنيا وتستحب في أمور الدين وتمام الكلام على الحسد يقع في طي فوائد.

الفائدة الأولى:

في مراتبه وله أربع مراتب ذكرها الغزالي في الإحياء:

(الأولى) أن يحب زوال النعمة عن الغير؛ وإن كان ذلك لا ينتقل إليه وهذا غاية الخبث.

(الثانية) أن يحب زوالها إليه لرغبته فيها مثل رغبته في دار حسنة أو امرأة جميلة أو ولاية نافذة أو غيرها؛ وهو يحب أن تكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها ومكروهه فقدها لا تنعم غيره بها.

(الثالثة) أن لا يشتهي عينها لنفسه بل مثلها فإن عجز أحب زوالها كي لا يظهر التفاوت بينهما.

(الرابعة) أن يشتهي مثلها فإن لم تحصل فلا يحب زوالها عنه؛ (والأخير) هو المعفو عنه إن كان في الدنيا والمندوب إليه إن كان في الدين، (والأول) مذموم محض (والثاني) مذموم لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢] فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم وتمنيه ذلك مذموم. (والثالث) كذلك فتمني مثلها غير مذموم وتمني زوالها مذموم.

الفائدة الثانية:

في بعض ما جاء في ذم الحسد من الآثار، (قال) الشهيد الثاني في منية المريد:

أما ما جاء في ذم الحسد والوعيد عليه فهو خارج عن الحد الحصر، وكفاك في ذمه أن جميع ما وقع من الذنوب والفساد في الأرض من أول الدهر إلى آخره كان من الحسد، لما حسد إبليس آدم فصار أمره إلى أن طرده الله ولعنه وأعد له جهنم خالداً فيها؛ وتسلط بعد ذلك على بني آدم وجرى فيهم مجرى الدم والروح في أبدانهم وصار سبب الفساد على الآباد؛ وهو أول خطيئة وقعت بعد خلق آدم وهو الذي أوجب قتل ابن آدم أخاه (أقول) وهو الذي أوجب إلقاء يوسف الصديق عليه السلام في الجب ومحاولة قتله وهو الذي أوجب إنكار اليهود نبوة النبي صلى الله عليه وآله بعدها عرفوا صفته في كتبهم، (قال) وقد قرن الله تعالى الحاسد بالشيطان والساحر فقال: ﴿وَمِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفلق: ٢-٥] ومراده بالشيطان الغاسق وبالسحر النفاثات ولكن المفسرين فسروا الغاسق بالليل الهاجم بالضرر ولم أر من فسره بالشيطان غيره وهو تفسيره جيد كما مر في الفصل الأول من الباب الأول.

الفائدة الثالثة:

في بعض ما قيل في الحسد من الأشعار. اعلم أن الشعراء قد أكثروا من ذكر الحسد ومدح المحسد وإذا أرادوا مدح شخص قالوا فيه كثير الحساد قال:

إن العرانين تلقاها محسدة ... ولن ترى للئام الناس حسادا

(العرانين) جمع عرنين وهو الأنف وبه سمي السيد الشريف لأن الأنف أعلى ما في الوجه الذي هو أشرف البدن، قال الشريف الرضي:

قومي أنوف بني معد والذرى ... من واضح فيهم ومن وضاح

وقال ابو تمام وذكر جماعة انه لم يسبق اليه:

وإذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت ... ما كان يعرف طيب عرف العود

لولا التخوف للعواقب لم تزل ... للحاسد النعمى على المحسود

(قوله) لولا التخلف للعواقب الخ. . أما إشارة إلى أن الحسد ربما يؤثر في المحسود فيؤدي إلى مكروه نظير الإصابة بالعين أو إلى أن الحاسد ربما يتمكن من إيقاع الضرر بالمحسود، ولذا أمر الله تعالى بالتعوذ من شره، وقال أيضاً:

أضحى ابن داود محسوداً بسؤدده ... لا زال مكتسياً سربال محمود

وقال آخر:

محسدين على أن لا نظير لهم ... وهل رأيت عظيماً غير محسود

وقلت من قصيدة:

لا تكن جازعاً لما يفعل الحسـ ... ـاد يوماً لا عاش من ليس يحسد
لا ألوم الحسود قد مات غيظاً ... إذا رأى نفسه يسف وأصعد
قصرت عن بلوغ شأوي خطاه ... بعد ما النفس منه أضنى واجهد

وقال أبو تمام:

وإذا سرحت الطرف نحو قبابه ... لم تلق إلا نعمة وحسودا

وقال أيضاً:

ألبست فوق بياض مجدك نعمة ... بيضاء تسرع في سواد الحاسد

وقال أيضاً:

فأبت بنعمى منه بيضاء لدنة ... كثير قروح في قلوب الحواسد

وقال أيضاً:

زرت الخليفة زورة ميمونة ... مذكورة قطعت رجاء الحسد
يتنفسون فتنثني لهواتهم ... عن جمرة الحسد التي لم تبرد

وقال أبو الحسن التهامي في قصيدته المشهورة التي يرثي بها ولده:

إني لأرحم حاسدي لحر ما ... ضمنت صدورهم من الأوغار
نظروا صنيع الله بي فعيونهم ... في جنة وقلوبهم في نار

وقال أبو الطيب في كافور الأخشيدي:

يريد بك الحساد ما الله دافع ... وسمر العوالي والحديد المذرب
إذا طلبوا جدواك أعطوا وحكموا ... وإن طلبوا الفضل الذي لك خيبوا
ولو جاز أن يحووا علاك وهبتها ... ولكن من الأشياء ما ليس يوهب
وأظلم أهل الظلم من بات حاسداً ... لمن بات في نعمائه يتقلب

المذرب المحدد.

(قال الشريف الأجل المرتضى) علم الهدى ﷺ في كتابه الغرر والدرر: روى يحيى بن علي قال حدثنا أبو هفان قال أشعر أبيات قيلت في الحسدة والدعاء لهم بالكثرة أربعة؛ فأولهما قول الكميت بن زيد بن معروف الأسدي:

إن يحسدوني فإني غير لائمهم ... قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم ... ومات أكثرنا غيظاً بما يجد
أنا الذي يجدوني في صدورهم ... لا أرتقي صدراً منها ولا أرد
لا ينقص الله حسادي فإنهم ... أسر عندي من اللائي لهم ودد

أي أشد أفراحاً لي.

(وقال عروة ابن أذينة):

لا يبعد الله حسادي وزادهم ... حتى يموتوا بداء فيّ مكنون
إني رأيتهم في كل منزلة ... أجل قدراً من اللائي يحبوني

وقال نصر بن سيار:

إن يحسدوني على ما بي وما بهم ... فمثل ما بي لعمري جر لي الحسدا

وقال معن بن زائدة:

إني حسدت فزاد الله في حسدي ... لا عاش من عاش يوماً غير محسود
ما يحسد المرء إلا من فضائله ... بالعلم والظرف أو بالبأس الجود

قال المرتضى قدس الله روحه: ولقد لحظ البحتري هذا المعنى في قوله:

محسد بخلال فيه فاضلة ... وليس تفترق النعماء والحسد

انتهى.

(وقال مهيار):

حسدوا أبائي وعزتي وهم نهب الهوان وأكلة الذل
حفيت مخالبهم وما خدشت حد الصفات اكارع النمل
فالله أغلاني وأرخصهم ما شاء وهو المرخص المغلي

والأشعار في ذلك كثيرة وفيما ذكرناه كفاية.

الفائدة الرابعة:

قد يقال إن الحسد كالحب والبغض والاعتقاد وغيرها؛ أمر قهري ليس بيد العبد إيجاده وتركه متى شاء وعلى كل حال وإن كان قد يتمكن من إيجاد أسباب هذه الأمور ولكنه قد لا يتمكن وإذا وجدت لم يكن رفعها باختياره، وإن كان يتمكن من رفعها ببعض العلاجات. ومرجع الحسد إلى كراهة وجود النعمة على المحسود وبغض ذلك وهو من أفعال القلب ولم يجعل الله تعالى زمام القلب بيد الإنسان من جميع الوجوه، كما جعل زمام الجوارح بيده وهذا لا يخرج الحسد وأمثاله عن كونه من الصفات المبغوضة المذمومة كما أن قبح الوجه مذموم مكروه وحسنة ممدوح مرغوب فيه ومع ذلك فليسا هو من الأمور الاختيارية، (ويؤيد) ما ذكرناه ما روي عن الخصال والتوحيد للصدوق بسند صحيح عن النبي ﷺ (رفع عن أمتي تسعة أشياء: الخطأ والنسيان. وما أستكرهوا عليه. وما لا يعلمون. وما لا يطيقون. وما إضطروا إليه. والطيرة. والحسد. والتفكر في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق الإنسان بشفته). ورواه في الكافي مرفوعاً عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ (وضع عن أمتي تسعة أشياء: الخطأ والنسيان وما لا يعلمون وما لا يطيقون وما اضطروا إليه وما استكرهوا عليه والطيرة؛ والوسوسة في التفكير في الخلق والحسد ما لم يظهر بلسان أو بيد) والنطق بالشفة لبيان أقل مراتب الإظهار فيفهم الأعلى بالأولى والإظهار باللسان واليد لبيان مطلق الإظهار (والتأييد) مبني على أن يكون عدم العقاب على الحسد لكونه غير اختياري وإنما يعاقب على إظهاره ولا ينافي ذلك دخوله حينئذٍ فيما لا يطوقون لجواز كونه من عطف الخاص على العام، ويحسنه كون هذا الخاص له نوع امتياز واستقلال ويلحظ في الأنظار بعنوانه الخاص مع بعد كون

الحسد اختيارياً ولا عقاب عليه مع حكم العقل بقبحه حينئذ وكثرة ما يترتب عليه من المفاسد وأن كان ذلك ممكناً وواقعاً كما في العزم على المعصية الذي دل الشرع على عدم العقاب عليه، (فإن قيل) إذا كان الحسد غير اختياري لم يتعلق به التكليف ولم يترتب عليه العقاب وهذا ينافي تحريمه في الشرع حتى عد من الكبائر وورود الذم العظيم له في الكتاب والسنة قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤] ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: ١٠٩] ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥] وقال عليه السلام: «قال الله تعالى لموسى بن عمران لا تحسد الناس على ما آتيتهم من فضلي ولا تمدن عينيك إلى ذلك ولا تتبعه نفسك فإن الحاسد ساخط لنعمي ولقسمي الذي قسمت بين عبادي ومن يك كذلك فلست منه وليس مني»، وورد إن أول خطيئة وقعت على وجه الأرض لما حسد قابيل هابيل إلى غير ذلك من الآيات والأخبار الكثيرة. (قلت) بعد فرض كون الحسد بمعنى بغض وجود النعمة على المحسود ومحبة زوالها غير اختياري يمكن حمل الأدلة الدالة على التحريم على إستعمال الحسد وإظهاره والعمل بمقتضاه فإن ذلك أمر اختياري (ويرشد) إلى ذلك ما في الحديثين السابقين من قوله عليه السلام في الأول منهما ما لم ينطق الإنسان بشفته بناء على أنه قيد للجميع؛ وقوله: في الحديث الثاني ما لم يظهر بلسان أو بيد المعلوم رجوعه إلى الحسد وبه يتأيد رجوعه إليه لي الحديث الأول (أو يقال) أنا لا نعني بكون الحسد غير اختياري على القول به أنه لا يدخل تحت الاختيار أصلاً ولا يمكن التحرز عنه ولا إزالته بل نعني بذلك أنه ليس على حد غيره من أفعال الجوارح من أنه يمكن فعله وتركه متى شاء الإنسان وإلا فقد يكون الحسد غير حاصل للإنسان ويتوصل إلى حصوله بأمور كثيرة مثل تذكر معاب المحسود والتعرض لما يوجب بغضه، والتهاون بما ورد من الشرع ينهي عن ذلك إلى غير ذلك من الأسباب الباعثة على الحسد فيحصل الحسد حينئذ باختيار المكلف وقد كان يمكنه صرف النفس عنه باستعمال أضداد الأمور التي أوجبت حصوله وإن بعد حصوله لا يتمكن من إزالته فوراً كما كما يتمكن من ترك أفعال الجوارح الاختيارية كما أنه لا يتمكن من إزالة الاعتقاد بما اعتقده فوراً نعم قد يمكنه إزالة ما حصل من الحسد بممارسة ضد الأسباب التي حصل بها الحسد بأن يقرر على نفسه محاسن المحسود وإن النعم منه

تعالى فحسده هذا كالاعتراض على الله ويتذكر ما ينشأ من الحسد من المفاسد الدنيوية والأخروية، وينظر أن هذا المحسود أخوه في دينه وعونه على عدوه وزوال النعمة عنه لا يحدث له منفعة بعد أن تكون أزمة الأمور بيده تعالى وإن توهم ذلك وإنما يعقبه الضرر المحض وإن لا يكون راضياً عن نفسه عند حصول الحسد منها بل يكون ماقتاً لها ساخطاً عليها مجتهداً في إزالة تلك الصفة منها غير عامل بما تقتضيه تلك الصفة من المضار والمفاسد إلى غير ذلك، مما هو مذكور في كتب الأخلاق في علاج هذه الصفات الذميمة فإنها قد تزول بذلك بمعونته تعالى. (والحاصل) إن النواهي والمذام الواردة في ذلك مصروفة إلى ما هو اختياري للمكلف من الأمور التي ذكرناها وكذلك نهي الوعاظ والعرفاء وتحذيرهم من هذه الصفات وأمرهم بإزالتها وتهذيب النفي منها، (ومما ذكرنا) يظهر وجه للجمع بين ما في الحديثين السابقين من رفع المؤاخذة على الحسد ما لم يظهر وما في معناها مثل ما روي (ثلاثة لا يسلم منها أحد الطير والحسد والظن، قيل: فما نصنع إذا تطيرت فامض وإذا حسدت فلا تبغ وإذا ظننت فلا تحقق) والبغي هو استعمال الحسد - وبين ما ورد في ذم الحسد والنهي عنه بحمل الأول على غير الاختياري والثاني على المقدمات والأمور الاختيارية من إظهار الحسد واستعماله وغير ذلك، (ويمكن) حمل الأول على الخطور في النفس من غير أن يرضاه من نفسه أو يعمل بمقتضاه بل يبادر إلى إزالته بما ذكرناه، والثاني على خلاف ذلك فإن الأول لا يمكن التحرز عنه إلا لذوي النفوس القدسية المنزهة عن جميع الخطرات الردية وقليل ما هم. (هذا) وعن الخصال مرفوعاً عن الصادق عليه السلام (ثلاث لم يعر منهن نبي فما دونه: الطيرة. والحسد والتفكير في الوسوسة في الخلق) وحمله الصدوق على إرادة التطير بالنبي والمؤمن كما في قوله تعالى: ﴿ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ [النمل: ٤٧] وحسد الناس للنبي لا حسده لغيره كما في قوله تعالى: ﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء: ٥٤] وابتلاء الأنبياء بأهل الوسوسة كما حكى الله تعالى عن الوليد بن المغيرة أنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ولا بأس بهذا لحمل وإن فرض مخالفته للظاهر بعدما ثبت تنزيه الأنبياء عليهم السلام عن جميع النقائص.

٢ - المزاح

وهو نوعان: مذموم ومحمود، (فالأول): ما يكون خارجاً عن الاعتدال بالغاً حد الإفراط داخلاً تحت اللعب المذموم عند العقلاء أو مشتملاً على السخرية بالناس والاستخفاف بهم أو الكذب والفحش أو مؤدياً استخفاف الناس بفاعله وهذا الذي ذمه الأنبياء والأولياء والعرفاء والشعراء. (الثاني): بعكسه وهو ما لا يكون خارجاً عن حد الاعتدال ولا داخلاً في قسم اللعب ولا مخالفاً للشرع باشتماله على ما مر أو نحوه فمتى خلا عن هذه الأمور فهو محمود داخل في محاسن الأخلاق التي هي من أسنى مواهب الرزاق بل قد يوصف بالاستحباب إذا قصد به تقوية النفس وتنشيطها عند الملل من العبادة أو الدرس أو يقصد به مسرة مؤمن أو نحو ذلك لكن يلزم المحافظة على أن لا يكون خارجاً عن الاعتدال ولا مؤدياً إلى شيء مما مر وهذا النوع من المزاح هو الممدوح في ألسنة الأنبياء والأولياء والعارفين وكان أمير المؤمنين عليه السلام يمزح حتى عابه أعداؤه بذلك فقالوا إن فيه دعابة حين لم يجدوا فيه إلى عيب سبيلاً.

ما ورد في حسن المزاح:

فمما جاء في حسن المزاح (ما نقل) عن سفيان الثوري أنه قيل له المزاح هجنة فقال بل هو سنة لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: إني أمزح ولا أقول إلا الحق (وفي الخبر) أنه عليه السلام قال لامرأة من الأنصار: الحقي زوجك فإن في عينيه بياضاً فسعت نحوه مرعوبة فقال ما دهاك فأخبرته فقال أما ترين بياض عيني أكثر من سوادهما (وأتته صلى الله عليه وآله) عجوز من الأنصار فسألته أن يدعو الله لها بالجنة فقال: الجنة لا تدخلها العجائز فبكت فتبسم عليه السلام وقرأ: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٧] (واستحملته) امرأة فقال: انا حاملوك (أنش) على ولد الناقة فقالت يا رسول الله وما أصنع بولد الناقة وهل يستطيع أن يحملني وهو يتبسم ويقول لا أحملك إلا عليه حتى قال لها أخيراً وهل يلد الإبل إلا النوق (ومر) ببلال وهو نائم فضربه برجله وقال أنائمة أم عمرو فقام بلال فضرب بيده إلى مذاكيره فقال له ما بالك قال ظننت إني تحولت امرأة، (قيل) فلم يمزح رسول الله صلى الله عليه وآله بعد هذه،

(وكان) نعيمان وهو من أهل بدر أولع الناس بالمزاح عند رسول الله ﷺ وكان يكثر الضحك فقال رسول الله ﷺ يدخل الجنة وهو يضحك (وخرج) نعيمان هو وسويبط بن عبد العزى وأبو بكر في تجارة قبل وفاة النبي ﷺ بعامين وكان سويبط على الزاد فكان نعيمان يستطعمه فيقول حتى يجيء أبو بكر فمر بركب من نجران فباعه نعيمان منهم على أنه عبد بعشر قلائص وقال لهم إنه ذو لسان ولهجة وعساه يقول لكم أنا حر فقالوا لا عليك وجاؤوا إليه فوضعوا عمامته في عنقه وذهبوا به؛ فلما أبو بكر أخبر بذلك فرده وأعاد القلائص إليهم فضحك رسول الله ﷺ وأصحابه من ذلك سنة، (ورأى) نعيمان أعرابياً يبيع عسل فاشتراها منه فأتى بها إلى بيت عائشة في يومها وقال خذوها فظن رسول الله ﷺ أنه أهداها إليه ومضى نعيمان فنزل الأعرابي على الباب فلما طال قعوده نادى يا هؤلاء أما أن تعطونا ثمن العسل أو تردوه علينا فعلم رسول الله ﷺ بالقصة فأعطى الأعرابي الثمن وقال لنعيمان ما حملك على ما فعلت فقال: رأيتك يا رسول الله تحب العسل ورأيت العكة مع الأعرابي فضحك رسول الله ﷺ ولم ينكر عليه، (ومر) نعيمان هذا بمخرمة بن نوفل الزهري في خلافة عثمان وقد كف بصره فقال ألا يقودني رجل حتى أبول فأخذ نعيمان بيده حتى صار إلى مؤخر المسجد وقال: ها هنا فبل فصاح به الناس فقال من قادني فقيل نعيمان فقال لله علي أن أضربه بعصاي هذه فبلغ ذلك نعيمان فأتاه فقال: يا أبا المسور بلغني أنك أقسمت لتضربن نعيمان فهل لك فيه قال: نعم، فقال: قم فقام معه حتى وافى به عثمان بن عفان وهو يصلي فقال دونك الرجل فجمع مخرمة يديه في العصا فضربه بها فصاح الناس ويلك أمير المؤمنين قال: من قادني قالوا نعيمان قال: ما لي ولنعيمان لا أعرض له أبداً. ومر ﷺ بصهيب وهو أرمد يأكل تمراً فنهاه فقال: إنما آكله على جانب العين الصحيحة فضحك منه ولم ينكر، (قال) ابن أبي الحديد وكان ﷺ يمازح الحسنين ﷺ مزاحاً مشهوراً (وكان يقال) لا بأس بقليل المزاح يخرج به الرجل عن حد العبوس.

(وسئل) النخعي هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون ويمزحون فقال: نعم والإيمان في قلوبهم مثل الجبال الرواسي، (وروى) ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن معمر بن خلاد قال سألت أبا الحسن عليه السلام (فقلت جعلت فداك الرجل يكون مع القوم فيجري بينهم الكلام يمزحون ويضحكون فقال: لا بأس ما لم يكن، فظننت أنه

عنى الفحش ثم قال: إن رسول الله ﷺ كان يأتيه الأعرابي فيهديه الهدية ثم يقول مكانك أعطنا ثمن هديتنا فيضحك رسول الله ﷺ وكان إذا اغتم يقول: ما فعل الأعرابي ليته أتانا، (وروى) فيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال ما من مؤمن إلا وفيه دعابة قلت وما الدعابة قال المزاح (وروى فيه) عن يونس الشيباني قال قال: أبو عبد الله عليه السلام كيف مداعبة بعضكم بعضاً قلت: قليل قال: فلا تفعلوا فإن المداعبة من حسن الخلق وأنك لتدخل بها السرور على أخيك ولقد كان رسول الله ﷺ يداعب الرجل يريد أن يسره (قيل أي فلا تفعلوا ما تفعلون من قلة المداعبة بل كونوا على حد الوسط فيها لما يأتي من ذم كثرتها (وقيل بل هو محمول على الاستفهام بحذف همزته من فلا تفعلوا كما يعطيه التعليل بعده. (وروى الصدوق) في معاني الأخبار عن الصادق عليه السلام قال: المروءة مروءتان مروءة الحضر ومروءة السفر أما مروءة الحضر فتلاوة القرآن وحضور المساجد وصحبة أهل الخير والنظر في الفقه، وأما مروءة السفر فبذل الزاد والمزاح في غير ما يسخط الله وقلة الخلاف على من صحبك وترك الرواية عليهم إذا أنت فارقتهم، (وفي الخبر) أن يحيى لقي عيسى عليه السلام فقال يحيى: ما لي أراك لاهياً كأنك آمن فقال عيسى: ما لي أراك عابساً كأنك آيس؛ فقلا: لا نبرح حتى ينزل علينا الوحي فأوحى الله إليهما أحبكما إلي الطلق البسام أحسنكما ظناً بي (وقال عبد الله بن عمر) لجاريته خلقني خالق الخير وخلقك خالق الشر فبكت؛ فقال: لا عليك فإن الله هو خالق الخير وهو خالق الشر[1].

(١) قال ابن أبي الحديد المعتزلي: يعني بالشر المرض والغلاء ونحوهما انتهى أي فلا دلالة في كلامه على مذهب الأشاعرة القائلين بأن فاعل الخير والشر هو الله فإن المنافع والمضار والمصائب الدنيوية كالخصب والرخاء والجدب والغلاء والمرض ونحوها مخلوقة لله بالاتفاق إنما الكلام في الأفعال المنسوبة إلى العباد كالصوم والصلاة والمشي والزنا والسرقة والكذب وشرب الخمر هل هي من فعلهم أو من فعله تعالى (وكذلك) لا دلالة فيما استدل به الأشاعرة من قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨] بعد قوله: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ﴾ [النساء: ٧٨] فإنهم كانوا إذا أصابهم الخصب والرخاء قالوا هذا من الله وإذا أصابهم القحط والجدب قالوا هذا من عندك أي بشؤمك كما قال تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨] أي باستحقاقنا ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ﴾ [الأعراف: ١٣١] وقال تعالى حاكياً عن قوم صالح: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ [النمل: ٤٧] ونسبة=

(وكان) ابن سيرين ينشد:

نبئت إن فتاة كنت أخطبها من قومها مثل سهر الصوم في الطول

ثم يضحك حتى يسيل لعابه (وقال جابر الجعفي) رأيت الشعبي يقول لخياط: يمازحه عندنا حب مكسور وأحب أن تخيطه؛ فقال الخياط: أحضرني خيوطاً من رماح لأخيطه لك. (وسأل) إنسان محمد بن سيرين عن هشام بن حسان فقال: توفي البارحة أما شعرت فخرج يسترجع فلما رأى ابن سيرين جزعه قرأ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢] (١).



ما ورد في ذم المزاح:

روى الكليني في الكافي عن الصادق عليه السلام أنه قال: إياكم والمزاح فإنه يذهب بماء الوجه، (وفي رواية) عن أحدهما عليه السلام كثرة المزاح تذهب بماء الوجه، (وعن أمير المؤمنين عليه السلام) إياكم والمزاح فإنه يجر السخيمة ويورث الضغينة وهو السب الأصغر (السخيمة الحقد)، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: (ما مزح امرؤ مزحة الأومج

= أفعال العباد إليه تعالى يلزم منها نسبة القبيح والظلم إليه تعالى وبطلان الثواب والعقاب وستر ذلك بإثبات الكسب للعبد يجمع إلى القبح إثبات غير المعقول (المؤلف).

(١) يقال وفي الشيء بنفسه يفي وفياً بضم الواو وكسر الفاء وتشديد الياء أي تم وكثر ووفاه حقه بالتشديد وأوفاه أعطاه إياه أفياً تاماً واستوفى حقه وتوفاه أخذه تاماً وافياً وتوفيت الذي لي على فلان أخذته تاماً وأوفاه الله أماته وقبض روحه مأخوذ من التوفي وهو أخذ الشيء تاماً لأنه تعالى استوفى منه مدته التي وقتت له في الدنيا وأخذها منه كاملة تشبيهاً بالحق الذي يكون على الشخص ويؤخذ منه كاملاً فتوفاه على حذف مضاف أي توفى مدته (فمعنى الآية) والله أعلم أنه تعالى يتوفى الأنفس عند الموت وعند النوم تشبيهاً للنوم بالموت كقوله تعالى: وهو الذي يتوفاكم بالليل حيث لا يميزون ولا يتصرفون كالموتى فيمسك النفس التي قضى عليها الموت ولا يردها حية ويرسل النفس النائمة ويتركها إلى أجلها الذي قدر عليها الموت الحقيقي بعده وقوله تعالى: في حق عيسى عليه السلام إني متوفيك أي مستوف أجلك ومميتك ومعناه إني عاصمك من أن يقتلك الكفار ومؤخرك إلى أجل كتبته لك ومميتك حتف أنفك لا قتلا بأيديهم ورافعك إلى سمائي (ويمكن) كون متوفيك بمعنى مميتك في وقتك ورافعك الآن لعدم إفادة الواو الترتيب (المؤلف).

من عقله مجة) وقال بعضهم: خير المزاح لا ينال وشره لا يستقال، وقيل: إنما سمي المزاح مزاحاً لأنه أزيح عن الحق، والخبر الأول محمول على النهي عن الإكثار منه كما صرح به في الرواية الثانية أو على ما تضمن فحشاً بقرينة التعبير بإذهاب ماء الوجه كناية عن قلة الحياء التي هي شأن الفحاش وبقرينة خبر معمر السابق وما روي عن الباقر عليه السلام إن الله يحب المداعبة في الجماعة بلا رفث أو ما تضمن السخرية بقرينة الخبر الثالث فإن ما يوجب الضغن والحقد، ويطلق السب الأصغر هو المشتمل على السخرية المسببة ذلك غالباً والتي هي بمنزلة السب وبالجملة كل ما تضمن واحداً من هذه الأمور الثلاثة أو كلها فمنهي عنه وما خلا عنها فمباح أو راجح، وبذلك يجمع بين هذه الأخبار والأخبار السابقة والله أعلم ومما قيل في المزاح من الشعر قول القائل:

إياك إياك المزاح فإنه ... يجرّي عليك الطفل والدنس النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه ... ويورث بعد العز أصحابه الذلا

وقال آخر:

أفد طبعك المكدود بالجد راحة ... يجم وعلله بشيء من المزح
ولكن إذا أعطيته المزح فليكن ... بمقدار ما يعطى الطعام من الملح

٣ - الكرم

عن أبي عبيدة قال وقف شاعر بباب معن سنة لا يصل إليه وكان شديد الحجاب فكتب إليه:

إذا كان الجواد له حجاب ... فما فضل الجواد على البخيل

وفي رواية:

إذا كان الكريم له حجاب ... فما فضل الكريم على اللئيم

فكتب إليه معن:

إذا كان الجواد قليل مال ... ولم يقدر تعلل بالحجاب

فقال الشاعر آيسنا من معروفه؛ ثم ارتحل فأخبر معن بانصرافه فأرسل إليه بعشرة آلاف درهم.



٤ - الأخوة والصداقة

قيل لأسباط صف لنا الأخوة وأوجز فقال: أغصان تغرس في القلوب تثمر على قدر العقول، وقيل: لأفلاطون ما معنى الصديق فقال هو أنت لا أنه غيرك وقيل: لبعضهم ما الأصدقاء فقال نفس واحدة وأجساد متفرقة، وقيل: لإرسطاطاليس ما معنى الصديق قال قلب تضمن جسمين وبهذا المعنى لبعضهم:

بنفسي أخ لي في الأمور مساعد فلي وله جسمان والقلب واحد
إذا غاب عني لم أذق طعم لذة لأن فؤادي شطره متباعد

وقد أحسن الشريف الرضي رحمه الله حيث يخاطب الصابي بقوله:

أنت الكرى مؤنس طرفي وبعضهم مثل القذى مانع طرفي من الوسن
لقد تمازج قلبانا كأنهما تراضعا بدل الأحشاء لا اللبن

تم الجزء الأول من كتاب «معادن الجواهر ونزهة الخواطر في علوم الأوائل والأواخر» على يد مؤلفه الفقير إلى عفو ربه الغني محسن ابن المرحوم السيد عب الكريم الحسيني العاملي غفر الله ذنوبه وستر عيوبه ولم نأل جهداً في ترتيبه وتنقيحه وتهذيبه حسبما وسعته مقدرتنا القاصرة، والله تعالى هو المسؤول أن يكون مكتوباً عنده في ديوان الحسنات والمرجو من الناظر فيه إسبال ذيل الستر على ما يجده من خطأ أو خطل فالإنسان محل الخطأ والنسيان وإن لا يسرع إلى التخطئة قبل أعمال الفكر والروية، وكان الفراغ من تبييضه في المبيضة الثانية في شهر شوال سنة ١٣٤٨هـ والحمد لله وحده وصلى على سيدنا محمد وآله وسلم.

كشكول السيد محسن الأمين

الجزء الثاني



دار المرتضى

بيروت - لبنان


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

(وبعد)،

فيقول العبد الفقير إلى عفو ربه الغني محسن ابن المرحوم السيد عبد الكريم الحسيني العاملي هذا هو الجزء الثاني من كتابنا (معادن الجواهر ونزهة الخواطر في علوم الأوائل والأواخر).

ونرجو من كرمه تعالى أن يكون مكتوباً في ديوان الحسنات مقبولاً لدى فضلاء العصر وأدبائه، وما توفيقي إلّا بالله عليه توكلت وبه اعتصمت واستعنت؛ وهو حسبي ونعم الوكيل.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الباب الرابع
في الإحتجاجات وما يجري مجراها
والقضايا العجيبة لأمير المؤمنين عليه السلام

الفصل الأول

في الاحتجاجات وما يجري مجراها

وفيه فوائد:

في العقد الفريد لأحمد بن عبد ربه الأندلسي المالكي ما صورته.

احتجاج المأمون على الفقهاء في فضل علي:

(١) إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل بن حماد بن زيد، (قال) بعث إلي يحيى بن أكثم وإلى عدة من أصحابي وهو يومئذٍ قاضي القضاة فقال: إن أمير المؤمنين أمرني أن أحضر معي غداً مع الفجر أربعين رجلاً كلهم فقيه يفقه ما يقال له ويحسن الجواب فسموا من تظنونه يصلح لما يطلب أمير المؤمنين؛ فسمينا له عدة وذكر هو عدة حتى تمّ العدد الذي أراد وكتب تسمية القوم وأمر بالبكور في السحر وبعث إلى من يحضر فأمره بذلك فغدونا عليه قبل طلوع الفجر فوجدناه قد لبس ثيابه وهو جالس ينتظر، فركب وركبنا معه حتى صرنا إلى الباب فإذا بخادم واقف فلما نظر إلينا قال: يا أبا محمد أمير المؤمنين ينتظرك فأدخلنا فأمرنا بالصلاة فأخذنا فيها فلم نتمها حتى خرج الرسول فقال: أدخلوا فدخلنا فإذا أمير المؤمنين جالس على فراشه وعليه سواده وطيلسانه والطويلة وعمامته فوقفنا وسلمنا فرد السلام وأمرنا بالجلوس، فلما استقربنا المجلس تحدر عن فراشه ونزع عمامته وطيلسانه ووضع قلنسوته ثم أقبل علينا فقال: إنما فعلت ما رأيتم لتفعلوا مثل ذلك وأما الخف فمنع من خلعه علة من

قد عرفها منكم فقد عرفها ومن لم يعرفها وعرفه بها ومد رجله؛ وقال: انزعوا قلانسكم وخفافكم وطيالستكم فأمسكنا فقال لنا يحيى: إنتهوا إلى ما أمركم به أمير المؤمنين فتنحينا فنزعنا أخفافنا وطيالستنا ورجعنا، فلما استقربنا المجلس قال إنما بعث إليكم معشر القوم في المناظرة فمن كان به شيء من الخبثين لم ينتفع بنفسه ولم يفقه ما يقول؛ فمن أراد منكم الخلاء فهناك وأشار بيده فدعونا له.

ثم ألقى مسألة في الفقه فقال: يا أبا محمد قل وليقل القوم من بعدك؛ فأجابه يحيى ثم الذي يلي يحيى ثم الذي يليه حتى أجاب آخرنا في العلة وعلة العلة وهو مطرق لا يتكلم حتى إذا انقطع الكلام التفت إلى يحيى فقال: يا أبا محمد أصبت الجواب وتركت الصواب في العلة، ثم لم يزل يرد على كل واحد منا مقالته ويخطىء بعضاً ويصوب بعضاً حتى أتى على آخرنا؛ (ثم قال) إني لم أبعث إليكم لهذا ولكني أحببت أن أبسطكم أن أمير المؤمنين أراد مناظرتكم في مذهبه الذي هو عليه، والذي يدين الله به قلنا فليفعل أمير المؤمنين وفقه الله.

فقال: إن أمير المؤمنين يدين الله إن علي بن أبي طالب خير خلفاء الله بعد رسوله ﷺ، وأولى الناس بالخلافة.

قال إسحاق فقلت يا أمير المؤمنين إن فينا من لا يعرف ما ذكر أمير المؤمنين في علي؛ وقد دعانا أمير المؤمنين للمناظرة (فقال) يا إسحاق اختر إن شئت أسألك وإن شئت أن تسأل فقل، (قال) إسحاق فاغتنمتها منه فقلت: بل أسألك يا أمير المؤمنين قال: سل (قلت) من أين قال أمير المؤمنين: إن علي بن أبي طالب أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأحقهم بالخلافة بعد، (قال) يا إسحاق خبرني عن الناس بم يتفاضلون حتى يقال: فلان أفضل من فلان (قلت) بالأعمال الصالحة (قال) صدقت فأخبرني عمن فضل صاحبه على عهد رسول الله ﷺ ثم إن المفضول عمل بعد وفاة رسول الله ﷺ بأفضل من عمل الفاضل على عهد رسول الله ﷺ أيلحق به، فأطرقت (فقال) لي يا إسحاق لا تقل نعم فإنّك إن قلت نعم أوجدتك في دهرنا هذا من هو أكثر منه جهاداً وحجاً وصياماً وصلاة وصدقة، فقلت: أجل يا أمير المؤمنين لا يلحق المفضول على عهد رسول الله ﷺ الفاضل أبداً (قال) يا إسحاق فانظر ما رواه لك أصحابك ومن أخذت عنهم دينك وجعلتهم قدوتك من فضائل علي بن أبي

طالب فقس عليها ما أتوك من فضائل أبي بكر؛ فإني رأيت فضائل أبي بكر تشاكل فضائل علي فقل: إنه أفضل منه لا ولكن والله ولكن نفس إلى فضائله ما روي لك من فضائل أبي بكر وعمر فإن وجدت لهما فضائل ما لعلي وحده فقل أيهما أفضل منه لا ولكن قس إلى فضائله فضائل أبي بكر وعمر وعثمان فإن وجدتها مثل فضائل علي فقل إنهم أفضل منه لا والله ولكن قس بفضائل العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة فإن وجدتها تشاكل فضائله فقل إنهم أفضل منه.

قال: يا إسحاق أي الأعمال كانت أفضل يوم بعث الله رسوله؛ (قلت) الإخلاص بالشهادة (قال) أليس السبق إلى الإسلام (قلت) نعم، (قال) اقرأ ذلك في كتاب الله تعالى يقول: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾ [الواقعة: ١٠-١١] إنما عنى من سبق إلى الإسلام فهل علمت أحداً سبق علياً إلى الإسلام، (قلت) يا أمير المؤمنين إن علياً أسلم وهو حديث السن لا يجوز عليه الحكم وأبو بكر أسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم، (قال) أخبرني أيهما أسلم قبل ثم أناظرك من بعده في الحداثة والكمال (قلت) علي أسلم قبل أبي بكر على هذه الشريطة، (قال) نعم فأخبرني عن إسلام علي حين أسلم لا يخلو من أن يكون رسول الله ﷺ دعاه إلى الإسلام أو يكون إلهاماً من الله (قال) فأطرقت (فقال) لي: يا إسحاق لا تقل إلهاماً فتقدمه على رسول الله ﷺ لأن رسول الله ﷺ لم يعرف الإسلام حتى أتاه جبرائيل عن الله تعالى؛ (قلت) أجل بل دعاه رسول الله إلى الإسلام (قال) يا إسحاق فهل يخلو رسول الله ﷺ حين دعاه إلى الإسلام من أن يكون دعاه بأمر الله أو تكلف ذلك من نفسه؛ (قال) فأطرقت فقال يا إسحاق لا تنسب رسول الله إلى التكلف فإن الله يقول وما أنا من المتكلفين، (قلت) أجل يا أمير المؤمنين بل دعاه بأمر الله (قال) فهل من صفة الجبار جل ذكره أن يكلف رسله دعاء من لا يجوز عليه حكم، (قلت) أعوذ بالله (فقال) أفتراه في قياس قولك يا إسحاق إن علياً أسلم صبياً لا يجوز عليه الحكم قد كلف رسول الله ﷺ من دعاء الصبيان ما لا يطيقون فهل يدعوهم الساعة ويرتدون بعد ساعة فلا يجب عليهم في ارتدادهم شيء ولا يجوز عليهم حكم الرسول ﷺ أترى هذا جائزاً عندك أن تنسبه إلى رسول الله ﷺ، (قلت) أعوذ بالله (قال) يا إسحاق فأراك إنما قصدت لفضيلة فضل بها رسول الله ﷺ علياً على هذا الخلق أبانه بها منهم ليعرفوا فضله ولو كان الله أمره بدعاء

الصبيان لدعاهم كما دعا علياً (قلت) بلى، (فقال) فهل بلغك أن الرسول ﷺ دعا أحداً من الصبيان من أهله وقرابته لئلا تقول أن علياً ابن عمه، (فقلت) لا أعلم ولا أدري فعل ألم يفعل (قال) يا إسحاق أرأيت ما لم تدره ولم تعلمه هل تسأل عنه (قلت) لا، (قال) فدع ما قد وضعه الله عنا وعنك.

(قال) ثم أي الأعمال كانت أفضل بعد السبق إلى الإسلام (قلت) الجهاد في سبيل الله (قال) صدقت فهل تجد لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ ما تجد لعلي في الجهاد (قلت) في أي وقت (قال) في أي الأوقات شئت، (قلت) بدر (قال) لا أريد غيرها فهل تجد لأحد إلّا دون ما تجد لعلي يوم بدر؛ (أخبرني) كم قُتل علي وحده (قلت) لا أدري (قال) ثلاثة وعشرين أو اثنين وعشرين؛ والأربعون لسائر الناس، (قلت) نيف وستون رجلاً من المشركين (قال) فكم قتل علي وحده. (قلت) يا أمير المؤمنين كان أبو بكر مع رسول الله ﷺ في عريشة (قال) يصنع ماذا (قلت) يدبر (قال) ويحك يدبر؟ دون رسول الله أو معه شريك أم افتقاراً من رسول الله ﷺ إلى رأيه أي الثلاث أحب إليك، (قلت) أعوذ بالله أن يدبر أبو بكر دون رسول الله ﷺ أو يكون معه شريكاً أو أن يكون برسول الله ﷺ افتقاراً إلى رأيه، (قال) فما الفضيلة بالعريش إذا كان الأمر كذلك أليس من ضرب بسيفه بين يدي رسول الله أفضل ممن هو جالس، (قلت) يا أمير المؤمنين كل الجيش كان مجاهداً (قال) صدقت كل مجاهد ولكن الضارب بالسيف المحامي عن رسول الله ﷺ وعن الجالس أفضل من الجالس أما قرأت كتاب الله ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥] قلت وكان أبو بكر وعمر مجاهدين، (قال) فهل كان لأبي بكر وعمر فضل على من لم يشهد ذلك المشهد؛ (قلت) نعم (قال) فكذلك سبق الباذل نفسه فضل أبي بكر وعمر (قلت) أجل.

(قال) يا إسحاق هل تقرأ القرآن (قلت) نعم (قال) اقرأ عليَّ ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] فقرأت منها حتى بلغت ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥] إلى قوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا

وَيَتِيمًا﴾ [الإنسان: ٨] قال على رسلك فيمن أنزلت هذه الآية، (قلت) في علي (قال) فهل بلغك أن علياً حين أطعم المسكين واليتيم والأسير قال: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩] وهل سمعت الله وصف في كتابه أحداً بمثل ما وصف به علياً (قلت) لا، (قال) صدقت لأن الله جل ثناؤه عرف سيرته يا إسحاق ألست تشهد أن العشرة في الجنة (قلت) بلى يا أمير المؤمنين (قال) أرأيت لو أن رجلاً قال والله ما أدري هذا الحديث صحيح أم لا ولا أدري إن كان رسول الله قاله أم لم يقله أكان عندك كافراً (قلت) أعوذ بالله (قال) أرأيت لو أنه قال أدري هذه السورة من كتاب الله أم لا كان كافراً (قلت) نعم، (قال) يا إسحاق أرى بينهما فرقاً.

يا إسحاق أتروي الحديث (قلت) نعم؛ (قال) فهل تعرف حديث الطير (قلت) نعم (قال) فحدثني به فحدثته الحديث (قال) يا إسحاق إني كنت أكلمك وأنا أظنك غير معاند للحق فأما الآن فقد بان لي عنادك أنك توقن إن هذا الحديث صحيح؛ (قلت) نعم رواه من لا يمكنني رده؛ (قال) أفرأيت أن من أيقن إن هذا الحديث صحيح ثم يزعم إن أحداً أفضل من علي لا يخلو من إحدى ثلاث، من أن تكون دعوة رسول الله ﷺ عنده مردودة عليه، أو أن يقول عرف الفاضل من خلقه وكان المفضول أحب إليه، أو أن يقول إن الله ﷻ لم يعرف الفاضل من المفضول فأي الثلاثة أحب إليك أن تقول فأطرقت، (ثم قال) يا إسحاق لا تقل منها شيئاً فإنك إن قلت منها شيئاً استتبتك وإن كان للحديث عندك تأويل غير هذه الثلاثة الأوجه فقله(قلت) لا أعلم وإن لأبي بكر فضلاً (قال) أجل لولا إن له فضلاً لما قيل إن علياً أفضل منه فما فضلها الذي قصدت له الساعة.

(قلت) قول الله ﷻ ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] فنسبه إلى صحبته (قال) يا إسحاق أما إني لا أحملك على الوعر من طريقك إني وجدت الله تعالى نسب إلى صحبة من رضيه ورضي عنه كافراً وهو قوله: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾ [الكهف: ٣٧-٣٨] قلت: إن ذلك كان صاحباً كافراً وأبو بكر مؤمن (قال) فإذا جاز أن ينسب إلى صحبة من رضيه كافراً جاز أن ينسب إلى صحبة نبيه مؤمناً وليس بأفضل المؤمنين ولا الثاني

ولا الثالث (قلت) يا أمير المؤمنين إن قدر الآية عظيم إن الله يقول: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] قال: يا إسحاق تأبى الآن إلا أن أخرجك إلى الاستقصاء عليك (أخبرني) عن حزن أبي بكر أكان رضاً لله أم سخطاً (قلت) إن أبا بكر إنما حزن من أجل رسول الله ﷺ وخوفاً عليه وغماً أن يصل إلى رسول الله شيء من المكروه، (قال) ليس هذا جوابي إنما كان جوابي أن تقول رضاً أم سخط (قلت) بل كان رضاً لله (قال) فكان الله جل ذكره بعث رسولاً ينهى عن رضا الله عزّ وجلّ وعن طاعته (قلت) أعوذ بالله، (قال) أو ليس قد زعمت أن حزن أبي بكر رضاً لله (قلت) بلى (قال) أو لم تجد أن القرآن يشهد أن رسول الله ﷺ قال له لا تحزن نهياً عن الحزن (قلت) أعوذ بالله (قال) يا إسحاق إن مذهبي الرفق بك لعل الله يردك إلى الحق ويعدل بك عن الباطل لكثرة ما تستعيذ به. (وحدثني) عن قول الله فأنزل الله سكينته عليه من عني بذلك رسول الله أم أبو بكر (قلت) بل رسول الله (قال) صدقت (قال) فحدثني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ [التوبة: ٢٥] إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٢٦] أتعلم من هم المؤمنين الذين أراد الله في هذا الموضع (قلت) لا أدري يا أمير المؤمنين، (قال) الناس جميعاً انهزموا يوم حنين ولم يبقَ مع رسول الله ﷺ إلّا سبعة نفر من بني هاشم علي يضرب بسيفه بين يدي رسول الله والعباس آخذ بلجام بغلة رسول الله والخمسة محدقون به خوفاً من أن يناله من جراح القوم شيء حتى أعطى الله لرسوله الظفر فالمؤمنون في هذا الموضع علي خاصة ثم من حضر من بني هاشم، (قال) فمن أفضل من كان مع رسول الله ﷺ في ذلك الموقف أم من انهزم عنه ولم يره الله موضعاً لينزلها عليه (قلت) بل من أنزلت عليه السكينة.

(قال) يا إسحاق من أفضل من كان معه في الغار أم من نام على فراشه ووقاه بنفسه حتى تمّ لرسول الله ﷺ ما أراد من الهجرة؛ إن الله تبارك وتعالى أمر رسوله أن يأمر علياً بالنوم على فراشه وأن يقي رسول الله ﷺ بنفسه فأمره رسول الله ﷺ بذلك فبكى علي عليه السلام فقال له: رسول الله ﷺ ما يبكيك يا علي أجزعاً من الموت قال: لا والذي بعثك بالحق يا رسول الله ولكن خوفاً عليك أفتسلم يا رسول الله؛ قال: نعم قال سمعاً وطاعة وطيبة نفس بالفداء لك يا رسول الله ثم أتى مضجعه

واضطجع وتسجى بثوبه وجاء المشركون من قريش فحفوا به لا يشكون أنه رسول الله ﷺ وقد أجمعوا أن يضربه من كل بطن من بطون قريش رجل ضربة بالسيف لئلا يطلب الهاشميون من البطون بطناً بدمه وعلي يسمع ما القوم فيه من اتلاف نفسه ولم يدعه ذلك إلى الجزع كما جزع صاحبه في الغار ولم يزل علي صابراً محتسباً، فبعث الله ملائكة فمنعته من مشركي قريش حتى أصبح فلما أصبح قام فنظر القوم إليه فقالوا: أين محمد قال وما علمي بمحمد أين هو قالوا فلا نراك إلا مغرراً بنفسك منذ ليلتنا؛ فلم يزل على أفضل ما بدأ به يزيد ولا ينقص حتى يقبضه الله إليه.

يا إسحاق هل تروي حديث الولاية (قلت) نعم يا أمير المؤمنين قال: اروه ففعلت، قال يا إسحاق أرأيت هذا الحديث هل أوجب على أبي بكر وعمر له ما لم يوجب عليه (قلت) إن الناس ذكروا أن الحديث إنما كان بسبب زيد بن حارثة لشيء جرى بينه وبين علي وأنكر ولاء علي، فقال رسول الله ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه (قال) في أي موضع قال هذا أليس بعد منصرفه من حجة الوداع (قلت) أجل (قال) فإن قتل زيد بن حارثة قبل الغدير كيف رضيت لنفسك بهذا، أخبرني لو رأيت ابناً لك قد أتت عليه خمس عشرة سنة يقول مولاي مولى ابن عمي أيها الناس فاعلموا ذلك أكنت منكراً ذلك عليه تعريفه الناس ما لا ينكرون ولا يجهلون؛ (قلت) اللهم نعم (قال) يا إسحاق أفتنزه ابنك عما لا تنزه عنه رسول الله ﷺ ويحكم لا تجعلوا فقهاءكم أربابكم إن الله جل ذكره قال في كتابه اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ولم يصلوا لهم ولا صاموا ولا زعموا أنهم أرباب ولكن أمروهم فأطاعوا أمرهم.

يا إسحاق أتروي حديث أنت مني بمنزلة هارون من موسى، (قلت) نعم يا أمير المؤمنين قد سمعته وسمعت من صححه وجحده، (قال) فمن أوثق عندك من سمعت منه فصححه أو من جحده (قلت) من صححه (قال) فهل يمكن أن يكون الرسول ﷺ مزح بهذا القول، (قلت) أعوذ بالله (قال) فقال قولاً لا معنى له فلا يوقف عليه (قلت) أعوذ بالله (قال) افما تعلم أن هارون كان أخا موسى لأبيه وأمه (قلت) بلى (قال) فعلي أخو رسول الله لأبيه وأمه (قلت) لا، (قال) أوليس هارون نبياً وعلي غير نبي (قلت) بلى (قال) فهذان الحالان معدومان في علي وقد كانا في

هارون فما معنى قوله أنت مني بمنزلة هارون من موسى، (قلت) له إنما أراد أن يطيب بذلك نفس علي لما قال المنافقون أنه خلفه استثقالاً له (قال) فأراد أن يطيب نفسه بقول لا معنى له (قال) فأطرقت، (قال) يا إسحاق له معنى في كتاب الله بين (قلت) وما هو يا أمير المؤمنين (قال) قوله ﷻ حكاية عن موسى أنه قال لأخيه هارون أخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين، (قلت) يا أمير المؤمنين إن موسى خلف هارون في قومه وهو حي ومضى إلى ربه وأن رسول الله خلف علياً كذلك حين خرج إلى غزاته (قال) كلا ليس كما قلت. أخبرني عن موسى حين خلف هارون هل كان معه حين ذهب إلى ربه أحد من أصحابه أو أحد من بني إسرائيل (قلت) لا (قال) أو ليس إستخلفه على جماعتهم (قلت) نعم، (قال) فأخبرني عن رسول الله ﷺ حين خرج إلى غزاته هل خلف إلّا الضعفاء والنساء والصبيان فإني يكون مثل ذلك. وله عندي تأويل آخر من كتاب الله يدل على استخلافه إياه لا يقدر أحد أن يحتج فيه ولا أعلم أحداً احتج به وأرجو أن يكون توفيقاً من الله، (قلت) وما هو يا أمير المؤمنين، (قال) قوله ﷻ حين حكى عن موسى قوله: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [طه: ٢٩-٣٥] فأنت مني بمنزلة هارون من موسى وزيري من أهلي وأخي شد الله به أزري وأشركه في أمري، كي نسبح الله كثيراً ونذكره كثيراً فهل يقدر أحد أن يدخل في هذا شيئاً غير هذا ولم يكن ليبطل قول النبي ﷺ، وأن يكون لا معنى له.

قال: فطال المجلس وارتفع النهار؛ فقال يحيى بن أكثم القاضي: يا أمير المؤمنين قد أوضحت الحق لمن أراد الله به الخير وأثبتّ ما لا يقدر أحد أن يدفعه، (قال إسحق) فأقبل علينا وقال: ما تقولون فقلنا: كلنا نقول بقول أمير المؤمنين أعزه الله، فقال: لولا أن رسول الله ﷺ قال: اقبلوا القول من الناس ما كنت لأقبل منكم القول اللهم قد نصحت لهم القول اللهم إني قد أخرجت الأمر من عنقي اللهم إني أدينك بالتقرب إليك بحب علي وولايته. إنتهى ما أورده ابن عبد ربه في العقد الفريد من احتجاج المأمون على القضاة والعلماء والفقهاء.

(٢) ذكر المرتضى ﵀ في مقدمة الانتصار الذي صنفه لذكر المسائل التي

انفردت بها الإمامية وشُنع عليهم فيها بأنهم خالفوا الإجماع مع أن أكثرها يوافقهم فيها العلماء المتقدمون والمتأخرون؛ وما ليس لهم فيه موافق عليه من الحجج والأدلة ما يغني عن الموافق ما حاصله إن الشناعة إنما تكون في المذهب الذي لا دليل عليه لأنه باطل؛ أما ما عليه دليل فهو الحق اليقين ولا يضره الخلاف ولا قلة عدد القائل كما لا ينفع في الأول كثرة عدد الذاهب إليه إنما يسأل صاحب المذهب عن دليله لا عمن يوافقه عليه أو يخالفه، على أنه ما من أحد من فقهاء الأمصار إلّا له مذاهب تفرد بها فكيف يشنع على الشيعة فيما انفردت به ولم يشنع على غيرهم فيما انفرد به كابي حنيفة والشافعي ومالك ومن تأخر عنهم، (فإن قالوا) كل مذهب تفرد به أبو حنيفة فله موافق من فقهاء الكوفة أو من السلف، وكذلك ما انفرد به الشافعي له فيه موافق من أهل الحجاز ومن السلف وليس كذلك الشيعة قلنا: ليس كل مذهب تفرد به أبو حنيفة أو الشافعي يعلم أن أهل الكوفة أو الحجاز أو السلف قائلون به، الشيعة تدعي وتروي أن مذاهبها التي انفردت بها هي مذاهب جعفر بن محمد الصادق ومحمد بن علي الباقر وعلي بن الحسين زين العابدين بل تروي هذه المذاهب عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وتسندها إليه فاجعلوا لهم من ذلك ما جعلتموه لأبي حنفية والشافعي وفلان وفلان وأنزلوهم على الأقل منزلة ابن حنبل وداود ومحمد بن جرير الطبري فإنكم تعدونهم خلافاً فيما انفردوا به ولا تعدون الشيعة خلافاً فيما انفردت به وهذا ظلم وحيف، (فإن قالوا) لو كان ما تدعيه الشيعة مذاهب للباقر والصادق عليهما السلام حقاً حقاً لوجب أن نعلمه كما علموه كما علمت الشيعة بمذاهب سلفنا من أبي حنيفة والشافعي وغيرهما، قلنا: ليس يجب أن يعلم الأجانب من مذهب العالم ما يعلمه أصحابه وملازموه على إنا لا نعلم كثيراً من المذاهب التي يدعونها مذهباً لأمير المؤمنين عليه السلام ونروي عنه خلافها فعذرهم في عدم معرفتنا ذلك هو عذرنا في عدم معرفتهم ما نحكيه عن أمير المؤمنين وعلماء أبنائه وكيف علمنا صحة ما تحكونه مذهباً لأبي حنيفة والشافعي ولم نعلم ذلك في كل ما تدعونه مذهباً لأمير المؤمنين عليه السلام ففرقكم بين الأمرين هو فرقنا بين العلم بمذاهب أبي حنيفة وأمثاله والاشتباه في بعض مذاهب أئمتنا، وهلا راعيتم الشيعة في الإجماع وهم داخلون تحت النصوص التي تفزعون في صحة الإجماع إليها وكيف لا يعد خلافاً من جعل النبي صلى الله عليه وآله مذاهبه حجة يرجع إليها كالكتاب الذي لا

يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه في قوله: ﷺ إني مخلف فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض؛ وقد جعل كثير من علماء المعتزلة إجماع أهل البيت خاصة حجة؛ انتهى.

(٣) قد يورد علينا في انتسابنا في الفروع إلى مذهب الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فيقال مع اختلاف الروايات عندكم عن جعفر بن محمد لا يبقى وثوق في أن ما تفتون به مطابق لمذهب الإمام جعفر لا سيما مع قولكم بالتقية؛ (وزعم) السويدي في رسالته «الحجج القطعية لاتفاق الفرق الإسلامية» إنه ناظر الملا باشي أي رئيس العلماء الذي كان مع السطان نادر شاه التركماني حين جاء إلى العراق لما اجتمع به وقال له: إن المذاهب الذي تتعبدون عليه باطل لا يرجع إلى اجتهاد مجتهد، فقال: هذا هو اجتهاد جعفر الصادق قال (فقلت) ليس لجعفر الصادق فيه شيء وأنتم لا تعرفون مذهبه فإن قلتم إن في مذهبه تقية فلا أنتم ولا غيركم يعرف مذهبه لاحتمال كل مسألة أن تكون تقية؛ فإنه بلغني عنكم إن له في البئر إذا وقعت فيها نجاسة ثلاثة أقوال (أحدها) أنه لا ينجسها شيء (ثانيها) تنزح كلها (ثالثها) يخرج منها سبعة دلاء فقلت لبعض علمائكم كيف تصنعون بهذه الأقوال الثلاثة، فقال: مذهبنا إن من صارت له أهلية الاجتهاد يجتهد في أقوال جعفر الصادق فيصحح واحداً منها، فقلت: وما يقول في الباقي قال يقول إنها تقية؛ فقلت: إذا اجتهد واحد فصحح غير هذا القول فيما يقول في الذي صححه المجتهد الأول فقال: يقول إنه تقية؛ فقلت: إذاً ضاع مذهب جعفر الصادق إذ كل مسألة تنسب له يحتمل أن تكون تقية؛ فانقطع ذلك العالم فما جوابك أنت فانقطع هو أيضاً ثم قلت له: فإن قلتم ليس في مذهب جعفر تقية فهو ليس المذهب الذي أنتم عليه لأنكم كلكم تقولون بالتقية فانقطع الملا باشي انتهى.

وأقول ما أعجب ما يفعله حب انتصار المرء لنفسه وهواه من التحامل على خصمه وقلب الحقائق فهذا الذي قال السويدي: إنه ناظر به الملا باشي وبعض العلماء الجعفرية فقطعهما ليس فيه ما يوجب الانقطاع؛ إذا كان المناظر ممن له أدنى معرفة ولكنه التحامل والعصبية والانتصار للنفس.

لا يقول أحد من علماء الشيعة أن الإمام جعفر الصادق يعمل بالاجتهاد؛ بل

اعتقادهم أنه يعمل بما علمه عن أبيه عن جده عن آبائه عن رسول الله ﷺ عن جبرائيل عن الله تعالى؛ فما قاله له الملا باشي إن صح إما مجاراة أو غلط أما اختلافات الروايات عن الإمام جعفر فلا يزيد على اختلاف الروايات عن النبي ﷺ فكيف ساغت نسبة مذاهب الأئمة الأربعة التي اجتهدوا فيها إلى الرسول ﷺ مع اختلاف الروايات الواردة عنه ﷺ في بعضها وإنما رجح بعضهم حديثاً والآخر رجح غيره ومع فقد الروايات في بعضها بالكلية والأخذ فيه بالرأي والقياس والاستحسان والمصالح المرسلة مع الاحتمال في كل منها أن لا يكون من قول الرسول ﷺ أصلاً ولم تصح نسبة المذهب إلى جعفر الصادق بمجرد اختلاف الرواية عنه، على أنه كما وجدت أحكام كثيرة علم أنها من قول الرسول ﷺ بالضرورة أو باتفاق المسلمين عليها وإنما وقع اختلاف الروايات أو العلماء في بعض الأحكام كذلك توجد أحكام كثيرة علم أنها من مذهب جعفر الصادق باتفاق شيعته وأتباعه على روايتها عنه والقول بها، وإنما وقع الاختلاف في بعض الأحكام «أما الحمل على التقية» التي نطق بها الكتاب العزيز في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨] وقال رجل: من آل فرعون يكتم إيمانه ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦] فليس مرجعاً في جميع صور تعارض الأخبار وإنما يرجع إليه عند فقد جميع المرجحات في الدلالة والسند وموافقة الكتاب والسّنة ومخالفتهما وغير ذلك؛ وظاهر ما حكاه عن الملا باشي وذلك العالم خلاف ذلك وإنها مرجع في جميع صور التعارض فإذا تعارض الظاهر والأظهر قدم الأظهر وطرح الظاهر، ولا يحمل على التقية وإذا تعارض الصحيح السند وغيره أو الصحيح والأصح قدم الصحيح على الضعيف والأصح على الصحيح وطرح غيره ولا يحمل على التقية وإذا تعارض موافق الكتاب والسّنة مع مخالفهما عمل بالموافق وطرح المخالف ولا يحمل على التقية؛ وإذا تساوى الخبران من جميع الجهات قدم ما يكون أبعد عن التقية؛ هذه حال الشيعة في الحمل على التقية، «ومنه» يظهر فساد قوله إنه إذا كان في مذهب جعفر تقية لا يمكن معرفته لاحتمال كل مسألة أن تكون بقية فإن احتمال ذلك في كل مسألة غير واقع وما احتمال التقية في الخبر المروي عن الإمام جعفر الصادق إلّا كاحتمال الكذب في الخبر المروي عن الرسول ﷺ بعد العلم بوقوع الكذب عليه في حياته حتى قال كثرت علي القالة وتوعد الكاذب عليه

بالنار، (أما) استشهاده بمسألة البئر وأن الإمام الصادق فيها ثلاثة أقوال فتوهم فإنه روي عنه عليه السلام إن ماء البئر واسع لا ينجسه شيء لأن له مادة.

وروي نزح الجميع في بعض النجاسات ونزح السبع في بعض آخر، فلا تعارض وجميع بين ما دل على أنه لا ينجسه شيء وما ظاهره النجاسة من جهة الأمر بالنزح بحمل الأمر على الاستحباب تقديماً للأظهر على الظاهر؛ ولم يقل أحد بالحمل على التقية فما حكاه عن بعض العلماء من أنه يصحح واحداً ويحمل الباقي على التقية أما جهل ممن سماه عالماً أو افتراء عليه كزعمه انقطاعهما بهذا الإيراد السخيف، ومن ذلك يظهر بطلان قوله إذاً ضاع مذهب الصادق الخ كقوله: إن قلتم ليس في مذهب جعفر الصادق تقية الخ، وزعم أن ذلك قطع الملا باشي.

من تاريخ نادر شاه مع الدولة العثمانية:

ولا بأس بالإشارة إلى سعي السلطان نادر شاه مع الدولة العثمانية في جعل المذهب الجعفري رسمياً وجعل محراب وإمام له في مكة المكرمة أسوة بالمذاهب الأربعة؛ وحيلولة تعصب العامة دون ذلك بعد تمامه ورضاء الدولة العثمانية به.

ومجمل القضية إنه بعد قتل الأفغان السلطان الشاه حسين الصفوي واستيلائهم على دار المملكة أصفهان واستيلاء العثمانيين على بعض البلدان ظهر ابنه طهماسب واجتمع عليه خلق كثير منهم نادر شاه وتقرب إليه نادر حتى قلده الوزارة فشرع نادر في استرجاع ما أخذ من المملكة فأخذ أصفهان من يد الأفغان وفرقهم شذر مذر فلقب بطهماسب قلي أي عبد طهماسب ثم ثنى عنان عزمه نحو البلاد التي بيد العثمانيين فحاصر بغداد ثمانية أشهر وكاد يفتحها فجهز عليه العثمانيون جيشاً فرجع عنها ثم حاصرها ثانياً ثم توجه إلى أرزن الروم وعاد عنها ولما رجع إلى صحراء مغان بايعه الإيرانيون بالسلطنة بتدبير منه سنة ١١٧٣هـ ثم توجه نحو الهند ولم يزل يفتح كل ما في طريقه حتى وصل إلى جهان آباد كرسي مملكة الهند ففتحها وصالح سطانها شاه محمد على شيء يدفعه كل عام وصار كالنائب عنه، وأخذ من الهند أموالاً كثيرة ثم توجه من الهند فاستولى على بلخ وبخارى وأفغانستان وجميع بلاد تركستان وإيران ولقب بشاهنشاه أي ملك الملوك، ثم توجه نحو داغستان يريد اللزك فبقي هناك أربع سنين فلم يطعه منهم أحد وهو في تلك المدة يراسل الدولة العثمانية

ويطلب منها أن تكون الحدود بينهم وبينه إلى الرها وما وراء عبادان والاعتراف بالمذهب الجعفري كالمذاهب الأربعة وأن يكون له محراب خامس وإمام في الحرم الشريف، وأن يكون من قبله أمير لطريق الحج من طريق العراق وهو يتولى إصلاح البرك والآبار من طريق زبيدة، وبعد فتحه لبلاد الهند أمر ببناء مشهد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وتذهيب القبة الشريفة والمنارتين والإيوان كما هي عليه اليوم، ويقال: إن على كل لبنة من النحاس الأصفر الموضوع عليها قدر تومان نادري من الذهب الخالص وكتب اسمه على باب الصحن الشرقي، (المتوكل على الملك القادر السلطان نادر) وذلك سنة ١١٤٥هـ ووضع في الحضرة الشريفة وفي خزانتها من التحف والجواهر ما لا يقوّم ومنه القنديل المرصع المعلق فوق الضريح الشريف والتاج المعلق فوق الرأس الشريف، ثم غزا العراق سنة ١١٥٦هـ بجيش عظيم وحاصر البصرة بنحو تسعين ألف مقاتل وحاصر بغداد بنحو من سبعين ألفاً مدة ستة أشهر؛ وتوجه بباقي عسكره إلى شهرزور (السليمانية) فأطاعه أهلها وسائر عشائر الأكراد والأعراب ثم توجه إلى قلعة كركوك ففتحها بعد حصار ثمانية أيام ثم توجه إلى أربل فأطاعوه ثم توجه إلى الموصل بنحو مائتي ألف مقاتل فحاصرها سبعة أيام وعاد عنها إلى بغداد، وترددت الرسل بينه وبين أحمد باشا والي بغداد في الصلح ونزل في الكاظمية فزار الإمامين الكاظم والجواد عليهما السلام ثم عبر دجلة في زورق فزار الإمام أبا حنيفة ثم توجه إلى النجف لزيارة أمير المؤمنين عليه السلام ورؤية القبة التي كان أمر ببنائها بالذهب كما مر وما زالت الرسل تختلف بينه وبين أحمد باشا والي بغداد في اعتراف الدولة العثمانية بكون مذهب الشيعة رسمياً حتى تقرر بينهما إرسال عالم من بغداد من قبل أحمد باشا لمناظرة العلماء الذين في صحبة الشاه ليثبت عنده أن الشيعة فرقة من المسلمين ومذهبهم هو مذهب الإمام جعفر الصادق كما أن باقي المذاهب هي مذاهب الأئمة الأربعة؛ فيحق لهم حينئذٍ أن يكون مذهبهم رسمياً كباقي المذاهب وأن يكون لهم محراب وإمام في مكة المكرمة، مع المحاريب والأئمة الأربعة فاختار الباشا لذلك عبد الله أفندي المعروف بالسويدي فحضر إلى مخيم الشاه مع رسل نادر شاه فأكرمه الشاه واحترمه؛ وكان في صحبة الشاه تسعة عشر عالماً من الشيعة وخمسة عشر من علماء أهل السنة من بلاد الأفغان وبلاد ما وراء النهر فاجتمعوا وأخذ الملا باشي يذكر أن الشيعة فرقة من فرق الإسلام

ويستشهد بما في جامع الأصول: مدار الإسلام على خمسة مذاهب وعد الخامس مذهب الإمامية ويعدّ صاحب المواقف الإمامية من الفرق الإسلامية وبقول أبي حنيفة في فقه الأكبر لا نكفر أهل القبلة وبقول شارح هداية الفقه الحنفي والصحيح أن الإمامية من الفرق الإسلامية وذكر السويدي في رسالته الآنفة الذكر كثيراً من مناظراتهم له واحتجاجهم بآية المباهلة وحديث المنزلة وغير ذلك وجوابه لهم واحتجاجه عليهم بما يطول الكلام بنقله في أشياء أخر ذكرها وعد من جملة علماء العراق الذين حضروا السيد نصر الله المعروف بابن قطة وهو السيد نصر الله الحائري العالم الشاعر المعروف والشيخ جواد النجفي الكوفي ولعله الشيخ جواد نجف المعروف ثم أمره الشاه أن تصلى الجمعة في مسجد الكوفة ويحضر السويدي الصلاة وأن يدعى في الخطبة للسلطان محمود العثماني ثم لنادر شاه فاجتمع في المسجد نحو من خمسة آلاف وصليت الجمعة (ومن الغريب) ما ذكره السويدي من أن الخطيب وهو من أهل كربلاء لما قال: في خطبته سيدنا عمر بن الخطاب كسر الراء مع أنه إمام في العربية وقال إنه أشار بذلك إلى أن منع الصرف في عمر للعدل والمعرفة ثم شتم الخطيب أقبح الشتم. فانظر إلى أي درجة يبلغ التعصب بالإنسان فيستولي عليه سوء الظن بما لا يخطر في بال أحد فاستمع إلى الخطباء هل تجد أحداً لا تخرج من لسانه الراء إلّا شبيهة بالمكسورة وذلك لأن إخلاص الفتحة لا يخلو من ثقل. وبعد ذلك رخصت الدولة العثمانية للسلطان نادر شاه بإرسال خطيب وإمام جماعة إلى مكة المكرمة فأرسل السيد نصر الله وأرسل معه هدايا إلى شريف مكة الشريف مسعود بن سعيد سنة ١١٥٥ وأرسل معه كتاباً إلى الشريف يقول فيه: إنه حصل الاتفاق بيننا وبين الدولة العثمانية على إظهار المذهب الجعفري وأن يصلي إمام خامس الصلوات الخمس في جميع الأوقات بلا معارضة وأن يدعي لنا على المنابر والمقام كما يدعي للدولة العلية فواصلكم إمام مذهبنا السيد نصر الله فدعوه يصلي بالناس صلاة خامسة بالمسجد الحرام فقامت قيامة أهل مكة لهذا الأمر وطلبوا من الشريف تسليم السيد نصر الله إليهم ليقتلوه فامتنع عليهم فاتهموا الشريف بالتشيع ولم يتخلص من هذه التهمة حتى أمر بسب الشيعة في الخطبة في كل يوم جمعة وبقي ذلك سنة مستمرة إلى ما شاء الله وجاء الأمر من نادر شاه إلى السيد نصر الله بالسفر إلى إسلامبول فسافر مع ركب الحاج الشامي فلما وصلها وشى به إلى

السلطان بفساد المذهب وأمور أخر فأمر بقتله فقتل رحمه الله تعالى وقيل: إن قتله كان في عهد السلطان عبد الحميد ابن السلطان أحمد والصواب هو الأول. فانظر إلى أي درجة يبلغ التعصب واتباع الهوى بالإنسان واعجب لهؤلاء الذين فرقوا كلمة المسلمين وشتتوا أمرهم حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه اليوم من الوهن والضعف واستعمرت بلادهم وملكت رقابهم ولا يزال فئة إلى اليوم يثيرون نار التعصب والخلاف وما ربك بغافل عما يعملون.

(٤) المعتزلة أصحاب واصل بن عطاء الذي كان يلثغ بالراء لثغاً قبيحاً وتجنب النطق بها في كلامه من دون أن يتكلف ولا يفطن لذلك السامع حتى ضرب به المثل في ذلك قال الشاعر:

نعم تجنب لا يوم العطاء كما ... تجنب ابن عطاء لثغة الراء

وكان بينه وبين بشار بن برد الشاعر المشهور صداقة ثم تحولت إلى عداوة فقال بشار يهجوه:

ما لي أشايع غزالاً له عنق ... كعنق الدوّ إن ولى وإن مثلا
عنق الزرافة ما بالي وبالكم ... تكفرون رجالاً اكفروا رجلا

وكان واصل طويل العنق ولقب بالغزال لكثرة جلوسه في سوق الغزالين إلى بعض أصحابه وقال واصل في بشار أما لهذا الأعمى الملحد أما لهذا المشنف المكنى بأبي معاذ من يقتله أما والله لولا أن الغيبة سجية من سجايا الغالية لدسست إليه من يبعج بطنه في جوف منزله أو في حفله ثم لا يتولى ذلك إلّا عقيلي او سدوسي فقال المشنف ولم يقل المرعث، وكان بشار ينبز بالمرعث وقال أبو معاذ: ولم يقل بشار وقال للغالية ولم يقل المغيرية وقال يبعج: ولم يقل يبقر وقال: في منزله ولم يقل في داره. وإنما سموا المعتزلة لأن رئيسهم واصل ابن عطاء اعتزل مجلس الحسن البصري وقال: إن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر وأثبت المنزلة بين المنزلتين فقال الحسن: قد اعتزل عنا فسموا المعتزلة.

(والأشاعرة) أصحاب أبي الحسن الأشعري من نسل أبي موسى الأشعري المشهور أحد الحكمين يوم صفين (والمعتزلة) يقولون بوجوب الأصلح على الله

تعالى وبأن أوامر الله تعالى ونواهيه تابعة للمصالح والمفاسد وبأن أفعال العبد ليست مخلوقة لله وبأن الله تعالى لا يرى في القيمة ولا يجوز عليه الظلم ويقولون بالحسن والقبح العقليين وبأن القرآن مخلوق ويتكلمون الكلام النفسي ويقولون صفات الله عين ذاته لئلا يلزم تعدد القدماء وخالفهم في ذلك الأشاعرة (والماتريدية) أصحاب أبي منصور الماتريدي نسبة إلى ماتريد قرية من قرى سمرقند وبينهم وبين الأشاعرة اختلاف في بعض المسائل كمسألة التكوين وغيرها لكنهم يوافقون الأشاعرة فيما خالفوا فيه المعتزلة (وكان) أبو الحسن الأشعري تلميذ أبي علي الجبائي من شيوخ المعتزلة فقال الأشعري يوماً لأستاذه الجبائي: ما تقول في ثلاثة أخوة مات أحدهم مطيعاً والآخر عاصياً والثالث صغيراً فقال: إن الأول يثاب بالجنة والثاني يعاقب بالنار والثالث لا يثاب ولا يعاقب قال الأشعري: فإن قال الثالث يا رب لم أمتني صغيراً وما أبقيتني إلى أن أكبر فأؤمن بك وأطيعك فأدخل الجنة ماذا يقول الرب تعالى فقال يقول: إني كنت أعلم أنك لو كبرت لعصيت فدخلت النار فكان الأصلح لك أن تموت صغيراً قال الأشعري: فإن قال الثاني يا رب لِمَ لَم تمتني صغيراً لئلا أعصي فلا أدخل النار فماذا يقول الرب فبهت الجبائي وترك الأشعري مذهبه. نقل هذه الحكاية سعد الدين التفتازاني في شرحه على العقائد النسفية ونقلها السبكي في طبقات الشافعية مع تغيير في الألفاظ.

(وعندي) أن هذا الاعتراض لا يتوجه على المعتزلة لأن العقل إذا كان يحكم بوجوب الأصلح عليه تعالى فإنما يحكم به إذا لم يؤدّ إلى رفع الاختيار وإماتة من يعلم الله تعالى أنه سيكون عاصياً ما لها إلى قلب اختياره ورفع قدرته وهذا لا يحكم العقل بوجوبه عليه تعالى نعم له أن يفعله كما وقع في قتل الخضر للغلام الذي كان أبواه صالحين وخشي أن يرهقهما طغياناً وكفراً فخلق ابن آدم وإيجاده نعمة عليه من الله تعالى وكذا إعطاؤه القدرة على الطاعة وخلق العقل فيه وإرسال الرسل إليه الذي يردعه عن المعصية ولو وجب عليه تعالى أن يميته خوفاً من وقوعه في المعصية لوجب عليه أن يقهره على تركها ولا يجعله متمكناً منها وهذا لا يحكم العقل بوجوبه عليه تعالى فلله الحجة البالغة على هؤلاء الإخوة الثلاثة أما الصغير فإذا قال: يا رب لم أمتني صغيراً فيقول الله تعالى: لي أن أفعل في خلقي ما أريد ما لم يؤد إلى قبيح

يحكم به العقل وكما كان لي أن لا أوجدك ولا قبح في ذلك فلي أن أميتك مع أن في إماتتك نفعاً لك لا ضرراً عليك **(وأما العاصي)** فإن قال يا رب لِمَ لم تمتني صغيراً لئلا أعصي فيقول الرب تعالى: لا يجب علي أن أقهرك على ترك المعصية بإماتتك كما لا يجب علي قهرك عليه مع بقائك حياً وإن كان لي أن أفعل ذلك والله أعلم.



الفصل الثاني

في جملة من القضايا العجيبة
التي قضى بها أمير المؤمنين عليه السلام

ما نقلناه منها عن الإرشاد للمفيد عليه الرحمة:

(١) ما قضى به وهو في اليمن حين أرسله رسول الله صلى الله عليه وآله إليها فقال له: ندبتني يا رسول الله للقضاء وأنا شاب ولا علم لي بكل القضاء فقال له: ادن مني فدنا منه فضرب على صدره بيده وقال: (اللهم اهدِ قلبه وثبت لسانه) قال: فما شككت في قضاء بين اثنين بعد ذلك المقام. فرفع إليه وهو باليمن رجلان بينهما جارية يملكان رقها على السواء فوطآها في طهر واحد جهلاً بالتحريم فحملت ووضعت غلاماً فقرع عليه بينهما وألحقه بمن خرجت له القرعة وألزمه نصف قيمته أن لو كان رقاً لشريكه وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فأمضاه وقال: الحمد لله الذي جعل فينا أهل البيت من يقضي على سنن داود عليه السلام، يعني بالإلهام.

(٢) ثم رفع إليه عليه السلام وهو باليمن أن زبية حفرت للأسد فوقع فيها فغدا الناس ينظرون إليه فوقف على شفير الزبية رجل فزلت قدمه فتعلق بآخر وتعلق الآخر بثالث وتعلق الثالث برابع فوقعوا في الزبية فقتلهم الأسد فقضى بأن الأول فريسة الأسد وعليه ثلث الدية وعلى الثاني ثلث الدية للثالث وعلى الثالث الدية الكاملة للرابع فانتهى الخبر بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: لقد قضى أبو الحسن فيهم بقضاء الله عز وجل فوق عرشه وسيأتي نظير هذه الحكاية في غير رواية المفيد.

(٣) ثم رفع إليه خبر جارية حملت جارية على عاتقها عبثاً ولعباً فجاءت جارية أخرى فقرصت الحاملة فقمصت لقرصتها فوقعت الراكبة فاندقت وهلكت فقضى على القارصة بثلث الدية وعلى القامصة بثلثها وأسقط الثلث الباقي لركوب الواقصة عبثاً القامصة وبلغ الخبر بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأمضاه وشهد له بالصواب.

(٤) وقضى في قوم وقع عليه حائط فقتلهم وكان فيهم امرأة مملوكة وأخرى حرة وللحرة طفل من حر وللمملوكة طفل من مملوك ولم يعرف المملوك من الحر فقرع

بينهما وحكم بالحرية لمن خرج عليه سهمها وبالرقية لمن خرج عليه سهمها ثم أعتقه وجعل مولاه مولاه وحكم به في ميراثهما بالحكم في الحر ومولاه فأمضى رسول الله ﷺ هذا القضاء وصوبه.

(٥) وجاءت الآثار أن رجلين اختصما إلى النبي ﷺ في بقرة قتلت حماراً فقال: أحدهما يا رسول الله بقرة هذا قتلت حماري فقال اذهبا إلى أبي بكر فذهبا إليه فقال: كيف تركتما رسول الله ﷺ وجئتماني قالا هو أمرنا بذلك فقال بهيمة قتلت بهيمة لا شيء على ربها فعادا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه فقال: امضيا إلى عمر فمضيا إليه فقال كيف تركتماني رسول الله ﷺ وجئتماني فقالا: إنه أمرنا بذلك قال كيف لم يأمركما بالمصير إلى أبي بكر قالا قد أمرنا بذلك وقال لنا كيت وكيت فقال ما أرى إلّا ما رأى أبو بكر فعادا إلى النبي ﷺ فأخبراه فقال اذهبا إلى علي بن أبي طالب فذهبا إليه فقال: إن كانت البقرة دخلت على الحمار في منامه فعلى ربها قيمة الحمار لصاحبه وإن كان الحمار دخل على البقرة في منامها فقتلته فلا غرم على صاحبها فعادا إلى النبي ﷺ فأخبراه فقال: لقد قضى علي بن أبي طالب بينكما بقضاء الله ثم قال: الحمد لله الذي جعل فينا أهل البيت من يقضي على سنن داود في القضاء (قال المفيد رحمه الله) وقد روى بعض العامة أن هذه القضية كانت من أمير المؤمنين عليه السلام بين الرجلين باليمن وروى بعضهم حسبما قدمنا (أقول) ورويت هذه القضية في كتاب عجائب أحكام أمير المؤمنين عليه السلام الآتية إليه الإشارة بسنده عن السكوني عن الصادق عليه السلام بتفاوت قليل.

(٦) ومن قضاياه في إمارة أبي بكر ما جاء به الخبر عن رجال من العامة والخاصة أن رجلاً رفع إلى أبي بكر وقد شرب الخمر فأراد أن يقيم عليه الحد فقال: إني شربتها ولا علم لي بتحريمها لأني نشأت بين قوم يستحلونها ولم أعلم بتحريمها حتى الآن فارتج على أبي بكر الأمر بالحكم عليه فأشير عليه بسؤال أمير المؤمنين عليه السلام عن ذلك فأرسل من سأله فقال: مر رجلين ثقتين من المسلمين يطوفان به على مجالس المهاجرين والأنصار يناشدانهم هل فيهم أحد تلا عليه آية التحريم أو أخبره بذلك عن رسول الله ﷺ فإن شهد بذلك رجلان منهم فأقم عليه الحد وإنْ لم يشهد أحد بذلك وإن لم يشهد أحد بذلك فاستتبه وخل سبيله ففعل ذلك أبو بكر فلم يشهد أحد فاستتابه وخلى سبيله (أقول) ورواها في كتاب عجائب أحكام

أمير المؤمنين الآتي ذكره قال حدثني أبي عن عثمان بن عيسى عن ابن مسكان عن أبي عبد الله عليه السلام وذكر نحواً من ذلك.

(٧) ومن قضاياه في إمارة عمر ما رواه العامة والخاصة أن قدامة بن مظعون شرب الخمر فأراد عمر أن يحده فقال له: لا يجب علي الحد لأن الله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [المائدة: ٩٣] فدرأ عنه الحد فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فقال لعمر: لِمَ تركت إقامة الحد على قدامة في شرب الخمر فقال: إنه تلا علي هذه الآية وتلاها فقال له: ليس قدامة من أهل هذه الآية ولا من سلك سبيله في ارتكاب ما حرّم الله إن الذين آمنوا وعلموا الصالحات لا يستحلون حراماً فأردد قدامة واستتبه مما قال فإن تاب فأقم عليه الحد وإن لم يتب فاقتله فقد خرج عن الملة فاستيقظ عمر لذلك وعرف قدامة الخبر فأظهر التوبة فدرأ عمر عنه القتل ولم يدرِ كيف يحده فاستشار أمير المؤمنين عليه السلام فقال: حده ثمانين إن شارب الخمر إذا شربها سكر وإذا سَكِرَ هذي وإذا هذي افترى فجلده عمر ثمانين.

(٨) وروي أن مجنونة على عهد عمر فجر بها رجل فقامت البينة عليها بذلك فأمر عمر بجلدها الحد فمر بها على أمير المؤمنين عليه السلام لتجلد فقال: ما بال مجنونة آل فلان تعتل فقيل له إن رجلاً فجربها وهرب وقامت البنية عليها فأمر عمر بجلدها فقال ردوها إليه وقولوا له أما علمت أن هذه مجنونة آل فلان وأن النبي صلى الله عليه وآله قد رفع القلم عن المجنون حتى يفيق أنها مغلوبة على عقلها ونفسها فردّت إليه وقيل له ذلك فقال: فرج الله عنه لقد كدت أهلك في جلدها.

(٩) وروي أنه أتي بحامل قد زنت فأمر برجمها فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: هب أن لك سبيلاً عليها أي سبيل لك على ما في بطنها والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤] فقال عمر: لا عشت لمعضلة لا يكون لها أبو الحسن ثم قال: فما أصنع بها قال احتط عليها حتى تلد فإذا ولدت ووجدت لولدها من يكفله فأقم عليها الحد.

(١٠) وروي أنه استدعى امرأة تتحدث عندها الرجال فلما جاءتها رسله فزعت وارتاعت وخرجت معهم فأملصت (أي أسقطت) ووقع إلى الأرض ولدها يستهل ثم

مات فبلغ عمر ذلك فجمع أصحاب رسول الله ﷺ وسألهم فقالوا نراك مؤدباً ولم ترد إلاّ خيراً إلّا شيء عليك وأمير المؤمنين عليه السلام جالس لا يتكلم فقال له: ما عندك في هذا يا أبا الحسن فقال: قد سمعت ما قالوا قال فما عندك أنت قال قد قال القوم ما سمعت قال أقسمت عليك لتقولن ما عندك قال إن كان القوم قد قاربوك فقد غشوك وإن كانوا ارتأوا فقد قصروا إن الدية على عاقلتك لأن قتل الصبي خطأ تعلق بك فقال: أنت والله نصحتني من بينهم والله لا تبرح حتى تجري الدية على بني عدي ففعل ذلك أمير المؤمنين عليه السلام.

(١١) وروي أن امرأتين تنازعتا على عهد عمر في طفل ادعته كل واحدة منهما بغير نية ولم ينازعهما فيه غيرهما فالتبس الحكم في ذلك على عمر وفزع فيه إلى أمير المؤمنين عليه السلام فاستدعى المرأتين ووعظهما وخوفهما فأقامتا على التنازع فقال ائتوني بمنشار فقالتا: ما تصنع به فقال أقده نصفين لكل واحدة نصف فسكتت إحداهما وقالت الأخرى الله الله يا أبا الحسن إن كان لا بد من ذلك فقد سمحت به لها فقال الله أكبر هذا ابنك دونها ولو كان ابنها لرقت عليه وأشفقت فاعترفت الأخرى بأن الولد لصاحبتها فسري عن عمر ودعا لأمير المؤمنين عليه السلام لأنه فرج عنه.

(١٢) وروي عن يونس بن الحسن أن عمر أتي بتمرأة قد ولدت لستة أشهر فهم برجمها فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك إن الله تعالى يقول: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] ويقول جل قائلاً: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣] فإذا كانت مدة الرضاعة حولين كاملين وكان حمله وفصاله ثلاثون شهراً كان الحمل منها ستة أشهر فخلى عمر سبيل المرأة وثبت الحكم بذلك فعمل به الصحابة والتابعون ومن أخذ عنهم إلى يومنا هذا.

(١٣) وروي أن امرأة شهد عليها الشهود أنهم وجدوها في بعض مياه العرب مع رجل يطأها ليس ببعل لها فأمر عمر برجمها وكانت ذات بعل فقالت: اللهم أنك تعلم أني بريئة فغضب عمر وقال: وتجرح الشهود أيضاً فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ردوها واسألوها فلعل لها عذراً فردت وسئلت فقالت: خرجت في إبل أهلي ومعي ماء وليس في إبل أهلي لبن وخرج معي خليطنا وفي إبله لبن فنفذ مائي فاستسقيته فأبى أن يسقيني حتى أمكنه من نفسي فأبيت فلما كادت نفسي تخرج أمكنته كرهاً

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : الله أكبر ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣] فلما سمع ذلك عمر خلى سبيلها.

(١٤) ومما قضى به في إمارة عثمان ما رواه نقلة الآثار من العامة: والخاصة أن امرأة نكحها شيخ كبير فحملت فزعم الشيخ أنه لم يصل إليها وأنكر حملها فالتبس الأمر على عثمان وسأل المرأة هل افتضك الشيخ وكانت بكراً فقالت: لا فقال: عثمان أقيموا الحد عليها فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : إن للمرأة سمين سم للمحيض وسم للبول فلعل الشيخ كان ينال منها فسال ماؤه في سم المحيض فحملت منه فسألوه فسئل فقال قد كنت أنزل الماء في قبلها من غير وصول إليها بالافتضاض فقال أمير المؤمنين عليه السلام : الحمل له ورأى عقوبته على الإنكار له فصار عثمان إلى قضائه بذلك.

(١٥) ورووا أن رجلاً كانت له سرية فأولدها ثم اعتزلها وأنكحها عبداً ثم توفي السيد فعتقت بملك ابنها لها وورث ولدها زوجها ثم توفي الابن فورثت من ولدها زوجها فاختصما إلى عثمان تقول: هذا عبدي ويقول هي امرأتي فقال عثمان هذه مشكلة وأمير المؤمنين عليه السلام حاضر فقال سلوها هل جامعها بعد ميراثها له فقالت: لا فقال لو أعلم أنه فعل ذلك لعذبته اذهبي فإنه عبدك ليس له عليك سبيل إن شئت أن تسترقيه أو تعتقيه أو تبيعيه فذلك لك.

(١٦) وروي أن مكاتبة زنت على عهد عثمان وقد عتق منها ثلاثة أرباع فسأل عثمان أمير المؤمنين فقال يجلد منها بحساب الحرية ويجلد منها بحساب الرق وسأل زيد بن ثابت فقال تجلد بحساب الرق فقال له أمير المؤمنين: كيف تجلد بحساب الرق وقد عتق منها ثلاثة أرباعها وهلا جلدتها بحساب الحرية فإنها فيها أكثر فقال زيد لو كان كذلك لوجب توريثها بحساب الحرية فقال له أمير المؤمنين عليه السلام أجل ذلك واجب فأفحم زيد وخالف عثمان أمير المؤمنين وصار إلى قول زيد بعد ظهور الحجة عليه.

(١٧) وكان من قضاياه عليه السلام بعد البيعة له ومضى عثمان ما رواه أهل النقل من حملة الآثار أن امرأة ولدت ولداً له بدنان ورأسان على حقو واحد فسألوا أمير المؤمنين عنه فقال اعتبروه إذا نام ثم نبهوا أحد البدنين والرأسين فإن انتبها جميعاً

معاً في حالة واحدة فهما إنسان واحد وإن استيقظ أحدهما والآخر نائم فهما اثنان وحقهما من الميراث حق اثنين.

(١٨) وروى حسن بن علي العبدي عن سعد بن ظريف عن الأصبغ بن نباتة قال: بينما شريح في مجلس القضاء إذ جاء شخص فقال له: يا أبا أمية أخلني فإن لي حاجة فأمر من حوله أن يخفوا عنه فانصرفوا وبقي خاصة من حضره فقال: إن لي ما للرجال وما للنساء فما الحكم عندك فيّ أرجل أنا أم امرأة فقال قد سمعت من أمير المؤمنين في ذلك قضية أنا أذكرها خبرني عن البول من أي الفرجين يخرج قال من كليهما قال فمن أيهما ينقطع قال منهما معاً فتعجب شريح قال الشخص سأورد عليك من أمري ما هو أعجب زوجني أبي على أنني امرأة فحملت من الزوج وابتعت جارية تخدمني فأفضيت إليها فحملت مني فضرب شريح إحدى يديه على الأخرى متعجباً وقال هذا أمر لا بد من انتهائه إلى أمير المؤمنين فلا علم لي بالحكم فيه فذهبوا إليه وأخبروه فدعا بالشخص وسأله عما قال شريح فاعترف به قال له من زوجك قال فلان ابن فلان وهو حاضر بالمصر فدعا به وسأله عما قال فقال صدق فقال أمير المؤمنين لأنت أجرأ من صائد الأسد حين تقدم على هذه الحالة ثم دعا قنبراً مولاه فقال له ادخل هذا الشخص بيتاً ومعه أربع نسوة من العدول ومرهن بتجريده وعد أضلاعه بعد الاستيثاق من ستر فرجه فقال يا أمير المؤمنين ما آمن عليه الرجال والنساء فأمر أن يشد عليه تبان وأخلاه في بيت ثم ولجه وعد أضلاعه وكانت من الجانب الأيسر سبعة ومن الجانب الأيمن ثمانية فقال هذا رجل وأمر بطم شعره وألبسه القلنسوة والنعلين والرداء وفرق بينه وبين الزوج (أقول) ويأتي عن كتاب عجائب أحكام أمير المؤمنين عليه السلام اختبار الخنثى بالمبال وعد الأضلاع وشخب البول وانتكاصه (قال المفيد) عليه الرحمة وروى بعض أهل النقل أنه لما ادعى ما ادعاه من الفرجين أمر أمير المؤمنين عليه السلام بنصب مرآتين إحداهما مقابل الأخرى وأمره بكشف عورته مقابل إحداهما حيث لا يراه العدلان وأمر العدلين بالنظر إلى المرآة الأخرى المقابلة للمرآة التي كشف عورته مقابلها فلما تحققا صحة ما ادعاه من الفرجين اعتبر حاله بعد أضلاعه فلما ألحقه بالرجال أهمل قوله في ادعاء الحمل وألغاه وألحق به حمل الجارية.

(١٩) ورووا أن أمير المؤمنين عليه السلام دخل المسجد فوجد شاباً يبكي فسأل عنه فقال إن شريحاً قضى علي قضية لم ينصفني فيها فقال وما شأنك قال إن هؤلاء أخرجوا أبي معهم في سفر فرجعوا ولم يرجع أبي فسألتهم عنه فقالوا مات فسألتهم عن ماله فقالوا ما نعرف له مالاً فاستحلفهم شريح وتقدم إلي بترك التعرض لهم فقال أمير المؤمنين عليه السلام لقنبراً اجمع القوم وادع لي شرط الخميس ثم جلس ودعا بالنفر والحدث معهم ثم سأله فأعاد الدعوى وجعل يبكي ويقول: أنا والله أتهمهم على أبي والله يا أمير المؤمنين فإنهم احتالوا عليه حتى أخرجوه معهم وطمعوا في ماله فسألهم أمير المؤمنين فقالوا له كما قالوا لشريح مات الرجل ولا نعرف له مالاً فنظر في وجوههم ثم قال لهم أتظنون أني لا أعلم ما صنعتم بأبي هذا الفتى إني إذاً لقليل العلم ثم أمر بهم أن يفرقوا في المسجد وأقيم كل رجل منهم إلى جانب أسطوانة ثم دعا عبيد الله بن أبي رافع كاتبه فقال له اجلس ثم دعا واحداً منهم فقال أخبرني ولا ترفع صوتك في أي يوم خرجتم من منازلكم وأبو هذا الغلام معكم فقال: في يوم كذا وكذا فقال: لعبيد الله اكتب ثم قال: في أي شهر كان قال: في شهر كذا قال اكتب ثم قال في أي سنة قال: في سنة كذا قال: اكتب فكتب عبيد الله ذلك كله قال: فبأي مرض مات قال: بمرض كذا قال في أي منزل مات قال في موضع كذا قال في غسله وكفنه قال فلان قال: فمن أدخله القبر قال: فلان وعبيد الله بن أبي رافع يكتب ذلك كله فلما انتهى إقراره إلى دفنه كبَّر أمير المؤمنين تكبيرة سمعها أهل المسجد ثم أمر بالرجل فردّ إلى مكانه، ودعا بآخر وسأله عما سأل الأول عنه فأجاب بما خالف الأول في الكلام كله وعبيد الله أبي رافع يكتب ذلك فلما فرغ من سؤاله كبّر تكبيرة سمعها أهل المسجد، ثمّ أمر بالرجلين أن يخرجا من المسجد نحو السجن فيوقف بهما على بابه ثم دعا بالثالث فسأله عما سأل عنه الرجلين فحكى خلاف ما قالاه وأثبت ذلك عنه ثم كبر وأمر بإخراجه نحو صاحبيه ودعا بالرابع فاضطرب قوله وتلجلج فوعظه وخوفه فاعترف أنه وأصحابه قتلوا الرجل وأخذوا ماله وأنهم دفنوه في موضع كذا وكذا بالقرب من الكوفة فكبر أمير المؤمنين عليه السلام وأمر به إلى السجن واستدعى واحداً من القوم وقال له زعمت أن الرجل مات حتف أنفه وقد قتلته أصدقني عن حالك وإلا نكلت بك فقد وضح لي الحق في قصتكم فاعترف من قتل الرجل بما اعترف به صاحبه ثم دعا الباقين فاعترفوا عنده بالقتل وسقطوا في

أيديهم واتفقت كلمتهم على قتل الرجل وأخذ ماله فأمر من مضى معهم إلى موضع المال الذي دفنوه فاستخرجوه منه وسلمه إلى الغلام ابن المقتول ثم قال له: ما الذي تريد قد عرفت ما صنع القوم بأبيك وقال أريد أن يكون القضاء بيني وبينهم بين يدي الله عزّوجلّ وقد عفوت عن دمائهم في الدنيا فدرأ عنهم أمير المؤمنين عليه السلام حد القتل وأنهكهم عقوبة فقال شريح يا أمير المؤمنين كيف هذا الحكم؟

فقال له إن داود عليه السلام: مر بغلمان يلعبون وينادون بواحد منهم يا مات الدين والغلام يجيبهم فقال له: داود يا غلام ما اسمك قال: اسمي مات الدين قال: من سماك بهذا قال: أمي قال: انطلق بنا إليها فقال لها: يا أمة الله ما اسم ابنك هذا قالت: اسمه مات الدين قال: ومن سماه به قالت: أبوه قال: وما كان سبب ذلك قالت: إنه خرج في سفر له ومعه قوم وأنا حامل بهذا الغلام فرجع القوم ولم يرجع زوجي فسألتهم عنه قالوا مات فسألتهم عن ماله فقالوا: ما ترك مالاً فقلت: فهل وصاكم بوصية قالوا: نعم يزعم إنك حبلى فإن ولدت جارية أو غلاماً فسميه مات الدين فسميته كما وصى فقال لها داود عليه السلام: فهل تعرفينهم قالت: نعم قال لها انطلقي مع هؤلاء يعني قوماً بين يديه فاستخرجهم من منازلهم فلما حضروا حكم فيهم بهذه الحكومة فثبت عليهم الدم واستخرج منهم المال ثم قال يا أمة الله سمي ابنك عاش الدين.

(٢٠) وروي أن امرأة هويت غلاماً فدعته إلى نفسها فامتنع فأخذت بيضة وألقت بياضها على ثوبها ثم تعلقت بالغلام ورفعته إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقالت إن هذا الغلام كابرني على نفسي وقد فضحني ثم أخذت ثيابها وأرت بياض البيض وقالت هذا ماؤه على ثوبي فجعل الغلام يبكي ويبرأ مما ادعته ويحلف فقال أمير المؤمنين عليه السلام لقنبر: مر من يغلي ماء حتى تشتد حرارته فجيء بالماء فقال: ألقوه على ثوبها فألقوه فاجتمع بياض البيض والتأم فأمر بأخذه ودفعه إلى رجلين من أصحابه فقال: تطعماه وألفظاه فتطعماه فوجدا بيضاً فأمر بتخلية الغلام وجلد المرأة عقوبة على ادعائها الباطل.

(٢١) وروى الحسن بن محبوب قال حدثني عبد الرحمن بن الحجاج قال: سمعت ابن أبي ليلى يقول لقد قضى أمير المؤمنين عليه السلام بقضية ما سبقه إليها أحد. وذلك أن رجلين اصطحبا في سفر فجلسا يتغديان فأخرج أحدهما خمسة أرغفة

وأخرج الآخر ثلاثة فمر بهما رجل فسلم فقالا له الغداء فجلس يأكل معهما فلما فرغ من أكله رمى إليهما ثمانية دراهم وقال هذه عوض ما أكلت من طعامكما فاختصما وقال: صاحب الثلاثة هذه نصفان بيننا وقال صاحب الخمسة بل لي خمسة ولك ثلاثة فارتفعا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال لهما: هذا أمر فيه دناءة والخصومة غير جميلة فيه والصلح أحسن فقال: صاحب الثلاثة الأرغفة لا أرضى الا بمر القضاء قال أمير المؤمنين عليه السلام: إذا كنت لا ترضى إلا بمر القضاء فإن لك واحداً من ثمانية ولصاحبك سبعة فقال سبحان الله وكيف صار هذا هكذا فقال له: أليس كان لك ثلاثة أرغفة قال بلى ولصاحبك خمسة قال: بلى قال هذه أربعة وعشرون ثلثاً أكلت أنت ثمانية وصاحبك ثمانية والضيف ثمانية فلما أعطاكم الثمانية الدراهم كان لصاحبك سبعة ولك واحد.

(٢٢) وروى علماء أهل السير أن أربعة نفر شربوا المسكر على عهد أمير المؤمنين عليه السلام فسكروا فتباعجوا بالسكاكين ونال الجراح كل واحد منهم ورفع خبرهم إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأمر بحبسهم حتى يفيقوا فمات في السجن منهم اثنان وبقي اثنان فجاء قوم الاثنين إلى أمير المؤمنين فقالوا: اقدنا يا أمير المؤمنين من هذين النفسين فإنهما قتلا صاحبينا فقال: وما علمكم بذلك ولعل كل واحد منهما قتل صاحبه فقالوا لا ندري فاحكم فيها بما علمك الله فقال دية المقتولين على قبائل الأربعة بعد مقاصة الحيين منهما بدية جراحهما.

قال المفيد عليه الرحمة: وكان ذلك هو الحكم الذي لا طريق إلى الحق في القضاء سواه ألا ترى أنه لا بينة على القاتل تفرده من المقتول ولا بينة على العمد في القتل فلذلك كان القضاء فيه على حكم الخطأ في القتل واللبس في القاتل دون المقتول.

(٢٣) وروي أن ستة نفر نزلوا الفرات فتعاطوا فيه لعباً فغرق واحد منهم فشهد اثنان على ثلاثة منهم أنهم غرقوه وشهد الثلاثة على الاثنين أنهما غرقاه فقضى عليه السلام بالدية أخماساً على الخمسة نفر ثلاثة منهما على الاثنين بحساب الشهادة عليهما وخمسان على الثلاثة بحساب الشهادة أيضاً.

قال المفيد عليه الرحمة: ولم يكن في ذلك قضية أحق بالصواب مما قضى به عليه السلام.

(٢٤) ورووا أن رجلاً حضرته الوفاة فوصى بجزء من ماله وما يعينه فاختلف الوراث في ذلك وترافعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقضى عليهم بإخراج السبع من ماله وتلا قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤].

(٢٥) وقضى عليه السلام في رجل وصى عند الموت بسهم من ماله وما يبينه فلما مضى اختلف الورثة في معناه فقضى عليهم بإخراج الثمن من ماله وتلا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠] إلى آخر الآية وهم ثمانية أصناف لكل صنف منهم سهم من الصدقات.

(٢٦) وقضى عليه السلام في رجل وصى فقال: أعتقوا كل عقد قديم في ملكي فلما مات لم يعرف الوصي ما يصنع فسأله عن ذلك فقال: يعتق عنه كل عبد ملكه ستة أشهر وتلا قوله جل اسمه: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩] وقد ثبت أن العرجون إنما ينتهي إلى الشبه بالهلال في تقوسه وضؤلته بعد ستة أشهر من أخذ الثمرة منه.

(٢٧) وقضى عليه السلام في رجل نذر أن يصوم حيناً ولم يعين وقتاً بعينه أن يصوم ستة أشهر وتلا قوله عز وجل: ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [ابراهيم: ٢٥] وذلك في ستة أشهر.

(٢٨) وجاءه رجل فقال: يا أمير المؤمنين أنه كان بين يدي تمر فبدرت زوجتي فأخذت منه واحدة فألقتها في فيها فحلفت أنها لا تأكلها ولا تلفظها فقال عليه السلام: تأكل نصفها وترمي نصفها وقد تخلصت من يمينك.

(٢٩) وقضى عليه السلام في رجل ضرب امرأة فألقت علقة أن عليه ديتها أربعين ديناراً وتلا قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المومنون: ١٢-١٤] ثم قال: في النطفة عشرون ديناراً وفي العلقة أربعون ديناراً وفي المضغة ستون ديناراً وفي العظم قبل أن يستوي خلقاً ثمانون ديناراً وفي الصورة قبل أن تلجها الروح مائة ديناراً فإذا ولجتها الروح كان فيها ألف دينار (انتهى ما نقلناه عن المفيد في الإرشاد).

(قال المفيد عليه الرحمة) فهذا طرف من قضاياه وأحكامه الغريبة التي لم يقضِ بها أحد قبله ولا عرفها من العامة والخاصة أحد إلا عنه واتفقت عترته على العمل بها ولو مني غيره بالقول فيها لظهر عجزه عن الحق في ذلك كما ظهر فيما هو أوضح منه وفيما أثبتناه من قضاياه على الاختصار كفاية فيما قصدناه.

(٣٠) من آخر كتاب جواهر الفقه للقاضي ابن البراج: روي أن رجلاً قيد عبده بقيد حديد وحلف أن لا ينزعه من رجليه حتى يتصدق بوزنه (وفي رواية) أن رجلين في عهد عمر شاهدا عبداً مقيداً فقال أحدهما إن لم يكن في قيده وزن كذا فامرأته طالق ثلاثاً وقال الآخر: إن كان في قيده ما قلت فامرأته طالق ثلاثاً وطلبا من سيد العبد حل القيد فقال السيد امرأته طالق ثلاثاً إن حله حتى يتصدق بوزنه فارتفعوا إلى عمر فقال مولاه أحق به فاذهبوا فاعتزلوا نساءكم فقالوا: اذهبوا بنا إلى علي بن أبي طالب فأمر بإحضار جفنة وشد القيد بخيط ووقف العبد في الجفنة والقيد مرسل إلى أسفلها ثم صب الماء عليه حتى امتلأت ثم أمر برفع القيد بالخيط فرفع حتى خرج من الماء ثم دعا ببرادة الحديد فألقيت في الماء حتى عاد إلى حده الأول ثم قال زنوا هذا ففيه وزن القيد.

(٣١) روى ابن الجوزي في كتاب الأذكياء قال أخبرنا سماك بن حرب عن حنيش بن المعتمر أن رجلين استودعا امرأة من قريش مائة دينار وقالا لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه حتى نجتمع فلبثا حولاً فجاء أحدهما فقال إن صاحبي قد مات فادفعي إلي الدنانير فأبت وقالت: إنكما قلتما لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه فتوسل إليها بأهلها وجيرانها فلم يزالوا بها حتى دفعتها ثم لبثت حولاً فجاء الآخر فقال: ادفعي إلي الدنانير فقالت: إن صاحبك جاءني فزعم أنك مت فدفعتها إليه فاختصما إلى عمر بن الخطاب فأراد أن يقضي عليها فقالت: أنشدك الله أن ترفعنا إلى علي ففعل فعرف علي أنهما قد مكرا بها فقال أليس قلتما لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه قال: بلى فقال: علي مالك عندنا فجيء بصاحبك حتى تدفعها إليكما.

ما ننقله من مخطوط قديم وجدناه في مدينة بعلبك كتب في أوله ما صورته

عجائب احكام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه

رواية محمد بن علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن جده علي بن إبراهيم عن أبيه عن محمد بن الوليد عن محمد بن الفرات عن الأصبغ بن نباتة.

وكتب عليه أيضاً ما صورته: نسخه أبو النجيب عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكريم الكرخي في شهور سنة ثمان وعشرين وخمسمائة بلغ مناه في آخرته ودنياه. وهذا الكتاب يشتمل على عدد وافر من قضايا أمير المؤمنين عليه السلام وفيها كثير مما مر نقله عن إرشاد المفيد مع بعض التفاوت وجملة منها لم تذكر فيما مر عن الإرشاد فاخترنا مما لم يذكر ما يأتي:

(٣٢) بعد ذكر السند المتقدم وحديث بعده قال: وعنه قال رفع إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه أن رجلاً ضرب على هامته فادعى المضروب أنه لا يبصر شيئاً بعينه وأنه لا يشم رائحته وأنه قد خرس فلا ينطق، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إن كان صادقاً فوجبت له ثلاث ديات فقيل كيف يستبرأ ذلك منه فقال: يؤمر برفع عينيه إلى عين الشمس فإن كان صحيحاً لم يتمالك أن يغمض وإن كان كما زعم بقيتا مفتوحتين، ويدنى من أنفه حراق فإن كان صحيحاً وصلت رائحة الحراق إلى دماغه ودمعت عيناه ونحى رأسه ويضرب بإبرة على لسانه فإن كان ينطق خرج الدم أحمر، وإن كان كما ادعى خرج الدم أسود.

(٣٣) وعنه قال رجل لعمر بن الخطاب يا أمير المؤمنين أنا رجل أحب الفتنة وأبغض الحق وأشهد بما لم أره، فأراد عقابه فقال علي عليه السلام: (أما قوله) أحب الفتنة فإنه يحب المال والولد والله يقول إنما أموالكم وأولادكم فتنة، (وأما قوله) أبغض الحق فإنه يبغض الموت (وأما قوله) وأشهد بما لم أره فإنه يشهد بأن الله واحد ولم يره فقال عمر خلوا سبيله.

(٣٤) وعنه قال بعث ملك الروم رسولاً إلى المدينة وقال سل محمداً عن ثلاث

مسائل فإن لم تلحقه فسل وصيه فوافى الرجل المدينة وقد توفي النبي ﷺ فدل على علي عليه السلام فقال أخبرني عما ليس لله وعما لا يعلمه الله وعما ليس عند الله، فقال: أما ما ليس لله فليس لله شريك وأما ما لا يعلمه الله فلا يعلم أن له ولداً كما تقولون وذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨] وأما ما ليس عند الله فليس عنده ظلم العباد، فأسلم الرجل.

(٣٥) وعنه قال قضى أمير المؤمنين عليه السلام في الأسارى من المسلمين إذا أسرهم المشركون فكان لا يفادي من كانت جراحته من خلف، ويقول هو الفار ومن كانت جراحته من قدام يفاديه.

(٣٦) وقضى في قتلى الجمل وصفين والنهروان من أصحابه أنه نظر في جراحاتهم فمن كانت جراحته من خلفه لم يصل عليه؛ وقال هو الفار من الزحف، ومن كانت جراحته من قدام صلى عليه ودفنه.

(٣٧) وعنه عن النوفلي عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال بعث النبي ﷺ علياً إلى اليمن وإذا زبية قد وقع فيها الأسد فأصبح الناس ينظرون إليه ويتزاحمون ويتدافعون حول الزبية فسقط رجل في الزبية وتعلق بالذي يليه وتعلق الآخر بالآخر حتى وقع فيها أربعة فجرحهم الأسد وتناول رجل الأسد بحربة فقتله فأخرج القوم موتى؛ فانطلقت القبائل إلى قبيلة الرجل الأول الذي سقط وتعلق فوقه ثلاثة فقالوا لهم أدوا دية الثلاثة الذين أهلكهم صاحبكم فلولاه ما سقطوا في الزبية، فقال أهل الأول: إنما تعلق صاحبنا بواحد فنحن نؤدي ديته فأمر علي عليه السلام أن يجمعوا دية تامة من القبائل الذين شهدوا الزبية ونصف دية وثلث دية وربع دية فأعطى أهل الأول ربع الدية من أجل أنه هلك فوقه ثلاثة وأعطى الذي يليه ثلث الدية من أجل أنه هلك فوقه اثنان وأعطى الثالث النصف من أجل أنه هلك فوقه واحد، وأعطى الرابع دية تامة لأنه لم يهلك فوقه أحد؛ فوافقوا رسول الله ﷺ بالموقف فأخبروه فقال هو كما قضى به علي.

(أقول) مر نظير هذه الحكاية في رواية المفيد وأنه قضى بأن الأول فريسة الأسد وعليه ثلث الدية للثاني، وعلى الثاني ثلثا الدية للثالث وعلى الثالث الدية كاملة

للرابع وهو يخالف ما هنا والظاهر أنهما واقعتان، إذ في الرواية الأولى أن الأول زلت قدمه فوقع ولم يرمه أحد فلذلك لم يكن له شيء وعليه ثلث الدية للثاني لتعلقه به وتعلق الثاني بالثالث وعلى الثاني الثلثان للثالث لتعلقه به وتعلق الثالث بالرابع وعلى الثالث دية كاملة للرابع لتعلقه به وعدم تعلق الرابع بأحد، وبعد إنقاص ما أخذ كل واحد مما دفعه يكون قد دفع كل واحد ثلثاً فقط للرابع والرابع لم يدفع شيئاً وفي هذه الرواية أن المجتمعين تزاحموا وتدافعوا فيكون سقوط الأول بسببهم فكانت له عليهم الدية لكن سقط عنهم ثلاثة أرباعها من حيث إنه سقط فوقه ثلاثة وكان هو السبب في سقوط الأول منهم وسقط عنهم ثلثا الدية للثاني من حيث سقط فوقه اثنان كان هو السبب في سقوط أولهما وسقط عنهم نصف الدية للثالث من حيث سقط فوقه واحد كان هو السبب في سقوطه وأعطي الرابع دية كاملة لأنه لم يسقط بسببه أحد.

(٣٨) ومن الكتاب المذكور قال قضى أمير المؤمنين عليه السلام في الخنثى وهي التي يكون لها ما للرجال وما للنساء أنها إن بالت من الرحم فلها ميراث النساء وإن بال من الذكر فله ميراث الرجال وإن بال من كليهما عد أضلاعه فإن زادت واحدة على أضلاع الرجال فهي امرأة وإن نقصت فهو رجل.

(٣٩) ومنه قال: وقضى أيضاً في الخنثى بأنه يقال له: ألصق بطنك بالحائط وبل فإن أصاب بوله الحائط فهو ذكر وإن انتكص كما ينتكص بول البعير فهو امرأة؛ (أقول) مر في رواية المفيد اختبار الخنثى بعد الأضلاع.

(٤٠) ومنه قال وقضى في رجل مات وترك مملوكاً وابناً في فلاة من الأرض فادعى المملوك أن ابن الرجل مملوكه وادعى الابن أن المملوك مملوكه، فتخاصما إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأمر قنبراً أن يثقب ثقبين في حائط ويخرج رأسهما من الثقبين ففعل؛ ثم قال يا قنبر إضرب عنق المملوك فرد رأسه وعدا فأخذوه وردوه على ابن الميت.

(٤١) ومنه قال وقضى في رجل كانت عنده جاريتان فولدتا جميعاً في ليلة واحدة إحداهما ابناً والأخرى بنتاً؛ فعمدت صاحبة البنت فأخذت ابن الجارية الأخرى ووضعت البنت في مهد الغلام فتخاصما إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأمر أن يوزن لبنهما فأيتهما كانت أثقل لبناً فالابن لها.

(٤٢) ومنه قال وجاء رجل بمملوك له إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: إن هذا مملوكي تزوج بغير إذني فقال فرق بينهما أنت فالتفت الرجل إلى مملوكه فقال يا خبيث طلق امرأتك فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إن شئت طلق وإن شئت أمسك قال كان قول الرجل لعبده طلق امرأتك رضاه بالتزويج وصار الطلاق عند ذلك للعبد.

(٤٣) ومنه قال: حدثنا جعفر بن شريح الحضرمي عن مالك بن أعين الجهني عن أبي عبد الله عليه السلام قال لما ولي عمر بن الخطاب جاءه رجل يهودي فدخل عليه المسجد وهو قاعد ومعه أبو أيوب الأنصاري؛ فقال له: أنت أمير المؤمنين قال: نعم قال: أنت الذي يسألك الناس ولا تسأل وأنت تحكم ولا يحكم عليك قال: نعم، أخبرني عن واحد ليس له ثان واثنين ليس لهما ثالث وثلاثة ليس لها رابع وأربعة ليس لها خامس وخمسة ليس لها سادس وستة ليس لها سابع وسبعة ليس لهما ثامن وثمانية ليس لها تاسع وتسعة ليس لها عاشر وعشرة ليس لها حادي عشرة، فلم يجبه وأطرق، فقال أبو أيوب أمير المؤمنين: عنك مشغول، ولكن ائت ذلك القاعد وأشار إلى علي فجاءه اليهودي وسأله فقال: أما الواحد الذي لا ثاني له فالله الواحد تبارك وتعالى وأما الاثنان اللذان ليس لهما ثالث فالشمس والقمر وأما الثلاثة التي ليس لها رابع فالطلاق وأما الأربعة التي ليس لها خامس فالنساء وأما الخمسة التي لها ليس لها سادس فالصلاة وأما الستة التي ليس لها سابع فالستة الأيام التي خلق الله فيها السماوات والأرض وأما السبعة التي ليس لها ثامن فالسماوات السبع وأما الثمانية التي ليس لها تاسع فحملة العرش وأما التسعة التي ليس لها عاشر فحمل المرأة وأما العشرة التي ليس لها حادي عشرة الأيام التي تمم الله بها ميقات موسى فأسلم اليهودي. (انتهى) ما اخترناه من كتائب عجائب أحكام أمير المؤمنين علي عليه السلام؛ وبه تم الباب الرابع.

الباب الخامس
في الملح والنوادر والأجوبة المسكتة

وهذا الباب مما تلذه الأسماع وتألفه الطباع، ويرفع ملال النفس وكلال الطبع ولا يخلو من عظات وعبر وتعليم وتدريب، وإنما الأعمال بالنيات ولم نألُ جهداً في اختياره وانتقاء أخباره وترصيفه وترتيبه وإيداعه طرائف الملح والنوادر ومستملح الأخبار ومستحسن الأجوبة. وفيه فصول تسعة.

الفصل الأول

في نوادر القضاة وأخبارهم المستطرفة
وما قيلَ فيهم من الشعر

فيما قيل في القضاة من الشعر:

(١) لبعضهم أورده في الريحانة:

وقاض لنا حكمه ما مضى ... وأحكام زوجته ماضيه
فيا ليته لم يكن قاضياً ... ويا ليتها كانت القاضيه

(٢) لآخر أورده في الريحانة أيضاً:

قلت للنائب الذي ... قد عرفنا معائبه
لست عندي بنائب ... إنّما أنت نائبه

(٣) وللصاحب بن عباد في قاض أورده في اليتيمة:

لنا قاض له رأس ... من الخفة مملوء

وفي أسفله داء بعيد منكم السوء

(٤) وأورد له أيضاً:

إن قاضينا لأعمى أم على عمد تعامى
سرق العيد كان الـ ـعيد أموال اليتامى

(٥) وأورد له أيضاً:

يا قاضياً بات أعمى عن الهلال السعيد
أفطرت في رمضان وصمت في يوم عيد

نوادر القضاة

(١) أتى ابن شبرمة بقوم يشهدون على قراح نخل فشهدوا وكانوا عدولاً فامتحنهم قال كم في القراح من نخلة قالوا لا نعلم فرد شهادتهم فقال له أحدهم أنت أيها القاضي تقضي في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة فأعلمناكم فيه من أسطوانة فسكت وأجازهم.

(٢) خرج شريك وهو على قضاء الكوفة يتلقى الخيزران وقد أقبلت تريد الحج وكان قد استقضي وهو كاره فأتى شاهي فأقام بها ثلاثاً فلم توافِ فخف زاده فجعل يبله بالماء ويأكله بالملح؛ فقال العلاء بن المنهال الغنوي:

فإن يكن الذي قد قلت حقاً بأن قد اكرهوك على القضاء
فما لك موضعاً في كل حين تلقى من يحج من النساء
مقيماً في قرى شاهي ثلاثاً بلا زاد سوى كسر وماء

(٣) تقدمت كلثم بنت سريع مولى عمرو بن حريث وكانت جميلة وأخوها الوليد ابن سريع إلى عبد الملك بن عمير وهو قاض بالكوفة؛ فقضى لها على أخيها فقال هذيل الأشجعي:

أتاه وليد بالشهود يسوقهم على ما ادعى من صامت المال والخول

وجاءت إليه كلثم وكلامها شفاء من الداء المخامر والخبل
فأدلى وليد عند ذاك بحقه وكان وليد ذا مراء وذا جدل
فدلهت القبطي حتى قضى لها بغير قضاء الله في محكم الطول
فلو كان من في القصر يعلم علمه لما استعمل القبطي فينا على عمل
له حين يقضي للنساء تخاوص وكان وما فيه التخاوص والحول
إذا كلمته ذات دل بحاجة فهم بان يقضي تنحنح أو سعل
وبرق عينيه ولاك لسانه يرى كل شيء ما عدا وصلها جلل

وكان عبد الملك بن عمير يقول لعن الله الأشجعي؛ والله لربما جاءتني السعلة والنحنحة وأنا في المتوضأ فأردهما لما شاع من شعره.

(٤) شهد رجل عند سوار القاضي فقال ما صناعتك قال مؤدب؛ قال أنا لا أجيز شهادتك قال ولم قال لأنك تأخذ على تعليم القرآن أجراً قال وأنت تأخذ هل على القضاء بين المسلمين أجراً؛ قال إنهم اكرهوني قال نعم أكرهوك على القضاء؛ فهل أكرهوك على أخذ الأجر قال هلم شهادتك.

(٥) دخل اياس بن معاوية الشام وهو غلام فقدم خصماً له إلى القاضي في أيام عبد الملك؛ فقال أما تستحي تخاصم وأنت غلام شيخاً كبيراً فقال الحق أكبر منه فقال اسكت ويحك قال فمن ينطق بحجتي فقال أما أظنك تقول اليوم حقاً حتى تقوم فقال لا إله إلّا الله؛ فقام القاضي ودخل على عبد الملك وأخبره فقال اقضِ حاجته وأخرجه من الشام كي لا يفسد علينا الناس.

(٦) رد رجل جارية رجل اشتراها منه بالحمق فترافعا إلى إياس بن معاوية فقال لها إلّا إياس أي رجليك أطول فقالت هذه، فقال أتذكرين ليلة ولدتك أمك قالت نعم؛ فقال إياس رد رد (وإياس هذا هو الذي يضرب به المثل في الذكاء).

(٧) كان ببغداد رجل يذكر بالصلاح والزهد يقال له رويم فولي القضاء؛ فقال الجنيد من أراد أن يستودع سره من لا يفشيه فعليه برويم؛ فإنه كتم حب الدنيا أربعين سنة إلى أن قدر عليها.

(٨) دعا رجل لسليمان الشاذكوني فقال أرانيك الله يا أبا أيوب على قضاء

أصبهان فقال ويحك إن كان ولا بد فعلي خراجها؛ فإن أخذ أموال الأغنياء أسهل من أخذ أموال الأيتام.

(٩) ارتفعت جميلة بنت عيسى بن جراد وكانت جميلة كاسمها مع خصم لها إلى الشعبي وهو قاضي عبد الملك، فقضى لها، فقال هذيل الأشجعي (وهو الذي هجا عبد الملك بن عمير قاضي الكوفة كما مر):

فتن الشعبي لمّا رفع الطرف إليها
فتنته بثنايا ها وقوسي حاجبيها
ومشت مشياً رويداً ثم هزت منكبيها
فقضى جوراً على الـ ـخصم ولم يقضِ عليها

فقبض الشعبي عليه وضربه ثلاثين سوطاً (قال ابن أبي ليلى) ثم انصرف الشعبي يوماً من مجلس القضاء وقد شاعت الأبيات وتناشدها الناس ونحن معه، فمررنا بخادم يغسل الثياب ويقول (فتن الشعبي لما) ولا يحفظ تتمة البيت فوقف عليه ولقنه وقال (رفع الطرف إليها) ثم ضحك وقال أبعده الله؛ والله ما قضيت لها إلّا بالحق.

(١٠) جاءت امرأة إلى قاض فقالت مات بعلي وترك أبوين وأبناء وبني عم؛ فقال القاضي لأبويه الثكل ولابنه اليتم ولك الأيمة ولبني عمه الذل واحملي المال إلينا إلى أن ترفع الخصومة.

(١١) دخل عدي بن أرطأة على شريح القاضي فقال له أين أنت أصلحك الله فقال بينك وبين الحائط قال استمع مني قال قل اسمع قال إني رجل من أهل الشام قال من مكان سحيق قال وقد تزوجت عندكم قال بالرفاء والبنين قال وأردت أن أرحلها قال الرجل أحق بأهله قال وشرطت لها دارها قال الشرط أملك قال فاحكم الآن بيننا قال قد فعلت، قال فعلى من حكمت قال على ابن أمك قال بشهادة من قال بشهادة ابن أخت خالتك.

(١٢) قال المأمون لقاضي القضاة يحيى بن أكثم؛ وكان يرمى بفعل قوم لوط أخبرني من الذي يقول:

قاض يرى الحد في الزناء ولا يرى على من يلوط من باس

قال يقوله يا أمير المؤمنين عليه السلام الذي يقول:

لا أحسب الجور ينقضي وعلى الأمـ ـة وال من آل عباس

قال ومن يقوله قال أحمد بن أبي نعيم، قال ينفى إلى السند وإنما مزحنا معك.

(١٣) قال الثعالبي في اليتيمة في ترجمة القاضي التنوخي؛ وكان يتقلد قضاء البصرة والأهواز ما لفظه: ويحكى أنه كان في جملة القضاة الذي ينادمون الوزير المهلبي ويجتمعون عنده في الأسبوع ليلتين على اطراح الحشمة والتبسط في القصف والخلاعة وهم ابن أبي قريعة وابن معروف والقاضي التنوخي وغيرهم، وما منهم إلّا أبيض اللحية طويلها وكذلك كان الوزير المهلبي فإذ تكامل الأنس وطاب المجلس ولذ السماع وأخذ الطرب منهم مأخذه وهبو ثوب الوقار للعقار وتقلبوا في إعطاف العيش بين الخفة والطيش، ووضع في يد كل منهم كاس من ذهب من ألف مثقال إلى ما دونها مملوءاً شراباً قطربلياً أو عكبرياً فيغمس لحيته فيه بل ينقعها حتى تتشرب أكثره ويرش بها بعضهم على بعض ويرقصون أجمعهم وعليهم المصبغات ومخانق البرم والمنثور؛ ويقولون كلما كثر شربهم هرهر وإياهم عنا السري الرفا بقوله:

مجالس ترقص القضاة بها إذا انتشوا في مخانق البرم

وصاحب يخلط المجنون لنا بشيمة حلوة من الشيم

تخضب بالراح شيبه عبثاً أنامل مثل حمرة العنم

حتى تخال العيون شيبته شيبة عثمان ضرجت بدم

(أقول) فإذا كانت هذه حال قضاة المسلمين؛ فعلى الإسلام السلام.

(١٤) ذكر نصر الهوريني في ترجمة القاضي ابن خلكان أنه سأل بعض أصحابه عما يقوله أهل دمشق فيه فاستعفاه، فألح عليه فقال يقولون إنك تكذب في نسبك وكان ينتسب إلى البرامكة وتأكل الحشيشة وتحب الصبيان، فقال أما النسب والكذب فيه فإذا كان لا بد منه كنت انتسب إلى العباس أو إلى علي بن أبي طالب أو إلى واحد من الصحابة؛ وأما النسب إلى قوم لم يبق لهم بقية وأصلهم قوم مجوس فما منه فائدة، وأما الحشيشة فلكل ارتكاب محرم، وإذا كان ولا بد فكنت أشرب الخمر لأنها ألذ، وأما محبة الغلمان فإلى غد أجيبك عن هذه المسألة؛ (أقول) تأخير جوابها لأنه لا جواب له عنها.

(١٥) عن ابن الأعرابي قال خاصم أبو دلامة رجلاً إلى عافية بن زيد القاضي وكان المهدي؛ ولاه قضاء بغداد فقال أبو دلامة:

لقد خاصمتني غواة الرجال وخاصمتهم سنة وافيه
فما أدحض الله لي حجة وما خيب الله لي قافيه
فمن كنت من جوره خائفاً فلست أخافك يا عافيه

فقال له عافية لأشكونك لأمير المؤمنين قال لم تشكوني؛ قال لأنك هجوتني قال لئن شكوتني إليه ليعزلنك قال لماذا قال لأنك لا تعرف الهجو من المدح.

(١٦) قال عبد الرحمن بن مسهر ولاني القاضي أبو يوسف القضاء (بجبّل) ويلغني أن الرشيد منحدر إلى البصرة فسألت أهل جبّل أن يثنوا عليّ فوعدوني وتفرقوا، فلما يئست منهم سرحت لحيتي وخرجت فوقفت له فوافى وأبو يوسف في الحراقة فقلت يا أمير المؤمنين نعم القاضي قاضي جبل قد عدل فينا وفعل وصنع وجعلت أثني على نفسي فرآني أبو يوسف وطأطأ رأسه وضحك، فقال له هارون مم تضحك فقال إن المثني على نفسه هو القاضي؛ فضحك هارون حتى فحص برجليه وقال هذا شيخ سخيف سفلة فأعزله فعزلني.

(١٧) عن علي بن هشام قال كان للحجاج قاض بالبصرة من أهل الشام يقال له أبو حمير، فحضرت الجمعة فمضى يريدها فلقيه رجل من العراق فقال أين تذهب قال إلى الجمعة قال أما بلغك أن الأمير قد أخر الجمعة اليوم فرجع، فلما كان الغد قال له الحجاج أين كنت يا أبا حمير لم تحضر معنا الجمعة قال أخبرني بعض أهل العراق أن الأمير أخر الجمعة، فضحك الحجاج وقال أما علمت أن الجمعة لا تؤخر.

(١٨) تقدم رجل إلى أبي العطوف قاضي حران؛ فقال أصلح الله القاضي هذا ذبح ديكاً لي فخذ لي بحقي فقال القاضي عليكما بصاحب الشرطة.

(١٩) سأل المأمون رجلاً من أهل حمص عن قضائهم؛ فقال يا أمير المؤمنين إن قاضينا لا يفهم وإذا فهم وهم؛ قال كيف هذا قال ادعى عنده رجل على آخر أربعة وعشرين درهماً فأقر له الآخر؛ فقال أعطه قال أصلح الله القاضي لي حمار أكتسب عليه كل يوم أربعة دراهم أنفق على الحمار درهماً وعلي درهماً وأدفع له درهمين فإذا

اجتمع ماله غاب عني فأنفقها فليحبسه القاضي اثني عشر يوماً حتى أجمعها له؛ فحبس صاحب الحق حتى جمعها له فضحك المأمون وعزله.

(٢٠) كان في (تاهرت) قاض من أهلها فجنى رجل جناية ليس لها في كتاب الله حد منصوص ولا في السنة، فأحضر الفقهاء وقال ما ترون فقالوا الأمر لك قال فإني رأيت أن أضرب المصحف بعضه ببعض ثلاث مرات ثم أفتحه فما خرج من شيء عملت به، قالوا وفقت ففعل بالمصحف ما ذكر ثم فتح فخرج قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ [القلم: ١٦] فقطع أنف الرجل وخلى سبيله.

(٢١) كان قاض في البادية يسمى الشيخ زرّيج (زريق) فمات أعرابي وترك بنتين وثلاث جاموسات فأرادتا القسمة، فجعلتا جاموستين وجاموسة سهماً فكل من أخذت الجاموسة الواحدة ترى سهمهما أقل فترافعا إلى الشيخ زريج ليقسم بينهما؛ فقال: جاموسة لفلانة وجاموسة لأختها، وجاموسة للشيخ زريج فرضيتا بذلك.

(٢٢) تقدم رجلان إلى أبي ضمضم القاضي فادعى أحدهما على الآخر طنبوراً فأنكر المدعى عليه، فقال للمدعي ألك بينة قال نعم فأتى بشاهدين فقال المدعى عليه سلهما ما صناعتهما فإذا أحدهما نباذ والآخر قواد؛ فقال القاضي تريد على طنبور أعدل من هذين قم فأعطه طنبورة.

(٢٣) ترافعت امرأة مع زوجها إلى الشعبي فقضى عليها؛ فجعلت تبكي فرق لها بعض الحاضرين وسأل الشعبي أن يعيد النظر في أمرها فأبى؛ فقال أما تراها تبكي قال إن إخوة يوسف جاؤوا أباهم عشاء يبكون.

(٢٤) إدعى رجل على الآخر مالاً فجحده فترافعا إلى القاضي؛ فقال ألك شهود فقال نعم وأتى بشاهدين معروفين بالصلاح فشهدا له فأراد أن يحكم على خصمه فجزع جزعاً شديداً وضج وبكى وأنكر أن يكون دفع إليه شيئاً؛ فعلم القاضي من حاله أنه بريء وتحير في وجه شهادة الشهود مع علمه بصلاحهما وعدم احتمال كذبهما؛ فتوقف عن الحكم وجعل يفكر في ذلك ثم قال لهما هل دفع له هذا المال أمامكما قال لا وإنّما أحضرنا وقال اشهدوا أن لي عند فلان كذا ولم يكن غريمه حاضراً وقال فشهدنا فكبر وعلم أنهما مغفلان؛ وإن كانا صالحين ولذلك قيل إنا لنرد شهادة من نرجو شفاعته.

(٢٥) ولي رجل قضاء الأهواز فأبطأت عليه أرزاقه وحضر عيد الأضحى وليس عنده ما يضحي به فأخبر زوجته فقالت عندنا ديك عظيم سمين فإذا كان يوم الأضحى ذبحناه فبلغ الخبر جيرانه فأهدوا له ثلاثين كبشاً؛ فقال لزوجته احتفظي بديكنا فلهو أكرم على الله من إسحاق بن إبراهيم إنه فدي بكبش واحد وديكنا فدي بثلاثين كبشاً.

(٢٦) تنازع رجل مع زوجته وكانت تخبز وبين يديها بقية دقيق فوضعته في صرة وجعلتها تحت حزامها وذهبا إلى القاضي فلما رأى الصرة ظنها دراهم جاءت بها معها لتعطيه إياها؛ فجعل القاضي كلما جاء الزوج بحجة أبطلها وكلما جاءت الزوجة بحجة أيدها حتى حكم لها عليه ثم خرجا فلما رأى أنها لم تعطه شيئاً أرسل وراءها وأشار أنه يريد الصرة فأخرجتها فإذا فيها دقيق فقالت: أأخبزه لك أو تأكله دقيقاً؛ فقال بل انثريه على لحية من يحكم قبل أن يقبض.

(٢٧) أوصى رجل بالشام أن ينفق عنه خمسمائة قرش لمن لا يخاف الله فلما مات استفتى ولده في ذلك فقيل له ادفعها للصوص فذهب إلى مكان يأوي إليه اللصوص في البرية ومعه المال فما شعر اللصوص إلّا وهو معهم فذعروا منه فقال لهم: لا تخافوا وخذوا هذا المال فعجبوا من ذلك وسألوه فأخبرهم أن أباه أوصى به لمن لا يخاف الله فأبوا أن يأخذوه وقالوا: نحن نخاف الله وإذا خرجنا من بيوتنا نطلب من الله الستر ولا نرضى لأنفسنا أن نكون ممن لا يخاف الله فرجع متحيراً فأشير عليه أن يسأل القاضي ويأخذ بما يقوله فسأله فقال: إن في دار الحكمة تراباً حصل من ترميمها فاستأجر على نقله بذلك المال تبرأ ذمتك (أنش) فاستأجر عليه فلما تمّ نقله وأراد الانصراف قال له القاضي: إلى أين؟ قال إلى منزلي قال وأين ثمن التراب وألزمه بثمنه فعلم أن المال صار إلى من لا يخاف الله.

(٢٨) كان في بغداد قاض وفي بعض الأيام لم يكن عنده ما ينفق فقال لخادمه: اذهب فانظر هل تجد أحداً له دعوى ولو ميتة أو دين على أحد ولو هالكاً أو شيء يتشبث به فأتي به فذهب الخادم فلم يجد أحداً فقال: اذهب وائتني بأول من تراه أياً كان فذهب فرأى رجلاً فقال: أجب القاضي فقال: ليس لي معه شغل فقال: لا بد من ذهابك إليه فجاء فقال له القاضي هل لك دعوى على أحد قال: لا، قال: هل عليك دعوى لأحد قال: لا، قال: هل لك دين على أحد حتى نحصله لك قال: لا،

قال: هل عليك دين لأحد قال: لا، قال هل ورثت ميراثاً يحتاج إلى قسمة لنقسمه لك قال: لا، قال هل أنت وصي لأحد حتى تثبت لك وصايتك قال: لا، فلما أعياه قال لكاتبه: اكتب له اعلاماً شرعياً بأنه ليس مدعياً ولا مدعى عليه فقال: خذ هذا الاعلام فأخذه وألزمه بدفع رسمه فدفعه فأعطاه للخادم وقال: اذهب إلى السوق وأشتر به لوازم البيت.

(٢٩) ترافع خصمان إلى قاض لا يقرأ ولا يكتب فحكم لأحدهما على الآخر فطلب المحكوم له أن يكتب له صورة الحكم فخجل أن يقول إنه أميّ وأخذ القلم وخط خطوطاً مختلفة في القرطاس ليوهم الخصمين أنه يكتب وكانا أميين كقاضيهما وأعطاه للمحكوم له وبعد سنة تنازعا فترافعا إليه فحكم للمحكوم عليه أولاً وكان قد نسي الحكم الأول فقال صاحبه: قد ترافعنا إليك في العام الماضي وحكمت لي وأراه الورقة فتأملها ملياً ثم قال: ذلك حكم العام الماضي وهذا حكم اليوم.



الفصل الثاني

في نوادر المعلمين وأخبارهم
وبعض ما قيل فيهم من الشعر

(١) عن الشعبي قال: سمعت أبا بكر يقول: مررت مؤدب وقد تلا على غلام (فريق في الحبة وفريق في الشعير) فقلت إن الآية هكذا ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧] فقال: أنت تقرأ على حرف أبي عاصم بن العلاء الكسائي وأنا أقرأ على حرف أبي حمزة بن عاصم المدني قلت: معرفتك بالقراء أعجب وأغرب.

(٢) قال بعضهم: مررت بدار فإذا على بابها معلم قائم على أربع ينبح نبح الكلاب وإذا صبي قد خرج فقبض عليه المعلم فسألته عن ذلك فقال: هذا صبي يبغض التأديب ويفر ويدخل الدار فلا يخرج وله كلب يلعب به فأنبح له فيظن أني كلبه فيخرج فآخذه.

(٣) قال الجاحظ قلت لمعلم: ما لي لا أرى لك عصا قال: لا أحتاج إليها إنما أقول من لا يرفع صوته فأمه زانية فيرفعون أصواتهم وهذا أبلغ من العصا وأسلم.

(٤) قال: وقلت لمعلم لم تضرب غلمانك من غير جرم قال: جرمهم عظيم أنهم يدعون لي بالحج وإن حججت تفرقوا في المكاتب فمتى أحج أنا مجنون.

(٥) قال غلام للصبيان: هل لكم أن يتركنا الشيخ اليوم قالوا: نعم، قال: تعالوا نشهد له أنه مريض فقال أحدهم: أراك مصفر الوجه وقال آخر: أراك ضعيفاً وأظنك ستحم فلو مضيت إلى منزلك واسترحت وسأل الباقين فأخبروا بمثل ذلك فقال لهم: انصرفوا اليوم وتعالوا غداً وذهب إلى منزله فقال: يا بني الفاعلة أنا مريض ولا تخبروني افرشوا لي ودثروني.

(٦) جاء معلم إلى الجاحظ فقال: أنت الذي صنعت كتاب المعلمين تعيبهم قال: نعم وذكرت فيه أن بعض المعلمين جاء إلى صياد وقال: إيش تصطاد طرياً أم مالحاً قال: نعم، قال: ذلك أبله ولو كان ذكياً كان يقف فينظر إن خرج طري علم أو خرج مالح علم.

(٧) قال الجاحظ مررت بمعلم وقد كتب لغلام «وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً وأكيد كيداً فمهل الكافرين أمهلهم رويداً» فقلت له: ويحك قد أدخلت سورة في سورة قال: نعم إذا كان أبوه يدخل شهراً في شهر فأنا أيضاً أدخل سورة في سورة فلا آخذ شيئاً ولا ابنه يتعلم شيئاً.

(٨) قال الجاحظ: أتت امرأة إلى معلم بابن لها وقالت: إن هذا الصبي لا يطيعني فأحب أن تخوفه فأخذ المعلم لحيته وكانت طويلة وألقاها في فمه وحرك رأسه وصاح صيحة رجفت لها المرأة من الفزع فقالت: إنما قلت لك أن تخوف ابني لا أن تذهب عقلي فقال لها يا حمقاء إن العذاب إذا نزل أهلك الصالح والطالح.

(٩) يحكى عن الجاحظ أنه قال: عملت كتاباً في نوادر المعلمين ثم مررت بمعلم فوجدته في غاية الظرافة والأدب فعزمت على تمزيق الكتاب فلما كان بعد مدة أتيت لزيارة ذلك المعلم فقيل لي هو مريض فاستأذنت عليه لأعوده فلما دخلت وسلمت قلت له ما علتك قال: أنا عاشق فقلت: ومن تعشق قال: أم عمرو وهل رأيتها قال: لا ولكني سمعت منشداً يقول:

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة ... ردي علي فؤادي كالذي كانا

فعلمت أنها لو لم تكن جميلة لم يقل فيها هذا الشعر فتعشقتها ثم سمعت منشداً يقول:

لقد ذهب الحمار بأم عمرو ... فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت أنها قد ماتت فمرضت جزعاً عليها فلما سمعت منه عزمت على إبقاء الكتاب وجعلت هذه القصة ختاماً له.

(١٠) قال أبو العنبس كان ببغداد معلم يشتم الصبيان فدخلت عليه وشيخ معي فقلنا لا تفعل لا يحل لك فقال: ما أشتم إلّا من يستحق الشتم فاسمعوا ما أنا فيه فقرأ صبي: (عليها ملائكة غلاظ شداد يعصون الله ما أمرهم ولا يفعلون ما يؤمرون) فقال: ليس هؤلاء ملائكة ولا أعراب ولا أكراد فضحكنا كثيراً وقرأ عليه آخر (هم الذين يقولون لا تنفقوا إلّا من عند رسول الله) فقال: يا ابن الفاعلة أتلزم النبي بنفقة مال لا تجب عليه.

(١١) قال بعضهم: مررت بمعلم والصبيان يضربونه فتقدمت لأخلصه فقال: دعهم بيني وبينهم شرط إن سبقتهم إلى الكتّاب ضربتهم وإن سبقوني ضربوني واليوم غلبني النوم فتأخرت ولكن وحياتك ألا بكرت غداً من نصف الليل وتنظر فعلي بهم فقال له صبي: أنا أبات الليلة ها هنا.

(١٢) كان في خراسان قروي له عجل أدخل رأسه في حب الماء ليشرب ولم يقدر أن يخرجه فاستحضر معلم القرية وقال قد وقعت واقعة لعلك تجد لنا منها مخلصاً وأراه العجل فأخذ سكيناً وذبح العجل فوقع رأسه في الحب وأخذ حجراً وكسر الحب فقال القروي: لا بارك الله فيك قتلت عجلي وكسرت حبي.

(١٣)شكا بعض الصبيان إلى المعلم أن رفيقه عضه في أذنه فقال رفيقه: لا تصدقه أيها الشيخ هو عض أذنه فقال له المعلم: كذبت أهو جمل حتى يقدر أن يعض أذنه.

(١٤) عن ابن خلف المقري قال أنشدني بعض المعلمين وقد جلس حديث عهد بتعليم:

ما طار بين الخافقين أقل عقلاً من معلم
ولقد دخلنا في الصنا عة عن قريب رب سلم

(١٥) قيل لمعلم ابن معلم ما لك أحمق؛ فقال لو لم أكن أحمق لكنت ولد زنا.

(١٦) قال بعضهم:

كفى المرء نقصاً أن يقال بأنه معلم صبيان وإن كان فاضلا

(١٧) قرأ صبي على معلم فأخرج منها فإنك رجيم فقال ذاك أبوك الكشخان، فقرأ وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين وأخذ يكرر ويقف فقال عليك وعلى أبويك فقال الصبي: ليس على أبويك ولكن عليك.

(١٨) قال صبي لمعلمه: إني رأيت في المنام كأنّي مطلي بعذرة وأنت مطلي بعسل فقال: هذا عملك السوء وعملي الصالح ألبسنا الله إياهما؛ قال الصبي: فاسمع تمام الرؤيا وكنت تلحسني وأنا ألحسك فقال اعزب لعنك الله.

الفصل الثالث

في نوادر المتنبئين وأخبارهم المستطرفة

(١) ادعى رجل النبوة أيام المهدي فأدخل عليه، فقال له أنت نبي قال نعم قال وإلى من بعثت قال أو تركتموني أذهب إلى أحد ساعة بعثت وضعتموني في الحبس؛ فضحك منه وخلى سبيله.

(٢) ادعى رجل النبوة بالبصرة فأتى به سليمان بن علي مقيداً فقال له: أنت نبي مرسل؛ قال أما الساعة فإني مقيد قال من بعثك قال أبهذا تخاطب الأنبياء يا ضعيف والله لولا إني مقيد لأمرت جبرائيل يدمدمها عليكم، قال فالمقيد لا تجاب له دعوة قال نعم الأنبياء خاصة إذا قيدت لم يرتفع دعاؤها فضحك سليمان وقال أنا أطلقك وأمر جبرائيل فإن أطاعك آمنا بك، قال صدق الله فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم فضحك سليمان وقيل له: أنه ممرور فخلى سبيله.

(٣) قال ثمامة بن أشرس أتى المأمون برجل ادعى النبوة وأنه إبراهيم الخليل؛ فقلت أكلمه قال شأنك به فقلت له إن إبراهيم أضرمت له نار وألقي فيها فصارت برداً وسلاماً فنحن نضرم لك ناراً ونلقيك فيها فإن كانت عليك برداً آمنا بك، فقال هات ما هو ألين علي من هذا قلت براهين موسى ألقى عصاه فصارت حية تلقف ما يأفكون وضرب بها البحر فانفلق وبياض يده من غير سوء، قال هذا أصعب قلت براهين عيسى كان يحيي الموتى ويمشي على الماء ويبرىء الأكمه والأبرص قال جئت بالطامة الكبرى، قلت لا بد من برهان قال ما معي شيء من هذا قد قلت لجبرائيل أنكم توجهونني إلى شياطين فأعطوني حجة فغضب وقال بدأت بالشر قبل كل شيء اذهب الآن فانظر ما يقول لك القوم؛ فقلت هذا هاج به مرار فتركه.

(٤) ادعى رجل النبوة في أيام المهدي فقال له أنت نبي قال نعم قال متى نبئت قال وما تصنع بالتاريخ قال ففي أي المواضع جاءتك النبوة قال ليس هذا من مسائل الأنبياء فقال المهدي لشريك القاضي ما تقول في هذا النبي؛ قال شاورته في أمري ولم تشاورني قال هات ما عندك قال أكافر أنا عندك أم مؤمن قال كافر قال إن الله يقول ولا تطع الكافرين ودع أذاهم فلا تطعني ولا تؤذني ودعني أذهب إلى الضعفاء

والمساكين فإنهم أتباع الأنبياء؛ وأدع الملوك والجبابرة فإنهم حطب جهنم فضحك وخلى سبيله.

(٥) ادعى رجل النبوة في زمن خالد القسري وعارض سورة الكوثر بقوله إنا أعطيناك الجماهر فصل لربك وجاهر ولا تطع كل ساحر وكافر فما يؤذيك إلّا فاجر؛ فأمر به خالد فضربت عنقه وصلب على خشبة فمر به خلف بن خليفة الشاعر وقال إنا أعطيناك العمود فصل لربك على عود بلا ركوع ولا سجود؛ وأنا ضامن أن لا تعود.

(٦) ادعى رجل النبوة في أيام المأمون فقال ليحيى بن أكثم امض بنا ننظر إليه فذهبا متنكرين فجلس المأمون عن يمينه ويحيى عن يساره، فقال له المأمون إلى من بعثت قال إلى الناس كافة قال فيوحى إليك أم ترى في المنام أم ينفث في قلبك أم تناجى وتكلم، قال بل أناجى وأكلم قال ومن يأتيك بذلك قال جبرائيل قال فمتى كان عندك قال قبل أن تأتيني بساعة قال فما أوحى إليك قال أوحى إلي أنه يدخل علي رجلان فيجلس أحدهما عن يميني والآخر عن يساري؛ والذي عن يساري الوط خلق الله المأمون؛ أشهد أنك نبي وخرجا يتضاحكان.

(٧) أتي المأمون بإنسان متنبي فقال له ألك آية، قال نعم أعلم ما في نفسك، قال ما نفسي قال في نفسك إني كذاب قال صدقت، وأمر به إلى الحبس ثم أخرجه بعد أيام فقام أوحي إليك بشيء قال لا لأن الملائكة لا تدخل الحبس فضحك وأطلقه.

(٨) تنبأ إنسان وادعى أنه نوح ومعه صاحب آمن به فاستتابه الوالي فلم يتب فأمر به فصلب واستتاب صاحبه فتاب فناداه من الخشبة أتسلمني الآن فقال يا نوح قد علمت أنه لا يصحبك من السفينة إلّا الصاري.

(٩) إدعى رجل النبوة في عصر بعض الخلفاء فذهب إليه مع قاضيه ووزيره، فقال له أنت نبي قال نعم قال ادع الله بأن يجعل هؤلاء الشبان شيوخاً فإذا جعلهم شيوخاً آمنا بك قال بل اجعل لك هؤلاء الشيوخ شباناً؛ قال افعل فأخرج الموسى من جيبه وتقدم نحو القاضي فقال القاضي أشهد أنك رسول الله فأدع غيري فتقدم نحو الوزير فقال وأنا أشهد أنك رسول الله؛ فضحكوا وانصرفوا.

(١٠) قال الجاحظ كان مسيلمة قبل أن يتنبأ يدور في الأسواق يتعلم الحيل

والنيرنجيات واحتيالات أصحاب الرقى والعزائم والنجوم، وكان أحكم علم الجرأة وأصحاب الزجر والخط فعمد إلى بيضة فصب عليها خلّا حاذقاً قاطعاً فلانت حتى إذا مدها الإنسان استطالت ودقت كالعلك ثم أدخلها قارورة ضيقة الرأس ثم تركها حتى انضمت واستدارت كهيئتها الأولى، فأخرجها إلى قوم من الأعراب فأغواهم بها. (وكان) يعمل راية من القرطاس الرقيق كما يفعله الصبيان ويجعل لها ذنباً وجناحين ويرسلها يوم الريح ليلاً بخيط طويل ويعلق عليها الجلاجل ويقول هذه خشخشة الملائكة وزجلها تنزل علي، (وكان) يصل جناح الطائر المقصوص بريش معه فيطير ويستغوي به الأعراب (وكان) في زمن النبي ﷺ وألف كلاماً زعم أنه قرآن أنزل عليه، (ويقال) إنه عارض سورة الذاريات فقال: والزارعات زرعاً فالحارثات حرثاً فالحاصدات حصداً فالدارسات دوساً فالطاحنات طحناً فالعاجنات عجناً فالخابزات خبزاً فالآكلات أكلاً (فتممه) بعضهم فقال فالخاريات خرياً؛ وتنبأ في زمانه امرأة يقال لها سجاح كحذام وفيها يقول الشاعر:

أمست نبيتنا أنثى نسر بها ... وأصبحت أنبياء الله ذكرانا

وحاربها مسيلمة ثم أرسل إليها هل لك في أن أتزوجك فيقال نبي تزوج نبية؛ فقالت نعم فتزوجها وقال لها قومها أمثلك يتزوج بغير مهر؛ فقال لهم مسيلمة قد وضعت عنكم صلاة العصر مهراً لها.

(١١) أتى المأمون بأسود ادعى النبوة وقال أنا موسى بن عمران؛ فقيل له: إن موسى أخرج يده من جيبه بيضاء فاخرج يدك بيضاء فقال: إنما فعل ذلك موسى لما قال فرعون أنا ربكم الأعلى فقل أنت كما قال حتى أفعل أنا كما فعل.

(١٢) تنبأ حائك بالكوفة فاجتمع عليه الناس وقالوا اتقِ الله خف الله رأيت حائكاً نبياً؛ قال ما تريدون أن يكون نبيكم إلّا صيرفي.

(١٣) ادعى رجل النبوة فقيل له أخرج لنا من الأرض بطيخة قال أمهلوني ثلاثة أيام قالوا ما نريدها إلّا الساعة؛ فقال إن الله تعالى يخرج البطيخة في ثلاثة أشهر فلا تصبرون ثلاثة أيام.

الفصل الرابع

في نوادر الطفيليين وأخبارهم المستطرفة وما قيل فيهم من الشعر

(الطفيلي) هو الذي يأتي إلى وليمة لم يدع إليها (والذي) يدخل على القوم في شرابهم ولم يدع إليه يسمى الواغل، (والطفيلي) قيل مأخوذ من الطفل وهو إقبال الليل على النهار بظلمته وقيل منسوب إلى (طفيل) رجل من أهل الكوفة من غطفان كان يأتي الولائم من غير أن يدعى إليها فقيل له طفيل الأعراس والعرائس، (وقيل) منسوب إلى طفيل بن زلال رجل من بني هلال كان ينزل حفر فيه أبي موسى وهو منزل من منازل العرب حفر فيه أبو موسى الأشعري ركايا على جادة البصرة إلى مكة فكان إذا سمع بقوم عندهم دعوة أتاهم وهو أول من طفل وأبوه أول من زل أي حمل الطعام من الولائم ونحوها فسمي التطفيل به والزل بأبيه، (والذي) يجيء مع الضيف ولم يدع يسمى (الضيفن). (والتطفيل) حرام ما لم يعلم برضا صاحب المنزل وكيف كان فهو دناءة وجاء في عدة أحاديث من طريق الجمهور من دعي فليجب ومن لم يجب فقد عصى الله ورسوله ومن دخل من غير دعوة دخل سارقاً وخرج مغيراً. اهـ.

وتسمية عدم إجابة الدعوة معصية محمول على شدة الكراهة والضيف إذا أطال المقام عند مضيفه حتى يحرجه ويشق عليه كان بمنزلة الطفيلي.



ما قيل في الطفيليين من الشعر

(١) لبعضهم:

يحب الراح من مال الندامى ويأكل أكل شداد بن عاد

ولا يروي من الأشعار شيئاً سوى بيت لأبرهة العبادي

قليل المال تصلحه فيبقى ولا يبقى الكثير على الفساد

لآخر:

طفيلي يرى التطفيل ديناً وقرة عينه فشيان عرس
إذا قبضت يداه على رغيف يقسم نهبه بيد وضرس

❀ ❀ ❀

(٣) وقال آخر:

لو طبخت قدر بمطمورة أو في ذرى قصر بأقصى الثغور
وكنت في الصين لوافيتها يا عالم الغيب بما في القدور

❀ ❀ ❀

(٤) وقال آخر:

أسرف في التطفيل من ذباب على طعام وعلى شراب
لو أبصر الرغفان في السحاب لطار في الجو مع العُقاب

❀ ❀ ❀

(٥) لأبي علي سليمان بن الفتح الموصلي:

مطفل أطفل من ذباب على طعام وعلى شراب
يمرّ مرّ الريح والسحاب ينزل تطفيلاً بباب باب
لا يخشى الرد من البواب وأن له أغلظ في الخطاب
يحمل حملات أبي تراب في يوم صفين وفي الأحزاب
بالجدي منه أثر الذئاب من كفه وظفره والناب
وصاحب المنزل في عذاب لسوء ما يأتي من الآداب

❀ ❀ ❀

(٦) وله أيضاً:

طفيلي على فرس يدور يقدر عند من غلت القدور
بأوقات الموائد حين يؤتى بها للأكل علام خبير
له في الغيب أسطرلاب وحي بمائدة إذا وضعت نذير

فبطليموس في تحديد وقت إليه بغير ما غلط يشير
ولو قالوا (بتاهرت) طعام لمر إليه تطفيلاً يشير

❀ ❀ ❀

(٧) وقال آخر في طفيلي:

يعجبه من عنده دعوة فهو يراها أبداً في المنام
قد كتب التطفيل في وجهه هذا حبيس في سبيل الطعام

❀ ❀ ❀

(٨) لعلي بن العباس الرومي في طفيلي:

يخالف إخوانه في الطريق إلى أن تضمهم المائده
فبينا كذاك إذا هم به مع القوم كالجية الراصده
يلين الطعام على ضرسه ولو كان من صخرة جامده
ويأكل زاد الورى كله ولكنه أكلة واحده
فلو عاينته جحيم الإله لخرت لمعدته ساجده

❀ ❀ ❀

(٩) وقال بعض أهل العصر:

إن المشايخ لا تحصى مناقبهم ولو نظمنا بها كل الأراجيز
قوم إذا سمعوا بالرز في جبل دكوا النعال ودقوا بالعكاكيز

❀ ❀ ❀

(١٠) لأبي روح ظفر بن عبد الله الهروي:

إن الطفيلي له حرمة زادت على حرمة ندمان
لأنه جاء ولم أدعه مبتدئاً فيه بإحسان
مائدتي للناس منصوبة فليأتها القاصي مع الداني
أحبب بمن أنساه لا عن قلى وهو يجيء ليس ينساني

أشعار الطفيليين

(١) قال طفيلي:

لـذة الـتـطـفـيـل دومـي ... واقـيـمـي لا تـريـمـي
أنـت تـشـفـيـن غـلـيـلـي ... وتـسـلـيـن هـمـومـي

❀ ❀ ❀

(٢) وقال آخر:

دعوت نفسي حين لم تدعني ... فالحمد لي لا لك في الدعوه
وكـان ذا أحـسـن مـن مـوعـد ... أخلافه يدعو إلى الجفوه

❀ ❀ ❀

(٣) وقال طفيلي آخر:

نـحـن قـوم إن جـفـا الـنـا ... س وصـلـنـا مـن جـفـانـا
مـا نـبـالـي صـاحـب الـنـدا ... ر نـسـيـنـا أو دعـانـا

❀ ❀ ❀

(٤) وقال طفيلي آخر:

إن شـكـري لـمـنـة الـتـطـفـيـل ... وأيـاديـه مـنـذ دهـر طـويـل
كـم تـرانـي قـد نـلـت مـن لـذة الـعـيـ ... ش بـأسـبـابـه وحـظ جـزيـل
فـإذا مـا عـرفـت مـجـتـمـع الإخـ ... وان فـي بـيـت صـاحـب أو خـلـيـل
كـان إتـيـانـه صـوابـاً عـلـى الأنـ ... س ولـم أجـتـنـب كـفـعـل الـثـقـيـل
وجـعـلـت الـسـعـي الـسـبـيـل إلـى ذا ... ك ولـم أنـتـظـر مـجـيء الـرسـول

❀ ❀ ❀

(٥) وقال آخر:

نـحـن قـوم إذا دعـيـنـا أجـبـنـا ... ثـم إن نـنـس يـدعـنـا الـطـفـيـل
ونـقـل عـلـنـا دعـيـنـا فـغـبـنـا ... فـأتـانـا فـلـم يـجـدنـا الـرسـول

نصرف القول نحو أجمل فعل ... مثلما يفعل الودود الوصول

❀ ❀ ❀

(٦) وقال آخر:

ولما أن كتبت فلم تجبني ... ولم تنظر إلي بعين أنس
رأيت العزم أن أمضي ركابي ... إليك وأن أكون رسول نفسي

❀ ❀ ❀

(٧) وقال آخر:

أتأذن لي حين لا دعوة ... وتحجبني حين ذبح الجمل
جعلت فداك فماذا الجفا ... ألست طفيليكم لم أزل

❀ ❀ ❀

(٨) وقال بعض الطفيليين:

نحن قوم نحب هدي رسول الـ ... ـله هدياً به الصواب أصبنا
فادعنا كلما بسطت فإنا ... لو دعينا إلى كراع أجبنا

❀ ❀ ❀

(٩) وقال آخر:

نحن قوم نحسن الإقـ ... ـدام في وقت الزحام
هكذا فليكن التطـ ... ـفيل تطفيل الكرام

❀ ❀ ❀

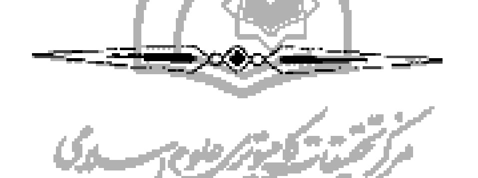
(١٠) وقال بعض الطفيليين:

قل لأهل التطفيل إني إمام ... لكم بين شيبكم والشباب
كل يوم أجول في عرصة المصـ ... ـر أشم القتار شم الذباب
فإذا ما رأيت آثار عرس ... أو ختان أو دعوة الأصحاب
لم أعرج دون التقحم فيها ... غير مستأذن ولا هياب

لا تراني أخيم من نبحة الكلـ ... ـب ولا من سفاهة البواب
يرهب الناس من ثيابهم الشق ... وهمي وهناك شق الثياب
لا أبالي حللت بالسادة القا ... دة أم بالعلوج والأعراب
فتراني آلف بالرغم منهم ... كل ما قدموه لف العقاب
ذاك أهنى من التكلف والكد ... ونقد البقال والقصاب
قابل إن جرى علي امتهان ... في سبيل الحلواء والحوذاب

ما نقشه الطفيليون على خواتيمهم

(١١) كان نقش خاتم بنان (وما لكم لا تأكلون) ونقش بعضهم على خاتمه (أكلها دائم) ونقش آخر (آتنا غداءنا) ونقش آخر (لا تبقي ولا تذر).



وصايا الطفيليين نظماً

(١) أنشد بنان وكان طفيلياً مشهوراً:

يا صفي النفس يا خيـ ... ـر جليس ونديم
قل إذا ما جئت قوماً ... زائراً قول حكيم
قد أتيناكم بحسن الظـ ... ـن والود القديم
ما نخاف الرد والحر ... مان إلّا من لئيم
نحن قوم وهب اللـ ... ـه لنا فضل الحلوم
قد بلونا الناس ما جا ... هل أمر كعليم
ليت من لام على التطـ ... ـفيل في نار الجحيم

❁ ❁ ❁

(٢) وقال آخر:

لا تسمعن بدعوة ووليمة في السند إلّا كنت ممن يجمع
حتى تفوز بما لديهم عنوة وقلوبهم حقاً عليك تصدع
وعليك بالفالوذ عند حضوره ودع البقول فإنها لا تنفع
والجدي فاضرب فيه ضربك بالمدى لا تقلعن عنه إذا قالوا ارفعوا
وهريسة الخباز فاقصد نحوها فهي الأمان من الخوى يا مربع
واترك موائدهم بأكلك بلقعا تشكو الخواء ومن دعوا لم يشبعوا

❀ ❀ ❀

(٣) كان طفيل العرائس الذي ينسب إليه الطفيليون يوصي ابنه عبد الحميد في علته فيقول: إذا دخلت عرساً فلا تتلفّت تلفّت المريب وتخير المجالس فإن كان العرس كثير الزحام فأمر وانه ولا تنظر في عيون أهل المرأة ولا في عيون أهل الرجل ليظن هؤلاء أنك من هؤلاء ويظن هؤلاء أنك من هؤلاء، فإن كان البواب غليظاً وقاحاً فابدأ به ومره وانهه من غير أن تعنفه وعليك بكلام بين النصيحة والإدلال ثم قال:

لا تجزعن من القريـ ـب ولا من الرجل البعيد
وادخل كأنك طابخ بيديك مغرفة الثريد
متدلباً فوق الطعا م تدلي البازي الصيود
لتلف ما فوق الموا ئد كلها لف الفهود
واطرح حياءك إنما وجه المطفل من حديد
حتى إذا جاء الطعا م ضربت فيه بالشديد
وعليك بالفالوذجا ت فإنها بيت القصيد
والعرس لا يخلو من الـ ـلوزينج الرطب المتيد
فإذا أتيت به محو ت محاسن الجام الجديد

ثم أغمي عليه ساعة عند ذكر اللوزينج فلما أفاق رفع رأسه، وقال:

وتنقلن على الموا ئد فعل شيطان مريد

وإذا انـتـقـلـت عـبـثـت بـالــ كـمـك الـمـجـفـف والـقـديـد
يـــا رب أنـــت رزقـــتـــنـــي هـذا عـلـى رغـم الـحـسـود
واعــلــم بــأنــك قــتــلــ ت نـعـمـت يـا عـبـد الـحـمـيـد

وصايا الطفيليين نثراً

(١) مرض طفيلي فقال له غلامه أوصني: قال منّ الله عليك بصحة الجسم وكثرة الأكل ودوام الشهوة ومتعك بضرس طحون ومعدة هضوم. إذا قعدت على مائدة ولم تجد ماء فغصصت فضع يدك اليمنى فوق رأسك وحركها كأنك تسوي كمك فإنها تنزل بإذن الله، وإذا كان موضعك ضيقاً فقل للذي إلى جانبك لعلي ضيقت عليك فإنه يتأخر إلى خلف ويقول لا والله موضعي واسع فيتسع عليك موضع رجل، ولا تصادفن من الطعام شيئاً فترفع يدك عنه وتقول لعلي أصادف أطيب منه؛ قال زدني قال إذا وجدت خبزاً فيه قلة فكل الحروف فإذا كان كثيراً فكل الأوساط ولا تكثر شرب الماء وأنت تأكل فإنه يمنعك الأكل وهذا عين الحماقة.

(٢) أوصى بنان رجلاً كان معه على المائدة فقال له: لا تخالفني على كل ما أقول لك قال فأتينا بالهريسة فقال لي كل منها لقمة أو لقمتين أو ثلاثاً؛ ثم أتينا بالقلايا اليابسة فقال لي لا تأكل إلّا لقمة أو لقمتين ولا تكثر، ثم أتينا بالبقلية فقال لي كل لقمة أو لقمتين ثم أتينا بالشواء فقال لي لا تأكل منه وبق نفسك فانا في كل يوم نصيب الشواء بدانق يقوم مقام هذا ثم أتينا بالفالوذج وكان كثيراً شبيهاً بالصومعة فقال لي ائت من تحت حتى ينهار ففعلت فقال كل وأكثر فإنك لا ترى هذا في كل يوم ثم أتينا باللوزينج، فقال لي أزوج وثلث فإن مت في ذامت شهيداً ثم أتينا بطبق عليه دجاج مسمن مشوي فأكل أكل اثنين أو ثلاثة وقال لي كل ولا تقصر فإن قيمة هذه ثلاثة دنانير ولا تأكل إلّا ما له قيمة.

هذا يدل على أنهم كانوا يستعملون في المائدة مثل ما يستعمله الأتراك والإفرنج اليوم من المجيء بالألوان واحداً بعد واحد.

(٣) قال بعض الطفيليين إذا كنت على مائدة فلا تتكلمن في حال أكلك وإن اضطررت إلى الجواب فلا تجب إلّا بنعم فإنها مضغة.

(٤) أوصى بنان رجلاً فقال إذا دعيت إلى وليمة إن شاء الله فإياك أن تتأخر إلى آخر وقت وتقول الساعة اذهب وإلى ساعة وايش فاتني وبعد ما جاء أحد ولم أكون أنا أول الناس فهذا فعال الحمقى القليلي الحزم، فإذا دعيت فاستخر الله وكن من السبق. اعلم أنه ليس يجيء في أول الأوقات إلا جلة الناس وسراتهم فقعودك مع هؤلاء فائدة تسمع كل حديث حسن وخبر ظريف وأنت واسع الموضع قاعد على أول مائدة، واعلم يا أخي أن آخر مائدة يضيق عليهم الطعام ويقل ولا يقدر الرجل أن يأمل من اللون أكثر من لقمة لقلته وكثرة الأيدي عليه فموضعك أضيق من جوفك، فإذا قال لهم صاحب الوليمة قوموا سارعوا إلى الخوان فانبسطوا في ميدان المضغ والزقوا الأكتاف بالأكتاف كأنهم بنيان مرصوص يأكلون ميمنة وميسرة وقلباً وتسمع لهم في حلوقهم معمعة لأنه لا يقعد على آخر مائدة إلّا ضعفاء الجيران ومساكين المحلة والخدام، يقدم الجدي أضلاع بلا لحم وحوله خس وهندبا كأنه كوخ ناطور قد وقع خشبه وبقي القصب قائماً، وإنما شرحت لك لتفهم ونصحتك غاية النصيحة وبنيت لك ما بين سفيان الثوري في جامعه؛ متعك الله بسعة الصدر وطيب الأكل والصبر على المضغ إنها دعوة مغفول عنها.



ما جاء في الضيف الذي يطيل المقام

فإنه في معنى الطفيلي:

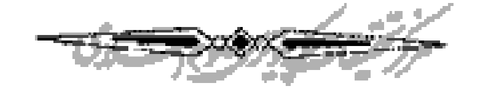
(١) قال المبرد: ضاف رجل قوماً فطال مقامه فكرهوه فقال الرجل لامرأته كيف لنا بعلم مقدار مقامه قالت ألقِ بيننا شراً حتى نتحاكم إليه ففعلاً فقال للضيف بالذي يبارك لك في غدوك غداً أينا الظالم، فقال والذي يبارك لي في مقامي عندكم شهراً ما أعلم.

(٢) نزل بعض أهل البصرة على مديني فأطال المقام فقال المديني لامرأته إذا

كان غداً فإني أقول لضيفنا كم ذراعاً تقفز فأقفز أنا من العتبة إلى باب الدار فإذا قفز الضيف اغلقي الباب خلفه فلما كان من الغد قال له المديني كيف قفزك يا أبا فلان قال جيد فوثب المدني من العتبة إلى خارج الدار أذرعا وقال له ثب فوثب إلى داخل الدار ذراعين فقال له أنا وثبت إلى الخارج الدار أذرعاً وأنت تثب إلى داخل الدار ذراعين؛ قال ذراعان إلى داخل خير من أربعة إلى برا.

(٣) ضاف رجل قوماً في الشتاء فأطال المقام وكان إذا أرادوا كنس البيت يجلس على الخشب الذي يداس به البيدر فبينا هو جالس عليه يوماً إذ جعل يبكي فسألوه عن سبب بكائه فقال تذكرت إنه إذا جاء الصيف وأخرجتم هذا الخشب لدياس البيدر فعلى أي شيء أجلس.

(٤) ضاف رجل قوماً فأطال المقام فتبرموا به فقال الرجل لامرأته إذا وضعت له الطعام فكلما أكل رغيفاً قولي قتل فارس في المعركة ففعلت ذلك وفطن لها الضيف فجعل يأخذ عدة أرغفة ويأكل منها جميعاً فقالت المرأة قد حصلت حملة عنيفة لم يعرف فيها القاتل من المقتول.



أخبار الطفيليين ونوادرهم

(١) قيل لطفيلي ويلك أتأكل حراماً قال ما أكلت قط إلّا حلالاً؛ لأني إذا دخلت أقصد باب النساء فيقولون ها هنا ها هنا فهذه دعوة.

(٢) حمل إلى المأمون عشرة من الزنادقة من أهل البصرة وأبصرهم طفيلي، فقال ما اجتمع هؤلاء إلّا لدعوة فانسل فدخل وسطهم ومضى بهم الموكلون إلى زورق فقال الطفيلي هي نزهة؛ ثم قيدوا وقيد معهم الطفيلي ثم سير بهم إلى بغداد فأدخلوا على المأمون؛ فجعل يدعو بأسمائهم رجلاً رجلاً فيأمر بضرب رقابهم حتى وصل إلى الطفيلي وقد استوفى عدة القوم فقال للموكلين بهم: ما هذا قالوا والله ما ندري غير أنا وجدناه مع القوم فجئنا به فقال المأمون ما قصتك ويلك فقال يا أمير المؤمنين امرأته طالق إن كان يعرف من أقوالهم شيئاً إنما أنا رجل رأيتهم مجتمعين فظننتُ صنيعاً يغدون إليه فضحك المأمون وقال يؤدب.

وكان إبراهيم بن المهدي حاضراً فقال: يا أمير المؤمنين هب لي أدبه أحدثك بحديث عجيب عن نفسي خرجت يوماً في سكك بغداد حتى انتهيت إلى موضع كذا فشممت ريح أبازير قدور فتاقت نفسي إليها فقلت لخياط لمن هذه الدار؟ قال: لرجل من التجار قلت: ما اسمه قال فلان ابن فلان وأحسب عنده اليوم دعوة فإني كذلك إذ أقبل رجلان نبيلان راكبان من رأس الدرب فقال الخياط هؤلاء منادموه فقلت: ما أسماؤها وما كناهما فأخبرني فحركت دابتي وداخلتهما وقلت: جعلت فداكما قد استبطأكما أبو فلان أعزه الله وسايرتهما حتى أتينا إلى الباب فأجلّاني وقدماني فدخلت ودخلا فلما رآني معهما صاحب المنزل لم يشك إني منهما بسبيل أو قادم قدمت عليهما فرحب بي وأجلسني في الصدر فجيء بالمائدة وعليها ألوان الطعام ثم جيء بالضوء ثم صرنا إلى منزل المنادمة وجعل صاحب المنزل يلطفني ويقبل علي بالحديث وجعلوا لا يشكون أن ذلك منه لي عن معرفة متقدمة وإنما كان ذلك منه لما ظن أني منهما بسبيل ثم جيء بآلة الغناء فاستأذنه في الغناء فأذن لي فاندفعت أغني وطرب القوم طرباً شديداً فقال لي صاحب المنزل: إن صدق ظني فأنت سيدي إبراهيم بن المهدي فقلت نعم فسألني عن قصتي فأخبرته فسرّ سروراً عظيماً فعجب المأمون من كرم ذلك الرجل وسعة صدره وأطلق الطفيلي وأجازه.

(٣) رأى طفيلي جماعة ذاهبين فظن أنهم يذهبون إلى وليمة فدخل معهم فإذا هم طلبهم السلطان في جناية فلما دخلوا عليه فأمر بضربهم فضربوا فلما وصلت النوبة إلى الطفيلي قال للجلاد: اضربني على بطني فلولاها لم أصل إلى هذه الحال فسأل عن قصته فأخبرهم أنه ليس من هؤلاء الجانين وإنما رآهم مجتمعين فظن أنهم ذاهبون إلى دعوة فدخل معهم فبحثوا عن أمره فوجدوه صادقاً فأطلقوه.

(٤) اجتمع قوم من الطفيليين فأرادوا وليمة فقال رئيسهم اللهم لا تجعل البواب لكازاً في الصدور دفاعاً في الظهور طراحاً للقلانس هب لنا رأفته وبشره وسهل لنا أذنه فلما دخلوا تلقاهم الخباز فقال رئيسهم: غرة مباركة موصول بها الخصب معدوم معها الجدب فلما جلسوا على الخوان قال لأصحابه افتحوا أفواهكم وأقيموا أعناقكم وأجيدوا اللف وأشرعوا الأكف ولا تمضغوا مضغ المتعللين الشباع المتخمين واذكروا سوء المنقلب وخيبة المضطرب.

(٥) قال بعض الطفيليين في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ [الصَّافات: ٦٨] هو الأكل من الحاصل وقال بعضهم في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [الكهف: ١٠٣] هم الذين يردون ولا يأكلون وغيرهم يأكل وقال آخرهم الذين لا سكاكين معهم في أيام البطيخ وقال بعضهم في وصية الخضر لموسى ولا تكن مشاء في غير حاجة قال: لا تمش إلى موضعٍ لا تمضغ فيه شيئاً.

(٦) قيل لطفيلي ما بالك أصفر اللون قال من الفترة بين القصعتين أخاف أن يكون الطعام قد فني.

(٧) صحب طفيلي رجلاً في سفر فقال الرجل امضِ فاشترِ لنا لحماً قال لا والله ما أقدر فمضى هو فاشترى ثم قال: قم فاطبخ قال: لا أحسن فطبخ هو ثم قال: قم فاثرد قال أنا والله كسلان فثرد الرجل ثم قال: قم فاغرف قال أخشى أن ينقلب القدر على ثيابي فثرد هو ثم قال: قُمِ الآن فكل. قال الطفيلي: قد والله استحييت من كثرة خلافي عليك وجعل يأكل.

(٨) قيل لطفيلي: كم اثنان في اثنين قال: أربعة أرغفة وقيل لآخركم: أربعة في أربعة قال ستة عشر رغيفاً.

(٩) دخل طفيلي منزلاً فقال له صاحب المنزل: من أنت قال: أنا الذي لم أحوجك إلى رسول الله وأنشد:

سواء عليهم قدموا أو تأخروا   أجيء مع الطباخ ساعة يغرف

(١٠) أقبل طفيلي إلى وليمة فوجد الباب قد ارتج فسأل عن صاحب الدعوة هل له ولد غائب فقيل له ببلد كذا فأخذ رقا أبيض وطواه وطبع عليه ودق الباب دقاً عنيفاً واستفتح وقال: أنه رسول من عند ولد الرجل ففتحوا له وتلقاه الرجل فرحاً وسأله عن ابنه فقال: بخير وما أقدر أكلمك من الجوع فقدم إليه الطعام وجعل يأكل فقال له: هل كتب معك كتاباً قال: نعم ودفع إليه الكتاب فوجد الطين طرياً فقال له: رأى الطين طرياً فقال: وأزيدك وإنه من العجلة ما كتب فيه شيئاً فقال: أطفيلي أنت قال: نعم أصلحك الله، قال: كل لا هنأك الله.

(١١) دخل طفيلي على قوم يأكلون فقال: ما تأكلون فقالوا من بغضه: سماً فمد يده وقال لا ضير في العيش بعدكم.

(١٢) دخل طفيلي في دعوة قبطي فقال له من أرسل إليك فأنشأ:

أزوركم لا أكافيكم بجفوتكم ... إن المحب إذا لم يُزر زارا

فقال له القبطي: زر زار لا ندري من هو اخرج من بيتي.

(١٣) مر طفيلي بقوم يتغدون فقال: سلام عليكم معشر اللئام فغضبوا فقال: كذبوني فدعوه إلى طعامهم فثنى ركبتيه وجعل يأكل معهم.

(١٤) قال أبو عمرو نصر بن علي الجهضمي كان لي جار طفيلي وكان من أحسن الناس منظراً وأعذبهم منطقاً وأطيبهم رائحة وأجملهم لباساً فكان إذا دعيت إلى مدعاة تبعني فيكرمه الناس من أجلي ويظنون أنه صاحب لي فأراد جعفر بن القاسم الهاشمي أمير البصرة أن يختن بعض أولاده فقلت في نفسي كأني برسول الأمير قد جاءني وكأني بهذا الرجل قد تبعني والله لئن تبعني لأفضحنه فأنا على ذلك إذ جاء رسوله يدعوني فما زدت أن لبست ثيابي وخرجت وإذا أنا بالطفيلي واقف على باب داري قد سبقني بالتأهب فتقدمت وتبعني فلما دخلنا دار الأمير جلسنا ساعة ودعي بالطعام فقدمت إلي مائدة والطفيلي معي فلما مد يده إلى الطعام قلت: حدثنا دُرست بن زياد عن أبان بن طارق عن نافع ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: «من دخل دار قوم بغير أذنهم فأكل طعامهم دخل سارقاً وخرج مغيراً» فلما سمع ذلك قال: أنفت لك والله يا أبا عمرو من هذا الكلام فإنه ما من أحد من الجماعة إلا وهو يظن أنك تعرض به دون صاحبه أوَ لا تستحي أن تتكلم بهذا الكلام على مائدة سيد من أطعم الطعام وتبخل بطعام غيرك على من سواك ثم لا تستحي أن تحدث عن درست بن زياد وهو ضعيف عن أبان بن طارق وهو متروك الحديث تحكم برفعه إلى النبي ﷺ والمسلمون على خلافه لأن حكم السارق القطع وحكم المغير أن يعزر بما يراه الإمام وأين أنت عن حديث حدثناه أبو عاصم النبيل عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله ﷺ: «طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الأربعة وطعام الأربعة يكفي الثمانية» وهو إسناد صحيح ومتن صحيح قال نصر فأفحمني فلما خرجنا فارقني من جانب الطريق إلى الجانب الآخر بعد أن كان يمشي ورائي وسمعته يقول:

ومن ظن ممن يلاقي الحروب ... بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

(١٥) دخل طفيلي على قوم فقالوا له: ما دعاك أحد قال إذا لم تدعوني ولم أجئ أنا وقعت بيننا وحشة فضحكوا منه وقربوه.



أخبار ابن دراج الطفيلي

(١٦) كان ابن دراج الطفيلي من أهل حران قدم بغداد فمر بباب قوم عندهم وليمة فدخل فإذا صاحب الدار قد وضع سلماً فكلما رأى إنساناً لا يعرفه قال اصعد يا أبي قال ابن دراج فصعدت إلى غرفة مفروشة حتى وافينا فيها ثلاثة عشر طفيلياً ثم رفع السلم ووضعت الموائد فبقي أصحابي متحيرين وقالوا: ما مر بنا مثل هذا قط فقلت ايش صناعتكم قالوا: التطفيل قلت: أنا أحتال لكم حتى تنزلوا وتأكلوا فأشرفت على صاحب الدار والناس يأكلون فقلت: أيما أحب إليك تصعد إلينا بخوان كبير نأكل وننزل أو أرمي بنفسي على رأسي فيخرج من دارك قتيل ويصير عرسك مأتماً وجعلت أجر سراويلي كأني أريد أن أعدو وأرمي بنفسي فقال: اصبر ويلك لا تفعل وقال هذا مجنون فاصعدوا إلينا خواناً فأكلنا ونزلنا.

(١٧) قال يحيى الفراء كنت قاطعت ابن دراج الطفيلي على أن يملي علي ثلاثين نادرة بدرهم فكان إذا ذكر نادرة باردة لم أحسبها له فقال: إن أردت النقاوة فعشرة بدرهم.



اخبار بنان الطفيلي مضافاً لما مر

(١٨) قيل لبنان الطفيلي ما تحفظ من القرآن قال: آية واحدة ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ [الكهف: ٦٢] قيل فمن الشعر قال بيتاً واحداً:

نزوركم لا نكافيكم بجفوتكم إن المحب إذا لم يستزر زارا

(١٩) قيل لبنان ما تقول في الفالوذج فقال: هو والله من طعام أهل الجنة،

وقال: في الدنيا أحد يرجع إلى عقل ومعرفة يسأل عن هذا يا مغفل كل أبداً حتى تموت فإن مت مت شهيداً ووقع أجرك على الله عزّوجلّ.

(٢٠) قال رجل لبنان الطفيلي ادع لي فرفع يديه وقال: منّ الله عليك بصحة الجسم وكثرة الأكل ودوام الشهوة ونقاء المعدة وأمتعك بضرس طحون ومعدة هضوم ثم قال هذه دعوة مغفول عنها.

(٢١) قال بنان الطفيلي رأيت ابني يوماً يتلمظ فجعلت أعوذه وأقول أرجو أن يكون خلفاً صالحاً يعني في التطفيل.

(٢٢) أتى بنان قوماً ليدخل إليهم فقالوا: من أنت قال: الذي كفيتكم مؤونة الإرسال إلي.

(٢٣) سمع بنان رجلاً يقول: إن الدجال يخرج في سنة قحط معه أنواع المأكولات فقال: هذا عافاك الله رجل يستحق أن يسمع له ويطاع.

(٢٤) كان بنان في دعوة ومعه قوم مجان فأتوا بعصيدة فأخذ بعضهم لقمة فألقاها في السمن وقال: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ [الشعراء: ٩٤] وجر السمن إليه وقال الآخر: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢] وجر السمن إليه فقال بنان: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥] وخرق السمن إليه فقال الآخر: ﴿خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف: ٧١] وجر السمن إليه فقال بنان: ﴿أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ [السجدة: ٢٧] وخرق السمن إليه فقال آخر: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٦] وجر السمن إليه فقال بنان: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن: ٥٠] وخرق السمن إليه فقال آخر: ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر: ١٢] وجر السمن إليه فقال بنان: ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [فاطر: ٩] وخرق السمن إليه فلم ير أحداً يتكلم فقال: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤] وخلط السمن بما بقي من العصيدة فضحكوا واختنق واحد منهم فما زالوا يلطمونه حتى نزلت اللقمة فحمدوا الله على سلامته.

(٢٥) جاء أبان إلى وليمة فأغلق الباب دونه فاكترى سلماً وتسور على الحائط فأشرف على عيال الرجل وبناته فقال يا هذا أما تخاف الله رأيت أهلي وبناتي قال:

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود: ٧٩] فضحك الرجل وقال انزل فكل.

(٢٦) قيل لبنان الطفيلي من دخل إلى طعام لم يدع إليه دخل لصاً وخرج مغيراً فقال: ما أكله إلّا حلالاً أليس صاحب الوليمة إذا دعا مائة قدر المائة وعشرين ويقول للخباز وللطباخ زد في كل شيء فإنه يجيئنا من نريد ومن لا نريد فأنا ممن لا يريد.

اخبار أشعب

(٢٧) قال أشعب يوماً للصبيان: إن في بيت فلان وليمة فاذهبوا إليه فلما ذهبوا قال: لعله يكون هناك وليمة فذهب خلفهم.

(٢٨) وقف أشعب إلى رجل يعمل طبقاً فقال له: أسألك بالله إلا ما زدت في سعته طوقاً أو طوقين قال: وما نفعك في ذلك قال: لعله يهدى إلي فيه شيء.

(٢٩) كان قوم في دعوة يأكلون سمكاً فاستأذن عليهم أشعب فوضعوا الحيتان الكبيرة في قصعته في ناحية البيت وأبقوا الصغار وأذنوا له، فقالوا: كيف رأيك في الحيتان قال: إني عليها لحنق لأن أبي مات في البحر وأكلته الحيتان، قالوا: فدونك خذ بثأر أبيك فأخذ سمكة صغيرة ووضعها عند أذنه وقد رأى القصعة وما فيها فقال: أتدرون ما تقول هذه السمكة قالوا: لا، قال: إنها تقول أنها لم تحضر موت أبي لأن سنها صغير ولكن قالت لي عليك بالكبار التي في زاوية البيت فهي أدركت أباك وأكلته[1].

في نوادر البخلاء وأخبارهم المستطرفة وما قيل فيهم من الشعر

(١) في معاهد التنصيص قال دعبل: كنا يوماً عند سهل بن هارون الكاتب البليغ وكان شديد البخل فأطلنا الحديث واضطره الجوع إلى أن دعا بغداء له فأتى بقصعة

---

(١) سيأتي له نوادر في الفصل الثامن. المؤلف.

فيها ديك جلس هرم لا تخرقه سكين ولا يؤثر فيه ضرس فأخذ كسرة خبز فخاض بها مرقته وقلب جميع ما في القصعة ففقد الرأس فبقي مطرقاً ساعة ثم رفع رأسه وقال للطباخ: أين الرأس، فقال: رميت به فقال، ولم، قال: ظننتك لا تأكله، قال: بئس ما ظننت والله إني لأمقت من يرمي برجليه فكيف من يرمي برأسه والرأس رئيس وفيه الحواس الأربع ومنه يصيح ولولا صوته لما فضل وفيه فرقه الذي يتبرك به وفيه عيناه اللتان يضرب بهما المثل فيقال شراب كعين الديك ودماغه عجيب لوجع الكليتين ولم ير عظم قط أهش من عظم رأسه أما علمت أنه خير من طرف الجناح ومن الساق ومن العنق فإن كان قد بلغ من نبلك أنك لا تأكله فانظر أين هو قال: لا أدري والله أين هو رميت به قال: لكني أدري أين هو رميت به في بطنك فالله حسيبك.

(٢) قال رجل يوماً لسهل بن هارون: هبني ما لا مرزأة عليك فيه قال: وما ذاك يا ابن أخي، قال: درهم واحد قال: لقد هونت الدرهم وهو طابع الله في أرضه الذي لا يعصى والدرهم ويحك عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الألف دية المسلم ألا ترى يا ابن أخي إلى أين انتهاء الدرهم الذي هونته وهل بيوت المال إلّا درهم على درهم.

(٣) ترافق خراسانية في منزل وصبروا عن الاستضاءة بالمصباح ما أمكن الصبر ثم جمعوا دراهم ليشتركوا في الضياء وأبى واحد منهم أن يدفع لهم شيئاً فكانوا إذا جاء المصباح شدوا عينيه بمنديل إلى أن يناموا ويطفئوا المصباح فيطلقوا عينيه.

(٤) كان رجلان من خراسان متزاملين ولا يجتمعان في الأكل فقال أحدهما لصاحبه: لِمَ لا نأكل سوية فإن يد الله مع الجماعة وفي الاجتماع البركة وطعام الاثنين يكفي الثلاثة وطعام الثلاثة يكفي الأربعة فقال له صاحبه: معك رغيف ومعي رغيف ولولا أنك تريد أن تأكل أكثر مني ما حرصت على مؤاكلتي تريد الحديث والمؤانسة اجعل الطبق واحداً ويكون رغيف كل منا قدام صاحبه (قال الجاحظ): رأيت زهاء خمسين رجلاً من أهل مرو يتغدون في طريق الكوفة وهم حجاج فلم أر رجلين منهم يأكلان معاً وهم متقاربون يحدث بعضهم بعضاً.

(٥) كان رجل من أهل مرو لا يزال يحج ويتجر وينزل على رجل من أهل العراق فيكرمه وكان كثيراً ما يقول للعراقي ليتك تأتي مرو حتى أكافئك فعرضت

للعراقي حاجة في مرو فسأل عن منزل صاحبه المروزي فوجده قاعداً في أصحابه فأكب عليه وعانقه فرأى أنه لم يعرفه ولم يسأل به سؤال من رآه قط فقال العراقي: لعل إنكاره إياي لمكان القناع فألقى قناعه فكان له أنكر فقال لعله من قبل العمامة فنزعها فكان أشد إنكاراً له فقال لعله من قبل القلنسوة فنزعها فقال المروزي بالفارسية (اكراز بوستت بيرون بياثي نشناسيم) وترجمته لو خرجت من جلدك لم أعرفك.

(٦) زعموا أن أهل مرو إذا ترافقوا واشتروا اللحم قسموه قبل الطبخ وشك كل إنسان نصيبه في خيط أو خوصة وعلمه بعلامة ثم وضعوه في القدر ثم قسموا المرق فإن أعادوا المشاركة أعادوا تلك الخيوط لأنها تشربت الدسم.

(٧) رئي رجلان من أهل تستر يأكلان بيد كل منهما رغيف وأمامهما إناء فيه مخيض فيأخذ أحدهما منه ملعقة ويشربها ويأخذ الآخر ملعقتين فسئلا عن ذلك فقالا: إن هذا دفع فلسين من ثمن المخيض فهو يأخذ منه ملعقتين وهذا دفع فلساً واحداً من ثمنه فهو يأخذ منه ملعقة واحدة.

(٨) يقال: إن ناساً من المراوزة إذا لبسوا الخفاف في الستة الأشهر التي لا ينزعون فيها خفافهم يمشون على صدور أقدامهم ثلاثة أشهر وعلى أعقاب أرجلهم ثلاثة أشهر حتى يكونوا كأنهم لم يلبسوا خفافهم إلّا ثلاثة أشهر.

(٩) دخل رجل على آخر وإذا المائدة موضوعة والقوم قد فرغوا من الأكل فمد يده ليأكل فقال له صاحب المنزل: أجهز على الجرحى ولا تتعرض للأصحاء، يقول كل مما أكل منه ولا تتعرض لما لم يؤكل منه من دجاجة أو رغيف أو إناء.

(١٠) احتقن عمر بن يزيد الأسدي بحقنة فيها أدهان فلما حركته بطنه كره أن يأتي الخلاء فتذهب تلك الأدهان فكان يجلس في الطست ويقول صفوا هذا فإنه يصلح للسراج.

(١١) كان لأبي الأسود الدئلي دكان لا يسع إلّا مقعده وطبقاً يوضع بين يديه وجعله مرتفعاً وليس له درج كي لا يرتقي إليه أحد فكان أعرابي يتحين وقته ويأتيه على فرس فيصير كأنه معه على الدكان فأخذ دبة وجعل فيها حصى واتكأ عليها فإذا رأى الأعرابي قد أقبل أراه كأنه يحول متكأهُ فإذا قعقعت الدبة بالحصى نفر الفرس فلم يزل الأعرابي يدنيه ويقعقع هو به حتى نفر به الفرس فصرعه فلم يعد بعد ذلك.

(١٢) كان رجل فقير وله أخ مفرط الغنى شديد البخل فقال الفقير لأخيه: ويحك أنا فقير معيل وأنت غني لا تعينني على الزمان والله ما رأيت أبخل منك فقال أخوه: ليس الأمر كما تظن ولا أنا كما تقول في اليسر والبخل والله لو ملكت ألف ألف درهم لوهبت لك منها ألف درهم يا هؤلاء فرجل يهب في ضربة واحدة ألف درهم يقال له بخيل.

(١٣) كان رجل من البخلاء عنده لبن كثير فسمع به رجل ظريف فقال: الموت أو أشرب من لبنه فأقبل مع صاحب له حتى إذا كان بباب صاحب اللبن تغاشى وتماوت فقعد صاحبه عند رأسه يسترجع فخرج صاحب اللبن وقال له: ما باله قال هذا سيد بني تميم أتاه أمر الله ها هنا وكان قال لي اسقني لبناً قال: هذا هين ائتني يا غلام بعلبة من لبن فأتاه بها فأسنده صاحبه إلى صدره وسقاه حتى أتى عليها ثم تجشأ فقال صاحبه أترى هذه جشأة راحة الموت قال: أماتك الله وإياه.

(١٤) قال عمر بن ميمون تغديت عند الكندي فدخل عليه رجل كان جاراً وصديقاً لي فلم يعرض عليه الطعام فاستحييت منه ودعوته فقال: والله قد أكلت فقال الكندي: ما بعد الله شيء.

(١٥) رئي رجل يخاصم جاراً فقيل: ما بالك قال إن صديقاً لي زارني واشتهى علي رأساً فاشتريته له وتغدينا فوضعت عظامه عند باب داري أتجمّل بها عند جيراني فأخذها ووضعها على باب داره يوهم الناس أنه هو الذي أكل الرأس.

(١٦) كان رجل من البخلاء يأتي ابن المقفع ولا يزال يلح عليه أن يتغدى عنده فلا يجيبه فقال له مرة: أتراني أتكلف لك شيئاً لا والله لا أقدم الا ما عندي فظن ابن المقفع إنه يقول ذلك تسهيلاً للإجابة فذهب إليه فجاءه بكسر يابسة وملح جريش ووقف سائل بالباب فقال له: بورك فيك فألح في السؤال فقال: والله لئن خرجت إليك لأدقن ساقيك فقال ابن المقفع للسائل: أرح نفسك وانج والله لو علمت من صدق وعيده ما أعلم ما وقفت ساعة.

(١٧) انتقل بخيل إلى دار ابتاعها فوقف عليه سائل فقال صنع الله لك ثم وقف ثان فقال له مثل ذلك ثم ثم ثالث فقال له مثل ذلك فقال لابنته: ما أكثر السؤال في هذا المكان فقالت له: ما تمسكت بهذا القول فلا تبالي كثروا أم قلوا.

(١٨) زار عالم نجفي عالماً في أصفهان وكان بينهما صلة رحم وذلك في الشتاء فكان الأصفهاني يقول له دائماً جئتنا في الشتاء الذي ليس فيه فواكه ولا خضر ولو زرتنا في الصيف لرأيت الخوخ العجيب والتفاح النادر المثيل والعنب الذي لا يشبهه عنب والبطيخ الذي كاد يكون عسلاً ورأيت كذا وكذا ويعد عليه أصنافاً من ذلك فلما أكثر عليه القول قال له النجفي أخبرني متى فصل اللحم عندكم حتى أزوركم فيه.

(١٩) كان في بغداد عالم وبجواره بقال يقال له عباس فجاء العالم إلى عباس البقال ليشتري منه دهناً بدرهم فسأله البقال أن يحدثه بحديث ينتفع به فروى له حديثاً مسنداً مضمونه أنه كان للحسن بن علي عليه السلام بستان قد جعل فيه بعض عبيده وعنده كلب فأشرف الحسن عليه يوماً من حيث لا يراه وقد أتي له بالطعام فوجده يأكل رغيفاً ويلقي إلى الكلب رغيفاً فلما فرغ جاء الحسن عليه السلام فسأله عن ذلك فقال له: إنني وهذا الكلب ملكك ونأكل من طعامك وما أحببت أن ينظر إلي وأنا آكل ولا أطعمه وهذا دأبي معه أشاطره نصف طعامي فقال له الحسن عليه السلام: أنت حر لوجه الله وقد وهبتك هذا البستان فشكره العبد وقال: قد قبلت هبتك يا ابن رسول الله وقد جعلت البستان وقفاً في سبيل الله فطرب عباس البقال كثيراً لهذا الحديث وقال: يا غلام زن له بدرهم والقصة حبتين فحلف العالم أن لا يأخذ من الدرهم شيئاً وحلف البقال إلّا أن يرد منه حبتين لما أفاده وسره برواية هذا الحديث.

(٢٠) كان رجل من عائلة (بيهم) من أهل بيروت المشهورين نازلاً في دار بعض الأجلاء من أهل مدن الساحل فدعاهم رجل من أجلاء تلك المدينة لتناول طعام العشاء عنده فأجابوا فلما أزف الوقت حمل العبد القنديل أمامهم وتوجهوا إلى الدار المعمورة فلما وصلوا وجدوا الباب مغلقاً ولم يروا للدعوة أثراً فطرقوا الباب فأبطأ عليهم الجواب فأعادوا طرقه مراراً فخرجت الخادمة فقالت: من أنتم؟ قالوا: نحن المدعوون إلى العشاء فذهبت ثم عادت فقالت لهم: إن مولاي لم يجد لبناً في السوق فعادوا من حيث أتوا.



ما قيل في البخلاء من الشعر

(١) قال بعضهم:

رغيف أبي علي ظل خوفاً | من الضيفان في أعلى السماك
إذا كسروا رغيف أبي علي | بكى يبكي بكاء فهو باكي

❁ ❁ ❁

(٢) وقال آخر:

لو أن قصرك يا ابن يوسف ممتل | أبراً يضيق بها فناء المنزل
وأتاك يوسف يستعيرك إبرة | ليخيط قد قميصه لم تفعل

(٣) وقال آخر:

يا أيها الجالس في بيته | من غير ما معنى ولا فائده
قد ضج أضيافك من جوعهم | فاقرأ عليهم سورة المائده

❁ ❁ ❁

(٤) وقال أبو نواس:

خبز إسماعيل كالوشـ | ـي إذا ما شق يرفا
عجباً من أثر الصـ | ـنعه فيه كيف يخفى

❁ ❁ ❁

(٥) وقال:

وما خبزه إلا كليب بن وائل | ليالي يحمي عزه منبت البقل
ويغضب أحياناً فيشتم عبده | واعلم أن الضرب والشتم من أجلي

❁ ❁ ❁

(٦) وقال أبو الشمقمق:

رأيت الخبز عز لديك حتى | حسبت الخبز في جو السحاب
وما روحتنا لتذب عنا | ولكن خفت مرزئة الذباب

(٧) وقال آخر:

فإن سمعت بهلك للبخيل فقل ... بعداً وسحقاً له من هالك مودي
تراثه جنة للوارثين إذا ... أودى وجثمانه للترب والدود

❁ ❁ ❁

(٨) وقال آخر:

تبلى محاسن وجهه في قبره ... والمال بين عدوه مقسوم

❁ ❁ ❁

(٩) وقال النمر بن تولب:

وذي إبل يسعى ويحسبها له ... أخي نصب في شقها وذؤوب
غدت وغدا رب سواه يسوقها ... وبدل أحجاراً وجال قليب

❁ ❁ ❁

(١٠) وقال آخر:

أثر بالجدي وبالمائده ... من كان يرجو عنده الفائده
لو كان مكوكان في كفه ... من خردل ما سقطت واحده

❁ ❁ ❁

(١١) وقال أبو نواس:

رأيت قدور الناس سوداً على الصلى ... وقدر الرقاشيين زهراء كالبدر
ولو جئتها ملأى عبيطاً مجزلاً ... لأخرجت ما فيها على طرف الظفر
يبينها للمعتفي بفنائهم ... ثلاث كخط الثاء من نقط الحبر
تبين في محرائها أن عوده ... سليم صحيح لم يصبه أذى الجمر
تروح على حي الرباب ودارم ... وسعد وتعروها قراضبة الفزر
وللحي عمرو نفحة من سجالها ... وتغلب والبيض اللهاميم من بكر
إذا ما تنادوا بالرحيل سعى بها ... أمامهم الحولي من ولد الذر

❁ ❁ ❁

(١٢) وقال بعض التميميين في ابن حبار:

لو أن قدراً بكت من طول ما حبست … من الجفوف بكت قدر ابن حبار
ما مسها دسم مذ فض معدنها … ولا رأت بعد نار القير من نار

❁ ❁ ❁

(١٣) وقال آخر:

أبو نوح أتيت إليه يوماً … فغداني برائحة الطعام
وقدم بيننا لحماً سميناً … أكلناه على طبق الكلام
فلما أن رفعت يدي سقاني … كؤوساً حشوها ريح المدام
كنت كمن سقى ظمآن ماء … وكنت كمن تغدى في المنام

❁ ❁ ❁

(١٤) وقال آخر:

وجيرة لا ترى في الناس مثلهم … إذا يكون لهم عيد وإفطار
أن يوقدوا يوسعونا من دخانهم … وليس يبلغنا ما تنضج النار

❁ ❁ ❁

(١٥) وقال آخر:

يحذر أن تتخم إخوانه … إن أذى التخمة محذور
ويشتهي أن يؤجروا عنده … بالصوم والصائم مأجور

❁ ❁ ❁

(١٦) وقال آخر:

ارفع يمينك من طعامه … إن كنت ترغب في كلامه
سيان كسر رغيفه … أو كسر عظم من عظامه

الفصل السادس

في نوادر الحمقى والمغفلين(١)

(١) قال هشام بن عبد الملك يوماً لأصحابه أن حمق الرجل يعرف بخصال أربع: طول لحيته وبشاعة كنيته ونقش خاتمه وإفراط نهمه فدخل شيخ طويل العثنون فقال هشام: أما هذا فقد جاء بواحدة فانظروا أين هو من الباقي قالوا له: ما كنية الشيخ؟ قال: أبو الياقوت فسألوه عن نقش خاتمه فقال ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٨] فقيل له: أي الطعام تشتهي قال الدبا بالزيت فقال هشام: إن صاحبكم قد كمل (الدبا) القرع.

(٢) وصف بعضهم إنساناً أحمق فقال: والله للحكمة أزل عن قلبه من المداد عن الأديم الدهين.

حمقى قريش

(٣) ومن حمقى قريش معاوية بن مروان بن الحكم بينما هو واقف بباب دمشق ينتظر أخاه عبد الملك على باب طحان وحمار الطحان يدور بالرحى وفي عنقه جُلْجُل فقال للطحان لم جعلت في عنق هذا الحمار جُلْجَلاً فقال: ربما أدركتني نعسة أو سآمة فإذا لم أسمع صوت الجلجل علمت أنه قام فصحت به فقال أرأيته إن قام وحرك رأسه ما علمك به أنه قائم فقال ومن لحماري بمثل عقل الأمير.

(٤) وضاع له بازي فقال: اغلقوا أبواب المدينة لا يخرج البازي.

(٥) من حمقى قريش سليمان بن يزيد بن عبد الملك قال يوماً: لعن الله الوليد

---

(١) استدراك. مر في صفحة ٢٠ أن واصل بن عطاء قال عن بشار (المشنف) ولم يقل المرعث تفادياً من النطق بالراء. وذلك لأن بشاراً كان ينقلب بالمرعث لأنه كان في أذنه رعاث والرعثة بالكسر القرط.

فلقد كان فاجراً أرادني على الفاحشة فقال له قائل من أهله اسكت ويحك فوالله إن كان همَّ لقد فعل.

(٦) دخل كعب البقر الهاشمي على عبد الله بن طاهر يعزيه بأخيه فقال له: أعظم الله مصيبة الأمير فقال: أما فيك فقد فعل والله لقد هممت ان أحلق لحيتك فقال: إنما هي لحية الله ولحية الأمير فليفعل ما أحب.



القبائل المشهورة بالحمق

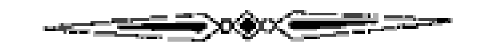
(٧) من القبائل المشهورة بالحمق الأزد. كتب مسلمة بن عبد الملك إلى يزيد ابن المهلب لما خرج عليهم: إنك لست بصاحب هذا الأمر إن صاحبه مغمور موتور وأنت مشهور غير موتور فقام إليه رجل من الأزد فقال قدم ابنك مخلداً حتى يقتل فتصير موتوراً.

(٨) وقام رجل من الأزد إلى عبيد الله بن زياد لعنه الله فقال أصلح الله الأمير إن امرأتي هلكت وقد أردت أن أتزوج أمها وهذا عريفي فأعني في الصداق فقال: في كم أنت من العطاء فقال: في سبعمائة فقال: حطوا من عطائه أربعمائة يكفيك ثلاثمائة . . .

(٩) ومدح رجل منهم المهلب فقال:

نعم أمير الرفقة المهلب أبيض وضّاح كتيس الحُلّب

وقال المهلب حسبك يرحمك الله «والحلب» نبت تأكله الظباء.



حمقى العرب ومن اشتهر بالحمق منهم

(١٠) من حمقى العرب وجهلائهم كلاب بن صعصعة خرج إخوته يشترون خيلاً فخرج معهم فجاء بعجل يقوده فقيل له: ما هذا فقال فرس اشتريته فقالوا: يا مائق

هذه بقرة أما ترى قرنيها فرجع إلى منزله فقطع قرنيها ثم قادها فقال لهم قد أعدتها فرساً كما تريدون فأولاده يدعون بني فارس البقرة.

(١١) وممن اشتهر بالحمق منهم هبنقة حتى ضرب به المثل فقيل (أحمق من هبنقة) يقال إنه شرد له بعير فجعل ينادي لمن أتى به بعيران فقيل: كيف تبذل بعيرين في بعير فقال: لحلاوة الوجدان.

(١٢) ومن حمقى العرب الأخرص بن جعفر بن عمرو بن حريث قال له يوماً مجالسوه: ما بال وجهك أصفر أتشتكي شيئاً فرجع إلى أهله وقال: يا بني الخيبة أنا شاك ولا تعلموني اطرحوا علي الثياب وابعثوا إلى الطبيب.

(١٣) ومنهم عجل بن لجيم أرسل ابن له فرساً في حلبة فجاء سابقاً فقال لابنه سمه باسم يعرف به ففقأ عينه وقال سميته الأعور فقال شاعر يهجوه:

رمتني بنو عجل بداء أبيهم ... وأي عباد الله أنوك من عجل
أليس أبوهم عاب عين جواده ... فأضحت به الأمثال تضرب في الجهل

(١٤) ومن حمقى بني عجل حسان بن الغضبان من أهل الكوفة ورث نصف دار أبيه فقال: أريد أن أبيع حصتي من الدار وأشتري بالثمن النصف الآخر فتصير الدار كلها لي.

نوادر الأعراب

(١٥) كان الربيع العامري والياً باليمامة فأتي بكلب قد عقر كلباً فأقاده فقال فيه الشاعر:

شهدت بأن الله حق لقاؤه ... وإن الربيع العامري رقيع
أقاد لنا كلباً بكلب فلم يدع ... دماء كلاب المسلمين تضيع

(١٦) رأى بعضهم أعرابياً يبكي فسأله عن سبب بكائه فقال: بلغني أن جالوت قتل مظلوماً.

استعمل معاوية عاملاً من كلب فخطب يوماً فذكر المجوس فقال: لعنهم الله

ينكحون أمهاتهم والله لو أعطيت عشرة آلاف درهم ما نكحت أمي فبلغ معاوية فقال: قبحه الله أترونه لو زادوا فعل وعزله.

(١٨) سرق لأعرابي حمار فقيل له أسرق حمارك قال: نعم وأحمد الله فقيل له على ماذا تحمد: فقال حيث لم أكن عليه.

(١٩) ومما يناسب المقام ما يحكى أنه جاء شاب من الريف إلى الجامع الأزهر لطلب العلم وبعد أيام كتب إلى أهله كتاباً وكتب فيه نخبركم لا خبرتم بمكروه أنني غسلت ثيابي ونشرتها على السطح فهبت ريح ألقت قميصي إلى صحن الدار؛ والحمد لله إذ لم أكن فيه وإلّا لتكسرت.

(٢٠) ومما يناسبه أنه دعا بعض أمراء العجم خادمه ليلاً وكان نائماً فقام مدهوشاً فسقط فلما جاء قال له ما هذا الصوت الذي سمعته؛ قال عباءتي وقعت فقال لم يكن الصوت صوت عباءة قال أنا كنت في جوفها.

(٢١) خرج قوم من قريش إلى أرض لهم ومعهم أعرابي فأصابتهم ريح عاصفة يئسوا معها من الحياة ثم سلموا، فأعتق كل منهم مملوكاً شكراً لله على سلامتكم فقال الأعرابي اللهم لا مملوك لي فأعتقه ولكن امرأتي طالق ثلاثاً لوجهك.

(٢٢) جاء أعرابي إلى المسجد يصلي فسرقت نعله فلزم المؤذن وقال أنت دعوت الناس حتى سرقوا نعلي.

(٢٣) عض ثعلب أعرابياً فأتى راقياً فقال له ما عضك فاستحيا أن يقول ثعلب وقال كلب فجعل يرقيه فقال الأعرابي وأخلط بها شيئاً من رقية الثعالب.

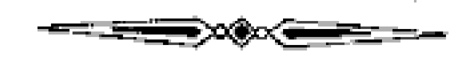
(٢٤) سمع أعرابي بمكة يدعو لأمه فقيل له وأبوك فقال ذاك يحتال لنفسه.

(٢٥) حج أعرابي فدخل مكة قبل الناس وتعلق بأستار الكعبة؛ وقال اللهم اغفر لي قبل أن يدهمك الناس.

(٢٦) تذكر قوم قيام الليل وعندهم أعرابي فقالوا له: أتقوم بالليل، قال: أي والله، قالوا: فما تصنع، قال: أبول وأرجع أنام.

(٢٧) خرج من أبي النجم صوت في ليلة مرتين؛ فخاف أن تكون امرأته قد

سمعته فقال أسمعت شيئاً فقالت لا ما سمعت منهما شيئاً قال لعنك الله فمن أعلمك أنهما اثنتان.



نوادر أهل حمص

(٢٨) يحكى أن رجلاً غريباً دخل حمص فسمع المؤذن يقول أهل حمص يشهدون أن محمداً رسول الله؛ فتعجب من ذلك فلما وصل إلى باب المسجد وجد رجلاً يبيع الخمر وبجانبه مصحف وهو يحلف به أن هذا الخمر ما داخله ماء ولا غش، فدخل المسجد فوجد الإمام يصلي على رجل واحدة ورجله الثانية مرفوعة وعليها نجاسة فازداد عجباً فذهب ليخبر القاضي بما رأى فوجد على ظهره غلاماً فرفع صوته بالشتم فسمعه القاضي فقال له: ما شأنك، فأخبره بما رأى، فقال له: لا تعجل فإن جميع الذي رأيته له وجه صحيح أما المؤذن فإن مؤذننا مريض ولم نجد صيتاً غير يهودي وهو لا يشهد أن محمداً رسول الله وأما الخمر فإن في المسجد شجرة عنب لا يصلح ثمرها لغير الخمر وأما الإمام فإنه لما دخل في الصلاة تلوثت رجله فرفعها لئلا يصلي بالنجاسة؛ وأما الغلام فأنه كان صغيراً وله مال فجاء الآن وادعى البلوغ فأردت اختباره.

(٢٩) وذهب رجل من حمص ليشتري زيتاً فلم يسع الإناء فقلبه وقال للزيات صب الفاضل ها هنا فأريق الزيت وصب له الزيات الباقي على أسفل الإناء فلما رجع إلى امرأته أراد أن يحكي لها القصة فقال لها قلبت الإناء هكذا ليصب لي الباقي؛ فأريق الجميع.

(٣٠) حكي عن بعض القراء قال دخلت مسجداً بحمص فرأيت رجلاً مكشوف الرأس؛ فقلت سلام عليكم فلم يرد علي جواباً فكررت عليه فنظر إلي مبغضاً وقال لعلك من هؤلاء الصفاعنة الذين يأتون من أسفل الشام، قلت ما شأنهم قال إنهم يقرأون السبع الطوال ويبغضون أبا بكر الصناديقي وعمر القواريري بن عفان وعثمان بن أبي سفيان ومعاوية بن أبي الخطاب أحد حملة العرش، قلت: ومن معاوية قال وهو رجل أرسله الله إلى قوم يعلمهم أن عصى موسى كانت من شجر التوت فلقيه

محمود النبي فزوجه ابنته عائشة فولدت له الحسن والحسين في أيام الحجاج بن المهدي، فقلت له أراك خبيراً بالتواريخ وأنا قد أفنيت عمري في هذا الفن وما عرفت هذا أتحفظ القرآن قال اقرأ باللغات السبع قلت اقرأ لي شيئاً منه فقال: بسم الله الرحمن الرحيم وكانوا إذا جاءهم بشير أو نذير استغششوا تستغشاشاً وقاموا إلى ناقة الله فذبحوها ومكروا مكراً كباراً فبأي آلاء بابكما تكذبان؛ فقلت له يا شيخ كيف ترضى بهذه الحالة مع حوزك هذه الفضائل هل سكنت بغداد ليعرفوا قدرك وفضلك؛ فقال بغداد دار الجهلة والمجانين ما أصنع بها فقلت صدقت وتركته وانصرفت.

(٣١) عن معمر قال دخلت مسجد حمص فإذا قوم لهم رواء فظننت فيهم الخير فجلست إليهم فإذا هم ينتقصون علي بن أبي طالب عليه السلام فقمت عنهم فإذا شيخ يصلي فجلست إليه فما سلم قلت ما ترى هؤلاء ينتقصون علياً ويشتمونه وجعلت أحدثه بمناقبه وأنه زوج بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وأبو الحسنين وابن عم الرسول، فقال يا عبد الله ما لقي الناس من الناس لو أن أحداً نجا من الناس لنجا منهم أبو محمد رحمه الله هو ذا يشتم وحده قلت ومن أبو محمد قال الحجاج بن يوسف وجعل يبكي فقمت عنه وقلت لا يحل لي أن أبيت في هذه البلدة فخرجت من يومي.

(٣٢) تذاكر جماعة من حمص في الأعضاء ومنافعها فقالوا الأنف للشم والفم واللسان للكلام ولم يهتدوا إلى فائدة الأذنين فقصدوا القاضي فوجدوه في شغل فجلسوا على باب داره، وإذا خياط فتل خيوطاً ووضعها على أذنه فقالوا أتانا الله بما نسأل عنه القاضي إنما خلقت للخيوط.

(٣٣) قال الجاحظ مررت بحمص فمر عنز يتبعه جمل؛ فقال رجل لآخر هذا الجمل من هذا العنز قال لا ولكنه يتيم في حجرها.

(٣٤) عرض هشام بن عبد الملك الجند فأتاه حمصي بفرس كلما قدمه نفر فقال هشام: ما هذا قال يا سيدي هو جيد لكنه شبهك بيطار كان يعالجه فنفر.

(٣٥) أوفد أهل حمص شيخاً لهم لم يكن فيهم أعقل منه ولا أكمل مع ابنين له معروفين عندهم بالعقل إلى الرشيد لمظلمة كانت بهم، فلما دخل الشيخ قال السلام عليك يا أبا موسى فعلم أنه أحمق ثم قال أحسبك يا شيخ طلبت العلم وجالست العلماء قال نعم، قال من جالست منهم قال ما كان يقول في عذاب القبر قال كان

يكرهه فضحك الرشيد ومن حضر ثم قال من حفر البحار فقال أحد ولديه حفرها موسى حين استطرق البحر قال فأين ترابها فقال أخوه الجبال ففرح الشيخ بحسن جواب ولديه؛ وقال والله ما علمتهما؛ ما هو إلا الهام من الله تعالى وله الحمد.

(٣٦) وفد على الرشيد ثلاثة من حمص فرأى أحدهم على رأسه غلاماً فظنه جارية فقال السلام عليك يا أبا الجارية فصفع وأخرج فقال الثاني السلام عليك يا أبا الغلام فصفع وأخرج فقال الثالث السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال له كيف صحبت هذين الأحمقين فقال لا تتعجب منهم فإنهم لما رأوك بهذا الزي ورأوا لحيتك طويلة قدروا أنك أبو فلان؛ فقال الرشيد أخرجوه قبح الله بلدة هؤلاء خيارها.



نوادر حمزة بن بيض

(٣٧) دعا حمزة بن بيض وكان يوصف بالحماقة حجاماً وكان الحجام ثقيلاً كثير الكلام؛ فلما أرهف المشاريط قال له الساعة توجعني قال لا قال فانصرف اليوم قال لا تفعل فإنك محتاج إلى إخراج الدم وذلك بين في وجهك وهي سنة نبوية قال انصرف وعد إلي غدا قال لست تدري ما يحدث إلى غد والمشاريط حادة وإنما هي لحظة قال إن كان كما تقول فأعطني إحدى خصيتيك في يدي رهينة أن أوجعتني أوجعتك فقال الحجام أرى أن تدع الحجامة في هذا العام وانصرف.

(٣٨) قال حمزة بن بيض لغلامة أي يوم صلينا الجمعة في الرصافة ففكر ساعة ثم قال يوم الثلاثاء.



نوادر جحا

ويكنى أبا الغصن واختلف فيه فقيل إنه كان أحمق

وقيل لم يكن أحمق ولكنه كان يظهر ذلك، وأكثر الذي وضع عليه مكذوب

وقيل إنه اسم لشخص غير موجود

(٣٩) دخل جحا إلى بستان ليسرق منه، فجعل يقلع الفجل والجزر واللفت ويضعها في كيس معه فرآه البستاني فقال له ما تصنع هنا قال حملتني ريح عاصفة فألقتني في بستانك قال فلماذا قلعت هذا الجزر والفجل واللفت، فقال كانت الريح تارة ترفعني وتارة تقلبني يميناً وشمالاً فأتمسك بأغصان هذه الأشياء فتنقلع بيدي قال سلمنا فلماذا وضعتها في الكيس؛ قال أما هذه فقد صار لي مدة أتفكر كيف وضعت في الكيس فلم أعرف.

(٤٠) أوصى جحا عند موته أن يدفن قائماً؛ فسئل عن السبب فقال إذا قامت القيامة وصارت الدنيا مختلطة أكون واقفاً من دون مشقة.

(٤١) لما دخل شهر رمضان أحضر جحا جرة وجعل كلما مضى منه يوم يلقي فيها حصاة كيلا يغلط في حساب الشهر، فرأته ابنة له صغيرة يلقي الحصى في الجرة فأرادت أن تعمل مثله فجعلت تلقي فيها الحصى بكثرة فسأله يوماً سائل كم مضى من الشهر فدخل داره وعد الحصى فبلغت مائة وعشرين، فاستكثر ذلك وقال أسقط منه النصف فخرج وقال له مضى من الشهر ستون يوماً، فقال له وهل يكون الشهر أكثر من ثلاثين فقال كيف لو أخبرتكم بحساب الجرة فإنها مائة وعشرون.

(٤٢) ودخلت بقرة إلى مزرعته فلحقها بالعصى فهربت ثم رآها يوماً تجر عربة فانهال عليها بالضرب فانتهره صاحبها، فقال لا تدخل فيما لا يعنيك البقرة تعرف ذنبها.

(٤٣) ودخل يوماً إلى قبر قديم فنام فيه ليجرب هل يأتيه الملكان فسمع صوت أجراس وضوضاء فظن القيامة قامت وكانت قافلة مارة بالقرب منه فخرج من القبر منهزماً فلما رأته البغال أجفلت وألقت أحمالها فانهال عليه المكارية بالضرب حتى أغمي عليه فلما أفاق ذهب إلى داره فسألته امرأته أين كان فقال كنت في المقابر ورأيت القيامة؛ قالت وماذا رأيت قال لا شيء عليك في الآخرة إذا لم تجفل منك البغال.

(٤٤) وجاءه يوماً ضيوف فقال قفوا هنا أفسح لكم طريقاً، فدخل الدار وقال لزوجته في الباب ضيوف فاصرفيهم بحكمتك فقالت لهم من وراء الباب ما تريدون قالوا نريد الشيخ قالت إنه ليس هنا قالوا الآن دخل ليفسح لنا طريقاً فقالت ليس هنا

واحتدم الجدال بينها وبينهم، فتضايق جحا من ذلك فأطل عليهم من النافذة وقال إلى متى تجادلون هذه المسكينة لعل للدار بابين وقد خرج من أحدهما.

(٤٥) وسأله رجل فقال إذا كان الإنسان يغتسل من الجنابة في البحيرة فإلى أي جهة يجب أن يوجه؛ قال إلى الجهة التي فيها ثيابه.

(٤٦) مات جار لجحا فأرسل إلى الحفار فتنازعا في أجرة الحفر؛ فاشترى جحا خشبة بدرهمين فقيل ما تصنع بها قال اصلب الميت عليها لأن الحفار لا يحفر بأقل من خمسة دراهم؛ فنربح ثلاثة دراهم ويستريح الميت من ضغطة القبر ومسألة منكر ونكير.

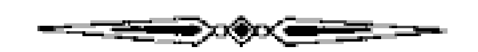
(٤٧) هبت يوماً ريح شديدة فأقبل الناس يدعون ويتوبون فصاح جحا يا قوم لا تعجلو بالتوبة إنما هي زوبعة وتسكن.

(٤٨) اشترى جحا دقيقاً وأعطاه لحمال فهرب به؛ ثم رآه جحا بعد أيام فاستتر منه فقيل له لم فعلت كذا قال أخاف أن يطالبني بالأجرة.

(٤٩) أرسل جحا أبوه ليشتري رأساً مشوياً فأكل عينيه وأذنيه ولسانه ودماغه في الطريق، وحمل الباقي إلى أبيه فقال له ما هذا قال الرأس الذي طلبته قال أين عيناه قال كان أعمى قال أين أذناه قال كان أصم أين لسانه قال كان أخرس قال أين دماغه قال كان أقرع؛ قال ويحك رده وخذ بدله قال باعه صاحبه بالبراءة من كل عيب.

(٥٠) دفن جحا يوماً دراهم في الصحراء ثم جاء يفتش عليها فقيل له لو جعلت عليها علامة؛ قال قد فعلت قيل فما هي قال سحابة كانت فوقها.

(٥١) قيل لجحا أتحسن الحساب بإصبعيك قال: نعم؛ قيل خذ جريبين حنطة فعقد الخنصر والبنصر فقيل خذ جريبين شعير فعقد السبابة والإبهام؛ وأقام الوسطي فقيل لم أقمت الوسطي قال لئلا يختلط الحنطة بالشعير.



نوادر أزهر الحمار

(٥٢) قدم على الأمير عمرو بن الليث رسول من عند السلطان؛ فقال لأزهر الحمار وكان أحمق لا تتكلم اليوم وتجمل لهذا الرسول فسكت ساعة فعطس

الرسول فأراد أن يقول له رحمك الله فقال صبحك الله، فقال عمرو ألم أتقدم إليك أن لا تتكلم فقال أردت أن لا يرجع الرسول إلى بغداد فيقول هؤلاء لا يعرفون العربية.

(٥٣) مضى أزهر يوماً إلى السوق ليشتري لابنه نعلاً فقيل له كم سنه؛ فقال ما أدري ولكنه ولد أول ما جاء العني الداراني ومحمد ابني استودعه الله أكبر منه بشهرين ونصف سنة.

نوادر ابن الجصاص

ويقال إنه لم يكن أحمق بل كان عاقلاً حازماً وإنما كان يظهر ذلك لغرض

(٥٤) دخل أبو عبد الله بن الجصاص يوماً على ابن الفرات الوزير وفي يده بطيخة كافور فأراد أن يعطيها الوزير ويبصق في دجلة فبصق في وجه الوزير ورمى البطيخة في دجلة؛ فارتاع الوزير وانزعج ابن الجصاص وتحير وقال الله العظيم لقد أخطأت وغلطت أردت أن أبصق في وجهك وأرمي البطيخة في دجلة؛ فقال له الوزير: كذلك فعلت يا جاهل فغلط فعلاً وقولاً.

(٥٥) نظر ابن الجصاص يوماً في المرآة؛ فقال: اللهم بيض وجوهنا يوم تبيض وجوه وسود وجوهنا يوم تسود وجوه.

(٥٦) ونظر يوماً في المرآة فقال لإنسان عنده ترى لحيتي طالت فقال المرآة في يدك قال صدقت ولكن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب.

(٥٧) وكشر يوماً لوزاً فطفرت لوزة فقال لا إله إلا الله كل شيء يهرب من الموت حتى البهائم.

(٥٨) كان الناس عند الزجاج يعزونه بأمه؛ وفيهم الرؤساء والكتاب إذا أقبل ابن الجصاص فدخل ضاحكاً وقال الحمد لله قد سرني والله يا أبا إسحاق موتها فقيل له كيف سرك ما غمه وغمنا، قال بلغني إنه هو الذي مات فلما صح عندي أن أمه التي ماتت سرني ذلك فضحك الناس جميعاً.

نوادر القراء والمصحفين

(٥٩) قيل لسعد بن هشيم وكان أبوه محدثاً: لو حفظت عن أبيك عشرة أحاديث سدت الناس وقيل هذا ابن هشيم فجاؤوك فسمعوا منك قال شغلني عن ذلك القرآن. ثم قال جبير كان نبياً أو صديقاً قيل من جبير قال الذي في قوله تعالى وأسأل به جبيراً.

(٦٠) قرأ عثمان بن أبي شيبة فضرب بينهم سنور له ناب فقيل له إنما هو (بسور له باب) فقال أنا لا أقرأ قراءة حمزة هي عندنا بدعة.

(٦١) وقرأ أيضاً وإذ بطشتم بطشتم خبازين.

(٦٢) وقرأ أيضاً فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رجل أخيه؛ فقل له في رحل أخيه فقال أنا وأخي لا نقرأ لعاصم.

(٦٣) قرأ شيخ ولله ميزاب السموات والأرض فقيل ما ميزابها قال هذ المطر.

(٦٤) قال أبو عبيدة كنا نجلس إلى أبي عمرو بن العلاء فنخوض في فنون من العلم ورجل يجلس إلينا لا يتكلم فقال له رجل ليخبره في أي سورة هذه الآية.

الحمد لله لا شريك له ... من لم يقلها فنفسه ظلما

فأطرق ساعة ثم قال في حم الدخان.

(٦٥) اصطحب ناس فكانوا يتذاكرون الآداب والأخبار وسائر العلوم ومعهم شاب لا يتكلم سوى أنه كان يقول رحم الله أبي ما كان يعدل بالقرآن وعلمه شيئاً؛ فظنوه أعلم الناس بالقرآن فسأله بعضهم في أي سورة هذه الآية:

وفينا رسول الله يتلو كتابه ... كما لاح مبيض من الصبح ساطع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه ... اذا استثقلت بالكافرين المضاجع

فقال سبحان الله من الذي لا يعرف هذا، هذا في حمعسق فقالوا ما قصر أبوك في أدبك؛ فقال أفكان يتغافل عني كتغافل آبائكم عنكم.

(٦٦) شكا رجل ولده إلى القاضي أنه يشرب الخمر ولا يصلي؛ فقال له القاضي ما تقول فقال: أصلي ولا أشرب فقال أبوه تكون صلاة بلا قراءة، قال

القاضي يا غلام تقرأ من القرآن قال نعم وأجيد؛ قال اقرأ فقال بسم الله الرحمن الرحيم:

علق القلب الربابا بعد ما شابت وشابا
إن دين الله حق لا أرى فيه ارتيابا

فقال أبوه: والله ما تعلم هاتين الآيتين إلا البارحة سرق مصحفاً من الجيران وتعلمهما؛ قال القاضي قبحكم الله أحدكم يقرأ القرآن ولا يعمل به.

(٦٧) خرج رجل إلى قرية فأضافه خطيبها فقال له الخطيب أنا منذ مدة أصلي بهؤلاء الناس وقد أشكلت عليّ آية في الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] أي شيء تسعين أو سبعين أشكلت علي فأنا أقرأها تسعين أخذا بالاحتياط.

(٦٨) كتب عبد الملك بن مروان إلى أبي بكر بن حزم عامل المدينة أن أحص من قبلك من المخنثين فصحف الكاتب وزاد نقطة على الحاء فخصاهم.

(٦٩) قال المأمون لثمامة بن أشرس ما جهد البلاء يا أبا معن؛ قال عالم يجري عليه حكم جاهل قال من أين قلت هذا، قال حبسني الرشيد عند مسرور الكبير فضيق علي أنفاسي فسمعته يوماً يقرأ ويل يومئذٍ للمكذبين بفتح الذال، فقلت له لا تقل أيها الأمير هكذا قل للمكذبين وكسرت له الذال لأن المكذبين بالفتح هم الأنبياء، فقال قد كان يقال لي عنك أنك قدري فلا نجوت الليلة مني؛ فعانيت منه تلك الليلة الموت من شدة ما عذبني.

(٧٠) قرأ بعض الفرس (وخر عيسى صعقاً وعصى موسى ربه) فقيل له ليست الآيتان هكذا بل هما وخر موسى صعقاً وعصى آدم ربه فقال هذا غلط لأن الخر كان لعيسى ولم يكن لموسى والعصا كانت لموسى ولم تكن لآدم (وخر) بالفارسية الحمار.

(٧١) قرأ بعضهم (فريق في الحبة وفريق في الشعير) فقال له بعضهم إن الآية (فرية في الجنة وفريق في السعير) فقال أنت تقرأ على حرف أبي عمرو؛ وأنا أقرأ على حرف عاصم.

(٧٢) سأل رجل بعض المحدثين فقال ما تروي عن نافع عن النبي ﷺ في (الذي نشرت في أبيه القصة) قال ويحك هو (الذي يشرب في آنية الفضة).

(٧٣) حدث بعض المحدثين المغفلين فأسند عن النبي ﷺ عن جبرائيل عن الله عن رجل فقيل له من هذا الذي يصلح أن يكون شيخ الله تعالى فإذا هو « عزوجل ».

(٧٤) حدث رجل اسمه صالح إنه كان لأبي أسامة جزرة يرقي بها المريض وإنما هي خرزة فصفحها فسمي صالح جزرة.

(٧٥) كان حيان بن بشر تولي قضاء بغداد وأصبهان وكان من رواة الحديث فروى يوماً أن عرفجة قطع أنفه يوم الكلام فقال مستلميه إنما هو الكلاب، فأمر بحبسه فدخل الناس فقالوا: ما دهاك قال: قطع أنف عرفجة في الجاهلية وابتليت أنا به في الإسلام.



نوادر الأمراء والولاة

(٧٦) كان عيسى بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس يحمق، وكان ابنه عبد الله من عقلاء الناس فأرسل إليه في بعض الليل فظن أنه لأمر مهم فلبس سواده وركب إلى دا أبيه فسأل الحجاب والخدام هل ورد كتاب من الخليفة أو حدث أمر فقالوا لا فدخل على أبيه فقال له إني سهرت الليلة وفكرت في أمر قلت أصلح الله الأمير ما هو، قال اشتهيت أن يصيرني الله من الحور العين ويجعل في الجنة زوجي يوسف النبي، قلت أصلح الله الأمير فالله جعلك رجلاً فأرجو أن يدخلك الجنة ويزوجك من الحور العين فإذا وقع هذا في فكرك فهلا اشتهيت محمداً وهو سيد الأولين والآخرين وأحق بالقرابة فقال: يا بني لا تظن أني لم أفكر في هذا لكن كرهت أن أغيظ السيدة عائشة.

(٧٧) جاء رجل من أشراف الناس إلى بغداد فأراد أن يكتب إلى أبيه فلم يجد أحداً يعرفه فانحدر بالكتاب إلى أبيه وقال كرهت أن يبطئ عليك خبري ولم أجد أحداً يجيء بالكتاب فجئت أنا به.

(٧٨) أمر بعض الولاة كاتبه أن يكتب إلى رجل ويعنفه ويقول له بئس ما فعلت يا عذرة؛ فكتب ثم قال الكاتب أعزك الله هذا لا يحسن في المكاتبة فقال الحسه بلسانك.

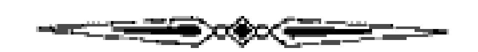
(٧٩) شغب رجال على الحسين بن مخلد وطالبوه بالمال؛ فقال أنا ما معي مال حتى أخرجه وإنما أنا للسلطان كالمزملة؛ أن صب في أعلاي شيئاً أخذتموه من أسفلي؛ فإن صبرتم إلى أن ترد الأموال فرقت عليكم.

نوادر الكتاب والحجاب

(٨٠) كان بإنطاكية عامل له كاتب أحمق فغرق في البحر (شلنديتان) من مراكب المسلمين التي يقصد بها العدو، فأمره العامل أن يكتب إلى أمير حلب بالخبر فكتب أعلم أيها الأمير أن شلنديتين أعني مركبين صفقا من جانب البحر أي غرقا من شدة

أمواجه فهلك من فيهما أي تلفوا، فكتب إليه أمير حلب ورد كتابك أي وصل وفهمناه أي قرأناه أدب كاتبك أي أصفعه واستبدل به أي أعزله؛ فإنه مائق أي أحمق والسلام؛ أي انقضى الكتاب.

(٨١) قيل لعبد الله بن مسعود القاضي تجيز شهادة التقي الأحمق قال لا وسأريكم يا غلام ادع أبا الورد حاجبي فدعاه فقال اخرج فانظر ما الريح فخرج ورجع فقال شمال يشوبها جنوب؛ فقال كيف أجيز شهادة مثل هذا.



نوادر المؤذنين

(٨٢) قيل لمؤذن ما يسمع أذانك فلو رفعت صوتك؛ قال: إني لأسمع صوتي من ميل.

(٨٣) رأى بعضهم مؤذناً يؤذن ثم عدا فقال له إلى أين؛ قال: أريد أن أعرف إلى أين يبلغ صوتي.



نوادر أئمة الجماعة

(٨٤) قرأ إمام في الصلاة: ألم غلبت الترك؛ فلما فرغ قيل له إنما الآية: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ [الروم: ٢] فقال كلهم أعداء لا نبالي من ذكر منهم.

(٨٥) قرأ إمام في صلاته: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] فلما بلغ قوله: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير: ٢٦]؛ ارتج عليه وجعل يرددها وكان خلفه رجل معه جراب فضرب به رأس الإمام؛ وقال أما أنا فأذهب إلى دارنا؛ وأما هؤلاء السفهاء فلا أدري إلى أين يذهبون.

(٨٦) صلى رجل خلف إمام بمكة فقرأ ومالي لا أعبد الذي فطرني؛ فقال الرجل ما أدري والله فضحك الناس؛ وقطعوا الصلاة.

(٨٧) صلى اعرابي مع إمام في الصف الأول وكان اسمه مجرماً؛ فقرأ الإمام ألم نهلك الأولين فتأخر الأعرابي إلى النصف الثاني فقرأ ثم نتبعهم الآخرين فتأخر إلى الصف الثالث فقرأ كذلك نفعل بالمجرمين؛ فقال والله ما أراد غيري فأخذ نعله وهرب من المسجد.

(٨٨) اشترك ثلاثة أخوة في بناء مسجد اسم أحدهم إبراهيم والثاني موسى والثالث الحاج أحمد؛ وعينوا له إماماً فقرأ الإمام في الصلاة أن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى، فلما فرغ من الصلاة دعاه الحاج أحمد فقال ألم تعلم أنني أنا وإخوتي إبراهيم وموسى بنينا هذا المسجد من مالنا جميعاً ونقوم بنفقتك كلنا فقال نعم، قال فلماذا تذكر أسماء إخوتي في الصلاة ولا تذكر اسمي، قال إن هذا قرآن ولا تجوز الزيادة فيه قال بل هذه محاباة منك لإخوتي والله لئن لم تذكر اسمي بعد هذه المرة لأوجعنك ضرباً فلما كانت الصلاة الثانية قرأ الإمام: ﴿وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [الأعلى: ١٧-١٨] والحاج أحمد، فلما فرغ سأله الناس عن ذلك وقالوا هذه الزيادة ليست في القرآن قال إنها نزلت البارحة بعصا غليظة.

(٨٩) قرأ إمام في الصلاة: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ [نوح: ١] وارتج عليه فجعل يرددها فلما طال الأمر؛ قال له أعرابي من خلفه إذا لم يذهب نوح فأرسل غيره وأرحنا.

(٩٠) ضاف فقيه أهل قرية في جبل لبنان فلما كان وقت المغرب قال له صاحب المنزل تريد أن تتعشى قبل الصلاة أو تصلي، فقال بل نصلي فتوجه للصلاة وائتم به الحاضرون وكان المنزل ضيقاً فاضطر صاحب البيت إلى وضع الزاد أمامهم في زاوية البيت وبعد ما شرعوا في الصلاة جاءت هرة لتأكل من الزاد فصاح بها أحد المأمومين فقال له الذي إلى جانبه تكلمت في الصلاة بطلت صلاتك، فقال له الثالث وأنت أيضاً بطلت صلاتك؛ فقال الرابع كذلك وهكذا فحصلت ضجة وقطع الجميع الصلاة ولم يبق غير الإمام فلما فرغ لأمهم على ذلك؛ قالوا فما نصنع قال أعيدوا الصلاة قالوا نعيدها من أولها أو من محل القطع فقال بل من أولها.

(٩١) اشترى إمام سطلاً فاستحيى أن يجعله قدامه في الصلاة فجعله خلفه فلما

ركع شغل قلبه به فظن أنه سرق فأراد أن يقول ربنا لك الحمد فقال ربنا لك السطل؛ فقال له بعض المأمومين: السطل خلفك لا بأس عليه.

(٩٢) كان رجل يصلي خلف إمام فقرأ الإمام الفاتحة ثم ارتج عليه، فجعل يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ويكررها فقال رجل من خلفه ليس للشيطان ذنب إلاّ أنك لا تحسن أن تقرأ.



نوادر النحويين

(٩٣) قال رجل لنحوي: قد عرفت النحو إلاّ أنني لا أعرف هذا الذي يقولون أبو فلان أبا فلان أبي فلان قال: هذا أسهل الأشياء في النحو أبو لمن عظم قدره وأباً للمتوسطين وأبي للرذلة.

(٩٤) وقف نحوي على صاحب بطيخ فقال: بكم تلك الفاردة وذانك المجتمعتان فنظر يميناً وشمالاً ثم قال: اعذرني فما عندي شيء يصلح للصفع.

(٩٥) دخل أحمد بن محمد القزويني السوق بالكوفة فقال: لنخاس اطلب لي حماراً لا بالصغير المحتقر ولا بالكبير المشتهر إن أقللت علفه صبر وإن أكثرته شكر إذا خلا في الطريق تدفق وإذا كثر الزحام ترفق فقال له النخاس بعدما نظر إليه ساعة: إذا مسخ الله القاضي حماراً أشتريه لك.

(٩٦) كان بسجستان شيخ يتعاطى النحو فقال لابنه: إذا أردت التكلم بشيء ففكر فيه بجهدك حتى تقومه ثم اخرج الكلمة مقومة فبينا هما جالسان في الشتاء والنار تتقد وقعت شرارة في جبة خز كانت على الأب وهو غافل والابن يراها ففكر ملياً ثم قال: يا أبت أريد أن أقول لك شيئاً فتأذن فيه قال: إن كان حقاً فتكلم قال: أراه حقاً، فقال: قال: إني أرى شيئاً أحمر قال: وما هو قال شرارة وقعت في جبتك فنظر إلى جبته وقد احترق منها قطعة فقال: لِمَ لم تعلمني سريعاً، قال: فكرت فيه كما أمرتني ثم قومت الكلام وتكلمت.

(٩٧) ركب نحوي في زورق فقال للملاح: تعلمت النحو قال لا قال ذهب

نصف عمرك فلما كان بعد مدة هاج البحر فقال الملاح للنحوي تعلمت السباحة قال لا قال ذهب عمرك كله.

(٩٨) وقف سائل على باب نحوي فقال النحوي: من كان بالباب فلينصرف فقال السائل إن اسمي أحمد فقال النحوي: يا جارية أعطي سيبويه كسرة.



نوادر الشعراء

(٩٩) دخل رجل على سيف الدولة ابن حمدان وقد انصرف من غزوة له ظفر فيها فأنشد:

فكانوا كفأر وسوسوا خلف حائط وكنت كسنور عليهم تسلقا

فأمر بإخراجه فقام على الباب يبكي فأخبر سيف الدولة ببكائه فأمر برده فقال: ما لك تبكي فقال: قصدت مولانا بكل ما أقدر عليه فلما خاب أملي بكيت فقال: من يكون له هذا النثر يكون له هذا الشعر فكم أملت قال: خمسمائة درهم فأمر له بألف درهم.

(١٠٠) قال أبو سجادة الفقية في شعر له:

ومنا الوزير ومنا الأمير ومنا المشير ومنا أنا

نوادر القصاص

(١٠١) وقف سيبويه القاص وهو راكب على حمار عند قبر فنفر حماره فقال: ينبغي أن يكون صاحب هذا القبر بيطاراً.

(١٠٢) وقرأ سيبويه ثم في سلسلة ذرعها تسعون ذراعاً فاسلكوه فقيل له قد زردت عشرين فقال هذه خلقت لبغا ووصيف (وهما من رؤساء الأتراك في زمن العباسيين) أما أنتم فيكفيكم شريط بدانق ونصف.

(١٠٣) وقيل له: إن اشتهى أهل الجنة عصيدة كيف يعلمون قال: يبعث الله لهم أنهار دبس ودقيق وأرز ويقال: اعملوا وكلوا واعذرونا.

(١٠٤) دخل أبو الحسن السماك على قوم وهم يتكلمون في ألف أبابيل هل هو ألف وصل أو قطع فقال لا ألف وصل ولا ألف قطع إنما هو ألف سخط.

(١٠٥) قال بعض القصاص إن الشيطان إذا سمي على الطعام والشراب لم يقربه فكلوا خبز الأرز المالح ولا تسموا فيأكل معكم ثم اشربوا الماء وسموا حتى تقتلوه عطشاً.

(١٠٦) سرق باب أبي سالم القصاص فجاء إلى باب المسجد وقلعه وقال: إن صاحبه يعلم من قلع بابي.

(١٠٧) سئل بعض القصاص: لِمَ لم تتصرف أشياء فلم يفهم ثم قال أنت تسأل سؤال الملحدين لأن الله تعالى يقول (لا تسألوا عن أشياء).

(١٠٨) كتب رجل إلى بعض القصاص رقعة يسأله الدعاء لامرأة حامل فقرأ الرقعة ثم قلبها وفي ظهرها صفة دواء كتبه طبيب وفيه شونيز أفتيمون عاقر قرحا. ونحو هذا فظنها كلمات يسأل بها فقال يا رب شونيز وأفتيمون وعاقر قرحا إلى أن أتم المكتوب احفظ حمل هذه الحامل.

(١٠٩) سمع رجل قاصاً يقرأ ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ [إبراهيم: ١٧] فقال اللهم اجعلنا ممن يتجرعه ويسيغه.

(١١٠) قال أبو كعب القصاص مرة في قصصه اسم الذئب الذي أكل يوسف كذا فقيل له إن يوسف لم يأكله الذئب فقال فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف.



نوادر الأطباء

(١١١) دخل طبيب أحمق على مريض فقال: خذ مثل رأس الفأرة كلنجين وصب عليه مقدار محجمة ماء واضربه حتى يصير مثل المخاط واشربه فقال قم لعنك الله فقد قذرت إلي كل دواء في الأرض.

(١١٢) سرقت ثياب رجل من الحمام فخرج وهو عريان وعلى باب الحمام طبيب

أحمق فقال له ما قصتك قال سرقت ثيابي قال بادر وافتصد تخف عنك حرارة الغم.

(١١٣) سرق لرجل حمار فشكا أمره إلى طبيب فقال اشرب مسهلاً فشربه فتحرك بطنه فدخل إلى خربة يتبرز فوجد حماره فيها فأخذهُ ودعا للطبيب.

(١١٤) شكا رجل إلى طبيب وجع بطنه فقال ما الذي أكلت قال رغيفاً محترقاً فدعا الطبيب بذرور ليكحله به فقال إنما أشتكي وجع بطني لا عيني قال: قد عرفت ولكن أكحلك لتبصر المحترق فلا تأكله.

(١١٥) جاء رجل مريض إلى الطبيب يستوصفه دواء فقال هل أكلت شيئاً قال لا فجس نبضه فعلم أن أكل شيئاً ثقيلاً حتى امتلأ فقال: بلى أكلت قال لم آكل شيئاً فلما ألح عليه قال: أكلت طبيخاً كان فضل من طعام العشاء، قال: بل أكلت غير هذا، قال: لم آكل، قال بلى أكلت قال كان عندي شيء من كرش شاة محشو فأكلته، قال: بل أكلت غيره، قال: بلى أكلت غيره قال كان عندي يسيرتين فأكلته قال وأكلت غيره قال لم آكل قال بلى أكلت أتظن إني لا أعلم قال: قال أكلت ثلاثة أرغفة قال: وغيره ماذا أكلت قال: أكلت شيئاً من الحلوى قال: كل هذا ولم تأكل شيئاً قم عني فإني أخاف أن تأكلني.

(١١٦) قال طبيب لتلميذه إذا دخلت إلى مريض وجسست نبضه فانظر إلى أثر ما عنده من طعام أو شراب فقل له أكلت كذا مثل أن تجد عنده قشور خيار فقل أكلت خياراً أو قشور بطيخ فقل أكلت بطيخاً فدخل الغلام يوماً على مريض فوجد في ناحية البيت جل حمار فجس نبضه ثم قال له أكلت حماراً.

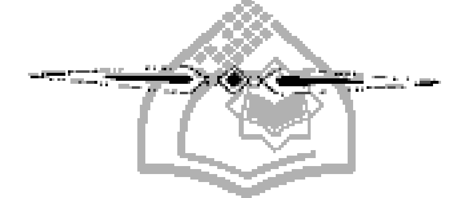
(١١٧) شكا أبو واسع إلى طبيب ريحاً في بطنه فقال له: خذ الصعتر فقال يا غلام دواة وقرطاس فأحضرهما فقال: ماذا أصلحك الله قال كف صعتر ومكوك شعير فقال لم تذكر الشعير أولاً قال ما علمت أنك حمار إلا الساعة.

نوادر المرضى

(١١٨) مرض رجل فلما اشتد به المرض أمر بجمع آلات اللهو عنده فسئل عن ذلك فقال: إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه شيء من آلة اللهو.

(١١٩) مرض مغفل فأتي له بطبيب فقال إذا كان غدا فاحفظوا البول حتى أجيء وأنظره فبقي المريض حابساً بوله إلى الغد فلما جاء الطبيب قال له يا عبد الله كادت مثانتي تنشق من حبسي للبول قال إنما أمرتك أن تحفظ البول في إناء فلما كان الغد إذا هو قد آخذ في برنية خضراء فقال الطبيب أخطأت ألم يكن في الدنيا شيء من الزجاج كنت تأخذ في قارورة أو قدح فلما كان الغد أخذ البول في قدح خشب فقال لم لا أخذته في قدح زجاج فقال أنت في حرج إلا نظرت إلى هذا الماء فأصدقني هل يخاف علي من هذه العلة فقال يخاف عليك من هذا العقل لا من هذه العلة.

(١٢٠) أخذ رجل زوجته إلى الطبيب ليداويها فكتب لها دواء في ورقة وقال لزوجها اغل لها هذا واسقها إياه فمضى الزوج وغلى الورقة في الماء وسقاها إياه فلم تبرأ فرجع إلى الطبيب فرآها بحالها فقال له هل سقيتها الدواء قال نعم غليت الورقة بماء حتى ذابت وسقيتها الماء فضحك الطبيب وقال له أنا طبيب ولست براق.



نوادر الزهاد والمتعبدين

(١٢١) كان بجبل اللكام رجل زاهد يسمى أبو عبد الله المزابلي لكنه ضعيف العقل وكان يقتات من المزابل ومن النبات وكان بإنطاكية رجل يسمى موسى الزكوري وله جار يغشى المزابلي فجرى بين موسى وجاره شر فشكاه الجار إلى المزابلي فلعنه في دعائه فكان الناس يقصدون المزابلي كل جمعة فيتكلم عليه ويدعو فلما سمعوه يلعنه جاؤوا إلى داره لقتله فهرب ونهبت داره وطلبته العامة فاستتر ثم أنه لبس ثوباً جديداً وأخذ معه مسكاً وبخوراً وذهب إلى الجبل فلما كان نصف الليل صعد فوق الكهف الذي فيه المزابلي فبخر بالند ونفخ المسك فدخلت الرائحة إلى كهف المزابلي فقال: من أنت عافاك الله قال: أنا جبرائيل أرسلني إليك ربي فلم يشك في صدق القول وأجهش بالبكاء وقال يا جبرائيل ومن أنا حتى يرسلك الله إلي فقال: الرحمن يقرئك السلام ويقول لك موسى الزكوري رفيقك في الجنة فصعق المزابلي فتركه موسى ورجع فلما كان من الغد أقبل المزابلي يخبر الناس برسالة جبرائيل ويقول تمسحوا بابن الزكوري واسألوه أن يجعلني في حل.

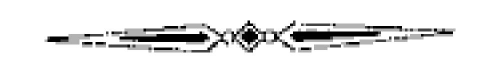
(١٢٢) قال بعضهم كنت في جامع واسط ورجلان يذكران جهنم فقال أحدهما: بلغني أن الله يعظم خلق الكافر حتى يكون ضرسه مثل جبل أحد فقال شيخ إلى جانبهما كثير الصلاة: لا تنكروا هذا فإن الله على كل شيء قدير وتصديق ما كنتما فيه كتاب الله قال الله تعالى أولئك يبدل الله سنانهم خشبات فالذي يبدل السن قادر أن يجعله مثل جبل أحد.

(١٢٣) كان لأبي العتاهية تلميذ تصوف وتزهد وقيّد إحدى عينيه وقال: النظر إلى الدنيا بعينين إسراف.

(١٢٤) جري ذكر لوط أمام بعض المتزهدين فشتمه فقيل له: أتشتم الأنبياء فقال: ما علمت أنه نبي وتاب ثم جرى ذكر فرعون فقالوا: ما تقول فيه فقال الآن تبنا فلا ندخل بين الأنبياء.

(١٢٥) جرى بين رجل وامرأته شر فقال لها أنت مثل امرأة لوط فقالت له أنت لوط بعينه.

(١٢٦) كان عبد الملك بن هلال عنده زنبيل مملوء حصى للتسبيح فكان يسبح بواحدة فإذا مل طرح ثنتين ثنتين ثم ثلاثاً ثلاثاً فإذا ازداد ملاله قبض قبضة وقال: سبحان الله عددك فإذا ضجر أخذ بعرى الزنبيل وقلبه وقال سبحان الله بعدد هذا.



نوادر الفقهاء ومدعي الفقه

(١٢٧) عاد فقيه عليلاً ومعه آخر فقال له: هل أتيت بطبيب قال: نعم، قال: أخطأت وما الذي وصف لك؟ قال: مسهلاً، قال: أخطأ وهل شربته، قال: نعم، قال: أخطأت وما الذي وصف لك من الغذاء؟ قال: مرق اللحم، قال: أخطأ وهل شربته، قال: نعم، قال: أخطأت فامتلأ رفيقه غيظاً لكنه لم يجد محلاً للكلام ثم ذهبا إلى مجلس فيه علماء البلد فسألوا رفيقه أين كنت قال كنت أعود فلاناً وكان معي رجل فقال للعليل كذا ورد عليه بكذا حتى حكى لهم القصة بتمامها وكلما ذكر لهم خطاباً أو جواباً شتموا الرجل بقولهم ما أقل فهمه وأدبه ما أثقله وأبرده هذا قليل

العقل والمعرفة هذا حمار وليس من بني آدم وشبه ذلك وهم لا يعلمون أن الرجل هو السامع وهو ساكت يظن أن رفيقه لا يخبرهم باسمه ثم قال لهم هل تعرفون هذا الرجل من هو؟ قالوا: لا، قال: هو هذا الشيخ فخجل الشيخ والحاضرون.

(١٢٨) كان لأبي إسحاق الجوني جار نحاس اسمه عباس عمره خمس وثمانون سنة فسألته امرأة فقالت: إن زوجي طلقني ثلاثاً قال: أرضي أبواك قالت: لا قال يجوز العود حتى يرضيا قالت: سألت أبا إسحاق فقال لي قد بنت منه قال: وما يدري أبا إسحاق أنا أبصر منه وأكبر منه أنا ألقيت عليه مسألة فلم يخرج منها.

(١٢٩) سئل رجل كان ينظر في الفرائض عن فريضة لم يعرفها فالتمسها في كتابه فلم يجدها فقال: لم يمت هذا الرجل بعد ولو مات لوجدت فريضته في كتابي.

نوادر من سأل الفقهاء

(١٣٠) سأل رجل أبا حنيفة: متى يحرم الطعام على الصائم؟ قال إذا طلع الفجر قال: وإن طلع من نصف الليل.

(١٣١) وكان يجلس إليه رجل يطيل الصمت فقال له: ما لك لا تخوض فيما نخوض فيه فقال: متى يحرم على الصائم الطعام؟ قال: إذا طلع الفجر. قال: فإن لم يطلع إلى الظهر فقال: أنت كنت أعرف بنفسك حيث لم تتكلم.

(١٣٢) وكان يجلس إلى أبي يوسف رجل يطيل الصمت فقال له: ألا تتكلم قال بلى متى يفطر الصائم قال إذا غابت الشمس قال فإن لم تغب إلى نصف الليل فضحك أبو يوسف وقال أصبت في صمتك وأخطأت أنا في استدعائي نطقك ثم قال:

عجبت لإزراء العيي بنفسه … وصمت الذي قد كان بالصمت أعلما
وفي الصمت ستر للعيي وإنما … صحيفة لب المرء أن يتكلما

(١٣٣) سأل رجل فقيهاً فقال الرجل: إذا خرج منه الريح تجوز صلاته قال لا قال: أنا قد فعلت وجاوزت صلاتي.

(١٣٤) وسأل آخر فقيهاً فقال: أم الزوجة هل تصير زوجة؟ قال: لا قال أنا قد فعلت ذلك فصارت.



نوادر المغفلين على الإطلاق

(١٣٥) خرج رجل إلى السوق يشتري حماراً فسألته زوجته أين تذهب قال إلى السوق أشتري حماراً قالت: قل: إن شاء الله، قال: ليس ههنا موضعها الدراهم معي والحمار في السوق فبينما هو يطلب الحمار سرقت منه الدراهم فرجع خائباً فدق الباب على زوجته قالت: من هذا؟ قال: زوجك إن شاء الله قالت: ما صنعت؟ قال: سرقت الدراهم إن شاء الله، قالت: ليس هنا موضعها، قال: موضعها في كل مكان.

(١٣٦) جاءت عجوز إلى لحام وقالت: أعطني لحماً بدرهم وطيبه وأخبرني باسمك حتى أدعو لك فأعطاها شر لحم وقال اسمي (من تمد) فلما أفطرت جعلت تمد اللحم فلا تقدر عليه فجعلت تقول لعن الله (من تمد) فتلعن نفسها ولا تعلم.

(١٣٧) كان رجل من دارا معه عشرة أحمرة فركب واحداً وعدها فإذا هي تسعة فنزل ليفتش عليه فإذا هي عشرة فركب وعدها فإذا هي تسعة فنزل وعدها فإذا هي عشرة حتى فعل ذلك مراراً فقال المشي خير من ضياع حمار فمشى حتى كاد أن يتلف إلى أن وصل.

(١٣٨) اشترى أبو عبد الحميد سمكة ونام إلى أن تستوي فأكلتها امرأته مع نساء ومسحت شفتيه وأطراف أصابعه منها فانتبه وقال هاتوا السمكة فقالت امرأته: يا مخبل ألست قد أكلتها ونمت دون تغسل يديك فشم يده فوجد ريح السمك فغسل يده وقال: وما رأيت سمكة امرأ من هذه قد جعت فهيئوا لي الغداء.

(١٣٩) اشترى غندر سمكاً وقال لأهله أصلحوه ونام فأكلوا السمك ولطخوا يده به فلما انتبه قال: قدموا السمك قالوا أكلته قال: صدقتم ولكني ما شبعت.

(١٤٠) قال المأمون لرجل اختر اسماً أسمّي به جاريتي قال سمها (جامع دمشق) فإنه أحسن شيء.

(١٤١) مات جار لمكي فلم يتبع جنازته فليم على ذلك فقال: أنتم مجانين أذكر بنفسي.

(١٤٢) سقط أخ لعثمان بن سعيد في البئر فقال له أخوه: أنت في البئر قال أما تراني قال لا تذهب حتى أجيئك بمن يخرجك.

(١٤٣) نزل الموت بزوج امرأة فقيل لها: لو دخلت عليه وودعته؟ قالت: أخاف أن يعرفني ملك الموت.

(١٤٤) جاءت امرأة إلى القاضي وادعت أن زوجها طلقها فقال: ألك بينة قالت نعم جارنا فأحضرته فقال القاضي: سمعت طلاق هذه المرأة فقال: يا سيدي خرجت إلى السوق فاشتريت خبزاً ولحماً ودبساً وزعفراناً فقال القاضي ما سألتك عن هذا هل سمعت طلاق هذه المرأة فقال: ثم تركته في البيت وعدت فاشتريت حطباً وخلاً فقال: دع هذا عنك فقال: ما أعرف أتكلم بالحديث إلا من أوله ثم جلت في الدار جولة فسمعت زعقاتهم وسمعت الطلاق الثلاث فما أدري أهي طلقته أم هو طلقها.

(١٤٥) نظر مغفل إلى منارة فقال: ما كان أطول من بناها فقال له آخر: ما أجهلك ترى إن في الدنيا أحداً طولها إنما بنوها على الأرض ثم رفعوها.

(١٤٦) رئي رجل راكباً على حمار وهو يضربه فقيل له أرفق به فقال إذا لم يقدر يمشي فلم صار حماراً.

(١٤٧) مرض صديق لحامد بن العباس فأرسل ابنه يعوده وأوصاه فقال: إذا دخلت فاجلس في أرفع المواضع وقل للمريض: ما تشكو؟ فإن قال: كذا وكذا فقل له: سليم إن شاء الله وقل من يجيئك من الأطباء: فإذا قال فلان فقل: ميمون وقل: ما غذاؤك فإذا قال كذا وكذا فقل: طعام محمود فدخل على العليل وبين يديه منارة فجلس عليها فوقعت على صدر العلل فأوجعته ثم قال له: ما تشكو قال علة الموت قال: سليم إن شاء الله فمن يجيئك من الأطباء قال: ملك الموت قال مبارك ميمون فما غذاؤك قال: سم الموت قال طعام طيب محمود.

(١٤٨) جاءت امرأة تستعير من جارتها أزرار فقالت: قد غزلت عشرة أساتير فاصبري حتى أتم غزله وأسلمه إلى الحائك ويفرغ منه ثم أعطيك إياه ولكن احذري أن تمري بمسمار فيعلق به فيخرقه فإنه جديد.

(١٤٩) مر رجل بقوم يضربون رجلاً فقال لبعضهم: ما ذنب هذا؟ قال: والله ما أدري لكني رأيتهم يضربونه فضربته معهم لوجه الله وطلباً للثواب.

(١٥٠) كان لرجل آخر أربعة دراهم فجاء يقتضيه فقال: غداً أعطيك فقال: لا أذهب حتى تحلف لي إنك تعطينيها غداً فحلف له إنك أن جئت لا تذهب إلا وهي معك فجاء من الغد فقال: ما عندي شيء وإنما حلفت إنك لا ترجع إلا ولحيتك معك فذهب إلى الحجام وحلق لحيته وما برح حتى أخذ الدراهم.

(١٥١) قيل لرجل من أهل طرسوس: ما نجمك؟ قال: التيس فقيل: ليس في النجوم ما اسمه التَّيس قال: قد قيل لي وأنا صبي نجمك الجدي فلا شك إنه قد صار تيساً.

(١٥٢) كان مغفل يقود حماراً فرآه رجلان فقال إحداهما للآخر: أريد أن آخذ هذا الحمار فتقدم ونزع الرسن من رأس الحمار وتركه في رأس نفسه وقال لرفيقه: خذ الحمار واذهب فأخذه ومشى الرجل خلف المغفل والرسن في رأسه وبعد مدة وقف فجذبه فلما مشى فالتفت فرآه رجلاً فقال: أين حماري؟ فقال: أنا هو قال: وكيف هذا قال: كنت عاقاً لوالدتي فمسخت حماراً والآن رضيت عني فعدت آدمياً فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله وكيف كنت أستخدمك وأنت آدمي قال: قد كان ذلك قال: فاذهب في دعة الله واجعلني في حل ومضى المغفل إلى بيته فقال لزوجته: أتدرين أن حمارنا كان آدمياً مسخ ثم عاد آدمياً ثم إنه ذهب إلى السوق ليشتري حماراً فوجد حماره ينادى عليه فاشتراه ثم سارهُ وقال: يا مدبر عدت إلى عقوق أمك.

(١٥٣) شهد رجل عند بعض القضاة فقال: المشهود عليه كيف تقبل شهادته وعنده عشرون ألف دينار ولم يحج فقال: بلى قد حججت قال فاسأله عن زمزم؟ فقال: حججت قبل أن تحفر.

(١٥٤) تقدم المتوكل إلى صاحب خزانة السلاح ليبتاع ألفي رمح طول كل أربعة عشرون ذراعاً فقال: هذا الطول فكم يكون العرض.

(١٥٥) تضجر عمر بن عبد العزيز من كلام رجل بين يديه فقال له صاحب شرطته: قم فقد أوذيت الأمير، فقال عمر: والله إنك لأشد أذى لي بكلامك هذا منه.

(١٥٦) خطب وكيع بن أبي سوار بخراسان فقال: إن الله خلق السماوات والأرض في ستة أشهر فقيل: إنها ستة أيام فقال: الله لقد قلتها وأنا أستقلها.

(١٥٧) أجريت خيل فطلع فيها فرس سابق فجعل رجل من النظارة يكبر ويثب فقال له رجل إلى جانبه: يا فتى أهذا الفرس السابق لك فقال: لا ولكن اللجام لي.

(١٥٨) ذهب رجل ليشتري لأمه كفناً فقال للبائع: لا تنتخبه فإنها رحمها الله كانت رديئة الملبس.

(١٥٩) كان بالبصرة ثلاثة إخوة من بني عتاب بن أسيد فكان أحدهم يحج عن حمزة بن عبد المطلب ويقول: استشهد قبل أن يحج والآخر يضحي عن أبي بكر وعمر ويقول غلطا في ترك الأضحية والثالث يفطر عن عائشة ويقول غلطت في صومها أيام التشريق.

(١٦٠) سئل خطيب: أيما أفضل معاوية أم عيسى ابن مريم؟ فقال: سبحان الله نقيس كاتب الوحي بنبي النصارى.

(١٦١) كان ابن عمر يمازح جاريته فيقول: خلقني خالق الكرام وخلقك خالق اللئام فتغضب وتصيح وهو يضحك.

(١٦٢) قال ابن الماشجون: كان لي صديق مدني أقام بالكوفة فقلت: كيف أقمت بها وهم ينتقصون الشيخين؟ فقال: قد رأيت منهم أعجب من ذلك أنهم يفضلون الكباشي على معبد في الغناء فسمع المهدي بذلك فضحك حتى استلقى.

(١٦٣) سمع عمر بن عبد العزيز رجلاً ينادي يا أبا العمرين فقال: لو كان له عقل لكفاه أحدهما.

(١٦٤) لما كان الحجاج يحارب ابن الزبير بمكة أيام عبد الملك بن مروان وكان عبد الملك وضع رجالاً بينه وبين مكة بين أحدهم والآخر قدر ما يسمع صوته إذا صاح فكانت الأخبار تأتيه في حينها بواسطة هؤلاء فلما ملك الحجاج جبل أبي قبيس المشرف على الكعبة أرسل يخبر عبد الله بذلك فكبر عبد الملك فسمعه أهل الدار فكبروا فسمعهم أهل السوق فكبروا فسمعهم من في المسجد فكبروا حتى علا التكبير من جميع أهل دمشق وسألوا عن السبب فقيل لهم: أن الحجاج ملك أبا

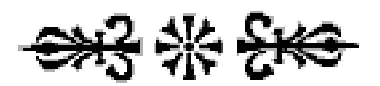
قبيس فقالوا: لا نرضى حتى تؤتى بهذا الترابي الخبيث مكتوفاً ويطاف به على جمل (يعنون أبا قبيس).

(١٦٥) قيل لرجل أنت أسن أم أخوك قال: إذا جاء رمضان تساوينا.

(١٦٦) جاء رجل إلى جاره يستعير منه حبلاً فقال: نشرنا عليه البرغل المسلوق.

(١٦٧) طلب بعض الخلفاء أمراً من رجل فامتنع عليه فحبسه فقام يصلي في الحبس ويدعو فجلس إليه شيخ وجعل يبكي فظن أن بكاءه لما لحقه من الخشية لله تعالى فسأله ذلك فقال: إنني راع وحبست في جناية وعندي تيس له لحية تشبه لحيتك فلما رأيتك تحرك لحيتك تذكرت التيس فبكيت فأرسل إلى الخليفة قد أجبتك إلى كل ما تريد لئلا أحبس مع مثل هذا الراعي.

(١٦٨) كان رجل يهتم لكل ما يسمع من مصيبة تقع حتى يمتنع عن الطعام والشراب فسمي أبو الهموم فاشترى يوماً رأساً وكرشاً وكراعاً وقال لزوجته: اطبخيها لنأكل اليوم في هناء فإني لم أسمع بشيء مزعج فطبختها فلما نضجت ووضعتها في الصفحة أرادت أن تستأثر بأكلها فقالت له: أما سمعت ما حدث عند جيراننا قال: لا، قالت: ولدت حمارتهم فلواً بلا ذنب ولا أذنين فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله إذا حملوه وبرك بالحمل فبأي شيء يقيمونه وهو لا ذنب له ولا أذنان ارفعي الطعام فرفعته وأكلته وحدها.



الفصل السابع

في نوادر الأذكياء ومستطرف أخبارهم

(١) جاء رجل إلى سليمان عليه السلام فقال: إن لي جيران يسرقون أوزي فنادى الصلاة جامعة ثم خطبهم فقال في خطبته: واحدكم يسرق أوز جاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه فمسح رجل رأسه فقال: خذوه فإنه صاحبكم.

(٢) أتت امرأة عمر بن الخطاب فقالت: إن زوجي يصوم النهار ويقوم الليل فقال لها: نعم الزوج زوجك فجعلت تكرر عليه القول وهو يكرر عليها الجواب فقال له كعب ابن سور الأسدي: إنها تشكو زوجها في مباعدته إياها عن فراشه فقال: كما فهمت كلامها فاقضِ بينهما فقال: علي بزوجها فأتى به فقال: إن امرأتك هذه تشكوك فقال: أفي طعام أو شراب قال لا، فقالت المرأة:

إلهي خليلي عن فراشي مسجده ... زهده في مضجعي تعبده
نهاره وليله ما يرقده ... فلست في أمر النساء أحمده

فقال الرجل:

زهدت في فراشها وفي الخجل ... إني امرؤ أذهلني ما قد نزل
في سورة النمل وفي السبع الطول ... وفي كتاب الله تخويف جلل

فقال كعب:

إن لها حقاً عليك يا رجل ... نصيبها في أربع لمن عقل
فأعطها ذاك ودع عنها العلل

ثم قال: إن الله عز وجل أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع فلك ثلاثة أيام تعبد فيهن ربك ولها يوم وليلة فقال عمر: والله ما أدري من أي أمريك أعجب أمن فهمك أمرهما أم من حكمك بينهما أذهب فقد وليتك قضاء البصرة فبقي إلى حرب الجمل وقتل مع عائشة.

الأذكياء من الملوك والولاة والأشراف

(٣) رأى المنصور رجلاً مهموماً فسأله عن حاله فأخبره أنه كان عنده مال دفعه إلى امرأته فذكرت أنه سرق ولم تر نقباً فقال له منذ كم تزوجتها؟ قال: منذ سنة قال: أبكراً تزوجتها؟ قال: لا، قال: ألها ولد من سواك قال لا قال فشابة هي أم مسنة؟ قال: شابة فدعا له بقارورة طيب حاد الرائحة غريب النوع وقال: تطيب منها فإنه يذهب همك فلما خرج قال المنصور لأربعة من ثقاته ليقعد كل واحد منكم على باب من أبواب المدينة فمن شممتم منه رائحة هذا الطيب فأتوني به ودفع الرجل الطيب إلى زوجته وقال لها: وهبه لي أمير المؤمنين عليه السلام وكانت دفعت المال إلى رجل تحبه فلما جاء طيبته من الطيب فلما مر ببعض أبواب المدينة شم الموكل بالباب منه رائحة الطيب فأخذه وأتي به المنصور فقال: من أين لك هذا الطيب قال: اشتريته قال: ممن؟ فتلجلج وخلط في كلامه فدعا صاحب الشرطة وقال خذ هذا فإن أحضر كذا من الدنانير فخل سبيله وإن امتنع فاضربه ألف سوط ثم أوصاه سراً بأن يهول عليه ولا يضربه فلما سجنه وجرده للضرب أقر وأحضر الدنانير فأعطاها للرجل وأمره بطلاق امرأته وخبره خبرها.

(٤) سرق لرجل خمسمائة دينار فحمل المتهومين إلى الوالي فقال لهم أنا لا أضرب أحداً منكم بل عندي خيط ممدود في بيت مظلم إذا أمر السارق يده عليه التف على يده فليمر كل منكم يده عليه من أوله إلى آخره ويلف يده في كمه ويخرج وكان سوّد الخيط بما يلتصق على اليد فدخلوا ثم خرجوا فوجد أيديهم مسودة إلّا واحداً فعلم أنه السارق.

(٥) قال بعض العلماء المجتهدين لأحد الملوك الصفوية في إيران: يجب أن تكون جميع أمور المملكة بيد المجتهدين لأنهم حملة الشريعة فأجابه الملك إلى ذلك وفي اليوم الثاني جيء بقتيل ذبح بسكين لا يعلم قاتله فأخبروا الملك به فأمر أن يرجعوا فيه إلى المجتهد فأخبروه فقال: هل تتهمون أحداً قالوا: لا علم لنا قال فاذهبوا فادفنوا قتيلكم فأخبروا الملك فأمر بإحضار القتيل بمحضر المجتهد وتأمل في ثياب القتيل وقال: علي بالجزارين فأحضروا فأقامهم صفين وجعل يتفرس في وجوههم ويستمع إلى دقات قلوبهم ثم دعا بواحد منهم وهدده فأقر بالجناية فسأل

عن ذلك فقال: نظرت إلى ثياب القتيل فوجدت الذي ذبحه قد مسح السكين بثيابه فعلمت أنه جزار لأن عادة الجزار أن يمسح السكين بجلد الشاة بعد الفراغ من ذبحها ولما جمعت الجزارين رأيت أحدهم قد اصفر وجهه وسمعت خفقات قلبه فعلمت أنه القاتل وقررته فأقر.

(٦) كان بعض البغداديين من التجار ساكناً في همذان زمن الملوك القاجارية وكان مشهوراً بالصلاح فبينما هو عائد إلى داره ليلاً لقيه جماعة فقالوا: اقبض طرف عباءتك فقبضه فوضعوا فيه رأس إنسان وهربوا فتحير في أمر الرأس ثم عزم أن يدفنه ولا يخبر أحداً فدفنه وأصبح الخبر أنه وجد قتيل بدون رأس والعادة في إيران أنه إذا وقع مثل ذلك يكلف بكشفه مدير البوليس ويسمى (الداروغة) ويطلق له الدخول إلى أي محل أراد فكان الدراوغة يجيء إلى الخان الذي فيه التاجرالبغدادي أثناء تفتيشه ويدعو بكرسي ويجلس عليه مقابل حجرة التاجر ففعل ذلك أياماً ثم أتى إلى دار التاجر ليلاً وقال له: أنت لك علم بهذا القتيل ولست بقاتل فأخبرني ما تعلمه فأنكر التاجر ذلك فلم يقبل منه إلى أن أخبره بما جرى له فسأله عن هيئة الذين لقوه فأخبره أن هيئتهم تدل على أنهم من خارج المدينة فبحث عنهم حتى عرفهم وسئل الداروغة ما الذي رأيت من التاجر حتى علمت بأن عنده علماً بالقتيل مع اشتهاره بالصلاح قال كنت كلما دخلت الخان الذي هو فيه يجتمع جميع أهل الخان للنظر إلي ويطلون من أبواب حجرهم إلّا هو فإنه يتشاغل عني ولا ينظر إليّ ما دمت في الخان فعلمت أن عنده علماً مما جرى ولكنه ليس بقاتل لشهرته بالصلاح.

(٧) لطم رجل الأحنف بن قيس فقال: لِمَ لطمتني؟ قال جعل لي جعل على لطم سيد بني تميم قال: لست بسيدهم إنما سيدهم حارثة بن قدامة فذهب فلطمه فقطع يده وذاك ما أراد الأحنف.



أخبار أياس بن معاوية
الذي يضرب به المثل في الذكاء

(٨) دخل على أياس بن معاوية ثلاث نسوة فقال: واحدة مرضع والأخرى بكر والثالثة ثيب فسئل عن ذلك فقال: أما المرضع فلما قعدت أمسكت ثدييها بيدها وأما

البكر فلما دخلت لم تلتفت إلى أحد وأما الثيب فلما دخلت رمقت بعينيها يميناً وشمالاً.

(٩) استودع رجل رجلاً معروفاً بالأمانة مالاً وذهب إلى مكة فلما رجع طالبه بالمال فجحده فأخبر أياساً قال: علم أنك أتيتني؟ قال: لا، قال: فنازعته عند أحد قال: لا، قال: انصرف واكتم أمرك وعد إلي بعد يومين ودعا أياس أمينه فقال له: حضر مال كثير أريد أن أسلمه لك أفحصين منزلك قال: نعم، قال: فأعد موضعاً للمال وقوماً يحملونهُ وعاد الرجل فقال له اياس: انطلق إلى صاحبك واطلبه بالمال فإن وضعه وإلا فقل له: إني أخبر القاضي فأتى الرجل صاحبه فقال مالي وإلّا أخبرت القاضي فدفعه إليه فرجع الرجل إلى أياس فقال: أعطاني المال وجاء الأمين إلى أياس فزبره وانتهرهُ وقال لا تقربني يا خائن.

(١٠) رأى أياس صدعاً في الأرض فقال تحت هذا دابة فنظروا فإذا حية فقيل: من أين علمت قال: رأيت ما بين الآجرتين ندياً دون غيره فعلمت أن تحتها شيئاً يتنفس.

(١١) سمع أياس نباح كلب فقال هذا كلب مشدود ثم سمع نباحه فقال قد أطلق فسئل عنه فقال: كان نباحه وهو موثق من مكان واحد ثم صار يقرب مرة ويبعد أخرى.

(١٢) مر أياس ليلة بماء فقال: أسمع نباح كلب غريب فقيل: كيف عرفته قال: بخضوع صوته وشدة نباح الآخرين فسألوا فإذا كلب غريب والكلاب تنبحه.

(١٣) استودع رجل رجلاً مالاً ثم طلبه فجحده فخاصمه إلى أياس بن معاوية فقال له هل حضرك أحد قال: لا، قال في أي موضع دفعته له قال في موضع كذا قال: أي شيء في ذلك الموضع قال شجرة قال: انطلق إلى الموضع وانظر إلى الشجرة لعلك تتذكر شيئاً ولعلك دفنت مالك عند الشجرة وتتذكر إذا رأيتها فمضى ثم التفت إلى خصمه وقال تراه بلغ موضع الشجرة قال: لا، قال يا عدو الله إنك لخائن قال: أقلني أقالك الله فلما رجع الرجل قال قد أقر بحقك فخذه.

(١٤) رأى أياس رجلاً فقال هذا غريب من أهل واسط أبق له غلام أسود؛ فسئل الرجل فكان كذلك، فقالوا مم علمت قال: أما أنه غريب فلأنه يلتفت يميناً

وشمالاً وأما أنه من أهل واسط فلأن عليه من ترابها وأما أنه أبق له غلام أسود فلأنه كلما رأى جماعة من السودان وقف ينظر إليهم.



الأذكياء من العلماء

(١٥) كان إبراهيم النخعي إذا طلبه إنسان لا يحب أن يلقاه خرجت الخادمة فقالت اطلبوه في المسجد.

(١٦) كان بعض أئمة أهل البيت عليهم السلام إذا طلبه من لا يحب لقاءه يأمر الجارية أن تخط دائرة وتضع يدها في وسطها وتقول ليس هنا ليس هنا أي في الدائرة.

(١٧) كان محمد بن الحسن الفقيه ابن خالة الفرا النحوي المشهور؛ فقال له محمد يوماً: يا أبا زكريا قد أمعنت النظر في العربية فأسألك عن باب من الفقه قال: هات على بركات الله تعالى، قال: ما تقول في رجل صلى فسها فسجد سجدتي للسهو فسها فيهما ففكر الفرا ساعة ثم قال: لا شيء عليه، قال له محمد ولِمَ قال لأن التصغير عندنا لا تصغير له وإنما السجدتان تمام الصلاة فليس للتمام تمام، قال: محمد ما ظننت آدمياً يلد مثلك.



أخبار أبي حنيفة

(١٨) كان الربيع حاجب المنصور يعادي أبا حنيفة فقال يوماً للمنصور: هذا أبو حنيفة يخالف جدك كان عبد الله بن عباس يقول إذا حلف الرجل ثم استثنى بعد يوم أو يومين جاز وهو يقول: لا يجوز الاستثناء إلا متصلاً فقال أبو حنيفة: يا أمير المؤمنين الربيع يزعم أنه ليس لك في رقاب جندك بيعة لأنهم يحلفون ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون فضحك المنصور وقال: يا ربيع لا تعرض لأبي حنيفة.

(١٩) كان أبو العباس الطوسي سيئ الرأي في أبي حنيفة فدخل أبو حنيفة على المنصور وكثر الناس فقال الطوسي: يا أبا حنيفة أمير المؤمنين يدعو الرجل منا

فيأمره بضرب عنق الرجل لا يدري ما هو أيسعه أن يضرب عنقه فقال: أمير المؤمنين يأمر بالحق أو بالباطل قال: بالحق قال: أنفذ الحق حيث كان ثم قال لرجل بجانبه هذا أراد أن يوثقني فربطته.

(٢٠) قال أبو حنيفة: احتجت إلى ماء بالبادية فجاء أعرابي معه قربة فأبى أن يبيعها إلا بخمسة دراهم فاشتريتها منه ثم قلت: ما رأيك في السويق فقال: هات فأعطيته سويقاً بزيت فأكل حتى إمتلأ فعطش فقال: شربة فقلت بخمسة دراهم فشرب قدحاً واسترددت الخمسة الدراهم وبقي الماء.

(٢١) استودع رجل من الحجاج رجلاً بالكوفة وديعة فلما رجع جحدها فأخبر أبا حنيفة فقال: لا تخبر أحداً بجحوده وكان الجاحد يجالس أبا حنيفة فقال له: إن هؤلاء بعثوا يستشيرونني في رجل يصلح للقضاء فهل تنشط لذلك فتمانع الرجل قليلاً وجعل أبو حنيفة يرغبه ثم جاء صاحب الوديعة فقال له: اذهب وقل له أحسبك نسيتني أودعتك في يوم كذا والعلامة كذا فدفع إليه الوديعة ورجع إلى أبي حنيفة فقال له: إني نظرت في أمرك فأردت أن أرفع قدرك ولا أسميك حتى يحضر ما هو أجل من هذا.

(٢٢) جاء فتى إلى أبي حنيفة فقال: إني أريد التزوج وليس عندي مال قال: اخطب من شئت وارض بما يطلبون من المهر فخطب فلما عقدوا النكاح بينهم قال له: أظهر أنك تريد الخروج إلى بلد بعيد وتسافر بأهلك فإذا طلبوا الطلاق فقل لهم لا أطلق إلا بأربعة آلاف درهم فاكترى دواباً وأحضرها فلما علم أهل المرأة شق عليهم ذلك فأخذوه إلى أبي حنيفة فقال له: أن يخرجها إلى حيث شاء قالوا: ما يمكننا أن ندعها تخرج قال: فأرضوه وادفعوا له أربعة آلاف درهم ليطلقها قالوا: نعم، قال: طلقها وخذ الدراهم فأبى وقال: لا أطلقها إلا بعشرة آلاف درهم فغمزه فأبى قال: اذهبوا الآن وائتوني غداً فذهبوا فقال له: لِمَ لم تطلقها فقال لا أقبل إلا بعشرة آلاف فقال إن لم يقبل قلت لها أن تعترف لرجل بدين فلا يمكنك السفر بها حتى تدفع ما عليها من الدين فقال الله الله لا يسمعوا بهذا فأرسل إليهم وأخذ منهم المال وطلقها فقال: اذهب الآن وتزوج من شئت.

(٢٣) ابتلي رجل بمحبة امرأة فأتى أبا حنيفة فأخبره أن ماله قليل وأنهم إذا

علموا ذلك لم يزوجوه قال: أتبيعني ذكرك باثني عشر ألف درهم قال: لا، قال فأخبرهم أني أعرفك فمضى فخطبها قالوا من يعرفك قال أبو حنيفة فسألوه عنه فقال: أعطي في سلعة اثني عشر ألف درهم فلم يبع فزوجوه فلما علمت المرأة حاله جاءت إلى أبي حنيفة في حليها وحللها فقالت: فتوى فدخلت وأسفرت عن وجهها وأبدت محاسنها فقال: تستري قالت: ما يمكن قد وقعت في أمر لا يخلصني منه إلا أنت أنا بنت هذا البقال الذي على رأس هذا الدرب وقد بلغت عمراً واحتجت إلى الزوج وهو لا يزوجني ويقول لمن يخطبني ابنتي عوراء قرعاء شلاء ثم حسرت عن وجهها ورأسها ويديها ويقول بنتي زمنة وكشفت عن ساقيها وأريد أن تدبرني فقال: ترضين أن تكوني لي زوجة فقبلت قدميه وقالت: من لي بغلامك فأحضر البقال وقال: زوجني ابنتك فقال: يا سيدي أستر ما ستر الله أنا لي بنت تصلح للتزويج عندي بنت عوراء قرعاء شلاء قال: رضيت بها على ما وصفت فزوجه بها على مائة وخمسين ديناراً وأمره أن يحملها إليه فوضعها أبوها في محفة وحملها إليه بين اثنين فلما رآها أبو حنيفة قال: ما هذا قال أمها طالق إن كانت لي بنت غيرها فعلم أنه خدع فطلقها ثم جاءت تلك المرأة إليه فقال: ما حملك على ما فعلت قالت: وأنت ما حملك على أن غررتنا برجل فقير.

الأذكياء من الأعراب

(٢٤) أسرت بنو شيبان رجلاً من بلعنبر فقال لهم: أرسل إلى أهلي ليفدوني قالوا: لا تكلم الرسول إلا بين يدينا فجاؤوه برسول فقال له: ائت قومي فقل لهم إن الشجر قد أورق وإن النساء قد اشتكت ثم قال له: تعقل، قال: نعم أعقل قال فما هذا وأشار بيده قال: الليل قال أراك تعقل انطلق وقل لأهلي عروا جملي الأصهب واركبوا ناقتي الحمراء وسلوا حارثة عن أمري فأتاهم الرسول فأرسلوا إلى حارثة فقال لهم أما قوله إن الشجر قد أورق فإنه يريد أن القوم قد تسلحوا وقوله النساء قد اشتكت أي اتخذن الشكاء للغزو وهي الأسقية وقوله هذا الليل يريد يأتونكم مثل الليل أو في الليل وقوله عروا جملي الأصهب يريد ارتحلوا عن الصمان وقوله اركبوا

ناقتي الحمراء يريد انزلوا الدهناء فتحملوا من مكانهم فأتاهم القوم فلم يجدوا أحداً.

(٢٥) ضاف أعرابي حضرياً وللحضري زوجة وابنان وبنتان فذبح له دجاجة وقال أقسمها بيننا يريد أن يضحك منه فقال الرأس للرئيس والجناحان للولدين والساقان للبنتين والعجز للعجوز والزور للزائر فلما كان الغد ذبح الحضري خمس دجاجات وقال أقسم بيننا فقال: شفعاً أو وتراً قال: وتراً قال أنت وامرأتك ودجاجة ثلاثة وابناك ودجاجة ثلاثة وابنتاك ودجاجة ثلاثة وأنا ودجاجتان ثلاثة قالوا فاقسمها شفعاً فقال أنت وابناك ودجاجة أربعة والعجوز وابنتاها ودجاجة أربعة وأنا وثلاث دجاجات أربعة ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: الحمد لله أنت فهمتها لي.

(٢٦) استأذن حاجب بن زرارة على كسرى فقال له الحاجب: من أنت قال رجل من العرب فلما دخل قال له: من أنت قال سيد العرب قال ألم تقل للحاجب: أنا رجل منهم قال: وقفت بباب الملك وأنا رجل منهم فلما صرت إليه سدتهم قال: احشوا فاه دراً.

(٢٧) قيل لأعرابي أتهمز إسرائيل قال: إني إذاً لرجل سَوْ قيل أتجر فلسطين قال أني إذاً لقوي.

(٢٨) نزل أعرابي في سفينة فاحتاج إلى البراز فصاح الصلاة الصلاة فقربوا إلى الشط فخرج فقضى حاجته ثم رجع وقال ادفعوا فعليكم بعد وقت.

(٢٩) حضر أعرابي مائدة سليمان بن عبد الملك فجعل يمد يديه فقال له الحاجب: كل مما بين يديك فقال: من أجدب انتجع فشق ذلك على سليمان وقال: لا يعد إلينا (ودخل) أعرابي آخر فمد يديه فقال له الحاجب كل مما يليك فقال: من أخصب تخير فأعجب ذلك سليمان وقضى حوائجه.

(٣٠) قال المهدي لعجوز من طيء: ما منع طيأ أن يكون فيهم آخر مثل حاتم؟ قالت: الذي منع الملوك أن يكون فيهم مثلك فعجب من جوابها ووصلها.

(٣١) خطب المغيرة بن شعبة امرأة من بني الحارث بن كعب فقال له شاب منهم: لا خير لك فيها أيها الأمير رأيت رجلاً يقبلها ثم بلغه أن الفتى تزوجها فقال: ألم تعلمني أنك رأيت رجلاً يقبلها قال: بلى أباها.

(٣٢) كان عند بعض الأعراب ناقة فضجر منها وحلف ليبيعها بدرهم ثم ندم

فأخبر زوجته فقالت خذ السنور وناد عليه بثلاثمائة درهم وعلى الناقة بدرهم وقل لا أبيعها إلا سوية ففعل وتخلص من يمينه.

(٣٣) تنكر الحجاج وخرج فمر على المطلب غلام أبي لهب فقال له: أي شيء خبر الحجاج قال: عليه لعنة الله قال: فمتى يخرج قال: أخرج الله روحه من بين جنبيه قال: أتعرفني قال: لا، قال: أنا الحجاج قال له: أتعرفني قال: لا، قال: أنا المطلب غلام أبي لهب أصرع في كل شهر ثلاثة أيام هذا أولها فتركه.

(٣٤) ولى الحجاج رجلاً من الأعراب بعض المياه فانكسر عليه بعض خراجه فأحضره ثم قال له: يا عدو الله أخذت مال الله قال: فمال من آخذ أنا والله مع الشيطان منذ أربعين سنة حتى يعطيني حبة ما أعطاني.

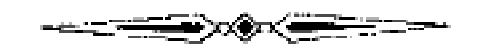
(٣٥) انفرد الحجاج يوماً من عسكره فلقي أعرابياً فقال: كيف الحجاج فقال: ظالم غاشم فقال: هلا شكوته إلى عبد الملك فقال: لعنه الله أظلم منه وأغشم ثم جاء العسكر وعلم أنه الحجاج فصاح به يا حجاج السر الذي بيني وبينك لا يطلع عليه أحد فضحك وتركه.



الأذكياء من الصبيان

(٣٦) قال أبو محمد الترمذي كنت أؤدب المأمون فأتيته يوماً وهو داخل فوجهت إليه فأبطأ ثم وجهت إليه فأبطأ فلما خرج ضربته سبع درر فإنه ليدلك عينيه من البكاء إذ قيل أقبل جعفر بن يحيى فمسح عينيه من البكاء وجمع ثيابه وقام إلى فراشه فقعد عليه متربعاً ثم قال ليدخل فقمت عن المجلس وخفت أن تشكوني إليه فأقبل بوجهه وحدثه حتى أضحكه وضحك إليه فلما هم بالخروج دعا بدابته ودعا غلمانه فسعوا بين يديه ثم سأل عني فجئت قال: خذ علي بقية وردي فقلت أيها الأمير أطال الله بقاءك لقد خفت أن تشكوني إلى جعفر بن يحيى فقال: تراني يا أبا محمد كنت أطلع الرشيد على هذا فكيف بجعفر إنني أحتاج إلى أدب إذن يغفر الله لك بعداً لظنك ووجيب قلبك خذ في أمرك فقد خطر ببالك ما لا تراه أبداً ولو عدت في كل يوم مائة مرة.

(٣٧) لما ولي عمر بن عبد العزيز وفد عليه الوفود من كل بلد فوفد عليه الحجازيون فتقدم منهم غلام للكلام حدث السن فقال عمر لينطق من هو أسنُّ منك فقال الغلام: إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه فإذا منح الله العبد لساناً لافظاً وقلباً حافظاً فقد استحق الكلام ولو كان الأمر بالسن لكان في هذه الأمة من هو أحق منك بمجلسك فتعجب عمر من كلامه وسأل عن سنه فإذا هو ابن إحدى عشرة سنة.



الأذكياء من النساء

(٣٨) كان رجل متزوجاً بالأهواز فسار إلى البصرة مرة فتزوج بها وكان للبصرية ابن عم يكاتبه فوقع كتاب منه في يد الأهوازية فعلمت الحال فكتبت إليه من حميه البصري بأن امرأتك قد ماتت فأراد الخروج فقالت الأهوازية: أراك مشغول القلب وأظن أن لك بالبصرة امرأة قال معاذ الله قالت فاحلف بطلاق كل امرأة لك غيري غائبة أو حاضرة فحلف فأخبرته بالحال.

(٣٩) قال عمر بن الخطاب: لا تزيدوا في مهور النساء على أربعمائة درهم فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال فقالت امرأة: ما ذاك لك أن الله تعالى يقول ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٢٠] فقال: امرأة أصابت ورجل أخطأ.

(٤٠) قالت امرأة لزوجها وكانت حسناء وهو قبيح دميم: ابشر فإني وإياك في الجنة قال: ولم قالت: لأنك أعطيت فشكرت وابتليت فصبرت.

(٤١) جاءت دلالة إلى رجل فقالت عندي امرأة كأنها طاقة نرجس فتزوجها فإذا هي عجوز قبيحة فقال لها: غششتني فقالت: إنما شبهتها بطاقة نرجس لأن شعرها أبيض ووجهها أصفر وساقها أخضر.



الأذكياء من سائر الناس

(٤٢) مر حائك على طبيب فرآه يصف لهذا النقوع ولهذه التمر الهندي ولهذا

الزبيب فقال: من لا يحسن مثل هذا فذهب إلى زوجته وقال: أعطيني عمامة كبيرة قالت: ما طرأ عليك قال: أريد أن أكون طبيباً قالت: لا تفعل فإنك تقتل الناس فيقتلوك قال: لا بد من ذلك فقعد يصف للناس فحصل قراريط فقال لزوجته: أنا كنت أعلم كل يوم بحبه فانظري ما حصلت فلما كان اليوم الثاني مرت به زوجة الملك وجاريتها والجارية مريضة فقالت سيدتها: أشتهي أن يداويك هذا الطبيب الجديد فوصف لها دجاجة مطبوخة فقويت فبلغ ذلك الملك وكان به مرض فاتفق أنه وصف له شيئاً صلح به فقيل للملك: هذا حائك لا يعرف الطب قال: قد صلحت وصلحت الجارية على يديه فلا أقبل قولكم قالوا: نمتحنه بمسائل فامتحنوه فقال: إن أجبتكم لم تعلموا جوابها إذ لا يعلمه إلا طبيب ولكن هنا بيمارستان (مستشفى) فإن داويت من فيه وشفيتهم في ساعة واحدة وإلا فلست بطبيب قالوا: أنصف فدخل البيمارستان ومعه القيم فقال له: إنك والله إن تحدثت بما أعمل صلبتك وإن سكت أغنيتك قال: ما أنطق بشيء فأحلفه ثم قال: عندك زيت قال: نعم فأتى بزيت كثير ووضعه في قدر كبير وأوقد تحته فلما غلى جعل يدعو المرضى فيقول لأحدهم لا يصلح لمرضك إلا أن تنزل في الزيت فيقول: الله الله في أمري فيقول لا بد من ذلك فيقول: المريض أنا شفيت إنما كان بي قليل صداع وذهب فيقول له إذاً فما يقعدك هنا فاخرج وأخبرهم فيخرج وهو يعدو ويقول شفيت بإقبال هذا الطبيب ثم يدعو آخر فيقول له مثل ذلك فيقول أنا في عافية وأردت أن أخرج من أمس فيقول فاخرج وأخبر الناس إنك في عافية فيخرج عدواً ويقول شفيت ببركة هذا الطبيب وهكذا حتى أخرج الجميع.



من استعمل التورية والمعاريض في كلامه

(٤٣) عن عبد الرزاق عن أبيه أن حجراً المدري أمره محمد بن يوسف أن يلعن علياً عليه السلام فقال: إن الأمير محمد بن يوسف أمرني أن ألعن علياً فالعنوه لعنة الله فعماها على أهل المسجد فما فطن لها إلا رجل واحد.

(٤٤) قامت الخطباء إلى المغيرة بن شعبة بالكوفة فقام صعصعة بن صوحان

فتكلم فقال المغيرة: أخرجوه فأقيموه على المصطبة فيلعن علياً فقال: لعن الله من لعن الله ولعن علي بن أبي طالب فأخبر بذلك فقال لصعصعة: اقسم بالله لتقيدنه فخرج فقال: إن هذا يأبى إلا علي بن أبي طالب فالعنوه لعنه الله فقال المغيرة: أخرجوه أخرج الله نفسه.

(٤٥) ضرب الحجاج عبد الرحمن بن أبي ليلى وأقامه للناس ومعه رجل يحثه ويقول: ألعن علياً فيقول: اللهم العن الكذابين ثم يسكت ويقول: آه علي بن أبي طالب ثم يسكت ثم يقول المختار بن الزبير[1].

(٤٦) خطب رجل امرأة وتحته أخرى فقالوا: لا نزوجك حتى تطلق فقال: اشهدوا أني قد طلقت ثلاثاً فزوجوه فأقام على امرأته فأدعوا الطلاق فقال: أما تعلمون أنه كانت تحتي وفلانة فطلقتها وفلانة فطلقتها وفلانة فطلقتها قالوا: بلى قال: فقد طلقت ثلاثاً.

(٤٧) كلم رجل عيسى بن موسى في شيء وعنده عبد الله بن شبرمة القاضي فقال عيسى للرجل من يعرفك؟ قال: ابن شبرمة قال: أتعرفه قال: إني لأعلم أن له شرفاً وبيتاً وقدماً فسئل عن ذلك فقال اعلم أن له أذنين مشقوقتين وبيتاً يأوي إليه وقدما يطأ بها.

(٤٨) قال زياد لرجل أين منزلك؟ قال: وسط البصرة فما لك من الولد قال: تسعة فقيل لزياد: إن داره في أقصى البصرة عند المقابر وله ابن واحد فقال الرجل: داري بين أهل الدنيا والآخرة فهي وسط البصرة وكان لي عشرة بنين فقدمت تسعة فهم لي وبقي واحد لا أدري هو لي أم أنا له.

(٤٩) سئل بعضهم: ماذا تملك من الأرض؟ فقال: أملك أرضاً تسع ألف مد من الحنطة فعجب الحاضرون من كلامه لعلمهم أنه لا يملك أرضاً بهذه السعة وإنما أراد أنها تسع ذلك وضعاً لا زرعاً.

---

(١) الثلاثة منقولة عن أخبار الظراف لابن الجوزي.

الفصل الثامن

في نوادر الظرفاء وأخبارهم

(١) قيل لرجل من يحضر مائدة فلان قال: أكرم الخلق والأمهم (يعني الملائكة والذباب).

(٢) سقي رجل ماء بارداً ثم طلب فسقي ماء حاراً فقال: لعل مزملتكم يعتريها حمى الربع.

(٣) مرض مولى لسعيد بن العاص فبعث إليه: أنه ليس لي وارث غيرك وهاهنا ثلاثون ألفاً مدفونة فإذا مت فخذها فقال سعيد: ما أرانا إلا قصرنا في حقه وهو من شيوخ موالينا فبعث إليه بفرش وتعاهده فلما مات اشترى له كفناً بثلاثمائة درهم وشهد جنازته فلما رجع أمر أن يحفر الموضع الذي ذكره فلم يجد شيئاً ثم حفر موضعاً آخر فلم يجد شيئاً فحفر البيت كله فلم يجد شيئاً وجاءه صاحب الكفن يطلب الثمن فقال: لقد هممت أن أنبشه لما تداخله من الغيظ.

(٤) قيل لبعضهم: أي وقت تحب أن تموت قال إن كان ولا بد فأول يوم من شهر رمضان.

(٥) وقف أعمى بنخاس فقال له: اطلب لي حماراً ليس بالكبير المشتهر ولا بالصغير المحتقر إن خلا الطريق تدفق وإن كثير الزحام ترفق إذا أقللت علفه صبر وإذا أكثرته شكر إن ركبته هام وإن ركبه غيري قام فقال له: إن مسخ الله القاضي حماراً ظفرت بحاجتك.

(٦) كان بمكة رجل يجمع بين الرجال والنساء فشكوه إلى أميرها فنفاه إلى عرفات فبنى بها منزلاً وأرسل إلى حرفائه: ما يمنعكم أن تعاودوا ما كنتم فيه حمار بدرهمين وقد صرتم إلى الأمن والنزهة فكانوا يركبون إليه فعادوا يشكونه إلى الوالي فأرسل إليه وقال: يا عدو الله طردتك من حرم الله فصرت بفسادك إلى المشعر الأعظم فقال: يكذبون علي فقالوا: دليلنا حمير مكة فتجمع ويرسل بها إلى عرفات فإن لم تقصد منزله فنحن مبطلون ففعل ذلك فصارت إلى منزله فأمر بضربه فقال: والله ما علي في ذلك أشد من أن يضحك منا أهل العراق ويقولوا أهل مكة يحكمون بشهادة الحمير فضحك الوالي وتركه.

(٧) قيل لرجل: تحب أن تموت امرأتك فقال: لا، قيل: ولِمَ، قال: أخاف أن أموت من الفرح.

(٨) أدخل مخنث على العريان بن الهيثم أمير الكوفة فقال: يا عدو الله تخنث وأنت شيخ فقال مكذوب علي كما كذب على الأمير فقال: وما قيل فيّ قال: يسمونك العريان ولك عشرون جبة.

(٩) قال المتوكل لجلسائه: أتدرون ما الذي نقم على عثمان قالوا: لا، قال: أشياء منها أنه قام أبو بكر دون مقام النبي ﷺ بمرقاة وقام عمر دون أبي بكر بمرقاة فصعد عثمان ذروة المنبر فقال عبادة: ما أحد أعظم منة عليك يا أمير المؤمنين من عثمان لأنه لو كان كلما قام خليفة ينزل مرقاة كنت تخطبنا من بئر جلولاء فضحك المتوكل ومن حوله.

(١٠) قيل لطوسي: ما بلغ من شؤمك قال: ولدت يوم توفي رسول الله ﷺ وفطمت يوم توفي أبو بكر وختنت يوم مات عمر وراهقت يوم قتل عثمان وتزوجت يوم قتل علي وولد لي يوم قتل الحسين.

(١١) تظلم أهل الكوفة إلى المأمون من عاملهم فقال: ما علمت في عمالي أعدل منه فقال رجل منهم: قد لزمك أن تجعل لسائر البلدان نصيباً من عدله لتكون قد ساويت بين رعاياك فضحك وصرفه.

(١٢) دفعت امرأة لرجل يقرأ عند القبور رغيفاً وقالت: اقرأ عند قبر أبي فقرأ ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٨] قالت له: فهكذا يقرأ عند القبور قال: فايش أردت برغيف ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمٰن: ٥٤] ذاك بدرهم.

(١٣) ادعى جماعة على رجل بدين عند القاضي فأقر به وسأل أن يمهلوه إلى أن يبيع عقاره فقالوا: ليس له عقار ولا يملك شيئاً، فقال: سمعت أيها القاضي فأمر القاضي أن يركب على بغل ويطاف به في البلد لئلا يعامله أحد إلا بالنقد، فلما كان المساء نزل عن البغل فقال له المكاري: هات الأجرة، فقال: وفي أي شيء كنا من الصباح إلى الآن يا أحمق.

(١٤) قيل لرجل تحفظ القرآن قال: نعم قيل إيش أول الدخان قال: الحطب الأخضر.

(١٥) استأجر رجل داراً فجعل خشب السقوف يتفرقع فقال للمالك أصلح هذا السقف فإن خشبه يتفرقع لا بأس عليه فإنه يسبّح قال أخشى أن تدركه الرقة فيسجد.

(١٦) ضحى رجل عن امرأته ستين سنة فسمع محدثاً يحدث أنه يحشر الناس يوم القيامة وبين أيديهم ضحاياهم فقال: إن كان كما تقول فامرأتي يوم القيامة تحشر راعياً بعصاوين.

(١٧) قيل لمزيد إذا نبح الكلب عليك فاقرأ: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾ [الرحمٰن: ٣٣] إلى آخر الآية فقال الوجه عندي أن يكون معك عصى فليس كل الكلاب يحفظ القرآن.

(١٨) كان الحاج موسى فريدي العاملي في فلسطين عند شيخ القرية فاجتمع أهل القرية ليلاً وبينهم الخطيب فجعل الخطيب يحدثهم فسألوه عن يزيد فقال لهم: إذا كان يوم القيامة يؤمر به إلى النار فيتشفع بالنبي ﷺ فيحيله على علي عليه السلام فيتشفع به فيحيله على الزهراء عليها السلام فتصفح عنه ويؤمر به إلى الجنة فقال له الحاج موسى: نعم يا شيخ الحديث كما ذكرت ولكن له تتمة لم تذكرها قال: وما هي، قال: بعد ما يؤمر بيزيد إلى الجنة يأتي به الملائكة إلى الجنة ويدقون الباب فيقول رضوان: من هذا؟ فيقولون: يزيد فيقول: لعلكم غلطتم يزيد ليس من أهل الجنة فيقولون: تشفع بالزهراء فشفعت له فيفتح له باب الجنة فيسمع أهل الجنة ذلك فيقولون: يا رضوان نحن قضينا أعمارنا في الطاعة والعبادة والمشقة وتريدون الآن أن تجعلونا مع يزيد الذي قضى عمره في الموبقات قل لربك جنتكم مباركة عليكم ويحمل كل منهم أمتعته على ظهره ويهون بالخروج فيخبر رضوان الباري تعالى بذلك فيقول له أنا لا أخرب جنتي لأجل يزيد أرجعوا هذا الفاسق إلى النار فيرجعونه إليها فقال الشيخ ليس اللوم علي ولكن على هؤلاء الذين لم يخبروني بوجودك هنا.

(١٩) جاء رجل إلى جاره يستعير منه حماره فقال له الحمار غائب فهم أن يخرج وإذا بالحمار ينهق فقال: زعمت أن الحمار غائب قال: أتصدق الحمار وتكذبني.

(٢٠) سئل مختار في مجلس القرية أيام الدولة العثمانية عن رجل فقال: إنه ميت وإذا بالرجل قد دخل فقيل له: زعمت أنه ميت قال: إن الله قادر على أن يحيي الموتى.

(٢١) أرسل رجل إلى صديق له عشر شياه وكتب له كتاباً فالتقى الرسول في الطريق بجماعة من أصدقائه.فذبح لهم شاة منها وأكلوها ثم قالوا له: ما تصنع إذا وجدها ناقصة قال: لكل ساعة تدبير فلما وصل وأعطاه الكتاب وسلمه الشياه عدها فإذا هي تسع فقال للرسول: هذه تسع قال: نعم هي تسع فقال في الكتاب أنها عشر قال: هي عشرة قال هذه تسع فقال: هذا رجل أبله جيئونا بعشرة رجال فجيء بهم فقال: كم هؤلاء؟ قال: لا أدري قال: هؤلاء عشرة رجال قال: نعم هم عشرة قال: فأعط كل واحد منهم شاة قال: ليأخذوا فأخذوا وبقي واحد بدون شاة فقال: له هذا بقي بدون شاة قال: ولِمَ لم يأخذ من أول الأمر حتى بقي بدون شاة.

(٢٢) تزوج أعمى امرأة فقالت له: لو رأيت حسني وبياضي لعجبت فقال: لو كنت كما تقولين ما تركك لي البصراء.

(٢٣) انهزم رجل في الحرب فقيل له: لِمَ انهزمت أيغضب عليك الأمير قال: إذا غضب علي وأنا حي خير من أن يرضى عني وأنا ميت.

(٢٤) قال رجل لآخر: أنت أثقل عندي من نصف حجر الطاحون قيل: لِمَ لم تقل من الحجر كله قال: إنه إذا كان صحيحاً تدحرج فإن كان نصفاً لم يرفع إلا بجهد.

(٢٥) سمع أبو الأسود الدئلي سائلاً يقول: من يعشي الجائع؟ فأتاه بعشاء كثير وقال كل حتى تشبع فلما أكل ذهب ليخرج فقال: أين تريد قال: أريد أهلي قال لا أدعك تؤذي المسلمين الليلة بسؤالك اطرحوه في الأدهم فبات عنده مكبولاً حتى أصبح.

(٢٦) دخل محمد بن الحسن الجرجاني الحمام وكان يتقعر في الكلام فقال للقيم: أين الحديدة التي يمتلخ بها الطرطوة من الأخفيق فصفق القيم قفاه بجلد النورة وهرب فأنفذ إلى صاحب الشرطة فحبسه فكتب إليه من الحبس أيها الأستاذ قد أبرمني المحبوسون بالمسألة عن السبب الذي حبست له فأما أطلقتني وأما أعرفهم فبعث من أطلقه فاتصل الخبر بالفتح فحدث به المتوكل فضحك ضحكاً عجيباً وقال: هذا والله ظريف مليح يجب أن نغنيه عن الخدمة في الحمام فوهب له مائتي دينار.

(٢٧) تزوج رجل امرأة قد مات عنها أربعة أزواج فمرض مرض الموت فجلست عند رأسه تبكي وقالت: إلى من توصي بي؟ قال: إلى السادس الشقي.

(٢٨) غضب بعض الولاة على أبي إسحاق المدني واسمه مزيد فأمر الحجام بحلق لحيته فقال له الحجام: انفخ شدقيك حتى أتمكن من الحلاقة قال الوالي: أمرك بحلق لحيتي أو أن تعلمني الزمر.



الظرفاء من الأعراب

(٢٩) قيل لأعرابي: هل عندكم في البادية طبيب؟ فقال: حمر الوحش لا تحتاج إلى بيطار.

(٣٠) اشترى أعرابي غلاماً فقيل له: إنه يبول في الفراش فقال: إن وجد فراشاً فليبل فيه.

(٣١) نظر أعرابي إلى البدر في رمضان فقال: سمنت وأهزلتني أراني الله فيك السل.

(٣٢) حضر أعرابي مائدة الحجاج فأكل مع الناس ثم قدمت الحلوى فأكل الأعرابي منها لقمة فقال الحجاج من أكل منها ضربت عنقه فامتنع الناس وجعل الأعرابي ينظر إلى الحجاج مرة وإلى الفالوذج مرة ثم قال: أيها الأمير أوصيك بأهلي خيراً واندفع يأكل فضحك الحجاج حتى استلقى وأمر له بصلة.

(٣٣) أقبل أعرابي إلى رجل بين يديه تين فلما رأى الأعرابي غطاه والأعرابي يلاحظه فقال للأعرابي: هل تحسن من القرآن شيئاً قال: نعم، قال: اقرأ فقرأ والزيتون وطور سينين فقال: أين التين؟ قال: تحت الكساء.

(٣٤) ضحى أعرابي بجمل فجعل يذكر ذلك في كل مجمع فقيل: إلى متى تذكر هذا الجمل فقال: إن الله تعالى ذبح كبشاً فدية عن نبيه إسماعيل وذكره في مواضع عديدة من القرآن فكيف أنا لا أذكر الجمل.

(٣٥) ولي أعرابي البحرين فجمع يهودها فقال: ما تقولون في عيسى ابن مريم قالوا: نحن قتلناه وصلبناه قال: فهل أديتم ديته قالوا: لا، قال: والله لا تخرجون حتى تؤدوها فدفعوها له.

(٣٦) كان أعرابي يعمل في معدن الذهب فلم يصب شيئاً فقال:

يا رب قدر لي في هماسي ... وفي طلاب الرزق بالتماس

صفراء تجلو كل النعاس

فلدغته عقرب صفراء أسهرته طول ليلته فقال: يا رب الذنب لي حيث لم أفسر لك ما أريد.

(٣٧) كان لأبي حية النميري سيف ليس بينه وبين الخشبة فرق وكان يسميه لعاب المنية فسمع ليلة حساً في البيت فظنه لصاً فوقف على باب البيت وقال: أيها المغتر بنا والمجترىء علينا بئس والله ما اخترت لنفسك خير قليل وسيف صقيل لعاب المنية الذي سمعت به مشهورة ضربته لا تخاف نبوته أخرج بالعفو عنك لا أدخل بالعقوبة عليك فلما طال عليه الأمر جاءت امرأة وفتحت الباب فإذا كلب قد خرج فقال أبو حية: الحمد لله الذي مسخك كلباً وكفانا حرباً.



نوادر أشعب(١)

(٣٨) قيل لأشعب: حدثنا فقال: سمعت عكرمة يقول: سمعت ابن عباس يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خلتان لا يجتمعان في مؤمن» نسي عكرمة واحدة ونسيت أنا الأخرى.

(٣٩) وجد أشعب ديناراً فقيل له: عرفه فقال: بل اشتري به قميصاً وأعرفه قيل: إذن لا يعرفه أحد قال: فذلك أريد.

(٤٠) كان أشعب مولى فاطمة بنت الحسين عليها السلام فأسلمته إلى البزازين فقيل له: أين بلغت معرفتك بالبز قال أحسن النشر وما أحسن الطي.



(١) مرت له نوادر في أخبار الطفيليين المؤلف.

الظرفاء من العلماء والأدباء

(٤١) قال يونس النحوي: ثلاثة أشتهي أن أناظرهم يوم القيامة: آدم فأقول له: قد مكنك الله من الجنة وحرم عليك الشجرة فأكلت منها حتى طرحتنا في هذا المكروه. ويوسف فأقول له: كنت بمصر وأبوك بكنعان وبينك وبينه عشر مراحل يبكي عليك حتى ابيضت عيناه من الحزن ولم ترسل إليه أني في عافية وتريحه. وطلحة والزبير أقول لهما علي بن أبي طالب بايعتماه بالمدينة وخلعتماه بالعراق فأي شيء أحدث.

(٤٢) كان أبو الفتح بن جني يوماً عند أبي إسحاق الصابي وكانت له عادة إذا تحدث يلوي شفته ويشير بيده فجعل أبو الحسين الكاتب يشخص إليه ويتعجب منه فقال له ما لك تتعجب مني؟ قال: شبهت الشيخ وهو يقول بشفته كذا وبيده كذا بقرد رأيته اليوم يفعل هكذا فتغير ابن جني وقال: يا هذا متى رأيتني أمزح معك فتمزح معي قال: المعذرة إلى الله وإلى مولاي الشيخ وقد صانه الله عن أن أشبهه بالقرد وقد شبهت القرد به فضحك أبو الفتح.

(٤٣) سئل الزبير بن بكار منذ كم زوجتك معك؟ قال ليس يرد القيامة أكثر كباشاً منها ضحيت عنها بسبعين كبشاً.

(٤٤) سئل عمر بن فتن عن الحصاة من حصى المسجد يجدها الإنسان في ثوبه قال: ارم بها قال زعموا أنها تصيح حتى ترد إلى المسجد قال: دعها تصيح حتى ينشق حلقها قال: أوَلَها حلق قال: فمن أين تصيح.

(٤٥) جاء شاعران إلى نحوي فقالا: اسمع شعرنا وأخبرنا بأجودنا شعراً فسمع شعر أحدهما وقال: ذاك أجود قال: فما سمعت شعره قال لا يكون شعر أردأ من هذا الشعر ولا مثله قط.

(٤٦) ألف رجل كتاباً وأعطاه لعالم لينتقده وقال: كلما تراه غير موافق علِّم عليه بخط من أول الكتاب وخط من آخره.

(٤٧) كان الشيخ عبد الله البلاغي العاملي يوماً في بيروت في منزل بعض الأكابر وعنده رجل من كسروان وهو لا يعرف البلاغي فجرى ذكر الشيعة فقال

الكسرواني: كل الناس عرفت مذاهبهم إلا الشيعة فليس لهم مذهب يعرف فقال البلاغي: أنا أعرف مذهبهم قال: وما هو قال: إنهم يقولون إن الآلهة ثلاثة واحد للسماء وواحد للأرض وواحد لكسروان فإذا فرغ إله السماء من تدبير الملائكة والكواكب والغيوم والأمطار وسائر أمور السماء نزل إلى الأرض ليساعد إلهها فإذا فرغا من تدبير الأرض وما فيها من البحار ذهبا إلى كسروان ليساعد إلهها فيجدانه لم يصنع مع أهلها شيئاً وهو في خصام ومقاومة معهم وهو لا يستطيع أن يعمل فيهم عملاً فيتعاون الآلهة الثلاثة على أهل كسروان إلى نصف الليل فلا يستطيعون أن يتموا أعمالهم فضحك الحاضرون وخجل الكسرواني واعتذر إلى البلاغي.

(٤٨) دعاء العهد للشيخ عبد الحسين ابن الشيخ محمد سليمان العاملي.

رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبالقرآن كتاباً وبمحمد نبياً وبعلي إماماً وولياً وبالفقر صاحباً (وبعيسى) راكباً.

(عيسى) يكنى به عن الفقر؛ وأصله أن أميراً من بني سيفا أمراء طرابلس اسمه عيسى كان ظالماً فإذا تسلط على رجل أفقره فصار يكنى به عن الفقر.

(٤٩) كلف رجل أبا العيناء أن يأخذ له كتاباً من الجاحظ لبعض أصدقائه من الأمراء في حاجة له فكتب، ثم خطر لأبي العيناء أن يفتحه خوفاً أن لا يكون فيه ما يحب فوجد فيه كتابي إليك مع من لا أعرفه وقد كلمني فيه من لا أوجب حقه فإن قضيت حاجته لم أحمدك وإن لم تقضها لم أذمك والسلام، فرجع إلى الجاحظ فلما رآه مقبلاً عرف أنه قد فتح الكتاب ونظر ما فيه فقال له أظنك قد فتحت الكتاب وأنكرت ما فيه قال نعم قال هذه علامة بيني وبين الرجل فيمن أعتني به قال أنا قد قلت للرجل ذلك فقال لي عشرة آلاف في أم الجاحظ وأم من يسأله، فقلت له أتشتم صديقنا قال هذه علامتي إذا أردت شكر أحد قلت له هذا؛ فضحك الجاحظ وكتب له ما أراد.



نوادر الأعمش

(٥٠) كان الأعمش جالساً بقرب خليج من ماء المطر وعليه فروة حقيرة؛ فجاء رجل عليه سواد فقال للأعمش قم عبرني هذا الخليج وجذب بيده فأقامه وركبه

وقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣]، فمضى به الأعمش حتى توسط به الخليج ثم رمى به وقال رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين؛ وخرج وترك المسود يتخبط في الماء.

(٥١) قيل للأعمش مما عمشت عيناك قال من النظر إلى الثقلاء.

(٥٢) قال الأعمش قال جالينوس لكل شيء حمى؛ وحمى الروح النظر إلى الثقلاء.

(٥٣) قال الأعمش: إذا كان عن يسارك ثقيل في الصلاة فتسليمه عن اليمين تجزئك.

(٥٤) كان الأعمش إذا رأى ثقيلاً قال: كم عزمك أن تقيم في هذا البلد.

(٥٥) دخل على الأعمش ثقيل يعوده فقال: ما أشد ما مر بك في علتك هذه؛ قال: دخولك علي.

(٥٦) ودخل عليه رجل يعوده فقال: يا أبا محمد لولا أني أكره أن أثقل عليك لزدت في عيادتك؛ فقال له الأعمش: إنك تثقل علي وأنت في بيتك فكيف إذا دخلت علي.

(٥٧) كان للأعمش جار لا يزال يقول له لو دخلت منزلي فأكلت كسرة وملحاً فيأبى عليه الأعمش فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الأعمش فدخل فقرب إليه كسرة وملحاً؛ إذ سأل سائل فقال له رب المنزل بورك فيك فأعاد المسألة فقال له بورك فيك فلما سأل الثالثة قال اذهب وإلا الله خرجت إليك بالعصا فناداه الأعمش اذهب ويحك ولا والله ما رأيت أحداً أصدق مواعيد منه؛ هو منذ سنة يعدني على كسرة وملح ولا والله ما زادني عليهما.

(٥٨) قال الأعمش لجليس له تشتهي كذا وكذا من الطعام فوصف طعاماً طيباً؛ قال نعم قال فانهض بنا فدخل به منزله وقدم رغيفين يابسين وكامخاً وقال كل؛ قال أين الذي قلت قال إنما قلت لك تشتهي ولم أقل لك أنه عندي.

(٥٩) دعي الأعمش إلى عرس فلبس فروته فرده الحاجب؛ فرجع فلبس قميصاً وإزاراً وجاء فأذن له فدخل وجيء بالمائدة فبسط كمه عليها وقال كل فإنما أنت المدعو لا أنا وقام ولم يأكل.

(٦٠) جاء رجل بإبنه إلى الأعمش فقال: يا أبا محمد هذا ابني إن من علمه بالقرآن إن من علمه بالفرائض وأن من علمه بالشعران من علمه بالنحو إن من علمه بالفقه والأعمش ساكت ثم سأل الأعمش عن شيء فقال سل ابنك.

(٦١) عوتب الأعمش في دخوله على بعض الأمراء؛ فقال هم بمنزلة الكنيف دخلت فقضيت حاجتي ثم خرجت.

(٦٢) نشزت امرأة الأعمش فقال لبعض تلامذته ادخل إليها وأخبرها بمكاني من الناس؛ فدخل إليها وقال إن الله أحسن قسمك هذا شيخنا وسيدنا وعنه نأخذ أصل ديننا وحلالنا وحرامنا لا يغرك عموشة عينيه وحموشة ساقيه فقال الأعمش أعمى الله قلبك قد أخبرتها بعيوبي كلها اخرج من بيتي فأخرجه.

(٦٣) قال الأعمش لابنه أذهب فاشتر لنا حبلاً يكون طوله ثلاثين ذراعاً؛ فقال: يا أبة في عرض كم، فقال في عرض مصيبتي فيك.

(٦٤) أتى يوم الشك من شهر رمضان فكثر الناس عند الأعمش يسألونه عن الصوم فضجر ثم أتى برمانة فشقها ووضعها بين يديه فكلما أقبل رجل يريد أن يسأله تناول حبه فأكلها.



نوادر محمد بن مطروح الأعرج

(٦٥) قال له رجل ما تقول فيمن مات يوم الجمعة أيعذب عذاب القبر؛ قال يعذب يوم السبت.

(٦٦) وقال له آخر أتجد في الحديث أن جهنم تخرب قال ما أشقاك إن اتكلت على خرابها.

(٦٧) وكان لزرياب خصي قد حج وتنسك ولزم الجامع؛ فقال لابن مطروح أيجوز الأضحية بالكبش الأعرج؛ قال نعم والخصي أيضاً مثلك.

نوادر الشعبي

(٦٨) كان الشعبي في مسجد الكوفة فأقبل حمال على كتفه كودن؛ فوضعه ودخل إليه فقال يا شعبي إبليس كانت له زوجة قال ذاك عرس ما شهدته قال هذا عالم العراق يسأل عن مسألة فلا يجيب فقال نعم له زوجة قال الله ﷻ أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني ولا تكون الذرية إلا من زوجة قال ما كان اسمها قال ذاك أملاك ما شهدته.

(٦٩) قال رجل للشعبي إني كنت أصلي فأدخلت أصبعي في أنفي فخرج عليها دم فما ترى احتجم أم أفتصد فقال الحمد لله نقلنا من الفقه إلى الحجامة.

(٧٠) روى الشعبي يوماً أن النبي ﷺ قال: «تسحروا ولو أن يضع أحدكم أصبعه على التراب ثم يضعه في فيه» فقال رجل أي الأصابع فتناول الشعبي إبهام رجله وقال هذه.

(٧١) ولقيه رجل وهو يكلم امرأة فقال أيكما الشعبي فأومأ الشعبي إلى المرأة وقال هذه.

(٧٢) وسأله رجل عن المسح على اللحية في الوضوء قال خللها بأصابعك قال أخاف أن لا تبلها قال فانقعها من أول الليل.

(٧٣) دخل الشعبي على عبد الملك فقال له كم عطاءك بفتح الهمزة قال ألفي درهم لحن العراقي ثم قال كم عطاؤك بضم الهمزة قال ألفا درهم قال ألم تقل ألفي فقال لحن أمير المؤمنين فلحنت لأني كرهت أن يكون راجلاً وأكون فارساً.

الظرفاء من الشعراء

(٧٤) كان أبو الشمقمق الشاعر أديباً ظريفاً محارفاً؛ فقال له هل بعض أصحابه لما رأى حاله رثة أبشر يا أبا الشمقمق فإنا روينا أن العارين في الدنيا هم الكاسون يوم القيامة؛ فقال إن صح هذا الحديث كنت في ذلك اليوم بزازا (وله):

أتراني أرى من الدهر يوماً ... لي فيه مطية غير رجلي
كلما كنت في جميع فقالوا ... قربوا للرحيل قربت نعلي
حيثما كنت لا أخلف رحلا ... من رآني فقد رآني ورحلي

(٧٥) سرقت عجوز مخيط سراج من أهل الحلة فقال:

رب عجوز سرقت مخيطي ... ثم انثنت تسحب أذيالها
فليت شعري ما أرادت به ... أظنها خاطت به مالها

(٧٦) كان رجل أقبح أهل بلده صورة فرحل إلى اليمن فرأى نفسه أحسن أهلها؛ فقال:

لم أر وجهاً حسناً ... منذ دخلت اليمنا
فيا شقاء بلدة ... أحسن من فيها أنا

(٧٧) قيل كان الشريف الرضي في علية له تشرف على الطريق فنظر إلى ابن المطرز الشاعر وفي رجليه نعل بالية تثير الغبار؛ فأمر بإحضاره فأحضر فقال أنشدني أبياتك التي تقول فيها:

إذا لم تبلغني إليك ركائبي ... فلا وردت ماء ولا رعت العشبا

فأنشده فقال أمن مثل هذا كانت ركائبك وأشار إلى نعله، فأطرق ابن المطرز ساعة ثم رفع رأسه وقال لما عادت هبات سيدنا الشريف إلى مثل قوله:

وخذ النوم من جفوني فإني ... قد خلعت الكرى على العشاق

عادت ركائبي إلى مثل هذه فإنه وهب ما لا يملك على من لا يقبل؛ فاستحيى الشريف وأجازه.

(٧٨) كان في بغداد شاعر يسمى (الحيص بيص) فنظم بعض الشعراء أبياتاً وكتبها في رقعة وعلقها في عنق كلبة وأطلقها عند باب الخليفة فأخذت فإذا فيها:

يا أهل بغداد أن الحيص بيص أتى ... بخزية أورثته العار في البلد
أبدى شجاعته في الليل مجترياً ... على جري ضعيف البطش والجلد
فأنشدت أمه من بعد ما احتسبت ... دم الابيلق عند الواحد الصمد

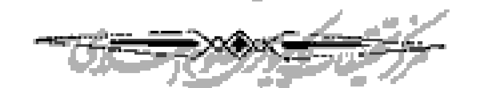
(أقول للنفس تأساء وتعزية إحدى يدي أصابتني ولم ترد)
(كلاهما خلف من فقد صاحبه هذا أخي حين ادعوه وذا ولدي)

والبيتان الأخيران لامرأة من العرب قتل أخاها ولدها.

(٧٩) كان قرواش بن بدر العقيلي أمير الموصل جالساً مع ندمائه فأمر بعض الشعراء أن يهجوهم ويعبث بهم فامتنع فقال لا بد من ذلك، فقال:

وليل كوجه البرقعيدي ظلمة وبرد أغانيه وسود قرونه
سريت ونومي فيه نوم مشرد كعقل سليمان بن وهب ودينه
على أولق فيه التفات كأنه أبو أحمد في طيشه وجنونه
إلى إن بدا وجه الصباح كأنه سنا وجه قرواش وضوء جبينه

(٨٠) كان بشار بن برد ينشد المهدي شعراً وعند المهدي بعض أخواله فلما فرغ قال لبشار ما صناعة الشيخ قال أثقب اللؤلؤ فضحك المهدي؛ وقال له تهزأ بخالي قال يرى شيخاً أعمى ينشد شعراً ثم يسأله ما صناعتك.



نوادر أبي دلامة

(٨١) خرج روح بن حاتم إلى حرب الخوارج فأمر أبا دلامة أن يخرج معه فأبى فقال لا بد من الخروج فخرج معه وبرز في بعض الأيام فارس من الخوارج يطلب المبارزة فقال لأبي دلامة ابرز إليه فقال لا أستطيع وإني لجبان وأنشأ يقول:

اني أعوذ بروح أن يقدمني إلى القتال فتخزى بي بنو أسد
إن المهلب حب الموت أورثكم ولم أرث أنا حب الموت عند أحد

فقال لا بد لك من مبارزته قال إني جائع وهذا آخر أيامي فأمر له بخبز ودجاجة فوضعه في خرجه وبرز، فلما رآه الخارجي تقدم إليه فقال له أبو دلامة أتقاتل من لا يقاتلك قال لا قال إني لا أريد قتالك، فهم الخارجي بالرجوع فقال له أبو دلامة هل لك في أن تتغدى معي ليعلم الناس ما حصل بيننا من الصداقة قال نعم، فتغديا

جميعاً والناس يرونهما ويتعجبون ثم قال له أقسمت عليك أن لا تبرز هذا اليوم فأجابه إلى ذلك؛ ثم رجع أبو دلامة وقال أنا قد كفيتكم قرني فليكف كل واحد منكم قرنه.

(٨٢) لما ماتت حمادة بنت عيسى زوجة المنصور وقف المنصور والناس معه على حفرتها ينتظرون مجيء الجنازة وفيهم أبو دلامة فقال له المنصور ما أعددت لهذه الحفرة يا أبا دلامة؛ قال زوجة أمير المؤمنين فضحك المنصور وضحك الناس.

(٨٣) قال أبو دلامة للمهدي أقطعني قطيعة أعيش بها قال قد أقطعتك مائة جريب عامرة ومائة جريب غامرة، قال وما الغامرة قال الخراب قال قد أقطعت أمير المؤمنين ألف جريب من فيافي بني أسد فجعلها كلها عامرة؛ ثم قال هل بقي لك حاجة قال نعم تأذن لي أن أقبل يدك قال ليس إلى هذا سبيل قال والله ما رددتني عن حاجة أهون علي منها.

(٨٤) كانت أم سلمة زوجة السفاح لا تضحك بعد موته؛ فأدخلوا إليها أبا دلامة فأنشدها مرثية رثاه بها فقالت ما وجدت أحداً حزن على أمير المؤمنين حزني وحزنك قال لا سواء رحمك الله لك منه ولد وليس لي منه ولد؛ فضحكت وقالت لو حدثت الشيطان لأضحكته.

(٨٥) كان أبو دلامة مع المهدي في الصيد فرمى المهدي ظبياً فقتله ورمى علي ابن سليمان الحاجب فأصاب كلباً من كلاب الصيد فقتله، فقال أبو دلامة:

قد رمى المهدي ظبياً ... شك بالسهم فؤاده
وعلي بن سليمان رمى كلباً فصاده
فهنيئاً لهما ... كل فتى يأكل زاده

(٨٦) كان أبو دلامة يوماً في مجلس المهدي فقال له المهدي لا بد من أن تهجو أحد الجالسين في المجلس فاستعفاه فلم يعفه، فنظر إلى الوزير فأشار إليه أن يصرف ذلك عنه وكلما نظر إلى واحد توسل إليه بالإشارة أن يصرف ذلك عنه ووعده الصلة؛ فتحير أبو دلامة ثم قال لا أجد أوفق من هجو نفسي وأنشأ يقول:

ألا بـلـغ لـديـك أبـا دلامـه   فـلـيـس مـن الـكـرام ولا كـرامـه
إذا نـزع الـعـمـامـة قـلـت قـرد   وخـنـزيـر إذا لـبـس الـعـمـامـه

(٨٧) أصبح أبو دلامة يوماً وليس عنده شيء، فقال لأم دلامة اذهبي أنت واحتالي على الخيزران وأذهب أنا وأحتال على المهدي لعله يحصل لنا شيء، فذهب أبو دلامة إلى المهدي باكياً قال ما شأنك قال يسلم لنا أمير المؤمنين ماتت أم دلامة، فأمر له المهدي بمال لتجهيزها وإصلاح حاله وذهبت أم دلامة إلى الخيزران باكية وقد شقت ثيابها فقالت لها ما شأنك قالت بحياتك البقاء توفي أبو دلامة فأمرت لها بمال لتجهيزه وإصلاح حالها فرجعا إلى البيت بمال كثير؛ وجاء المهدي إلى داره فقالت له الخيزران هل علمت أن أبا دلامة مات؛ قال لم يمت ولكن زوجته ماتت؛ قالت بل هو قد مات؛ قال لم يمت وقد كان عندي آنفاً وأخبرني أن زوجته توفيت؛ قالت وكانت عندي زوجته وأخبرتني بموته فعلما أنهما احتالا عليهما.

(٨٨) استدان أبو دلامة من رجل مالاً فلما طالبه به قال إنه ليس عندي قليل ولا كثير؛ ولكن ادع على فلان اليهودي بهذا المال وأشهد لك أنا وابني فادعى الرجل على اليهودي بالمال عند ابن أبي ليلى القاضي فسأل اليهودي فأنكر فقال للمدعي أعندك بينة قال نعم؛ فأتى بأبي دلامة وابنه فلما صار أبو دلامة في الدهليز أنشد رافعاً صوته بحيث يسمعه القاضي:

إذا الـنـاس غـطـوني تـغـطـيـت عـنـهـم   وإن بـحـثـوا عـنـي فـفـيـهـم مـبـاحـث
وإن حـفـروا بـئـري حـفـرت بـئـارهـم   لـيـعـلـم يـومـاً كـيـف تـلـك الـنـبـائـث

فلما حضر أمام القاضي قال تغطيك يا أبا دلامة ولا نبحث عنك؛ وأعطى المشهود له ما ادعاه من ماله.



الظرفاء من الغلمان

(٨٩) كان مع رجل عبد ينادي عليه من يشتري العبد الحسابي؛ فسمعه آخر فاشتراه وأخذه إلى داره فعطش المولى وبجانبه إبريق فقال خذ هذا الإبريق واملأه

ماء وائت به فقال من هنا إلى الإبريق مسافة ومن الإبريق إلى هنا ثنتان ومن هنا إليك ثلاث ومنك إلى هنا أربع مسافات فالأوفق أن تقوم أنت وتشرب ثم تعود فيكون مسافتان فقط يتوفر علينا النصف.

(٩٠) كان غلام إذا أمره مولاه بشيء أتى به ناقصاً، فإذا قال ائتني بالإبريق يأتي به خالياً من الماء فيقول له أين الماء فيقول له لم تقل لي املأه ماء وهكذا فلما أبرمه قال له يوماً إذا أمرتك بشيء فأت به وبلازمه فقال حباً وكرامة، فاتفق أن المولى مرض فأرسله خلف الطبيب فجاء به وبالمغتسل والمغسل والكفن والسدر والكافور والحفار فانتهروه لذلك قال أنتم أوصيتموني أن آتي بالشيء ولوازمه فلما طلبتم الطبيب قلت لعله قضى على مولاي فنكون قد أحضرنا لوازم التجهيز ورفعنا عن أنفسنا كلفة العود.

(٩١) كان لبعض الناس غلام فكان مولاه يأكل الخبز الخاص ويطعمه الخشكار فطلب البيع فباعه من رجل يأكل الخشكار ويطعمه النخالة؛ فطلب البيع فباعه من رجل يأكل النخالة ولا يطعمه شيئاً؛ ويضع السراج على رأسه ليلاً عوض المسرجة فلم يطلب البيع؛ فقيل له في ذلك قال أخاف إن طلبت البيع أن يشتريني من يضع الفتيلة في عيني عوض السراج.



الظرفاء من المجانين

(٩٢) دخل قوم من بني تيم الله على مجنون من بني أسد فأكثروا العبث به؛ فقال لهم ما أعلم خيراً منكم بنو أسد ليس فيهم مجنون غيري قد قيدوني؛ وأنتم كلكم مجانين وليس فيكم مقيد.

(٩٣) كان الصبيان يعبثون ببهلول فيكر عليهم بعصاه وهو يقول:

أكر على الكتيبة لا أبالي أفيها كان حتفي أم سواها

فينهزمون عنه فيقعد ويقول:

فألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

(٩٤) مر بهلول بقوم عشرة في أصل شجرة، فقالوا تصعد هذه الشجرة وتأخذ عشرة دراهم قال نعم فأعطوه إياها فجعلها في كمه ثم قال هاتوا سلماً؛ فقالوا لم يكن هذا في الشرط فقال كان شرطي دون شرطكم.

(٩٥) وحمل عليه الصبيان يوماً فدخل داراً فدعا له صاحبها بطعام فجعل يأكل والصبيان يصيحون على الباب وهو يقول فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قلبه العذاب.

(٩٦) دخل بهلول وعليان على موسى بن المهدي؛ فقال لعليان ايش معنى عليان فقال ايش معنى موسى؛ فقال خذوا برجل ابن الفاعلة فقال عليان لبهلول كنا اثنين صرنا ثلاثة.



الفصل التاسع

في الأجوبة المسكتة

أجوبة أمير المؤمنين علي عليه السلام

(١) قال يهودي لأمير المؤمنين علي عليه السلام ما مات نبيكم حتى اختلفتم فيه؛ فقال علي عليه السلام إنما اختلفنا عنه لا فيه[1]، ولكنكم ما جفت أقدامكم من البحر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون.

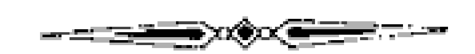
(٢) وقال له ابن الكواكم بين السماء والأرض قال دعوة مستجابة.

(٣) وقيل له كم بين المشرق والمغرب قال مسير يوم للشمس.

(٤) ولما بلغه الأنصار منا أمير ومنكم أمير، قال فهلا ذكرت الأنصار قول النبي صلى الله عليه وآله يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم فكيف يكون الأمر فيهم والوصاة بهم.

(٥) وقيل له ما طعم الماء قال طعم الحياة.

(٦) وأثنى عليه رجل وكان متهماً فقال أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك.



أجوبة عقيل بن أبي طالب لمعاوية وغيره

(٧) قال معاوية لعقيل بن أبي طالب وكان جيد الجواب حاضره: أنا خير لك من أخيك فقال عقيل: إن أخي آثر دينه على دنياه وإنك آثرت دنياك على دينك؛ فأخي خير لنفسه منك وأنت خير لي منه.

(٨) وقال له يوماً: إن علياً قطع قرابتك وما وصلك، فقال له عقيل: والله لقد أجزل العطية وأعظمها ووصل القرابة وحفظها وحسن ظنه بالله إذ ساء له ظنك وحفظ

(١) أي اختلفنا عن جهته فقال بعضنا نحن أولى به وقال بعضنا أنا أولى به ولم نختلف عن ارتداد فيه.

أمانته وأصلح رعيته إذ خنتم وأفسدتم وجرتم، فأكفف لا أبالك فإنه عما تقول بمعزل.

(٩) وقال له يوماً إن فيكم لشبقا يا بني هاشم؛ قال هو منا في الرجال ومنكم في النساء.

(١٠) وقال معاوية له يوماً: هذا عقيل عمه أبو لهب؛ فقال عقيل وهذا معاوية عمته حمالة الحطب (وهي أم جميل بنت حرب بن أمية عمة معاوية وكانت زوجة أبي لهب).

(١١) وقال له يوماً يا أبا يزيد أين ترى عمك أبا لهب؛ فقال له عقيل إذا دخلت النار فانظر عن يسارك تجده مفترساً عمتك حمالة الحطب؛ فانظر أيهما أسوأ حالاً الناكح أم المنكوح.

(١٢) وقال له ليلة الهرير بصفين يا أبا يزيد أنت معنا الليلة قال ويوم بدر كنت معكم.

(١٣) دخل عقيل على معاوية وقد كف بصره فأجلسه معه على سريره؛ ثم قال له: أنتم معشر بني هاشم تصابون في أبصاركم؛ قال: وأنتم معشر بني أمية تصابون في بصائركم.

(١٤) قال معاوية يوماً لعقيل هل من حاجة فأقضيها لك؛ قال جارية عرضت علي بأربعين ألفاً. قال وما تصنع بجارية قيمتها أربعون ألفاً وأنت أعمى تجتزي بجارية قيمتها خمسون درهماً، قال أرجو أن تلد لي غلاماً إذا أغضبته يضرب عنقك بالسيف. فضحك معاوية وقال مازحناك يا أبا يزيد وابتاع له الجارية فأولدها مسلماً فلما أتت عليه ثماني عشرة سنة وقد مات أبوه عقيل باع من معاوية أرضاً له بالمدينة بمائة ألف درهم وقبض المال، فبلغ ذلك الحسين عليه السلام فكتب إلى معاوية أنك غررت غلاماً فابتعت منه أرضاً لا يملكها فأقبض منه ما دفعت له وأردد إلينا أرضنا، فأخبر معاوية مسلماً بذلك وقال أردد علينا مالنا وخذ أرضك فقال أما دون أن أضرب رأسك بالسيف فلا، فضحك معاوية وقال هذا قول أبيك حين ابتعت له أمك ورد الأرض وسوغ مسلماً المال.

(١٥) قالت امرأة عقيل له وهي بنت عتبة بن ربيعة خالة معاوية: يا بني هاشم لا

يحبكم قلبي أبداً؛ أين أبي أخي أين عمي كأن أعناقهم أباريق فضة؛ قال عقيل إذا دخلت جهنم فخذي على شمالك.



أجوبة ابن عباس لعائشة بعد حرب الجمل

(١٦) روى الكشي بسنده قال بعث أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن عباس بعد وقعة الجمل إلى عائشة يأمرها بالرحيل، قال فاستأذنت عليها فلم تأذن فدخلت بغير إذن وتناولت طنفسة فجلست عليها، فقالت من وراء الستر يا ابن عباس أخطأت السنة دخلت بيتنا بغير إذننا وجلست على متاعنا بغير إذننا، قال إنما بيتك الذي خلفك فيه رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا رجعت إليه لم ندخله إلا بإذنك ولم نجلس على متاعك إلا بإذنك أن أمير المؤمنين يأمرك بالرحيل إلى المدينة، قالت رحم الله أمير المؤمنين ذاك عمر بن الخطاب قال هذا والله أمير المؤمنين؛ قالت ابيت ذلك قال إن كان إباؤك فيه لقصير المدة كما قال القائل:

ما زال إهداء القصائد بيننا ... شتم الصديق وكثرة الألقاب
حتى تركت كأن قولك فيهم ... في كل مجمعة طنين ذباب

قالت أخرج عنكم فما في الأرض بلد أبغض إلي من بلد تكونون فيه فقال ما كان هذا جزاؤنا منك إذ جعلناك للمؤمنين أما قالت أتمنون علي برسول الله صلى الله عليه وآله قال ولم لا نمن عليك بمن لو كان منك قلامة منه مننت به علينا، كما قال أخو بني فهر:

مننت على قومي فأبدوا عداوة ... فقلت لهم كفوا العداوة والشرا
ففيه رضا من مثلكم لصديقه ... وأحج بكم أن تجمعوا البغي والكفرا

فأخبرت أمير المؤمنين عليه السلام بذلك فقال: أنا كنت أعلم بك حيث بعثتك.



أجوبة ابن عباس لمعاوية

(١٧) حج معاوية فلما أتى المدينة لم تستقبله الأنصار، فلقي ابن عباس فقال له ما بال الأنصار لم تستقبلني قال ليس عندهم دواب وأين نواضحهم[1]؛ قال أفنوها يوم بدر يوم قاتلوك وأباك على الإسلام حتى ظهر أمر الله وأنتم كارهون، قال أعلمت أنا نهينا أن يذكر هذا الرجل بخير (يعني علياً) قال أفتنهانا عن قراءة القرآن قال لا ولكن عن تفسيره قال أفنقرؤه ولا نفهم معناه، قال ولكن عن تفسيره بما تفسره؛ أنت وأهل بيتك قال إنما أنزل القرآن علينا أفنأخذ تفسيره عن آل أبي سفيان؛ فسكت معاوية فلما كان الليل أرسل إلى ابن عباس بجائزة.

(١٨) لما أتى معاوية نعي الحسن بن علي عليه السلام وكان ابن عباس بالشام بعث إليه معاوية وهو لا يعلم الخبر فقال: أتانا نعي الحسن وأظهر سروراً فقال ابن عباس: إذن لا ينسيء في أجلك ولا يسد حفرتك قال: أحسبه قد ترك صبية صغاراً قال: كلنا كان صغيراً وكبر قال: وأحسبه قد بلغ سناً قال: مثل مولده لا يجهل قال: لو قال قائل إنك أصبحت بعده سيد قومك ما أخطأ قال: أما وأبو عبد الله الحسين ابن علي حي فلا وعقد ابن عباس بالشام حزناً على الحسن عليه السلام وجلس في المسجد وجاء الناس يعزونه.

أجوبة أبي الأسود الدئلي

(١٩) دخل أبو الأسود على معاوية بالنخيلة فقال له معاوية أكنت ذكرت للحكومة؟ قال: نعم، قال: فما كنت صانعاً قال: كنت أجمع ألفاً من المهاجرين وأبنائهم وألفاً من الأنصار وأبنائهم ثم أقول: يا معشر من حضر أرجل من المهاجرين أحق أم رجل من الطلقاء فلعنه معاوية وقال: الحمد لله الذي كفاناك.

---

(١) جمع ناضح وهو البعير يستقى عليه غيرهم بأنهم أصحاب نواضح يستقون عليها لمزارعهم. المؤلف.

(٢٠) قال زياد لأبي الأسود: لولا أنك قد كبرت لاستعنا بك في بعض أمورنا قال: إن كنت تريدني للصراع فليس عندي وإن كنت تريد رأيي وعقلي فهما أوفر ما كانا.

(٢١) قال المبرد: كان أبو الأسود نازلاً في بني قشير وكانوا يخالفونه في المذهب لأن أبا الأسود كان علوياً وبنو قشير عثمانية فكانوا يرمونه بالليل فإذا أصبح شكا ذلك فشكاهم مرة فقالوا ما نحن نرميك ولكن الله يرميك فقال: كذبتم لو كان الله يرميني ما أخطأني وقال فيهم:

يقول الأرذلون بنو قشير ... طوال الدهر لا تنسى عليا
أحب محمداً حباً شديداً ... وعباساً وحمزة والوصيا
هوى أعطيته منذ استدارت ... رحى الإسلام لم يعدل سويا
أحبهم لحب الله حتى ... أجيء إذا بعثت على هويا
بنو عم النبي وأقربوه ... أحب الناس كلهم إليا
فإن يك حبهم رشداً أصبه ... ولست بمخطيء إن كان غيا

فقالوا: شككت يا أبا الأسود فقال: ألم تسمعوا الله تعالى يقول: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤] أفترون الله شك (قوله) سويا وهو يا أصله سواي وهواي قلبت الألف ياء وأدغمت في ياء المتكلم وهذه لغة هذيل في كل مقصور قال أبو ذؤيب الهذلي:

سبقوا هوي وأعنقوا لسبيلهم ... فتخرموا ولكل جنب مصرع

ويحكى ذلك أيضاً عن قريش وعن طيء (ومعنى) لم يعدل سوياً لم يعدل إلى سواي أو لم يعدل سواي بي ففيه حذف (قوله) ولست بمخطيء إن كان غياً قد يسأل فيقال: إن كان غياً فهو عين الخطأ فكيف لا يكون مخطئاً (والجواب) أن مراده على الظاهر إنهم ذوو صفات كريمة شريفة عالية جديرة بأن يحب صاحبها فمن أحب مثلهم لم يكن مخطئاً لو فرض محالاً إن حبهم غي.

(٢٢) دخل أبو الأسود يوماً على معاوية فقال له: أصبحت جميلاً يا أبو الأسود فلو علقت تميمة تدفع العين عنك فقال:

أفنى الشباب الذي فارقت بهجته كر الجديدين من آت ومنطلق
لم يتركا لي في طول اختلافهما شيئاً أخاف عليه لذغة الحدق

(٢٣) دخل أبو الأسود السوق يشتري ثوباً فقال له رجل: هلم أقاربك فقال إن لم تقاربني باعدتك ثم قال له: بكم هو قال: أعطيت به كذا وكذا قال: إنما تخبرني عما فاتك.

(٢٤) كان أبو الأسود ماشياً في طريق فقال له راكب: الطريق الطريق قال: عن الطريق تعدلني.

(٢٥) مرض أبو الأسود فقيل هو أمر الله فقال: ذاك أشد له.

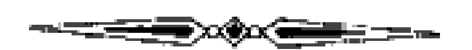
(٢٦) خاصمت أبا الأسود امرأته إلى زياد في ولدها (فقالت) أنه يريد أن يبلغني على ولدي وقد كان بطني له وعاء وثديي له سقاء وحجري له فناء (فقال أبو الأسود) بهذا تريدين أن تغلبيني على ابني - فوالله لقد حملته قبل أن تحمليه ووضعته قبل أن تضعيه (فقالت) ولا سواء أنك حملته خفيفاً وحملته ثقيلاً ووضعته شهوة ووضعته كرهاً (فقال) له زياد إنها امرأة عاقلة يا أبا الأسود فادفع إليها ابنها فأخلق بها أن تحسن أدبه ويأتي في محاكمة رجل وامرأته عند عمليق ما فيه شيء من هذا.

(٢٧) قال رجل لأبي الأسود: أنت والله ظريف لفظ وظرف علم ووعاء حلم غير أنك بخيل قال: وما خير ظرف لا يمسك ما فيه.

(٢٨) وسلم عليه أعرابي فقال أبو الأسود كلمة مقولة قال: أتأذن لي في الدخول قال: وراءك أوسع لك قال: فهل عندك شيء؟ قال: نعم، قال: أطعمني قال عيالي أحق منك قال: ما رأيت ألأم منك قال: نسيت نفسك.

(٢٩) وسأله رجل شيئاً فمنعه قال: ما أصبحت حاتمنا قال: بلى قد أصبحت حاتمكم من حيث لا تدري أليس حاتم الذي يقول:

أماويّ أما مانع فمبين وأما عطاء لا ينهنهه الزجر



أجوبة الناس لمعاوية

(٣٠) دخل عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي على معاوية وعنده ابن الزبير فقال ابن الزبير: يا أبا طريف متى فقئت عينك (وكانت عينه ذهبت يوم الجمل) فقال: يوم فر أبوك منهزماً فقتل وهربت عن خالتك وضربت على قفاك وأنت هارب وأنا مع الحق وأنت مع الباطل فقال له معاوية: ما فعل الطرفات؟ (يعني طريفاً وطرافاً وطرفة أبناءه) قال عدي: قتلوا مع علي بن أبي طالب قال معاوية: ما أنصفك علي إذ قدم أبناءك وأخر أبناءه قال عدي: بل ما أنصفته أنا إذ قتل وبقيت بعده قال معاوية: أما أنه قد بقيت قطرة من دم عثمان ما لها إلا كذا وأومأ بيده إليه قال عدي: إن السيوف التي أغمدت على حسك في الصدور ولعلك تسل سيفاً تسل به سيوف فقال معاوية لعمر بن العاص كلمة شدها في قرنك ثم خرج عدي وهو يقول:

يحاولني معاوية بن صخر ... وليس إلى التي يبغي سبيل
يذكرني أبا حسن علياً ... وخطبي في أبي حسن جليل
وقال ابن الزبير وقال عمرو ... عدي بعد صفين ذليل
ولكني على ما كان مني ... أخبر صاحبي بما أقول
فقلت صدقتما قد هدَّ ركني ... وفارقني الذين بهم أصول
وإن أخاكما في كل يوم ... من الأيام محمله ثقيل

(٣١) في العقد الفريد حج معاوية فسأل عن امرأة من بني كنانة كانت تنزل بالحجون يقال لها دارمية الحجونية وكانت سوداء كثيرة اللحم فأخبر بسلامتها فبعث إليها فجاءت فقال: ما جاء بك يا ابنة حام قالت: لست لحام ادعى أنا امرأة من بني كنانة قال: أتدرين لم بعثت إليك قالت: لا يعلم الغيب إلا الله قال لأسألك علام أحببت علياً وأبغضتني وواليته وعاديتني قالت: أو تعفيني قال: لا، قالت: أحببت علياً على عدله في الرعية وقسمهُ بالسوية وأبغضتك على قتالك من هو أولى منك بالأمر وطلبتك ما ليس لك بحق وواليت علياً على ما عقد له رسول الله ﷺ من الولاء وحبه المساكين وإعظامه لأهل الدين وعاديتك على سفكك الدماء وجورك في القضاء وحكمك بالهوى قال فلذلك انتفخ بطنك وعظم ثدياك وربت عجيزتك قالت:

يا هذا بهند والله كان يضرب المثل في ذلك لا بي قال: هل رأيت علياً قالت: إي والله قال: كيف رأيته؟ قالت: رأيته والله لم يفتنه الملك الذي فتنك ولم تشغله النعمة التي شغلتك قال: فهل سمعت كلامه قالت: نعم والله فكان يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت صدأ الطست قال: صدقت فهل لك من حاجة قالت: أوَ تفعل إذا سألتك قال: نعم قالت: تعطيني مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها قال: تصنعين بها ماذا قالت: أغذو بألبانها الصغار وأستحيي بها الكبار وأكسب بها المكارم وأصلح بها بين العشائر قال: فإن أعطيتك فهل أحل عندك محل علي بن أبي طالب قالت: سبحان الله أو دونه فأنشأ يقول:

إذا لم أعد بالحلم مني عليكم ... فمن ذا الذي بعدي يؤمل للحلم
خذيها هنيئاً واذكري فعل ماجد ... جزاك على حرب العداوة بالسلم

(٣٢) حضر الأحنف (واسمه صخر بن قيس) عند معاوية فتكلم جلساؤه في يزيد وقد أخذ له البيعة والأحنف ساكت فقال معاوية: ما لك لا تتكلم يا أبا بحر قال: أخاف الله إن كذبت وأخافكم إن صدقت.

(٣٣) وقال معاوية يوماً لجلسائه يوماً: ألستم تعلمون قوله تعالى ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١] فكيف تلومونني بعد هذا فقال الأحنف: ما نلومك على ما في خزائن الله إنما نلومك على ما أنزل الله من خزائنه فأغلقت عليه بابك فسكت معاوية ولم يحر جواباً.

(٣٤) قال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة: دخل أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني على معاوية فقال له معاوية: أكنت ممن قتل أمير المؤمنين عثمان قال: لا ولكن ممن شهده فلم ينصره قال: ولِمَ، قال: لم ينصره المهاجرون والأنصار فقال معاوية: أما والله إن نصرته كانت عليك وعليهم حقاً واجباً وفرضاً لازماً فإذا ضيعتموه فقد فعل الله بكم ما أنتم أهله وأصاركم إلى ما رأيتهم فقال أبو الطفيل: فما منعك يا أمير المؤمنين إذ تربصت به ريب المنون أن لا تنصره ومعك أهل الشام قال معاوية: أوَ ما ترى طلبي لدمه فضحك أبو طفيل فقال: بلى ولكنك وإياه كما قال عبيد بن الأبرص:

لا أعرفنَّك بعد الموت تندبني ... وفي حياتي ما زودتني زادي

ودخل مروان بن الحكم وأخوه عبد الرحمن وسعيد بن العاص فقال لهم معاوية هذا خليل علي بن أبي طالب وفارس صفين وشاعر أهل العراق هذا أبو الطفيل فشتمه القوم فقال معاوية: مهلاً فرُبَّ يوم ارتفع عن السباب قد ضقتم به ذرعاً ثم قال أتعرف هؤلاء يا أبا الطفيل فقال: ما أنكرهم من سوء ولا أعرفهم بخير وأنشد:

فإن تكن العداوة قد أكنت فشر عداوة المرء السباب

(٣٥) خطب معاوية يوماً بمسجد دمشق وفي الجامع من الوفود علماء قريش وخطباء ربيعة وصناديد اليمن وملوكها فقال: إن الله تعالى أكرم خلفاءه فأوجب لهم الجنة وأنقذهم من النار ثم جعلني منهم وجعل أنصاري أهل الشام الذابين عن حرم الله المؤيدين بظفر الله المنصورين على أعداء الله وكان في الجامع من أهل العراق الأحنف بن قيس وصعصعه بن صوحان فقال الأحنف: بل أكفيكه أنا فقام صعصعة فقال يا ابن أبي سفيان تكلمت فأبلغت ولم تقصر دون ما أردت، وكيف يكون ما تقول وقد غلبتنا قسراً وملكتنا تجبراً ودنتنا بغير الحق، فأما إطراؤك لأهل الشام فما رأيت أطوع لمخلوق وأعصى لخالق منهم ابتعت منهم دينهم وأبدانهم بالمال، فإن أعطيتهم حاموا عنك ونصروك وإن منعتهم قعدوا عنك ورفضوك، فقال معاوية اسكت ابن صوحان فوالله لولا إني لم أتجرع غصة غيظ قط أفضل من حلم لما عدت إلى مثل مقالتك؛ فقعد صعصعة فأنشأ معاوية يقول:

قلبت جاهلهم حلماً ومكرمة والحلم عن قدرة فضل من الكرم

(٣٦) قدم وفد العراقين على معاوية وفيهم صعصعة بن صوحان؛ فقال لهم معاوية أهلاً وسهلاً قدمتم الأرض المقدسة وأرض الأنبياء والرسل والحشر والنشر، فقال صعصعة وكان من أحضر الناس جواباً أما قولك الأرض المقدسة فإن الأرض لا تقدس أهلها وإنما تقدس الأعمال الصالحة، وأما قولك أرض الأنبياء والرسل فمن بها من أهل النفاق والشرك والجبابرة أكثر من الأنبياء والرسل، وأما قولك أرض الحشر والنشر فإن المؤمن لا يضره بعد المحشر والمنافق لا ينفعه قربة، فقال معاوية: لو كان الناس كلهم أولدهم أبو سفيان لما كان فيهم إلا كيساً رشيداً، فقال صعصعة قد أولد الناس من كان خيراً من أبي سفيان فأولد الأحمق والفاجر والفاسق والمعتوه؛ فخجل معاوية.

(٣٧) قال معاوية يوماً إن الله فضل قريشاً بثلاث؛ فقال لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] فنحن عشيرته وقال وإنه لذكر لك ولقومك فنحن قومه وقال لإيلاف قريش إيلافهم إلى قومه الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف، ونحن قريش فأجابه رجل من الأنصار فقال على رسلك يا معاوية فإن الله يقول وكذب به قومك وأنتم قومه وقال ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون وأنتم قومه، وقال لرسوله ﷺ يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً وأنتم قومه ثلاثة بثلاثة ولو زدتنا لزدناك فأفحمه.

(٣٨) قال معاوية لرجل من اليمن ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة فقال أجهل من قومي قومك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله ﷺ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم؛ ولم يقولوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه.

(٣٩) قال معاوية لجارية بن قدامة ما كان أهونك على أهلك إذ سموك جارية؛ قال ما كان أهونك على أهلك إذ سموك معاوية وهي الأنثى من الكلاب، قال لا أم لك قال أمي ولدتني للسيوف التي لقيناك بها قال إنك لتهددني قال إنك لم تملكنا عنوه ولكنك أعطيتنا عهداً وأعطيناك طاعة فإن وفيت وفينا لك وإن فزعت إلى غير ذلك فإنا تركنا وراءنا رجالاً شداداً وألسنة حداداً؛ قال معاوية: لا كثر الله في الناس من أمثالك قال جارية قل معروفاً فإن شر الدعاء المحتطب.

(٤٠) دخل حريم الناعم على معاوية فنظر إلى ساقيه فقال: أي ساقين لو أنهما على جارية قال: في مثال عجيزتك يا أمير المؤمنين، قال معاوية، واحدة بواحدة والبادي أظلم.

(٤١) قال معاوية لصحار بن العباس العبدي: يا أزرق قال البازي أزرق قال يا أحمر قال الذهب أحمر قال ما هذه البلاغة فيكم يا بني عبد القيس قال شيء يختلج في صدورنا فتقذفة ألسنتنا كما يقذف البحر الزبد؛ قال فما البلاغة عندكم قال: أن نقول فلا نخطىء ونجيب فلا نبطىء.

(٤٢) قال معاوية لعمرو بن سعيد بن العاص الملقب بالأشدق إلى من أوصى بك أبوك؛ فقال إن أبي أوصى إلي ولم يوصِ بي.

(٤٣) قال معاوية لعمرو بن العاص ما أعجب الأشياء قال غلبتم من لا حق له ذا الحق على حقه؛ قال معاوية أعجب من ذلك أن يعطى من لا حق له ما ليس له بحق بغير غلبة.

(٤٤) دخل شريك بن الحارث الأعور على معاوية فقال له: ما اسمك فقال شريك قال ابن من قال ابن الأعور، قال إنك شريك وما لله شريك وإنك لابن الأعور والصحيح خير؛ وانك لدميم سيئ الخلق فكيف سدت قومك، فقال شريك وأنت معاوية وما معاوية إلّا كلبة عوت فاستعوت فسميت معاوية وإنك لابن صخر والسهل خير وإنك لابن حرب والسلم خير، وإنك لابن أمية وأمية أمة صغر بها فكيف سميت أمير المؤمنين؛ فقال معاوية واحدة بواحدة والبادي أظلم.

أجوبة مسلم بن عقيل لعبيد الله بن زياد

(٤٥) لما دخل مسلم بن عقيل على عبيد الله بن زياد بالكوفة وهو أسير لم يسلم عليه بالإمرة؛ فقال له الحرسي لِمَ لا تسلم على الأمير قال مسلم اسكت ويحك والله ما هو لي بأمير؛ قال ابن زياد لا عليك سلمت أم لم تسلم فإنك مقتول؛ قال إن قتلتني فلقد قتل من هو شر منك من هو خير مني، قال قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام قال أما إنك أحق أن تحدث في الإسلام ما لم يكن وإنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السريرة ولؤم الغلبة لأحد هو أولى بها منك، قال يا عاق يا شاق خرجت على أمامك وشققت عصا المسلمين وألقحت الفتنة، قال إنما شق عصا المسلمين معاوية وابنه يزيد وأما الفتنة فإنما ألقحتها أنت وأبوك زياد بن عبيد عبد بني علاج من ثقيف، قال ايه ابن عقيل أتيت هذا البلد وأهله جميع فشتت أمرهم وفرقت كلمتهم، قال ما لهذا جئت ولكنكم دفنتم المعروف وأظهرتم المنكر وتآمرتم على الناس بغير رضا منهم وعملتم فيهم بأعمال كسرى وقيصر فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف وتنهى عن المنكر وندعوهم إلى حكم الكتاب والسنة، قال لم لم تفعل ذلك وأنت بالمدينة تشرب الخمر قال أنا أشرب الخمر أما والله إن الله ليعلم أنك تعلم أنك غير صادق وإن أحق بشرب الخمر مني من يقتل النفس التي

حرم الله ويسفك الدم الحرام على الغضب والعداوة؛ فأخذ ابن زياد يشتمه ويشتم علياً وعقيلاً والحسن والحسين عليهما السلام؛ فقال أنت وأبوك أحق بالشتيمة فاقضِ ما أنت قاض يا عدو الله.



جواب علي بن الحسين عليه السلام لعبيد الله بن زياد

(٤٦) عرض على ابن زياد علي بن الحسين عليه السلام بعد قتل أبيه؛ فقال من أنت قال أنا علي بن الحسين فقال أليس قد قتل الله علي بن الحسين، فقال قد كان لي أخ يسمى علياً قتله الناس قال بل الله قال الله؛ يتوفى الأنفس حين موتها.

جواب زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام لابن زياد

(٤٧) لما دخلت زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام على عبيد الله بن زياد بعد قتل الحسين عليه السلام قال لها الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم، قالت الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله إنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا؛ قال كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك، قالت ما رأيت إلا جميلاً هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن الفلج يومئذٍ هبلتك أمك يا ابن مرجانة.



جواب علي بن الحسين عليه السلام ليزيد بن معاوية

(٤٨) قال يزيد لعلي بن الحسين عليه السلام أبوك قطع رحمي وجهل حقي ونازعني سلطاني فصنع الله به ما قد رأيت، فقال علي بن الحسين عليه السلام: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ لِّكَيْلَا

تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَـٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣] فقال يزيد ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير؛ فقال علي بن الحسين عليه السلام ويلك يا يزيد إنك لو تدري ماذا صنعت وما الذي ارتكبت لهربت في الجبال وافترشت الرماد؛ فابشر بالخزي والندامة إذا اجتمع الناس ليوم القيامة.

جواب عمرو بن الحسن عليه السلام ليزيد بن معاوية

(٤٩) قال يزيد يوماً لعمرو بن الحسن عليه السلام أتصارع ابني خالداً قال له عمرو ولكن أعطني سكيناً وأعطه سكيناً ثم أقاتله قال يزيد:

شنشنة أعرفها من أخزم هل تلد الحية إلّا حية

أجوبة زيد بن علي بن الحسين عليه السلام لهشام بن عبد الملك

(٥٠) دخل زيد بن علي على هشام بن عبد الملك وقد جمع له أهل الشام وأمر أن يتضايقوا في المجلس حتى لا يجد موضعاً، فقال يا أمير المؤمنين: إنه لا يكبر أحد فوق أن يوصي بتقوى الله ولا يصغر أحد دون أن يوصي بتقوى الله وإني أوصيك بتقوى الله؛ فقال له هشام ما فعل أخوك البقرة قال سماه رسول الله صلى الله عليه وآله باقر العلم وأنت تسميه بقرة لشد ما اختلفتما في الدنيا ولتختلفان في الآخرة، قال أنت المؤهل نفسك للخلافة وأنت ابن أمة قال إني لا أعلم أحداً أعظم منزلة عند الله من نبي بعثه وهو ابن أمة فهذا إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن ابن أمة بعثه الله بالنبوة، فالنبوة عند الله أعظم أم الخلافة وقد خرج من صلبه خير البشر محمد صلى الله عليه وآله وإسحاق بن حرة خرج من صلبه القردة والخنازير وعبدة الطاغوت وما قصر برجل جده رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن علي بن أبي طالب أن يكون ابن أمة.



أجوبة سعيد بن جبير للحجاج

(٥١) كان سعيد بن جبير خرج على عبد الملك بن مروان فأتي به إلى الحجاج؛ فقال: ما اسمك، قال: سعيد، قال: ابن من، قال: ابن جبير؛ فقال بل أنت شقي ابن كسير قال: أمي أعلم باسمي؛ قال: شقيت وشقيت أمك قال: الغيب يعلمه غيرك، قال: لاوردنك حياض الموت قال: أصابت إذا أمي اسمي قال: لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى، قال: لو أعلم أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهاً؛ قال: فما قولك في الخلفاء قال: لست عليهم بوكيل قال: أيهم أعجب إليك قال: أرضاهم لخالقه قال: فأيهم أرضاهم لخالقه قال: علم ذلك عند من يعلم سرهم ونجواهم؛ قال: فما قولك في علي أفي الجنة هو أم في النار، قال: لو دخلت الجنة والنار فرأيت أهلهما علمت من فيها قال: فأي رجل أنا يوم القيامة قال: أنا أهون على الله من أن يطلعني على الغيب قال: أبيت أن تصدقني قال: بل لم أرد أن إكذبك قال: ما لك لم تضحك قط قال: كيف يضحك مخلوق من طين والطين تأكله النار، قال: فأنا أضحك قال: كذلك خلقنا الله أطواراً، ثم دعا الحجاج بالعود والناي فلما طرب بالعود ونفخ بالناي بكى سعيد، فقال الحجاج: ما يبكيك، قال: أما هذه النفخة فذكرتني يوم النفخ في الصور وأما هذا العود فنبت بحق وقطع لغير حق قال: أنا قاتلك قال قد فرغ من تسبب موتي، قال: كيف ترى ما تجمع لأمير المؤمنين قال: حسن إن قمت بشرطه قال: إن تشتري له به الأمنَ من الفزع الأكبر يوم القيامة ولا ينفعه إلا ما طاب منه أترى جمعنا طيباً قال: برأيك جمعته وأنت أعلم بطيبه قال أتحب أن لك شيئاً منه قال: لا أحب ما لا يحب الله قال: ويلك قال: الويل لمن زحزح عن الجنة فأدخل النار، قال: تذهبوا به فاقتلوه فلما أدبر ضحك قال: ما يضحكك قال: عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عليك قال: اضربوا عنقه قال: حتى أصلي ركعتين، فاستقبل القبلة قال اصرفوه عن القبلة إلى قبلة النصارى فصرف فقال: أينما تولوا فثم وجه الله؛ ثم قال: اللهم لا تترك له ظلمي وأطلبه بدمي فضربت عنقه.

أجوبة أبي العيناء

كان أبو العيناء (واسمه محمد بن القاسم اليمامي) من أحضر الناس جواباً وأجودهم بديهة وأمحلهم نادرة؛ وقال له المنصور: ما أحسن الجواب، قال: ما أسكت المبطل وحير المحق.

(٥٢) حدث أبو العيناء بعض الزبيريين بفضائل أهله؛ فقال له الزبيري أتجلب التمر إلى هجر؛ قال نعم إذا أجدبت أرضها وعاوم نخلها. يقال عاومت النخلة إذا حملت سنة ولم تحمل سنة.

(٥٣) قال المتوكل لأبي العيناء بلغني إن فيك شراً؛ فقال يا أمير المؤمنين إن يكن الشر ذكر المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته؛ فقد زكى الله تعالى وذم فقال في التزكية (نعم العبد أنه أواب)

وقال في الذم (هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم) فذمه الله تعالى حتى قذفه، وقد قال الشاعر:

إذا أنا بالمعرف لم اك دائباً ولم أذمم الجبس اللئيم المذمما
ففيم عرفت الخير والشر باسمه وشق لي الله المسامع والفما

وإن كان الشر كفعل العقرب تلسع النبي والذمي بطبع لا يتميز فقد صان الله تعالى عبدك عن ذلك.

(٥٤) وقال له المتوكل يوماً إني لأفرق من لسانك؛ فقال له إن الشريف فروقة ذو أحجام وإن اللئيم ذو امنة وإقدام.

(٥٥) وقال له المتوكل يوماً وقد دخل عليه اشتقتك والله يا أبا العيناء فقال له يا سيدي إنما يشتد الشوق على العبد؛ لأنه لا يصل إلى مولاه فأما السيد فمتى أراد عبده دعاه.

(٥٦) وقال له المتوكل يوماً ما بقي في مجلسي أحد إلا اغتابك وذمك غيري فقال:

إذا رضيت عني كرام عشيرتي فلا زال غضباناً علي لئامها

(٥٧) وقال له المتوكل كيف ترى داري هذه؛ فقال رأيت الناس بنوا دورهم في الدنيا؛ وأمير المؤمنين جعل الدنيا في داره.

(٥٨) وقال له المتوكل من أسخى من رأيت وأبخل من رأيت؛ قال ما رأيت أسخى من أحمد بن أبي دؤاد ولا أبخل من موسى بن عبد الملك؛ قال وكيف وقفت على بخله قال رأيته يحرم القريب كما يحرم البعيد ويعتذر من الإحسان كما يعتذر من الإساءة؛ فقال أجئت إلى من أطرحته فسخيته، وإلى من أمسكته فبخلته فقال يا أمير المؤمنين إن الصدق ما هو في موضع من الموضع أنفق منه بحضرتك والناس يغلطون فيمن ينسبون إلى السخاء فإذا نسب الناس السخاء إلى البرامكة فإنما هو من سخاء أمير المؤمنين الرشيد وإذا نسبو السخاء إلى الحسن والفضل ابني سهل فإنما ذلك سخاء أمير المؤمنين المأمون وإذا نسبوا ابن الزيات إلى السخاء فإنما ذلك سخاء أمير المؤمنين المعتصم وإذا نسبوا الفتح بن خاقان وعبيد الله بن يحيى إلى السخاء فإنما هو سخاؤك؛ فما بال هؤلاء القوم لا ينسبون إلى قبل صحبتهم الخلفاء؛ قال صدقت وسري به.

(٥٩) وقال له المتوكل ما أشد عليك في ذهاب البصر؛ قال فقد رؤيتك مع إجماع الناس على جمالك.

(٦٠) وقال له يوماً أريدك لمجالستي؛ قال لا أطيق ذلك وما أقول هذا جهلاً بما لي في هذا المجلس من الشرف، ولكن أنا رجل محجوب والمحجوب تختلف إشاراته ويخفي عليه إيماؤه، ويجوز أن أتكلم بكلام غضبان ووجهك راض ويكلام راض ووجهك غضبان؛ ومتى لم أميز بين هاتين هلكت فقال صدقت.

(٦١) وروي أنه قال له لولا أنك ضرير لنادمتك؛ فقال إن أعفيتني من رؤية الأهلة وقراءة نقش الخواتم فإني أصلح.

(٦٢) وقال له المتوكل ما تقول في ابن مكرم والعباس بن رستم؛ فقال هما الخمر والميسر إثمهما أكبر من نفعهما؛ قال بلغني إنك تودهما فقال لقد ابتعت الضلال بالهدى والعذاب بالمغفرة.

(٦٣) وقال له يوماً إن سعيد بن عبد الملك يضحك منك؛ قال: إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون.

(٦٤) وقيل لأبي العيناء إبراهيم بن نوح النصراني عليك عاتب؛ فقال ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم.

(٦٥) ورآه زرقان وهو يضاحك نصرانياً؛ فقال يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء؛ فقال أبو العيناء لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين.

(٦٦) دخل أبو العيناء على الحسن بن سهل فأثنى عليه فأمر له بعشرة آلاف درهم فقال والله ما استكثر كثيرك أيها الأمير لأنك أكثر منه؛ ولا استقل قليلك لأنه أكثر من كثير غيرك.

(٦٧) قال عبيد الله بن يحيى بن خاقان يوماً لأبي العيناء اعذرني فإني عنك مشغول قال، فإذا فرغت لم أحتج إليك.

(٦٨) وقال له يوماً قد تبينت الغضب فيك يا أبا عبد الله، فقال له قد أجل الله قدرك غضبي إنما يغضب الرجل على من دونه؛ فأما على من فوقه فلا؛ ولكن أحزنني تقصيرك بي فسميت حزني غضباً.

(٦٩) كان صاعد بن مخلد من أحسن من أسلم ديناً وأكثرهم صلاة وصدقة؛ فصار إلى بابه أبو العيناء مرات كثيرة بعقب إسلامه فحجب وقيل له إنه مشغول في صلاته؛ فقال أبو العيناء لكل جديد لذة.

(٧٠) دخل أبو العيناء يوماً إلى أبي الصقر بن بلبل في وزارته؛ فقال له يا أبا عبد الله ما أخرك عنا قال سرق حماري، قال وكيف سرق قال لم أكن مع الذي سرقه فأخبر بما كان؛ قال هلا اكتريت أو استعرت أو اشتريت قال قعد بي عن الشراء عدمي وكرهت منة العواري وذلة المكاري؛ فوهب له حماراً ووصله.

(٧١) وأدناه أبو الصقر يوماً ورفعه؛ فقال تدنيني حتى كأني بعضك وتبعدني حتى كأني ضدك.

(٧٢) وقال أبو العيناء يوماً لعبد الله بن سليمان وقد رفعه أيضاً؛ إلى كم ترفعني ولا ترفع بي رأساً.

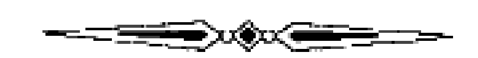
(٧٣) وقال له يوماً وقد سأله عن حاله أنا معك مغبوط الظاهر محروم الباطن.

(٧٤) شكا أبو العيناء إلى عبد الله بن سليمان تأخر رزقه؛ فقال ألم نكن كتبنا لك إلى فلان فما فعل قال جرني على شوك المطل قال أنت اخترته قال وما علي وقد اختار موسى قومه سبعين رجلاً فأخذتهم الرجفة واختار رسول الله ﷺ ابن أبي سرح كاتباً فارتد واختار علي أبا موسى فحكم عليه.

(٧٥) شكا بعض الوزراء كثرة الأشغال فقال أبو العيناء لا أراني الله يوم فراغك

(٧٦) قيل لأبي العيناء بقي من يلقى قال نعم في البئر.

(٧٧) سئل أبو العيناء عن حماد بن زيد بن درهم وحماده بن سلمة بن دينار فقال بينهما في القدر ما بين أبويهما في المصرف. ويروى مثل ذلك عن أبي ثور.



اجوبة مؤمن الطاق

(٧٨) في العقد الفريد: عمارة عن محمد بن أبي بكر البصري قال لما مات جعفر بن محمد؛ قال أبو حنيفة لشيطان الطاق مات إمامك وذلك عند المهدي، فقال شيطان الطاق لكن إمامك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم؛ فضحك المهدي من قوله وأمر له بعشرة آلاف درهم.

(٧٩) قال أبو حنيفة لشيطان الطاق أنت تقول بالرجعة فأقرضني أربعمائة دينار؛ قال: أعطني كفيلاً أنك تعود إنساناً ولا تعود قرداً[١].

(١) في كتاب الظراف والمتماجنين لابن الجوزي طبع دمشق ص٣٤: قال محمد بن جعفر الإمامي كان أبو حنيفة يتهم شيطان الطاق بالرجعة وكان شيطان الطاق يتهم أبا حنيفة بالتناسخ فخرج أبو حنيفة إلى السوق فاستقبله شيطان الطاق ومعه ثوب يريد بيعه فقال له: تبيع هذا الثوب إلى رجوع علي فقال إن أعطيتني كفيلاً إنك لا تسمح قرد أبعتك فبهت أبو حنيفة والصحيح من القصة ما ذكرناه في الأصل لأن شيطان الطاق لم يكن يتهم أبا حنيفة بالتناسخ ولا يتهمه أحد بذلك وإنما أجابه بذلك بقصد الإسكات وشيطان الطاق هو محمد بن النعمان من خواص أصحاب الصادق عليه السلام يلقب بمؤمن الطاق لأنه كان صيرفياً بطاق المحامل في الكوفة (وفي القاموس) أنه سكن في حصن بطبرستان فنسب إليه أهو كان أعداؤه يلقبونه بشيطان الطاق وقيل لقب به لأنه جيء إليه بدرهم زيف فعرفه فقيل إنما هذا شيطان من المؤلف.

(٨٠) وقال له أبو حنيفة بلغني أنكم معشر الشيعة إذا مات منكم ميت كسرتم يده اليسرى ليعطى كتابه بيمينه، فقال بلغني عنكم معشر المرجئة أنكم إذا مات منكم ميت قمعتم في دبره جرة حتى لا يعطش يوم القيامة؛ قال مكذوب علينا؛ قال نحن مكذوب علينا فقال مكذوب علينا وعليكم.

(٨١) وكان يمشي معه يوماً فسمع رجلاً ينادي من رأى صبياً ضالاً؛ فقال مؤمن الطاق أما الصبي فلم نره ولكن إذا أردت شيخاً ضالاً فخذ هذا.

(٨٢) وقال له أبو حنيفة أنتم حيث لا تعملون بالقياس تتحيرون في كثير من الأحكام، فقال كلا فقال إذا خرج بعير من البحر هل يحل أكله؛ قال إن كان له فلس أكلناه وإلا تركناه سواء كان بعيراً أو ناقة.

(٨٣) وقال له أبو حنيفة ما تقول في المتعة قال حلال نطق بها الكتاب وجرت بها السنة؛ قال فتحب أن يتمتع بناتك وأخواتك قال شيء قد أحله الله وإن كرهته فما حيلتي ولكن ما تقول في النبيذ قال حلال؛ قال أفيسرك أن تكون أخواتك وبناتك نباذات فقطعه ومضى.

(٨٤) وحبسه الرشيد مرة وجعل يرتقب حجة لقتله؛ فقال له عيسى بن موسى قل له لما اختصم علي والعباس في ميراث رسول الله ﷺ أيهما كان الظالم لصاحبه، فأيهما قال إنه الظالم أقتله به فأحضره وقال له ذلك فقال أنا لا أقول إنهما اختصما ولكنهما كانا كجبرائيل وميكائيل لما اختصما إلى داود لينبها على خطائه فالتفت الرشيد إلى عيسى وقال زعمت إنك تقتله.



أجوبة لجماعة متفرقين

(٨٥) قيل لمحمد ابن الحنفية لم يغرر بك أبوك في الحرب ولا يغرر بالحسن والحسين قال إنهما عيناه وأنا يمينه فهو يدفع عن عينيه بيمينه.

(٨٦) أنشد عدي بن الرقاع العاملي الوليد بن يزيد قوله في الخمر:

كميت إذا شجت وفي الكأس وردة   لها في عظام الشاربين دبيب

فقال له شربتها ورب الكعبة؛ قال ابن الرقاع لئن كان نعتي لها بذلك رأبك لقد رأبني معرفتك بها.

(٨٧) جاءت وفود إلى عمر بن عبد العزيز فأراد فتى منهم الكلام فقال: ليتكلم من هو أسن منك فقال لو كان الفضل بالسن لكان في قريش من هو أحق منك بالخلافة فقال له: تكلم.

(٨٨) قال رجل لكثير الشاعر وقد رآه راكباً وأبو جعفر الباقر عليه السلام يمشي أثره، فاستغرب الرجل، فقال هو: أمرني بذلك وأنا بطاعته في الركوب أفضل مني في عصيان إياه بالمشي.

(٨٩) أتي سليمان بن عبد الملك بيزيد بن مسلم مولى الحجاج في جامعة وكان دميماً تقتحمه العين فقال: لعن الله امرأ أجرك رسنك وولى مثلك فقال: رأيتني والأمر عني مدبر ولو رأيتني والأمر علي مقبل لاستعظمت ما استصغرت قال له: أين ترى الحجاج أيهوي في النار أم قد استقر فقال: إن الحجاج قمع لكم الأعداء ووطأ لكم المنابر وزرع لكم الهيبة في قلوب الناس وإنه يأتي يوم القيامة عن يمين أبيك عبد الملك وشمال أخيك الوليد فضعه من النار حيث شئت.

(٩٠) قيل لبعضهم: إلى من أوصى بك أبوك؟ فقال: إن أبي أوصى إلي ولم يوص بي.

(٩١) قال عبيد الله بن زياد بن ظبيان لابنه وقد حضرته الوفاة: قد أوصيت بك فلاناً فألقه بعدي فقال: يا أبت إذا لم يكن للحي إلا وصية الميت فالحي هو الميت.

(٩٢) دخل معن بن زائدة على المنصور فقال له كبرت يا معن قال في طاعتك؛ قال وإنك لتتجلد قال على أعدائك؛ قال وإن فيك لبقية قال هي لك.

(٩٣) قال رجل لعمرو بن العاص لأتفرغن لك قال إذا وقعت في الشغل.

(٩٤) أتى دعاة خراسان أبا عبد الله الصادق عليه السلام فقالوا له أردنا ولد محمد بن علي فقال أولئك بالشراة[1] ولست بصاحبكم، فقالوا له لو أراد الله بنا خيراً لكنت

(١) الشراة موضع بين دمشق والمدينة من أرض البلقاء فيه موضع يسمى الحميمة كان مسكن ولد العباس.

صاحبنا؛ فقال المنصور بعد ذلك لأبي عبد الله عليه السلام أردت الخروج علينا؛ فقال نحن ندل عليكم في دولة غيركم فكيف نخرج عليكم في دولتكم.

(٩٥) قال عبد الملك بن مروان لنُصيب هل لك في الشراب؛ فقال له نصيب الشعر مفلفل واللون مرمد وإنما قربني إليك عقلي فهبه لي.

(٩٦) قال مروان بن محمد الملقب بالحمار آخر ملوك بني أمية لحاجبه وقد ولى منهزماً في وقعة الزاب كر عليهم بالسيف؛ فقال: لا طاقة لي بذلك قال والله لأسؤنك إن لم تفعل؛ قال: وددت أنك تقدر على ذلك.

(٩٧) جعل الجعد بن درهم في قارورة تراباً وماء فاستحال دوداً وهواماً؛ وقال لأصحابه أنا خلقت ذلك لأني كنت سبب كونه، فبلغ ذلك جعفر بن محمد عليه السلام فقال ليقل كم هو وكم الذكران منه والإناث إن كان خلقه وكم وزن كل واحدة؛ وليأمر التي تسعى إلى هذا الوجه أن ترجع إلى غيره فانطلق وهرب.

(٩٨) فاخر خالد بن صفوان بن الأهتم رجلاً من بني عبد الدار؛ فقال له العبدري أنت خالد (كمن هو خالد في النار) وأنت ابن صفوان (كمثل صفوان عليه تراب) وأنت ابن الأهتم والصحيح خير من الأهتم، فقال له خالد: يا أخا بني عبد الدار تتكلم وقد هشمتك هاشم وأمتك بنو أمية وخزمتك بنو مخزوم وجمحتك بنو جمح؛ فأنت عبد دارهم تفتح إذا دخلوا وتغلق إذا خرجوا فقام العبدري محموماً.

(٩٩) أنشد الفرزدق سعيد بن العاص وعنده الحطيئة أبياتاً يقول فيها:

ترى الغر الجحاجح من قريش ... إذا ما الأمر في الحدثان غالا
قياما تنظرون إلى سعيد ... كأنهم يرون به هلالا

فقال له الحطيئة هذا والله أيها الأمير الشعر لا ما نعلل به منذ اليوم يا غلام قدمت أمك الحجاز قال لا ولكن قدمه أبي.

(١٠٠) قال موسى بن عيسى لشريك يا أبا عبد الله عزلوك وما رأينا قاضياً عزل؛ قال هم الملوك يخلعون ويعزلون يعرض بأن أباه خلع من ولاية العهد.

(١٠١) سمع الأحنف رجلا يقول ما أحلم معاوية فقال: لو كان حليماً ما سفه الحق.

(١٠٢) وصف رجل معاوية بالحلم عند الشعبي فقال الشعبي: وهل أغمد سيفه وفي قلبه على أحد شيء.

(١٠٣) رئي عبد الله بن جعفر يماكس في درهم فقيل له: تماكس في درهم وأنت تجود بما تجود به؟ فقال: ذاك مالي جدت به وهذا عقلي بخلت به.

(١٠٤) قال أبو العيناء: كان سبب اتصالي بأحمد بن أبي دؤاد أن قوماً من أهل البصرة عادوني وأدعوا عليَّ دعاوى كثيرة منها أني رافضي فخرجت إلى سر من رأى وألقيت نفسي على ابن أبي دؤاد فشخصوا إلى سر من رأى فقلت له القوم قد قدموا من البصرة يداً علي قال: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] قلت: إن لهم مكراً قال ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] قلت: هم كثيرون قال ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩] قلت: لله در القاضي هو والله كما قال الصموت الكلابي ويروى الصموت الكلابية على أنها امرأة:

لله درك أي جـنـة خـائـف ... ومتاع دنيا أنت للحدثان
متخمط بطأ الرجال غلبة ... وطء الفنيق دوارج القردان
ويكبهم حتى كأن رؤوسهم ... مأمومة تنحط للغربان
ويفرج الباب الشديد رتاجه ... حتى يصير كأنه بابان

فقال لابنه الوليد: اكتب هذه الأبيات فكتبها.

(١٠٥) كان للمغيرة بن شعبة وهو والي الكوفة جدي يوضع على مائدته فحضره أعرابي ومد يده إلى الجدي وجعل يسرع فيه فقال له المغيرة: إنك لتأكله بحرد كان أمه نطحتك قال: وإنك لمشفق عليه كأن أمه أرضعتك.

(١٠٦) اجتمع كوسج ومسبل فقال المسبل ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨] فقال الكوسج ﴿لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠]

(١٠٧) أدخل مالك بن أسماء سجن الكوفة فجلس إليه رجل من بني مرة فاتكأ عليه المري يحدثه ثم قال: أتدري كم قتلنا منكم في الجاهلية؟ قال: أما في الجاهلية فلا ولكن أعرف من قتلتم منا في الإسلام قال: ومن قتلنا منكم في الإسلام قال: أنا قد قتلتني بنتن ابطيك.

(١٠٨) كان رجل يحدث بأخبار بني أسرائيل فقال له الحجاج بن خيثمة ما كان اسم بقرة بني إسرائيل قال خيثمة فقال له رجل ولد أبي موسى الأشعري: أين وجدت هذا؟ قال في كتاب عمرو بن العاصي.

(١٠٩) بعث بلال بن أبي بردة إلى أبي علقمة الممرور فلما أتى قال: أتدري لم بعثت إليك قال: لا، قال: بعثت إليك لأضحك منك قال: لقد ضحك أحد الحكمين من صاحبه يعرض له بجده أبي موسى فغضب بلال وأمر به إلى الحبس فكلمه الناس وقالوا: المجنون لا يعاقب فأطلقه وأتى به إليه في يوم سبت وفي كمه طرائف أتحف بها في الحبس فقال له: ما هذا الذي في كمك قال: من طرائف الحبس قال ناولني منها قال: هو يوم السبت لا يعطى فيه ولا يؤخذ يعرض بعمة له كانت من اليهود.

(١١٠) قال رجل لابن شبرمة من عندنا خرج العلم إليكم قال: نعم ثم لم يرجع إليكم.

(١١١) قالت عاتكة بنت الملاءة لرائض دواب زوجها في طريق مكة ما وجدت عملاً شراً من عملك إنما كسبك باستك فقال لها: جعلت فداك ما بين ما اكتسب به وما تكتسبين به أنت إلا أصبعان قالت: ويلي عليك خذوا الخبيث فطلبه حشهما ففاتهم ركضاً.

(١١٢) ولى المنصور سليمان بن دابل الموصل وضم إليه ألفاً من العجم وقال: قد ضممت إليك ألف شيطان تذل بهم الخلق فأفسدوا في نواحي الموصل فكتب إليه المنصور كفرت النعمة فكتب إليه: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البقرة: ١٠٢] فضحك المنصور وأمده بغيرهم.

(١١٣) قال الفرزدق: ما عييت بجواب أحد مثل ما عييت بجواب امرأة وصبي ونبطي (أما المرأة) فذهبت إلى النهر أسقي بغلتي فإذا جماعة نسوة فلما همزت البغلة حبقت فاستضحك النسوة فقلت: لم تضحكن فوالله ما حملتني أنثى إلا فعلت مثلها؟ فقالت إحداهن: فكيف بأمك وقد حملتك تسعة أشهر (وأما الصبي) فكنت أنشد بجامع البصرة وفي حلقتي الكميت وهو صبي فأعجبني حسن استماعه فقلت: كيف سمعت؟ قال: حسن قلت: فسرك أني أبوك قال: أما أبي فلا أريد به بديلاً ولكن

وددت أنك أمي (وأما النبطي) فلقيته بيثرب فقال: أنت الفرزدق قلت: نعم، قال: أنت الذي يخاف الناس لسانك فقلت: نعم، قال: إذا هجوتني يموت فرسي هذا، قلت: لا، قال: فيموت ولدي قلت: لا، قال: فأموت أنا قلت: لا، قال: فأدخلني الله في حرام الفرزدق من رجلي إلى عنقي قلت: ولِمَ تركت رأسك؟ قال: حتى أرى ما تصنع الزانية.

(١١٤) قال المسعودي: في مروج الذهب مَلَكَ باليمامة رجل يقال له: عمليق حكي أنه احتكم إليه رجل وامرأة في مولود بينهما (فقال الزوج) واسمه قابس أيها الملك أعطيتها مهراً كاملاً ولم أصب منها طائلا إلا ولداً خاملاً فافعل ما كنت فاعلاً (فقالت الزوجة) واسمها هزيلة أيها الملك هذا ولدي حملته تسعاً ووضعته دفعاً وأرضعته شفعاً ولم أنل منه نفعاً لقد كان بطني له وعاء وثديي له سقاء وحجري له غطاء حتى إذا تم فصاله واشتدت أوصاله أراد زوجي أخذه كرهاً وتركي ولهي (فقال الزوج) أيها الملك إني حملته قبل أن تحمله ووضعته قبل أن تضعه (فقالت الزوجة) أيها الملك إنه حمله خفاً وحملته ثقلاً ووضعه شهوة ووضعته كرهاً فلما رأى عمليق متانة حجتها حكم لها بالولد ومر في محاكمة أبي الأسود وزوجته ما فيه شيء من هذا.

(١١٥) دخل المتنبي على بعض الملوك وعنده الشيخ أبو علي الآمدي فقال له الملك وأجله ولم يلتفت المتنبي إلى الآمدي فقال له الملك: هذا الشيخ الآمدي فقال المتنبي: لا أعرفه فأسرها الآمدي ثم أخذ المتنبي في قراءة قصيدة له حتى وصل إلى بيت فيه لفظ التهاني والتعازي فقال الآمدي كيف جمعت التهنئة والتعزية وهما مصدران فلم يلتفت إليه المتنبي بل قال لمن بجانبه أوَ مسلم الرجل فضج أهل المجلس أنه الشيخ المعظم فقال المتنبي: التحيات المباركات الطيبات لله فخجل الآمدي وكل من في المجلس.

نوادر الكسالى والتنابل[1]

(١) كان التنابل يوماً جالسين على زبل فاحترق فلم يقوموا عنه كسلاً فلما وصلت النار إليهم صاح إحدهم آه قد احترقت فقال له رفيقه: قل عني ورفيقي أيضاً قد احترق.

(٢) كان بعض التنابل جالساً في الشمس في حرارة الصيف والظل قريب منه فقيل له قم واجلس في الظل فقال بعد القليل يأتي الظل إلي بدون أن أتكلف القيام إليه.

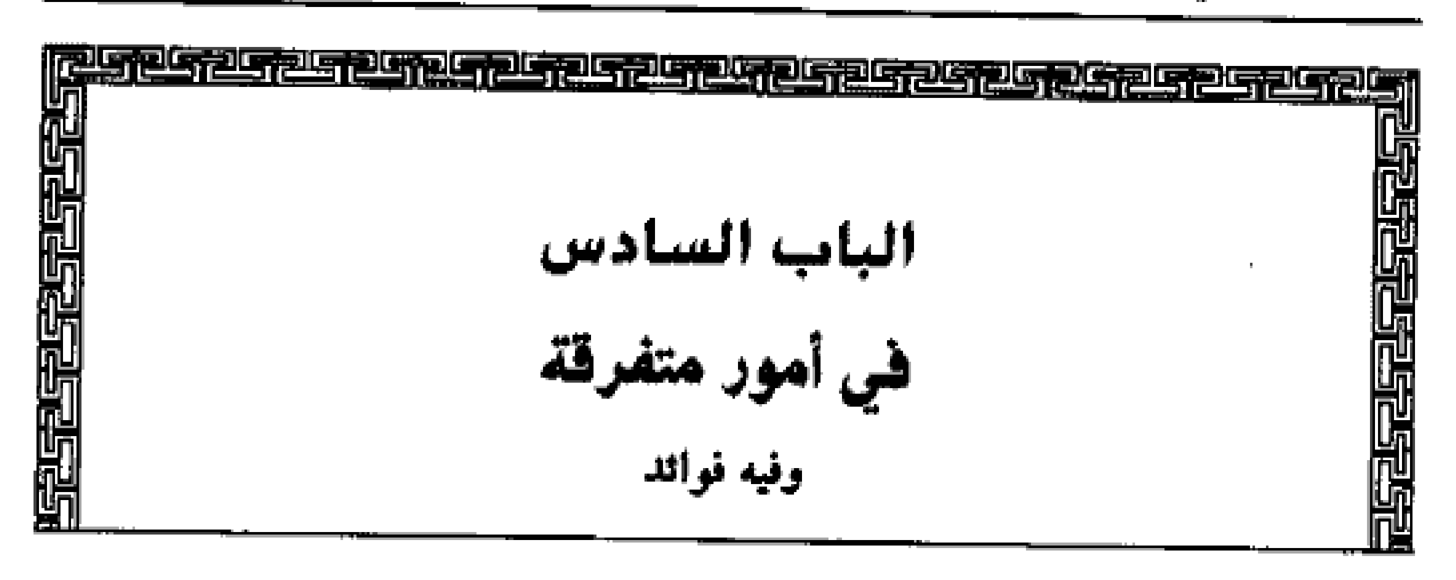
(٣) كان اثنان من التنابل نائمين على سطح فانتبها صباحاً فقال أحدهما للآخر: افتح عينيك وانظر هل طلعت الشمس فقال: قاتلك الله ما أصعب تكاليفك[2].

(٤) زكى رجل آخر عند بعض العلماء لإثبات عدالته فوصفه بالتقوى والزهد فدعا له العالم بالتوفيق ثم قال الرجل في جملة كلامه حتى بلغ من زهده أنه يعجن العجين بماء الحوض المتعفن فقال العالم: لا لا لست أثبت عدالته هذا رجل من التنابل الحمقى لا من الزهاد.

---

(١) كان حقها أن تذكر في باب الملك والنوادر فأخرت إلى هنا سهواً.

(٢) هذا الثلاثة منقولة عن الفارسية.



الباب السادس
في أمور متفرقة
وفيه فوائد

أولاً: كتاب نادر

(١) عثرنا في بعض مكتبات جبل عامل القديمة على كتاب مخطوط قديم جداً من بقايا ما أخطأته أيدي الحوادث والفتن وأفران عكا في وقعة الجزار ومياه السقاف والأرضية والفار وأيدي الجهلة وعوارض الإهمال كما كان حظ الكثير من نفائس كتب جبل عامل وهذا الكتاب من أنفس المخطوطات وعليه إجازات وخطوط قديمة لمشاهير العلماء بعضها قبل سبعة قرون ونصف وبعضها أقل من ذلك وهو:

(كتاب الكفاية في النصوص على الأئمة الاثني عشر عليهم السلام).

(أو كتاب كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر).

ومؤلف هذا الكتاب، أبو القاسم علي بن محمد بن علي الخزاز بالخاء المعجمة والزاي قبل الألف وبعدها القمي الرازي من أهل أواسط القرن الرابع من تلامذة الصدوق وأصله قمي وسكن الري (قال النجاشي) ثقة من أصحابنا وكان فقيهاً وجهاً له كتاب الإضاح في أصول الدين على مذهب أهل البيت عليهم السلام (وقال ابن شهرآشوب) في معالم العلماء: أنه قمي رازي متكلم فقيه له كتب: كتاب الإيضاح، كتاب الأحكام الدينية على مذهب الإمامية. كتاب الكفاية في النصوص (وقال العلامة في الخلاصة) كان ثقة من أصحابنا فقيهاً وجهاً (وقال العلامة المجلسي) في مقدمات البحار وكتاب كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الاثني عشر للشيخ السعيد علي بن محمد بن علي الخزاز القمي ثم قال: وكتاب الكفاية كتاب شريف لم يؤلف مثله في الإمامة وهذا الكتاب ومؤلفه مذكوران في إجازة العلامة وغيرها

وتآليفه أول دليل على فضله وثقته وديانته (وقال العلامة البهبهاني) في تعليقاته على رجال الميرزا الكبير: رأيت كتاب الكفاية كتاباً مبسوطاً جيداً في غاية الجودة جميعه نصوص عن الرسول ﷺ وعن غيره أيضاً في الأئمة الاثني عشر وفيه بعض تحقيقاته يظهر منه كونه في غاية الفضل ويظهر من ذلك الكتاب كونه من تلامذة الصدوق وأبي المفضل الشيباني ومن في طبقتهما (ونقل) عن المجلسي نسبه هذا الكتاب إلى المفيد وعن غيره نسبته إلى الصدوق وهو اشتباه قطعاً مع أن المجلسي صرح كما مر بكونه للخزاز إلّا أن يكون المنقول عنه هو المجلسي الأول. وهذه النسخة التى رأيناها من نسخة جليلة قديمة بخط وورق وترتيب كلها في غاية الجودة وورقه لم يبله مر القرون وإن أثر فيه وتفوق هذه النسخة في حسن الترتيب في كتابتها المطبوعات العصرية الجيدة الترتيب مما دل على أن القدماء لم يقصروا في ترتيب مخطوطاتهم وإن المتأخرين منهم أخذوا وبهم اقتدوا وفي آخرها:

تمّ الكتاب بحمد الله وحسن توفيقه وعونه ووافق الفراغ منه يوم الثلاثاء مستهل جمادى الأولى من سنة أربع وثمانين وخمسمائة انتهى فتكون كتابتها قبل ٧٦٣ سنة (وعلى ظهرها ما صورته).

كتاب الكفاية في النصوص على عدد الأئمة الاثني عشر عليهم السلام تأليف الشيخ السعيد علي بن محمد القمي الخزاز رحمه الله تعالى.

وعلى ظهرها أيضاً إجازة بخط شاذان بن جبرائيل بن إسماعيل القمي وهو غير والد الفضل بن شاذان بن الخليل[1] وإن كان شاذان بن جبرائيل يكنى بأبي الفضل وهذه صورة الإجازة.

قرأ عليّ السيد الأجل العالم الحسيب النسيب شهاب الدين جمال الإسلام محمد بن عبد الله بن علي بن زهرة الحسيني أدام الله سعده جميع كتاب (الكفاية في النصوص على عدد الأئمة الاثني عشر) قراءة تفهم وتبين وكشف. وسمع بقراءته السيد الأجل العالم العابد الحسيب النسيب جمال الدين عز الإسلام سيد الشيعة أبو القاسم عبد الله بن علي بن زهرة الحسيني أسبغ الله ظله وأجزت لهما أن يروياه عني

(١) وقيل إن شاذان لقب الخليل فشاذان هو الخليل نفسه. (المؤلف).

بحق قراءة وسماع عن الشيخ الفقيه السيد العالم فخر الدين محمد بن سرايا الحسني الجرجاني عن الشيخ الفقيه علي بن علي بن عبد الصمد التميمي عن أبيه عن السيد العالم أبي البركات الخوري عن المصنف رضي الله عنهم وكتب أبو الفضل شاذان ابن جبرائيل بن إسماعيل القمي نزيل مهبط وحي الله ودار هجرة رسول الله ﷺ وكان ذلك في أربع مضين من صفر سنة أربع وثمانين وخمسمائة حامداً لله ومصلياً على نبيه محمد ﷺ.

وهذان اللذان أجازهما شاذان بن جبرائيل القمي بهذه الإجازة هما الأب والابن فكان الابن يقرأ عليه والأب يسمع فالأب هو أخو السيد حمزة بن علي بن أبي المحاسن زهرة بن الحسن بن زهرة الحسيني المنتهي نسبه إلى الإمام الصادق عليه السلام صاحب الغنية المشهورة وأخوه هذا صاحب مؤلفات منها التجريد في الفقه والغنية عن الحجاج والأدلة وتبيين المحجة في كون إجماع الإمامية حجة ورسالة الحج وأجوبة المسائل والابن ابن أخي السيد حمزة ويلقب بمحيي الدين.

وعلى ظهرها أيضاً بخط محمد بن عبد الله بن علي بن زهرة الحسيني بعد هذه الإجازة ما صورته: قرأ عليّ ولدي أبو المكارم علي هذا الكتاب من أوله إلى آخره وأجزت له روايته عن الشيخ الفقيه سديد الدين أبي الفضل شاذان بن جبرائيل بن إسماعيل القمي رحمه الله حسبما أثبت في خطة عن المصنف رضي الله عنهم أجمعين وذلك في مدة آخرها ليلة العشرين من (ذهب من الأصل اسم الشهر) سنة أربع وستمائة كتبه محمد بن عبد الله بن علي بن زهرة الحسيني حامداً لله تعالى ومصلياً على رسول الله ﷺ.

وعلى ظهرها أيضاً بخط الشيخ الجليل نعمة الله بن خاتون العاملي قدس الله روحه وهو خط جميل ما صورته:

تشرف بمطالعة هذا الكتاب وهو كتاب كفاية النصوص على عدد الأئمة الاثني عشر صلوات الله عليهم فقير عفو الله نعمة الله بن أحمد بن خاتون العاملي وذلك في أواسط شهر جمادى الآخرة سنة سبعين وتسعمائة من الهجرة الفاخرة صلوات الله وسلامه على مشرفها وآله الأكرمين حامداً مصلياً. وعلى ظهرها أيضاً: انتقل هذا الكتاب إلى ملك فقير عفو الله تعالى محمد بن مكي تجاوز الله عن سيئاته وذلك

بالبيع الصحيح الشرعي في نهار الأربعاء سابع شهر ربيع الآخر من شهور سنة تسعمائة وست وسبعين.

وعلى ظهرها أيضاً: هذا الكتاب وهو كتاب الكفاية في النصوص وقفته الحاجة بنت الحاج أحمد بن محارب على ولدها أفقر الورى محمد بن مكي وعلى أولاده وأولادهم ما تعقبوا وتناسلوا المتصفين بطلب العلم ومن بعدهم على طلبة العلم من الإمامية لا يغير ولا يبدل فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمة على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم وكتب بيده محمد بن مكي.

ومحمد بن مكي هذا غير الشهيد الأول لأن بينهما نحواً من مائتي سنة.

وفي أول الكتاب بعد التحميد والصلاة الذي استغرق ورقتين ما لفظه:

أما بعد، فإن الذي دعاني إلى جمع هذه الأخبار عن الصحابة والعترة الأخيار في النصوص على الأئمة الأبرار أني وجدت قوماً من ضعفاء الشيعة ومتوسطيهم متحيرين في ذلك متعجرفين يشكون فرط اعتراض الشبه عليهم وزمرات المعتزلة تلبيساً وتمويهاً عاضدتهم عليه حتى آل الأمر بهم إلى أن جحدوا أمر النصوص عليهم من جهة لا يقطع العذر بمثلها وزعموا أن ورود هذه الأخبار بالنصوص عليهم من جهة لا يقطع بمثلها العذر حتى إفراط بعضهم وزعم أن ليس لها عن الصحابة أثر ولا عن أخبار العترة فلما رأيت ذلك كذلك ألزمت نفسي الاستقصاء في هذا الباب موضحاً ما عندي من البينات ومبطلاً ما أورده المخالفون من الشبهات تحدياً لمرضاة الله عزّ وجلّ وتقرباً إلى رسوله والأئمة من بعده. وابتدىء بذكر الروايات في النصوص عليهم من جهة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله المعروفين مثل عبد الله بن العباس. وسلمان الفارسي. وجابر بن سمرة. وجابر بن عبد الله الأنصاري. وأنس بن مالك. وأبي هريرة. وعمر بن الخطاب. وزيد بن ثابت. وزيد بن أرقم. وأبي أمامة. وواثلة بن الأسقع. وأبي أيوب الأنصاري. وعمار بن ياسر. وحذيفة بن أسيد. وعمران بن الحصين. وسعد بن مالك. وحذيفة بن اليمان. وأبي قتادة الأنصاري. وعلي بن أبي طالب. وابنيه الحسن والحسين عليهما السلام (ومن النساء). أم سلمة. وعائشة. وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله (ثم) أعقبه بذكر الأخبار التي وردت عن الأئمة صلوات الله عليهم ما يوافق حديث الصحابة في النصوص على الأئمة عليهم السلام ونص كل واحد منهم على الذي من بعده ليعلموا إن أنصفوا وتدينوا ولا يكونوا كما قال الله سبحانه

﴿فَمَا اخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [الجاثية: ١٧] إذ مثل هذه الأخبار تزيل الشك والريب ويقطع بها العذر وإن الأمر آكد مما ذهبوا إليه وإلى الله أرغب في التوفيق والتسديد لما يجب ويرضي ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بينة وإن الله لسميع عليم.



باب ما جاء عن عبد الله العباس

عن رسول الله ﷺ في النص على الأئمة الاثني عشر عليهم السلام. حدثنا شيخنا محمد بن علي رضي الله عنه (يعني أبا جعفر بن بابويه رحمه الله) حدثنا محمد قال حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رحمه الله قال حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي قال حدثنا موسى بن عمران النخعي عن عمه الحسين بن يزيد النوفلي عن الحسن بن علي ابن سالم عن أبيه عن أبي حمزة عن سعيد بن جبير عن عبد الله عباس قال قال رسول الله ﷺ: إن الله تبارك وتعالى أطلع إلى الأرض إطلاعة فاختارني منها فجعلني نبياً ثم اطلع الثانية فاختار منها علياً فجعله إماماً ثم أمرني أن أتخذه أخاً ووصياً وخليفة ووزيراً فعلي مني وأنا من علي وهو زوج ابنتي وأبا سبطي الحسن والحسين إلا وإن الله تبارك وتعالى جعلني وإياهم حججاً على عباده وجعل من صلب الحسين أئمة يقومون بأمري ويحفظون وصيتي التاسع منهم قائم أهل بيتي ومهدي أمّتي أشبه الناس بي في شمائله وأقواله وأفعاله يظهر بعد غيبة طويلة وحيرة مضلة فيعلن أمر الله ويظهر دين الله ويؤيد بنصر الله وينصر بملائكة الله فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً.

وذكر باقي الأحاديث المروية عن ابن عباس في ذلك ثم نقل ما روي عن بقية المذكورين من الصحابة والأئمة الأحد عشر من أمير المؤمنين إلى الحسن العسكري عليهم السلام كلاً في باب يخصه. ومما لاحظناه في هذا الكتاب أنه عند ذكر الصلاة على النبي ﷺ يقول ﷺ كما سمعت هكذا من أول الكتاب إلى آخره وبعد ما استكتبنا عنه نسخة لأنفسنا علمنا أنه مطبوع في بلاد إيران حماها الله تعالى فاستحضرنا منه نسخة ولكن أين هي من النسخة المخطوطة في حسن الوضع والترتيب والصحة.

ثانياً: كتاب آخر نادر

عثرنا في بعض مكتبات جبل عامل القديمة على كتاب مخطوط يعد من طرائف الكتب ونفائسها اسم مؤلفه (اختيار بن غياث الدين الحسيني) أما الكتاب فلم يوضع له اسم وهو حقيق أن يسمى:

نشر الطيب فيما يلزم للكاتب والخطيب

فرغ منه مؤلفه سلخ رجب سنة ٨٩٧ هجرية وجعل تاريخه كلمة (بسلخ رجب) وحروفها توافق بحساب الجمل ذلك العام ألّفه للكتاب والخطباء وأصحاب الإنشاء على نهج لم يسبق إليه ونسق ولم يزاحم عليه فكان بذلك شبيهاً من بعض الجهات بكتاب (الألفاظ الكتابية) وكان تأليفه لبعض أمراء زمانه وبإشارته كما هو شأن أكثر مؤلفات القدماء الذين كانوا يؤلفونها بأسماء الملوك والأمراء ويأخذون عليها من الجائزة ما يعد ثروة عظيمة في هذا الزمان من ألوف الدنانير والدراهم (إذ الناس ناس والزمان زمان) واسم الأمير المؤلف له الكتاب (علي) حيث قال فيه: إنه عليّ الاسم سمي أسد الله الغالب كرم الله وجهه من وجهين[1] يشتمل على ١٤٩ ورقة بقطع الثمن بخط جيد وورق جيد عملت فيه الأرضة لكنها اجتنبت سطوره واعتمدت حواشيه فكأن في الأرضة ظالم وراحم أمثال الآدميين فكان تاماً لم ينقص منه شيء يبتدىء في كل باب منه بما يناسبه من الآيات القرآنية ثم الأحاديث النبوية القصيرة المناسبة ثم بكلمات العلماء والحكماء والأمثال ثم بالأشعار مع مراعاة الاختصار في الكل فهو وإن موضوعاً للكتاب والخطباء إلّا أنه مع ذلك مشتمل على فوائد نافعة أخلاقية وأدبية وحكمية وغير ذلك فعسى الله أن يوافق من يبرزه إلى عالم الطبع ليعم نفعه ومما سنورده من فهرسته الذي وضعه له مؤلفه ومن بعض ما نقلناه عنه يمكن للقارىء معرفته ومما قاله في خطبته:

ومن لك بشيء يجمع القرآن والأخبار والحكم والأشعار والمواعظ والمزاجر والهزل والجد والمضحكات والمبكيات وما أودعت في هذه المجموعة يصلح

---

(١) كأن مراده أن اسمه علي وكنيته أبو الحسن.

للمنادمة والمحاضرة وتوشح به إدراج الرسائل يشتمل على نتف من الأخبار والآثار وفيه من الصفات الممدوحة والنعوت المذمومة وطرف من الحكم والأمثال المختصرة المأثورة جمعتها على اختصارها من كتب شتى لتحفظها ولتدخلها في مكاتباتك وتستعين بها في مخاطباتك وجعلت هذا الكتاب مشتملاً على عنوان وافتتاح وتسعة أسطر واختتام وفصل بالخير.

أما العنوان: ففي فهرست الكتاب وهو هذا:

الافتتاح: ثناء الملك الفتاح وذكر الرسول ﷺ والكتاب فيه خمس كلمات: (١) فيما يتعلق بثناء الله وتمجيده. (٢) فيما يناسب كتابه الكريم وكلامه القديم[1]. (٣) فيما يتعلق بمدح النبي ﷺ. (٤) في ذكر الأئمة وسادات آل العباء وسائر الأصحاب والأولياء. (٥) في العلم والعلماء.

السطر الأول: في السلاطين والملوك وفيه خمسة عشر حرفاً.

(١) في الخلافة وألقاب الخلفاء. (٢) في نواب السلاطين. (٣) في العدل والرفق والشفقة. (٤) في الظلم. (٥) في الحرب وكرامة الشهداء. (٦) في النهي عن سفك الدم الحرام. (٧) في البغي والغدر والخداع والخيانة والمكر والحيلة. (٨) في الشجعان والأسلحة والقلاع. (٩) في الهيبة والصلابة والهلاك والخراب والغرق والاستئصال. (١٠) في الفرار. (١١) في القصاص والمكافأة والمجازاة والانتقام. (١٢) في العداوة والبغضاء وتحقير العدو والاعتماد على الأعداء. (١٣) في الكتابة والرسالة. (١٤) في الصلح بين المتخاصمين. (١٥) في الفتح والنصرة والقلة والكثرة.

السطر الثاني: في القضايا السماوية وفيه ثلاثة أحرف:

(١) في الهداية والتوفيق. (٢) في القبض والبسط في الأرزاق. (٣) في القضاء والقدر.

السطر الثالث: في الأفعال المرضية والخصال الزكية وفيه عشرون حرفاً: (١) في الإحسان والإنفاق والاستحياء والكرم. (٢) في الشكر على الإنعام. (٣) في

---

(١) يمكن من هذا معرفة مذهب المؤلف (المؤلف).

الصبر على الشدائد. (٤) في الصدق. (٥) في الوفاء بالعهد والأمانة وإنجاز الوعد واجتناب الخيانة وفيه ذكر الدَّين وأدائه وما ورد في ذمه وثنائه. (٦) في التفويض والتوكل. (٧) في التوبة والاستغفار والشفاعة والاعتذار. (٨) في العفو وكظم الغيظ. (٩) في الحلم والمداراة والوقار والمواساة. (١٠) في التواضع. (١١) في التعفف والقناعة. (١٢) في حسن الخلق والتثبيت والرفق. (١٣) في الحياء. (١٤) في الصمت وقلة الكلام. (١٥) في المشاورة. (١٦) في كتمان السر وإظهاره. (١٧) في انتهاز بالفرصة. (١٨) في الجد وعدم السعي في غير المقدور. (١٩) في الاقتصاد ورعاية الحد الوسط وذم الإسراف والتبذير. (٢٠) في النصيحة والدلالة على الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

السطر الرابع: في الصفات الذميمة وفيه خمسة عشر حرفاً:

(١) في الكذب. (٢) في خلف الوعد. (٣) في النفاق. (٤) في العجب والتكبر. (٥) في الحقد والحسد. (٦) في البخل. (٧) في الطمع. (٨) في الحرص وطول الأمل. (٩) في الحمق والجهالة. (١٠) في الخفة والتعجيل. (١١) في الكسل والتسويف والتواني. (١٢) في الشك والظن. (١٣) في الغش. (١٤) في الامتنان. (١٥) في الغيبة والنميمة والهجاء.

السطر الخامس: في القرابة والأخوة والأصحاب وفيه تسعة أحرف:

(١) في بر الوالدين وذكر الآباء والأولاد. (٢) في الأخوة والإخاء وأحوال الإخوة والأخوات وصلة الأرحام. (٣) في الجارية والغلام وسائر الخدام. (٤) في النساء والنكاح. (٥) في الأحباب والأصدقاء والأصحاب. (٦) في الصاحب والجليس. (٧) في زيارة الأحباب وملاقاتهم والضيافة والهدية. (٨) في حق الجار. (٩) في التهاجر والشكوى والعتاب.

السطر السادس: في الفصاحة والكياسة والتدبير والفراسة وفيه خمسة حروف:

(١) في الفصاحة والشعر واللسان والبيان والكتب والكتابة. (٢) في إن الشرف بالفضل والأدب لا بالأصل والنسب. (٣) في العقل والحكمة والتفكير والفراسة والحزم والتدبير والاعتبار والتجارب والنظر في العواقب. (٤) في طلاقة الوجه وذكر الأعضاء وما فيها من الحس وفهم الضمير من الوجه واللحظ والكلام. (٥) في

آثار الأمور وإفضائها وظهور عواقبها من المقدمات وإن دلالة فعل المر على أصله ونسبه من أعدل الشهادات.

السطر السابع: في الأرض وفيه خمسة أحرف:

(١) في الحج وزيارة النبي ﷺ. (٢) في السفر والغربة. (٣) في حب الأوطان. (٤) في العمارة والزراعة والبساتين والرياحين. (٥) في الدواب والأنعام.

السطر الثامن: في الزمان وفيه عشرة أحرف:

(١) في الليالي والأيام والشهور والأعوام. (٢) في الفصول الأربعة. (٣) في شكاية الزمان. (٤) في اختلاف الدهر واحتمال المكاره في نيل المكارم. (٥) في الزوال بعد الكمال. (٦) في اليسر بعد العسر والفرج بعد الحرج ونيل المسرة من حيث تخشى المضرة. (٧) في ذكر الدنيا ووصف المال. (٨) في الصحة والمرض والعاقبة والبلاء. (٩) في الشيب والشباب. (١٠) في الموت.

السطر التاسع: في المتفرقات وفيه أربعة أحرف:

(١) في الحق والباطل. (٢) في الفلكيات وما فيها من الآيات. (٣) في المتفرقات التي ليس لها مناسبة تامة لشيء من الحروف والسطور. (٤) في أسامي الكتب المشهورة ومصطلحات العلوم. (٥) في الأدعية.

الفصل بالخير: في الحكايات اللطيفة والمطايبات والمضحكات من الأسئلة والأجوبة وذكر من ارتج عليه وغير ذلك. (تم) الفهرس الذي وضعه المؤلف ثم شرع في تفصيل هذا الإجمال فقال:

الافتتاح: في ثناء الملك الفتاح وذكر الرسول والكتاب وما يليق بهذا الباب مشتمل على خمس كلمات (الأولى) فيما يتعلق بثناء الله وتحميده وصفاته وتمجيده.

القرآن

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ١-٤]. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١]. ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ [البقرة: ١١٥]. ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢]. وأورد آيات أخرى من هذا القبيل.

الأحاديث

لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. من تشاغل بالثناء على الله أعطاه الله فوق رغبة السائلين. كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه الحمد لله أقطع. الحمد رأس الشكر. ما شكر الله عبد لم يحمده.

❁ ❁ ❁

الحِكم والأمثال

الحمد لله الذي له الحمد والثناء ومنه المنع والإعطاء. الحمد فاتحة كل خير وتمام كل نعمة وبلوغ كل قصد. وأورد كلمات أخرى من هذا القبيل:

❁ ❁ ❁

الأبيات:

بحمد الله تُفتتح الأمور ... بذكر الله تنشرح الصدور

إن الله علينا نِعَماً ... يعجز الشكر عن الشكر لها

فله الحمد على نعمائه ... وله الشكر على الشكر لها

كيفية المرء ليس المرء يدركها ... فكيف كيفية الجبار في القدم

هو الذي أنشأ الأشياء مبتدعاً ... فكيف يدركه مستحدث النسم

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

مليك عزيز لا يرد قضاؤه ... حكيم عليم نافذ الأمر قاهر

كلما ترتقي إليه بوهمٍ ... من جلال وقدرة وسناء

فالذي أبدع البرية أعلى ... منه سبحان مبدع الأشياء

فحمداً له ثم حمداً له ... على ما كسانا رداء الكرم

وشكراً له ثم شكراً له ... على ما هدانا لشكر النعم

اعتصام الورى بمغفرتك ... عجز الواصفون عن صفتك

تب علينا فإننا بشر ... ما عرفناك حقّ معرفتك

الكلمة الثانية: فيما يناسب بكتاب الله الكريم وكلامه القديم.

القرآن

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ١-٢]. ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت: ٤١-٤٢]. ثم أورد عدة آيات من هذا القبيل.

❀ ❀ ❀

الأحاديث

أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله. يحيي القلب الميت. القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق. القرآن هو الدواء. القرآن شفاء القلوب. القرآن شافع مشفع وشاهد مصدق.

❀ ❀ ❀



الحِكم والأمثال

إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين. رب تال للقرآن والقرآن يلعنه. كلام الله دواء القلب. إن أحسن الكلام كلام الله الملك العلام.

❀ ❀ ❀

الأبيات

أهذا كتاب أم هو الحق قد بدا	جلياً إلى طرق الهداية مرشدا
وهذي سطور أم امام مهذب	يفرق ما بين الضلالة والهدى
كلام جليل جاء من خير قائل	ليوصل أقواماً إلى جنة الخلد
كتاب الله روح مستبين	هو البرهان والنور المبين
وجامع كل جامعة المعاني	ففيه تفقهوا وبه استعينوا

الكلمة الثالثة: فيما يليق بمدائح النبي ونعوت كماله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.

❀ ❀ ❀

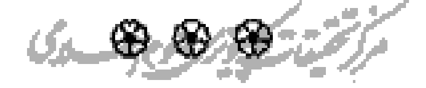
القرآن

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف: ١]. ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١]. ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]. وأورد آيات أخرى من هذا القبيل.

⊛ ⊛ ⊛

الأحاديث

أنا أفصح العرب والعجم. أن سيد ولد آدم. أوتيت جوامع الكلم. كنت نبياً وآدم بين الماء والطين. أنا أكرم الأولين والآخرين آدم ومن دونه تحت لوائي والله لو كان موسى حياً لما وسعه إلّا اتباعي. بيدي لواء الحمد ولا فخر. نصرت بالرعب مسيرة شهر. لي مع الله وقت لا يسبقني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل. نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور. إن الله بعثني لتمام مكارم الأخلاق وكمال محاسن الأفعال.



الحِكم والأمثال

لولاك لما خلقت الأفلاك. صاحب المورود والمقام المحمود. قائد الغر المحجلين ورسول رب العالمين.

⊛ ⊛ ⊛

الأبيات

محمد سيد الكونين والثقلين ... والفريقين من عرب ومن عجم

فاق النبيين في خلق وفي خلق ... ولم يدانوه في علم ولا كرم

ليس كلامي يفي بنعت كماله ... صلى إلهي على النبي وآله

بأي لسان نحمد السيد الذي ... على منكب الجوزاء من حمده ردا

من كان خالق هذا الخلق مادحه ... فإن ذلك شيء منه مفروغ

فإن أطل أو أقصر في مدائحه فليس بعد بلاغ الله تبليغ
سبقوك تاريخاً وأنت سبقتهم فضلاً فأنت السابق المسبوق
عليه سلام الله ما لاح أزهر عليه سلام الله ما فاح عنبر

الكلمة الرابعة: في ذكر سادات آل العباء وكبار الأصحاب والأولياء.

❁ ❁ ❁

القرآن

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]. ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]. ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: ٥٥]. ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح: ٢٩]. ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

❁ ❁ ❁

الأحاديث

مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق. معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد أمان من العذاب (ومن فصل الخطاب) في حق علي عليه السلام. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار. علي أخي وصاحب لوائي. أنت مني بمنزلة هارون من موسى. من كنت مولاه فعلي مولاه. حب علي بن أبي طالب حسنة لا تضر معها سيئة وبغضه سيئة لا تنفع معها حسنة. رأيت على باب الجنة مكتوباً بالذهب لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله[1] أكرموا أولادي. أحبوا أهل بيتي لحبي. أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم. أكرموا أصحابي فإنهم خياركم. خير القرون قرني. عند ذكر الأولياء تنزل الرحمة.

❁ ❁ ❁

(١) إلى هنا من فصل الخطاب (كذا بهامش الأصل).

الحكم والأمثال

قوم بنور الخلافة يشرفون وبلسان النبوة ينطقون. أولى الناس بالمروة من له بنوة النبوة. أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري.

❁ ❁ ❁

الأبيات

على الله في كل الأمور توكلي	وبالخمس أصحاب العباء توسلي
ما واحد من واحد	أولى بمجد من مروه
ممن أبوه وجده	بين الخلافة والنبوه
وما لي إلا آل أحمد شيعة	وما لي إلا مشعب الحق مشعب
وإذا الرجال توسلوا بوسيلة	فوسيلتي حبي لآل محمد
هم النجباء الغر من رهط أحمد	وهم بايعوه طائعين لدى الشجر
عليهم سلام الله ما ناح طائر	وما لاح للسارين في الظلم القمر
لله تحت قباب العز طائفة	أخفاهم في رداء الفقر إجلالا
على أرواحهم تحف الهدايا	من الله الذي خلق البرايا
عليهم من الرحمن كل تحية	وصلى عليهم ذو الجلال وسلما

الكلمة الخامسة: في العلم والعلماء والبحث عن فضيلة هؤلاء العظماء

❁ ❁ ❁

القرآن

﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

❁ ❁ ❁

الأحاديث

العلماء ورثة الأنبياء. العلماء أمناء الله على خلقه. النظر في وجوه العلماء عبادة وأورد أحاديث أخر من هذا القبيل.

الحكم والأمثال

ما منح والد ولداً أفضل من آدب حسن. قيمة كل امرء ما يحسنه. رتبة العلم أعلى الرتب؛ وأورد أشياء كثيرة من هذا القبيل.

❁ ❁ ❁

الأبيات

العلم أنفس ذخر أنت ذاخره ... من يدرس العلم لم يدرس مفاخره
أقبل على العلم واستقبل مقاصده ... فأول العلم إقبال وآخره
وإنما العلم لأربابه ... ولاية ليس لها عزل
إن الأمير هو الذي ... يضحي أميراً عند عزله
إن زال سلطان الولا ... ية كان في سلطان فضله
إذا ما اعتز ذو علم بعلم ... فعلم الشرع أولى باعتزاز
فكم طيب يطيِّب ولا كمسك ... وكم طير يطير ولا كبازي

وأرد أبياتاً كثيرة من هذا القبيل ومما جاء في الكتاب.

الحرف التاسع: في العفو والتغافل والتجاوز والتجاهل.

❁ ❁ ❁

القرآن

﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]. ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. ﴿وَأَن تَعْفُوٓا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧] ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوٓا﴾ [النور: ٢٢]. ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]. ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]. ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣]. ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]. وأورد آيات أخرى بهذا المعنى.

❁ ❁ ❁

الأحاديث

من عفى عن الناس عفى الله عنه. من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمناً وأماناً. أحسن العفو عند المقدرة. ما عفا رجل عن مظلمة إلا زاده الله بها عزاً. ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم. من أقال نادماً عثرته أقاله الله يوم القيامة. وأورد أحاديث أخر بهذا المعنى.

❁ ❁ ❁

الحكم والأمثال

العفو عند الاقتدار من علو الأقدار. الكريم إذا قدر غفر وإذا عثر بمساءة ستر. وأورد أشياء كثيرة بهذا المضمون.

❁ ❁ ❁

الأشعار

ولقد جمعت من الذنوب فنونها … فاجمع من العفو الكريم فنونه

من كان يرجو العفو ممن فوقه … عن ذنبه فليعف عمن دونه

هبني أسأت كما زعمـ … ـت فأين عاقبة الأخوه

وإذا أسأت كما أسأ … ت فأين فضلك والمروه

رب رام لي بأحجار الأذى … لم أجد بداً من العطف عليه

إن كنت تعفو فاعف عفو مكرم … إحسانه إن الكريم وهوب

قل قول يوسف حين قال لأخوة … جاؤوه معتذرين لا تثريب

أو لا فعاقبني فليس بمنكر … من مثلك التقويم والتأديب

أذنبت ذنباً عظيماً … وأنت للعفو أهل

فإن عفوت فمنٌّ … وإن جزيت فعدل

فاغضاؤك العينين عن عيب صاحب … لعمرك أبقى للإخاء وأشرف

خِلٌّ أتى ذَنباً إليَّ وأنني … لشريكه في الذنب إن لم أغفر

وأورد أبياتاً أخر في هذا المعنى:

الحرف العاشر: في الحلم والمداراة والوقار والمساواة.

❁ ❁ ❁

القرآن

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥] ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]. ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [المؤمنون: ٩٦].

❁ ❁ ❁

الحديث

إن الحليم كاد يكون نبياً. زين الإسلام الحلم. إن الإنسان ليدرك بالحلم درجة الصائم والقائم. مداراة الناس صدقة. المداراة نصف المعيشة. رأس العمل[1] بعد الإيمان مداراة الناس. إن الله يحب الحيي الحليم المتعفف. إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم. إن الله أمرني بمداراة الناس كما أمرني بإقامة الفرائض.

❁ ❁ ❁

الحكم والأمثال

دعامة العقل الحلم. الحلم حجاب الآفات. جمال المرء في الحلم. أول فائدة الحليم أن الناس أعوانه. وأورد أشياء كثيرة من هذا القبيل.

❁ ❁ ❁

الأشعار

لعمرك إن الحلم زين لأهله ... وما الحلم إلا عادة وتحلم
لئن كنت محتاجاً إلى الحلم أنني ... إلى الجهل في بعض الأحايين أحوج
ولي فرس للحلم بالحلم ملجم ... ولي فرس للجهل بالجهل مسرج

---

(١) وفي رواية أس العمل (كذا في هامش الأصل).

فمن شاء تقويمي فإني مقوم ... ومن شاء تعويجي فإني معوج

وأورد أبياتاً أخرى في هذا المعنى ومما أورده الكاتب المذكور - (الحرف الثاني عشر) في حسن الخلق والتثبيت والرفق واللينة وما فيها من الحسن والزينة.

❀ ❀ ❀

القرآن

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨]. وأورد آيات أخر بهذا المعنى.

❀ ❀ ❀



الأخبار

حرم الله النار على كل هين لين. من ساء خلقه عذب نفسه. خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق. لا حسن كحسن الخلق. إن الله سبحانه رفيق يحب الرفق. من يحرم الرفق يحرم الخير كله. وأورد أحاديث أخرى كثيرة بهذا المعنى.

❀ ❀ ❀

الحكم والأمثال

حسن الخلق غنيمة. في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق. الحَسَن الخلق ذو قرابة عند الأجانب والسيئ الخلق أجنبي عند الأقارب. سوء الخلق وحشة لا خلاص منها. الرفق يمن والخرق شؤم. لين الكلام قيد المحبة. وأورد أشياء كثيرة من هذا القبيل ثم قال.

❀ ❀ ❀

لطيفة

قال أبو العيناء يوماً لصاعد بن المخلد: أنت أيها الوزير أفضل من رسول

الله ﷺ قال كيف ويحك قال إن الله ﷻ قال لرسوله مع جلالة قدره ونباهة أمره ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وأنت فظ غليظ القلب ولسنا ننفض من حولك.

❀ ❀ ❀

الأبيات

إني نصحتك وعظي	فلا تقل قلّ حظي
ولا تكن قط فظاً	فلا صديق لفظ
خذ العفو وأمر بعرف كما	أمرت وأعرض عن الجاهلين
ولِنْ في الكلام لكل الأنام	فمستحسن لذوي الجاه لين

وأورد أبياتاً أخرى في ذلك ومما أورده في الكتاب المذكور.

الحرف التاسع: في الشيب والشباب وما فيهما من العذب والعذاب.

❀ ❀ ❀

القرآن

﴿رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]. ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٨]. ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾ [يس: ٦٨]. وأورد آيات أخرى في ذلك.

الأخبار

يقول الله الشيب نوري. من شاب شيبة في الإسلام فله نور يوم القيامة. خير شبابكم من تشبه بكهولكم وشرّ كهولكم من تشبه بشبابكم. يشيب ابن آدم فيشب فيه اثنتان الحرص وطول الأمل. الشباب شعبة من الجنون. وأورد أخبار أخر بهذا المعنى.

❀ ❀ ❀

الحكم والأمثال

الشيب مطية الأجل وطريدة الأمل. من بلغ السبعين اشتكى من غير علة. وأورد أشياء كثيرة من هذا القبيل.

⊛ ⊛ ⊛

الأشعار

الشيب ينهض في الشباب كأنه ليل يصيح بجانبه نهار
تفكرت في شيب الفتى وشبابه فأيقنت أن الحق للشيب واجب
يصاحبني شرخ الشباب فينقضي وشيبي لي حتى أموت مصاحب
فإن المشيب كصبح بدا وإن الشباب كظل أفل
تولى الشباب كأن لم يكن وحل المشيب كأن لم يزل
لله أيام السرور كأنها كانت لسرعة مرها أحلاما
يا عيشنا المفقود خذ من عمرنا عاماً ورد من الصبا أياما

ومما ذكر في هذا الكتاب أسامي الكتب فعد فيه أسماء كتب التفسير مصطلحات الحديث. أسماء كتب الفقه أصولاً وفروعاً. مصطلحات الأصول. أسامي كتب التصوف والأخلاق. مصطلحات الصوفية. النحو والمعاني واللغة. مصطلحات المعاني والبيان. كتب الطب. كتب الكلام. كتب الحكمة. كتب المنطق. مصطلحات المنطق. مصطلحات الحساب والهيئة. مصطلحات الشعر. مصطلحات المعمّى.

ثم أورد في آخره أشياء كثيرة جداً من اللطائف والمضحكات (منها) ولي المنصور سليمان بن راشد على الموصل وضم إليه ألفاً من العجم وقال قد ضممت إليك ألف شيطان تذل بهم الخلق فعاثوا في نواحي الموصل فكتب إليه: أكفرت النعمة يا سليمان فأجاب. ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البقرة: ١٠٢] فضحك المنصور وأمده بغيرهم.

(ومنها) قال أبو عبادة البحتري: دخلت يوماً دار الفتح بن خاقان فوجدت الشعراء في دهليز داره وبينهم صبي صغير قصير القامة فقلت: من أنت يا غلام؟

قال: شاعر فتبسمت تعجباً منه ثم قلت أجز (ليت ما بين من أحِبُّ وبيني) فقال: من القرب أم من البعد فقلت من القرب فقال (مثل ما بين حاجبيّ وعيني) فقلت: فإن أردناه من البعد فقال (مثل ما بين ملتقى الخافقين) فأخذت بيده وأوصلته إلى الفتح وأخبرته بما دار بيني وبينه فتعجب منه وأجازه.

ومما نقلناه من هذا الكتاب تعلم أنه فريد في بابه عزيز النظير بين أمثاله وفق الله تعالى لطبعه وانتشاره.



ثالثاً: كتاب عنوان المعارف وذكر الخلائف
تأليف الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد

عثرنا في جملة خبايا الزوايا على مجموع مخطوط فيه كتاب عليه هذا العنوان يشتمل على ذكر النبي ﷺ ومن خوطب بالخلافة بعده إلى المطيع العباسي بوجه الاختصار تأليف الوزير كافي الكفاة الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد أحد كتاب الدنيا الأربعة، فأحببنا إثباته في كتابنا هذا لأنه على اختصاره من الكتب النادرة مع ما لمؤلفه من الشهرة الطائرة؛ وأتبعناه بذكر باقي الملوك العباسية ممن خوطب بالخلافة إلى المستعصم؛ قال المؤلف:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد العدل وصلى الله على النبي وخيرة الأهل. قد أسعفتك بالمجموع الذي التمسته في نسب النبي صلى الله عليه وعلى آله وبنيه وبناته وعماته وجمل من غزواته، وسائر ما يتصل بذلك من ذكر مولده ومبعثه وهجرته وتسمية أفراسه ونوقه وسيفه ودرعه. واتبعت ذلك بذكر من خوطب بالخلافة على النسق غير مرتب للمفضول والفاضل والجائر والعادل أذلو ابتدأت بأتم الخلفاء فضلاً وأعدلهم عدلاً لافتتعجب بسيد المهاجرين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وعلى آله أجمعين، وذكرت عند انتهائي إلى كل منهم اسم أمه ونبذاً من حاله وأسماء خلفائه وكتابه وحجاجه ونقش خاتمة، بعد أن آثرت الاختصار الذي طلبته والإيجاز

الذي حاولته ووسمت هذا المختصر (بعنوان المعارف وذكر الخلائف) فإذا أنت حفظتا أتاك ما بعده بشرح وإيضاح وتلخيص وإفصاح إن شاء الله.

❁ ❁ ❁

النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم[1]

أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن نضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركه بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي. وجدته برة بنت أسد بن عبد العزى.

❁ ❁ ❁

اولاد النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم

القاسم وعبد الله ويسمى الطيب الطاهر وفاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم أمهم خديجة بنت خويلد وإبراهيم وأمه مارية القبطية أهداها المقوقس ملك الإسكندرية إلى النبي ﷺ.

❁ ❁ ❁

أزواج النبي صلى الله عليه (وآله)

خديجة بنت خويلد وما تزوج بامرأة حتى ماتت، وسودة بنت زمعة وعائشة بنت أبي بكر الصديق ولم يتزوج بكراً غيرها وحفصة بنت عمر وزينب بنت جحش وأم سلمة وزينب بنت خزيمة أم المساكين وأم حبيب بنت أبي سفيان وميمونة بنت الحارث وإشترى جويرية بنت الحارث فأعتقها وتزوجها؛ وكذلك فعل بريحانة بنت شمعون وصفية بنت حيي.

❁ ❁ ❁

---

(١) لفظة وآله لم تكن موجودة في الأصل هنا وفي جميع ما يأتي المؤلف.

أعمام النبي صلى الله عليه (وآله)

أبو طالب[١] والزبير وحمزة والمقوم والعباس والحارث وقثم وأبو لهب والغيداق.

❀ ❀ ❀

عمات النبي صلى الله عليه (وآله)

صفية أم الزبير بن العوام وعاتكة وأم حكيم وبرة وأميمة وأروى.

ووزيره ووصيه: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه.

❀ ❀ ❀

افراس النبي صلى الله عليه (وآله)

لزاز والظرب والمرتجز واليعسوب، وناقته القصوا والضبا والصهبا؛ وحماره يعفور وبغلته دلدل، وخاتمه من حديد ملوي عليه فضة نقشه (محمد رسول الله) في ثلاثة أسطر ودرعه تسمى ذات الفضول، وسيفه ذو الفقار وحاجبه مولاه أنس. ولد رسول الله ﷺ عام الفيل ودفعته أمه إلى أظاره من بني سعد بن بكر فكان عندهم خمس سنين ثم ردوه عليها فأخرجته أمه إلى أخواله بالمدينة بعد سنة، فتوفيت بالأبواء وردته أم أيمن حاضنته إلى مكة، وخرج مع أبي طالب إلى الشام وهو ابن اثنتي عشرة سنة وشهد الفجار وهو ابن عشرين سنة وخرج إلى الشام في تجارة لخديجة وهو ابن خمس عشرين سنة، وتزوجها بعد ذلك بشهرين وأيام وبنيت الكعبة ورضيت قريش بحكمه ﷺ فيها وهو ابن خمس وثلاثين سنة وبعث ﷺ وهو ابن أربعين سنة وتوفي عمه أبو طالب وهو ﷺ قد قارب الخمسين، وتوفيت خديجة بعده بثلاثة أيام، ثم خرج إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة بعد ثلاثة أشهر من موت خديجة ثم رجع إلى مكة، وأسري به إلى بيت المقدس بعد سنة ونصف من رجوعه إلى مكة ثم هاجر معه أبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وعبد الله بن أريقط وخلف أمير المؤمنين علياً عليه السلام بمكة على ودائع للناس كانت عنده حتى أداها ثم

---

(١) واسمه عبد مناف.

لحق به، وكانت هجرته عليه السلام وهو ابن ثلاث وخمسين ودخل المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول؛ وكان التاريخ من ذلك ثم رد إلى المحرم.



جمل من مغازيه عليه السلام المشهورة

غزوة بدر

بدر اسم بئر كانت لرجل يدعى بدراً، وكان المشركون تسعمائة وعشرين والمسلمون ثلاثمائة وبضع[1] عشرة وقتل من المشركين خمسون وأسر أربعة وأربعون وكان العباس بن عبد المطلب فيمن أسرو كذلك عقيل بن أبي طالب وكانا أخرجا مكرهين؛ وكان في الأسرى عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث بن كلدة فقتلهما النبي صلى الله عليه وآله صبراً، واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً وكانت بدر في شهر رمضان سنة اثنتين لتسع عشرة ليلة خلت منه.



غزوة أحد

كانت سنة ثلاث في شوال؛ صارت قريش لحربه صلى الله عليه وآله فخرج في ألف رجل من أصحابه وهم ثلاث آلاف وكانت على المشركين؛ حتى خالفت الرماة ما رسم لهم رسول الله صلى الله عليه وآله واشتغلوا بالغنائم فأصيب المسلمون واستشهد حمزة رضي الله عنه وغيره؛ وقتل الخلق من الكفار.

❀ ❀ ❀

الخندق وما بعده

كان الخندق في سنة أربع، ثم يوم بني قريضة في شوال سنة أربع، ثم قاتل بني المصطلق وهي لحيان في شعبان سنة خمس، ثم قاتل يوم خيبر سنة ست (وفيها)

(١) البضع بين الثلاث إلى العشر.

كانت الحديبية (وفيها) قدم جعفر بن أبي طالب من الحبشة (وفيها) كانت بيعة الرضوان ثم قاتل يوم الفتح في شهر رمضان سنة ثمان، وفتح مكة وأقام بها خمس عشرة ليلة و(فيها) بعث إلى مؤتة فأصيب واستشهد زيد وجعفر وعبد الله بن رواحة، و(فيها) سار إلى حنين ثم صار إلى الطائف فحاصرهم ثم عاد إلى المدينة وأقام إلى سنة تسع و(فيها) خرج عليه السلام إلى تبوك وأقام بها وفتح عليه دومة الجندل، ثم رجع إلى المدينة وأقام إلى الموسم وبعث أبا بكر أميراً على الحاج وحج هو عليه السلام سنة عشر ثم عاد إلى المدينة وقبض صلى الله عليه وآله يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة؛ وقد بلغ من السن ثلاثاً وستين سنة.



الخلفاء

ابو بكر الصديق (رض)

اسمه عبد الله عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة وكان يسمى بعتيق؛ وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر، وبويع له في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة يوم توفي النبي ﷺ وبقي في الخلافة سنتين وأربعة أشهر وعشر ليال وتوفي لثمان بقين من جمادي الآخر سنة ثلاث عشرة وهو ابن ثلاث وستين سنة؛ وكاتبه عثمان بن عفان وعبد الله بن أرقم وحاجبه سديف مولاه ونقش خاتمه (نعم القادر الله).

❀ ❀ ❀

عمر بن الخطاب ابو حفص (رض)

ابن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن فزط بن رياح بن عدي بن كعب وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة استخلفه أبو بكر في جمادي الآخرة سنة ثلاث عشرة لما حضرته الوفاة وبقي في خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام؛ وكتب له عبد الله بن أرقم وزيد بن ثابت وكان حاجبه مولاه يرفا؛ ونقش خاتمه (كفى بالموت واعظاً عمر) وقتل يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين للهجرة؛ وهو ابن ثلاث وستين سنة(١).

❀ ❀ ❀

عثمان بن عفان (رض)

ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف يكنى أبا عمرو وأمه أروى بنت كريز وأم أروى البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب عما رسول الله ﷺ وتوأمة أبيه وهي التي يقال لها البيضاء، وبويع له أول سنة أربع وعشرين وكانت خلافته اثني

---

(١) والأصح أنه قتل وهو ابن خمس وستين سنة (كذا بهامش الأصل).

عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً وقتل يوم الجمعة لثمان عشرة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين؛ وهو ابن تسعين سنة ويقال ابن نيف وثمانين سنة، وكان كاتبه مروان ابن الحكم وحاجبه حمران؛ ونقش خاتمه (آمنت بالله الذي خلق فسوى).

❁ ❁ ❁

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أبو الحسن عليه السلام

ابن عبد المطلب ابن عم النبي صلى الله عليه وآله لحا، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم أول هاشمية ولدت لهاشمي أسلمت وهاجرت إلى الله ورسوله بالمدينة وماتت بها ودفنها النبي صلى الله عليه وآله وقال هي أمي بعد أمي بويع له سنة خمس وثلاثين وكان الجمل سنة ست وصفين سنة سبع، وقتل يوم جمعة لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة أربعين، وكانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر صلى عليه الحسن وهو الذي قال النبي صلى الله عليه وآله فيه أن ابني هذا سيد وقال فيه وفي الحسين هذان سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما، وقتل وهو ابن ثمان وخمسين سنة. وقيل ابن خمس وستين سنة وكان نقش خاتمه (الله الملك الحق) وحاجبه قنبر مولاه؛ وكاتبه عبد الله بن أبي رافع.

❁ ❁ ❁

الحسن بن علي بن أبي طالب أبو محمد عليه السلام

لم يكن من أهل البيت أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله ما بين السرة والرأس منه. أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، بويع له في سنة أربعين وبقي أربعة أشهر خليفة ثم اعتزل، وتوفي سنة خمس بالمدينة وهو ابن ثمان وأربعين سنة وكان نقش خاتمه (الله أكبر وبه أستعين).

❁ ❁ ❁

معاوية بن أبي سفيان

أبو عبد الرحمن وأبوه أبو سفيان، واسمه صخر بن حرب بن أمية بن عبد الشمس قال النبي صلى الله عليه وآله الخلافة بالمدينة والملك بالشام، وقال الخلافة في أمتي

ثلاثون سنة ثم يكون ملكاً؛ أمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، بويع له سنة إحدى وأربعين في جمادى الأولى وتوفي بدمشق في رجب سنة ستين، وقد ناهز الثمانين وكانت مدة غلبته على الأمر تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وكان نقش خاتمه (لكل عمل ثواب) وكاتبه سرجون بن منصور الرومي، وحاجبه أبو أيوب زياد مولاه.

⊛ ⊛ ⊛

يزيد بن معاوية

أبو خالد أمه ميسون بنت بجدل طلقها معاوية وهي حامل بيزيد؛ بويع له في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وستين توفي لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين؛ وكانت مدة غلبته على الأمر ثلاث سنين وتسعة أشهر، وكان الذي أخذ له العهد أبوه معاوية ونقش خاتمه (يزيد بن معاوية) وكاتبه كاتب أبيه وحاجبه صفوان مولاه؛ وكان سبب موته أنه سكر فقام يرقص فسقط على رأسه فبدا دماغه.

⊛ ⊛ ⊛



معاوية بن يزيد ابو ليلى

ويقال أبو عبد الرحمن وأمه أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة؛ بقي في الأمر أربعين يوماً ومات؛ وكان نقش خاتمه (بالله نفس معاوية)؛ وكاتبه كاتب أبيه وحاجبه حاجب أبيه.

⊛ ⊛ ⊛

مروان بن الحكم

يكنى أبا عبد الملك مروان بن الحكم بن أبي العاص وأمه آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أمية، وبقي له الأمر تسعة أشهر وكان بويع له في ذي القعدة سنة أربع وستين ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة هلال شهر رمضان سنة خمس وستين وكان نقش خاتمه (العزة لله) وكان كاتبه معاوية وحاجبه أبو سهيل مولاه.

⊛ ⊛ ⊛

عبد الملك بن مروان

أبو الوليد أمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص؛ وكاتبه كاتب معاوية وبقي له الأمر ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر؛ بويع له ليلة الأحد في شهر رمضان سنة خمس وستين وتوفي للنصف من شوال يوم الخميس سنة ست وثمانين وله اثنان وستون سنة.

❀ ❀ ❀

الوليد بن عبد الملك

أبو العباس وأمه أم الوليد واسمها ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث؛ بويع له للنصف من شوال سنة ست وثمانين وتوفي يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين، وكان استيلاؤه على الأمر تسع سنين وسبعة أشهر وفي خلافته مات الحجاج، ونقش خاتمه (يا وليد إنك ميت) وحاجبه سعيد وكاتبه القعقاع العبسي.

❀ ❀ ❀

سليمان بن عبد الملك

أبو أيوب وأمه ولادة بنت العباس العبسية، استخلف يوم توفي الوليد وتوفي سنة تسع وتسعين لعشر بقين من صفر وكانت مدة استيلائه على الأمر سنتين وثمانية أشهر وخمسة أيام ونقش خاتمه؛ (أومن بالله مخلصاً) وكاتبه سليمان بن نعيم الحميري؛ وحاجبه عبيد مولاه.

❀ ❀ ❀

عمر بن عبد العزيز بن مروان

أبو حفص أمه أم عاصم واسمها ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، استخلف في صفر سنة تسع وتسعين ومات بدير سمعان لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة وكان مدة بقاء الأمر له سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام؛ وكاتبه ليث بن رقية وحاجبه مولاه مزاحم خاتمه (اغز غزوة تجادل عنك يوم القيامة).

❀ ❀ ❀

يزيد بن عبد الملك[1]

أبو خالد أمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية، استخلف لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة وتوفي لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة، وبقي له الأمر أربع سنين وشهراً ونقش خاتمه (قني الحسابَ) وحاجبه مولاه خالد؛ وكاتبه أسامة بن زيد السلمي.



هشام بن عبد الملك بن مروان

أبو الوليد ولي شهر رمضان سنة خمس ومائة وتوفي لعشر خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة؛ وكانت مدة غلبته تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وخمسة عشر يوماً؛ وهو هشام الأحول أمه عائشة بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة؛ ونقش خاتمه (الحكم للحكمَ) وكاتبه سالم وحاجبه مولى عبد الملك.

❀ ❀ ❀



الوليد بن يزيد بن عبد الملك

أبو العباس أمه أم محمد بنت محمد بن يوسف أخي الحجاج، وبويع له شهر ربيع الأول سنة خمس وعشرين ومائة وقتل لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة؛ وبقي له الأمر سنة وشهرين وعشرين يوماً وكاتبه عياض بن مسلم.

❀ ❀ ❀

يزيد بن الوليد بن عبد الملك

أبو خالد أمه من ولد يزدجرد واسمها شاها فرند بنت يزدجرد وهو الذي يلقب بالناقص لأنه نقص الناس عطاياهم التي أسرف بها بنو مروان، وكانت بيعته مستهل رجب سنة ست وعشرين ومائة ووفاته في ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة؛ ومدته خمسة أشهر وليلتين وكاتبه بكير بن شماخ اللخمي.

---

(١) إليه ينسب نهر يزيد الذي بصالحية دمشق لا ليزيد بن معاوية كان يتوهم البعض المؤلف.

إبراهيم بن الوليد بن عبد الوليد بن عبد الملك

وأمه بربرية وكان قوم يسلمون عليه بالخلافة وقوم يأبون ذلك، حتى قدم مروان ابن محمد فخلع إبراهيم وقتل عبد العزيز بن الحجاج وولي الأمر مروان بن محمد بن مروان وكان مدة ولاية إبراهيم سبعين ليلة.

❀ ❀ ❀

مروان بن محمد بن مروان بن الحكم

يكنى أبا عبد الملك أمه كردية يقال لها لبانة، بويع له شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائة وقتل يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة وكان الأمر بقي له خمس سنين وعشرة أشهر وليلتين؛ وحاجبه صقلان مولاه؛ وكاتبه عبد الحميد بن يحيى[1].



(١) هو عبد الحميد الكاتب المشهور أحد كتاب الدنيا الأربعة ابن العميد وعبد الحميد والصابي والصاحب المؤلف.

ذكر من بويع له بالخلافة في مدة بني أمية

أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام

وهو إمام الحق بايع له أهل الكوفة على رأس تسع وخمسين سنة وسبعة أشهر وعشرة أيام من الهجرة وأخرج إليه يزيد من حاربه وقتله بالطف يوم عاشوراء سنة إحدى وستين من الهجرة وكانت له سبع وخمسون سنة وثلاثة أشهر وثلاثة أيام وكان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله تولى قتله وحز رأسه سنان بن أنس لعنه الله.

❁ ❁ ❁

عبد الله بن الزبير بن العوام

أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق وهو أول مولود ولد في الهجرة هاجت فتنته بعد قتل الحسين عليه السلام وحج بالناس سنة ستين ولم يبايع له ثم حج بهم سنة إحدى وستين وبعث إليه يزيد بالجنود وحاربه وكان يوم الحرة وبايع الناس ابن الزبير سنة خمس وستين بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية وقتل ابن الزبير يوم الثلاثاء لعشر بقين من جمادى الآخر سنة ثلاث وسبعين.

❁ ❁ ❁

أبو القاسم محمد ابن أمير المؤمنين عليه السلام

وهو محمد ابن الحنيفة خلع المختار بن عبيد بن الزبير وبايع لمحمد عليه السلام وكان النبي صلى الله عليه وآله أذن لعلي بن أبي طالب إن ولد له ولد بعده أن يكنيه بكنيته ويسميه باسمه دفن بالبقيع سنة إحدى وثمانين من الهجرة في ربيع الأول وهو ابن خمس وستين سنة لم يحسب كملها.

❁ ❁ ❁

الضحاك بن قيس

ابن خالد الأكبر يكنى أبا أنيس دعا إلى نفسه فحاربه ابن الحكم بمرج راهط فقتله سنة أربع وستين.

عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية

يكنى أبا أمية وهو الأشدق وأمه أم البنين بنت الحكم بن أبي العاص ادعى أن مروان جعل له الخلافة ودعا إلى نفسه فرجع عبد الملك بن مروان[1] فقتله.

❁ ❁ ❁

عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي

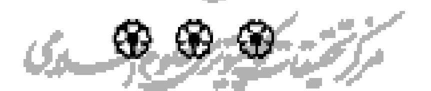
خلع عبد الملك بن مروان في سنة إحدى وثمانين فحاربه الحجاج وكانت بينهما وقائع وهزمه الحجاج بدير الجماجم ثم قتل بعد ذلك.

❁ ❁ ❁

يزيد بن المهلب بن أبي صفرة

دعا إلى نفسه وقال أنا القحطاني فسار إليه مسلمة بن عبد الملك في خلافة يزيد ابن عبد الملك فقتله سنة اثنتين ومائة.

❁ ❁ ❁



أبو الحسن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ

أمه أم ولد يقال لها جيداء قال النبي ﷺ لأمير المؤمنين أنه يكون من ولدك رجل يقال له زيد يطأ هو وأصحابه يوم القيامة رقاب الناس غراً محجلين. ظهر بالكوفة داعياً إلى الله أيام هشام بن عبد الملك سنة إحدى وعشرين ومائة فقاتله يوسف بن عمر الثقفي وقتله وصلبه وأحرقه بعد ذلك وأذراه في الفرات.

❁ ❁ ❁

عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب

ظهر في أيام يزيد بن الوليد وبايع له أهل أصفهان ونواحي فارس وكرمان في سلطان بني العباس يقال إن أبا مسلم قتله في السجن.

---

(١) كان عبد الملك متوجهاً إلى العراق لحرب مصعب بن الزبير فبلغه وثوب الأشدق بالك فرجع واحتال عليه حتى قتله المؤلف.

ذكر بني العباس بن عبد المطلب

أبو العباس السفاح

عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب أمه ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد الدار الحارثية بويع له في شهر ربيع الأول وقيل الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة وكانت مدة بقاء الأمر له أربع سنين وعشرة أشهر توفي في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة بالأنبار وصلى عليه عيسى بن علي وكان اشترى بردة النبي عليه السلام بأربعمائة دينار ووزيره أبو سلمة الخلال وفيه يقول الشاعر:

إن الوزير وزير آل محمد أودى فمن يشناك كان وزير[1]

وبعده خالد بن برمك وكاتبه أبو الجهم بن عطية وحاجبه خالد بن الهيثم مولاه ونقش خاتمه (الله ثقة عبد الله وبه يؤمن) وقاضيه يحيى بن سعيد الأنصاري.

❀ ❀ ❀

أبو جعفر المنصور

عبد الله بن محمد بن علي أمه سلامة بربرية بويع له سنة ست وثلاثين ومائة وتوفي سنة ثمان وخمسين ومائة قبل التروية بيوم وبقي له الأمر اثنتين وعشرين سنة غير ثلاثة أيام وقتل أبا مسلم صاحب الدولة في شعبان سنة سبع وثلاثين ومائة وكان وزيره خالد بن برمك ثم سليمان بن مجالد أبو أيوب المورياني ثم الربيع وكاتبه عبد الحميد بن يحيى وحاجبه عيسى بن نجيح ثم أبو الخصيب واستولى على أمره كله ونقش خاتمه مثل نقش خاتم أخيه وقاضيه عبيد الله بن محمد بن صفوان وشريك بن عبد الله والحسن بن عمارة والحجاج بن أرطأة ومات وقد بلغ سنه ثلاثاً وستين وأشهراً.

❀ ❀ ❀

---

(١) كان أبو سلمة هو الذي قام بالدعوة لبني هاشم في الكوفة وكان يلقب وزير آل محمد وكان هواه في آل أبي طالب فقتله السفاح وهذا هو الذي أراده الشاعر المؤلف.

المهدي بن المنصور

أبو عبد الله محمد أمه أم موسى بنت منصور بن عبد الله الحميري واستخلف يوم التروية سنة ثمان وخمسين ومائة وتوفي في المحرم سنة تسع وستين ومائة بقي له الأمر عشر سنين وخمساً وأربعين ليلة وكاتبه أبو عبد الله معاوية بن عبيد الله بن بشار ثم يعقوب بن داود ثم أبو جعفر الفيض بن أبي صالح وحاجبه الربيع بن الحسن بن عثمان ثم الفضل بن الربيع وكانت بعينه اليمنى نكتة بياض وقاضيه محمد بن عبد الله ابن علاثة وعافية بن يزيد.

❀ ❀ ❀

الهادي بن المهدي

أبو محمد موسى بن المهدي أمه الخيزران من مولدات المدينة استخلف سنة تسع وستين ومائة وتوفي في سنة سبعين وبقي له الأمر سنة وأربعة أشهر ووزيره الربيع ابن يونس ونقش خاتمه (الله العظيم) وقاضيه أبو يوسف وسعيد بن عبد الرحمن وحاجبه الفضل بن الربيع.

❀ ❀ ❀

الرشيد

أبو جعفر هارون بن المهدي أمه الخيزران استخلف شهر ربيع الآخر سنة سبعين ومائة وبقي له الأمر ثلاثاً وعشرين سنة ومات بطوس في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين ومائة ووزيره يحيى بن خالد وابناه الفضل وجعفر البرامكة إلى أن حدث بهم ما حدث واستولى عليه الفضل بن الربيع وكان من قبله حاجبه فوزر له وكان نقش خاتمه (بالله يثق هارون) وكان قاضيه الحسين بن الحسن العوفي ثم عون بن عبد الله المسعودي وحفص بن غياث وكان الرشيد عقد العهد لابنه محمد وسماه الأمين وبعده لعبد الله وسماه المأمون وبعده للقاسم ابنه وسماه المؤتمن.

❀ ❀ ❀

الأمين

أبو عبد الله محمد بن الرشيد أمه أم جعفر زبيدة ابنة جعفر الأكبر ابن أبي جعفر

المنصور بويع له ليلة الخميس للنصف من جمادى الآخرة سنة ثلاثة وتسعين ومائة وقتل ليلة الأحد لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة وبقي له الأمر أربع سنين وتسعة أشهر ووزيره الفضل بن الربيع وكاتبه إسماعيل بن صبيح ونقش خاتمه (حسبي القادر) وقاضيه إسماعيل بن حماد بن أبي ثم عزله وولى أبا البختري.

❁ ❁ ❁

المأمون بن الرشيد

أبو العباس عبد الله أمه مراجل من أهل باذغيس توفيت في ولادتها للمأمون ولي يوم الاثنين لأربع بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة وتوفي يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين ببلاد الروم وبقي له الأمر عشرين سنة وخمسة أشهر وخمسة عشر يوماً دفن بالبذندون من أرض طرسوس وقضاته الواقدي ثم محمد بن عبد الرحمن المخزومي ثم بسر بن الوليد ثم يحيى بن أكثم وكان له عدة حجاب ووزيراه الفضل بن سهل ذو الرياستين ثم أخوه الحسن بن سهل ثم أحمد بن أبي خالد الأحول ثم أبو جعفر أحمد بن يوسف ثم أبو عباد ثابت بن يحيى بن محمد بن يزداذ ونقش خاتمه (الله ثقة عبد الله وبه يؤمن) وفي أيامه بويع لإبراهيم بن المهدي المعروف بابن شكلة سنة اثنتين ومائتين ولقب بالمبارك وظفر به المأمون في شهر ربيع الآخر سنة عشرين ومائتين فعفا عنه.

❁ ❁ ❁

المعتصم بالله

أبو إسحاق محمد بن الرشيد أمه ماردة مولدة كوفية ولي في رجب لاثنتي عشرة ليلة خلت منه سنة ثماني عشرة ومائتين ومات سبع وعشرين ومائتين وخلافته ثماني سنين وثمانية أشهر وحاجبه وصيف التركي ووزيره الفضل بن مروان ثم أحمد بن عمار ثم محمد بن عبد الملك الزيات وقاضي قضاته أحمد بن أبي داؤد.

❁ ❁ ❁

الواثق بن المعتصم

أبو جعفر هارون أمه قراطيس رومية بويع له للنصف من شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين وتوفي لست بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وبقي له الأمر خمس سنين وتسعة أشهر وحاجبه وصيف ووزيرهُ محمد بن عبد الملك وقاضيه أحمد بن أبي دؤاد ونقش على خاتمه (الواثق بالله).

❁ ❁ ❁

المتوكل على الله

أبو الفضل جعفر بن المعتصم أمه شجاع أم ولد بويع له يوم الأربعاء لخمس بقين من ذي الحجة سنة اثنتين ومائتين قتل ليلة الأربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين وكانت خلافته أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وثمانية أيام وقتل بسر من رأى وقاضيه جعفر بن عبد الواحد بن سليمان الهاشمي ووزيراه محمد بن عبد الملك ثم محمد بن الفضل الجرجرائي وعبيد الله بن يحيى بن خاقان وحاجباه وصيف وبغا الكبير ونقش خاتمه (المتوكل على الله) وكان قد جعل العهد من بنيه لمحمد المنتصر وأبي عبد الله المعتز ولإبراهيم المؤيد.

❁ ❁ ❁

المنتصر بالله

أبو جعفر محمد بن المتوكل أمه رومية اسمها جيسية بويع له في الليلة التي قتل فيها المتوكل وهي ليلة لأربعاء لأربع خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين وكانت خلافته خمسة أشهر وأياماً وقاضيه جعفر بن عبد الواحد ووزيره أحمد بن الخصيب وحاجباه وصيف وبغا ونقش خاتمه (محمد بالله ينتصر).

❁ ❁ ❁

المستعين بالله

أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي إسحاق أمه محارق أم ولد بويع له في شهر

ربيع الآخر لست خلون منه سنة ثمان وأربعين ومائتين وخلع نفسه بعد ثلاث سنين وثمانية أشهر وعشرين يوماً وبويع للمعتز وكان قاضي المستعين جعفر بن محمد بن عمار ووزراؤه أحمد بن الخصيب ثم أبو صالح بن يزداذ ثم محمد بن الفضل الجرجائي ثم شجاع بن القاسم ثم أبو صالح بن يزداذ ثانياً ثم محمد بن الفضل الجرجائي ثانياً ونقش خاتمه (أحمد بن محمد).

❁ ❁ ❁

المعتز بالله

أبو عبد الله وقد قيل في اسمه الزبير ومحمد وهو ابن المتوكل أمه قبيحة[1] بويع له يوم السبت لست خلون من المحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين وخلع نفسه بعد ثلاث سنين وستة أشهر واثنين وعشرين يوماً وما زال يعذب بعد الخلع حتى مات وكان قاضيه الحسن بن محمد بن أبي الشوارب وحاجبه سعيد بن صالح ووزراؤه جعفر بن محمود الإسكافي ثم عيسى بن فرخانشاه ثم أحمد بن إسرائيل ونقش خاتمه (المعتز بالله).

❁ ❁ ❁

المهتدي بالله

أبو عبد الله محمد بن الواثق أمه قرب بويع له لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وقتل بعد أحد عشر شهراً وتسعة عشر يوماً ونقش خاتمه (أمير المؤمنين) وحاجباه صالح بن وصيف وموسى بن بُغا ووزراؤه جعفر بن محمود وأبو صالح بن عمار ثم عمار بن سليمان بن وهب وقاضيه الحسن بن محمد بن أبي الشوارب.

❁ ❁ ❁

المعتمد أبو العباس

أحمد بن المتوكل أمه فتيان بويع له بالخلافة في رجب سنة ست وخمسين

---

(١) لقبت بذلك لشدة جمالها من باب تسمية الجشيء باسم ضده المؤلف.

ومائتين وتوفي في رجب سنة تسع وسبعين ومائتين وكانت مدة خلافته اثنتين وعشرين سنة وأحد عشر شهراً وخمسة عشر يوماً وكاتبه عبيد الله بن يحيى بن خاقان والحسن ابن مخلد وسليمان بن وهب والحسن بن مخلد ثانياً وإسماعيل بن بلبل والحسن بن مخلد ثالثاً وأحمد بن صالح بن شيرزاد وإسماعيل بن بلبل ثانياً وصاعد بن مخلد وإبراهيم بن محمد بن المدبر وإسماعيل بن بلبل ثالثاً وقاضيه ابن أبي الشوارب ثم أخوه وكان المستولي على الأمر أكثر أيام خلافته والمدبر لها أخوه (أبو أحمد الموفق) وأمه اسمها إسحاق واسمه طلحة وقيل محمد كان يلقب بالناظر لدين الله وتوفي في يوم الخميس لثمان بقين من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين وكان المعتمد جعل العهد لابنه جعفر المفوض ثم نقض ذلك وجعله لأحمد ولقب بالمعتضد[1].

❁ ❁ ❁

المعتضد أبو العباس

أحمد بن أبي أحمد الموفق بن المتوكل أمه ضرار أم ولد بويع له يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين وتوفي ليلة الاثنين لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين وكانت خلافته عشر سنين وتسعة أشهر وثلاثة أيام ووزيره أبو عبيد الله بن سليمان والقاسم بن عبيد الله وقاضيه إسماعيل ابن إسحاق ويوسف بن يعقوب وابن أبي الشوارب وحاجبه خفيف السمرقندي.

❁ ❁ ❁

المكتفي بالله

أبو محمد علي بن المعتضد أمه تركية اسمها جنجك بويع له لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين وتوفي لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين وبقي له الأمر ست سنين وستة أشهر واحد وعشرين يوماً ووزيره القاسم بن عبيد الله ثم العباس بن الحسن وقاضيه يوسف بن يعقوب وابنه محمد بن يوسف.

---

(١) وفي أيام المعتمد ظهر صاحب الزنج وحاربه الموفق أثنتي عشر حتى قتله المؤلف.

المقتدر

أبو الفضل جعفر بن المعتضد أمه شغب بويع له الاثنين لثلاث عشرة خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين ومولده شهر رمضان سنة اثنتين وثمانين ووزراءه العباس بن الحسن وابن الفرات ثم أبو القاسم علي بن عبد الله بن محمد الخاقاني دُق صدره[1] وعلي بن عيسى وابن الفرات ثانياً وحامد بن العباس وابن الفرات ثالثاً وأبو القاسم الخاقاني ثانياً وأبو العباس الخصيبي وعلي بن عيسى ثانياً وأبو علي بن مقلة وسليمان بن الحسن وأبو القاسم الكلوذاني والحسن بن القاسم بن عبيد الله وأبو الفتح بن خنزابة وحاجبه سوسن ونصر القشوري وياقوت وقاضيه محمد ابن يوسف وأبو عمر وأبو محمد الحسن بن أبي الشوارب وعمر بن محمد أبو الحسين ونقش خاتمه (محمد رسول الله) وقتل يوم الأربعاء لثلاث بقين من شوال سنة عشرين وثلاثمائة وبقي له الأمر أربعاً وعشرين سنة وشهرين وعشرة أيام وكانت في أيامه فتنة.

ابن المعتز

وذلك لعشر بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين ومائتين وبايع له كثير من الناس ولقب بالمنتصف بالله ولم يلبث أمره أن انحل في اليوم الثاني وأحضر دار المقتدر بالله ووجد بعد ذلك ميتاً.

وفي أيام المقتدر سنة سبع عشرة وثلاثمائة سعى نازوك في خلعه وأحضر أبو منصور محمد بن المعتضد ولقب بالقاهر وسلم عليه بالخلافة فلم يلبث أمره أن انتقض من جهة مؤنس والرجالة وأعيد المقتدر إلى موضعه.

❀ ❀ ❀

القاهر بن المعتضد

اسمه محمد يكنى أبا منصور أمه قتول بويع له في شوال سنة عشر وثلاثمائة

---

(١) لقب بذلك لأنه كان كلما طلبت منه حاجة دق على صدره إجابة للطالب المؤلف.

وبقي له الأمر سنة وستة أشهر وخمسة أيام وخلع يوم الأربعاء لست خلون من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وكان حاجبه سلامة أخا نجح ووزيره محمد بن علي بن مقلة ثم أبو جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله ثم أبو العباس الخصيبي وقاضيه أبو الحسين بن أبي عمير.

❀ ❀ ❀

الراضي بن المقتدر

محمد أبو العباس أمه ظلوم بويع له يوم خلع القاهر واستوزر محمد بن علي بن مقلة ثم عبد الرحمن بن موسى ثم أبا جعفر الكرخي ثم سليمان بن الحسن ثم أبا الفتح ثم البريدي ثم سليمان بن الحسن وقاضي قضاته أبو الحسين ثم يوسف والحسين ابناه وتوفي ليلة السبت لأربع عشرة بقيت من شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وبقي له الأمر ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام.

❀ ❀ ❀

المتقي بن المقتدر

أبو إسحاق إبراهيم أمه رومية اسمها خلوب بويع له يوم الأربعاء لعشر بقين من ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وكان حاجبه سلامة ووزراؤه سليمان بن الحسن ثم أبو الحسين بن ميمون ثم البريدي ثم القراريطي ثم الكرخي ثم البريدي ثانياً ثم القراريطي ثانياً ثم أبو العباس الأصفهاني ثم أبو الحسن بن مقلة ثم ولي أبا عبد الله البريدي وخلع وكحل يوم السبت لإحدى عشرة بقيت من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وكانت مدته ثلاث سنين وأحد عشر شهراً وقضاته يوسف والحسين ابنا أبي الحسين ثم أحمد بن عبد الله الخزفي أبو الحسن .

❀ ❀ ❀

المستكفي بن المكتفي

أبو قاسم عبد الله أمه غصن بويع له يوم السبت لتسع بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وقاضيه أبو عبد الله بن أبي موسى وأحمد بن عبد الله بن نصر

ووزيره أبو الفرج السامري ثم أبو أحمد الشيرازي وحاجبه أحمد بن خاقان وخلع وكحل يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وكانت مدته ستة عشر شهراً ويوماً.

❁ ❁ ❁

المطيع بن المقتدر

أبو القاسم الفضل أمه مشعلة بويع له يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة. ووجد في آخر الأصل المنقول عنه ما صورته.

تمَّ الكتاب والحمد لله وصلواته ورحمته على نبيه وخيرته من خلقه محمد وعترته الطاهرة وحسبنا الله وحده ونعم الوكيل وكتب في رجب سنة عشرين وأربعمائة.

ووجد بآخره أيضاً ما صورته: نسخة أبو النجيب عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكريم الكرخي في شهور سنة ثمان وعشرين وخمسمائة بلغ مناه في آخرته ودنياه.

وإتماماً للفائدة نذكر ما بقي من أخبار الخلفاء العباسيين بوجه الاختصار على نحو ما ذكره الصاحب رحمه الله في هذا الكتاب فنقول:

كان أمر الخلافة في عهد المطيع ضعيفاً وفي أيامه ردَّ القرامطة الحجر الأسود بعدما مكث عندهم في هجر اثنتين وعشرين سنة. وكان قاضي قضاته أبا الحسن محمد من ولد أبي الشوارب ثم أبا العباس عبد الله بن الحسن بن أبي الشوارب والتزم أن يؤدي كل سنة مائتي ألف درهم وهو أول من ضمن القضاء. ولم يبق للخليفة وزير إنما كانت الوزراء لآل بويه. وخلع المطيع نفسه بطلب من سبكتكين التركي حاجب معز الدولة وكان قد أصابه فالج وثقل لسانه وذلك منتصف ذي القعدة سنة ٣٦٣ وكانت خلافته تسعاً وعشرين سنة وخمسة أشهر إلا أياماً وتوفي سنة ٣٦٣.

❁ ❁ ❁

الطائع لله بن المطيع

أبو بكر عبد الكريم ولد سنة ٣١٧ وبويع له سنة ٣٦٣ وخلع سنة ٣٨١ ونهبت دار الخلافة وكان الشريف الرضي حاضراً فبادر بالخروج فسلم وقال قصيدة منها:

من بعدما كان رب الملك مبتسماً إلي ... أدنوه في النجوى ويدنيني
امسيت أرحم من قد كنت أغبطه ... لقد تقارب بين العز والهون
ومنظر كان بالسراء يضحكني ... يا قرب ما عاد بالضراء يبكيني
هيهات أغتر بالسلطان ثانية ... قد ضل ولاج أبواب السلاطين

وتوفي الطائع سنة ٣٩٣ وكانت خلافته سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وأياماً وصلى عليه القادر وكبر خمساً وكان محسناً إلى الشريف الرضي فرثاه بقصيدة أولها:

ما بعد يومك ما يسلو به السالي ... ومثل يومك لم يخطر على بالي

❁ ❁ ❁

القادر بالله

أبو العباس أحمد ابن الأمير إسحاق بن المقتدر وأمه أم ولد اسمها دمنة بويع له في ثاني عشر شهر رمضان سنة ٣٨١ وفي أيامه جدد أمر الخلافة وعظم ناموسها وسلم إليه الطائع فأحسن إليه وتزوج بنت بهاء الدولة ابن عضد الدولة وتوفي سنة ٤٢٢ وعمره ست وثمانون سنة وعشرة أشهر وخلافته إحدى وأربعون سنة وكسر.

❁ ❁ ❁

القائم بأمر الله

أبو جعفر عبد الله بن القادر أمه أم ولد أرمنية تسمى قطر الندى بويع له بعد موت أبيه بعهد منه سنة ٤٢٢ وأول من بايعه الشريف المرتضى وأنشد:

فأما مضى جبل وانقضى ... فمنك لنا جبل قد رسا
وأما فجعنا ببدر التمام ... فقد بقيت منه شمس الضحى
لنا حزن في محل السرور ... وكم ضحك في خلال البكا
فيا صارماً أغمدته يد ... لنا بعدك الصارم المنتضى

وهي أكثر من هذا، وفي أيامه كانت فتنة البساسيري فاستولى على بغداد وخطب للعلويين المصريين وحبس الخليفة في الحديثة حتى أعاده طغرل بك

السلجوقي وقتل البساسيري سنة ٤٥٠ واستوزر القائم أبا طالب محمد بن أيوب وأبا الفتح بن دراست ورئيس الرؤساء وفخر الدولة أبا نصر بن جهير وكان قاضيه ابن ماكولا وأبو عبد الله الدامغاني وفي أيامه انقرضت الدولة البويهية وظهرت الدولة السلجوقية توفي ثالث عشر شعبان سنة ٤٦٧ وعمره ست وسبعون سنة وثلاثة أشهر وخمسة عشر يوماً وفي أيامه زاد وقار الخلافة ونمت قوتها.

❋ ❋ ❋

المقتدي بأمر الله

أبو القاسم عبد الله بن محمد بن القائم أمه أرمنية تسمى أرجوان بويع له بعهد من جده سنة ٤٦٧ وكان أبوه قد توفي في حياة جده ولم يكن له غيره وأمه حامل به فأخبرت جده بالحمل فسر به وزر له فخر الدولة ابن جهير ثم ابنه عميد الدولة ثم حبس وأخرج ميتاً فوزر له ظهير الدين محمد بن الحسين الهمذاني ثم عزل (وقضاته) أبو عبد الله الدامغاني ثم أبو بكر الشامي وعظمت الخلافة في أيامه أكثر من قبل وعمرت في بغداد عدة محال ومنع المقتدي عدة منكرات وتوفي فجأة خامس عشر المحرم ٤٨٧ وعمره ثمان وثلاثون سنة وثمانية أشهر وأيام وخلافته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر.

❋ ❋ ❋

المستظهر بالله

أبو العباس أحمد بن المقتدي بالله بويع له بعد وفاة أبيه بعهد منه سنة ٤٨٧ وعمره ست عشرة سنة وشهران وفي أيامه تفاقم حال الباطنية واستولوا على المعاقل والحصون بخراسان(١) ولم يكن للوزارة في أيامه كبير أبهة ووزر له عميد الدولة أبو منصور بن جهير ثم عزل وحبس وسديد الملك المفضل بن عبد الرزاق الأصبهاني وزعيم الرؤساء أبو القاسم علي بن فخر الدولة ابن جهير ثم عزل وهدمت داره ونظام الدين الحسين بن محمد وأبو شجاع محمد بن الحسين بن عبد الله وأبو المعالي هبة

---

(١) ومن قلاعهم قلعة (ألموت) بهزة أصلية وليست ال فيها للتعريف كما قد يتوهم المؤلف.

الله بن محمد بن المطلب (وقضاته) أبو بكر محمد بن المظفر الشامي ثم أبو الحسن علي ابن قاضي القضاة أبي عبد الله محمد الدامغاني وفي سنة ٤٩٤ أمر المستظهر بالجهر بالبسملة في الصلاة ولم تجر به عادة وتوفي سنة ٥١٢ وعمره إحدى وأربعون سنة وستة أشهر وأربعة أيام وخلافته أربع وعشرون سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوماً وكانت أيامه أيام سرور للرعية.

❀ ❀ ❀

المسترشد بالله

أبو منصور الفضل بن المستظهر بالله وأمه أم ولد بويع له بعد وفاة أبيه بعهد منه سنة ٥١٢ وهرب أخوه أبو الحسن إلى الحلة مستجيراً بدبيس بن صدقة وكان مأوى الطريد فأكرمه كثيراً فبعث الخليفة في طلبه فأبى دبيس أن يسلمه ثم ظفر به المسترشد فسجنه واستوزر أبا شجاع محمد بن الربيب ثم عزله واستوزر عميد الدولة أبا علي ابن صدقة ثم قبض عليه واستنيب في الوزارة نقيب النقباء علي بن طراد الزينبي ثم استوزر نظام الملك أحمد ثم أنوشروان بن خالد بن محمد القاشاني وفي سنة ٥١٧ جرى خلاف بين دبيس بن صدقة صاحب الحلة السيفية وبين الخليفة أفضى إلى الحرب فانكسر عسكر دبيس وأسرت نساؤه وذراريه ولما عاد الخليفة إلى بغداد ثار العامة فيها ونهبوا مشهد باب التين (مشهد الكاظمين عليهما السلام) وقصد دبيس عرب المنتفق ثم التحق بالفرنج ثم الملك طغرل وجرت له أحوال يطول شرحها حتى قتله السلطان مسعود السلجوقي غيلة سنة ٥٢٩ وحصل بين المسترشد والسلطان مسعود السلجوقي حرب فأسره مسعود ثم وثب عليه الباطنية فقتلوه ومثلوا به في سابع عشر ذي القعدة بظاهر مراغة سنة ٥٢٩ وعمره ثلاث وأربعون سنة وثلاثة أشهر وخلافته سبع عشرة سنة وستة أشهر وعشرون يوماً.

❀ ❀ ❀

الراشد بالله

أبو جعفر المنصور بن المسترشد بويع له في السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ٥٢٩ بعهد من أبيه واستوزر جلال الدين أبا الرضا محمد بن صدقة وجهز

عسكراً لمحاربة مسعود السلجوقي وتوجه مسعود نحو العراق فوصل بغداد بخمسة آلاف فارس فخرج الراشد إلى الموصل وكتب مسعود محضراً بخلع الراشد وأخذ خطوط للقضاة والشهود بالقدح فيه وفتوى العلماء بخلعه وحكم بذلك القاضي فخلع في منتصف ذي القعدة سنة ٥٣٠ وكانت خلافته أحد عشر شهراً وثمانية عشر يوماً ثم سار من الموصل إلى أصفهان فوثب عليه جماعة من الملاحدة فقتلوه على باب أصفهان سنة ٥٣٢ ودفن بظاهر أصفهان بشهرستان.

❁ ❁ ❁

المقتفي لأمر الله

أبو عبد الله محمد بن المستظهر مولده ثاني عشر ربيع الآخر سنة ٤٨٩ وأمه أم ولد بويع له بعد خلع الراشد سنة ٥٣٠ واستوزر شرف الدين علي بن طراد الزينبي وأحضر قاضي القضاة أبا القاسم علي بن الحسين الزينبي وأعاده إلى منصبه ثم استوزر نظام الدين المظفر بن علي محمد بن جهير ثم أبا القاسم علي بن صدقة ثم عون الدين يحيى بن هبيرة وتوفي سنة ٥٥٥ وخلافته أربع وعشرون سنة وثلاثة أشهر وستة عشر يوماً وهو أول من استبد بالعراق منفرداً عن سلطان يكون معه من أول الديلم إلى الآن وأول خليفة تمكن من الخلافة وحكم على عسكره وأصحابه من عهد المستنصر إلا أن يكون المعتضد وكان شجاعاً يباشر الحروب بنفسه وكان يبذل الأموال العظيمة لأصحاب الأخبار في جميع البلاد حتى لا يفوته شيء منها.

❁ ❁ ❁

المستنجد بالله

أبو المظفر يوسف بن المقتفي وأمه أم ولد تدعى طاوس ولد مستهل ربيع الآخر سنة ٥١٠ وبويع له بعد وفاة أبيه بعهد منه سنة ٥٥٥ وكان للمقتفي حظية هي أم ولده أبي علي فلما اشتد مرض المقتفي احتالت على قتل المستنجد فعلم بذلك وحبسها وولدها وأقر ابن هبيرة على وزارته ثم استوزر بعد وفاته محمد بن أبي الفتح ابن

البلدي وأزال المكوس والضرائب وعزل قاضي القضاة علي بن أحمد الداماني ورتب مكانه أبا جعفر عبد الواحد الثقفي وحل المقاطعات وأعادها إلى الخراج فشق ذلك على العلويين بالكوفة والمشاهد ونسبوه إلى ابن هبيرة ولعنوه بالمشاهد وتوفي سنة ٥٥٦ م وكان مريضاً فخافه أكابر دولته على أنفسهم فتواطؤوا مع الطبيب على أن يصف له دخول الحمام فوصفه له فامتنع فأدخلوه الحمام وأغلقوا عليه حتى مات.



المستضيء بأمر الله

أبو محمد الحسن بن المستنجد بالله أمه أم ولد أرمنية تسمى غضة ولد سنة ٥٣٦ ولم يل الخلافة من اسمه حسن غيره وغير الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام بويع بالخلافة يوم مات أبوه سنة ٥٦٦ واستدعى الوزير ابن البلدي ليبايع فلما حضر الدار عدل به إلى مكان وضربت عنقه وألقي على مزبلة ثم سحب وألقي في الدجلة وقبض على القاضي ابن المرخم وأخذ منه مالاً كثيراً فأعاده على أصحابه وكان ابن المرخم ظالماً جائراً في أحكامه وفي أيامه وردت البشائر إلى بغداد بفتح مصر وانقراض الدولة الفاطمية؛ وتوفي ثاني ذي القعدة سنة ٥٧٥ وخلافته نحو تسع سنين وسبعة أشهر، وكان عادلاً حسن السيرة كان الناس معه في أمن عام وإحسان شامل ووزراؤه عضد الدين أبو الفرج محمد بن أبي الفتوح عبد الله ابن رئيس الرؤساء إلى أن قتل سنة ٥٧٣؛ ثم ظهير الدين أبو بكر منصور بن نصر المعروف بالعطار.

❁ ❁ ❁

الإمام الناصر لدين الله

أبو العباس أحمد بن المستضيء أمه أم ولد تركية اسمها زمرد؛ بويع له عند وفاة أبيه سنة ٥٧٥ فأقر ابن العطار وزير أبيه أياماً يسيره ثم نكبه وحبسه ثم أخرج بعد أيام ميتاً على رأس حمال فرجمه العامة وأخرجوه من التابوت ومثلوا به بما يقبح ذكره؛ ثم وزرله جلال الدين أبا عبد الله؛ ثم معز الدين سعيد بن علي بن حديدة الأنصاري؛ ثم مؤيد الدين أبو المظفر محمد بن أحمد بن القصاب، ثم نصير الدين ناصر بن مهدي العلوي الرازي ثم مؤيد الدين محمد بن أحمد بن عبد الكريم القمي،

وكان الناصر يتشيع ولم يكن في أهل بيته من يتشيع غيره سوى ما كان من المأمون، كما أنه لم يكن في بني حمدان من ليس بشيعي سوى ناصر الدولة الذي ذهب إلى مصر وهو من نسل ناصر الدولة الحمداني الشهير، والناصر هو الذي كتب إليه علي ابن صلاح الدين الأيوبي لما استبد عليه أخوه عثمان وعمه أبو بكر بن أيوب:

مولاي أن أبا بكر وصاحبه ... عثمان قد غصبا بالسيف حق علي
وبايعاه وحلا عقد بيعته ... والأمر بينهما والنص فيه جلي
فانظر إلى هذا الاسم كيف لقي ... من الأواخر ما لاقى من الأول

فأجابه الإمام الناصر:

وافى كتابك يا ابن يوسف معلناً ... بالحق يخبران أصلك طاهر
غصبوا علياً حقه إذ لم يكن ... بعد النبي له بيثرب ناصر
فاصبر فإن غداً عليه حسابهم ... من الأواخر فناصرك الإمام الناصر

وهو الذي بنى سرداب الغيبة في سامراء، وجعل فيه شباكاً من الآبنوس الفاخر كتب عليه اسمه وتاريخ عمله وهو باق لهذا الوقت كأنما فرغ منه الصناع الآن، وتوفي الناصر في أول شوال سنة ٦٢٢ بالدوسنطاريا وكان عمي في آخر عمره، وعمره نحو سبعين سنة ومدة خلافته من أهل بيته أطول مدة منه، وكان قد طلب الشريف قتادة أمير مكة ليحضر عنده فجاء حتى وصل الكوفة فاستقبله الناس ومعهم أسد في قفص حديد فتطير من ذلك، وقال لا أدخل بلداً تؤسر فيه الأسود ورجع، فأرسل إليه الناصر يعاتبه فأجابه بأبيات منها:

ولي كف ضرغام إذا ما بسطتها ... بيوم الوغى أشري بها وأبيع
تظل ملوك الأرض تلثم ظهرها ... وفي وسطها للمجد بين ربيع
أأجعلها تحت الرحى ثم أبتغي ... خلاصاً لها أني إذاً لرقيع
وما أنا إلا المسك في كل بلدة ... يضوع وأما عندكم فيضيع

فأرسل إليه الناصر يتهدده وكان بينه وبين أمير المدينة الشريف الحسيني منازعة فكتب إلى أمير المدينة أبياتاً منها:

بني عمنا من آل موسى وجعفر ... وآل علي كيف صبركم عنا

إذا ما أخ خلى أخاه لأكل بدا بأخيه الأكل ثم به ثنى

فاتفق الأميران على حرب الناصر فكف عنهما.

❀ ❀ ❀

الظاهر بأمر الله

أبو نصر محمد ابن الإمام الناصر بويع له سنة ٦٢٢ وكان أبوه عهد له بالخلافة ثم خلعه وأقام ولداً صغيراً في ولاية العهد فمات الولد فاضطر إلى إعادته، وأظهر العدل والإحسان وأبطل المكوس ولم تطل أيامه، في عهده احترقت القبة الشريفة بمشهد الكاظمين عليهما السلام فشرع في عمارتها فمات قبل تمامها فأتمها المستنصر وأقر القمي وزير أبيه على وزارته ولم يستوزر غيره وتوفي سنة ٦٢٣.

❀ ❀ ❀



المستنصر بالله

أبو جعفر المنصور بن الظاهر بويع له عند وفاة أبيه سنة ٦٢٣ وكان شهماً جواداً فمن آثاره المدرسة المستنصرية ببغداد وخان جربى وقنطرتها وغير وذلك وكانت أمه أيامه طيبة والدنيا في زمانه ساكنة توفي بكرة الجمعة لعشرة خلون من جمادى الآخرة سنة ٦٤٠ ومدة خلافته سبع عشرة سنة إلا شهراً أقر القمي وزير أبيه وجده على وزارته سنوات ثم قبض عليه وحبسه فمرض وأخرج مريضاً فمات ثم استوزر نصير الدين أبا الأزهر أحمد بن محمد الناقد.

يقال إنه هجي ببيتين فلما سمعهما استحسنهما وهما:

وزيرنا زاهد والناس قد زهدوا فيه فكل عن اللذات منكمش

أيامه مثل شهر الصوم خالية من المعاصي وفيها الجوع والعطش

❀ ❀ ❀

المستعصم بالله

أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بويع له سنة ٦٤٠ كان ضعيف الرأي قليل

الخبرة بأمور الملك يقضي أكثر زمانه بسماع الأغاني والتفرج على المساخر وكان أصحابه مستولين عليه وهم جهال من أراذل العوام إلّا وزيره مؤيد الدين محمد بن العلقمي فإنه كان من أعيان الناس وعقلاء الرجال لكنه مكفوف اليد مردود القول يترقب العزل والقبض ولابن العلقمي صنَّف ابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة وصنف له الصغاني كتب العباب في اللغة فأجازهما جائزة سنية ولم يجر في أيام المستعصم شيء يؤثر سوى نهب الكرخ وبئس الأثر فقد جرى فيه من النهب والقتل والتعدي على الأعراض أمر فظيع وكان الذي أشار به ولده الكبير أبو العباس أحمد، وفي أيامه كان ظهور التتر واستيلاءهم على بلاد الإسلام فلم يبال بذلك وكان وزيره ابن العلقمي يحذره ويشير عليه بالاستعداد فلا يسمع وخواصه يوهمونه أنه ليس فيه كبير خطر وإن الوزير يعظم الأمور لتبرز إليه الأموال لتجنيد العساكر فيقتطع منها لنفسه حتى وصل عسكر المغول إلى همذان مع هولاكو وتواترت رسله إلى بغداد فأرسل إليه رسول من بغداد فلما سمع هولاكو جوابه علم أنه جواب مغالطة ومدافعة فأرسل زيادة على ثلاثين ألفاً من عسكره مع قائد اسمه (باجو) فعبروا من تكريت وقصدوا بغداد من غربيها فأجفل الناس أمامهم ودخلوا بغداد بنسائهم وأولادهم وقذفوا أنفسهم في الماء وكان الملاح يأخذ أجرة من يعبره سواراً من ذهب أو عدة دنانير فلما وصلوا دجيل أرسل الخليفة لقتالهم عسكراً في غاية القلة فاقتتلوا قريباً من بغداد فكانت الغلبة أولاً لعسكر الخليفة ثم صارت المغول فأبادوهم قتلاً وأسراً وأعانهم نهر فتحوه ليلاً فكثرت الوحول في طريق المنهزمين ودخل باجو بعسكره البلد من غربيه وجاء هولاكو بباقي العسكر من شرقي بغداد يوم الخميس رابع محرم سنة ٦٥٠ فأحاطوا ببغداد وحاصروها وشرع عسكر الخليفة في المدافعة إلى التاسع والعشرين من المحرم فما شعر الناس إلا ورايات المغول على السور وجرى من القتل والنهب ما يعظم سماعه وأحضر المستعصم بين يدي هولاكو واستشهد رابع صفر سنة ٦٥٠ ومدة خلافته نحو ست عشر سنة وأما ابن العلقمي فقيل إن هولاكو قتله وفي كتاب الفخري أنه سلم بغداد إليه وإلى رجل آخر ثم مرض ومات في جمادى الأولى سنة ٦٥٦ وفي الفخري ونسبه الناس إليه أنه خامر وليس ذلك صحيح

(أقول) ومنه يعلم براءة ابن العلقمي مما نسب إليه من أنه كان السبب في قتل الخليفة وأخذ التتر بغداد وأن السبب لم يكن إلا ضعف الخليفة وعدم إطاعته وزيره. وبقتل المستعصم انقرضت الدولة العباسية من بغداد وكانت مدة ملكها خمسمائة سنة وأربعاً وعشرين سنة وعدة خلفائهم سبعة وثلاثون ثم ظهر قوم بني العباس بمصر وبويع لهم بالخلافة وليس لهم من الأمر شيء.



الخلفاء العباسيون بمصر

المستنصر بالله أحمد بن الظاهر بالله ابن الإمام الناصر

في سنة ٦٥٩ أحضر جماعة من العرب إلى مصر شخصاً أسود زعموا أنه أحمد ابن الظاهر فأثبت نسبه بيبرس صاحب مصر وبايعه بالخلافة وغرم عليه ألف ألف دينار وجهزه وأرسله إلى بغداد رجاء أن يستولي عليها فقتله التاتار قبل دخولها.

❁ ❁ ❁

الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن أبي بكر من نسل المسترشد

وفي سنة ٦٦٠ أحضر بيبرس أيضاً شخصاً كان قدم مصر واسمه أحمد من نسل بني العباس وبايعه بالخلافة ولقب الحاكم بأمر الله؛ وأنزله في برج محترزاً عليه وأشركه في الدعاء والخطبة وتوفي سنة ٧٠١.

❁ ❁ ❁



المستكفي بالله أبو الربيع سليمان بن أحمد

قرر في الخلافة بعد موت أبيه سنة ٧٠١ وفي سنة ٧٣٨ أخرج من مكانه بمصر عنفاً إلى قوص وتوفي سنة ٧٤٠ في قوص وخلافته الوهمية ٣٩ سنة.

❁ ❁ ❁

الواثق بالله أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الحاكم بأمر الله

وهو ابن أخي المستكفي. بويع له سنة ٧٤٠ وفي سنة ٧٤٢ أمر الملك المنصور أبو بكر بن قلاوون ملك مصر بخلعه ومبايعة؟

❁ ❁ ❁

الحاكم بأمر الله أحمد بن المستكفي

وكان قد عهد له أبوه بالخلافة وتوفي سنة ٧٥٣ فكانت خلافته عشر سنين ونصفاً.

المعتضد بأمر الله ابو بكر العباس بن المستكفي بالله

بويع له بعد وفاة الحاكم سنة ٧٥٣ وتوفي سنة ٧٦٣ فبويع.

❁ ❁ ❁

أخوه الحاكم بأمر الله ابو محمد عبد الله بن المستكفي

وتوفي في هذه السنة فبويع.

❁ ❁ ❁

المتوكل على الله محمد

وفي سنة ٧٨٥ قبض عليه الملك الظاهر برقوق وسجنه إلى أن توفي سنة ٨٠٨ وأقام بدلاً عنه:

❁ ❁ ❁

عمر بن الواثق

وتوفي سنة ٧٨٨ فولي بعده:

❁ ❁ ❁

المعتصم بالله أبو يحيى

وتوفي سنة ٨٠٨ وبويع بالخلافة بعده:

❁ ❁ ❁

المستعين بالله العباس بن المتوكل على الله محمد

وفي سنة ٨١٤ قتل الملك الناصر وبويع المستعين بالخلافة والسلطنة، فقبض الشيخ المحمودي وهو من الجراكسة على المستعين ولم يخلعه وحبسه في القلعة وجلس على تخت الملك وتقلب بالملك المؤيد وفي سنة ٨١٨ خلع المستعين ونفي إلى الإسكندرية وأقيم مقامه.

❁ ❁ ❁

أخوه المعتضد بالله داود

وابتدأ ببناء جامع وتوفي سنة ٨٤٦ وأوصى بالخلافة لأخيه.

❀ ❀ ❀

المستكفي بالله

وتوفي سنة٨٥٤ فبويع أخوه.

❀ ❀ ❀

القائم بأمر الله

وبعد موته بويع[1].

❀ ❀ ❀



المتوكل على الله الثاني

وبعد موته بويع .

❀ ❀ ❀

المتوكل على الله محمد الثالث

وهو آخرهم وهو الذي تنازل عن الخلافة الاسمية للسلطان سليم العثماني سنة ٩٢٣ . وإتماماً للفائدة نذكر مختصر تاريخ العلويين المصريين؛ ثم سلاطين بني عثمان ثم ملوك إيران من الصفوية والزندقية والقاجارية.

❀ ❀ ❀

الدولة العلوية الفاطمية بمصر وإفريقية

هذه الدولة بلغت شأواً بعيداً واستولت على إفريقية ومصر والشام وخطب لها

(١) لم نعلم على التحقيق أنه ليس بين القائم والمتوكل الثالث إلا المتوكل الثاني ولم يتيسر لنا الآن تحقيق ذلك فليراجع المؤلف.

بالحجاز والعراق؛ وبنت المدن والمدارس والمساجد العظام وأكرمت العلماء ومن آثارها الجامع الأزهر والجامع الأقمر بمصر، وكان لها دار كتب عظيمة تجمع نفائس الكتب وكان فيها عدة نسخ من كتاب العين للخليل بن أحمد إحداها بخطه، ودار السلاح ودار الضيافة وغير ذلك؛ وأكثر المؤرخين استيفاء لذكر أحوالها المقريزي صاحب خطط مصر والمنصفون من العلماء والعالمون بالأنساب من العلويين صححوا نسبهم؛ ويشهد بصحته قول الشريف الرضي وكفى به شاهداً:

ما مقامي على الهوان وعندي ... مقول صادق وأنف حمي
وإباء محلق بي عن الضيـ ... ـم كما زاغ طائر وحشي
أحمل الضيم في بلاد الأعادي ... وبمصر الخليفة العلوي
مـن أبوه أبي ومولاه مولا ... ي إذا ضامني البعيد القصي
لـف عرقي بعرقه سيدا النا ... س جميعاً محمد وعلي
إن ذلي بذلك الجد عز ... وأوامي بذلك الربع ري

وإنما لم يودعه ديوانه خوفاً، ولما بلغت الأبيات القادر أرسل القاضي أبا بكر الباقلاني إلى والد الرضي يعاتبه ويقول على أي مقام ذل أقام، وهو ناظر في النقابة والحج وهما من أشرف الأعمال فحلف والده أنه ما علم بذلك وأنكر الرضي الشعر فقال أبوه أكتب للخليفة بالاعتذار والقدح في نسب المصري فامتنع واعتذر بالخوف من الديلم ودعاة المصريين فقال أبوه تخاف من البعيد عنك ولا تخاف من القريب فلم يقبل فغضب منه أبوه، وقاطعه وحلف أن لا يساكنه في بلد ثم حلف الرضي أنه لم يقل الشعر؛ وكتب في زمن القادر محضر يتضمن القدح في نسبهم كتب فيه المرتضى والرضي وأبوهما والشيخ المفيد وسائر العلماء والقضاة؛ ولا حجة فيما كتبه الرضي في المحضر؛ فإن الخوف يحمل أكثر من هذا كما قال ابن الأثير في تاريخه؛ وامتناع الرضي من أن يكتب للقادر قدحاً في نسبهم وأن يتبرأ من الأبيات حتى آل الحال مع أبيه إلى ما آل دليل قوي على صحة نسبهم وكتابة من كتب في المحضر ليست إلا للخوف كما أن كتابة المحضر كان سببها الخوف منهم على الملك. وإذا كان الخوف عليه يحمل الملوك على قتل آبائهم وإخوانهم أفلا يحمل على كتابه محضر مكذوب. (قال ابن الأثير) وسألت أنا جماعة من أعيان العلويين

فلم يرتابوا في صحة نسبهم وقد بالغ من أنكر نسبهم فزعم أن عبيد الله أول خلفائهم هو ولد يهودي حداد (قال ابن الأثير) ليت شعري ما الذي حمل أبا عبد الله الشيعي وغيره حتى يخرجوا هذا الأمر من أنفسهم ويسلموه إلى ولد يهودي، وهل يسامح نفسه بهذا الأمر من يعتقده ديناً يثاب عليه (أقول) وانضاف إلى ما فعله بنو العباس العصبية المذهبية لأنهم شيعة إسماعيلية حتى أن الجلال السيوطي في تاريخ الخلفاء جعل ذلك سبباً لفساد خلافتهم وهذه أسماء خلفائهم على التفصيل .

❁ ❁ ❁

(١) أبو محمد عبيد الله المهدي

ابن محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

(وقيل) هو عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل الثاني ابن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

بويع له بالخلافة في المغرب سنة ٢٩٦ هـ وكان أرسل مؤسس دولته وصاحب دعوته أبا عبد الله الشيعي الحسين بن أحمد بن محمد إلى بلادهم من أهل صنعاء إلى المغرب فاجتمع بالمغاربة في مكة وسار معهم إلى بلادهم في أيام زيادة آخر ملوك بني الأغلب بإفريقية فكثر أتباعه وسار عبيد الله وابنه محمد من سلمة إلى سجلماسة بزي التجار وبلغ خبرهما صاحبها أليسع بن مدرار فحبسهما وحارب أبو عبد الله زيادة الله فهزمه بعد حروب طويلة ثم سار إلى سجلماسة فقاتله أليسع ثم هرب فدخلها أبو عبد الله وأخرج عبيد الله وابنه من الحبس وبايع لعبيد الله بالخلافة واستولى على إفريقية وزال عنها ملك بني الأغلب وبني مدرار وبني رستم ونزل بقصر من قصور رقاد وخطب له في البلاد وتلقب بالمهدي أمير المؤمنين وبعد سنتين قتل أبا عبد الله الشيعي وأخاه لأنه بعد ما استقامت له البلاد باشر الأمور بنفسه فعظم عليهم المقام عن الأمر والنهي فتآمرا عليه فبلغه ذلك فقتلهما ثم غزا مصر مرتين وفتح الإسكندرية وغيرها فأرسل المقتدر العباسي عسكراً إليها وجرت بينهم عدة حروب انتهت بهزيمة المغاربة وقتل المهدي قائد الجيش لهربه وفي سنة ٣٠٣ بنى

المهدية على لسان في البحر وقال: الآن أمنت على الفاطميات وتوفي في المهدية سنة ٣٢٢ وعمره ثلاث وستون سنة ومدة ملكه أربع وعشرون سنة وكسر وأخفى ولده موته بعد سنة كاملة .

❀ ❀ ❀

(٢) أبو القاسم محمد القائم بأمر الله ابن عبيد الله

بويع بالخلافة بعد ظهور موت أبيه سنة ٣٢٣ فسير جيشاً في البحر ففتح مدينة جنوة وأوقع بأهل سردانية وجهز جيشاً إلى المغرب فانتهى إلى فاس وتكرور وهزم خارجياً هناك وأسر ولده وجهز جيشاً إلى مصر فدخلوا الإسكندرية فحاربهم جيش محمد الإخشيد فرجعوا وفي سنة ٣٣٣ اشتدت شوكة أبي زيد الخارجي وهو زناتة وكان مذهبه تكفير أهل الملة واستباحة الأموال والدماء والخروج على السلطان (وهذا هو مذهب الخوارج) ففتح عدة بلاد وأخرج القائم جيوشاً لحفظ رقادة والقيروان فهزمهم واستولى عليها وعلى تونس وحصر المهدية نحو عشرة أشهر ثم رحل عنها ثم توفي القائم في شوال سنة ٣٣٤ فأخفى ولده موته حتى فرغ من أمر أبي يزيد الخارجي.

❀ ❀ ❀

(٣) أبو طاهر إسماعيل المنصور بالله ابن محمد القائم بأمر الله

ولما مات أبوه جهز العساكر لحرب أبي يزيد الخارجي وقادها بنفسه فاسترجع القيروان منه سنة ٣٣٤ ودام القتال بينهما الى سنة ٣٣٥ فهزم المنصور عساكر أبي يزيد وتتبعه حتى قبض عليه جريحاً وحبسه فمات محبوساً سنة ٣٣٦ فسلخ جلده وحشي تبناً وفيها اتسم بالخلافة وعمل آلات الحرب والمراكب وضبط الملك والبلاد وولى جزيرة صقلية للحسن بن علي الكلبي فاستمر يغزو ويفتح وتوفي المنصور سنة ٣٤١ وعمره تسع وثلاثون سنة ومدة خلافته سبع سنين وستة عشر يوماً وكان خطيباً بليغاً ينشىء الخطبة لوقته وكان شهماً شجاعاً وظهرت له شجاعة عظيمة وتدبير في قتال أبي يزيد الخارجي.

❀ ❀ ❀

(٤) أبو تميم معد المعز لدين الله بن إسماعيل المنصور بالله

ولد بالمهدية في شهر رمضان سنة ٣١٩ وأمه أم ولد وعهد إليه أبوه بولاية العهد وبايعه الناس يوم مات أبوه سلخ شوال سنة ٣٤١ وعمره أربع وعشرون سنة وولى جزيرة صقلية أحمد بن الحسن واليها من قبل أبيه لأن الحسن استخلف ولده عليها وسار إلى إفريقية إلى المعز ثم وفد أحمد على المعز في وجوه الجزيرة فبايعه وخلع عليها المعز وفي سنة ٣٤٤ أنشأ عبد الرحمن الناصر الأموي صاحب الأندلس مركباً كبيراً وسير فيه تجارة فالتقى بمركب فيه رسول من صقلية إلى المعز فأخذهم المركب الأندلسي فجهز المعز أسطولاً إلى المرية فأحرقوا المراكب التي في ميناها وأخذوا ذلك المركب الكبير وصعدوا إلى البر فقتلوا ونبهوا فجهز عبد الرحمن أسطولاً إلى إفريقية فقاتلهم عسكر المعز فعادوا وفي سنة ٣٤٦ صعد المعز بعسكره جبل أوراس وهو ملجأ كل منافق وفيه قبائل لم تدخل في طاعة من قبله فأطاعوه وفي سنة ٣٤٧ سير المعز غلام والده جوهراً وكان قد صار في رتبة الوزارة بجيش كثيف إلى أقاصي المغرب ففتح فاساً وغيرها حتى انتهى إلى البحر المحيط فاصطاد من سمكه وجعله في قلال وأرسلها إلى المعز وفي سنة ٣٥١ كتب المعز إلى عامل صقلية أن يختن جميع أولاد الجزيرة في اليوم الذي يختن فيه المعز ولده ويخلع عليهم وبعث إليه مائة ألف درهم وخمسين حملاً من الصلات فختن خمسة عشر ألف طفل وفيها فتح المعز حصن طبرمين من جزيرة صقلية بعد حصار سبعة أشهر وسميت طبرمين المعزية وفي سنة ٣٥٣ اجتمعت الروم بصقلية فجهز المعز أسطولاً عظيماً فجرى بينهم قتال شديد نصر الله فيه المسلمين وقتل من الروم ما يزيد على عشرة آلاف وكان في الغنائم سيف نقش عليه هذا سيف هندي وزنه ١٧٠ مثقال طالما ضرب به بين يدي رسول الله ﷺ.

وفي سنة ٣٥٨ سير المعز جوهراً الرومي في جيش كثيف إلى مصر فهربت العساكر الإخشيدية قبل وصوله وذلك عقيب موت كافور وأقيمت الدعوة للمعز الجامع العتيق وأذن يحيى على خير العمل فيه وفي جامع ابن طولون وجهروا في الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم وشرع في بناء القاهرة وفي ذلك يقول محمد بن هاني الأندلسي شاعر المعز:

تقول بنو العباس هل فتحت مصر فقل لبني العباس قد قضي الأمر
وقد جاوز الإسكندرية جوهر تسير به البشرى ويقدمه النصر

ثم سير جوهر عسكراً مع جعفر بن فلاح إلى الشام فملك الرملة بعد قتال وطبرية سلماً ثم فتح دمشق وأقام الخطبة العلوية فيها سنة ٣٥٩ وجرت بين جعفر وأهل دمشق فتنة وحرب وقطعوا الخطبة العلوية ثم استظهر عليهم واستقرت دمشق للمعز وفتح السواحل الشامية طرابلس وصيدا وغيرها وبنى قلعة صيدا فنسبت إليه وفي سنة ٣٦٠ دخل القرامطة دمشق وقتلوا جعفر بن فلاح وملكوا الرملة ثم عادوا عنها مغلوبين ثم سار المعز من إفريقية إلى مصر سنة ٣٦١ بأهله وخزائنه وفيها أموال عظيمة حتى سبك الدنانير كالطواحين وحملها على الجمال كل طاحونتين على جمل ولما وصل برقة ومعه شاعره محمد بن هاني الأندلسي قتل بها ابن هاني غيلة لا يدري من قتله وولى على إفريقية يوسف بلكين الصنهاجي الحميري عدا صقلية وطرابلس واجدابية ودخل مصر سنة ٣٦٢ وفيها غزت القرامطة مصر ثم انهزموا وقتل منهم كثير وفارقوا الشام فملكها المعز وفي سنة ٣٦٣ خطب للمعز بمكة والمدينة في المواسم وفي سنة ٣٦٤ كان مملوك اسمه أفتكين من موالي آل بويه هرب من بغداد إلى دمشق وأميرها ريان الخادم من جهة المعز فاتفق معه أهل دمشق وأخرجوا ريان منها .

وتوفي المعز بمصر في ربيع الأول سنة ٣٦٥ وعمره نحو خمس وأربعين سنة وستة أشهر ومدة ملكه ثلاث وعشرون سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام وكان يعمل بالنجوم وكان عالماً فاضلاً جواداً شجاعاً جارياً على منهاج أبيه من حسن السيرة وإنصاف الرعية وأخفى ولده العزيز موته وأظهره في عيد النحر من هذه السنة .

❊ ❊ ❊

(٥) أبو منصور نزار العزيز بالله بن المعز لدين الله

ولد بالمهدية سنة ٣٤٤ وبويع سنة ٣٦٦ وخطب له بمكة وأقر يوسف بلكين على ولاية إفريقية وأضاف إليه طرابلس وغيرها مما كان أبوه استعمل عليه غير يوسف فعظم أمره واستبد بالملك وكان يظهر الطاعة مجاملة وفي سنة ٣٧١ سير العزيز جيشاً

مع بكتكين إلى الشام فوصلوا فلسطين فحاربهم مفرج بني الجراح فغلبوه ثم سار بكتكين إلى دمشق فقاتله قاسم المتولي عليها فغلبه بكتكين واستولى على دمشق ثم طلب بكجور مولى قرعوية غلام سيف الدولة دمشق من العزيز فأمر بكتكين أن يسلمها له ثم أرسل العزيز سنة ٣٧٧ جيشاً مع منير الخادم ليتسلم دمشق من بكجور فخرج منها وقاتله عند داريا فانهزم بكجور واستولى عليها منير وفي سنة ٣٧٣ توفي يوسف بلكين وتولى إفريقية ولده المنصور وأهدى إلى العزيز ما قيمته ألف ألف دينار وفي سنة ٣٨١ توفي جوهر القائد فاتح مصر للمعز معزولاً وتوفي سنة ٣٨٦ في آخر رمضان وعمره اثنتان وأربعون سنة وثمانية أشهر بمدينة بلبيس وكان برز إليها لغزو الروم ومدة ملكه إحدى وعشرون سنة وخمسة أشهر ونصف وكان يحب العفو ويستعمله .

❀ ❀ ❀

(٦) أبو علي المنصور الحاكم بأمر الله بن العزيز بالله

بويع له بعد موت أبيه بعهد منه إليه وعمره إحدى عشرة سنة، وقام بتدبير ملكه خادم أبيه ارجوان فضبط الملك وحفظه حتى كبر الحاكم ثم قتله الحاكم وفي سنة ٣٨٦ توفي المنصور بن يوسف بلكين أمير إفريقية فتولى بعده ابنه باديس وأتته الخلع والعهد من الحاكم، وفي سنة ٤٠٦ توفي باديس وولي ابنه المعز وفي عهده سنة ٤٠٧ قتلت الشيعة بإفريقية في القيروان وغيرها وكان ذلك شهوة العسكر طمعاً في النهب وأغراهم به الحاكم القيروان لأنه بلغه أن المعز يريد عزله فأراد إفساد البلد وفي سنة ٣٩٧ خرج على الحاكم إنسان من ولد هشام بن الملك يسمى أباركوة لحمله ركوة على كتفه فملك برقة وهزم جيشاً للحاكم واستولى على الصعيد فاستحضر الحاكم عساكر الشام فجهزها وغيرها حتى أسر أبا ركوة وقتله، وفي سنة ٤٠١ خطب قرواش ابن المقلد العقيلي للحاكم بأعماله وهي الموصل والأنبار والمدائن والكوفة وغيرها ثم قطعها وخطب للحاكم بحلب، وكانت له صيدا وبيروت وغيرها وفي سنة ٤٠٢ كتب محضر ببغداد يتضمن القدح في نسب العلويين ومر تفصيل ذلك في أول الكلام على ملكهم، وقتل الحاكم غيلة سنة ٤١١ بمصر وعمره ست وثلاثون سنة وتسعة أشهر وولايته خمس وعشرون سنة وأيام .

❀ ❀ ❀

(٧) أبو الحسن علي الظاهر لإعزاز دين الله بن منصور الحاكم بأمر الله

بويع له في اليوم السابع من قتل الحاكم وهو صبي وقامت بتدبير الملك عمته ست الملك وتوفي سنة ٤٢٧ وعمره ثلاث وثلاثون سنة ومدة ملكه خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وأيام، وكان له مصر والشام والخطبة بإفريقية وكان جميل السيرة حسن السياسة منصفاً للرعية.

(٨) أبو تميم معد المستنصر بالله بن الظاهر لإعزاز دين الله

ولد بالقاهرة سنة ٤١٠ وفي سنة ٤٢٩ هادن المستنصر ملك الروم على أن يطلق خمسة آلاف أسير من المسلمين ليمكن من عمارة قمامة التي كان قد خربها الحاكم فأطلق الأسرى وأرسل من عمرها، وفي سنة ٤٣٥ قطع المعز بن باديس خطبة العلويين من إفريقية ولم تعد بعد ذلك وخطب للقائم العباسي ووردت إليه الخلع والتقليد وأحرقت أعلام العلويين فعظم ذلك على المستنصر فأصلح بين زغبة ورباح قبيلتان من العرب كان بينهما حرب، وجهزهما إلى إفريقية فهزموا ابن باديس واستولوا على عدة مدن؛ وفي سنة ٤٤٩ قبض المستنصر على وزيره الحسن بن عبد الله اليازوري وكان حنفياً فوجد له مكاتبات إلى بغداد، وفي سنة ٤٥٠ دخل البساسيري ومعه قريش بن بدران العقيلي بغداد وخطب بجامع المنصور للمستنصر العلوي وأمر فأذن (بحي على خير العمل) وقتل رئيس الرؤساء وأرسل إلى المستنصر بذلك فلم يستحسنه؛ وحمل قريش القائم العباسي إلى حديثة عانة وبقي البساسيري سنة كاملة في بغداد ثم قتل البساسيري وهو مملوك تركي من مماليك بهاء الدولة البويهي اسمه (أرسلان)، وفي سنة ٤٦٢ كان بمصر غلاء شديد حتى أكل الناس بعضهم بعضاً واحتاج إلى بيع الآلات النفيسة وفي سنة ٤٦٣ قطع محمود بن مرداس صاحب حلب خطبة العلويين وخطب القائم العباسي وفي سنة ٤٦٤ جرت فتنة بمصر بين العبيد والأتراك لأن والدة المستنصر كانت قد استولت على الأمر وضعف أمر الدولة فقتل ناصر الدولة ابن حمدان من أكبر قواد مصر وكان يظهر التسنن، وفي سنة ٤٦٨ ملك (أتز) دمشق وقطع الخطبة العلوية فلم يخطب بعدها لهم في دمشق وأقام الخطبة العباسية ومنع من الأذان (بحي على خير العمل)؛ وفي سنة ٤٨٢ تسلم عسكر المستنصر صور وصيدا وعكا، وفي سنة ٤٨٧ ثامن ذي الحجة توفي المستنصر

العلوي وعمره سبع وستون سنة وكانت مدة ملكه ستين سنة وأربعة أشهر ولقي شدائد وأهوالاً أخرج فيها أمواله وذخائره وهو مع هذا صابر غير خاشع.

❀ ❀ ❀

(٩) أبو القاسم أحمد المستعلي بالله بن المستنصر بالله

ولد في شعبان أو المحرم سنة ٤٦٧ وبويع له بعد وفاة أبيه سنة ٤٨٧ وفي سنة ٤٨٩ استولى عسكره على القدس وأخذوه من أبناء (أرتق)، وفي سنة ٤٩٠ خطب الملك رضوان صاحب حلب للمستعلي أربع جمع ثم خشي عاقبة ذلك فأعاد الخطبة العباسية وفي سنة ٤٩٢ ملك الفرنج بيت المقدس وأخذوه من العلويين المصريين وفي سنة ٤٩٥ لسبع عشرة خلت من صفر توفي المستعلي وكانت خلافته سبع سنين وقريب شهرين.

❀ ❀ ❀

(١٠) أبو علي منصور الآمر بأحكام الله بن المستعلي بالله

بويع له بعد وفاة أبيه وكان عمره خمس سنين وقام بتدبير الدولة الأفضل بن بدر الجمالي أمير الجيوش مدبر دولة أبيه، وفي سنة ٥٠٣ ملك الفرنج مدينة طرابلس الشام وكانت الخليفة مصر العلوي فلما حصروها أرسل إليها أسطولاً فرده الهواء ولم يقدر على الوصول إليها، وفي سنة ٥٠٤ ملكوا مدينة صيدا بالأمان وفيها قصد (بردويل) الفرنجي صاحب بيت المقدس مصر فانتهى إلى الفرما وأحرقها ثم عاد إلى الشام فهلك في الطريق، وفي سنة ٥١٤ قتل أمير الجيوش الأفضل بن بدر الجمالي وثب عليه ثلاثة نفر بسوق الصياقلة فضربوه بالسكاكين وأدركهم أصحابه فقتلوا الثلاثة وحمل إلى داره فمات، وبقي الآمر ينقل من داره الأموال والتحف ليلاً ونهاراً أربعين يوماً وقيل إن الآمر هو الذي دس إليه من قتله وولى الوزارة بعده أبا عبد الله البطائحي، وفي سنة ٥١٨ ملك الفرنج مدينة صور بعد حصار طويل وكانت للعلوي المصري، وفي سنة ٥٢٤ قتل الآمر بأحكام الله. قتله الباطنية وكانت ولايته تسعاً وعشرين سنة وخمسة عشر يوماً وعمره أربعاً وثلاثين سنة وهو العاشر من ولد المهدي عبيد الله والعاشر من خلفاء العلويين.

❀ ❀ ❀

(١١) عبد المجيد الحافظ لدين الله ابن الأمير أبي القاسم بن المستنصر

وهو ابن عم الآمر ولما قتل الآمر لم يكن له ولد فولي بعده ابن عمه هذا، ولم يبايع أولاً بالخلافة بل كان على صورة نائب لانتظار حمل أن ظهر للآمر، فاستوزر أحمد بن الأفضل بن بدر الجمالي فاستبد بالأمر وتغلب على الحافظ وحجر عليه ونقل ما كان بالقصر من الأموال إلى داره حتى أنه قطع خطبة العلويين، وخطب لنفسه خاصة وقطع من الأذان (حي على خير العمل) فنفرت منه شيعة العلويين فقتله جماعة من المماليك ونهبت داره ونقل ما فيها إلى القصر، وبويع الحافظ يوم قتله بالخلافة وذلك سنة ٥٢٦ واستوزر يانس الحافظي ثم مات فاستوزر ابنه الحسن لبن الحافظ وخطب له بولاية العهد فأساء السيرة وأكثر من قتل الأمراء وغيرهم ومصادرة الناس ظلماً فأراد العسكر الإيقاع به وبأبيه فسقاه أبوه سماً فمات فاستوزر تاج الدولة بهرام فتحكم واستعمل الأرمن وفي سنة ٥٣١ عزله الحافظ لذلك واستوزر رجلاً اسمه رضوان ولقبه الملك الأفضل وهو أول وزير للمصريين لقب بالملك ثم فسد ما بينه وبين الحافظ؛ فقتله الحافظ ولم يستوزر بعده أحداً وباشر الأمور بنفسه حتى مات سنة ٥٤٤؛ وكانت خلافته عشرين سنة إلا خمسة أشهر وعمره نحو سبع وسبعين، ولم يل الخلافة منهم من أبوه غير الحافظ والعاضد.

❀ ❀ ❀

(١٢) أبو منصور إسماعيل الظافر بأمر الله ابن الحافظ لدين الله

بويع له بعد وفاة أبيه سنة ٥٤٤ فاستوزر ابن مصال فبقي أربعين يوماً وحضر من الإسكندرية العادل بن السلار يريد الاستيلاء على الوزارة وكان ابن مصال قد خرج من القاهرة في طلب بعض المفسدين فأرسل العادل ربيبه عباساً الصنهاجي في عسكر إليه فقتله؛ واستولى العادل على الوزارة ولم يكن للظافر معه حكم وفي سنة ٥٤٨ قتل العادل ربيبه عباس وتولى الوزارة وكانت الوزارة لمن غلب، وفي سنة ٥٤٩ قتل الظافر قتله وزيره عباس الصنهاجي فيقال إنه اتهم الظافر بنصر بن عباس وكان حسن الصورة فأمر عباس ابنه نصراً فدعى الظافر إلى بيته وقتلاه وجميع من معه وسلم خادم صغير، فحضر إلى القصر وأعلمهم بقتله ثم حضر عباس وطلب الظافر من أهل القصر وقال أنتم قتلتموه وقتل أخوين للظافر.

(١٣) أبو القاسم عيسى الفائز بنصر الله بن الظافر

أحضره عباس ثاني يوم قتل أبيه وله من العمر ثلاث سنين فحمله على كتفه وأجلسه على سرير الملك وبايع له، وأخذ عباس من القصر من الأموال والجواهر شيئاً كثيراً واستغاث أهل القصر من النساء والخدم بطلائع بن رزيك وكان والياً على منية بن الخصيب وفيه شهامة فقصد عباساً فهرب عباس إلى الشام بالأموال والتحف فخرجت عليه الفرنج في الطريق فقتلوه، وأخذوا ما معه وأسروا ابنه نصراً واستقر طلائع في الوزارة ولقب الملك الصالح فبذل للفرنج مالاً وأخذ منهم نصراً وقتل في القصر وصلب على باب زويلة، وأوقع طلائع بأعيان الديار المصرية فأبادهم قتلاً وهرباً؛ وفي سنة ٥٥٥ توفي الفائز بنصر الله وكانت خلافته ست سنين ونحو شهرين.

❀ ❀ ❀

(١٤) أبو محمد عبد الله العاضد لدين الله ابن الأمير يوسف ابن الحافظ

بويع له بعد وفاة الفائز وكان مراهقاً؛ ولما مات الفائز دخل ابن رزيك القصر وسأل عمن يصلح فأحضر له إنسان منهم كبير السن فقال له بعض أصحابه لا يكن عباس أحزم منك فأعاد الرجل وأحضر العاضد فبايعه وزوجه بابنته ونقل معها من الجهاز ما لم يسمع بمثله. وفي سنة ٥٥٦ قتل ابن رزيك وزير العاضد جهزت عليه عمة العاضد من قتله وهو داخل إلى القصر ولم يمت في تلك الساعة بل حمل إلى بيته وأرسل يعتب على العاضد فحلف أنه لم يرض بذلك ولا علم به، وأرسل عمته إلى طلائع فقتلها وسأل العاضد أن يولي ابنه رزيك الوزارة فولاه ولقب بالعادل؛ وفي سنة ٥٥٨ كان شاور والياً على الصعيد وكانت ولاية الصعيد أكبر المناصب بعد الوزارة ولما جرح طلائع أوصى ولده رزيك أن لا يتعرض لشاور لعلمه بقوته؛ فلم يعمل رزيك بوصية أبيه وكتب إلى شاور بالعزل فجمع شاور جموعه وسار إلى القاهرة فهرب رزيك ولحقه شاور حتى قتله واستقر في الوزارة وتلقب بأمير الجيوش، وأخذ أموال بني رزيك ثم أن الضرغام جمع جمعاً ونازع شاوراً في الوزارة وقوي عليه فهرب شاور إلى الشام مستنجداً بنور الدين واستقر ضرغام في الوزارة وقتل كثيراً من الأمراء المصريين لتخلو له البلاد فضعفت الدولة لهذا السبب حتى خرجت البلاد من أيديهم، وأما شاور فإنه بذل لنور الدين ثلث أموال مصر بعد

رزق جندها ان أعاده إلى الوزارة فأرسل معه عسكراً ومقدمه أسد الدين شيركوه بن شاذي فوصل إلى مصر وهزم عسكر ضرغام وقتله وأعاد شاوراً إلى الوزارة فلم يف لنور الدين بالشرط فسار أسد الدين واستولى على بلبيس والشرقية فاستنجد شاور بالفرنج فحضر الفرنج وعسكر مصر شيركوه ببلبيس ثلاثة أشهر وبلغ الفرنج أخذ نور الدين حارم فصالحوا شيركوه إلى مصر في ألف فارس فاستولى على الجيزة فاستنجد شاور بالفرنج وسار في أثر شيركوه فانهزم الفرنج والمصريون واستولى شيركوه على بلاد الجيزة والإسكندرية؛ وجعل فيها ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب فإجتمع عسكر مصر والإفرنج وحاصروا الإسكندرية ثلاثة أشهر ثم اصطلحوا على مال يحملونه إلى شيركوه وأن يكون للإفرنج بالقاهرة شحنة وكل سنة مائة ألف دينار؛ وفي سنة ٥٦٤ تمكن الإفرنج من البلاد المصرية فملكوا بلبيس وقتلوا وأسروا وحاصروا القاهرة فأحرق شاور مدينة مصر خوفاً أن يملكوها وإنتقل أهلها إلى القاهرة فبقيت النار تحرقها أربعة وخمسين يوماً، فاستغاث العاضد بنور الدين وأرسل في الكتب شعور النساء؛ وصانع شاور الإفرنج على ألف ألف دينار دفع منها مائة ألف وجهز نور الدين عسكراً مع شيركوه ومعه ابن أخيه صلاح الدين؛ ولما قارب مصر رحل الإفرنج إلى بلادهم ودخلها شيركوه وخلع عليه العاضد وأجرى عليه وعلى عسكره الإقامات الوافرة ثم قتل شيركوه شاورا وأرسل رأسه إلى العاضد وخلع عليه العاضد خلع الوزارة ولقبه الملك المنصور أمير الجيوش، ثم مات شيركوه سنة ٥٦٤ وكانت ولايته شهرين وخمسة أيام فولى العاضد صلاح الدين الوزارة ولقبه بالملك الناصر. (ويقول) أبو الفدا في تاريخه أنه تاب عن شرب الخمر وضعف أمر العاضد وعزل صلاح الدين قضاة المصريين وكانوا شيعة إسماعيلية ورتب قضاة شافعية وفي سنة ٥٦٧ قطع خطبة العاضد وخطب للعباسين وكان العاضد مريضاً فتوفي ولم يعلم بقطع خطبته، واستولى على قصر الخلافة وجميع ما فيه وكان يخرج عن الإحصاء وكانت مدة ملكهم مائتين واثنتين وسبعين سنة، وحبس صلاح الدين العلويين ومنع الرجال من النساء حتى لا يتناسلوا وهو أول من جعل يوم عاشوراء عيد بمصر[1].

---

(١) من اراحه الزيادة في تاريخ صلاح الدين، فاليراجع كتاب «صلاح الدين الأيوبي» للمؤرخ الباحث العلامة السيد حسن محسن الأمين.

الدولة العثمانية

نذكر مختصر تاريخ ملوكها نقلاً عن الكتب المعربة عن التركية (فنقول):

أصل ملوكها من التركمان الرحل التي كانت تقطن أواسط آسيا من جهات بحر قزوين، ثم هاجرت إلى بلاد الروم خوفاً من جنكيز خان ملك المغول ثم رحلت إلى خلاط وارزنجان فلبثت سبع سنوات، ولما سكنت فتنة جنكيز عادت إلى بلادها ولما عبرت الفرات عند قلعة جعبر غرق رئيسها سليمان شاه فدفن في الموضع المعروف (بترك مزاري) سنة ٦٢٦ وكان له أربعة أولاد عاد اثنان منهما إلى وطنهم؛ ورجع اثنان إلى بلاد الروم وهما (أرطغرل) و(دوندار).

❀ ❀ ❀

(١) ارطغرل بك ابن سليمان شاه

لما رجع أرطغرل إلى بلاد الروم أرسل إلى (علاء الدين كيقباذ) السلجوقي صاحب قونية أن يؤويهم في بلاده وصادف محاربة السلجوقيين مع التاتار فانتظر حتى رأى الغلبة للسلجوقيين فأعانهم وقيل لما رأى ضعفهم أعانهم فانتصروا على التاتار فأعطاه الملك السلجوقي أراضي في (اسكيشهر) وغيرها وجعل يحارب زعماء الروم الذين حوله ويظفر بهم، فاشتهر أمره وعظم في عين الملك السلجوقي؛ وتوفي سنة ٦٨٠ وعمره تسعون سنة.

❀ ❀ ❀

(٢) عثمان بك ابن ارطغرل

وإليه تنسب الدولة ولد سنة ٦٥٦ وتولى رياسة القبيلة بعد أبيه وعمره ٢٤ سنة وحارب (نيقولا) عامل (اينه كول) من قبل الروم وهزمه واستولى على قصبة (قره جه حصار) فأعطاه السلجوقي لقب أمير بك، وأرسل إليه علماً وطبلاً وتوغاً (والتوغ) عبارة عن قناة في رأسها ظفائر متدلية تكون أشكال متعددة، وكان عامل (بيله جك) من قبل الروم يتودد إلى عثمان بك ظاهراً ويتحين الفرص للفتك به، فدعاه إلى عرس

وعزم على اغتياله فأخبره بذلك (كوسه ميخال) حاكم (خر من قيا) من قبل الروم فأرسل إلى العرس أربعين رجلاً من شجعانه بزي النساء مسلحين تحت ثيابهم فاستولى على البلد وأسر العروس وزوجها بابنه أورخان، ولما قضى التاتار على الدولة السلجوقية سنة ٦٩٩ أعلن العمال التابعون لها استقلالهم ومنهم عثمان بك وأمر أن يخطب باسمه في (قره حصار) وجعل (يكيشهر) قاعدة إمارته وعين القضاة وخافه القضاة وخافه ملك القسطنطينية فأرسل جيشاً لمحاربته فهزم الجيش فاستمد الروم التاتار فأمدوهم فهزمهم واستولى على أزنيق وغيرها وأنشأ حصوناً وقلاعاً وحاصر مدينة (برصة) وتوفي وهو يحاصرها سنة ٧٢٦ وعمره سبعون سنة ودفن في برصة وكانت تركته بعض خيول وجبة وسيفاً وثلاثة قطعان غنم؛ وكان يلبس عمامة كبيرة من الجوخ الأحمر وجبة عريضة الأكمام.

❁ ❁ ❁

(٢) أورخان بن عثمن

تولى الإمارة بعد وفاة أبيه وبقي يحاصر برصة بذلك الجيش حتى بمعاونة (كوسه ميخال) حاكم خر من قيا الذي أسلم ودخل في خدمة العثمانيين، وافتدى أهلها أنفسهم بثلاثين ألف دينار وجعلها قاعدة ملكه وكثرت فتوحاته على ساحل البحر الأسود وفتح حصن (أيدوس) ومدينتي (أزميد وأزنيق) واتخذ الثانية قاعدة السلطنة وكان له أخ أكبر منه يسمى علاء الدين باشا ولقب باشا، كان يطلق على أولاد السلاطين خاصة ثم أطلق على الوزراء والأمراء، وأطلق على أولاد السلطان لقب جلبي ثم صار يطلق عليهم لقب أفندي؛ فصار علاء الدين وزيراً لأخيه ووضع بعض النظامات وجعل للعلماء والجنود شارات مخصوصة، وألفوا جنوداً من المسلمين والمسيحيين سميت (بالإنكشارية) وأطلق على المشاة (عزب) وعلى الفرسان (سباهي)، وألغيت سكة السلاجقة وضربت سكة جديدة باسم (أورخان الغازي) من الذهب والفضة والنحاس؛ وأنشأوا الجوامع والمدارس والجسور وغيرها في أنحاء المملكة؛ وزوج ملك القسطنطينية من الروم ابنته بأورخان. وفي سنة ٧٥٨ عبر سليمان باشا أكبر أولاد أورخان البحر بنحو خمسين من رجاله على قوارب من الخشب وخرج إلى جهة كليبولي في الروم ايلي وفتح بولاير وكليبولي

وتكفور طاغي، وفتح عدة بلاد في الأناضول واستولى على سواحل الأناضول ومضيق الدردنيل، وفي سنة ٧٦٠ كان سليمان باشا يتصيد فوقع عن جواده فمات؛ وبعد شهرين من وفاته مات أبوه حزناً عليه وعمره ٨٣ سنة ومدة سلطنته ٣٥ سنة.

❁ ❁ ❁

(٤) السلطان مراد الأول ابن أورخان

وهو أصغر أولاده ملك سنة ٧٦١ وعمره ٣٥ سنة، فنقل مركز السلطنة من أزنيق إلى برصة وكان في الأناضول عدة إمارات مستقلة منها (قره مان) فاعتدى أميرها على الدولة العثمانية باتفاق مع طائفة من الدراويش بنواحي أنقرة فأغار عليهم مراد فهزمهم ثم فتح (أدرنة) ودخلت جيوشه (صوفية) من بلاد البلغار، ثم عين قاضي العسكر المسمى (قره خليل) صدراً أعظم باسم (خير الدين) وهو أول صدر عين في الدولة العثمانية وأحدث الطغراء العثمانية ثم اجتمع ملوك المجر والصرب والبلغار وغيرها على حرب الدولة العثمانية بتحريض البابا فزحفوا حتى وصلوا نهر أدرنة فباغتهم حاجي (إيل بك) أحد قواده ليلاً وهزمهم، وفي سنة ٧٦٧ جعلت أدرنة قاعدة الروم إيلي وبقيت برصة قاعدة الأناضول ثم فتح صوفية وسلانيك ونيكبولي وبلاد البلغار، وتزوج بايزيد أكبر أولاد مراد ببنت أمير (قره مان) فأعطيت مدينتا كوتاهية وأسباطرة للعثمانيين نقوطا، وافتتحت مدينتا مناستر وبرلبة وكان أمير قره مان قلقاً من اشتداد شوكة العثمانيين فهجم على بلادهم في غياب السلطان إلى الروم إيلي فعاد السلطان إلى الأناضول وهزم جموعه وحصره في قونية فبعث بزوجته شقيقة مراد فشفعت فيه فعفا عنه. ثم إن ملك الصرب جمع مائة ألف مقاتل والتحق به كثير من الملوك المجاورين له فالتقى بهم مراد في صحارى قوصوه فهزمهم وغنم منهم وبينما هو يتفقد الجرحى طعنه صربي جريح بخنجر فقتله سنة ٧٩١ وكانت مدة ملكه ٣١سنة.

❁ ❁ ❁

(٥) السلطان بايزيد بيلديرم بن مراد

ومعنى يلديرم الصاعقة، وهو أكبر أولاد مراد ولي الملك في ميدان قوصوة بعد

قتل أبيه؛ فقتل أخاه يعقوب جلبي؛ وزوجه ملك الصرب أخته استرضاء له ودخلت حكومة الصرب في حمايته؛ وبعد فتح قوصوة حاصر القسطنطينية لأن ملكها كان سبب الفساد فخلع ملكها ونصب غيره، وأخذ منه مدينة الأشهر واستولى على إمارات الأناضول كإمارة قره مان وأسر أميرها وإمارة صلروخان وآيدين ومنتشا فالتجأ أمراؤها إلى أمير اسفنديار فاستولى على إمارته فالتجأ إلى تيمورلنك وفتح سيواس ونواحيها. ثم إن ملك المجر أخذ يحض ملوك أوروبا على محاربة العثمانيين فجهز جيشاً مؤلفاً من شجعان المجر والفرنسيس والطليان وحصر قلعة نيكبولي فجاء بايزيد بجيشه بسرعة لم تكن تتصور فهزمهم وأسر منهم، وفي الأسرى بعض ملوكهم فافتدى نفسه منه ثم حاصر القسطنطينية فصالحة صاحبها على عشرة آلاف دينار كل سنة وأن ينشيء فيها حياً وجامعاً للمسلمين؛ وسار إلى شبه جزيرة (مورة) ففتح مديتني يكيشهر وترحاله.



(٦) تيمورلنك

وفي أيامه ظهر تيمورلنك ملك التاتار من سلالة جنكيز؛ وكان يتشيع ومعنى لنك بالفارسية الأعراج فملك الهند وبلاد فارس والعراق ووصل إلى الحدود العثمانية وملك قلعة سيواس وقتل واليها (أرطغرل) أكبر أولاد السلطان بايزيد، ثم فتح حلب والشام وكان موفقاً في حروبه لا يقف أمامه جيش؛ وفي السنة الثانية عاد إلى البلاد العثمانية وفر بعض الأمراء من بايزيد إلى تيمور وحرضوه على قتاله، وفر أحمد جلايري حاكم بغداد وقره يوسف حاكم تبريز إلى بايزيد وحرضاه على قتال تيمور، فكتب بايزيد إلى تيمور يتهدده ويشتمه فقابله تيمور باللين وطلب منه أحمد جلايري وقره يوسف فلم يسلمهما فزحف إليه تيمور بنحو سبعمائة ألف والتقوا في صحراء أنقرة ومع بايزيد ثلاثمائة ألف فانهزمت عساكر بايزيد ووقع في أسر تيمور، وتوفي في أسره سنة ٨٠٥ وعمره أربع وأربعون سنة ومدة ملكه ١٥ سنة وبقي تيمور نحواً من سنة في كوتاهية وأعاد لأميري أسفنديار (وقره مان) إمارتيهما اللتين اغتصبهما بايزيد.

❀ ❀ ❀

(٧) السلطان محمد بن بايزيد

لما توفي بايزيد وقع الخلاف بين أولاده فتوجه أكبرهم وهو سليمان جلبي وجلس على تخت الملك في أدرنة وعين تيمور ولده موسى جلبي ملكاً مكان أبيه في برصة فأغار عليه أخوه سليمان وهزمه ثم التجأ موسى إلى أمير أفلاق فأمده بالجنود فحاصر ادرنة وظفر بسليمان وتملك مكانه في أدرنة ثم تفرقت عنه الأمراء لخشونة طبعه والتفوا حول أخيه محمد الذي كان في أماسية فزحف عليه محمد واستولى على الملك سنة ٨١٦ ثم غزا أمير قره مان وأسره وحارب أمير الأفلاق لامتناعه عن دفع الخراج فقهره وأخذ منه الخراج وظهر في عصره رجل يسمى (الشيخ بدر الدين السماوي) فكثر مريدوه حتى بلغوا نحو عشرة الآف ورئيسهم يسمى مصطفى فحاول العصيان ولقب (دده سلطان) فأرسل السلطان ولده مراداً ففرق جموعه وقبض على بدر الدين وصلبه بفتوى رئيس العلماء حيدر وتوفي السلطان محمد سنة ٨٢٤ فكتم الوزراء وفاته حتى حضر ابنه مراد من أماسية وكانت مدة سلطنته ثماني سنوات.

❁❁❁

(٨) السلطان مراد الثاني ابن السلطان محمد

ملك بعد وفاة أبيه سنة ٨٢٤ وعمره ثماني عشرة سنة فأنفذ سفراء إلى الملوك المجاورة له وهادن ملك المجر خمس سنوات وكان للسلطان محمد بن بايزيد أخ يسمى مصطفى وهو عم السلطان مراد فقد في وقعة تيمور فلم يعرف له خبر فظهر رجل في أواخر أيام السلطان محمد ادعى أنه مصطفى هذا فأوقفه ملك القسطنطينية في جزيرة ليمني بمقابلة مال يقبضه من السلطان محمد فلما جلس السلطان مراد بعث إليه القيصر يطلب المال فلم يدفعه فأطلق بمصطفى المذكور فقام يطالب بالملك في نواحي سلانيك واجتمع معه جماعة ودعي بمصطفى الكذاب فسير إليه السلطان جيشاً فهزم الجيش وقتل القائد فسار إليه السلطان بنفسه فانضم أكثر رجاله إلى الجيش السلطان وقبض عليه وقتل ثم حاصر القسطنطينية بعشرين ألف جندي لتركه قيصرها مصطفى الكذاب فبلغه خروج أخيه مصطفى عليه فترك الحصار وذهب فحاصر أخاه في أزنيق حتى قبض عليه وقتله ثم افتتح جميع بلاد الأرناؤوط وغيرها وحرض البابا مسيحيي المجر وروسيا والصرب وبولونيا وأفلاق فألفوا جيشاً بقيادة (جان هونياد)

فسار إليهم مراد بجيوشه فهزموه في جوار نهر (مورا) وتقدموا حتى اجتازوا البلقان وأغار أمير قرمان على البلاد حتى وصل برصة فاضطر مراد إلي الصلح مع هونياد واستولى عليه اليأس فاعتزل الملك وولي مكانه ابنه محمد وعمرهُ (١٤) سنة فاغتنم (هونياد) الفرصة وهجم على بلاد البلغار فنهبها ووصل إلى (وارنة) فقرر رجال الدولة إعادة مراد إلى السلطنة فأعيد وجهز جيشاً وسار به إلى مقاتلة العدو فالتقوا أمام وارنة فكان النصر للعثمانيين وانهزم جيش الصليبيين وأسر كثير من فرسانهم وقتل ملك المجر ثم افتتح مورة ولما كان مراد يحارب الأرناؤوط أعاد (هونياد) الكرة على العثمانيين حتى وصل قوصوة فلقيه مراد وحاربه ثلاثة أيام وهزمه وتوفي سنة ٨٥٥ وعمره ٤٩ سنة ومدة سلطنته ٣١ سنة.

❀ ❀ ❀

(٩) السلطان محمد الفاتح ابن مراد الثاني

جلس على تخت الملك في أدرنة للمرة الثانية سنة ٨٥٥ وعمره ٢١ سنة وبعثت إليه الملوك بالسفراء يهنئونه بالملك فهادنهم ثلاث سنوات وفتح قونية وعزم على فتح القسطنطينية فأنشأ حصار الروم إيلي الباقية آثاره لليوم وبعث بجيش إلى مورة ليقطع المدد عن القسطنطينية من تلك الجهة وفي سنة ٨٧٥ حاصرها بمائة وخمسين ألف مقاتل ومعه مدافع يجرها ستون زوجاً من الثيران وقنابل وزن الواحدة ١٢ قنطاراً وحاصرها بحراً بأسطوله فوضعوا طوقاً حديدياً بين استانبول وغلطة يمنع دخول الأسطول إلى الخليج فنقل مراكبه من البر على أخشاب وأنزلها في الخليج وبعد حصار ٥٢ يوماً فتحها فلقب بالفاتح وعامل أهلها بالرفق ونصب لهم بطريركاً ينظر في مصالحهم وله بعض امتيازات لم تزل إلى اليوم وغزا الصرب فصالحوه على ثلاثين ألف دينار سنوية وبعد مدة فتحها وفي سنة ٨٦٠ حاصر بلغراد ففاجأهُ هونياد بجيش الصليبيين وصده عنها وقتل هونياد وجرح السلطان واستشهد من العثمانيين أربعة وعشرون ألفاً وفي سنة ٨٦٢ افتتح مورة وأسر ملك البوسنة وطرد المجريين منها واستولى على إمارتي أسفنديار وطربزون وعزز الأسطول وافتتح جزاير مدللي والقريم وغيرها وفي سنة ٨٧٧ غزا ملك تبريز حسن الطويل البلاد العثمانية ودخل الحدود فأرسل السطان مائة ألف مقاتل فالتقوا في جوار (باببورد) فانهزم الطويل

وفي سنة ٨٨٣ سار بنفسه إلى بلاد الأرناؤوط ففتحها وفتح قلعة شقودرة وفي سنة ٨٨٥ سار بجيشه لفتح رودس فلما بلغ ككبوزة توفي وعمره ٥٤ سنة وكان يتكلم بسبع لغات.

❁ ❁ ❁

(١٠) السلطان بايزيد الثاني ابن محمد الفاتح

ملك سنة ٨٨٦ وعمره ٣٥ سنة وكان أخوه (جم) واليافي قرمان فادعى السلطنة وتقدم إلى برصة فأرسل إليه جيشاً مع أياس باشا فأسره جم وهزم جيشه ودخل برصة وأعلن سلطنته بها وخطب له على المنابر وضربت السكة باسمه فأرسل له بايزيد جيشاً آخر فهزم جيش جم وهرب جم إلى مصر ثم إلى الحجاز ثم عاد وجمع جيشاً وحاصر قونية وفتحها فركب إليه بايزيد فهرب ثم التجأ إلى قرصان رودس ليستعين بأسطولهم فأسروه وذهبوا به إلى نيس من بلاد فرنسا فبقي فيها سبع سنوات ثم سلموه إلى البابا فحسبه عنده مقابل ٤٠ ألف دينار يقبضها كل سنة من العثمانيين ولما مات البابا طلب خلفه من بايزيد ثلاثمائة ألف دينار ليقتل جماً وفي أثناء ذلك هجم شارل ملك فرنسا على روما فملكها وفر البابا وأخذ جماً معه فطلب شارل في شروط الصلح تسليم جم فسمه البابا وسلمه إلى شارل فمات بعد بضعة أيام فحنطه شارل وبعث جثته إلى الأستانة وفي سنة ٨٩٧ سافر السلطان إلى بلاد المجر لنقض ملكها العهد وفي سنة ٩٠٢ أغار بجيشه على بلاد المجر لنقض ملكها العهد وفي سنة ٩٠٢ أغار على بولونيا (لهستان) وفي سنة ٩٠٤ سار بجيشه إلى مورة براً وبعث بالأسطول بحراً ففتح مدائن متون وقرون وناوارين.

وبعد موت حسن الطويل ملك تبريز وقيام الشاه إسماعيل من أحفاد الشيخ صفي الدين الأردبيلي أخذ الشاه إسماعيل ينشر دعاته ومذهب التشيع في بلاد الأناضول ثم جاء رجل من اتباعه يسمى (شاه قلي) أي غلام الشاه بعسكر إلى الأناضول فحاربه (قره كزل) باشا أمير أمراء الأناضول فغلبه شاه قلي ثم تقدم إلى كوتاهية وبعدها حاصر إنطالية فأرسل بايزيد إليه الصدر الأعظم علي باشا مع ولده أحمد بن بايزيد فحاصراه في (قول قيا) ففر ليلاً وتبعه علي باشا وجرى بينهما حرب قتل فيها الاثنان وفي سنة ٩١٤ حدث زلزال عظيم انهدم به نحو نصف الأستانة ثم حصل خلاف بين

أولاد بايزيد على الملك لضعفه وكان ينوي تمليك ابنه أحمد لكن العساكر لم يرضوا به وكان ميلهم إلى ولده سليم وتوفي بايزيد سنة ٩١٩ ومدة سلطنته ٣٣ سنة وكان يلقب بالولي لشدة ورعه وزهده وكان للدولة عند وفاته أربعة وثلاثون لواء في أوروبا عدا ولايات أفلاق وبغدان والقريم وعدد الجيوش يربو على مائة وخمسين ألفاً واستمدت منه دولة بني الأحمر العربية في الأندلس علم يمكنه إمدادها لبعد المسافة فقضى عليها الإسبانيون وأحرقوا كتبها وأذاقوا أهلها أنواع الجور والأذى وألزموهم إما بالتنصر أو القتل.

❀ ❀ ❀

(١١) السلطان سليم ياوز بن بايزيد

ومعنى ياوز الشجاع ملك سنة ٩١٩ فذهب إلى برصة وأحضر أولاد إخوته من بلاد قرمان وقتلهم وذهب أخوه أحمد إلى مغنيسيا مخالفاً له وطالباً للملك وكان بعض الأمراء يميلون إليه للين جانبه وقسوة السلطان سليم فأرسل إليه السلطان جيشاً فهرب واعتصم بالجبال ثم عاد يطالب بالملك فاستجلبه السلطان بمكاتيب مرورة عن لسان بعض الوزراء إلى أزنيق وقتله فيها ثم قبض على أخيه (قورقود) وقتله وقتل أربعة وأربعين ألفاً في الأناضول ممن تحقق انتسابهم إلى الشاه إسماعيل الصفوي (الظاهر أنهم قد تشيعوا) ثم جهز جيشاً عظيماً وذهب لمحاربة الشاه إسماعيل فالتقى به في (جالديران) وهزمه بعد حروب هائلة قتل فيها من العثمانيين أربعون ألفاً وتقدم حتى دخل تبريز عاصمة إيران وبقي فيها ثلاثة أشهر ثم عاد لكثرة عساكره وحصول القحط في إيران فعسكر في أماسية وبعث بجيش إلى صاحب مرعش لوضعه العقبات في سبيل الجيوش العثمانية أثناء سفرهم إلى إيران واستولى على إمارته وقتله وبعث برأسه إلى ملك مصر الجركسي لأنه كان يلوذ به وكان بين ملك مصر والشاه إسماعيل مودة ومراسلة وكأنه هو الذي أوعز إلى صاحب مرعش بذلك فبعث إليه ملك مصر أن يخطب باسمه في تلك البلاد فأجابه أنه إن كان رجلاً فليحافظ على الخطبة باسمه في مصر وبعث عالماً اسمه الملا إدريس إلى بلاد الأكراد فلبث سنتين وبفضل نصحه وإرشاده دخلت في ملك العثمانيين.

وفي سنة ٩٢٢ جهز جيشاً بقيادة سنان باشا إلى ديار بكر على أمل أن يلحق به

لمحاربة الشاه إسماعيل فلما وصل مضيق ملاطية منعه مأمور مصر من العبور فأخبر السلطان بالأمر فعقد في الحال مجلساً وقرر محاربة ملك مصر وسار بجيشه إلى بلاد العرب فالتقى بجيش صاحب مصر في مرج دابق قرب حلب ووقعت الحرب فانهزم جيش مصر وقتل ملكهم (قانصو الغوري) ودخل حلب وضبط خزينة الغوري ودخل إلى دمشق ففتحها ومن آثاره وآثار ولده السلطان سليمان فيها التكية التي في المرج الأخضر وهو الذي عمَّر قبر الشيخ محيي الدين بن العربي في صالحية دمشق وبنى عليه البناء الموجود اليوم بعدما كان دارساً وأرسل جيشاً ففتح فلسطين ثم سار إلى مصر عن طريق الصحراء فوصلها وحارب جيوش المماليك فقهرهم وصلب ملكهم (طومباي) الذي عين مكان قانصو على باب زويلة وأرسل له شريف مكة وهو بمصر مفاتيح الحرمين ولقب بخادم الحرمين الشريفين من ذلك اليوم وكذا باقي ملوكهم وصار أمير مكة المكرمة يعين من قبلهم بعدما كان يعين من قبل ملوك مصر وبذلك أصبحت سوريا والحجاز ومصر من ولايات الدولة العثمانية وبلغ ما فتحه في ثمان سنين بمقدار ما فتحه أجداده في مائتين وخمسين سنة. ولما عاد إلى الأستانة أحضر معه المتوكل على الله الثالث آخر الخلفاء العباسيين الذين انتقلوا إلى مصر بعد انقراض ملكهم من بغداد فتنازل له عن الخلافة في جامع أياصوفية وسلمه الآثار النبوية التي يدعي أنها عنده كالبردة وغيرها، فانتقلت الخلافة إلى ملوك العثمانيين ولقبوا بإمارة المؤمنين. وظهر في الأناضول رجل اسمه جلال من أتباع الشاه إسماعيل ادعى المهدوية واجتمع معه نحو عشرة آلاف فأرسل إليه السلطان سليم جيشاً فقتله وفرق جموعه وصار يطلق على العصاة في الأناضول اسم (جلالي)، وتوفي سنة ٩٢٦ وهو يتأهب لفتح جزيرة رودس وعمره أربع وخمسون سنة ومدة ملكه سبع سنوات وكان شجاعاً غيوراً يحسن التركية والفارسية وكان طويل الشاربين لم يرسل لحيته بخلاف باقي ملوكهم؛ ويقال إنه كان يريد جعل العربية لغة الدولة الرسمية فلم يوفق لذلك.



(١٢) السلطان سليمان القانوني ابن سليم الأول

لقب بالقانوني لوضعه قوانين للحكومة، عينت فيها مراتب الدولة ومناصبها، ملك سنة ٩٢٦ فأعلن (جانبرد الغزالي) والي دمشق العصيان وتقدم بجيوش نحو

الأستانة فأرسل إليه جيشاً فهزمه الجيش ثم قتل وعين مكانه أياس باشا؛ ثم أرسل جيشاً فحاصر بلغراد وفتحها وحضر هو حصارها، ثم أرسل أسطولاً ففتح رودس، وفي سنة ٩٣٢ أسر (شارلكان) ملك إسبانيا الذي ورث تخت الألمان والنمسا وإيتاليا (فرانسوا) الأول ملك فرنسا في حرب بينهما فاستجار فرنسوا بالسلطان سليمان فجهز جيشاً لحرب شارلكان فالتقوا في (مهاج) وهزمه جيش السلطان وفتح الجيش بودين (بودابست) عاصمة المجر، ودخلها السلطان سليمان بموكب ثم ترك شارلكان الملك لأخيه فرديناند فهجم على بودين وهزم (جابولاي) ملكها المعين من قبل السلطان فسار إليها السلطان، بمائة وخمسين ألف مقاتل واستردها وأعاد ملكها ثم حاصر (ويانة) وعاد عنها لحلول الشتاء، وفي سنة ٩٤٠ أعلن الحرب على الشاه طهماسب الصفوي وملك قلاع وان وأرعيش وفتح تبريز ثم عاد إلى العراق ففتح بغداد والبصرة وسائر العراق، وعمر قبر الإمام أبي حنيفة وقبر الشيخ القادر الكيلاني في بغداد ثم عاد إلى الأستانة وقدم عليه بارباروس خير الدين حاكم الجزائر بهدايا وتنازل له عن الجزائر فعين رئيساً للأسطول باسم قبودان دريا (أي رئيس البحر) وكان شارلكان أرسل أسطولاً بقيادة (أندرة دوريا) فأخذ تونس وخرب بعض سواحل مورة، فبعث السلطان الأسطول بقيادة باباروس خير الدين باشا إلى سواحل إيتاليا فأغار عليها وغنم وهزم أندره دوريا وانتزع منه رئاسة البحر، وسار هو بالجيش براً إلى أولونيا في بلاد الارناؤوط ثم حوصرت جزيرة (قورفو) وهي للفندقيين فتوسط سفير فرنسا في الصلح فاكتفى بأخذ ضمانة حربية وترك الحصار ثم توجه إلى بغداد لخروج أميرها عن دائرة الصداقة فضيق إمارته ونصب أخاه أميراً، ثم أرسل قسماً من الأسطول إلى البحر الأحمر والبحر الهندي بقيادة خادم سليمان باشا وأقلع خير الدين باشا ببقية الأسطول إلى البحر المتوسط فأغار على سواحل الفندقيين وملك نحواً من خمس وعشرين جزيرة فاستمدت الحكومة الفندقية من البابا ومن حكومة إسبانيا فأمداها بأسطول مؤلف من ١٦٧ سفينة فلقي أسطول العثمانيين أمام (بروزة) فانهزم أسطول المتفقين وأغرق قسم منه وفتح أسطول خادم سليمان في طريقه عدن وبعض سواحل اليمن وسار إلى الهند وفتح بعض قلاعها وأصبح الأسطول العثماني بعد ذلك حاكم البحار، ثم توفي (جابولاي) ملك المجر المنصوب من قبل السلطان سليمان فقام (فرديناند) ملك النمسا لأخذ بلاد المجر فجاء السلطان بجيوشه وضبط

بلاد المجر تماماً وألحقها بالممالك العثمانية، وفي سنة ٩٥٠ استدعى ملك فرنسا معاونة الحكومة العثمانية فأرسل قسم من الأسطول بقيادة باباروس فضبط مدينة (نيس) وسلمها للفرنسيس، وفي سنة ٩٥٣ طلبت النمسا الصلح مع السلطان فعقدو هدنة إلى خمس سنوات على شرط تأدية ملك النمسا ثلاثين ألف دينار كل سنة، وفي سنة ٩٦٠ جهز السلطان جيشاً لمحاربة الشاه طهماسب الذي هجم على حدود بلاده وفي أثناء الطريق قتل ابنه مصطفى بسعاية الصدر الأعظم رستم باشا بدعوى أنه يطلب الملك فلما وصل (قره باغ) رجع طهماسب بعساكره فخربها السلطان وغيرها ثم جرى الصلح بينهما على أن يترك طهماسب له قلعة القارص. وظهر رجل في سلانيك على أنه مصطفى الذي قتله أبوه في أركلي وإنه أفلت من يد الجلاد وجمع جمعاً فأرسل إليه جيشاً فقتله وفرق جمعه وأرسل ملك فرنسا يطلب المعونة على شارلكان فأرسل الأسطول العثماني بقيادة (طوغرود)، وكان بارباروس خير الدين باشا قد توفي سنة ٩٥٣ وتولى هذا مكانه فهجم مع أسطول الفرنسيين على سواحل إيطاليا وإسبانيا وضبط كثيراً من بلادها وأطلق سبعة آلاف أسير كانوا مسجونين في قلعة (بشتينة)، ثم ضبط الأسطول العثماني طرابلس الغرب ومدينة المدحية في تونس، وفي سنة ٩٧٢ أرسل الأسطول لفتح جزيرة مالطة فاستشهد قائده (طوغرود) وعاد الأسطول عنها . وكانت النمسا تعمل دائماً لتخليص المجر من العثمانيين؛ فسار السلطان إلى الحرب المجر بجيشه سنة ٩٧٣ وهي المرة الخامسة فحاصر قلعة (سكتورا) وفي يوم فتحها توفي السلطان بالنقرس فكتم الصدر الأعظم وفاته ٤٨ يوماً إلى أن أتى ولي العهد السلطان سليم الثاني إلى بلغراد وكان والياً على كوتاهية وكان عمره ٧٤ سنة ومدة سلطنته ٤٨ سنة، افتتح في زمانه كثير من الأقاليم والبلدان حتى أصبح أعظم ملوك الأرض ودولته أقوى الدول؛ فكان عصره منتهى الكمال في تاريخ هذه الدولة.

❁ ❁ ❁

(١٣) السلطان سليم الثاني ابن سليمان القانوني

كانت العادة أن يعطى الجنود عطية الجلوس وهذه العادة قديمة في أول الإسلام ولما لم يعطهم السلطان أظهروا العصيان ولم يسكنوا إلا بشق الأنفس. وعقيب

جلوسه عقد صلحاً مع دولة النمسا. وقام في اليمن الإمام مظهر إمام الزيدية فضبط أكثر القلاع التي في يد العثمانيين وبواسطة استمالة أمراء اليمن إلى الدولة والتدابير التي أتخذت رضخ الإمام لأمراء الحكومة ثم أرسل الأسطول إلى البحر المتوسط فضبط جزيرة قبرص من الفندقيين وتونس من الإسبانيين وأغار على جزائر كريد وسريغو وزانطة وكفالونية وغيرها، فجهز الفندقيون سنة ٩٧٩ أسطولا كبيراً بالاتفاق من البابا وحكومة إسبانيا وحاربوا الأسطول العثماني المؤلف من مائتي سفينة وأحرقوه عن آخره وقتل عشرون ألفاً من العثمانيين فعم السرور أكثر أوروبا ولكن الصدر الأعظم محمد باشا بذل همة شماء فأنشأ في ستة أشهر أسطولا مؤلفا من ٢٥٠ سفينة واشتغل به في الشتاء ليكون تاماً أول الربيع فيقال إن أحد أمراء البحر طلب تأخيره إلى الربيع لعدم وجود أدوات الحديد وغيره فقال له إن الدولة تستطيع أن تجعل حديد سفنها فضة وحبالها حريراً وشراعها ديباجاً فسافر الأسطول بقيادة (قليج علي باشا) إلى المياه مورة وأخذ يترصد سفن الأعداء فلم يجسروا على الوقوف في وجهه وتفرقوا في عرض البحار. وفي سنة ٩٨٠ عقد صلحاً مع الحكومة الفندقية على أن يدفع للدولة ثلاثمائة ألف دينار غرامة حربية وكان الإسبانيون عادوا فأخذوا تونس فأرسل الأسطول فاستردها وضبط (حلق الواد) وجميع بلاد تونس، وفي سنة ٩٨٢ كان السلطان يمشي في الحمام الذي أنشأه فوقع ومرض؛ ثم توفي وعمره ٥٣ سنة ومدة سلطنته ٨ سنوات.

❀ ❀ ❀

(١٤) السلطان مراد الثالث ابن سليم الثاني

ملك سنة ٩٨٢ فقتل إخوته الخمسة خوف منازعتهم وجدد الصدر الأعظم المعاهدات مع دول أوروبا التي مقتضاها أن تدفع حكومة النمسا وإمارات أردل وراغوزة وإفلاق وبغدان خراجاً سنوياً إلى الحكومة العثمانية، وكانت حكومة فاس مستقلة فلما توفي ملكها الشريف عبد الله جلس مكانه ابنه محمد المستنصر فنازعه عمه الشريف عبد الملك واستعان بالعثمانيين فاستعان المستنصر بالبرتغاليين فأرسل رمضان باشا والي الجزائر لمعاونة عبد الملك فأجلسه على تخت فاس ومراكش رغماً عن البرتغاليين فأمد البرتغاليين المستنصر بجيش مجهز بثلاثمائة وستين مدفعاً

فحاربهم رمضان باشا في وادي السبيل وهزمهم وقتل منهم عشرين ألفاً وقتل ملك البرتغال والمستنصر، وفي سنة ٩٨٦تجاوز جيش إيران الحدود العثمانية فأرسل إليهم جيش فهزمهم أمام قلعة (جيلدير) وضبط مدينتي تفليس وشماخي وما جاورهما حتى جبال القفقاس، ثم أرسل الإيرانيون أربعة جيوش فهزم الأولان القائد (اوزدمير عثمان) باشا والآخران ضبطا مدينة (شيروان) وفي سنة ٩٩٧ قتل الصدر الأعظم محمد باشا الصوقوللي قتله رجل أبله ويقال إن قتله كان بإيعاز من السلطان لأنه كان يبغضه فخسرت الدولة بقتله رجلاً عاقلاً مدبراً محنكاً من أعاظم رجالها.

وفي تلك الحال كانت إيران مضطربة فقد قتل الشاه طهماسب[1] مسموماً وجلس مكانه ابنه إسماعيل[2] فقتل إخوته الثمانية وبعد جلوسه بسنة ونصف قتل هو أيضاً خنقاً فأعلن السلطان الحرب على إيران بتحريض لالا مصطفى باشا فنهى عن ذلك الصدر الأعظم محمد باشا الصوقوللي فلم يسمع منه وامتدت الحرب اثنتي عشرة سنة ضبطت في خلالها بلاد الكرج وضبط أوز تيمور عثمان باشا بلاد القفقاس المسماة (داغستان)، وتوفي في إيران فخلفه فرهاد باشا فهزم الإيرانيين واضطرهم إلى عقد مصالحة على أن تبقى تبريز وروان وشيروان في يد العثمانيين، وتوفي السلطان مراد سنة ١٠٠٣ ومدة سلطنته عشرون سنة وكان ينظم الشعر بالتركية والعربية والفارسية ويميل إلى التصوف، وله كتاب اسمه فتوحات صيام وكان مشغوفاً بالنساء؛ فلذلك كان نساء القصر يتداخلن في أمور المملكة وفسد في زمانه نظام الإنكشارية.

❀ ❀ ❀

(١٥) السلطان محمد الثالث ابن مراد

ملك سنة ١٠٠٣ فقتل إخوته التسعة عشر، وفرق على العساكر عطية الجلوس فبلغت مليوناً وثلاثمائة ألف دينار وعصى ميخال أمير الأفلاق وهزم العساكر العثمانية فركب إليه السلطان فقهره وضبط قلعتي أردل وأكري من بلاد النمسا والمجر، والتقى بجيوش المجر في خاج أوده فحاربهم ثلاثة أيام وهزمهم وحدثت

---

(١) كأنه طهماسب الأول ابن إسماعيل الأول.

(٢) كأنه إسماعيل الثاني ابن طهماسب الأول.

فتن في الأناضول أثارها بعض العصاة الملقبين بالجلالية دامت مدة طويلة وتعدت النمسويون على بلاد المجر فأرسل إليهم حسن باشا الترياكي فحاصر قلعة قينجة فأمدها فرديناند ملك النمسا فهزمه حسن باشا وضبط القلعة وحارب الوزير محمود باشا الأفلاقيين فهزمهم، ثم حاصرت جيوش روما وإسبانيا وفرنسا والمجر قلعة قينجة سبعين يوماً وعادوا خائبين. وضبط الشاه عباس الصفوي تبريز وتقدم نحو روان فعين حسن باشا الساعاتي المنفي يومئذٍ في طرابزون لحرب الإيرانيين ثم توفي السلطان مراد سنة ١٠١٢؛ وعمره ثمان وثلاثون سنة ومدة ملكه تسع سنوات.

❁ ❁ ❁

(١٦) السلطان أحمد بن محمد الثالث

ملك سنة ١٠١٢ وعمره أربع عشرة سنة فأرسل سنان باشا لمحاربة العجم لأن الشاه عباس ضبط روان وشماخي وشيروان واقجه قلعة وقارص فهزمه الشاه عباس في عدة مواقع وأرسل الصدر الأعظم ياوز علي باشا لمحاربة النمسا فتوفي في بلغراد فأرسل مكانه لالا محمد باشا فحاصر قلعة أسترغون ورجع عنها وعاهده أحد أمراء المجر على محاربة النمساويين وحاربهم في عدة مواضع وأخذ منهم وارات وطوقاي؛ ثم عقد مصالحة معهم مقتضاها قطع الخراج الذي كانت تدفعه النمسا للعثمانيين وعدم المداخلة في شؤونها واستفحل أمر الجلاليين في الأناضول واتفق أحد زعمائهم المسمى علي بك جانبولاد (ذي القلب الحديد) ثم قيل جنبلاط مع فخر الدين المعني أمير جبل لبنان وحاصرا يوسف باشا والي دمشق ثم استمالاه فأعلن استقلاله فأرسل مراد باشا فاستأصل شأفتهم وقتل كثيراً وكان يلقي القتلى في الآبار فلقب أبو الجب، ثم سافر إلى حرب العجم فعرض عليه الشاه عباس الصلح بشرط بقاء الحدود على ما كانت عليه أيام السلطان سليمان فأبى، وبينما كان يريد الهجوم توفي سنة ١٠٢٠ فعين مكانه نصوح باشا فعقد الصلح على تلك الشروط مع دفع مائتي حمل حرير كل سنة للعثمانيين؛ وحدثت فتن في الأفلاق بتشويق النمسا وبولونيا وكانت الغلبة للجيش العثماني وتوفي السلطان أحمد سنة ١٠٢٦ وعمره ثمانية وعشرون سنة ومدة سلطنته أربع عشرة سنة وهو الذي بنى الجامع الشهير في الأستانة وسن قانون وراثة السلطنة للأكبر الأرشد من آل عثمان.

❁ ❁ ❁

(١٧) السلطان مصطفى الأول ابن محمد الثالث

أخو السلطان أحمد ملك سنة ١٠٢٦ وكان أبله فخلع بعد ثلاثة أشهر، وأقيم مكانه عثمان بن أحمد وبعد أربع سنوات أعيد مصطفى وفي زمانه حاصر بغداد حافظ باشا أحد الوزراء وحدثت في الأستانة فتن أدت إلى سقوط هيبة الدولة وحصل إسراف في مال الخزينة؛ ثم أعيد عثمان سنة ١٠٢٧ وحجر على مصطفى في قصره.

❁ ❁ ❁

(١٨) السلطان عثمان الثاني ابن أحمد

ملك للمرة الأولى سنة ١٠٢٦ ثم ملك للمرة الثانية سنة ١٠٢٧ وسنه أربع عشرة سنة فسار الصدر الأعظم خليل باشا لحرب شاه العجم فصالحه على ما صالحه عليه نصوح باشا، وفي سنة ١٠٣٠ حصل برد عظيم فجمد خليج الأستانة وما بين استانبول وأسكدار فصار الناس يجتازون البحر مشياً؛ وقتل السلطان أخاه محمداً ثم سار لمحاربة بولونيا (لهستان) ففتحت مدينة خوتين بعد استشهاد ستين ألفاً من العثمانيين، وبعد رجوعه ثارت العساكر في الأستانة وأحدثوا فتنة عظيمة لم يسبق لها نظير وقتلوا بعض رجال الدولة ثم خلعوا السلطان عثمان ثم قتلوه خنقاً بإيعاز داود باشا الصدر الأعظم ومدة ملكه ٤٠ سنة، وأعادوا السلطان مصطفى وقتلت قتلهة السلطان عثمان واختل نظام العساكر وأصبح الحكم في يد أوباش الانكشارية، وعصى محمد باشا والي أرضروم ويوسف باشا أمير طرابلس الشام وطالب بدم السلطان عثمان وقتل كثيراً من الانكشارية وتقدم محمد باشا أباظه بعساكره حتى قارب برصة وهزم الجيوش العثمانية في عدة مواقع؛ فأرسل إليه محمد باشا الشركسي فقهره ثم عفى عنه وعين والياً لأرضروم وعصى في بغداد رجل اسمه بكر صوباشي وقتل واليها وهكذا اختلت إدارة الدولة ثم خلع السلطان مصطفى بسعي الصدر الأعظم علي باشا وعاش بعد خلعه ١٦ سنة؛ وتوفي سنة ١٠٤١.

❁ ❁ ❁

(١٩) السلطان مراد الرابع

ملك بعد خلع السلطان مصطفى سنة ١٠٣٢ وعمره ١٢ سنة؛ فأصبحت إدارة

الملك بيد والدته واستفحل أمر بكر صوباشي في بغداد فحاصره حافظ باشا والي ديار بكر فاستمد من الشاه عباس الأول واعداً إياه بتسليم بغداد فأمده بجيش فلما عرف حافظ باشا بالأمر خدعه وأرسل إليه فرماناً بولاية بغداد فطرد عساكر العجم فركب إليه الشاه عباس وأخذ منه بغداد وأحرقه بالنار وقتل كثيراً من أهلها، فحاصره حافظ باشا تسعة أشهر ثم عاد عنه، وفي سنة ١٠٣٦ حاصر عسكر الشاه عباس قلعة (أخسخة) فأرسل لمحاربتهم الصدر الأعظم فلما وصل ديار بكر جهز جيشاً لإمداد (أخسخة) وكتب إلى محمد باشا والي أرضروم بالسفر مع الجيش فأبى وقتل قائد الجيش واستولى الشاه على (أخسخة) وقتل محافظيها، فعين خسرو باشا البوشناقي صدراً أعظم وأرسل لحرب محمد باشا أباظه فحصره في أرض روم واضطره للتسليم وأتى به إلى الأستانة فعفى عنه السلطان وعينه والياً للبوسنة، وقام في اليمن الإمام محمد إمام الزيدية يدعي الاستقلال وفي سنة ١٠٣٩ أرسل الصدر الأعظم خسرو باشا لحرب بلاد العجم وكان الشاه عباس قد توفي ففتح همذان ودركر زين وجاؤه وهو متوجه إلى أصفهان أمر بالرجوع إلى بغداد فعاد إليها وحاصرها مدة فلم يوفق لفتحها فعاد إلى الموصل، ثم عزل من الصدارة وعين مكانه حافظ باشا وقبل سفره ثارت جنود الفرسان بتشويق رجب باشا وخسرو باشا وطلبوا من السلطان قتل سبعة عشر رجلاً من رجال الدولة منهم الصدر الأعظم فلم يقبل فقتلوا الصدر الأعظم حافظ باشا في حضرته بالرغم عن نهيه وتأنيبه، فعين مكانه رجب باشا أحد مثيري الفتنة ثم قتل هو وخسرو باشا وعين للصدارة محمد باشا طباني ياصي ولما بلغ السلطان أشده صار يخرج متنكراً ومنع المنكرات وضرب على أيدي المفسدين وبعث أحمد باشا والي قرمان لتأديب الأمير فخر الدين المعني فاستأصل شأفته من جبل لبنان؛ وفي سنة ١٠٤٤ سافر لمحاربة البولونيين فعقد معهم صلحاً ثم فتح روان وعاد إلى الأستانة فجاءه خبر فتح قلعة (أخسخة)، وفي سنة ١٠٤٦ حاصر الإيرانيون روان وفتحوها وهزموا جيش أحمد باشا أمام قلعة مهرجان فركب إليهم السلطان وفتح بغداد وترك بها الصدر الأعظم وعاد، ثم صالح الصدر الأعظم شاه العجم وعاد بالجيش إلى الأستانة وفي سنة ١٠٤٩ توفي السلطان مراد وعمره ثلاثون سنة ومدة سلطنته ١٦ سنة.

(٢٠) السلطان إبراهيم بن أحمد

ملك سنة ١٠٤٩ وعمره خمس وعشرون سنة وكان أبله خفيف العقل، تقرب منه شيخ يلقب بالشيخ أبو الجن فأثر عليه وصار صاحب الأمر والنهي في قصره وأفسد كثيراً من الأمور وجمع ثروة طائلة وعين السلطان مصطفى باشا صدراً أعظم وكان رجلاً مدبراً فأحسن إدارة الملك ثلاث سنوات ثم قتل بسعاية أبي الجن، وأرسل الأسطول إلى الجزيرة كريد وكانت بيد الفندقيين فافتتحت قلعة (خانية) بعد حصار خمسين يوماً وظهر اختلال في البوسنة وحاصر الفندقيون جزيرة (مدللي) والسلطان لاه في شهواته فتارة يهتم بجمع العنبر وأخرى بتكثير الملابس وتارة يتجول ليلاً في الشوارع بالمشاعل وكثرت الرشوة واختلت إدارة العسكر فقتلوا الوزير أحمد باشا وقطعوه إرباً إرباً فلقب (هزارباره) وهي كلمة فارسية معناها ألف قطعة؛ ثم خلعوا السلطان ثم قتلوه وعمره ٣٤ سنة وسلطنته ٩ سنوات.

❀ ❀ ❀

(٢١) السلطان محمد الرابع ابن إبراهيم

ملك سنة ١٠٥٨ وعمره سبع سنين، فأصبحت إدارة الملك بيد جدته وبعد جلوسه قتل الشيخ أبو الجن وصودرت أمواله وطلب قائد (كريد) مدداً فأرسل الأسطول وحاصر قلعة (قندية) فلم يقدر على فتحها، وثارت العساكر في الأستانة وقتلوا بعض الوزراء ثم ثارت طائفة الباعة والمرتزقة لمداخلة أغوات الانكشارية في أمورهم وإعطائهم سكة مزيفة، ثم قتلت جدة السلطان بإشارة والدته فثار الأغوات يطالبون بدمها فأخرج العلم ونودي بأن كل من يتبع الأغوات يعد عاصياً فاحتشد الناس تحت العلم لحنقهم على الأغوات ثم قبض على العصاه وقتلوا وفسدت أمور المملكة داخلاً وخارجاً، وهجم أسطول الفندقيين على جزيرة (بوزجه أطه وليمنى) وحاصر بوغاز الدردنيل فدعي للصدارة محمد باشا الكوبري وهو في سن التسعين فقبلها بشرط إطلاق يده؛ فأصلح المملكة وهزم الفندقيين واضطر الإفلاقيين والبغدانيين إلى الطاعة فوثق به السلطان وصار يقضي أوقاته في الصيد فلقب بالصياد، ثم توفي الصدر الأعظم فعين مكانه ابنه أحمد فاضل باشا فحارب النمساويين فهزمهم ثم انهزم في حرب أخرى، ثم سار بالأسطول إلى (كريد) ففتحها

كلها وحارب البولونيين ومعه السلطان فظفر بهم وألحقت قطعتا: بودوليا وأوقرانيا بالممالك العثمانية؛ ثم توفي أحمد باشا فعين مكانه مصطفى باشا فحاصر عاصمة النمسا (ويانه) وكاد يفتحها ففاجأه ملك بولونيا فهزمه؛ ثم حاصر النمساويون قلعة (غران ويشته) فأمر السلطان بقتل الصدر الأعظم فقتل في بلغراد وعين مكانه إبراهيم باشا، وألف (البابا) جيشاً صليبياً من النمساويين والبولونيين والفندقيين والمالطيين والروسيين لإخراج العثمانيين من قطعة أوروبا فغلبوا العثمانيين في عدة مواقع وفتحوا كثيراً من القلاع والحصون والبلدان واستردوا بلاد المجر وفتح الفندقيون شبه جزيرة (مورة) فعزل الصدر الأعظم وعين مكانه باشا سليمان، فذهب لرفع الحصار عن قلعة (بودين) فلم يوفق وفتحها العدو وقتل من فيها وفي أثناء رجوع الصدر الأعظم ثار الجنود وتقدموا نحو الأستانة فعزل وعين غيره؛ فلم ترض به الجنود ودخلوا الأستانة رافعين راية العصيان وثار معهم الانكشارية فخلع السلطان محمد سنة ١٠٩٩ وعمره ٤٨ سنة ومدة سلطنته ٤٠ سنة وسبعة أشهر.

❁ ❁ ❁

(٢٢) السلطان سليمان الثاني ابن إبراهيم أخو السلطان محمد

ملك سنة ١٠٩٩ وعمره ٤٧ سنة، فثار الجنود ونهبوا دار الصدر الأعظم وأموال بعض الوزراء وغيرهم وأجلوا كثيراً من العلماء والوزراء وعينوا عثمان باشا صدراً أعظم وزاد تعديهم ونهبوا دكان أحد السادات فرفع علماً ونادى بالمسلمين فاجتمع الناس حوله وذهبوا إلى قصر السلطان فأخمدت الفتنة، وبسبب اختلال الأحوال فتح النمساويون بلغراد وتقدموا حتى بلغوا (نيش) وهددوا (صوفيا)، وحاصر الفندقيون جزيرة (أغريبوز) وأظهر الصدر الأعظم العصيان في الأناضول ومخالفة أوامر السلطان حتى خيف من خروجه فعزل وعين مكانه مصطفى باشا، فأصلح الجندية وحارب الأعداء فهزمهم واسترد ما فتحوه من البلاد والقلاع، وتوفي السلطان سنة ١١٠٢ وعمره خمسون سنة وسلطنته ثلاث سنوات وكان عابداً زاهداً في الملك يميل إلى مطالعة الكتب ودرس العلوم؛ وولي السلطنة مرغماً.

❁ ❁ ❁

(٢٣) السلطان أحمد الثاني ابن إبراهيم

ملك سنة ١١٠٢ وعمره خمسون سنة، فسار الصدر الأعظم لمحاربة النمساويين بمائة وخمسين ألف مقاتل فأصابته رصاصة فاستشهد وانهزمت الجنود واجتاز الأعداء نهر (الطونة) وهزموا الجيوش العثمانية في عدة مواقع، وفتح الفندقيون جزيرة (ساقز) وتوفي السلطان أحمد سنة ١١٠٦ ومدة سلطنته أربع سنوات؛ واختلت في زمانه المملكة داخلاً وخارجاً.



(٢٤) السلطان مصطفى الثاني ابن محمد الرابع

ملك سنة ١١٠٦ وعمره ٢١ سنة وكان شجاعاً نشيطاً، فنشر خطاباً يتضمن رغبته في السفر للحرب بنفسه وفي أول أسبوع من جلوسه استرد قائد الأسطول حسين باشا من الفندقيين جزيرة (رودس)، وفي سنة ١١٠٧ زحف السلطان بجيشه إلى ما وراء (الطونة) وفتح قلعة (ليبوة) والتقى بجيش النمساويين في (لوغوس) فهزمهم وعاد إلى الأستانة فعاد النمساويون بعد سنة فحاصروا (طمشوار) فسار إليهم السلطان فظفر بهم واغتنم بطرس الأكبر ملك روسيا هذه الفرصة وهجم على قلعة (آزاق) ففتحها، وفي سنة ١١٠٩ سار السلطان بجيوشه حتى وصل نهر الطونة واستشار رجاله فبعض أشار بالسفر لجهة (وارادين) وبعض لجهة (قنيجة) فسار إلى قنيجة وبينما كان الجيش يجتاز نهر تايس فاجأهم جيش النمساويين وقبل أن يتم اجتياز النهر انكسر الجسر وانقسمت القوة العثمانية قسمين وتم الفوز للنمساويين واستشهد من الجند عشرة آلاف وكثير من الأمراء فظهر خطأ المشيرين بهذا الرأي، ثم عقد الصلح في قصبة (قارلوفجة) بين الدولة ومرخصي سبع دول على أن تترك البلاد التي على يسار الطونة للنمسا وقلعة آزاق لروسيا وشبه جزيرة مورة وجزيرة أياماورا إلى الحكومة الفندقية وولايتا أوقرانيا وبوده ليا لحكومة بولونيا فكانت شروط هذه المعاهدة من أثقل الشروط التي عقدتها الدولة مع الحكومات الأجنبية حتى حينه، وأخذ الصدر الأعظم في إصلاح المملكة فكاد يتم الإصلاح على يده لو لم يستقل بسبب تداخل فيض الله أفندي شيخ الإسلام ومعلم السلطان في وظيفته فعين بدله طبان باشا ثم قتل بسعاية فيض الله وعين مكانه رامي باشا من مقربي فيض الله فأصبح فيض الله صاحب الأمر

والنهي في المملكة وعين أقاربه في أهم مناصب الدولة فثارت العساكر وعصت؛ والسلطان في أدرنة لاه بالصيد كأبيه فقصد الأستانة فانحازت عساكره إلى الثائرين وخلع؛ وبعده خلعه بستة أشهر توفي وعمره أربعون سنة ومدة سلطنته تسع سنوات.

❁ ❁ ❁

(٢٥) السلطان أحمد الثالث ابن محمد الرابع أخو السلطان مصطفى

ملك سنة ١١١٥ بعد خلع أخيه فاستحصل الثائرون فتوى بقتل فيض الله شيخ الإسلام فقتلوه بصورة فظيعة وتمادوا في البغي والعدوان فسكن الثورة وقتل مثيري الفتنة وأجلى بعضهم واشتبك بطرس الأكبر ملك روسيا في حرب مع شارل الثاني عشر ملك السويد فالتجأ شارل إلى الدولة العثمانية فأعلنت الحرب على روسيا وزحف الجيش بقيادة الصدر الأعظم محمد باشا البالطه جي فحاصر بطرس الأكبر في محل على ساحل نهر بروت وأصبح بين أمرين الغرق أو التسليم فجاءت زوجته إلى الصدر الأعظم بهدايا وفيرة فصالح الروس بشرط تسليم قلعة أزاق للدولة وهدم القلاع التي على الحدود وتسليم الأسلحة التي فيها مع أنه كان يمكن أسر بطرس الأكبر فمال مع مطامعه فغضب عليه السلطان ونفاه، وفي سنة ١١٢٧ أعلنت الدولة الحرب على الحكومة الفندقيه لحمايتها عصاة الجبل الأسود الذين ثاروا حين محاربة الروس فزحف الجيش العثماني إلى مورة بقيادة الصدر الأعظم علي باشا وساعده الأسطول فاستردوها كلها ثم أخذوا جزيرة قورفو وفي سنة ١١٢٨ أعلن الحرب على النمسا والتقى الجيشان فاستشهد علي باشا وانهزم الجيش وتقدم العدو فملك طمشوار وبلغراد ثم تقدم حتى بلغ نيش في بلاد الصرب فتوسطت الإنكليز والفلمنك في الصلح فعقد مع النمسا سنة ١١٣٠ على أن تعطى لها ولايتا طمشوار وبلغراد وجعل الصدر الأعظم إبراهيم باشا يقضي أوقاته باللهو والقصف فأنشأ القصور العظام في منتزهات كاغد خانه وعلى ضفاف البوسفور وصار يدعو السلطان إلى مجالس أنسه وطربه ليلاً لأنه كان صهر السلطان فسرى هذا الداء في جميع أركان الدولة وغرق الناس في بحر الملاذ والسفاهية وفي أثناء ذلك كثرت الفتن والقلاقل في إيران وضعفت الدولة الصفوية فهجم أمير أشرف أمير الأفغان بجيوشه على أصفهان عاصمة إيران ففتحها وقتل ونهب وأسر وهجم على الجيوش العثمانية

فهزمها وفر الشاه طهماسب إلى خراسان وكان (نادر شاه) رجلاً خامل الذكر من عشيرة أفشار في خراسان وظهرت له شجاعة أيام استيلاء الأفغانيين على إيران ثم ترقب حاله فملك خراسان فلما وردها طهماسب اتفق معه نادر وسمي نفسه شاه قلي أي غلام الشاه وهجم على أصفهان وهزم أمير أشرف وجلس على تخت أبيه وبعث إلى العثمانيين بإعادة البلاد التي ملكوها من إيران ثم زحف على تبريز فملكها وتقدم بجيشه إلى الإمام وحصلت ثورة في الأستانة من بعض العامة وسرت إلى الانكشارية فأخرجوا مراحلهم إلى آت ميدان أي ميدان الخيل وكان ذلك علامة عصيانهم وكثر النهب والقتل وطلبوا قتل الصدر الأعظم ثم طلبوا خلع السلطان فخلعوه وقتلوا الصدر الأعظم وأعوانه شر قتله وهدموا قصوره ونهبوا أمواله وكانت مدة سلطنة أحمد ٢٧ سنة وفي عهده أنشئت مطبعة لطبع الكتب.



(٣٦) السلطان محمود الأول ابن مراد الرابع

ملك سنة ١١٤٣ بعد خلع السلطان أحمد فقتل مثيري الفتنة وعين للصدارة عثمان باشا وأرسله لحرب الفرس فهزم نادر شاه قرب بغداد ثم فاجأه نادر بجيوشه قرب الموصل وهو مريض فقتل الصدر الأعظم وانهزم جيشه وتقدمت جيوش نادر حتى مدينة الزور وفي السنة الثانية أرسل عبد الله باشا لمحاربة العجم فهزم في نواحي روان واسترد العجم ما ملكه العثمانيون من البلاد ثم وقع الصلح مع العثمانيين على أن تبقى التخوم على ما كانت عليه زمن الصفويين واعتبار المذهب الجعفري خامساً وأن يكون له ركن في الحرم الشريف (ويقول مؤرخو الأتراك) أن الحكومة رفضت قبول المذهب الجعفري ووافقت على تحديد التخوم فعقدت المصالحة بين الدولتين على ذلك سنة ١١٥٩ والصحيح أن الحكومة قبلت بالمذهب الجعفري ولكن حال دون تنفيذ ذلك تعصب أهل مكة كما شرحناه في الجزء الأول من هذا الكتاب وعند اشتغال الدولة بحرب العجم فتح الروس قلعتي أزاق وقيلبرون فأعلنت الدولة الحرب على روسيا سنة ١١٤٨ فاتحدت روسيا مع النمسا وحاربتا الدولة فكان الظفر للعثمانيين فطرد علي باشا والي بوسنة النمساويين وهزم أحمد باشا عساكرهم في شهركولي ونيش وأرجعهم إلى بلغراد وفتح الصدر الأعظم محمد باشا سمندرة

وأورسة واطه قلعة و(فتح الإسلام) وتقهقر الروس أمام عثمان باشا السر عسكر فاضطرت الدولتان إلى الصلح فعقد في بلغراد سنة ١١٢٥ على شرط بقاء بلغراد في أيدي العثمانيين وهدم قلعة أزاق وعدم إنشاء روسيا سفناً حربية في البحر الأسود وعقدت مع حكومة السويد محالفة دفاعية تجاه روسيا وفي سنة ١١٥٦ استولى نادر شاه على العراق فحاربته الدولة فكانت الحرب سجالاً وأخيراً التقى الصدر الأعظم محمد باشا بنادر شاه قرب روان فأصيب محمد باشا بحمى محرقة فمات وانهزمت جيوش العثمانيين وعقدت مع نادر شاه مصالحة بشروط المصالحة التي عقدت في زمان مراد الرابع وبقي السلطان تسع سنوات مجتنباً للحروب وشرع في بناء جامع نور عثمانية وأسس مكتبة في أياصوفيا وتوفي سنة ١١٦٨ على ظهر جواده وهو راجع من صلاة الجمعة ومدة سلطنته ٢٥ سنة وكان فطناً حسن الأخلاق محباً للسلم.

❀ ❀ ❀

(٢٧) السلطان عثمان الثالث ابن مصطفى الثاني

ملك سنة ١١٦٨ وعمره ٥٣ سنة فأكمل جامع نور عثمانية الذي شرع في بنائه السلطان محمود وسماه باسمه ومرت سلطنته بالسلم ولم يحدث في خلالها ما يؤثر وكثر في زمانه الحريق في الأستانة فاحترق مرة ٢٤ ألف دار واشتد البرد في بعض السنين حتى جمد ماء الخليج وكان دميم الخلقة سيئ الظن كثير الأوهام يتكلم بسرعة مولعاً بلعب الشطرنج وتربية الحيوانات مات مرة له جواد كان يحبه فدفنه في قبر مشيد في إسكدار وتبدلت الصدارة في عهده سبع مرات وآخر من وليها راغب باشا الشهير توفي سنة ١١٧١ وعمره ٥٦ سنة ومدة سلطنته ثلاث سنين.

❀ ❀ ❀

(٢٨) السلطان مصطفى الثالث ابن أحمد الثالث

ملك سنة ١١٧١ وعمره ٤٣ سنة فأبقى راغب باشا صدراً وكان راغب عالماً فاضلاً شاعراً يميل إلى الراحة ومجالسة الشعراء والندماء فلم يلتفت إلى إصلاح شؤون الملك وفي سنة ١١٧٦ توفي راغب فضبط السلطان أمواله واتفقت روسيا مع النمسا وبروسيا على اقتسام بولونيا (لهستان) وأخذت تتداخل في شؤونها حتى عينت

لها ملكاً من مقربيها ثم ظهر اختلال في بولونيا فبعثت روسيا جيشاً لتسكينه فطلب البولونيون من الدولة العثمانية مداخلتها وكف يد روسيا فأعلنت الدولة الحرب على روسيا سنة ١١٨٢ فكان الفوز في جانب روسيا في أكثر المواطن لأنها كانت مستعدة لهذه الحرب فملكت بلاد الأفلاق وبغدان وأنشأت أسطولاً في بحر البالتيك وأنفذته إلى البحر المتوسط فأحرق الأسطول العثماني في خليج جشمة قرب أزمير وملك جزيرة ليمني ودخلت جيوش الروس إلى القريم وأعدين أميرها بالاستقلال فانخدع بوعدهم وأرسل ولديه مع فئة من التاتار إلى بترسبورغ وبذل الطاعة لملكة الروس كاترينة فلما ملك الروس القريم لم يفوا له بوعدهم فندم والتجأ إلى الدولة العثمانية ولات حين مندم وثار أهالي مورة بتحريض روسيا فسار إليهم الصدر الأعظم محمد باشا فقتل كثيراً من الثائرين وأخمد الفتنة واسترد حسن بك غازي جزيرة ليمني وتقدمت عساكر الروس حتى قربت من البلقان وعرضت الصلح بشروط مجحفة فأبت الدولة قبولها وأرسلت روسيا وحليفتاها النمسا وبروسيا العساكر إلى بولونيا فملكوها واقتسموها، وتوفي السلطان ١١٨٨ متأثراً من توالي الفشل وعدم الظفر ومدة سلطنته ست عشرة سنة وكسر، وكان يعمل بأقوال المنجمين بخيلاً حريصاً على جمع الأموال لكنه أنفقها في محاربة الروس.



❁ ❁ ❁

(٢٩) السلطان عبد الحميد الأول ابن أحمد الثالث

ملك سنة ١١٨٨ وعمره ٤١ سنة وكانت حالة الدولة سيئة وخزينتها فارغة لكثرة الحروب؛ فلم يتمكن توزيع عطية الجلوس على الجنود، ونشأ عبد الحميد في قصر الملك منزوياً فلم يتفاءل الناس بجلوسه خيراً لعدم خبرته فتوسط سفير بروسيا في الصلح مع روسيا بشرط هدم قلعة (قيل برون) فأبى السلطان ذلك لعدم خبرته، فزحفت جيوش الروس وحاصرت الصدر الأعظم في (شمنى) وضيقت عليه فاضطر لعقد الصلح مع (رومانزوف) قائد الروس قبل وصول الإذن من السلطان على شرط ترك قلعة آزاق وبلاد الكرج والجركس لروسيا، وجعل نهر أوزي في الروم إيلي حدا بين المملكتين واستقلال القريم تحت إدارة أمير يعين بانتخاب الأهلين، وخرج في عكا الشيخ ظاهر العمر الصفدي فاستأصلت الدولة شأفته وضبطت أمواله. وحاصر

كريم خان الزندي الذي تغلب في إيران مدينة البصرة بسبب تنازع الولاة في العراق فأعلنت الدولة الحرب على العجم، وبهمة سليمان باشا والي بغداد عادت السكينة في العراق، وفي سنة ١١٩٨ حدثت بعض فتن في القريم بواسطة أميرها بدسائس روسيا فملكت روسيا القريم وألغت الإمارة فكان لذلك وقع سيئ في نفوس العثمانيين، واتفقت روسيا مع النمسا على اقتسام المماليك العثمانية وأخذت هي النمسا تتعنت الدولة وأعانتها إنكلترا بسبب ضعف الدولة وعجزها، وكان الصدر الأعظم خليل باشا عاقلاً حازماً فبعث علي باشا فرح إلى القفقاس فأخذ يدعو أهلها إلى الإسلام والدخول في طاعة الحكومة، فألف قوة عظيمة من الجركس تجاه روسيا ثم ذهب الصدر الأعظم ضحية الأغراض الشخصية فقتل وعين مكانه علي باشا والي أوزي، وفي سنة ١٢٠٠ أرسل حسن باشا قائد الأسطول إلى مصر لتأديب المماليك وكان معه محمد علي الذي ملك مصر وهو جندي من مدينة قوالة في سلانيك؛ وقبل إتمام عمله دعي إلى الأستانة لإعلان الحكومة الحرب على روسيا سنة ١٢٠١ بتحريض سفيري إنكلترا وبروسيا لاسترداد القديم؛ وبقي محمد علي في مصر حتى ملك وأباد المماليك سنة ١٢١٩، وكان الصدر الأعظم يوسف باشا فأخذ يحصن التخوم ويرسل الذخائر والمهمات فأعلنت النمسا الحرب مشتركة مع روسيا فسار يوسف باشا الصدر الأعظم لحرب النمسا فهزمهم في أربعة مواقع وغنم منهم ثمانين مدفعاً وأسر خمسين ألفاً، أما الجيش المرسل لمحاربة الروس فانهزمت وملكت روسيا بغدان وقلاع ياش وخوتين وأوزي وقتلت أهلها قتلاً عاماً، فاتفقت حكومة السويد مع الدولة العثمانية على حرب الروس وكان الحرب بينهم سجالاً، وفي سنة ١٢٠٣ توفي السلطان عبد الحميد متأثراً من توالي المصائب الحربية وعمره سبع وخمسون سنة وسلطنته ١٦ سنة مرت بالحروب والمصائب ولم يكن رجل ملك؛ فضعفت في زمانه الدولة حتى طمعت فيها روسيا والنمسا.

❀ ❀ ❀

(٣٠) السلطان سليم الثالث ابن مصطفى الثالث

ملك سنة ١٢٠٣ وعمره ٢٨ سنة فأبقى يوسف باشا في الصدارة، وعين حسين باشا كوجك قائد الأسطول وأمره بدوام الحرب فأغرق الأسطول بعض سفن العدو،

وتقدم الجيش وأنفذ كتيبة إلى قلاص فهزمها الروس وملكوا قلعة قلاص، فأرسل القواد إلى السلطان إنهم غير قادرين على مداومة الحرب لقلة المال فتقرر جمع الأواني والحلي وضربها نقوداً، لكن هذا لم يكن كافياً لفقد الانتظام في العساكر فهزمت أمام الروس والنمسا في عدة مواقع وملك الروس أقكرمان وبندر وكبلي وملك النمساويون بلغراد وسمندرة وفتح الإسلام، ثم اتفق الصربيون مع النمساويين وثاروا على الحكومة وحاصر قائد الروس قلعة إسماعيل فرده عنها حسن باشا الغازي فرقي إلى الصدارة ومات بعد أربعة أشهر، فعين مكانه شريف حسين باشا فهزم عساكر النمسا في يركوي فرضيت النمسا بالصلح على إرجاع التخوم العثمانية إلى ما كانت عليه قبل الحرب وإعادة بلغراد والقلاع التي ملكتها إلى الدولة، وبقيت روسيا تحارب وحدها فأعيد يوسف باشا إلى الصدارة وأمر بمواصلة الحرب فالتقى بجيش الروس في ماشين ثم صالح روسيا سنة ١٢٠٦ على أن تبقى القريم وولاية أوزي بيد روسيا، وأن يكون نهر دنيستر حداً بين الدولتين وأن تبقى التخوم في الأناضول على ما كانت عليه قبل الحرب، وشرع السلطان سليم في تعليم الجنود على الطرز الجديد وأسس مكاتب لتعليم الجنود البرية والبحرية وأبلغ عدد الجنود المعلمة إلى اثني عشر ألفاً، وعين لهم ضباطاً ويوزباشية وبيكباشية على الطريقة المشروفة؛ ورتب لهم قانوناً وأصدر أمره إلى الولاة بالسير على هذه الخطة، وأخذ في إصلاح الأسطول فلم يرق ذلك في أعين بعض الوزراء ورؤساء الانكشارية؛ وفي سنة ١٢١٣ هجم نابليون بونابارت الشهير قائد الفرنسيين الذي صار أخيراً ملك فرنسا على مصر فملكها ثم حاصر عكا فصده عنها أحمد باشا الجزار فاتفقت الدولة مع روسيا وإنكلترا وملكت من فرنسا الجزائر السبعة اليونانية وجعلتها جمهورية تابعة لها وسيرت يوسف باشا ضياً والي أرضروم لأخذ مصر من نابليون وأحرق أسطول إنكلترا سفن الفرنسيين في أبو قير؛ ففر نابليون خفية إلى فرنسا ثم أخلت عساكر الفرنسيين مصر وعادت لبلادها بعدما بقيت في مصر أربع سنين، وفي عهده كان ظهور مذهب الوهابية وفي سنة ١٢٢١ ملكت روسيا قلاع خوتين وبندر وكيلي وأقكرمان واحتلت ياش وبكرش فأعلنت الدولة الحرب عليها بتحريض سفير فرنسا فحنق لذلك سفير إنكلترا وغادر الأستانة ليلاً وعاد بأسطول إنكلترا واجتاز مضيق الدردنيل وأرسى أمام الأستانة وطلب إلى الدولة الصلح مع روسيا والاتفاق مع

إنكلترا وطرد سفير فرنسا فرفضت الدولة ذلك وتهيأت للدفاع ففر ليلاً من غير حرب ثم سافر الجيش إلى محاربة الروس بقيادة الصدر الأعظم إبراهيم باشا حلمي؛ فثارت الانكشارية في الأستانة واستمالوا موسى باشا كوسه قائم مقام الصدارة وعطاء الله أفندي طوبال شيخ الإسلام فأراد راغب باشا والي قرمان إلباس جنوده لباس العساكر الجديدة فأبوا وأخبروا الانكشارية ونادوا في الأستانة بالعصيان وطلبوا من السلطان قتل بعض الوزراء المائلين إلى الإصلاحات الجديدة فوافقهم تسكيناً للفتنة؛ ثم أخذوا فتوى من شيخ الإسلام بوجوب خلع السلطان فخلع.

❀ ❀ ❀

(٣١) السلطان مصطفى الرابع ابن عبد الحميد الأول

ملك سنة ١٢٢٢ وعمره ٢٩ سنة فألغى النظام الجديد وكل ما أحدثه سلفه من الإصلاح، وعقدت هدنة مع روسيا وعاد الجيش إلى مشتى أدرنة وفر من الأستانة خمسة من رجال الإصلاح إلى مصطفى باشا العلمدار في روسجق، فصار يطلق عليهم خلان روسجق فأخبروه بالحال وأقنعوه بوجوب إعادة السلطان سليم فسار بجيشه إلى الأستانة وأحاط بقصر الملك وطلب السلطان سليم فقتله السلطان مصطفى وأتباعه شر قتلة فدخل مصطفى باشا القصر فوجد سليماً مقتولاً فقتل جملة من مثيري الفتنة وأجلس محموداً على تخت الملك.

❀ ❀ ❀

(٣٢) السلطان محمود الثاني ابن عبد الحميد الأول

ملك سنة ١٢٢٣ وعمره ٢٣ سنة فعين مصطفى باشا صدراً أعظم، فقتله الانكشارية غيلة ليلاً في رمضان بعدما حصروه في قصره في الباب العالي، ودافع عن نفسه دفاع الأبطال ولما رأى أنه لا مندوحة له عن التسليم أشعل مخزن البارود فانهدم القصر وتوفي مع زوجة له لم تفارقه حتى آخر نفس من حياته، وأخذ الانكشارية في نهب بيوت الوزراء وقتلوا كثيراً من رجال الإصلاح وأرادوا إرجاع السلطان مصطفى فقتله السلطان محمود، ولما انقضت مدة الهدنة مع روسيا سارت لحرب الدولة وضبط بعض القلاع حتى بلغت البلقان فاضطرت الدولة لعقد الصلح

على أن تترك لروسيا قلاع بندووكيلي وخوتين وأقكرمان ويكون نهر بروت حداً بين الدولتين، وأرسل إلى محمد علي باشا بإخراج الوهابيين من الحجاز فأرسل ولده إبراهيم باشا فأخرجهم من الحجاز وتبعهم إلى نجد فقبض على أميرهم سعود في الدرعية قاعدة إمارته وبعثه إلى الأستانة فصلب بها، وكان قد قتل المماليك الذين كانوا يقلقون الراحة في مصر قبل سفر الجيش إلى الحجاز بعد جمعهم إلى وليمة، وكان علي باشا والي يانية ذا نفوذ عظيم في أموره وجميع بلاد اليونان فكان سداً منيعاً دون تنفيذ مآربهم لكن حالة أفندي أحد مقربي السلطان محمود كان يسعى به لدى السلطان لأنه لم يستفد من ثروته فأمر السلطان بقتله بعدما حوصر سنتين فرفع اليونان راية العصيان مطالبين بالاستقلال وملكوا نابولي وميسولونكي، فعين إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا المصري لإخماد ثورة اليونان فسار إليها بجيشه واسترد ما ملكوه من القلاع وأخمد الثورة وأراد السلطان محمود إصلاح الجندية وتنظيم العساكر على الطراز الجديد لأن الانكشارية قد فسد نظامهم وأخلاقهم وأضحوا أعداء الإصلاح فعين للصدارة سليم باشا من محبي الإصلاح وعين حسين باشا لمحافظة البوغاز في الروم إيلي والأناضول، وأمرهما أن يكونا على قدم الاستعداد وأخذ فتوى شيخ الإسلام بوجوب تعليم العساكر الطراز الجديد فثار الانكشارية ونهبوا الباب العالي وتعدوا على أعراض الناس فاستدعى السلطان محافظي البوغاز وأخرج اللواء الشريف فاجتمع الناس في ميدان السلطان أحمد وكانوا قد ملوا ظلم الانكشارية فأخرج الانكشارية مراجلهم إلى آت ميداني علامة العصيان وتحصنوا في ثكناتهم فمشى إليهم حسين باشا وعزة باشا وهدموا ثكناتهم وبددوا جموعهم وأعلن إلغاء صنوف الانكشارية في جميع المملكة، وأحدثت عساكر غيرها باسم العساكر المحمدية المنصورة وعين حسين باشا سر عسكراً لها وكانت روسيا تزعج الدولة بالمطالب الغريبة وتخلق لها المشاكل حتى اضطرت لعقد معاهدة معها وسعت بها حدود الأناضول وزادت في امتيازات الصرب وبغدان وأفلاق ثم اتفقت مع إنكلترا وفرنسا على المطالبة باستقلال اليونان فرفضت الدولة ذلك ففاجأ أسطولهن أسطول الدولة في ناوارين وأحرقه كله واجتازت روسيا الحدود فحاربتها الدولة ولم تكن أكملت تشكيلاتها الجديدة وتقدمت عسكر الروس فملكت كثيراً من القلاع في الروم إيلي حتى ملكت أدرنة وملكت أرضروم في الأناضول وأخرجت فرنسا عساكرها إلى

مورة واحتلت القلاع الحصينة وألفت حكومة مؤقتة باسم حكومة اليونان، فاضطرت الدولة إلى عقد الصلح على شرط قبول استقلال اليونان وترك بلاد الجركس مع بعض القلاع لروسيا وإعطاء سبع ملايين ذهب غرامة حربية لروسيا، وفي سنة ١٢٤٦ احتلت جيوش فرنسا الجزائر في بلاد الغرب بسبب طفيف وهو مصادرة حسين دايي من متغلبي الجزائر بعض الفرنسيس وحاربها الأمير عبد القادر الحسني الجزائري ١٢ سنة ثم نفته إلى سوريا فتوفي بها.

وكان محمد علي باشا والي مصر ينوي الاستقلال وتملك بلاد العرب فألف الجنود المنظمة وأنشأ أسطولاً حربياً وبعث ابنة إبراهيم باشا فملك عكا من عبد الله باشا الخزندار واليها من قبل الدولة، وملك دمشق واستولى على سوريا كلها بعدها استمال إليه الأمير بشير الشهابي حاكم جبل لبنان فأرسل إليه السلطان محمود حسين باشا في ثلاثين ألف مقاتل فالتقى به بين حلب والشام فهزمه إبراهيم باشا وغنم ذخائره وتقدم حتى وصل صحارى تونية فأرسل إليه جيش آخر بقيادة محمد باشا فهزمه وتقدم حتى وصل كوتاهية فراجع السلطان محمود روسيا وتعاهد معها في ميناء خنكار على أن تمده بجيوشها وأسطولها ويترك لها حرية المرور من البوغاز فأمدته بجيوشها، واضطرت محمد علي إلى سحب عساكره إلى مصر على أن يكون والياً في مصر وصيدا وحلب والشام وولده إبراهيم والياً على كريد علاوة على ولاية جدة التي كانت في عهدته، ولكن محمد علي لم يقنع بذلك وظل دائماً في تعزيز الجنود والتأهب للحرب فأرسلت الدولة حافظ باشا ليراقبه ويصده إذا تعدى الحدود فالتقى جيشه بجيش إبراهيم باشا في نزيب فهزمه إبراهيم؛ وقبل وصول خبر الهزيمة إلى إستانبول توفي السلطان محمود سنة ١٢٥٥ وكان من أعاظم ملوك بني عثمان؛ ويلقب بالعدلي وهو أول من لبس الطربوش والسترة والبنطلون؛ وكان الملوك قبله يلبسون العمائم الكبار في أعلاها الريشة الملوكية والبنشات والأقبية والسراويلات الواسعة، وبعضهم يلبس القلنسوة الطويلة (القاووق) وفي أعلاه أو مقدمة الريشة؛ واستمر من بعده على هذا اللباس إلى آخرهم.

❀ ❀ ❀

(٣٣) السلطان عبد المجيد بن محمود

ملك سنة ١٢٥٥ وعمره ١٨ سنة فاستقبل المسألة المصرية وهي في دورها الحاد وكانت فرنسا تساعد محمد علي باشا وإنكلترة بعكسها لأنها أوجست خيفة من قوة دولته في مصر وبلاد العرب، ولها فيها مطامع وكان مصطفى رشيد باشا سفير لوندار يطلب مساعدتها فاغتنمت الفرصة واتفقت هي وروسيا وبروسيا وأمدوا الدولة بالجيوش والأساطيل وأرجعوا عساكر محمد علي إلى مصر على أن تكون ولاية مصر له ولأولاده بالوراثة باسم خديوي أي نائب، وأن لا يزيد عسكره عن عشرين ألفاً ويساعد الدولة عند اللزوم ويدفع لها كل سنة مبلغاً من المال وألغيت معاهدة ميناء خنكار بمعاونة هذه الدول، وأعلن السلطان منشوراً يتضمن صيانة النفوس والأموال والأعراض لجميع الرعايا من أي مذهب كانوا وأخذ في إصلاح الجندية والبحرية فجعلت روسيا تحدث للدولة المشاكل وتتداخل في شؤونها وساقت جيشها إلى أفلاق وبغدان بدون إعلان حرب، وباغتت الأسطول العثماني في سينوب فأحرقته فاتفقت الدولة مع إنكلترا وفرنسا وإيطاليا على حرب روسيا فملكت سيواستبول في القريم وأحرقت أسطولها فطلبت روسيا الصلح فعقد في باريس على أن تبقى سيواستبول بيد روسيا وتعيد الدولة قلعة القارص التي ملكتها في الأناضول، وأن يكون ملك الدولة مصوناً بكفالة الدول المشتركة وأن تعتبر من الدول المتمدنة وأن تبقى البوغازات مسدودة عن جميع الدول وبعد وفاة رشيد باشا اختلت إدارة الدولة وكثر الإسراف في أموال الخزينة فاتفقت روسيا مع نابليون ملك فرنسا وطلبت من الدولة جعل أفلاق وبغدان إمارة واحدة فلم يسع الدولة إلا القبول، وفي سنة ١٢٦٠ ثار دروز جبل لبنان على المسيحيين المارونيين وسرت الفتنة إلى دمشق فحدث قتل عام على المسيحيين فتداخلت فرنسا باسم حماية الكاثوليك وأخرجت جيشاً إلى سوريا فأرسل الوزير فؤاد باشا لتسكين الفتنة فقتل والي دمشق ونفى بعض الرؤساء وقتل بعض الأشقياء وسجن البعض؛ وأخمد الفتنة وتقرر أن يكون جبل لبنان على الشكل الذي كان عليه قبل الحرب العامة؛ فيعين له متصرف مسيحي برأي الدول السبع مدته ثلاث سنوات، وتدفع له الدولة إعانة سنوية ولا تأخذ منه شيئاً من المال ولا الرجال، ثم ألغيت الإعانة بسعي بعض المتصرفين وفي سنة ١٢٧٧ توفي السلطان عبد المجيد وعمره أربعة وستون سنة؛ وهو الذي عمر الحرم الشريف النبوي على ما هو عليه اليوم.

(٣٤) السلطان عبد العزيز بن محمود

ملك سنة ١٢٧٧ وعمره ٣٢ سنة فقسم المملكة إلى ولايات وألوية وأقضية ومديريات وأحدث مجلس شورى الدولة، وأسس المكتب السلطاني على طراز مكاتب أوروبا واستقرض من أوروبا المال فأصلح به الجندية وعزز الأسطول، حتى صار يعد في الدرجة الثانية بين أساطيل الدول وحدث اختلال في كريد وقره داغ فأصلح بسعي الصدر الأعظم عالي باشا الشهير، وفي سنة ١٢٨٣ سافر السلطان عبد العزيز إلى مصر ومنها الى أوروبا فزار معرض باريز ولوندرة وفينا وكان معه فؤاد باشا الشهير وكانت السياسة الخارجية زمن عالي باشا وفؤاد باشا حسنة جداً لكن بعد وفاتهما فسدت الأحوال وكثر الرشا والاسراف وفي صدارة محمود نديم باشا، صارت الوظائف تباع بالمال وكثرت الثورات في البلاد وثار أهل البوسنة والهرسك وقتلوا كثيراً من المسلمين وامتدت الثورات إلى الجبل الأسود وبلاد الصرب والبلغار وكان سبب توسعها انقياد الدولة إلى سفير روسيا وانخداعها بأقواله وعدم اتخاذها التدابير لقمع الثائرين ثم ثار مسلمو سلانيك وقتلوا قنصلي فرنسا والمانيا بسبب تهريب قنصل ألمانيا بنتاً بلغارية أسلمت، فأرسلت الدول سفنها إلى سلانيك وطلبت تأديب القاتلين وعزل المأمورين الذين تسامحوا بهذه الحادثة فنفذت الدولة مطالبهم فهاجت أفكار الناس في الأستانة لمداخلة الأجانب في شؤون الدولة فتجمع العلماء والطلاب في ميداني الفاتح وبايزيد وطلبوا عزل محمود نديم باشا فعزل، وكان السلطان ألف التبذير والإسراف حتى أثقل كاهل الدولة بالديون ولم يجسر رجال الدولة على معارضته بشيء فقرر الوكلاء خلعه وكان الصدر الأعظم محمد رشدي باشا والسر عسكر حسين عوني باشا وشيخ الإسلام حسن خير الله أفندي وأحاط سليمان باشا ناظر المكتب الحربي قصر السلطان بتلامذة المكتب الحربي من جهة البر، وأمر جنود المدرعة مسعودية بحفظ ناحية البحر وأخذ حسين عوني باشا مراداً إلى دائرة السر عسكرية فبايعه الوزراء ورجال الدولة وأطلقت مدافع الجلوس، فلما سمع السلطان عبد العزيز صوت المدافع لم يسعه إلا التسليم فنقل إلى قصر طوبقبو ثم إلى قصر شراغان بطلب منه، وهناك قطع عروق ساعديه بمقراض أخذه من إحدى جواري القصر فنزف دمه، وتوفي بعد خلعه بستة أيام سنة ١٢٩٣ ومدة سلطنته ١٥ سنة وأربعة أشهر و١٩ يوماً.

(٣٥) السلطان مراد الخامس ابن عبد المجيد

ملك سنة ١٢٩٣ ويوم جلوسه ظهرت عليه علائم الاختلال فكان يعانق الوزراء والخدم الذين يدخلون عليه ثم زاد هذا الحال حتى صار يلقي بنفسه من النافذة ويقفز إلى البركة بأثوابه؛ فشرعوا بمداواته وكتم الوزراء ورجال القصر أمره مدة لكنه شاع أخيراً فقرروا خلعه وأخذوا فتوى من شيخ الإسلام بوجوب خلعه فخلع، وكانت مدة سلطنته ثلاثة أشهر وثلاثة أيام ويقال إنه شفي بعد مدة لكنه ظل مسجوناً في قصر شراغان إلى أن توفي سنة ١٣٢٢، وبعد جلوسه بيومين دخل حسن بك الشركسي من حجاب السلطان عبد العزيز إلى مجلس الوكلاء وأطلق مسدسه على السر عسكر حسين عوني باشا وقتل راشد باشا وجرح أحمد باشا من الوزراء؛ فقبض عليه وقتل شنقاً.

❀ ❀ ❀

(٣٦) السلطان عبد الحميد الثاني ابن عبد المجيد

ملك بعد خلع أخيه مراد سنة ١٢٩٣ وحالة الدولة مضطربة جداً والدول متظاهرة بالحماية للمسيحيين فإنكلترا تظاهر البلغار وروسيا تظاهر صربيا والجبل الأسود وكانت الحكومة ساقت جيشاً لتسكين الثورات التي حدثت في بلاد البلغار والصرب فاستأصل شأفة الثائرين في بلاد الصرب فهزم جموعهم وملك الكسناح المشهورة بمناعة موقعها فاضطر أمير الصرب إلى مراجعة الدول وطلب توسطهن في توقيف الحرب فاضطررن الدولة لتوقيفها إلى ستة أسابيع ثم عقد في الأستانة مؤتمر لحل هذه المشاكل فكانت مقرراته مجحفة بحقوق الدولة فرفضت قبولها فأعلنت روسيا الحرب على الدولة واجتازت عساكرها الطونة فحاصرت بلونه وملكتها من يد الغازي عثمان باشا الشهير ثم تقدمت حتى وصلت أياستفانوس وهو حي من أحياء الأستانة اليوم فمنعت الدول الأجنبية روسيا من دخول الأستانه وعقدت معاهدة أياستفانوس الشهيرة ومقتضاها تأليف دولة كبيرة بلغارية تمتد من الطونة إلى بحر مرمرة فاعترضت إنكلترا وأوستريا على هذه المعاهدة وعقدت معاهدة في برلين على أن تترك أردهان وباطوم والقارص لروسيا وأن تكون البلغار إمارة تابعة للباب العالي ويكون والي الروم إيلي الشرقية مسيحياً وأن تستقل رومانيا وصربيا والجبل الأسود

وترك تساليا لليونان وكان قد أعلن الدستور في الممالك العثمانية لأول مرة بسعي مدحت باشا الشهير الذي كان والياً في بغداد ودمشق ونفاه السلطان عبد الحميد إلى الطائف فمات بها وبعد هذه المعاهدة فض السلطان عبد الحميد مجلس المبعوثين ونفى محبي الإصلاح والحرية واحتلت إنكلترا جزيرة قبرص على أن تدافع عن السواحل العثمانية لدى الحاجة واحتلت فرنسا تونس لسبب طفيف وهو تجاوز إحدى القبائل على أراضيها في الجزائر.

وكان الخديويون في مصر أحدثوا جملة إصلاحات كالقناطر الخيرية والمتحف المصري وغيرهما لكن هذه الأعمال أثقلت كاهلها بالديون فأضحت ماليتها تحت مراقبة الأجانب فألف حزب وطني برئاسة أعرابي باشا لتخليص مصر من الأجانب وجعلها حكومة مستقلة وثاروا على الأجانب فاتفقت إنكلترا وفرنسا وبعثت بأسطولها إلى مياه الإسكندرية فزاد ذلك هياج الثائرين وقتلوا كثيراً من الأجانب ونهبوا بيوتهم فالتجأ بعضهم إلى الأسطول فخرجت عساكره إلى البر وملكت الإسكندرية وأرسل قائده جيشاً من جهة السويس إلى القاهرة فالتقى بجيش أعرابي في التل الكبير وهزمه ثم احتل القاهرة فدخلت مصر في حكم الإنكليز.

وقام رجل في السودان يدعى أحمد محمد وأخذ يدعو الناس إلى محاربة الإنكليز فاجتمع عليه خلق كثير وسمي المتمهدي فأنفذت إليه إنكلترا جيشاً فهزمه ودخل الخرطوم وقتل جيش غوردون باشا عن بكرة أبيه فأنفذت إليه جيشاً آخر جله من العسكر المصري بقيادة اللورد كوتشنر باشا فحاربه ثلاث سنوات وأخرجه من الخرطوم.

واحتلت فرنسا فشوده في وادي النيل فادعت إنكلترا أنها من السودان وبعد جدال طويل كاد يفضي إلى الحرب بين الدولتين أجلت فرنسا عساكرها عنها.

وفي سنة ١٣٠٤ هـ ١٨٨٥ ثار أهل ولاية الروم إيلي الشرقية طالبين الالتحاق بإمارة البلغار فقبضوا على الوالي غاوريل باشا وبعثوه إلى الأستانة ثم أقاموا والياً مكانه أمير البلغار وكانت الدولة تعهدت في معاهدة برلين بإصلاح الولايات التي يقطنها الأرمن ما بين جبال أرارات حتى كليكيا فاشتكى الأرمن إلى الدول أن السلطان لم يف بتعهده وطلبوا مداخلتهم وأظهروا العصيان وأحدثوا ثورة فقتل منهم

كثير وفي سنة ١٣١٥ هـ - ١٨٩٥ م ثار الأرمن من الأستانة فأخمدت ثورتهم بعدها قتلوا بالمئات في شوارع الأستانة وتوالت ثوراتهم في الأناضول والأستانة لكنها لم تأت بالنتيجة التي يتوخونها في جانب سياسة عبد الحميد ودهائه وفي بعض السنين وضعوا قنبلة في الطريق التي يمر بها عبد الحميد في رجوعه من صلاة الجمعة فاتفق أنه تأخر عن الوقت المعين لحديث جرى له مع شيخ الإسلام فثارت القنبلة قبل رجوعه وسلم وفي سنة ١٣١٦ هـ - ١٨٩٦ م أحاطت سفن الدول الأوروبية بجزيرة كريد (أقريطش) وطلبت منحها بعض الامتيازات وجعل واليها مسيحياً على أن تكون أعماله بمراقبة لجنة من الأجانب لكن هذا التدبير لم يكن كافياً لتسكين الثوارت بين المسيحيين والمسلمين وكان قنصل اليونان يعظم الحوادث ويجعلها بصبغة قتل عام للمسيحيين فبعثت حكومته أسطولاً وزحف ولي عهد اليونان على يانية فاشتعلت نار الحرب بين الدولة واليونان وتم الظفر للدولة لكن الدول الأجنبية لم تمكنها من اقتطاف ثمرة هذا الظفر بل كانت النتيجة إخراج عساكر الدولة من كريد ونصب ولي عهد اليونان أميراً عليها تحت حماية روسيا وفرنسا وإنكلترا وإيطاليا وكان السلطان عبد الحميد يدير أمور الملك داخلاً وخارجاً برأيه وإدارته وكان يخاف من أذكياء الرجال فيبعدهم عن الحكم وينفيهم ويدني منه من يوافقونه على أفكاره وكثرت في عهده الجواسيس وفشي الظلم والرشى في جميع طبقات الموظفين حتى صارت الوظائف تباع بالأموال فأصبحت الدولة في حالة يرثى لها والدول الأجنبية فاغرة فاها لابتلاعها وقررت اقتسامها في ملاقاة روال فتألفت الجمعيات السرية ضد حكومة عبد الحميد كجمعيات (تركيا الفتاة) التي سميت أخيراً (جمعية الاتحاد والترقي) وكان ابتداؤها سنة ١٢٩٦ هـ - ١٨٧٨ م حين أوقف عبد الحميد الدستور فتفرق أنصار الدستور في أوروبا ثم اجتمعوا سنة ١٣٠٩ هـ - ١٨٩١ م في مدينة جنيف بسويسرا ثم اجتمعوا سنة ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م في باريس وقرروا وجوب الابتداء بالعمل لقلب حكومة عبد الحميد فثارت الجمعية في مناستر بمعاضدة الجيش وكان المدير للثورة القول آغاسي نيازي بك الذي قتل بعد ذلك بمدة قليلة والبيكباشي أنور بك الذي صار وزير الحربية وقتل في تركستان في ساحة القتال وهو ينازل جيوش روسيا وقد انفلت عساكره فآثر البقاء في ساحة القتال يقاتل كجندي حتى قتل وطلعت باشا الذي قتله أرمني في سويسرا بعد انتهاء الحرب وكان هرب

إليها وجمال باشا الذي اغتالته عصابة أرمنية في القفقاس فخاف السلطان وأعلن الدستور للمرة الثانية بطلب الجمعية في ١٠ تموز سنة ١٣٢٤ مالية و ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م وجمع مجلس المبعوثين وفيها أعلنت النمسا ضم ولايتي البوسنة والهرسك إليها وأعلن البلغاريون استقلالهم ولم تكن الدولة في حالة يمكنها معها الحرب فلم يسعها إلا القبول بذلك لقاء أموال قبضتها من النمسا والبلغار وأخذ عبد الحميد يعمل سراً على تدمير الجمعية فحرض العساكر على العصيان وثاروا مطالبين بتنفيذ أحكام الشرعية وقتلوا بعض منتسبي الجمعية وأصبحت الأستانة في هرج ومرج فزحف جيش الروم إيلي إلى الأستانة بقيادة محمود شوكت باشا قائد الفيلق الثالث فدخلها في ١١ نسيان وأعلن الإدارة العرفية وشنق كثيراً من مثيري الفتنة وخلع السلطان عبد الحميد بفتوى من شيخ الإسلام وتصديق مجلس المبعوثين وأعلن الإدارة العرفية في ٧ ربيع الثاني سنة ١٣٢٧ هـ و ٢٧ نيسان ١٩٠٩ م وصارت الجمعية هي الكل في الكل وكان عبد الحميد في هذه المدة كالمحصور في قصره حتى اضطر أن يتغذى بحشائش الحديقة ثم نفي إلى سلانيك وحجر عليه في قصر الجيش وعندما وقعت الحرب البلقانية نقل من سلانيك إلى إستانبول خشية أن يستولي الأعداء على سلانيك فيقع في يدهم وبقي في إستانبول حتى توفي فيها سنة ١٣٣٢ مالية الموافقة سنة ١٣٣٤ هـ .

۞ ۞ ۞

(٣٧) السلطان محمد رشاد بن عبد المجيد

ملك بعد خلع أخيه عبد الحميد سنة ١٣٢٧ هـ باسم (محمد الخامس) وكان ضعيفاً مستضعفاً ليس له مع جمعية الاتحاد والترقي أمر ولا نهي وليس له وظيفة غير التوقيع على ما يقدم إليه من الأوراق وفي ٢٦ أيلول سنة ١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م أنزلت إيطاليا جنودها على سواحل طرابلس الغرب وبدأت بأعمالها الحربية للاستيلاء على هذه الولاية فدافع العرب والأتراك عنها وجرى بين الإيطاليين وأهلها حروب في الداخل بقيادة بعض ضباط الترك الذين تسللوا إليها خفية حتى ضايقوا الايطاليين فجاء أسطولهم إلى بيروت وضرب عليها القنابل وأغرق السفينة الحربية الصغيرة والتوربيل العثمانيين وقتل من فيهما من الجند بعد ما طلب منهم التسليم فأبوا وفي

معاهدة لوزان سنة ١٣٣٠ - هـ ١٩١٢ م أرغموا على التنازل عنها لإيطاليا بسبب حرب البلقان وهال دول البلقان نهضة العثمانيين فوطنت النفس على تحرير الشعوب البلقانية قبل أن يشتد ساعد العثمانيين فتناست الأحقاد وألفت حلفاً في صيف ١٣٣٠هـ - ١٩١٢ م ضد العثمانيين وما جاء الخريف حتى كان البلقان بأسرهِ شعلة نار وفي تشرين الأول سنة ١٣٣١ هـ - ١٩١٣ م استولى اليونانيون على سلانيك وأهانوا الضباط العثمانيين الذين وقعوا في أسرهم أعظم الإهانة وكان قائدها قد قصر في الدفاع وفي شباط من هذه السنة سقطت أدرنة ويانية بعد دفاع مجيد وحوصرت أدرنة مدة طويلة أظهر فيها قائدها (شكري باشا) غاية الشجاعة والبسالة والتدبير حتى فقد القوت فدخلها ملك البلغار بجنوده ووضعت أسلحة العثمانيين على الأرض ومشي فوقها ووقع شكري باشا في أسرهِ وسلمه سيفه بيده وفعل فيها البلغاريون فظائع كثيرة من القتل والنهب والتعدي على الأعراض ونبش قبور ملوك العثمانيين وفي فتحها يقول شوقي شاعر مصر من قصيدة عصماء:

يا أخت أندلس عليك سلام ... هوت الخلافة عنك والإسلام
بكما أصيب المسلمون وفيكما ... دفن اليراع وغيب الصمصام
بالأمس إفريقيا تولت وانقضى ... ملك على جيد الخضم جسام
واليوم حكم الله في مقدونيا ... لا نقض فيه لنا ولا إبرام
علم الزمان مكان (شكري) وانتهى ... شكر الزمان إليه والإعظام

وكان النصر المتاح لدول البلقان أوقع الشقاق فيما بينهم لاختلافهم على اقتسام الغنيمة فانقضت بلغاريا على حليفاتها ودخلت رومانيا ضدها ودارت الدائرة على بلغاريا وفي هذه الفرصة استجمع العثمانيون قواهم واسترجعوا أراضيهم في شرق ووسط (تركية) ومنها (أدرنة) بقيادة أنور بك الذي صار بعد ذلك (أنور باشا) وفي أواخر تموز سنة ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م ابتدأت الحرب العامة بين ألمانيا من طرف وإنكلترا وفرنسا من طرف ودخلت الدولة العثمانية مع ألمانيا ثم دخلت أمريكا مع إنكلترا وانتهت في خريف ١٣٣٦ هـ - ١٩١٨ م بعد ما دامت أربع سنوات وشهوراً بانكسار ألمانيا وضياع جل المملكة العثمانية ووقَّعت ألمانيا على معاهدة الصلح نهائياً في ٢٨ حزيران سنة ١٩١٨ ومن غرائب الاتفاق إن اسم القائد العام لجيش ألمانيا وحلفائها (هيند نبرغ) يوافق بحساب الجمل تاريخ مبدأ الحرب العامة

بالهجري ١٣٣١ وفرض على ألمانيا غرامة حربية قدرها خمس مليارات ونصف مليار جنيه إنكليزي (والمليار ألف مليون) وكانت الناس تؤمل خيراً من انتقال الحكم من الشكل الاستبدادي إلى الشوروي حتى أن جمعية الاتحاد والترقي نقشت على النقود اليكلية في عهد محمد رشاد هذه الكلمات الثلاث (حرية عدالة مساواة) ولكن النتيجة كانت ضياع المملكة واقتسام الدول أكثرها وتوفي السلطان محمد رشاد في أواخر الحرب العامة سنة ١٣٣٦ هـ.

❀ ❀ ❀

(٣٨) الأمير يوسف عز الدين بن عبد العزيز

وكان ولي عهد السلطنة بعد محمد رشاد الأمير يوسف عز الدين بن عبد العزيز وكان شهماً غيوراً على الدولة كارهاً للإتحاديين وسياستهم التي يرى فيها خراب الدولة وتمزقها وقد توفي في أوائل الحرب الكبرى سنة ١٣٣٣ هـ منتحراً بقطع عروق ذراعيه حتى نزف دمه كما جرى لأبيه وشاع يومئذ أن للاتحاديين هم الذين قتلوه سراً وأشاعوا انتحاره كما شاع أن غيرهم قتلوا أباه وأشاعوا انتحاره وادعى الاتحاديون أنه أصابه جنون فقتل نفسه ونشروا تقارير طبية تفيد أنه انتحر انتحاراً والله أعلم.

❀ ❀ ❀

(٣٩) السلطان وحيد الدين بن عبد العزيز

ملك سنة ١٣٣٤ مالية ١٣٣٦هـ في أثناء الحرب العامة وانتهت الحرب بانكسار الدولة العثمانية وضياع معظم ولاياتها واحتلال دول الخلفاء للقسطنطينية مما آل إلى عقد معاهدة سيفر التى تقضي بتجزئة ما بقي من تركيا ووضع البلاد التركية تحت الانتداب الإنكليزي تقريباً ووقع هذه المعاهدة السلطان وحيد الدين وثار في الأناضول على أثر ذلك مصطفى كمال باشا فجعل وحيد الدين يرسل إليه ينهاه عن ذلك حتى أصدر أمراً في حقهم بأنهم خوارج عصاة يجب جهادهم فلم يصغوا إلى ذلك وطحنت الجنود الكمالية جيوش اليونان وتغلب على من ناوأها ودخل مصطفى كمال الأستانة ظافراً وفر السلطان وحيد الدين على باخرة إنكليزية إلى مالطة ثم دعاه الملك حسين بن علي ملك الحجاز يومئذٍ إلى مكة فسار إليها وطلب منه البقاء فيها

فأبى وذهب إلى روما عاصمة إيطاليا وبقي فيها حتى وافاه أجله في ذي الحجة سنة ١٣٤٤هـ وبوصية منه نقل نقل إلى دمشق فدفن في غرفة من تكية السلطان سليمان وأبى صاحب الفندق تسليم جنازته حتى يقبض ماله عليه من الديون فدفعها عنه الملك حسين بن علي.

❀ ❀ ❀

(٤٠) السلطان عبد المجيد الثاني ابن عبد العزيز

أقيم في الخلافة في ربيع الثاني سنة ١٣٤١ وانتزع منه مصطفى كمال وحزبه السلطة الزمنية وحصروا فيه السلطة الدينية ثم قرروا إلغاء الخلافة وطرد آل عثمان عامة من البلاد التركية فنزح السلطان عبد المجيد إلى إحدى مدن سويسرا ولم يزل في قيد الحياة وانقرضت سلطنة آل عثمان بعدما بقي الملك في أيديهم زيادة على سبعمائة سنة كما نزح جميع أفراد هذه الأسرة إلى أنحاء العالم في ضنك وضيق من العيش وتعاطي بعضهم المهن السافلة كالحوذية وغيرها بعدما كانوا أمراء وملوكاً فسبحان من لا يدوم إلا ملكه انتهى الكلام عن الدولة العثمانية.

وقامت بعدها في تركيا (الدولة الكمالية) وجعلت جمهورية ورئيسها مصطفى كمال باشا لكن رئاسته غير محدودة الأجل فحكم على جميع الرعايا بلبس القبعة الإفرنجية ومنع لبس العمائم إلا لأفراد قليلين بموجب وثيقة وألغى الحروف العربية وأبدلها باللاتينية وبدل الأحكام الإسلامية ورخص للنساء بالسفور والدخول في وظائف الحكومة وأعمال الرجال وفي هذه الأيام ذكرت الجرائد دخول إحداهن في أعمال البوليس فثارت عليه الأكراد في جوار إيران ثورة عظيمة كبدته خسائر باهظة في المال والرجال حتى أخمدها فسبحان مقلب الأحوال ومبدل الدول وفي هذه الأيام سنة ١٣٤٩ ثار على الكماليين جماعة من أهل الدين في بلد في الأناضول تسمى منمن وقتلوا بعض الضباط فقبضوا على ثمان وعشرين شخصاً منهم وأعدموهم شنقاً عدا واحد تمكن من الهرب ثم قبض عليه وبينهم شيخ كبير خائر القوى وآخر إسرائيلي متهم بأنه كان يشجعهم على الفتك بالضابط.

❀ ❀ ❀

استدراك

عندما كتبنا تاريخ الخلفاء العباسيين بمصر احتملنا حصول سقط بين المتوكل الثاني والمتوكل الثالث ثم علمنا بعد طبع ما كتبناه أنه سقط بينهما اسم رجل واحد وعثرنا على بعض التفصيل لما أجملناه من تاريخ أواخرهم فأحببنا سرد أسمائهم ثانياً إجمالاً وآخرهم بالتفصيل الذي وجدناه هكذا.

(١) المستنصر أحمد بن الظاهر بن الناصر بويع سنة ٦٥٩ ثم قتل، (٢) الحاكم الأول أحمد بن أبي بكر من نسل المسترشد بويع سنة ٦٦٠ وتوفي سنة ٧٠١، (٣) المستكفي سليمان بن أحمد بويع سنة ٧٠١ وتوفي سنة ٧٤٠، (٤) الواثق إبراهيم بن محمد بويع سنة ٧٤٠ وخلع سنة ٧٤٢، (٥) الحاكم الثاني أحمد بن المستكفي بويع سنة ٧٤٢ وتوفي سنة ٧٥٣، (٦) المعتضد العباس بن المستكفي بويع سنة ٧٥٣ وتوفي سنة ٧٦٣، (٧) الحاكم الثالث عبد الله بن المستكفي بويع سنة ٧٦٣ وتوفي هذه السنة، (٨) المتوكل الأول محمد بن المعتضد بويع سنة ٧٦٣ وسجن سنة ٧٨٥ وتوفي سنة ٨٠٨، (٩) عمر بن الواثق بويع سنة ٧٨٥ وتوفي سنة ٧٨٨، (١٠) المعتصم بويع سنة ٧٨٨ وتوفي سنة ٨٠٨، (١١) المستعين العباس بن محمد بويع سنة ٨٠٨ وخلع سنة ٨١٨ وتوفي سنة ٨٣٣، (١٢) المعتضد بالله أبو الفتح داود بن محمد بويع سنة ٨١٨ وتوفي سنة ٨٤٦، (١٣) المستكفي الثاني أبو الربيع سليمان بن محمد ولد سنة ٧٩٢ وبويع سنة ٨٤٦ وتوفي ٨٥٤، (١٤) القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة بن المتوكل على الله محمد بويع له بالقاهرة سنة ٨٥٤ فأقام ٤٢ يوماً واختلف مع الملك الأشرف فانصرف إلى الإسكندرية خالعاً نفسه من الخلافة إلى أن توفي فيها سنة ٨٦٣، (١٥) المتوكل على الله الثاني عبد العزيز بن يعقوب ولد سنة ٨١٩ وبويع سنة ٨٨٤ وتوفي سنة ٩١٣، (١٦) المستمسك بالله أبو الصبر يعقوب بن عبد العزيز بن يعقوب بويع ٩١٣ وتوفي سنة ٩٢٧، (١٧) المتوكل على الله الثالث محمد بن يعقوب بن عبد العزيز بويع في حياة أبيه ولما دخل السلطان سليم العثماني إلى مصر سنة ٩٢٣ قبض عليه وأخذه إلى الأستانة ثم أطلقه قبيل وفاته فعاد إلى مصر وأجرى له كل يوم ستين درهماً حتى توفي بمصر سنة ٩٤٥.

خامساً
ملوك إيران من أوائل القرن العاشر الهجري إلى اليوم[١]

وبلاد إيران منسوبة إلى إيران بن أشور بن سام بن نوح عليه السلام؛ كما عن كتاب قلائد الجمان.



الدولة الصفوية

هذه دولة بلغت في القوة والعظمة درجة عالية ونشرت العلوم وأكرمت العلماء وهذه أسماء ملوكها ومختصر تاريخها.

❀ ❀ ❀

(١) الشاه إسماعيل الأول

ابن السلطان حيدر بن جنيد ابن السلطان الشيخ صدر الدين بن إبراهيم ابن السلطان خواجه علي ابن الشيخ صدر الدين موسى ابن السلطان الشيخ صفي الدين إسحاق ابن الشيخ أمين الدين جبريل ابن السيد صالح ابن السيد قطب الدين أحمد ابن السيد صلاح الدين رشيد ابن السيد محمد الحافظ كلام الله ابن السيد عوض الخواص ابن السيد فيروز شاه درين كلاه ابن محمد شرف شاه ابن محمد بن أبي حسن بن محمد بن إبراهيم بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن أحمد العراقي بن محمد قاسم بن أبي القاسم حمزة ابن الإمام موسى الكاظم ابن الإمام

(١) وهو لغاية التاريخ الذي عاشه المؤلف رحمه الله وأنهى فيه هذا الكتاب.

جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام علي زين العابدين ابن الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين. والشاه إسماعيل أول الملوك الصفوية وموطد دولتهم ولم يكن آباؤه من السلاطين لكنهم كانوا من مشايخ الصوفية والعرفاء فلقبوا بلقب سلطان لذلك وجلس حيدر على سجادة الخلافة بعد أبيه وكثر أتباعه حتى ألبسوه التاج المحتوي على اثنتي عشرة تركيبة إشارة إلى مذهب الاثني عشرية وخاطبوه بالسلطان كآبائه وظهرت دولتهم بعد وفاة حسن الطويل ملك تبريز، وهم من أهل أردبيل ونسبتهم إلى جدهم صفي الدين المذكور وبعضهم يقول إن مؤسس دولتهم هو السلطان حيدر ثم خلفه أولاده لكن المؤرخين يعدون أولهم الشاه إسماعيل لأن قوة الدولة كانت في زمانه.

ولد في رجب سنة ٨٩٢ وجلس على تخت الملك سنة ٩٠٦هـ وهو الذي أظهر مذهب الإمامية في إيران وأمر بقول حي على خير العمل في الأذان، وكان يفتخر بترويج مذهب الإمامية وتأييده حتى أنه أمر بنقش هذا البيت على السكة:

زمشرق تابمغرب كرامام است علي وآل او مارا تمامست

ومعناه لو كان كل الناس من المشرق إلى المغرب أئمة كفانا منهم علي وآله؛ وقد نظمته فقلت:

لو كل من في الخافقين أئمة لكفى علي عن أولادك وآله

وبعض الطاعنين على مذهب الإمامية نسبوا ظهور هذا المذهب إليه، وقالوا في تاريخ جلوسه (مذهب ناحق) ونا حرف نفي في اللغة الفارسية، وقالت الإمامية فيه (مذهبنا حق) وحروفهما بحساب الجمل تبلغ ٩٠٦ وهو تاريخ جلوسه وتوفي سنة ٩٣٠ وقيل ٣١ في تبريز ودفن في مقبرة جده صفي الدين بأردبيل ومدة ملكه ٢٤ سنة.

❀ ❀ ❀

(٢) الشاه طهماسب بن إسماعيل

وله يوم الأربعاء في ٢٨ ذي الحجة سنة ٩١٩ في قرية شهاب أباد من أعمال أصبهان، وملك في ١٩ رجب سنة ٩٣٠ بعد وفاة أبيه باتفاق أركان الدولة؛ وتوفي عاشر صفر سنة ٩٨٤ ومدة ملكه أربع وخمسون سنة.

(٣) الشاه إسماعيل الثاني ابن طهماسب

وكان على عهد أبيه طهماسب محبوساً في قلعة (كنك) ولما مات طهماسب خلف عدة أولاد منهم حيدر وإسماعيل ميرزا[1] وكانت طائفة (أستاجلو) وبعض الأمراء راغبين في تعيين سلطان حيدر وكان قد تصرف بالبلاط والخزائن وسمى نفسه بالسلطان ومالت طائفة (أفشار) والجراكسة (وبريجان خانم) زوجة طهماسب إلى إسماعيل ووافقها حراس القلعة التي هو فيها وفي أثناء هذا الخلاف قتل حيدر ميرزا وخرج إسماعيل ميرزا من القلعة التي كان محبوساً فيها وفي ٢٢ صفر سنة ٩٨٤ وفي ١٦ ربيع الأول نزل في حدود قزوين وكانت دار الملك وفي ٢٠ منه دخل البلاط وفي ٢٤ جلس على سرير الملك وفي ٢٣ من شهر رمضان مات فجأة ومدة ملكه سنة وثلاثة أشهر.

❀ ❀ ❀



(٤) الشاه محمد خدابنده بن طهماسب

ولد في ٢٩ جمادى الثانية سنة ٩٣٨ وملك في ٢٥ من شهر رمضان سنة ٩٨٥ في شيراز، ودخل قزوين خامس ذي الحجة من هذه السنة وكان ولده عباس ميرزا في هراة فطلبه خدابنده من هراة فاتفق أمراء خراسان (وهراة من توابع خراسان) على رد طلبه وإبقاء عباس ميرزا عندهم وفي سنة ٩٨٦ عزل ميرزا سليمان الوزير أكثر أمراء خراسان الذين امتنعوا عن تسليم عباس ميرزا وأرسل غيرهم إلى خراسان فمنعهم الأمراء السابقون عن دخولها، وفي سنة ٩٨٨ ثار مرشد قلي خان وعلي خان من أمراء خراسان وحاصرا هراة ثم حاصرا نيسابور ومعهما عباس ميرزا فأجلساه على سرير الملك وجرت له وقائع بعد ذلك مع أبيه بنجدة من أمراء خراسان، وفي آخر الأمر توجه مرشد قلي خان سنة ٩٩٥ أو ٩٩٦ بعباس ميرزا إلى قزوين وفتحها بعد حرب شديدة انهزم فيها الشاه محمد خدابنده ولم يوقف له على أثر. (ومدة ملكه عشر سنوات منها أيام الثورة ومشاركة ولده له في الملك نحو سبع سنوات).

❀ ❀ ❀

---

(١) لفظة ميرزا عند الفرس بمنزلة أفندي عند الترك كان يلقب بها أبناء الملوك وأصل معناها الكاتب المؤلف.

(٥) الشاه عباس الأول ابن خدابنده بن طهماسب

أمه من السادات المرعشية ملوك طبرستان ولد ليلة الاثنين غرة شهر رمضان سنة ٩٧٩ في هراة، وكان جلوسه الرسمي واستقلاله بالملك سنة ٩٩٦ وقيل فيه.

برمسند خاقاني زد تكيه شه إيران تاريخ جلوسش شد (عباس بها درخان)

وترجمته: اتكأ على مسند الملك شاه إيران تاريخ جلوسه (عباس بهادر خان) ٩٩٦ وهو أعظم الملوك الصفوية سياسة وأكثرهم فتحاً وأخلدهم آثاراً ولي ملك إيران وهو فتى وكان الضعف قد سرى في عروق الدولة، واختلت أحوالها واستولى السلطان سليم الثاني العثماني على كثير من بلاد العجم وعاث الأوزبك في أطراف البلاد فصرف همه إلى إصلاح الخلل فصالح الدولة العثمانية وصافاها، ثم انثنى إلى كبح جماح الأوزبكية ففاز عليهم.

(قال المحبي) في خلاصة الأثر كان والده أعمى واستولت الأمراء في أيامه على المملكة واقتسموها فقتل منهم واستقل بالأمر وكان أولاً يداري آل عثمان ويرسل ابن أخيه حيدراً إليهم بالهدايا إلى أن مات أوزبك خان ملك الأوزبك وولده عبد المؤمن سنة ١٠١٠، وكان ملوك الأوزبك أخذوا بلاداً من خراسان فاستخلصها منهم؛ ثم توجه لاستخلاص ما بيد آل عثمان لما وقع الاختلال بسبب الجلالية الذين ظهروا في زمن السلطان أحمد فحاصر تبريز ورِوان واستولى عليهما؛ ثم ملك قندهار وخوارزم وكيلان وسجستان ثلاثاً وأربعين سنة وكان قوي الجأش حسن التدبير وملك بغداد من العثمانيين سنة ١٠٣٢ وبقيت في يده إلى سنة ١٠٤٨ فأخذها منه السلطان مراد.

ومن ذلك العهد بقيت مملكة إيران على حدودها في زمن الشاه إسماعيل وخدمه إجلاء العلماء في مناصبه وله في سياسة الرعية والرعاية لجانبهم والذب عنهم وإكرام التجار الواردين إلى بلاده من أهل السنة أحوال مستفيضة شائعة، وبالجملة لم يجيء من سلسلتهم مثله انتهى مخلصاً. وكان مع كثرة حروبه ومغازيه لا يقعده شيء عن إقامة شعائر دينه وله آثار باقية في مشاهد الأئمة الاثني عشر بالعراق وإيران وهو الذي بنى الحضرة الشريفة بالنجف وصحنها وحجره بالكاشي على الهيئة التي هي عليها اليوم، وله في خزائنها التحف الثمينة والنهر المعروف في عصرنا ظاهر النجف

بنهر الشاه من آثاره أمر بحفره سنة ١٠٣٢ بعد فتحه بغداد؛ وكان سوق العلم بأصبهان في عصره في رواج عظيم وكان يصدر عن رأي المحقق السيد الداماد والشيخ بهاء الدين العاملي في خطير الأمور وحقيرها؛ وألف البهائي كثيراً من الكتب باسمه كالجامع العباسي وغيره وفي سنة ١٠٣٧ أوصى بولاية العهد إلى حفيده صفي ميرزا ابن سام وفيها اعتل مزاجه أياماً قلائل وتوفي ليلة الخميس في ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٠٣٨ بأصفهان؛ ونقلت جنازته إلى اردبيل فدفن فيها في ٢٣ جمادى الثانية وعمره ٥٩ سنة.

❀ ❀ ❀

(٦) الشاه صفي بن سام ميرزا ابن الشاه عباس الأول

ولي الملك في جمادى الآخرة سنة ١٠٣٨ وخطب باسمه السيد محمد باقر الداماد وكانت مدة ملكه ١٣ سنة وستة أشهر، ووفاته في قاشان سنة ١٠٥٢، وحمل تابوته إلى المشهد في قم فدفن فيه، وكان حازماً عالماً بتدبير الملك خبيراً بأوضاع السياسة.

❀ ❀ ❀

(٧) الشاه عباس الثاني ابن الشاه صفي

تملك في ١٦ صفر سنة ١٠٥٣ بعد وفاة أبيه في قاشان وعمره تسع سنين، وكان شجاعاً مقداماً عارفاً بتدبير شؤون الملك مكرماً للعلماء وقد أمر المولى خليل القزويني بشرح كتاب الكافي للكليني بالفارسية، والمولى محمد تقي المجلسي بشرح كتاب من لا يحضره الفقيه وأحضر المولى محسن الكاشي وألزمه بإقامة الجمعة والجماعة واقتدى به ومات سنة ١٠٧٧ بدامغان، ونقل تابوته إلى مشهد قم فدفن فيه ومدة ملكه ٢٥سنة وأيام.

❀ ❀ ❀

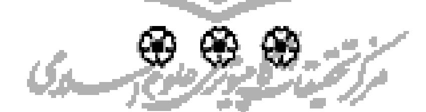
(٨) الشاه سليمان ابن الشاه عباس الثاني

ولي الملك في ١٢ شعبان سنة ١٠٧٨، وخطب باسمه العلامة أقا حسين

الخوانساري ومات سنة ١١٠٥ وكان حازماً بصيراً بالسياسة وتدبير الملك، من عيون وزرائه شيخ علي خان زنكنة[١] وميرزا محمد طاهر القزويني المتخلص بالوحيدي.

(٩) السلطان حسين ابن الشاه سليمان

وهو آخر الملوك الصفوية، وولده طهماسب وإن عرف بالسلطان بعده إلا أنه كان آلة الانقلاب الذي دبره نادر شاه. ولي الشاه حسين سنة ١١٠٥ برغبة من كبار الأمراء وكان الضعف قد سرى في عروق المملكة، واستبد الأمراء ومالوا إلى السرف والترف وألقيت مقاليد الأمور إلى غير أهلها وكثر الشغب والاختلال، وشعرت رجال الأفغان بذلك فدبرت وسائل الثورة والاستيلاء على عاصمة الملك أصبهان ومحوا الدولة الصفوية؛ وكذلك كان فقد فتحوا أصفهان عاصمة الملك وفعلوا فيها الأفاعيل؛ وقتلوا الشاه حسين وعاثوا فساداً في بلاد إيران، والذي استخلصها منهم هو نادر شاه وقد تنازل السلطان حسين عن السلطنة صبيحة الجمعة ١٢ المحرم سنة ١١٣٥؛ وقتل سنة ١١٣٩هـ وحمل تابوته إلى مشهد قم فدفن فيه.



(١٠) الشاه طهماسب الثاني ابن السلطان حسين

ولي عهد السلطنة سنة ١١٢٤ وكان الملك علي عهده في قلاقل، والأمور بيد الأفغان وكان الناصر له فتحعلي خان قاجار نائب السلطنة وندرقلي إفشار الملقب بطهماسب قلي خان أي عبد طهماسب، وكان ندرقلي على مرحلة بعيدة من الذكاء والشجاعة أسر في نفسه تبديل السلطنة والاستيلاء على ممالك الصفوية ورأى العقبة الكؤود في طريق أعمال سياسته بذلك فتحعلي خان قاجار، فتقرب إلى طهماسب وسعى بفتحعلي خان عنده حتى قتله في طريق خراسان في ثاني عشر المحرم سنة ١١٣٩، وفتح مشهد الرضا وغالب نواحيه على يد ندر قلي، وبعد زمان قصير سعى في خلع طهماسب وحبسه في المشهد الرضوي تحت نظارة رضا قلي بن طهماسب قلي خان أفشار، ونقل اسم السلطنة إلى عباس ميرزا ابن طهماسب وجعل الخطبة

---

(١) اسم قبيلة.

والسكة باسمه وكان طفلاً رضيعاً؛ وبعد ثلاث سنين وشهور غير السكة والخطبة إلى اسمه واستقل بالملك وبقي طهماسب مسجوناً في المشهد إلى حين توجه نادر لفتح بلاد الهند فأمر بقتله؛ ومدة ملكه عشر سنين وبذلك انقرضت الدولة الصفوية.



الدولة الافشارية

(١) نادر شاه افشار

هو الفاتح الشهير المعروف لدى علماء الغرب بنابليون الشرق؛ وكان اسمه الأصلي ندرقلي بك ابن أمامقلي، ولد سنة ١١٠٠ وكان من شأنه في قتل فتحعلي خان وفتحه المشهد وخلعه طهماسب واستقلاله بالملك ما تقدم ذكره. جلس على أريكة السلطنة ولبس تاجها يوم الخميس الرابع والعشرين من شوال سنة ١١٤٨ وطبع على أحد الوجهين من سكته (نادر إيران زمين وخسروكيتي ستان) وترجمته (نادر إيران هو الملك الفاتح للعالم) وعلى ثانيهما (الخير فيما وقع) وهو تاريخ جلوسه؛ لأن حروفها تبلغ بحساب الجمل ١١٤٨ وجعل أعداؤه التاريخ (لا خير فيما وقع)؛ وقد كثرت فتوحاته وبلغت إلى بلاد الهند والسند وكان متيقظاً في سياسته لتوطيد الملك حميد السيرة، وامتد ملكه شمالاً إلى نهر (جيحون) وشرقاً إلى نهر (أتك) هو مع ذلك لا يفتأ عن إعلاء كلمة الشيعة وإقامة شعار المذهب كما هو مدون في عامة الكتب؛ فإنه لما انتصر على العثمانيين حوالي إيران عقد الصلح معهم على مواد (منها) إعلان الدولة العثمانية رسمية المذهب الجعفري كالمذاهب الأربعة، وبناء ركن خاص له في مكة (ومنها) حماية الحاج الفارسي في طريق مكة، وإنما نقض العثمانيون المادة الأولى؛ (ومن آثاره) عمارة المشهد الرضوي وتذهيب القبة المرتضوية في النجف. (قتل) ليلة السبت في جمادى الأولى سنة ١١٦٠ ودفن في المشهد الرضوي في محل يعرف اليوم بباغ نادري قرب الصحن الشريف.

❀ ❀ ❀

(٢) عادل شاه أفشار

واسمه علي قلي خان جلس على تخت السلطنة سنة ١١٦٠؛ وقتل سنة ١١٦٢ تقريباً وكان من الأمراء في عصر نادر.

❀ ❀ ❀

(٣) أخوه إبراهيم شاه

وكان حاكم العراق العربي؛ فخرج على أخيه وادعى السلطنة وتغلب على آذربيجان وقتل أخاه عادل شاه في خراسان وتوفي هو أيضاً في تلك السنة.

❀ ❀ ❀

(٤) الشاه سليمان

جلس على سرير السلطنة سنة ١١٦٣ ولم يملك إلا أربعين يوماً.

❀ ❀ ❀

(٥) الشاه رخ بن رضا قلي بن نادر شاه

تولى السلطنة سنة ١١٦٣ وتوفي سنة ١٢٦٠.

❀ ❀ ❀

(٦) نادر ميرزا ابن الشاه رخ

ولي السلطنة سنة ١٢١٠ وتوفي سنة ١٢١٨؛ ومدة ملكه ثمان سنين وانقرضت الدولة الإفشارية وظهرت بعدها:

الدولة الزندية

(١) كريمخان الوكيل ابن ايناق الزندي

وهو من قواد نادر، وكان أيام ولاية أبي الفتح خان البختياري على أصبهان من قبل الشاه رخ حفيد نادر شاه اتفق مع مراد خان البختياري وقهرا بالفتح بعد حروب جرت بينهما ودعا بالسلطنة إلى ميرزا أبي تراب من أسباط الشاه حسين الصفوي، وسماه الشاه إسماعيل الصفوي اقتداء بسنة نادر حيث دعا إلى طهماسب وابنه عباس ريثما يطمئن خاطره من امتلاك أزمة الأمور ثم تغلب وجرت بينه وبين محمد حسن خان قاجار وقائع عظيمة انتهت إلى قتل محمد حسن خان سنة ١١٧٢، فاستقل كريمخان سنة ١١٧٣ بالعراق العجمي وفارس وطبرستان وكثير من بلاد إيران وتوفي ثالث صفر سنة ١١٩٣ وكثر اختلاف الأمراء بعده وبقي جسده ثلاثة أيام على وجه الأرض لم يدفن حتي تسلط زكي خان الزندي فأمر بمواراته، وكانت مدة سلطنته في فارس والعراقين وآذربيجان ثلاثين سنة وثمانية أشهر وثلاثة أيام، وكان حميد السيرة متواضعاً في رعاياه سمى نفسه عندهم بالوكيل ولم يلزمهم بالقيام بواجبات الآداب السلطانية.



(٢) زكي خان الزندي

ملك على أثر موت كريمخان وسعى بنشر الأمن في الري وقزوين ومازندران وعظمت سطوته في قلوب رعاياه خصوصاً أهل شيراز فكانوا تحت إطاعة أوامره إلى أن قتل في طريق أصبهان غيلة سنة ١١٩٤.

✿ ✿ ✿

(٣) صادق خان الزندي أخو كريمخان

ملك بعده وكان نفوذ كلمة الزندية عاد إلى التقهقر بظهور أقا محمد خان قاجار واستيلائه على شمال إيران وخالف على صادق خان مراد خان واستمر الخلاف بينهما إلى سنة ١١٩٩ وانتهى بقتل صادق خان فقام مقامه ابنه.

(٤) جعفر خان الزندي

وجرت له عدة حروب مع أقا محمد خان قاجار ثم قتله أصحابه سنة ١٢٠٣ وحل مكانه.

❊ ❊ ❊

(٥) لطفعلي خان بن جعفر خان الزندي

وكان مقداماً شجاعاً ذا رأي ودهاء وجرت بينه وبين آغا محمد خان قاجار محاربات انتهت إلى قتل لطفعلي خان سنة ١٢٠٩ وبه انقرضت دولة الزندية.



الدولة القاجارية

(١) آغا محمد خان بن محمد حسن خان بن فتحعلي خان قاجار

أول ملوك القاجارية وموطد أركان دولتهم كان على مرحلة بعيدة في الدهاء والبسالة وكان على عهد كريمخان الزندي محبوساً في شيراز فكان وهو محبوس يطالع الكتب ويتعرف أحوال الدول وعظماء الرجال وكان كريمخان يعظمه ويستشيره في مهام الأمور وبعد وفاة كريم خان فر من سجن شيراز مع سبعة عشر نفراً كانوا معه في السجن وعمره إذ ذاك ٣٦ سنة ودخل أصبهان في اليوم الثالث ثم مضى إلى طهران فمازندران وصادف في طريقه إلى مازندران أموالاً مرسلة إلى شيراز فأخذها والتحق به جمع من القاجارية وخرج عليه بعض إخوته وبقي يحاربهم أربع سنوات والظفر حليفه ثم جمع جنوده ودخل العراق العجمي وملك قاشان وأصبهان ثم عاد إلى طهران ومكث بها وعمر قلعة (أرك) وأحكمها وأمر باستباحة كرمان ثلاثاً لإخفائهم لطفعلي خان بن جعفر خان الزندي ولما تيقن خروجه من كرمان أمر جنوده بالكف عنها وبعد امتلاك كرمان تمت سلطنته على إيران كلها وكان (هراكليوس) والي كرجستان يؤدي الخراج على نسق آبائه إلى سلاطين إيران لكنه عند تملك آغا محمد خان دخل في حماية روسيا على شروط معينة فلما فرغ محمد خان من فتح كرمان حشد جنوده من أقاصي البلاد في ضواحي طهران فكانوا سبعين ألفاً ولم يعلم بمقصده أحد ثم فرقهم ثلاث فرق فأنفذ فرقة إلى شيراز وداغستان وفرقة إلى إيروان عاصمة أرمينيا وتوجه هو بفرقة إلى قلعة (شوش) الحصينة وحمي وطيس الحرب بينه وبين هراكليوس واستباح محمد خان تفليس وهدم كنائسها وأسر منها خمسة عشر ألفاً وقيل خمسة وعشرين ألفاً ثم توجه إلى كنجة وفي سنة ١٢١٠ احتفل الأمراء والقواد بتتويجه فألبسوه التاج المعروف بتاج كياني واجلسوه على التخت المسمى بتخت طاووس وقتل سنة ١٢١١ وعمره ثلاث وستون ومدة ملكه من يوم ظهوره إحدى وعشرون سنة تقريباً وكان يدخر المال ويروج الشريعة وبعد قتله انحلّ نظام الجند وكثر الشغب بخروج صادق خان الشقاقي وظهرت الكفاءة التامة من حاجي إبراهيم خان في تطمين البلاد وتنظيم الأمور إلى أن وصل ولي عهد السلطنة.

❀ ❀ ❀

(٢) فتحعلي شاه ابن حسين قلي خان بن محمد حسن خان قاجار

وكان في شيراز فلما بلغه قتل الملك توجه إلى طهران وأخمد نيران الفتن وفي سنة ١٢١٢ جلس على سرير الملك وبعد سنة من جلوسه نقل تابوت أقا محمد خان إلى النجف فدفن في غرفة من غرف الصحن وكان فتحعلي شاه على مرحلة سامية في تشييد مباني الشرع راسخ الاعتقاد في الأذكار والأوراد مكرماً للعلماء مفضلاً عليهم وفي أيامه راج سوق الأدب وظهر الشعراء البارعون ومن آثاره تذهيب إيوان الصحن والقبة المنورة في الحائر وتفضيض الضريح الحسيني وبناء قبة مرقد سيدنا العباس وتذهيب قبة السيدة فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر في قم وبناء صحن واسع لها وبناء صحن مشهد الإمام علي بن موسى الرضا سلام الله عليه وغير ذلك وفي عهده وقعت الحرب بين روسيا ودولة إيران وسببه أنه لما ملك (ألكساندر) حفيد (كاترين) في روسيا وجهت روسيا كل قواها لامتلاك كرجستان فاضطرت كركين خان سلطان كرجستان في ذلك الوقت إلى التنازل لها عن كرجستان والتجأ الكرجيون إلى دولة إيران وتجاوزت روسيا من كرجستان إلى سائر البلاد الواقعة خلف أرس وملكت كنجة واستباحت أهلها سنة ١٢١٨ فأمر الشاه ولده عباس ميرزا ولي عهده بمقاومة روسيا فجرت بينه وبينها مصادمات من سنة ١٢١٨ إلى سنة ١٢٢٠ لكن روسيا كانت قد أحكمت مواقعها الحربية في بلاد كرجستان وكنجة فلم تتمكن دولة إيران من إخراجها وكانت المناوشة بين جنود روسيا وإيران مستمرة إلى أن عقد قائد روسيا بتوسط سفير إنكلترا معاهدة مع الدولة الإيرانية سنة ١٢٢٨ ملكت فيها روسيا كرجستان وشيروان وشكي وكنجة وقراباغ ومغان وبعض طالش وفي سنة ١٢٤٠ ادعى الروس أن بحيرة في الشمال الغربي من توابع إيران داخلة في حدود المملكة الروسية وبلغ علماء إيران تعدي روسيا على مسلمي القفقاز واستباحتهم فأفتوا بالجهاد وكان عميد هذه النهضة العلامة السيد محمد الطباطبائي نجل صاحب الرياض الذي لقب السيد محمد المجاهد فإنه توجه بنفسه للقتال واضطر فتحعلي شاه إلى الدخول في الحرب فأمر ولده عباس ميرزا بذلك وجرب حرب كان الظفر فيها للمسلمين ولكن بعض الدسائس والحيل أثرت في قواد جيش المسلمين فظهر الفشل وانتهى إلى معاهدة خسرت بها إيران مضافاً إلى البلاد السابقة إيروان ونخجوان مع غرامة حربية باهظة وقررت معاهدة تجارية سنة ١٢٤٣ وتوفي فتحعلي شاه سنة ١٢٥٠ ومدة ملكه ثمان وثلاثون سنة.

(٣) محمد شاه ابن عباس ميرزا ابن فتحعلي شاه

ولي الملك سنة ١٢٥١ وكان مدة سلطنته مصاباً بمرض النقرس منصرفاً عن سياسة الملك وإدارة شؤون الدولة معتمداً في ذلك على الصدر الأعظم ميرزا آقاسي وكان من ذوي الكفاءة في تدبير أمور الملك وتوفي محمد شاه سنة ١٢٦٤ ومدة ملكه أربع عشرة سنة.



(٤) ناصر الدين شاه ابن محمد شاه

ولد في صفر سنة ١٢٤٧ وجلس على سرير الملك في تبريز ثامن عشر شوال سنة ١٢٦٤ وفي الثاني والعشرين من ذي القعدة ورد طهران وبعضهم يقول: قد اكتست إيران في أيامه حلة من البهاء والجلال وكان مقدراً للعلماء الروحانيين والأدباء والشعراء وأقرّ إصلاحات سياسية في نظام المملكة ولسنا نعرف ما هو هذا البهاء والجلال الذي اكتسته إيران في أيامه سوى أن الجندية كانت منحطة إلى درجة مخجلة ونفوذ روسيا وإنكلترا يزداد يوماً فيوماً حتى كان لإنكلترا بريد وخط برقي في إيران وسوى القروض من روسيا وإنكلترا التي كانت تصرف على السياحات في الممالك الأجنبية وسوى إعطاء امتياز حصر التنباك للإنكليز لولا أن حالت دون ذلك فتوى الإمام السيد ميرزا حسن الشيرازي بتحريم تدخين التنباك فكسرت كل نارجيلة في إيران في ساعة واحدة حتى أن خدم قصر الشاه كسروا كل نارجيلة فيه وطلب الشاه من خادمه الخاص نارجلية يدخن بها فلم يجد وشوهد بعض الفسقة الذين يشربون الخمر يكسر نارجيلته في بعض المقاهي فسئل عن السبب فقال: سمعت أن الميرزا حرم تدخين التنباك فقيل له أنت تشرب الخمر وقد حرمه الله ولا تبالي فكيف تترك تدخين التنباك لسماعك أن الميرزا حرمه فقال أنا أشرب الخمر وأرجو أن يشفع لي الميرزا عند النبي والإمام ليشفعا لي عند الله فإذا خالفت حافظ شرع النبي ﷺ فبمن أتشفع؛ وسوى اقتناء المئات من الجواري والسراري؛ نعم كان يعظم الروحانيين ولكن هذا لا يكفي في إصلاح المملكة؛ وقرر إصلاحات ولم يفعل، وفي يوم الجمعة سابع عشر ذي القعدة سنة ١٢١٣ زار على عادته مشهد السيد عبد العظيم قرب طهران ودخل حرمه فتقدم إليه رجل من أوزاع الناس عرف بميرزا رضا

الكرماني وأطلق عليه رصاص مسدسه فأصاب فؤاده ومات من فوره فدفن بمشهد السيد عبد العظيم وبنى عليه قبة وقبض على قاتله فقتل، وأخفى وزيره ميرزا علي أصغر خان موته وجعل يرسل خلف الأطباء ليوهم أنه حي حتى حضر ولده مظفر الدين من تبريز.

⊛ ⊛ ⊛

(٥) مظفر الدين شاه ابن ناصر الدين شاه

ولد في تبريز في ١٤ جمادى الثانية سنة ١٢٦٩ وفي سنة ١٢٧٧ ولي إمارة آذربيجان وملحقاتها، وفي ذي الحجة سنة ١٢٧٨ جعل ولي عهد المملكة الإيرانية وفي ١٨ ذي القعدة سنة ١٣١٣ جلس في تبريز على سرير الملك وفي ٢٥ ذي الحجة دخل طهران وفي سنة ١٣٢٣ اضطرته الأمة الفارسية إلى تقرير الدستور وفتح المجلس النيابي فصدر الأمر منه بذلك في ١٤ جمادى الثانية سنة ١٣٢٤ على أصول مقننة، وتوفي في ١٨ ذي القعدة من هذه السنة وحمل تابوته إلى الحائر الحسيني في العراق فدفن فيه.

⊛ ⊛ ⊛

(٦) محمد علي شاه ابن مظفر الدين شاه

ولد في تبريز ١٤ ربيع الثاني سنة ١٢٨٩وفي سنة ١٢٩٢ جاءت به والدته إلى طهران؛ وفي سنة ١٣٠١عاد إلى تبريز وفي سنة ١٣٠٦ فوض إليه والده قيادة الجيش الأميري في تبريز، وفي سنة ١٣٢١ ولي قيادة جيش آذربيجان ومنح لقب سردار كل، ثم جعل ولي عهد السلطنة، وفي ٤ ذي الحجة جلس على سرير الملك وكانت إيران إذ ذاك معترك الفتن الداخلية ومضمار السياسة الأجنبية وكان هو يبغض الدستور ورجاله فاتفق سراً مع روسيا على إبادتهم وضرب المجلس النيابي بالمدافع فهدمه وكان المتصرف في طهران قائد روسي اسمه (لياكوف) وجرى على الناس من البلاء بسبب ذلك شيء كثير وتوالت الحروب بين الأحرار وأتباع الشاه فانتصر الأحرار على الشاه وحاصروه وقواده في طهران صباح ٢٧ جمادى الثانية سنة ١٣٢٧ وخلعوه مساء، وأقاموا مقامه ولده أحمد ميرزا وله من العمر اثنتا عشرة سنة وكان محمد علي

التجأ إلى السفارة الإنكليزية وبعد خلعه نفي إلى أودسا من بلاد روسيا ثم انتقل إلى سويسرا فمات بها سنة ١٣٤٣؛ وأوصى أن يدفن في كربلاء فجيء بنعشه إلى دمشق؛ وصلينا عليه في تكية السلطان سليم ثم حمل إلى كربلاء فدفن فيها.

❁ ❁ ❁

(٧) أحمد شاه ابن محمد علي شاه

ولي الملك بعد خلع أبيه سنة ١٣٢٧؛ وفي سنة ١٣٤٤ خلع أحمد شاه وأقيم مقامه رضا خان البهلوي وبخلع أحمد شاه انتهت الدولة القاجارية وتوفي في مدينة (نيس) من بلاد فرنسا في شهر رمضان سنة ١٣٤٨؛ وحمل تابوته بوصية منه فدفن بكربلاء كأبيه وعمره ٣٢ سنة.



الدولة البهلوية

رضا شاه البهلوي

ولي الملك بعد خلع أحمد شاه، وأصله جندي فترقت به نفسه العصامية حتى صار تاره وزير الحربية وأخرى رئيس الوزارة مع أنه على ما يقال أشبه بأميّ لا يقرأ ولا يكتب فأصلح جندية إيران وأخرج دولتها من العدم إلى الوجود، ولما كان وزير الحربية كان يصرف معاش الجنود قبل كل شيء وأصلح مالية الدولة ثم أوعز إلى أحمد شاه بالسفر إلى أوروبا فسافر إليها جازماً بعدم العود، فخلعه بعد ذلك واختلفت أنظار أعيان المملكة في أن أيهما أصلح الملكية أو الجمهورية فكان سفير روسيا يؤيد الملكية وسفير إنكلترا يؤيد الجمهورية، ومن ذلك ظهر لعقلاء الإيرانيين أن الملكية أصلح لبلادهم في حين أن الجمهورية ربما تكون أصلح لغيرهم، ومع ذلك كان رأي العلماء الذين لهم الكلمة النافذة في إيران موفقاً للملكية فعين رضا خان البهلوي شاهاً لإيران ودعي (رضا شاه) وأقيم ولده الصغير ولي عهد السلطنة وظهر من كفاءته ما أبهر العقول، فقد تمكن من جمع السلاح من عشائر الأكراد وغيرهم الذين كانت لهم الإقطاعات وهي كثيرة في إيران ووطد الأمن في كل مكان وأخضع قبائل التركمان الذين كانوا يعيثون فساداً في طريق خراسان ويأسرون الزوار ويبيعونهم بيع العبيد أو يسترقونهم، وألغى الامتيازات الأجنبية؛ وصارت دولة إيران عضواً في جمعية الأمم.

❀ ❀ ❀

الشيخ خزعل خان أمير المحمرة

وأرسل مركباً صغيراً حربياً إلى المحمرة فصعد قائده إلى البر، واجتمع بأمير المحمرة الشيخ خزعل خان ابن الشيخ جابر خان أمير قبيلة كعب العربية التابعة لدولة إيران، ثم عاد إلى المركب ثم عاد إلى البر؛ ودعا الأمير إلى المركب لحضور حفلة وقضاء ليلة ساهرة فحضر ورأى ما سره ثم عاد ثم دعاه مرة أخرى لمثل ذلك فحضر غير خائف من العواقب ولا محتمل أن مثل هذا القائد وجنوده القليلة تقدر عليه

وعنده ممن يحمل السلاح ويحارب ما يزيد على أربعين ألفاً بل من يحسن الحرب يزيد على مائة ألف، فلما حضر في المرة الثانية أقلع به المركب إلى أحد البنادر وأخرج إلى البر وهناك أعلموه أنه ذاهب إلى طهران فليرسل إلى المحمرة ويحضر ما يريده من لوازمه وهكذا استولى الإيرانيون على إمارة المحمرة ونصبوا فيها أميراً إيرانياً وكانوا نصبوا في أول الأمر أحد أنجال خزعل ثم عزلوه، وكانت هذه الإمارة إقطاعية تأخذ الدولة الإيرانية من أميرها مبلغاً سنوياً وهو يتصرف في حكمها كيف يشاء، وتولاها الشيخ جابر خان وكانت الدولة العثمانية تدعيها وجرت بينها وبين الشيخ جابر حروب كثيرة فمرة لها ومرة عليها، وفتحها العثمانيون في بعض الوقائع من الشيخ جابر فنظم عبد الباقي العمري شاعر بغداد يومئذٍ قصيدة يقول فيها (فتحنا بعون الله حصن المحمرة) وهي قصيدة طويلة أظهر فيها ناظمها من التعصب المذهبي شيئاً كثيراً؛ ثم مات جابر خان ودفن في النجف على يسار الذاهب إلى الكوفة فولي بعده ابنه الشيخ مزعل خان ثم قتله أخوه الشيخ خزعل خان وأرسل جنازته إلى النجف فدفنته بجنب أبيه، وكنا يومئذٍ في النجف الأشرف واستولى على الإمارة فأرسلت إليه الدولة الإيرانية الخلعة والتقليد وكان الإنكليز بسطوا نفوذهم على خزعل واستمالوه وأهدوه النياشين الكبار، وكانت مراكبهم البحرية إذا وصلت مقابل المحمرة تطلق مدافع السلام لخزعل، وفي أيام الحرب الكبرى خامر مع الإنكليز وقطع عن الدولة الإيرانية المرتب السنوي الذي عليه، فلما قبض عليه رضا شاه تعرض الإنكليز لحمايته فلم يسمع منهم ولا يزال في طهران تحت المراقبة[1].

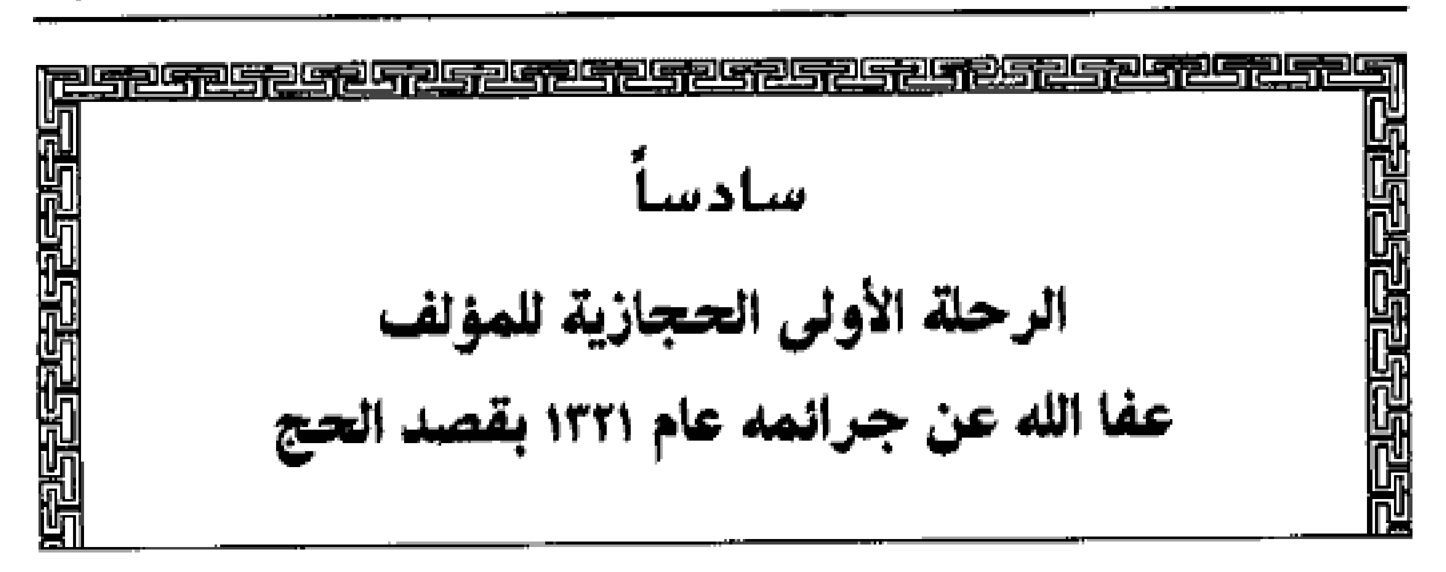
ولم يتعرض رضا شاه لأملاك القاجاريين ولا منعهم من سكنى إيران، وكان يرسل لأحمد شاه بعد خلعه مرتبه إلى فرنسا، ولم يفعل كما يفعل الكماليون بآل عثمان وهو دائب في ترقية المملكة وإصلاحها حسب مقتضيات العصر الحاضر، ومن إصلاحاته إنه ألغى بنك شاهنشاه الإنكليزي ومنع خروج الذهب من إيران، وأصلح أمور السفارات والقناصل في الممالیك الأجنبية وعين لهم من المعاش ما يكفيهم بعدما كانوا عالة على الرعايا، ووضع رسماً على الشاي والسكر جمع منه

(١) طبعاً الكلام هذا قيم جداً، وفي عهد المؤلف رحمه الله.

مبلغاً طائلاً لمد سكة حديد من مرافئ إيران إلى الداخلية، وقد أعلن الجندية الإجبارية وأعفى من ذلك العلماء وطلبة العلم.

وقد ألزم رعاياه بلبس القبعة الشبيهة بالقبعة الفرنسية؛ فعم الاستياء من ذلك وحصلت فتن وثورات بسببه، ولما عاد ملك الأفغان السابق إمان الله خان من سياحته في أوروبا وأراد المرور في بلاد إيران أوعزت إليه الحكومة أنه لا يمكن مروره وزوجته سافرة كما كانت في أوروبا وتركيا، فمرت مبرقعة، فنسأله تعالى أن ينصر هذه الدولة الشرقية المسلمة ويشيد أركانها فإنها إلى اليوم محافظة على استقلالها في هذا الشرق التعيس والله تعالى ولي الإجابة.





سادساً
الرحلة الأولى الحجازية للمؤلف
عفا الله عن جرائمه عام ١٣٢١ بقصد الحج

خرجنا من دمشق يوم الاثنين سابع ذي القعدة الحرام سنة ألف وثلاثمائة وإحدى وعشرون بقصد الحج إلى بيت الله الحرام فركبنا القطار الحديدي من دمشق قاصدين بيروت في الدرجة الثانية بأجرة أربع مجيديات عن الشخص ودخلنا بيروت بعد غروب الشمس بربع ساعة، فبتنا بها ليلة الثلاثاء وفي مساء يومها ركبنا في الباخرة الفرنسية من شركة الميساجيري في الدرجة الثالثة وفيها أربع درجات، والأجرة ثلاثة أرباع ليرة فرنسية إلى بور سعيد؛ فتحركت بنا من بيروت في الساعة الثانية تقريباً من ليلة الأربعاء فوصلنا بور سعيد في الساعة الثامنة من يوم الأربعاء.

بور سعيد

وهي بلدة جميلة ذات قصور عالية وشوارع فسيحة وأبنية مزخرفة؛ تجول العربات (العجلات) في أزقتها على الحديد أي (تراماوي على الخيل) وعلى غير الحديد وأهلها مسلمون ونصارى وهي من الإقليم المصري أنشأها سعيد باشا أحد الخديويين في مصر فنسبت إليه؛ (ومعنى البور) السد الذي يبنى على شاطىء البحر ليكون مرفأ للسفن.



الخديوي

والخديوي لفظه تركية معناها نائب الملك، أول من لقب به محمد عليّ باشا

أمير مصر؛ عندما وقعت المعاهدة بينه وبين الدولة العثمانية على أن يكون أميراً للقطر المصري تحت رعايتها ويدفع لها مبلغاً في السنة ويلقب بالخديوي؛ رمزاً إلى أن إمارته تحت حماية السلطان العثماني؛ وخيرات بور سعيد كثيرة وأسعارها لا تخلو من غلاء؛ فبتنا بها ليلة الخميس وخرجنا منها يومه في الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة في القطار الحديدي الضيق وهو بقدر عرض الخط الذي بين دمشق وبيروت قاصدين الإسماعيلية وكانت العملة تشتغل في إبدال ذلك الخط الضيق بخط عريض كالذي بين الإسماعيلية ومصر؛ ولما يتم لكنه كان قريب التمام فوصلنا الإسماعيلية في الساعة الثامنة من يوم الخميس.

❀ ❀ ❀

الإسماعيلية

وهي بلدة في طريق: القاصد من بور سعيد إلى مصر أحدثها إسماعيل باشا أحد الخديويين في مصر فنسبت إليه، وانتقلنا في الإسماعيلية إلى القطار الحديدي ذي الخط العريض وهو أسرع من الأول وأتقن لكون طريقه عريضاً، ولا تسل عن شطط الحمالين الذين ينقلون الأمتعة من قطار بور سعيد إلى قطار مصر في طلب الأجرة وبين القطارين بضعة أقدام، فدخلنا مصر القاهرة قبل غروب الشمس بنصف ساعة من يوم الخميس وكانت الأجرة من بور سعيد إلى مصر أربعين قرشاً صحيحاً مصرياً ونصف قرش، كل قرش عبارة عن قرشين ونصف رائج الشام فبقينا في مصر ستة أيام كنا نشتغل في خلالها بتصحيح ملازم رسالتنا (الروض الأريض في حكم تصرفات المريض).

❀ ❀ ❀

المطبوعات أيام السلطان عبد الحميد

وكنا أرسلناها لمصر لتطبع بسبب ما كانت تجريه الحكومة العثمانية من التشديد في أمر المطبوعات من طلب الرخصة الرسمية التي كانت أخيراً لا تعطى إلا من الأستانة بعد تقديم نسختين مخطوطتين للحكومة من الكتاب المراد طبعه، نسخة تبقى عندها ونسخة تعاد لصاحبه وكم يحتاج صاحب الكتاب من النفقات لاستنساخه

مرتين سيما إذا كان كبيراً، وكم يصبر حتى يطالع الكتاب ويدقق وتمر أوراق الرخصة على الدوائر التي كان حالها معلوماً في المماطلة والتسويف، هذا مع قطع النظر عن التعصبات الدينية التي تمنع من إعطاء الرخصة وقد تؤدي إلى مصادرة الكتاب ومنع نشره بعد إعطاء الرخصة كما وقع لكتاب (ينابيع المودة) وغيره فضلاً عن الأمور السياسية التى كان يتقرب بها من أوكل إليهم ذلك إلى السلطان عبد الحميد، ويتفننون في استنباطها حتى نقل أنه طلبت الرخصة بطبع كتاب في المنطق وفيه ما المراد بالقضية فلم يرخص في طبعه؛ حتى أبدل المراد بالمقصود؛ وذلك لموافقته لاسم السلطان مراد الذي خلع ونصب مكانه أخوه السلطان عبد الحميد، وكنا نكتب في أوراق الطلاق التي تقدم لمأموري القرعة العسكرية طلاقاً خلعياً فيطلبون إلينا أن نكتب بائناً بدل خلعياً حتى لا يسمع سلطانهم بلفظ الخلع في مملكته؛ ولكنه لا راد لقضاء الله فقد خلع السلطان عبد الحميد ونفي إلى سالونيك ثم أعيد إلى الأستانة بعد حرب البلقان ومات بها خليعاً سجيناً، فسبحان من لا يدوم إلا ملكه؛ ولم نتمكن من إكمال طبعها وتصحيحها لقصر المدة فطبع باقيها بعد ذهابنا كما طبع أولها فجاءت مغلوطة؛ واضطررنا إلى عمل جدول للخطأ والصواب فيها.

❀ ❀ ❀

مصر[1]

ومصر مدينة عظيمة رخيصة الأسعار والأشياء فيها موفورة؛ وأمورها الدنيوية منتظمة وأخلاق أهلها حسنة كسائر سكان القطر المصري، ولهم حب عظيم لأهل البيت عليهم السلام فتراهم لا يقسمون إلا بهم ولا يلهجون إلا بذكرهم، ويحترمون السادة الأشراف ويسمون العلوي شريفاً وأبو هاشم، وأذكر أننا لما وصلنا إلى بور سعيد جعلت أتطلع من النافذة إلى العملة الذين يشتغلون بنقل الفحم الحجري إلى المراكب وإلى النوتية فلما رأوني وعلى رأسي عمامة خضراء استبشروا وجعل يقول بعضهم لبعض، هذا شريف هذا شريف ولكن الفسق والفجور والخلاعة منتشرة فيها وجميع أصناف الناس فيها في راحة بسبب عدل الحكومة وتنظيم جميع الأمور، ولم

---

(١) الظاهر المقصود بها العاصمة القاهرة.

تترك الحكومة شيئاً كبيراً ولا حقيراً إلا جعلت له حد لا يمكن أحداً تجاوزه وكتبت ذلك في الشوارع، حتى أنهم كتبوا في بعض الأمكنة التي تقف فيها الحمير المعدة للأجرة إلى الأمكنة القريبة التي لا يصلها الترامواي ولا العربات (هذا موقف خمس حمير) مثلا فلا يجسر أحد على إيقاف أكثر ومن فعل يغرم بمال جزاء له ويسمون تلك الغرامة مخالفات، والحمالون بها كل له نمرة في عضده فإذا سلمه أحد شيئاً وحفظ نمرته فقد أمن من ضياعه وأجرة العربات مرسومة أمام الراكب وهكذا مما لا يحصى، حتى أنهم كتبوا في بعض المواضع في قطعة[1] لا ينبغي هنا سير العربات بسرعة والسكك الحديدية تخترق جميع سهولها وتصل إلى جميع بلدانها وقراها، ومحطة السكة الحديدية فيها عظيمة فخمة وليلها كالنهار من الأنوار الكهربائية؛ وأمام المحطة في الليل ينار مصباح عظيم من الكهرباء عال يخال أنه بدر في السماء، وفي شوارعها تسير العربات المتعارفة التي تجرها الخيل على الأرض بغير حديد وعربات كثيرة تجرها الخيل بدون حديد أيضاً شبيهة بعربات الترامواي تسمى (سوارس) باسم صاحب تلك الشركة وترامواي كهربائي يسير في شوارعها وضواحيها وأمكنتها القريبة والبعيدة بأجرة رخيصة ومع هذا كله ففي شوارعها حمير معدة للركوب بالأجرة ولما رأيناها عجبنا من وجودها وقلنا من الذي يركبها مع وجود العربات والترامواي في جميع الشوارع، فلما أردنا الذهاب إلى القلعة ركبناها لأن القلعة على جبل في وسط المدينة لا تصله العربات وغيرها؛ وفيها عجائب كثيرة من أعظمها.

❀ ❀ ❀

الأهرام

جمع هرم، وهي كثيرة في أرض مصر رأينا منها ثلاثة متفاوتة، أكبرها ويعرف بهرم الجيزة؛ عظيم جداً على هيئة مربعة ويضيق قليلاً قليلاً بقدر درجة واحدة من جميع جوانبه حتى ينتهي إلى مفرش حصير، ويرى رأسه من بعيد مثل رأس الحربة وهو كالجبل العظيم عال إلى الغاية يبلغ ارتفاعه نحو ١٤٠ متراً واسع القطر إلى

---

(١) أي لوحة أو اعلان.

النهاية، يصعد عليه الناس بسهولة لأن من جميع جهاته مثل الدرج الواسع، نعم إذا وصل الإنسان إلى منتصفه فما فوق يخاف على نفسه من قوة الريح، ورمت الصعود إلى أعلاه فمنعني رفاقي فوصلت إلى قريب منتصفه ونزلت، ورأينا ونحن جلوس عليه امرأة إنكليزية صاعدة إلى أعلاه يمسكها ثلاثة أشخاص من المسلمين ذوي العمائم الكبيرة الذين هم بمنزلة القوام على تلك الأمكنة، يرتزقون مما يدفعه إليهم السواح والزائرون وكلهم ممسكون بمنطقتها التي هي من الجلد من ورائها يمينها ويسارها، وجسمها المفرط في البياض يلوح من تحت ثيابها الشفافة فلما مروا علينا سلموا علينا فسلمت هي أتباعاً لهم، وهذا الهرم مبني بالحجارة الصلبة المنحوتة الكبيرة لكنها ليست مفرطة في العظم، وفيه باب قريب من أسفله ينزل منه إلى جهة السفل وسقفه وأرضه وجوانبه من الحجارة العظيمة ينزل الرجل فيه منحنياً ثم يضيق حتى ينزل فيه زحفاً، ويقال إن عمق الهرم في بطن الأرض يعادل علوه على وجهها، وفي وسطه من الداخل طريق يصعد منه إلى أعلى الهرم وفي أثناء الطريق تابوت من الصخر أعد للقبر الذي بني الهرم لأجله وكانت الناس قديماً لا تعلم لماذا بنيت الأهرام فقيل خوفاً من الطوفان وقيل إنها بيوت كتبت فيها الحكمة وقيل ضمنت خزائن الملوك وقيل إنها قبور الفراعنة، ولم يكن لها باب ليمكن الدخول إليها.

ورام المأمون لما دخل إلى مصر فتح الهرم الأكبر فعجز عن ذلك لكثرة النفقات ثم لم تزل تتداول الأيدي على فتحها حتى فتحت في العصور الأخيرة؛ فعلم أنها قبور الفراعنة وقد بذل بانوها غاية الجهد في إخفاء أبوابها عن الناس حتى لا يدخلوا إليها وجعلوا مسالكها في بطونها غامضة مخوفة وردم بعض طرقها بالصخور العظيمة، وجعل فيها أشياء كثيرة توجب عدم الاهتداء إلى القبور التي فيها فلم يزل بنو الإنسان يجتهدون حتى وصلوا إلى تلك القبور واستخرجوا من فيها وجعلوهم عبرة للناظرين، وإلى جانب الهرم الكبير هرم أصغر منه وثالث أصغر منهما، وكلها بهيئة واحدة وبجانب ذلك ابنيه قديمة متهدمة ويلوح للناظر أهرام أخر كثيرة بعيدة عن هذه؛ لكن أعظم الكل أهرام الجيزة الثلاثة المذكورة وأعظمها هرم واحد.

❀ ❀ ❀

أبو الهول

وقريب من الهرم الكبير صورة عظيمة هائلة منقورة من الصخر على صورة إنسان رأسه عظيم جداً بقدر الربوة الصغيرة تسميه العامة (أبو الهول) وكان في مقابل ذلك تمثال آخر شبيه به.

الكنيسة

وقريب منه مكان تسميه الناس (الكنيسة) سقفة من الحجر السماقي المصقول وأرضه من البلاط الأبيض مسقوف بالصخور العظيمة المربعة، وجميع الجدران التي يقوم عليها السقف من الحجر السماقي المصقول ويشتمل على حجر وأواوين ودهاليز ومن عجائب مصر:

❀ ❀ ❀

حدائق الحيوانات

وفيها جميع ما خلقه الله من حيوان بري وبحري آهلي ووحشي من أنواع السباع والنمور والفهد والذئب وسائر الحيوان والطير والقرود بأنواع شتى أما ملك السباع.

❀ ❀ ❀

الأسد

فترى فيه أبهة الملك في مشيه الهوينا متأنياً مترفقاً؛ كما قال المتنبي:

يطأ البري مترفقاً من تيهه فكأنه آس يجس عليلا

وفي جلوسه رابضاً تعلوه الهيبة، لا يلتفت إلى أحد وإذا تثاءب بدت لك سعة شدقه الذي لا يضيق عن ابتلاع الحمل فما فوقه؛ وفي زئيره الذي ترتج له الأرض فيمثل للأسماع الرعد القاصف؛ ويكون ذلك غالباً عند جوعه أو غضبه ويجانبه لبوته التي تشبهه في جميع ذلك؛ وتظهر فيها الأنوثه بملامح جسمها الذي ربما يكون أقرب من جسمه إلى اللطافة. وفيها:

❀ ❀ ❀

الزرافة

وهي قريبة الشكل من البعير لكنها ألطف منه، وجلدها شبيهة بجلد الخيل في قصر شعره منقوش جميل وعلوها بقدر علو البعير يداها أطول من رجليها، وإذا بصق عليها إنسان تتركه حتى يغفل عنها ثم تبصق عليه. وحيوان عجيب يسمى:

القنغر

بقدر الكلب الكبير أزرق اللون يداه طول شبر ورجلاه طول ذراع، إذا مشى ثنى رجليه إلى ورائه ومشى على ركبتيه وعلى يديه كما يمشي الإنسان على أربع، وربما وقف ومشى على رجليه كالإنسان؛ ورفع يديه وفي جلده شيء كالكيس يضع فيه أولاده.

❀ ❀ ❀

حمار الوحش

بهيئة الحمار الكبير جميل الخلقة شعره أسود وأبيض، فيكون البياض المكتنف بالسواد على ظهره عريضاً فإذا وصل إلى جهة يديه ورجليه تدق خطوطه وخطوط السواد الذي يكتنفه حتى تسعها يداه ورجلاه وتنتهي إلى حوافره، (والبقر الوحشي) بأنواعه الكثيرة ومنه بقر يشبه الأهلي في شكله (والغزلان) (وأنواع الوعول) الطويلة القرون جداً (والنعام والدب) بأصنافه.

❀ ❀ ❀

الفيل

بخلقته العجيبة وخرطومه الذي يتناول به كل شيء حتى الإبرة، ورأيناه يكسر به قصب السكر بضغطة واحدة كما يكسر أحدنا القثاء الدقيق ثم يرفعه إلى الثقب الذي في أسفل رقبته الذي منه يتغذى لا من فمه، ويأكل الحشيش وغيره وخرطومه مثقوب وفي طرفه كالشفتين يقبض بهما وفي فمه نابان أبيضان طويلان وله أذنان عظيمتان مدورتان يحركهما دائماً ويقول له سائسه (سلام) فيرفع خرطومه على وجهه كما يرفع الجندي يده عند السلام وقد طرحت له خشبة عظيمة على الأرض فيدحوها بيده دحو

الصبي الكرة متى أشار إليه سائسه، ويلقي المتفرجون الفلس الصغير فيتناوله بخرطومه ويقدمه إلى سائسه مما دل على ذكائه وقبوله للتعليم؛ وليس له مفاصل ولذلك لا ينام على الأرض بل يتساند إلى شيء وينام؛ ولهذا يحتالون على اصطياده فيعمدون إلى شجرة وينشرونها إلا يسيراً فيستند إليها فتنقلب به فيقع على الأرض ولا يقدر على القيام فيصيدونه ورقبته قصيرة وجثته عظيمة، ولذلك جعل الله له خرطوماً يتناول به غذاءه ويدافع به عن نفسه ولولاه لمات جوعاً؛ وإذا لف خرطومه على إنسان احتمله وألقى به ناحية، فتبارك الله أحسن الخالقين الذي لا تحصى عجائب خلقه وفيها.

❁ ❁ ❁

الجمل

(جمل) له سنامان وفيها من أنواع (السموك) و(التمساح) ودواب البحر والبر و(الحيات) و(اليرابيع) وغيرها من عجائب المخلوقات ما يطول الكلام بشرحه، فسبحان الخالق القادر على ما يشاء.

❁ ❁ ❁

قلعة الجبل

وفيها قلعة كبيرة على الجبل في نفس المدينة وتسمى قلعة الجبل؛ قد تهدم أكثرها وفيها شرذمة من عسكر الإنكليز ومدافع موجهة إلى البلد، وفي القلعة مسجد عظيم من بناء محمد علي باشا لم ير الراؤون مثله سعة وإتقان بناء ونقشاً وزخرفة وعليه قبة عظيمة كتب على داخلها أبيات من الشعر لكنه خال من المصلين إلا نادراً وجميع حيطانه وأعمدته من الرخام المزين بالحفر وله صحن واسع في وسطه حوض من الرخام بأنابيب للوضوء وقد كتب عليه آيات من القرآن تناسب المقام، وفي القلعة بئر بعيدة المدى ينزل إليها بدرج من خارج حائطها المدور يستخرج منها الماء بالدواليب إلى أعلاها؛ ثم يجري في ساقية ويوهم قوام ذلك المحل على الغرباء فيقولون لهم هنا محل سجن يوسف عليه السلام؛ ومن عجائب مصر والعجائب فيها كثيرة.

❁ ❁ ❁

الأنتيكة خانه

وهي بناء فخم له طبقات فيه ما يعجز عنه الوصف من الآثار القديمة مثل أجسام فراعنة مصر محنطة باقية بحالها بلحومها وشعورها وأظفارها وأكفانها التي تشبه المبروم الذي كان ينسج في جبل عامل والبردي الملفوفة به وتوابيتها، وقد اسودت أجسامهم من طول المكث وقد أخرجت من التوابيت ووضعت في غيرها وغطيت بألواح الزجاج وكتب عند كل رجل اسمه فهذا رعمسيس الأول، وهذا فلان وهذا فلان وكتب عند بعضها يظن أن هذا فرعون موسى عليه السلام وبعضها قد صورت صورها على التوابيت التي هي من شجر الدلب بأتقن صنع حتى يخال للناظر أن الصانع لها قد فرغ منها الآن، وقد نقشت بالنقوش الذهبية الصفراء ومن شدة اتقان التصوير يخيل للناظر أنها ذو الصورة الحقيقي وهي لا تزيد عن الأجسام الموجودة اليوم؛ مما دل على أن بني الإنسان قديماً وحديثاً بقدر واحد إلا ما يحكى عن العمالقة وأن ما يتوهمه البعض من أن أجسام السالفين أكبر من أجسامنا وهم باطل، وهؤلاء الفراعنة بعدما كانوا ملوكاً جبابرة وحافظوا على أجسادهم بعد الموت من الفناء قد صاروا عبرة لمن اعتبر ومتفرجاً لكل ناظر، وهذا التحنيط الذي كان يستعمله المصريون القدماء ولم يهتد إليه أهل هذه الأعصار مع ما بلغوا من الرقي يظهر أنه كان شائعاً سهلاً وأنه كان له أناس مخصوصون كالذين يتعاطون تغسيل الأموات وتكفينهم في هذا الزمان، ومن عجائبه أنهم كانوا يستعملونه لحفظ كل جسم من الفناء حتى الحبوب والفواكه والخبز والطعام وأجسام الحيوانات البرية والبحرية من الغزلان والغنم والمعزى والتمساح الذي يظهر أنه كان مقدساً عندهم، فقد رأيناها كلها باقية من ذلك العهد ومما رأيناه صور جنود مجسمة في أيديهم القسي كأنهم يمشون صفوفاً وصورة عجلة مجسمة وسرراً غير ذلك مما يعجز القلم عن استيعابه واستيعاب وصفه، وفيها صور أجسام ملوك وغيرهم من الحجارة المجسمة رجالاً ونساء بهيئات ملابسهم بأبدع ما يتصور وأتقنه قد صنعت من الرخام والمرمر؛ فترى فيها إنساناً بكبره وضخامته وأكبر من خلقته الأصلية وأضخم بكثير.

الخلفاء الفاطميون والجامع الأزهر

وفي مصر الجامع الأزهر والجامع الأقمر، وهما من بناء الخلفاء الفاطميين الذين ظهروا بالمغرب انتقلوا إلى مصر وبلغت دولتهم شأواً بعيداً، ودامت مائتين واثنين وسبعين سنة، وكان لها فضل عظيم في إحياء آثار الإسلام والمحققون من علماء الإسلام ومؤرخيهم يصححون نسبهم مثل صاحب عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب وابن خلدون وابن الأثير والمقريزي وغيرهم؛ ومما استدلوا على صحة نسبهم قول الشريف الرضي ﷺ :

ما مقامي على الهوان وعندي ... مقول صادق وأنف حمي

وإباء محلق بي عن الضيـ ... ـم كما زاغ طائر وحشي

أحمل الضيم في بلاد الأعادي ... وبمصر الخليفة العلوي

من أبوه أبي ومولاه مولاي ... إذا ضامني البعيد القصي

لف عرقي بعرقه سيدا النا ... س جميعاً محمد وعلي

ولا عبره بمن أنكر نسبهم أمثال ياقوت الحموي، الذي يعبر عنهم في معجم البلدان بالمتعلويين وغيره فإن الذين أنكروا نسبهم هم بنو العباس خوفاً على ملكهم لما استفحل أمرهم مع ما يرونه من ميل الناس إلى آل أبي طالب حتى كتبوا محضراً ببغداد في نفي نسبهم، أجبر على أن يكتب فيه من علماء الإمامية الشيخ المفيد وتلميذه السيد المرتضى والسيد الرضا ووالدهما وامتنع السيد الرضي من إنكار الأبيات السالفة فهدد وعزل عن النقابة وإمارة الحاج، لا سيما أن القوم شيعة إسماعيلية والقول فيهم سيئ حتى قال السيوطي في تاريخ الخلفاء إن خلافتهم لا تصح لأن خيارهم رافضة أو ما هذا معناه وإذا أردت أن تعلم عظمة دولتهم وما لها من الفضل على الإسلام والعرب فراجع خطط المقريزي فإني لم أر من فصل أحوالهم مثله ومما قاله في وصف خزانة الكتب التي كانت لهم أن فيها عدة نسخ من كتاب العين أحداها بخط مصنفه الخليل بن أحمد (والجامع الأزهر) من عهدهم إلى اليوم مدرسة عظيمة إسلامية وله أوقاف جليلة وفيه أروقة يسكنها الطلاب وينسب كل رواق إلى قطر من الأقطار يسكنه أهله وتدر عليهم الأرزاق من الأوقاف وله رئيس يلقب بشيخ الأزهر، وهو أعظم جامع بمصر.

مشهد راس الحسين عليه السلام

وفي مصر مشهد رأس الحسين عليه السلام معظم مزور وحالة المصريين فيه تشبه حالة العراقيين وغيرهم، في مشاهد أئمة أهل البيت عليهم السلام التي بالعراق وعنده مسجد كبير فخم متقن البنيان رأينا فيه رجلاً جالساً على كرسي يدرس في علم النحو وحوله عدد كثير من الطلاب، وتصنع فيه كسوة الكعبة الشريفة التي يبعثها المصريون كل سنة ولها أوقاف يصرف ريعها في ذلك وهذا الرأس استخرجه الخلفاء المصريون من عسقلان المدينة المشهورة التي كانت بين مصر والشام وهي الآن خراب؛ ودفنوه في مصر باحتفال عظيم وبنوا عليه هذا المشهد؛ وزعموا أنه الحسين عليه السلام والله أعلم بحقيقة حاله.

❀ ❀ ❀

مشهد السيدة زينب عليها السلام

وبمصر مشهد السيدة زينب وهي امرأة صالحة فاضلة علوية من نسل مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام ، لها مشهد عظيم وبجانبه مسجد عظيم يزيد إتقان بنائه عن الجامع الأزهر؛ لكن الأزهر أكبر منه بكثير ويتوهم كثير من الناس إنها زينب الكبرى بنت مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لتبادر الذهن إلى الفرد الأكمل وهو وهم فاسد. (ومن الغريب) إنني رأيت في بعض الكتب المصرية المطبوعة هذا التوهم وحاول صاحبه تصحيح هذا الوهم بما هو أوهن من بيت العنكبوت، وهو أن يكون نقل جسدها الشريف خفية إلى مصر؛ ويشبه هذا الوهم إنني رأيت كتاباً طبع بمصر قال فيه صاحبه أن الجراكسة من نسل رجل صحابي يسمى كسا وأنهم كانوا يقولون سار كسا ثم حرفوها وقالوا سركس بالسين في أوله وذلك لأنه ألفه لأمير جركسي، مع أنه مما لا ريب فيه أن الكلمة فارسية أصلها (جهار كس) أي أربعة أنفس ولذلك قصة معروفة.

❀ ❀ ❀

مشهد السيدة نفيسة ومشهد الإمام الشافعي وغيرهما

وبمصر من المشاهد المشهورة مشهد السيدة نفيسة، ومشهد الإمام الشافعي

وغيرهما (وفيها قبر محمد بن أبي بكر) وفي خارجها[١] (قبر مالك الأشتر) الذي سمه معاوية حين توجه إلى مصر والياً عليها من قبل علي عليه السلام في قصة مشهورة ولم نتمكن من زيارته.

❀ ❀ ❀

القناطر الخيرية

وهي من عجائب مصر وهي قناطر مبنية على النيل خارج مصر يذهب إليها بالقطار الحديدي وعندها حديقة من أجمل حدائق الدنيا ومنتزهاتها، وهذه القناطر بناها إسماعيل باشا خديوي مصر وصرف عليها أموالاً طائلة وهي طويلة جداً ولكل قنطرة باب من الحديد إذا أرادوا سد النيل أنزلوا تلك الأبواب وإذا أرادوا رفعها رفعوها بآلة تدار بالبخار.

❀ ❀ ❀



الكبري

وهي لفظة تركية معناها الجسر، وهذا قناطر تشبه القناطر الخيرية في طول كثير وفي أولها وآخرها صورتا أسدين عظيمين من النحاس.

❀ ❀ ❀

تمثال محمد علي باشا وإبراهيم باشا

وفي مصر تمثالا محمد علي باشا راكباً على جواده وولده إبراهيم باشا أميري مصر مجسمين من النحاس ويرى إبراهيم راكباً على جواد متقلداً سيفه يشير بيده وعلى رأسه طربوش مغربي مرتدياً الكبوت لابساً السروال الشبيهين بما يلبسه قواصة القناصل.

❀ ❀ ❀

(١) يقصد المؤلف رحمه الله «بخارجها»: أي خارج القاهرة.

الشيخ عبد المحسن الكاظمي

وزارنا ونحن في مصر الشيخ عبد المحسن الكاظمي الشاعر الشهير؛ وكنا نعرفه من العراق وأبوه تاجر من أهل الكاظمية يتجر في الفراء ولذلك اشتهر (ببوست فروش) وهي كلمة فارسية معناها بائع الجلد، ويقولون إنهم من نسل الأمير أبي فراس الحمداني. خرج من العراق في شبابه مغاضباً لأهله فهبط مصر وذاع بها صيته ونظم فيها القصائد الرنانة سيما في الاجتماع والسياسة وأكثرهما على البديهة فإن له في الشعر بديهة عجيبة وأكثر قصائده نشرت في الجرائد والمجلات المصرية وغيرها، وله ديوان شعر كبير لم يطبع إلى الآن فأنسنا به كثيراً ورأينا صورته الجميلة التي كنا نعرفها أيام شبابه قد تغيرت ولسانه العراقي قد صار مصرياً، وحكى لنا من وقائعه وما جرى له في محافل مصر الشيء الكثير؛ وله عند أفاضل المصريين مكانه سامية.



مناظرة مع نقيب اشراف مصر

وكان بصبحته نقيب الأشراف فسألني النقيب عن طريقة التعليم للعلوم العربية والدينية في سوريا والعراق وعن الكتب التي يدرس فيها، فشرحت له ذلك وبينت له محاسنها ومعائبها وشرحت له طريقة التعليم في مدرسة النجف الأشرف فاستحسنها على ما فيها من النقد، وشكا من طريقة التعليم في الجامع الأزهر وذكر لها عيوناً جمة (منها) إنه في أول يوم من تعليم المبتدىء عند ابتدائه ببسم الله يلقنونه الاختلاف في أن الاسم عين المسمى أو غيره وغير ذلك مع أنها من مسائل علم الكلام التي لا يتحملها ذهن المبتدىء، وليس المعلم فيها بأعرف من المتعلم فقلت له ولما لا تسعون في إصلاح الخلل؛ فقال قد بدأنا نصلح ذلك لكنه يحتاج إلى زمن طويل (إلى أن قال) ويتعلمون علم الأصول في كتاب يستأهل الإحراق وهو (جمع الجوامع) فقلت له إن عندي منه نسخة مخطوطة؛ (ثم قلت له) وما الفائدة لإخواننا أهل السّنة في تعلم علم أصول الفقه وعندهم أن باب الاجتهاد مسدود وإن كل إنسان يجب أن يقلد أحد الأئمة الأربعة ولو بلغ من العلم ما بلغ؛ حتى إن مثل صاحب الكشاف والإمام الرازي وغيرهما مقلدة للأئمة الأربعة وعليه فيكون اشتغالهم بعلم الأصول عبثاً وتضييعاً للعمر فيما لا فائدة فيه لأن علم الأصول مقدمة للاجتهاد واستنباط

الأحكام الشرعية الممنوع منه؛ وقد ذكروا أنه لا بد من معرفة غاية العلم قبل الشروع لئلا يكون الطلب عبثاً؛ فقال إن أهل السّنة هم الذين فتحوا باب الاجتهاد دون غيرهم، (فقلت) نعم ولكنهم بعد أن فتحوه أغلقوه، (فقال) لو تيسرت شروط الاجتهاد في أحد فهم لا ينكرون اجتهاده ولكن تيسرها في هذا الزمان غير ممكن، (فقلت) يلزمك إقامة البرهان على دعواك هذه فأول ما شرع فيه من إقامة البرهان إن ذكر شروط الاجتهاد من معرفة علم التوحيد والعربية والمنطق وآيات الأحكام والناسخ والمنسوخ وعلم الأصول والحديث وغير ذلك، (فقلت) له لا ينكر أحد إن الاجتهاد مشروط بأغلب هذه الأمور وإن كان في بعضها نظر أو منع كعلم المنطق إلا أن ذلك خارج عن محل الكلام وكل هذه التي ذكرتها معرفتها متيسرة في هذا الزمان بل لعلها فيه أيسر بسبب كثرة التصانيف بوجود المطابع وتعاقب الأفكار. (فطلب) مني الصبر إلى انتهاء كلامة فصبرت (فذكر) من جملة الشروط أن يكون المجتهد في غاية الورع وأعلى درجات التقوى بل ذكر له صفات هي العصمة أو قريب منها؛ وقال أين يوجد صاحب هذه الصفات في هذه الأوقات، (فقلت) له (أولاً) المسلم اشتراطه في المجتهد العدالة وما زاد عليها لم يشترطه أحد من العلماء بل لا يعتبر عندكم في الإمام الأعظم أزيد من العدالة بل الحنفية لا تعتبر في الإمام العدالة وتجوز فسقه إذا كان حافظاً لأمور الرعية ضابطاً لها صرح به النسفي في عقائده، ولذلك كانت الدولة العثمانية لا تقبل من موظفيها إلا أن يكونوا أحنافاً والقضاة كلهم على المذهب الحنفي. (ثانياً) إن هذا غير محل الكلام فإن الكلام على تقدير وجود شخص بصفة الاجتهاد بعدالأئمة الأربعة فهل يسوغ له العمل برأيه وللناس تقليده أنتم تمنعون من ذلك ونحن نجوزه (فقال) لو وجد شخص كذلك فأهل السّنة لا يمنعون من ذلك، (فقلنا) له تكلمت بهذا في بلادنا لسمعت ما يسوءك ولكنك تتكلم بهذا في بلاد مصر فقال الشيخ عبد المحسن الكاظمي وفي مصر لا يتكلم بهذا إلا قليل والناس تسلقهم بألسنة حداد. (ومما) ذكره من شروط الاجتهاد أن يسلم له أهل عصره بالاجتهاد (فقلنا) له الاجتهاد صفة قائمة بالمجتهد لا دخل فيها لتسليم أهل المصر وعدمه، فلو أن نبياً أرسل إلى قوم فكذبوه أكاد يقدح ذلك في نبوته، ولو أن أهل مصر سلموا باجتهاد رجل وهو ليس بمجتهد أكان ذلك يجعله مجتهداً فسكت.

وبعدها أقمنا بمصر ستة أيام ركبنا القطار الحديدي إلى الإسماعيلية فالسويس.

السويس وبور توفيق

فبقينا فيها يومين ثم ركبنا البحر في مركب يسمى عبد المنعم من المراكب الخديوية وأكثر عماله من المصريين بأجرة ٢٥٠ غرشاً صحيحاً مصرياً في الدرجة الثانية، و١٥٠ في الدرجة الثالثة الأخيرة ومن حسن الترتيب في السويس أن ميناءها التي تسمى (بور توفيق) نسبة إلى توفيق باشا الخديوي وتبعد عن البلد مسافة ولها قطار حديدي مخصوص يذهب ويجيء في كل ساعة مرة، وقد جعل لها مرفأ تصل المراكب العظام إلى جنبه فتخطو الركاب من البر إلى المركب بدون حاجة إلى زورق، وعند مدخل المرفأ باب كبير وعلى جانبيه جنديان يمنعان الدخول لأكثر من شخص واحد خوف الازدحام فأول ما تؤخذ أمتعة الركاب يأخذها الحمالون بالعدد ويحفظ صاحبها نمرة الحمال، ثم تدخل النساء واحدة واحدة ثم الرجال كذلك، فأرسلنا أمتعتنا وذهبت مع بعض رفقائنا لعلنا نتمكن من الدخول فنختار لنا مكاناً موافقاً لأننا أخذنا مكاناً في الدرجة الثانية، وليس في المراكب درجة ثانية بل جعلوا ظهر الدرجة الأولى بدل الدرجة الثانية وكان خيراً من الدرجة الأولى فلما وصلنا إلى الباب رأينا جماعة من المغاربة معممين عليهم البرانس يحاولون الدخول فمنعهم الحرس فلم يمتنعوا فأعملوا فيهم ضرب السياط، فوقفت مع رفيقي ناحية فلما رآني الحرسيان أشارا إلي أن تعال فأتيت فقالا يا شريف تريد أن تدخل قلت نعم؛ قالا تفضل قلت ورفيقي قالا ورفيقك فدخلنا وبأيدينا أوراق المركب والكرنتينا والجواز، وفي الطريق أناس في أمكنة متعددة ينظرون ذلك فدخلنا المركب قبل كل أحد واخترنا لأنفسنا ولمن معنا من النساء والرجال أمكنة حسنة واسعة ثم جاء رفقاؤنا وأقلع المركب بنا من السويس مساء فوصل الطور ضحوة الغد؛ وبقي هناك ينقل ما حمله إلى الطور من آلات البناء لأجل بناء محجر في الطور بقية ذلك اليوم والليلة التي بعده، وفي غدها إلى الليل ثم أقلع من الطور قاصداً جده فوصلناها بتمام الراحة لأن البحر كان ساكناً إلا في موضع يدعى ببركة فرعون ورأس أم محمد فهاج وهاجت المرة الصفراء بأكثر الحجاج وذلك بعدما أحرمنا بيسير وكنا في الليلة التي أحرمنا في صبيحتها اغتسلنا من حمام في مركب منار بالكهرباء يجيء ماؤه من البحر. ويغتسل فيه الإنسان منفرداً بأجرة قليلة ولبسنا ثوبي الأحرام بعدما خلعنا المخيط.

❀ ❀ ❀

نذر الإحرام قبل الميقات

وفي الصباح نذرنا الإحرام قبل محاذاة الميقات تخلصاً من الأشكال؛ بناء على ما هو الحق من جواز الإحرام قبل الميقات بالنذر للأخبار الصحيحة الصريحة في ذلك المعمول بها عند الأصحاب، حتى أن في بعضها أن رجلاً نذر الاحرام من الكوفة قال عليه السلام فليحرم من الكوفة ولا يلتفت إلى إشكال من أشكل بأن متعلق النذر يجب أن يكون راجحاً قبل النذر، وإذا كان الإحرام قبل الميقات غير مشروع فلا يكون راجحاً حتى يتعلق به النذر لأن ذلك اجتهاد في مقابلة النص والنص كاشف عن كفاية الرجحان ولو بالنذر؛ ولكن لما كان الوارد في الأخبار الإحرام من مكان معين قبل الميقات مثل (الكوفة) وفي البحر لا يتيسر ذلك مع سير المركب وعدم وقوفه فلأجل رفع هذا الإشكال عينا المكان بالساعة فعمدنا إلى ساعة وقال الناذر لله علي أن بقيت إلى المكان الذي تكون فيه هذه الساعة ثلاثة - مثلاً - أن أحرم من ذلك المكان على أنه يمكن تعيينه بالزمان مثل المكان الذي يكون فيه المركب عند الفجر أو عند طلوع الشمس أو عند الزوال أو عند الغروب أو نحو ذلك، فلما صارت تلك الساعة كذلك عقدنا الإحرام بالتلبية وبقينا مستحضرين للنية مكررين للتلبية حتى وصلنا إلى المكان الذي قال الربان إنه يحاذي الميقات وهو (الجحفة) القريبة من (رابغ)، وآذن الربان بذلك بصفير المركب وتجاوزناه كثيراً ونحن نلبي مستحضرين للنية ولكن ظهر لنا بعد ذلك أن من يريد الاحتياط التام فلينذر الإحرام من السويس وليحتط بتجديد النية عند محاذاة (مسجد الشجرة) ظنا أن أمكن أو احتمالاً الذي تحصل المحاذاة له قبل محاذاة الجحفة ثم في (جدة) بالجيم لأن الجحفة تصير على شماله عند توجهه إلى مكة (ويلملم) عن يمينه ثم في (جدة) بالحاء المهملة التي هي في منتصف الطريق إلى مكة لاحتمال كون المحاذاة هناك للجحفة التي هي شمالي جدة أو ليلملم الذي هو في جنوبها ويعرف اليوم (بالسعدية).

❀ ❀ ❀

المغاربة في حلقة الذكر

وكان في جوارنا في المركب جماعة مغاربة معممون لابسوا البرانس أجسامهم ضخمة ولعلهم هم الذين حاولوا الدخول إلى ميناء السويس فمنعهم الحرس

وأوسعهم ضرباً كما مر؛ فكانوا بعد كل صلاة يعقدون حلقة ذكر يميلون فيها يميناً وشمالاً بأجسامهم الضخمة ميلاً شديداً منكراً مكررين لا إله إلا الله بنغم خاص معروف؛ فيجتمع أكثر أهل المركب للتفرج عليهم؛ ويبتدئون الذكر بعد إداء فريضة الصلاة بالصلاة على محمد ﷺ لكنهم لا ينطقون بها صحيحة بل تكون بهيأة اللهم أصل وكان أمام جماعتهم رجلاً بديناً تظهر عند ميلانه يميناً وشمالاً هيأة قبيحة وكأنه كان يدرك ذلك فكان يقلل من ميلانه؛ وكان فيهم رجل نحيف طويل كان أشدهم حركة في حالة الذكر وفي بعض الأيام هاج به الحال فضرب رأسه بحائط المركب ورأى يوماً الإمام يتحرك حركة خفيفة فجاء إليه وجعل يحركه بيديه يميناً وشمالاً أعنف حركة، وجاء في بعض الأيام رجل أناضولي يحسن العربية كان حاجاً وكان معنا في المركب وتظهر عليه إمارات الدين والصلاح فوقف إلى جنبي في جملة المتفرجين فقال ما هذا الذي يفعله هؤلاء فأنشدت:

وإذا حلت الهداية قلباً نشطت للعبادة الأعضاء

فقال لي: وهل هذه عبادة فقلت هي بنظرهم عبادة؛ فقال: هذه بدعة وضلاله وليست العبادة تابعة لنظرهم.

❀ ❀ ❀

الجزيرة في جدة

ولما وصلنا (جدة) نزلنا في سفينة أقلتنا إلى (جزيرة) في البحر مسافة ساعة عن جدة تقريباً؛ لأجل تبخيرنا وتبخير الفراش والدثار فقط ليموت ما فيها من الميكروب خوفاً من سراية الأمراض الوبائية وذلك بسبب مرورنا على مصر مع أنها خالية من كل مرض وبائي وكل من يحضر من الديار المصرية يأخذ ورقة من إدارة الصحة بأنه سالم من كل مرض فيدفع رسماً عن ذلك ثلاثة قروش صحيحة وكسراً؛ فسرنا محرمين والبحر هائج والشمس تصهرنا والبحر يقذف علينا من مياهه حتى وصلنا الجزيرة بغاية المشقة فوجدنا السفن حولها واقفة مملوءة بالحجاج والشمس على رؤوسهم ومنعوا الناس من دخول الجزيرة تحكماً بلا فائده مظنونة ولا موهومة إلى أن أخذوا الفراش ووضعوه في المبخرة ما يقرب من ثلاثة أرباع الساعة حتى دخل البخار في أعماقه ورشوه بالفينيك ثم أذنوا للركاب بدخول الجزيرة من باب

مخصوص وأوقفوهم في مكان مخصوص ثم أمروهم بالخروج من باب آخر كأنهم قطيع غنم يصرفه الراعي كيف يشاء، وهذه الجزيرة لا ماء فيها ولا كلأ فأضر العطش بهذا الجمع المحتشد وهنا أخذ أصحابنا المغاربة في الذكر وعلت أصواتهم المنكرة المختلفة كما إننا شاهدناهم عند خروجنا من مكة إلى عرفات راكبين على الحمير وقد لبسوا المخيط والعمائم على رؤوسهم وهم مشغولون بذلك الذكر على ظهور الدواب وبعد هذا أعطوا ورقة بأسماء الراكبين في السفينة ليأذن لهم أهل الميناء بدخول البلد.

❀ ❀ ❀

الوصول إلى جدة

ثم سرنا من الجزيرة قاصدين جدة في حر الظهيرة والأمواج تفيض على الوجوه والرؤوس والأبدان والأردية والأزر والسفينة تصعد تارة وتهبط أخرى ونحن في خوف من الغرق لشدة الأمواج، ولولا الذهاب إلى الجزيرة لوصلنا الميناء بسهولة ومسافة قريبة وعند الوصول إلى الميناء أخرجونا من السفينة وأدخلونا من باب ونحوا السفينة إلى باب آخر وفيها الأمتعة مع الملاحين، ثم أتوا بنا إلى شباك والمأمور داخل الشباك فقال إنسان واقف ادفعوا عن كل شخص نصف مجيدي فدفعنا وأخذنا أوراقاً فمشوا بنا قليلاً وأخذوا الأوراق وقرضوها بمقراض ثم أتوا بنا إلى مكان قريب من هذا المكان وأخذوا جوازات السفر وقالوا ادفعوا عن كل جواز غرشين وربعاً صحيحة فدفعنا، وأعطوا كل واحد ورقة علامة على أنه دفع ما عليه ليأذن له البواب بالخروج فخرجنا ووجدنا السفينة واقفة فأخذنا منها الأمتعة وبسبب قلة الركاب حينئذ لم يسرق من أمتعتنا شيء، ولكن لا تسل عن الذين جاؤوا بعدنا عصر أو يصلوا إلى أمتعتهم إلا بعد ظلام الليل ماذا جرى عليهم وكم فقد من أمتعتهم وكم باكية لفقد نفقتها التي وضعتها داخل خرجها؛ وبعد فراغنا من مزاولة هذه المشاق دخلنا البلد ونزلنا في دار عالية البنيان متسعة البيوت فيها أربع طبقات كما هو الحال في أكثر بيوت جدة والأجرة عن كل نفس ثلاثة قروش صحيحة يومياً فبقينا في جدة ستة أيام ننتظر أمتعتنا المشحونة من بيروت، فبعد وصولها ومعاناة مشقة التفتيش في الكمرك سافرنا قاصدين مكة المكرمة وفي أثناء إقامتنا في جدة زرنا قبر أمنا حواء وقبرها خارج البلدة مفرط في الطول.

❀ ❀ ❀

مدينة جدة

وجدة مسورة ولها ثلاثة أبواب باب غربي من جهة البحر وآخر شرقي وثالث جنوبي؛ وفيها قناصل الدول ولا يؤذن لغير المسلمين في الخروج خارج السور، ويوجد فيها كثير من السودان الغبر الألوان وما فيها إلا الجائع العريان، وأسعارها غالية وماؤها أجاج منتن يتجرعه الشارب ولا يكاد يسيغه؛ والسقاء الصغير منه بقرش واحد صحيح ولكن ظهر لنا بعد أن فيها ماء حلواً في الصهاريج من ماء المطر لم نعلم به.

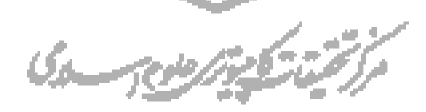
❀ ❀ ❀

الخروج من جدة

وكانت أجرة البعير من جدة إلى مكة تسع مجيديات وربعاً وغرشين صحيحين ولكن لا يصل إلى الجمال منها إلا اليسير والباقي يأخذه المخرج باسم الحكومة وقطع الأجر بأمر من الحاكم، وكل جمال يأخذ كوشانا بعدد ما معه من الأباعر بعد دفع الرسم المفروض عليه، والذي ليس معه كوشان لا يدعونه يدخل مكة حتى يؤخذ منه الرسم والذي يركب مع الأعراب خارج جدة يأخذون منه نصف هذه الأجرة أو ثلثها وهم يصيحون في الطريق (يا رويجب يا رويجب) وعند الخروج من باب جدة أخذوا عن كل بعير غرشين صحيحين وبسبب الوقوف بالباب سرقت أمتعة لكثير من الحجاج وأكثر سراقها أفراد العساكر النظامية الموضوعين لحفظ الأمن، وسرق لنا إبريق نحاس وسرنا من جدة إلى بحرة فوصلناها بعد الغروب وأدركتنا صلاة الظهرين في الطريق لأننا خرجنا من جدة قبل الظهر، فنزلت أنا وزميلي من الخشب وتوضأنا أولاً ثم سرنا قليلاً وصلينا الظهر ثم سرنا كذلك وصلينا العصر لأنه لا يمكن الانقطاع عن القافلة لحظة من خوف الطريق مع أن العساكر النظامية منتشرة من جدة إلى مكة في السهول وعلى رؤوس الجبال ينفخون في بوقاتهم فيجيبهم الأخرون، ولكن هؤلاء العساكر لا يفترون عن سرقة ما يمكنهم من أمتعة الحجاج وصادف إنه بينما نحن نسير إذا بامرأتين من رفقائنا راكبتين في خشب شامي وقف بهما البعير عجزاً عن السير وأباعر الحجاز صغيرة دقيقة الساق لا تقوى حمل الخشب الشامي؛ فنزلت أنا ورفيقي نمشي وأركبناهما مكاننا إلى بحرة فوصلناها بعد الغروب.

بحرة

وهي في وسط الطريق بين جدة ومكة، وكلها قبائح مملوءة من القراد الذي يلتصق بالأجساد وماؤها كماء جدة وليس فيها مسكن إلا أرض محاطة بقصب ونحوه، ينزل فيها الحجاج ويبذل لهم أهلها الماء والضياء والحطب لقاء دراهم يأخذونها وقد أتونا قريباً من نصف الليل بوجوههم السوداء الكالحة بأيديهم المشاعل وعلى متونهم البنادق وجعلوا يوقظون الحجاج بعنف وإزعاج وقد أخذهم النعاس وأضناهم التعب ويطلبون منهم الأجرة ويشتطون في المقدار ويعنفون بالناس كأنهم يأخذون جزية؛ وكأنهم زبانية جهنم أو منكر ونكير؛ ومن لم يدفع لهم كما طلبوا وهو أضعاف ما فرض لهم أوسعوه شتماً بل وضرباً إن تمادى في الامتناع، وإذا هددهم بالحاكم سبوه وسبوا الحاكم؛ فقبحوا من قوم سوء ثم سرنا من بحرة صباحاً فوصلنا مكة عند العصر وقد سلبت في هذا الطريق قوافل قبلنا وبعدنا ومعنا؛ وجرى قتل ونهب في أكثر الأوقات أما نحن فلم نر شيئاً من ذلك والحمد لله.



أول الحرم

وقبل الوصول لمكة المشرفة رأينا العلامات الموضوعة في أول الحرم من جهة جدة فقرأنا الأدعية الواردة عند دخول الحرم ولم نتمكن من الغسل.



مكة المكرمة

ونزلنا في مكة في (شعب عامر) في دار رجل يماني قاطن في مكة في دار جيدة وكان وصولنا إليها قبل هلال ذي الحجة بيومين، ورأينا الهلال ليلة الجمعة خفياً جداً قبل مغيبه بيسير وكان ذلك من جملة نعمه تعالى علينا فكان الوقوف بعرفة في يوم واحد لجميع المسلمين (ويوم التروية) ثامن ذي الحجة بعد الظهر اغتسلنا وأحرمنا للحج من مقام إبراهيم عليه السلام وخرجنا قاصدين منى.

❁ ❁ ❁

منى وعرفات

فوصلنا مساء ونزلنا قرب (مسجد الخيف) وصلينا فيه تلك الليلة المغرب والعشاء وخرجنا منها صباحاً إلى (عرفات) وقد وضعت علامات بآخر الحرم من جهة عرفات فنوينا الوقوف بعرفات من الزوال إلى الغروب، وكنا في مجموع هذه المدة مشغولين بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى لنا ولإخواننا المؤمنين وزرنا مولانا الحسين عليه السلام وذكرنا إخواننا وأصدقاءنا بأسمائهم، وكان من فضله تعالى علينا الهمنا الدعاء لجماعة من إخواننا المؤمنين كانت قد سبقت منهم الإساءة إلينا فجزيناهم على إساءتهم إحساناً وبعد الغروب نفرنا من عرفات راجعين إلى:

❊ ❊ ❊

المزدلفة

وهي (المشعر الحرام) وتسمى (جمعاً) أيضاً، وهي بين منى وعرفات وقد وضعت علامات لحدود عرفات من جهة المشعر لأنه لا يجوز الخروج من حدود عرفات قبل الغروب؛ ومن خرج كان عليه فدية بدنة (والمأزمان) بالهمز أيضاً بتلك الأماكن تثنية مأزم؛ والمأزم الطريق الضيق بين جبلين والمأزمان أحدهما مضيق بين جمع وعرفة والآخر بين مكة ومنى وقد أكثر الشعراء من ذكرهما قال الشريف الرضي:

تذكرت بين المأزمين إلى منى ... غزالاً رمى قلبي وعاد سليما
لئن كنت أستحلي مواقع نبله ... فإني ألاقي غبهن أليما

وبذلك النفر يتذكر الإنسان يوم النشور؛ فبتنا في المشعر والتقطنا منه الحصيات حسب الاستحباب.

❊ ❊ ❊

يوم عيد النحر

وفي الغد رجعنا إلى منى وهو يوم عيد النحر وبعد الوصول بيسير ذهبنا إلى مكان بيع الأضاحي فاشترينا هدياً بليرة عثمانية حسب ما طلب بائعه ولم نساومه

لكراهة المساومة فيه وذبحناه وتصدقنا بثلثه وأهدينا ثلثه وكانت الجنود تمنع من حمل اللحوم إلى الخيم خوفاً من انتشار الروائح الكريهة، الا أنه ليس منعاً شديداً فأخذنا شيئاً من الهدي لنأكل منه حسب الاستحباب ومن لم ير ذلك المكان لا يعلم حقيقة معنى قول القائل (مجزرين كالأضاحي)، وبعد الزوال عمدت جنود الحكومة إلى جمع ما بقي من تلك اللحوم والأوساخ المطروحة في مكان الذبح فدفنتها في حفر أعدت لذلك، ولم يحدث في الحاج مرض في تلك السنة في منى وعرفات؛ وكانوا بتمام الصحة وكان الحاج متوسط العدد.

۞ ۞ ۞

الجمرات الثلاث

وبعد النحر ذهبنا لرمي جمرة العقبة وهي أول الجمرات من جهة مكة وبعدها جمرة تسمى الوسطى وبعدها جمرة تسمى الأولى لأنها ترمى أولاً في الأيام التي ترمى فيها الجمرات الثلاث، وجمرة العقبة تسمى الأخيرة لأنها آخر ما يرمى إذا رميت الجمرات الثلاث؛ وذلك في الحادي عشر والثاني عشر من ذي الحجة بل والثالث عشر إذا بقي الحاج بمنى؛ أما في يوم النحر فلا ترمى إلا جمرة العقبة فقط وأصل الجمرة مجتمع الحصا وجمرة العقبة بناء في سفح الجبل ظهرها إلى الجبل ووجهها إلى الطريق الذي بين مكة ومنى؛ والوارد استقبالها في الرمي أي رميها من قبل وجهها لا رميها من أعلاها بحيث يصعد في الجبل ويرميها من فوقها؛ وسميت جمرة العقبة لوجود عقبة هناك ليست بعالية؛ فإن الطريق من مكة إلى منى يأخذ في علو يسير لا يدرك حتى يصل إلى قريب منى فهناك ترى عقبة يسيرة تصعدها فتصل إلى منى؛ وهي سهل فسيح تكتنفه جبال شاهقة من الجنوب والشمال وكذلك عرفات وأكثر بلاد الحجاز طرقها في سهول تكتنفها الجبال.

۞ ۞ ۞

بئر زمزم وقناة زبيدة

ولم يكن بمكة قديماً غير ماء بئر زمزم التي هي قريب الكعبة المشرفة؛ وماؤها لا يخلو من مجوجة يسيرة، وكان الحجاج يحملون الماء معهم من مكة إلى منى

وعرفات عند خروجهم إليها يوم الثامن من ذي الحجة، ولذلك سمي يوم التروية ثم أتي لها بالماء من الطائف في قناة تمر بمنى وعرفات وتسمى (قناة زبيدة) وأصلها كما في تاريخ مكة المسمى بالأعلام في أعلام بيت الله الحرام لقطب الدين الحنفي أن زبيدة زوجة الرشيد أمرت بإجراء الماء إلى مكة من عين في ذيل جبل شامخ يقال له طاد من طريق الطائف كان يسقي بستاتين في حنين وإليها ينتهي جريانه فاشترت تلك البساتين وأبطلتها وشقت له الأقنية في الجبال وجعلت لتلك العين مداداً من عيون يجتمع إليها ماء المطر وتتصل بأقنية بتلك العين إلى أن وصل الماء إلى مكة، وأمرت بإجراء الماء من عين منبعها في ذيل جبل كرا وهو جبل شامخ أعلاه أرض الطائف ومن أسفله إلى أعلاه مسيرة نصف نهار وينصب من ذيل جبل كرا في قناة إلى الأوجر في وادي نعمان ثم إلى موضع بين جبلين شاهقين في علو أرض عرفات ثم إلى عرفات وأديرت بجبل الرحمة ثم إلى البرك التي في أرض عرفات، ثم تخرج من عرفات إلى خلف جبل من وراء المأزمين على يسار العابر من عرفات فتصل إلى مزدلفة ثم إلى جبل قبلي منى ثم تنصب في بئر عظيمة تسمى بئر زبيدة إليها ينتهي عمل هذه القناة، ثم صارت عين حنين وعين عرفات تتقطعان لقلة المطر وتهدم القنوات وامتلائها بالأتربة من السيول فتصلحها الملوك والسلاطين والأمراء كالملك مظفر الدين صاحب أربل فعمره عين عرفة سنة ٦٠٥؛ ثم عمرها المستنصر العباسي سنة ٦٢٥ و ٦٣٤ ثم عمر عين حنين أمير مكة الشريف حسن سنة ٨١١؛ ثم عمرها الملك المؤيد من ملوك الجراكسة بمصر سنة ٨٢١ ثم عمرها وعمر عين عرفات منهم قاتباي سنة ٨٧٥.

ثم عمر عين حنين منهم قانصوه الغوري سنة ٩١٦، ثم عمرها الأمير جوبان نائب السلطنة بالعراقين للسلطان أبي سعيد خدابنده سنة ٩٢٦ ثم عمرها أمير مكة الشريف حسن، ثم انقطعت العينان فعمرها السلطان سليمان العثماني سنة ٩٣١ ثم انقطعت العيون الأعين عرفات لكنه قل جريانها ثم أمر السلطان سليمان بإصلاحها فأصلحوا عين عرفات إلى بئر زبيدة وظنوا أن لها مجرى تحت الأرض إلى مكة ولم يكن الأمر كما ظنوا فإن منتهى عمل زبيدة كان بئر زبيدة فعدلت عنه لصعوبة الحفر إلى عين حنين فحفروا فيما بعد بئر زبيدة فوجدوا الأمر صعباً ولم يجدوا قناة قديمة كما ظنوا ولم يمكنهم ترك العمل تحاشياً من إظهار العجز فواصلوا الحفر ولاقوا

مشاقاً عظيمة حتى أوصلوا الماء إلى مكة سنة ٩٧٩ وكان إتمامه ببذل خانم سلطان كريمة السلطان سليمان بعد ما بذل عليه ما يزيد عن نصف مليون دينار ذهباً ثم أمر السلطان سليم أن تبنى بقية قناة عين عرفات من الأبطح إلى آخر المسفلة بمكة المكرمة في قناة مستقلة ولا تجري في قناة عين حنين وبنى قبة في الأبطح جعل فيها مقاسم ماء عرفات وركب في جدارها بزابيز من النحاس.

وقد أصلحت في هذا العصر بئر زبيدة المتقدم ذكرها ووجدوا عليها تاريخاً من عصر الشريف قتادة أمير مكة المتوفى سنة ٦١٧.

❁ ❁ ❁

العود إلى مكة

وبعد أن رمينا جمرة العقبة يوم العيد حلقنا وفي اليوم الثاني رجعنا إلى مكة وطفنا طواف الحج وسعينا بين الصفا والمروة وطفنا طواف النساء وصلينا صلاة الطوافين وذلك لأن المستحب الرجوع إلى مكة يوم العيد بعد الرمي والحلق لأجل طواف الحج الذي يسمى طواف الزيارة، أي زيارة البيت ولأجل السعي وطواف النساء الذي لا تحل النساء إلا به؛ وكذا المرأة لا تحل لها الرجال إلا به فإن لم يتمكن من الرجوع إلى مكة يوم العيد ففي الذي بعده؛ وحيث لم يمكنا الذهاب يوم العيد ذهبنا في الحادي عشر ثم عدنا منى فبتنا بها ليلة الحادي عشر والثاني عشر.

❁ ❁ ❁

الزينة بمنى

وفي تينك الليلتين كانت منى في زينة عظيمة تضرب بها المدافع من مكان المحملين الشامي والمصري فيتردد صداها بين تلك الأودية والجبال وتعلو الحراقات في الجو بألوانها المختلفة البديعة الشكل؛ ورمينا الجمرات الثلاث في ذينك اليومين ثم عدنا إلى مكة يوم الثاني عشر بعد الظهر؛ وكان من جملة حجاج تلك السنة امرأة من ملوك الهند وبعض ملوك الغرب ووزير الصدر في إيران ميرزا علي أصغر خان الملقب أمين السلطان.

❁ ❁ ❁

المزارات بمكة المكرمة

وتشرفنا في أثناء إقامتنا بمكة بزيارة قبور أبي طالب وعبد المطلب وعبد مناف عليهم السلام وخديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضي الله عنها؛ ومولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومولد فاطمة الزهراء عليها السلام وغيرها من الأماكن المشرفة.

❀ ❀ ❀

ابو قبيس

وصعدنا إلى جبل أبي قبيس وهو مشرف على الكعبة المشرفة.

❀ ❀ ❀

الدخول للكعبة المشرفة وصفتها

ودخلنا ليلاً إلى الكعبة المشرفة وصلينا في جوانبها الأربع، وعلى الرخامة الحمراء وهي ما بين العمود الأخير الذي يلي حجر إسماعيل والذي قبله فإن فيها ثلاثة أعمدة من خشب ممتدة من وسط الحائط الذي بين الركن اليماني والركن الذي فيه الحجر الأسود إلى وسط الحائط الذي يلي حجر إسماعيل وباب الكعبة المشرفة قريب من الركن الذي فيه الحجر الأسود عال عن الأرض بأزيد من قامة يصعد إليه بدرج منقول، وقوام الكعبة الذين بيدهم مفاتيحها هم بنو شيبة من عهد الجاهلية إلى اليوم ورأينا داخل الكعبة حراً شديداً لعدم المنافذ مع أن ذلك كان في وسط الشتاء لكن شتاء الحجاز كقيظ الشام وقرأنا في حائطها الداخل الذي بين الركن اليماني والركن الذي يلي حجر إسماعيل تاريخ تجديد رخامها الداخل من أبي جعفر المنصور المستنصر بالله في حدود الستمائة وهذا هو أبو جعفر منصور بن الظاهر ويلقب بالمستنصر وهو والد المستعصم آخر ملوك بني العباس؛ وتاريخ آخر بتجديده من السلطان محمد خان في حدود الثمانمائة؛ وآخر من بعض الملوك.

❀ ❀ ❀

الشريف عون ووالي مكة

وكان حجنا في إمارة الشريف عون وولاية أحمد راتب باشا والي الحجاز،

وكان أهل مكة يخافون الشريف عوناً ويبغضونه خوفاً وبغضاً شديدين ويميلون إلى ابن أخيه الشريف علي الذي تولى إمارة مكة بعد وفاته. ووالي الحجاز من قبل الدولة العثمانية ليس له مع الشريف من الأمر شيء وعنده عساكر نظامية وعند الشريف عسكر يسمى البيشة.

❀ ❀ ❀

الخروج من مكة إلى المدينة

وبقينا في مكة المكرمة إلى الثامن والعشرين من ذي الحجة الحرام؛ ثم خرجنا منها بطريق البر مع أمير الحاج الشامي (عبد الرحمن باشا اليوسف) من أمراء أكراد صالحية دمشق فخرجنا من مكة إلى

❀ ❀ ❀



الشيخ محمود

وهو بمسافة ساعة عن مكة وكانت أجرة الخشب الشامي من مكة المكرمة إلى دمشق واثنين وأربعين ذهباً عثمانياً في حمل (الحاج علي أغا الشيرازي) وذلك مع أجرة الذهاب والإياب إلى عرفات، وأجرة الكجاوي اثنين وثلاثين ذهباً والراكب أحد عشر ذهباً. (والشيخ محمود) مسمى باسم ولي مدفون هناك ثم ارتحلنا صباحاً من الشيخ محمود إلى:

❀ ❀ ❀

وادي فاطمة

كما يسميها أهل الشام وأهل العراق يسمونها وادي الشريف؛ وهو الذي كان يسمى مر الظهران أو بطن مر، وهو مكان فيه نخل ونهر جار وهو مسافة أربعة فراسخ عن مكة تقريباً يباع فيه لحم الضأن الجيد والبيض والبطيخ الأخضر والطماطا والليمون الحامض الصغير الأخضر، ويظن أنه من نوع الليمون الذي يؤتى به يابساً إلى العراق من الهند ويسمى ليمون بصرة لجلبه من الهند إليها، وغير ذلك فبتنا فيه ورحلنا منه صباحاً إلى:

عسفان

بضم العين وسكون السين المهملتين ثم فاء وألف ونون فوصلناه مساء، وهو مكان مشهور له ذكر وهو الذي حبس فيه هشام بن عبد الملك الفرزدق الشاعر لما مدح زين العابدين عليه السلام بالميمية المشهورة فقال الفرزدق يهجوه:

أيحبسني بين المدينة والتي إليها قلوب الناس يهوي منيبها
يقلب رأساً لم يكن رأس سيد وعينا له حولاء باد عيوبها

والمسافة بين عسفان ووادي فاطمة نحو من اثنتي عشرة ساعة وربضوا نحواً من ساعة عند منتصف النهار كما هي العادة ويسمونها (راضة الظهر)، فيبقون الأحمال على الجمال ولا ينصبون الخيام فيتغدون ويصلون ثم يسيرون، وعادة الركب الشامي أن يضرب مدفعاً عند النزول وآخر عند الرحيل، ولما لم يتحقق زوال الشمس قبل المسير صلينا الظهرين في أثناء السير وحملنا الماء من وادي فاطمة إلى عسفان، وقيل إن بعسفان ماء لكن يتعسر الوصول إليه لدخول الليل ومنع العسكر المحافظ على الحجاج من الخروج خارج (الزنجير) أي العسكر المحيط بالحاج من العسكر النظامي والجندرمة الذين رسمهم أن يسيروا يمين الحاج وشماله حالة السير ويحيطون به عند النزول فلا يدعون في الليل أحداً يخرج ولا أحداً يلج إذا لم يعرفوه فيصيحون به ثلاث مرات فإن لم يجب رموه فقتلوه كما وقع ذلك لبعض الحجاج الذين لا يعرفون العربية وطول الليل يتصارخون فيصيح أحدهم (كركون) فيجيبه الذي يليه (حازرون) وهكذا دوراً حتى تنتهي النوبة إلى الأول فلا يزال هذا دأبهم طول الليل، وفي ساقة الحاج عسكر من عرب عقيل موظفون من طرف الحكومة لحمل الضعيف والمنقطع به لكنهم في الغالب لا يفعلون ذلك إن لم يسلبوه وكان للحاج الشامي من الترتيب والنظام ما يوجب راحة الحجاج من ذلك أن السير يكون بقطارين أحدهما إلى اليمين والآخر إلى اليسار، والحاج قوافل متعددة ولكل واحدة رئيس يسمى (مقوماً) ويسميه العجم وأهل العراق (حملدار) فيسير كل رئيس بقافلته ميمنة وميسرة هذا أولاً وذاك بعده وهكذا في كل يوم وجمال كل قافلة لا يتغير مكانها فمن كان بعيره أولاً في أول يوم بقي كذلك إلى آخر يوم، ومن كان في الميمنة لا يتحول إلى الميسرة وبالعكس، وإذا ساروا ليلاً حمل كل قائد جمل

ويسمى (عكاماً) فانوساً بيده فيرى لهم من بعيد صورة جميلة فيرى الرائي من بعيد مصابيح تتقد في البر سائرة صفين ولا يرى غيرها وخيام كل قافلة لها جمال مخصوصة وأناس مخصوصون يسمون (المهاترة) يسبقون الحاج وينصبونها أول يوم على ترتيب خاص لا يتعدونه إلى آخر السفر، وخيام كل قافلة في مكان مخصوص لا تتعداه هذه أولاً وتلك بعدها وهكذا وكذلك كل خيمة لها مكان مخصوص لا تتعداه، وخيام كل قافلة كأنها بلد بنفسها بأزقتها وبيوتها لا تتغير فلو ضل إنسان في حال السير أو النزول يهتدي إلى مكانه بأيسر ما يكون حتى كأنه في بلده وفي ذلك اليوم وقع كثير من الأباعر بأحمالها في أثناء الطريق ما يقرب من خمسين بعيراً بعضها قضى نحبه في الحال وتناولته شفار السودان الذين يسيرون مشاة مع الحجاج فقطعته إرباً إرباً؛ وربما كان ذلك قبل خروج روحه وبعضها سلم بعد وضع حمله على غيره ومداواته بالفصد في أنفه وصب الماء على سنامه وبدنه، وذلك على ما قالوا بسبب سمنها واشتداد الحر مع أن الفصل شتاء ولكن من (البارخانة) التي نحن فيها لم يمت بعير واحد؛ ورأينا هلال المحرم بعسفان ليلة السبت مفتتح عام ١٣٢٢ وفيها بئر يسمى:

❀ ❀ ❀

بئر التفلة

يقال إن النبي ﷺ تفل فيها فعذب ماؤها وخرجنا صباحاً من عسفان قاصدين:

❀ ❀ ❀

الخليص

بوزن المصغر فوصلناها منتصف النهار وماؤها لا بأس به وفيها البطيخ الأخضر الجيد والقثاء والبصل واللحم وغير ذلك، وفيها بعض النخل وهي مسكونة من الأعراب ثم سرنا منها صباحاً فثار بعض الأعراب على رجلين من أهل معرة النعمان معهما بعير واحد هما راكب عليه فجرحوا الماشي وأخذوا هميانه بما فيه من النقود وأخذوا الراكب وجمله فذهبوا به ولا يعلم رفيقه حي أم ميت، رأيته في الطريق يمشي مضرجاً بدمائه وقد ورم رأسه من الشمس حتى أخفى الورم عينيه وهؤلاء

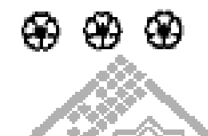
الأعراب كما قال لنا شيخ الفراشين حينما كنا في داره في المدينة المنورة وعنده بدوي فقال مشيراً إليه: هذا وقومه يشتغلون في وقت الحج بسلب الحجاج، فإذا انقضى الموسم اشتغلوا بالحرب والغارة بينهم؛ لاشغل لهم إلا ذلك فوصلنا إلى:

❁ ❁ ❁

الكظيمة

بفتح الكاف قبل الغروب بأربع ساعات وفيها بئر عظيمة وهي مسكونة من الأعراب؛ يباع فيها التمر والبطيخ واللحم وغيرها وفيها من البنادق الدولية من كل جنس حتى أنني رأيت فيها بندقية إيرانية؛ وفي مائها ملوحة ورحلنا منها ليلاً في الساعة الثامنة ونصف إلى:

❁ ❁ ❁



رابغ

وإنما مشوا ليلاً لبعد المنزل وخوف سقوط الأباعر من الحر كما جرى بين وادي فاطمة وعسفان؛ فوصلناها عند الغروب وهي الجحفة أو قريب منها وفي محل يبعد عنها بعض البعد مسجد:

❁ ❁ ❁

غدير خم

وهو مسجد بني في الموضع الذي نصب فيه رسول الله ﷺ علياً عليه السلام وصياً وخليفة من بعده؛ فنزل في ذلك الموضع في حر الظهيرة وخطب الناس فقال: **ألست أولى بكم من أنفسكم. فقالوا بلى قال من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وآل من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه كيفما دار،** في حديث مشهور وكان المسجد متهدماً فبناه بعض ملوك الهند من الشيعة ولم يمكنا الذهاب إليه لخوف الطريق؛ ورابغ ميناء على شاطئ البحر الأحمر عامرة وماؤها شروب وفيها قلعة صغيرة بعيدة عن البلد يسكنها شرذمة من العسكر العثماني وحين وصول الحاج رفعوا العلم العثماني عن القلعة وأطلقوا عدة مدافع كما هي العادة،

لكن العداوة بينهم وبين أهل رابغ متأصلة فلا يجسرون على الخروج إلى السوق أو لجلب الماء إذا كانوا دون العشرة وفيها من البنادق الدولية المختلفة الأجناس ما لا يحصى عدده وهو أزيد مما في الكظيمة، وكذلك أكثر بلاد الحجاز وجملة من الحجاج يشترون البنادق بثمن بخس ويخفونها في أمتعتهم خوفاً من التفتيش إذا دخلوا الشام، وفيها دهن البيلسان الذي تداوى به الجراح والرضوض يجنيه الأعراب من شجر هناك وقد اشترينا منه قنينة فلما فتحناها وجدنا أكثرها ماء وشيئاً قليلاً من الدهن على وجه الماء، فكأن هؤلاء الأعراب أخذوا على أنفسهم النهب في كل شيء، وثارت فيها العواصف والعجاج الشديد وقد وصلناها عند الغروب فبقينا فيها تلك الليلة ويومها إلى ما بعد العصر، ثم رحلنا منها إلى مكان ليس بمعد للنزول فسرنا نحواً من ست ساعات فوصلناه الساعة الرابعة ليلاً؛ وبعد الفجر رحلنا منه فوصلنا ضحى إلى:

❀ ❀ ❀



بئر الشيخ

وكانت هي المنزل لكن خوف سقوط الأباعر من الحر منع من السير رأساً إليها من رابغ مع كون الفصل شتاء فسقوا الدواب من تلك البئر في أثناء الطريق آبار كثيرة وماؤها شروب؛ وفيها بئر يقولون إنها (بئر ذات العلم). وأخرى تسمى (بئر عباس) ثم رحلنا إلى مكان ليس بمنزل ولا فيه ماء ثم رحلنا منه إلى (المستورة) ورحلنا ضحى من المستورة إلى (بئر الحصان) فوصلناها بعد المغرب؛ وعند الفجر رحلنا منها إلى (خلص) ثم منها إلى:

❀ ❀ ❀

بئر الدراويش

فوجدنا ماءه قليلاً والذين تأخروا لم يستقوا شيئاً؛ ومات بعض الحمير والأباعر تلك الليلة من العطش؛ ثم رحلنا منها الساعة السادسة ليلاً إلى:

المدينة المنورة

فدخلناها يوم الأحد بعد الظهر، وزال العناء واشتد الفرح والسرور لما شاهدنا القبة الخضراء الشريفة والمنائر المنيفة من جميع الحاج ودخلنا من باب رأينا في أعلاه مدفعين خارجين من كوتين ونزلنا في بستان خارج السور فيه دار وفيه نخل وبركة ماء يستقى لها على الناضح، وهو ملك لبعض (الطواشية) خدام الحرم الشريف النبوي ويسكنه ويقوم بأعماله بعض النخاولة فزرنا الحضرة الشريفة النبوية وقلبنا الشفاه على تلك الأعتاب الشريفة، وفزنا بنعمة الدخول إلى الحجرة المطهرة بسبب أوراق مأخوذة من الأستانة تتضمن الإذن بخدمة الحجرة المنيفة حسب المعتاد، فذهبنا أولاً إلى بيت شيخ الفراشين لتقييد أوراق الرخصة عنده وقال لنا تأتون في الساعة الحادية عشرة إلى الدكة التي في الحرم المطهر حيث يجيء المحافظ وهو عثمان باشا فحضرنا في الوقت المضروب فوجدنا شيخ الفراشين هناك ثم جاء ضابط عثماني يحمل نياشين كثيرة فقال لنا شيخ الفراشين هذا خفية وهو من الشام فعرفه بنا وقال له هؤلاء من أقارب الشيخ أبي الهدى؛ فقال ما أكثر من يقرب بأبي الهدى ثم التفت إلي وقال ما اسم أقارب أبي الهدى الذين في حلب وفي موضع كذا وكذا، فقال له شيخ الفراشين وهل كل من كان من أقارب أبي الهدى يلزمه معرفة جميع عشيرته وهم متفرقون في البلاد فسكت، ثم جاء عثمان باشا محافظ المدينة وشيخ الحرم لابساً العمامة البيضاء والجبة والقباء وهو رجل أبيض اللون أبيض اللحية طويل القامة فقام الحاضرون كلهم وقبلوا يده، أما أنا فلم أقبلها فجلس قليلاً وأذن المؤذن لصلاة المغرب وكان ذلك الضابط إلى جانبي في الصف فقال لي أنا في كل سنة أحج وأزور عن السلطان وجعل يعلمني كيفية الدخول الى الحجرة الشريفة فشكرته، وبعد الفراغ من صلاة المغرب أتونا بفرجيتين بيضاوين وأتوه بعمامة بيضاء أما أنا فاكتفوا بعمامتي الخضراء وهكذا كل من يريد الدخول يؤتى له بفرجية وهو ثوب أبيض محيط بالبدن يلبسه فوق ثيابه ويتعمم بعمامة بيضاء إن لم يكن متعمماً؛ فدخل محافظ المدينة لابساً الفرجية وخلفه المأذون لهم بالدخول؛ وفي يد كل منهم شمعة صغيرة فيضيئها ويشعل القناديل التي داخل الحجرة الشريفة ليتشرف بالخدمة ويزور المحافظ ومن معه النبي ﷺ ثم صاحبيه ثم الزهراء، يتلو لهم الزيارة بعض السدنة وهم يتابعونه وهذا الدخول إنما هو بين

الحاجز الحديدي الدائر حول الحجرة الشريفة وبينها بحيث يمشي الداخل حول حائط الحجرة الشريفة أما نفس الحجرة فبابها مسدود ولا يمكن الدخول إليها ولا رؤية القبر الشريف.

وتشرفنا بزيارة سيد الشهداء حمزة بأحد وسائر الشهداء؛ والمسافة بين المدينة المنورة وأحد نحو من فرسخ ولم نتمكن من زيارة مسجد قبا مع أنه لا يزيد عن هذه المسافة لشدة الخوف فضلاً عن مسجد الفضيخ ومشربة أم إبراهيم وغيرها، لكننا تشرفنا بزيارتهما بعد ذلك فذهبنا من الشام في السكة الحديدية وزرناهما بصحبة عرب العوالي، وبقينا في المدينة المنورة ستة أيام وخرجنا منها بعد الظهر إلى:

❀ ❀ ❀

الجرف

وهو معسكر المدينة قديماً وهو نحو فرسخ منها؛ ورحلنا من الجرف الساعة السادسة ليلاً إلى:

❀ ❀ ❀

بئر جبر

فوصلناها أول النهار، وقبل الغروب رحلنا منها إلى:

❀ ❀ ❀

اصطبل عنتر

فوصلناه قبل المغرب من اليوم الثاني فبتنا فيه؛ وبعد العصر رحلنا منه الى:

❀ ❀ ❀

هدية

فوصلناها صباحاً وماؤها مالح لكنه قريب من وجه الأرض، وفي أي محل حفر يخرج الماء فأقمنا بها إلى بعد العصر ورحلنا إلى:

❀ ❀ ❀

براقة

فوصلناها بعد طلوع الشمس ولا ماء فيها؛ وبقينا فيها إلى الساعة التاسعة من النهار ثم رحلنا منها إلى:

❀ ❀ ❀

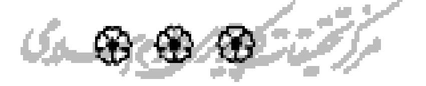
قلعة الحديد

فوصلناها الساعة الثالثة ليلاً فبقينا فيها بقية تلك الليلة إلى الساعة التاسعة؛ ورحلنا منها إلى:

❀ ❀ ❀

قلعة الزمرد

وهي على ثمان ساعات من قلعة الحديد؛ وفيها بعض العسكر فلم نبت بها وواصلنا السير قاصدين.



❀ ❀ ❀

سهل مطران

بالتحريك فوصلناه عند طلوع الشمس وبقينا فيه إلى ما بعد العصر من ذلك اليوم؛ ثم سرنا قاصدين:

❀ ❀ ❀

آبار الغنم

فوصلناها الساعة الخامسة ونصفاً من الليل ورحلنا منها الساعة العاشرة ليلاً إلى:

❀ ❀ ❀

مدائن صالح

فوصلناها قبيل طلوع الشمس وأقمنا فيها بقية ذلك اليوم والليلة التي بعده إلى

الظهر؛ وفيها بئر عذب ماؤها وسط القلعة وهي مدائن ثمود قوم صالح عليه السلام وبيوتهم المنحوتة في الجبال بدرجها الظاهر للعيان باقية إلى اليوم على أبدع شكل وأتقنه يراها المار على الطريق قبل الوصول إلى القلعة، وبعد الوصول إلى المنزل حاولنا الذهاب لرؤيتها فمنعنا عدم الأمن وسمعنا ونحن بالمدائن أعرابياً راكباً على ناقة ينادي يا شاري العرض بالعرض فقلت لأصحابي ما يقول هذا قالوا لا نعلم؛ قلت يريد المبادلة على ناقته بناقة أو جمل لا بيعها بدارهم؛ وقريب منها بلدة تسمى.



العلا

وذات مياه وبساتين فجاء أهلها إلى مدائن صالح ومعهم الشعير والسمن والتمر الجيد والليمون الحلو والحامض وهو كبير الحجم للغاية كثير الماء شديد الحلاوة والحموضة؛ ثم سرنا من مدائن صالح بعد الظهر قاصدين:



ظهر الحمراء

فسرنا بقية ذلك اليوم وتلك الليلة وساعتين ونصفاً من اليوم الذي بعدها فكانت المسافة نحواً من اثنتين وعشرين ساعة والطريق وعر جداً ومررنا بين جبلين على هيأة واحدة وعلو واحد كأنهما ساريتان وبينهما مقدار ممر قطارين من الجمال فقط؛ والناس يسمونها:

❀ ❀ ❀

جبل ابو طاقة

تشبيهاً لما بين الجبلين بالكوة في الحائط والطريق بينهما في مكان ذي رمال تغوص فيها أيدي الجمال وأرجلها وتسير صعوداً وأكثر الناس ينزلون من المحامل عدى العاجز والمرأة ويعلو هناك الصياح والضجيج من أهل القوافل وربما ضربوا بالطبول؛ وأصل استعمال ذلك لتهييج الإبل على السير خوفاً من وقوفها وسقوطها لصعوبة الطريق بسبب الرمل والصعود لكنه شاع بين العامة إن هذا الصياح لئلا تسمع

الإبل حنين فصيل ناقة صالح الذي هو متغيب في ذنيك الجبلين على زعمهم فتموت والطريق بعد ذلك أكثره صخور ومزالق ورمال وبقينا في ظهر الحمراء من الساعة الثانية ونصف نهاراً إلى ساعة التاسعة؛ ثم سرنا بقية ذلك اليوم وتلك الليلة ووصلنا في الساعة الثالثة من نهارها إلى:

❀ ❀ ❀

المعظم

فكانت المسافة بينهما نحواً من سبع عشرة ساعة والمعظم فيه قلعة وبركة عظيمة ماؤها من المطر لكنه لم يكن فيها ماء وسرنا من المعظم الساعة التاسعة من نهار الذي وصلنا فيه فوصلنا:

❀ ❀ ❀

الأخضر

ضحوة الغد فكانت المسافة بينهما نحواً من إحدى وعشرين ساعة؛ والطريق من المدائن إلى الأخضر ليس فيه ماء وهو ستون ساعة قطعناه في ثلاث مراحل، وحملنا الماء معنا من المدائن إلى الأخضر، وفي الأخضر قلعة فيها بعض العسكر وفي وسطها بئر ماؤها غزير وعذب جداً وعليه ناعورة تديرها دابة فتصب في بركة كبيرة فإذا جاء الحاج وجدها مملوءة فلا يخرج حتى ينفد ماؤها؛ ولولا ذلك لكثر الزحام ولعله سمي بالأخضر لوجود العشب حوله بخلاف باقي المنازل التي هي قاحلة جرداء؛ ومن الأمثال فيه (إذا وصلت الأخضر فامش وتبختر) لجودة مائه وغزارته فبقينا فيه ذلك اليوم والليلة التي بعده إلى الصباح ثم سرنا حتى وصلنا إلى منزل يدعى:

❀ ❀ ❀

ظهر المغر

ليس فيه ماء فوصلنا الساعة الحادية عشرة من النهار فبتنا به تلك الليلة وخرجنا منه قبل الفجر بساعتين تقريباً؛ أعني الساعة الثامنة من الليل فوصلنا إلى:

❀ ❀ ❀

تبوك

الساعة الرابعة من النهار وهي بلدة مسكونة بقليل من الأعراب؛ وفيها آبار كثيرة عذب ماؤها ونخل وكروم ونخلها للحكومة، وشرينا منها اللحم والسمن والزبد بثمن رخيص؛ وجاءتنا بها بعض الهدايا من الشام وكان حقها حسب العادة أن تجيء إلى مدائن صالح مع الجردة إلا أن الجردة لاقتنا بالأخضر والأمانات بعضها وصل في تبوك والأكثر بقي في معان هي التي غزاها النبي ﷺ ولم يلاق حرباً وفيها مسجد يقال إنه فيه صلى النبي ﷺ، وقلعة مشيدة هي أحسن ما رأيناه من القلاع قبلها، وكتب على بابها على الكاشي أنها بنيت بأمر فلان من السلطان محمد خان من بني عثمان سنة ١٠٦٤ وفيها بيوت خربة ومزارع حنطة وشعير وبقينا بها بقية ذلك اليوم والليلة التي بعده إلى الساعة الثامنة ونصف ثم خرجنا قاصدين:

❀ ❀ ❀



القاع

فوصلناه قبل الغروب بنصف ساعة تقريباً؛ وهو منزل لا ماء فيه؛ وخرجنا منه آخر الليل فوصلنا:

❀ ❀ ❀

ذات حج

قبيل المغرب وهي بكسر الحاء المهملة بعدها جيم، وفيها قلعة جيدة؛ فيها بعض العسكر جدد بناؤها زمن السلطان عبد المجيد وفيها عيون ماؤها غزير على عمق ذراعين عن وجه الأرض، ماؤها لا بأس به وفيها بعض نخيلات وتكثر فيها العقارب أرضها صلبة لا تنزل فيها الأوتاد، وقد شدوا أطناب الخيام فيها بالحجارة وسكك الحديد وخرجنا منها عند الفجر إلى:

❀ ❀ ❀

المدورة

فوصلناها الساعة الثامنة من النهار، وفيها قلعة محكمة وفي وسطها عين ماؤها

عذب جداً تجري إلى برك ثلاث كباراً عدت للحاج؛ وخرجنا منها آخر الليل إلى منزل منها آخر ليس فيه ماء يسمى:

❀ ❀ ❀

تحت العقبة

فوصلناه بعد العصر وخرجنا منه آخر الليل إلى منزل يسمى:

❀ ❀ ❀

فوق العقبة

ومنه إلى:

❀ ❀ ❀



معان

وهي بلدة معمورة فيها قائم مقام، وهي تابعة لحكومة سوريا فيها دار للحكومة وجامع قديم محكم البناء؛ وفيها ماء جار ومزارع وبساتين فيها أنواع الفواكه ورمانها مشهور وسرنا منها إلى:

❀ ❀ ❀

عنَزَة

ويكثر فيها العجاج والغبار من الرياح العاصفة التي تسفي الرمول، وسرنا منها إلى:

❀ ❀ ❀

القطرانة

وهي بنواحي مؤتة التي فيها جعفر الطيار عليه السلام؛ ومن استشهد معه من الصحابة وكانت السكة الحديدية الحجازية وصلت إليها ومنها ركبنا القطار الحديدي إلى

دمشق بعدما تأخرنا فيها، عدة أيام لعدم تيسر قطار سوى القطارات المكشوفة وامتناعنا عن الركوب فيها ومن القطرانة إلى دمشق ست مراحل بسير الإبل وكان السير فيها قبل السكة الحديدية هكذا على ما قيل لنا - القطرانة - المدورة[1].

❀ ❀ ❀

الزرقاء

وفيها نهر جار؛ ولها ذكر في التاريخ ويسكنها الآن الجركس؛ وهي بنواحي البلقاء الشهيرة في التاريخ.

- القلعة - الرمثا - المزيريب - الكسوة - دمشق - والخمسة الأخيرة من بلاد حوارن، (أما) بعد وجود السكة الحديدية فأسماء المحطات هكذا - القطرانة - سواقة - محجة - ضبعة - جيزة - لبن - قصر - عمان - الزرقاء - سمرا - مفرق - نصيب - ذرعا - (أذرعات) خربة غزالة - أزرع - دير علي - خبب - جباب - مسمية - الكسوة - القدم، ويقال: أن فيه أثر قدم النبي ﷺ حين أتى الشام؛ وإنه وصل ذلك المكان ولم يدخل دمشق - القنوات (محلة بدمشق).

انتهت الرحالة الأولى الحجازية والحمد لله وحده.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

---

(١) قد مر أن المدورة قبل القطرانة بأربع مراحل إلا أن تكون هذه غيرها.

سابعاً

الرحالة الحجازية الثانية للمؤلف عام ١٣٤١ بقصد الحج

خرجنا من دمشق في ذي القعدة سنة ١٣٤١ فركبنا القطار الحديدي الحجازي صباحاً من محطة البرامكة إلى ذرعا (أذرعات) في الدرجة الثانية قاصدين (حيفا)، ومن ذرعا تتشعب السكة الحديدية فيذهب قطار إلى فلسطين وآخر إلى عمان على خط المدينة المنورة الذي كان قبل الحرب العامة وبعد ما فصلنا من ذرعا مررنا في طريقنا بشلال ينحدر منه الماء من مكان عال جداً، ومررنا (ببوادي السرار) وهو واد عميق بنيت فيه قناطر هائله بعضها فوق بعض ليعبر عليها القطار من جانب إلى جانب، ومررنا بمحطة (سمخ) وهي أول المحطات في حكومة فلسطين وإليها يصل البوليس المصاحب للقطار من دمشق ثم يعود؛ وفيها جعلوا يأخذون جوازات السفر ويكتبون عليها (مصرح له بدخول فلسطين) ومررنا بمحطة (الرملة) البلد المشهور ولم نر البلد لبعد المحطة عنها، ومما لاحظناه أنه ليس في موظفي القطار سوى اثنين من المسلمين أحدهما فلسطيني والآخر أصله إيراني مولود في جبل عامل والذي ينظر في جوازات السفر مسلم مصري مبرنط اسمه عبد الحميد يحضر مع قطار مصر الآتي إلى حيفا، ومررنا بجانب (غزة هاشم) فوصلنا حيفا عصراً واهتم بأمر سفرنا إلى مصر وإنجاز أشغالنا تاجر حيفاوي جاءته وصاية من صديقه وعميله في دمشق فما انقضى النهار حتى كانت جميع أشغال سفرنا ناجزة عن يده؛ وكنا في ضيافته في داره التي في سفح الجبل وبات رفقاؤنا في الفندق.

وصباحاً ركبنا القطار من حيفا فسار بنا في سهول فسيحة من صحراء سيناء جلها أو كلها رمال قاحلة، ويوجد فيها قريات بقربها بعض النخيلات وفي الغالب لا يوجد إلا محطة القطار قد أغارت عليها الرمال فطمرت بعضها وهم يزيحونها عنها

ثم تغير عليها بمساعدة الرياح العاصفة فهم معها دائماً في حرب، وهذا الخط من حيفا إلى مصر أنشأته الإنكليز أبان الحرب العامة فكان يمشي مع عساكرها كلما تقدمت، وعمل فيه العدد الكثير من أهل صعيد مصر وبرها بالقوة القاهرة مع الأجرة فكانوا هم العامل الوحيد في إنشائه وأجرى الإنكليز الماء في قساطل الحديد الضخمة من النيل بجانب الخط لسقي الجنود فهو يسير معهم كلما تقدموا، وقد وضعوا في مصر وحملة سينا ما يقارب نصف مليون جندي وجردوا العسكر الوطني المصري من السلاح، فلما انتهت الحرب رفعوا تلك القساطل وأبطلوها وقد شاهدناهم يشتغلون برفعها من تحت الرمل في طريقنا إلى مصر، وما زلنا نسير في سهول قاحلة حتى وردنا:

❀ ❀ ❀

القنطرة

وهي قرية على ضفة الترعة من جهة سينا، فبقينا فيها نحواً من ساعة للتأشير على جوازات السفر وفحص الأمتعة من موظفي الجمرك وكلهم مصريون، بل لم نشاهد هناك موظفاً غير مصري وشاهدنا في القنطرة من حسن النظام ما لا ينكر، وبذلك تمكن الموظفون من إنجاز أعمال الركاب على كثرتهم في ساعة أو أقل، (فمنها) أن الحمالين يتسلمون أمتعة الركاب كلها بالعدد بعد أراءة نمرهم ثم يسلمونها لهم في الجمرك بالعدد والأجرة عن كل قطعة صغيرة أو كبيرة قرشان مصريان صحيحان، فعلى الإبريق قرشان وعلى الطرد العظيم قرشان، (ومنها) أن لركاب كل درجة من القطار محلاً مخصوصاً في الجمرك ومفتشاً مخصوصاً، والمصريون ممتازون بحسن الأخلاق وحسن معاملة الركاب وكانوا لا يبالغوا في تفتيش أمتعة الحجاج ويخاطبونهم بكل لين، وكان معنا خيمة جديدة كبيرة فلم يأخذوا عليها شيئاً وقال لي مفتش أمتعتنا: يا سيدي أنت ذاهب إلى الحجاز قلت نعم قال أما تضعني (في كيبك) أي جيبك لأنهم يقلبون الجيم كافاً؛ وقد كتبوا على قوس عال في القنطرة هذه العبارة (خط حديدي حربي) وكتبوا في جملة مواضع بالحرف الكبير احذروا النشالين.

ثم عبرنا من القنطرة إلى الجانب الآخر من الترعة على جسر خشبي أظن أنه

موضوع على السفن كجسور العراق؛ فوقف أهل كل درجة في مكان خاص بهم ووجدنا القطار حاضراً وقاطرات كل درجة أمام ركابها فركبنا القطار إلى مصر فوصلناها نحو الساعة الثالثة ليلاً وذهبنا إلى دار بعض الأصدقاء الذي كانا ينتظرنا في المحطة، فبقينا في مصر أياماً ذهبنا في أثنائها لزيارة مشهد الرأس الذي يقال إنه رأس الحسين عليه السلام وزيارة قبر السيدة زينب بنت يحيى بن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام، وذهبنا إلى القناطر الخيرية والأنتيكة خانة وحدائق الحيوانات وذهب رفقاؤنا إلى الأهرام ولم نذهب معهم لأنا رأيناها في السفرة الأولى وذهبنا إلى:

❁ ❁ ❁

الجامع الأزهر

وكان ذلك في أيام تعطيل الدروس العامة فوجدنا حلقة من الطلبة فيها نحو الأربعين شخصاً جالسين أمام مدرسهم؛ فجلسنا معهم فوجدناهم قد فرغوا من الدرس فنظروا إلينا شزرا ونحن ورفاقنا بزي أهل الشام والمصريون لا يألفون الشاميين كثيراً وظهر أن الشيخ كان قد ألقى عليهم في درسه خبر الحكمين فطلبوا إليه إعادته ظناً منهم أن ذلك ربما يغيظنا فأظهر الامتناع قائلاً إن ذلك ربما لا يروق لبعض الجالسين يعنينا فألحوا عليه وكان أكثرهم إلحاحاً تلميذ عليه ملامح النباهة وحركة الفكر فابتدأ يلقي عليهم القصة من أولها إلى آخرها حتى أتى عليها بحذافيرها لم يغادر منها شيئاً وكلما وصل إلى شيء من خداع معاوية وعمرو بن العاص لأهل الشام تبسموا ونظروا إلينا من طرف خفي فلما وصل إلى ذكر أبي موسى قال ذلك التلميذ تشرفاً بأبي موسى.

وكانت الدار التي نزلناها في زقاق المدارس تشرف على معبد لليهود وبجانبه حديقة له؛ فكان في الغالب يأتيه جماعة منهم لابسين أكسيتهم للعبادة فيشدون السيور على أيديهم ويزمزمون ويقرؤون فأسفنا لما أن رأينا الشيعة في ذلك البلد وجلهم إيرانيون وهم أهل تجارة وفيهم جماعة من ذوي الثروة الطائلة لم يخطر ببالهم أن يكون لهم جامع يجمعهم لعبادة الله تعالى وإمام يؤمهم فيه وعالم يعلمهم أحكام دينهم.

❁ ❁ ❁

تكايا الإيرانيين في مصر وإقامة عزاء الحسين عليه السلام

نعم لهم تكيتان إحداهما للفرس والأخرى للترك؛ يقام فيها عزاء سيد الشهداء أرواحنا فداه في أيام عاشوراء ويبذل الطعام الوافر كل ليلة ويحضر من المصريين وغيرهم حتى الإفرنج الجم الغفير؛ وفيهم من أهل العلم والفضل عدد كثير؛ ومن المؤسف أن خطباء وقراء ذلك المحفل العظيم ليست فيهم الكفاءة لذلك المنصب الجليل؛ بل سلمت تلك الوظائف إلى غير أهلها ولو توفرت فيهم الأهلية لاغتنموا أعظم فرصة للدعاية إلى الدين الإسلامي ومذهب أئمة أهل البيت الطاهر ونشر فضائلهم التي اختصوا بها عن سائر الخلق وأظهروا للملأ محاسن ذلك الدين القويم ومذهب أئمة أهل البيت الطاهر وكانوا مفخراً للشيعة، ولكنهم لعدم كفاءتهم قد أضاعوا تلك الفرصة الثمينة أعواماً كثيرة بل ربما كانت نتيجتها على العكس، وقد وفق الله تعالى في هذه السنين الأخيرة لوجود شخص من فضلاء سادات آل المرتضى في دمشق قد ألم ببعض طريقتنا التي نتوخاها منذ سنين ونبذل المجهود لإحكامها في إقامة العزاء بتعليم القراء وتدريبهم وتأليف الكتب (كلواعج الأشجان. والدر النضيد، والمجالس السنية، وإقناع اللائم) وطبعها ونشرها فصار يذهب إلى مصر في العاشوراء بطلب من أهلها ويظهر بقراءته محاسن إقامة العزاء على ذلك الطرز وبذلك النحو وبان لهم ما فيه من الفوائد العظمى والمنافع الكبرى، نسأله تعالى التوفيق لدوام ذلك وتحسينه عاماً فعاماً وانتشاره في جميع بلاد الشيعة.

وعندنا أن من أهم الأمور إيجاد مدارس لقراء التعزية يتعلمون فيها النحو والصرف بما يستطيعون به حفظ ألسنتهم من الغلط، وكيفية الرجوع إلى كتب اللغة لضبط الألفاظ العربية والخطابة ويتمرنون على إلقاء الكلام في المجتمعات وعلى معرفة المقامات المناسبة لأنواع الكلام ويحفظون من الأحاديث والأخبار الصحيحة والقصائد الجيدة ما يمكنهم قراءته في المقام المناسب له، ويعرفون ما يجب تجنبه من الأحاديث المكذوبة أو التي لا يوافق قراءتها في القصائد الركيكة؛ وبهذه الوسيلة تتخلص القراءة مما يعتورها من العيوب والمفاسد.

❁ ❁ ❁

المدرسة الإيرانية في مصر

ولم يكن للشيعة في مصر مدرسة تخصهم وأروقة الجامع الأزهر ليس لهم منها نصيب. نعم أنشأ الإيرانيون مدرسة خاصة بهم لتعليم أبنائهم العلوم العصرية بتشويق الفقيه العلامة السيد علي ابن عمنا السيد محمود قدس سره حين زيارته لمصر، قام بجميع نفقاتها المثري الكبير ميرزا محمد علي بك ابن المرحوم ميرزا فضل الله بك ولكنها مع الأسف ليس لها صبغة دينية على ما بلغنا كما كان يتوخاه السيد بتشويقه لإنشائها؛ وذلك لعدم وجود من به الكفاءة في مصر من علماء الدين الجعفرية؛ نعم الموسيقى فيها غاية في الإتقان.

وفي مصر جريدة للإيرانيين تصدر بالفارسية اسمها (جهرة نما) وغرفة تجارية إيرانية رئيسها ميرزا مهدي بك مشكي.

❀ ❀ ❀

حديث مع شاب مصري

ثم خرجنا من مصر قاصدين السويس في القطار الحديدي، وبعد ركوبنا جاء شاب مصري موظف في إدارة السكة الحديدية فرأى قبالنا مكاناً خالياً فلم يشأ الركوب فيه حتى سأل هل هنا أحد مما دل على آداب المصريين؛ عكس ما في سوريا فالشخص الذي يرى نفسه كبيراً قد يقيم غيره قهراً ويجلس مكانه فقلت له لا فجلس وسألني قائلاً: هل سيادتك من أهل سوريا قلت نعم فقال كم في سوريا من المذاهب الإسلامية قلت له بالطبع إنك لا تسأل عن أهل المذاهب الأربعة قال أجل قلت يوجد سنيون وشيعة قال وما هم الشيعة قلت فرقة من المسلمين يشهدون لله بالوحدانية ولنبيه محمد ﷺ بالرسالة وإن جميع ما جاء به عن الله حق؛ ويقيمون جميع فرائض الإسلام من الصلاة والصيام والحج والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها، ويحرمون جميع ما حرمه دين الإسلام من الزنا واللواط وشرب الخمر وقذف المحصنات والغيبة والنميمة والحسد والكذب والخيانة والسحر وغيرها، وإنما يفترقون عن أهل السنة بأنهم يقولون إن أهل البيت عليهم السلام أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ، وهنا قال: (برضو كدا) أي هو كذلك بلا ريب فقلت: ويأخذون أحكام دينهم غالباً عن إمام أهل البيت جعفر الصادق بن محمد الباقر بن

علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ وقد يأخذونها عن غيره من أئمة أهل البيت كما يأخذ أهل السّنة أحكام دينهم عن الأئمة الأربعة وشذان يخالف المذهب الجعفري جميع المذاهب الأربعة، بل إن خالف واحداً وافق الآخر غالباً كما أنهم لا يكفرون (لا يتكتفون) في الصلاة ووافقهم فيه المالكية (فقال): بلغني أن الشيعة في سوريا يؤلهون سيدنا علي بن أبي طالب ويقولون إن النبوة كانت عائزة تنزل على علي بن أبي طالب فخان جبرائيل وصرفها إلى محمد ﷺ وأنهم لا يغتسلون من الجنابة ولا يفعلون شيئاً من أحكام الإسلام؛ وسبب سؤالي لك عن هذا أن رجلاً من شيعة سوريا تزوج قريبة لي في مصر ثم ذهب إلى سوريا ولم يعد؛ فقال لي بعض الناس يمكن رجوعها عن زوجها بدون طلاق لأن الشيعة ليسوا بمسلمين لأنهم يعتقدون ما ذكرت لك فأقسمت له أن هذا افتراء محض على الشيعة وإن اعتقادهم لا يخرج كما ذكرت لك (فقال) وهل يوجد مذاهب غير هذا في سوريا (قلت) نعم يوجد مذهب الدروز ومذهب النصيرية وينسب إلى الثاني إنهم يؤلهون الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وهم ينكرون ذلك فقال: أنت قلت إنه لا يوجد في سوريا من يؤلهه (قلت) أنا لم أقل ذلك وإنما قلت إن الشيعة الإمامية في سوريا لا يؤلهه فشكرني على هذا البيان وزاد في تعظيمي وإكرامي؛ ولما وصلنا السويس حمل لي حقيبة كانت معي وأرشدني إلى الطريق لأن أصحابي كانوا في درجة أخرى من القطار ثم ودعني شاكراً لي ومضى؛ فانظر إلى ما يفعله الجهل والتعصب وما يبثه المفسدون مما يفرق كلمة المسلمين ويحملهم على عداوة إخوانهم في الدين.

ومما حصل لنا عند ركوب القطار من مصر أن بعض أصحابنا الذي كان أشدنا حذراً واحتراساً وكان يوصي أصحابه بذلك سرق منه في محطة مصر جواز السفر وبعض النقود مع أنه قد كتب في كل مكان بالقلم العريض (احذروا النشالين) فذهب في السويس إلى القنصل الفرنساوي وأخبره بالحال، فقال إما أن تأخذ جوازاً جديداً وتدفع رسمه وإما أن تدفع أجرة برقية إلى دمشق ذهاباً وإياباً فإن جاء الجواب أنك أخذت جوازاً أعطك بدله مجاناً فرأى أن انتظار الجواب قد يؤدي إلى فوات الحج فأقنعه الترجمان بإرسال برقية إلى المعتمد العربي لدولة الحجاز في مصر فجاء الجواب بأن جوازه مقيد عنده فأعطاه القنصل جوازاً مجانياً وسافر معنا.

⊛ ⊛ ⊛

ما جرى لنا في السويس

ثم ركبنا من السويس في وابور طلياني غاية في النظافة اسمه (مصوع) باسم جزيرة كانت قديماً تابعة للحجاز ثم صارت للطليان وأهلها مسلمون زنوج وأكثر عملة الوابور منهم؛ وقد أحسنوا معاملتنا وأعطونا ظهر العنبر (الأنبار) لقاء ثلاث ليرات عثمانية لأننا لم نجد مكاناً في الدرجة الأولى ولا الثانية فكان مكاننا بسبب ذلك متسعاً واسترحنا من مشقة حمل الأمتعة أو تعريضها للماء حال غسل الباخرة الذي يكون مرتين في النهار وهذه الباخرة تسافر في كل خمسة عشر يوماً من السويس إلى جدة.

ولما أردنا ركوب الباخرة دخلنا في مدخل الميناء وهي بناية طويلة جداً ذات أمكنة وحجر عديدة وهي غير المدخل الذي دخلنا منه في الحجة الأولى؛ لأن ذلك كان بدون سقف؛ وهذا مسقوف والموكلون بأمر الركاب لا يدعونهم يمرون إلا جماعات جماعة بعد جماعة الأولى فالأولى دفعاً للازدحام؛ فإذا أراد جماعة خرق النظام انهالوا عليهم بسياطهم فيرجعون القهقرى وكان الوقت قائظاً فتأذيب من طول الوقوف وشدة الحر واحتباس الهواء فتقدمت إلى الأمام راجياً أن لا يعارضني الجلواز فلما أحس بي خلفه عاد نحوي مغضباً؛ فلما وقع بصره علي أسرع إلى تقبيل يدي وقال تفضل يا سيدي فحمدت الله على ذلك.



نذر الإحرام قبل الميقات والإحرام من المحاذاة

وقد نذرنا الإحرام من السويس قبل سير الباخرة تخلصاً من أشكال الإحرام عند المحاذاة التي قلما يحصل الظن بها في البحر فضلاً عن اليقين، ومن أشكال تعيين المكان عند سير الباخرة فأحرمنا في السويس عاقدين الإحرام بالتلبية بقول: **(لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك)** ثم جددنا الإحرام في كل مكان تحتمل فيه المحاذاة كينبع ورابغ بتجديد النية والتلبية ثم جددناه في جدة بناء على محاذاتها ليلملم ثم في بحرة بناء على احتمال المحاذاة له فيها؛ حيث تحقق في هذا العصر أن محاذاة يلملم تكون في جدة بالجيم أو حدة بالحاء التي هي في جهة بحرة خلافاً لما

كان معروفاً من أن محاذاة يلملم لمن حج بحراً بطريق البصرة تكون في قمران لأن تلك وإن كانت محاذاة إلا أن المطلوب محاذاة خاصة لا تتحقق إلا في جدة أوحدة أو بحرة؛ وهي أن يكون الميقات على يمين أو يسار الحاج متوجها إلى مكة والمحاذاة في قمران ليست كذلك بل يكون يلملم مقابل وجهه ولعله لذلك، قال ابن إدريس في السرائر أن ميقات أهل مصر ومن صعد البحر جدة كذلك في أهل مصر وكل من صعد البحر قبل فتح ترعة السويس.

أما من يحج بحراً عن طريق السويس فهو يحاذي مسجد الشجرة أولاً إذا وصل إلى حذاء ينبع أو قريباً منها، ثم يحاذي الجحفة عند رابغ أو قريباً منها ثم يحاذي يلملم في جدة أو حدة أو بحرة على ما حققناه في كتاب المناسك، ولما كان من يمر بميقاتين أو أكثر يلزمه الإحرام من أولهما ويحرم عليه التأخير وإن صح إحرامه، كان من يحاذي ميقاتين أو أكثر يلزمه الإحرام من محاذاة أولهما ويحرم عليه التأخير وإن صح إحرامه وعليه فمن يحج بحراً بطرق السويس عليه أن يحرم من محاذاة الشجرة لا من محاذاة الجحفة كما هو المتعارف بين العامة والخاصة؛ لتقدم محاذاة الشجرة على محاذاة الجحفة.

❁ ❁ ❁

حرمة التظليل للرجل المحرم عند ائمة أهل البيت والإمامين مالك وأحمد

وكان إحرامنا في حمارة القيظ وعندنا يحرم التظليل سائراً؛ ويمكننا عدم التظليل لكننا نخاف الضرر باستمرار ذلك فرأينا أن الضرورة تقدر بقدرها فعلينا أن لا نستظل حتى يحصل خوف الضرر وكان هذا خطأ من الرأي لأن خوف الضرر يحصل من أول الأمر فبعد بقائنا خارج الظلال مدة قليلة تيقنا الضرر وإنه كان يلزمنا من أول الأمر الإحرام تحت الظلال فعدنا إلى الظل.

وعاب علينا بعض المتفقهة الحلبيين ذلك وقالوا هذا تكلف لما ليس بلازم مع أن مالكاً وأحمد قالا بحرمة التظليل على المحرم، قال الشعراني في ميزانه قال أبو حنيفة والشافعي للمحرم أن يستظل بما لا يماس رأسه على محمل وغيره؛ وقال مالك وأحمد أن ذلك لا يجوز له وعليه الفدية عندهما اهـ .

ورأينا ونحن نسير في البحر الأحمر حيوانات من نوع واحد تتبع الباخرة من ورائها وعن يمينها وشمالها وتظهر على وجه الماء كثيرة لها أعناق طويلة وأجسام سوداء مدورة كبيرة؛ فبقيت على ذلك مدة ثم خفيت ويظهر أن لها مسكناً بذلك المحل من البحر.

ولما وصلنا مرفأ (جدة) جاء النوتية من أهل السفن الصغيرة ويسمون الواحد منها سنبكا؛ فنقلوا أمتعتنا إليها وسارت بنا إلى المرفأ وكانت الحكومة الهاشمية حددت لهم أجرة مخصوصة ومن تعداها يعاقب، وأعطيناهم زيادة عنها فلم يجسروا أن يأخذوها حتى توثقوا منا أن لا نخبر أحداً بذلك، أما في الإياب فلم يبالوا بذلك لأمنهم من الشكوى عليهم؛ وكذلك صاحب المنزل بجدة لما أردنا أن نعطيه الكراء قال إن سيدنا رسم عن كل نفس قرشين فأكرمناه بزيادة عنها، وفي الحجاز يحتبس الهواء في الصيف عند العشاء حتى لا يستطاع التنفس، وليلة دخولنا جدة احتبس الهواء ونحن نتعشى فلم نستطع أن نسيغ بقية العشاء؛ لكنه في آخر الليل يبرد ويعذب حتى يحتاج النائم تحت السماء أن يتدثر بشيء رقيق.

لم تأخذ الحكومة من الحجاج إلا قرشاً وثلاثة أرباع القرش مقابل طابع يوضع على جواز السفر.

ثم سرنا من جدة راكبين الحمر البيض ليلاً مع جماعة من أصحابنا؛ وبقي الباقون مع الأثقال فساروا راكبين الجمال ليلتين إلى (مكة) أما نحن فخرجنا قريب المغرب من جدة ووردنا مكة ضحى بعدما جلسنا في الطريق نحواً من ساعتين تعشينا فيهما وصلينا وكان الطريق بين مكة وجدة في غاية الأمن.

ولا تزال العربية في حاضرة الحجاز وباديته ثابتة في أكثر ألفاظهم؛ ولما خرجنا من جدة صاح المكاري الرث الهيأة الأشعث الأغبر برجل قائلاً: قل لفلان يفعل كذا بآية كذا أي بعلامة فذكرنا به قول الشاعر العربي:

ألكني إلى قومي السلام تحية بآية ما كانوا ضعافاً ولا عزلا

وأهل مكة ينادون يا حجاج بضم الحاء يا حاج، وكانت ربة المنزل بمكة تنادي ابنها يا عبد المجيد بفتح الدال، وقلنا لصاحب المنزل هل تكون أمتعتنا في أمن مدة غيابنا في عرفات ومنى فقال تؤدوننا تخلفة ونحن نحفظها لكم ودعا بعض الجمالة

على رجل دعوة كانت بمنتهى الفصاحة والبلاغة وأسفت جداً على نسياني لها، وكان أطفال الأعراب الشعث الغبر يعدون في الطريق أمام الحجاج إلى الوراء مستقبلين الحجاج وهم ينثرون لهم بعض الدراهم وقطع الخبز فيلتقطونها من بين الرمل بكل خفة ولباقة؛ ولهم في عدوهم إلى الوراء يهزجون وينشدون خفة ولباقة وهيأة متناسبة متناسقة تستلفت الأنظار ويقولون في دعائهم (الله يردك إلى أهلك مرد جميل) وغير خفي ما فيه من البلاغة؛ فإن الرد لا يكون كافياً إلا مع السلامة في الجسم والمال وغيرهما وهو المرد الجميل.

وترى الجمالة خائضين مع جمالهم في تلك الرمال المتوقدة ناراً وهم حفاة كأنهم يمشون على فرش ممهدة وقد بدت سوقهم المفتولة الخفيفة العضلات كأنها من حديد.

وكان أصحاب المنازل في الطريق كبحرة يطلبون الأجرة بكل رقة ولطف عكس ما رأيناه منهم في الحجة الأولى كل ذلك من الحكم الصارم.

وجاءنا في مكة بعض من له علاقة بالملك حسين طالباً أن يأخذ لنا موعداً لملاقاة الملك؛ فقلنا له نحن أتينا لزيارة ملك الملوك في بيته فلا نريد أن نخلط بها زيارة ملك من عبيده.

وجئنا يوماً إلى المسجد الحرام لصلاة الصبح وأنعم بنا بعض أصحابنا ودخل معنا في الصلاة مكيان وفي الأثناء قال أحدهما هذا عكمي أي شيعي وقطعا الصلاة وذهبا فانظر إلى أي حد بلغ التعصب بمن يرى جواز الصلاة خلف البر والفاجر.

ولما أردنا الإحرام للحج يوم التروية وكان الأفضل الإحرام من المسجد من المقام أو حجر إسماعيل، جئنا إلى المسجد وصلينا ركعتين تحت الظلال وأردنا الوصول إلى المقام ولو كان شاقاً لنحرم منه طلباً للفضيلة ظناً منا أنه يمكننا الوصول إليه ولو بالسرعة الزائدة فلما خطونا بعض خطوات على تلك الأرض الملتهبة كادت أقدامنا تحترق ورجعنا القهقرى بكل سرعة وبقي الألم في أقدامنا أياماً ولم يمكنا الوصول إلى المقام.

ثم خرجنا إلى (عرفات) وكان الوقوف واحداً فيها لجميع الحجاج، فوقفنا بها يوم التاسع واشتغلنا بقراءة الأدعية المأثورة والتضرع والبكاء والزيارة ففرغنا من ذلك

كله قبل غروب الشمس بمدة طويلة لأن الوقت كان صيفاً والنهار طويل بخلاف الحجة الأولى التي لم نفرغ فيها من ذلك إلا قريباً من الغروب لأن الوقت كان شتاء، ثم نفرنا بعد الغروب إلى (المزدلفة) فبتنا بها، ثم أتينا (منى) فذبحنا وعدنا إلى الخيام فضللنا الطريق وبقينا نحواً من ساعة ندور بين الخيام حتى كدنا نهلك من الحر والمظال على رؤوسنا ولم نتمكن يوم العيد من الرجوع إلى مكة لشدة الحر وما نالنا من التعب فعدنا إليها في اليوم الحادي عشر وبعد أن طفنا طواف الحج وسعينا عدنا إلى منى وكان ذلك قريب الظهر واشتد علينا الحر والعطش فأوينا إلى بعض المقاهي التي في الطريق وشربنا الماء البارد والشاي واسترحنا ثم تابعنا السير إلى منى، وبعد قضاء مناسك الحج فرضها وندبها عدنا إلى مكة المكرمة حامدين الله تعالى شاكرين له على توفيقنا لذلك.

ولم نتمكن من زيارة المدينة المنورة لخوف الطريق؛ حتى إن بعض من ذهبوا لزيارتها وصلوا قريباً منها وشاهدوا القبة الشريفة ولم يتمكنوا من دخولها وصدتهم أعراب الأحمدي بعدما دفعوا من الخاوات في الطريق مبلغاً وافراً استغرق جميع ما معهم من النقود فعادوا إلى مكة.

وليلة عودنا من منى أصابت بعض أصحابنا الحمى لأكلة أكلها (ورب أكلة منعت أكلات) فوطنا أنفسنا على التخلف عن الحاج لأجله حيث ظننا أنها تطول مدة برئه؛ وكنا استصحبنا معنا صندوقاً من الأدوية وبعد إعطائه المسهلات والحقن منّ الله تعالى بشفائه وسافرنا مع الحاج.

ولما كان استئجار الجمال بيد المطوفين ولم يتمكن مطوفنا الركيك من استئجار جمال بقدر حاجتنا لأن الذي يوجد غالباً أما زائد عن الحاجة أو ناقص، ويعسر على الجمالة تفريق جمالهم أرسلنا من يساعده على ذلك فوجد جمالاً معه بمقدار حاجتنا وزيادة جملين فاستأجر الكل وكان ذلك من التوفيق لأنه ظهر أن رفقاءنا في حاجة إلى أحدهما وتحملنا نحن أجرة الآخر فخرجنا من مكة قبل الغروب بنحو من نصف ساعة قاصدين جدة ولما وصلنا إلى محل التفتيش على الكواشين لم يكن مع جمالنا كوشان وكانت الكواشين مع المطوف؛ وبعد التفتيش عليه وجدت كواشينه غير منتظمة وقد أخذ من الكواشين أقل مما دفع من الرسم فأخذنا منه كوشانا يزيد عما معنا وجعل الجندي يعد الجمال فوجدها ناقصة فقال له صاحبنا أنت مسامح في

الباقي فوقف مبهوتاً وسرنا حتى وردنا (بحرة) ضحى فبقينا فيها إلى العصر، ولم أذق فيها طعاماً خوف العطش واقتصرت على الشاي لأن ماءها أجاج وحرها شديد وكنا صحبنا شيئاً قليلاً من ماء مكه العذب خبأه لنا العكام فسددنا به الرمق أما أصحابنا فأكلوا من طبيخ الأرز واللحم حتى اكتفوا والطباخون هناك كثيرون وهم ينادون على طعامهم باللسان الجاوي لكثرة وجود الحجاج الجاويين (يابارو يافنس) أي حار يا جديد، وأهل الحجاز يعرفون مقدار الحاجة من كل لسان يطرقهم أهله وعند العصر تهيأنا للسفر.

وكان من عناية الله تعالى بنا أن رأينا أعرابياً أعمى يقوده طفل صغير وقد حمل الأعمى قربة من الماء وهو ينادي عليها (ماي حلو)، ولا يصدقه أحد في أن ماءها حلو لعدم وجوده في بحرة فاشتريناها منه بقطعة واحدة لعلنا نحتاجها للوضوء وملأنا منها المطرات ولما كظنا العطش في الطريق رمنا الشرب منها على كره فإذا ماؤها حلو فشربنا وسقينا أصحابنا وتوضأنا بباقيها لصلاة الصبح على أبواب جدة.

وكان منزلنا في جدة داراً فخمة واسعة ليس لها نظير في جدة تسمى دار البغدادي كان دعانا إلى النزول فيها مستأجرها صديقنا الحاج محمد الأزري البغدادي.

والمياه في جدة ثلاثة (أحدها) النابع وهو أجاج (والثاني) ماء (السنداسة) وهي ماكينة باقية من عهد الأتراك تصفي ماء البحر بالتقطير فيعود حلواً لكن له طعم خاص ردي؛ (والثالث) ماء الصهاريج المتجمع من المطر وهذا حلو عذب شروب فكنا نشتري منه.

وفي الليلة التي أردنا السفر في صبيحتها من جدة أصابتنا الحمى قريباً من نصف الليل وعند الصباح تحاملنا وذهبنا إلى الميناء التي تبعد كثيراً عن منزلنا لعدم إمكان تأخير السفر، وكنا استأجرنا في باخرة تسمى (أمزون) باسم نهر في بلاد الإنكليز وكانت ترفع العلم المصري مما دل على أنها تابعة لشركة البواخر الخديوية التي اشتراها الإنكليز من الحكومة المصرية؛ وهذه الباخرة من البواخر الكبيرة لكنها من أقذر ما خلقه الله في العالم حتى أنها لم تغسل من جدة إلى بيروت مع أن الباخرة الطليانية (مصوع) كانت تغسل في اليوم مرتين كما مر؛ وما ذاك إلا لأن مستأجريها

مسلمون بيروتيون وركابها حجاج مسلمون سوريون، والحجاج في مثل تلك الحال لا يعاملون بأحسن مما تعامل به الحيوانات الصامتة بل بأخس.

ولما دخلنا في مدخل الميناء وجدنا الناس محتشدة فيه والوقت قائظ والهواء محجوب، (وأم ملدم)[1] في زيارتنا فكادت الروح أن تزهق ثم أمر الله بالفرج فأطلقت جنود الحكومة سراح الحجاج بعدما كانوا محبوسين لإتمام رؤية الجوازات والتأشير عليها فركبنا السنبك (الزورق) إلى الباخرة ولا تسل عن الازدحام على الدرج ووقوف السنبك المملؤ من الماء تحت الباخرة مدة طويلة حتى تأتي النوبة للخروج. وزاد الطين بلة نزول الماء من الباخرة على من في السنبك ونحن في تلك الحال لا نستطيع الوقوف للمرض ولا الجلوس.

ثم صعدنا إلى الباخرة ودخلنا (البريمو) المحترم الذي دفعنا أجرته ثلاث عشرة ليرة عثمانية طلباً للراحة؛ فوجدناه أشبه بسجن منه بدرجة أولى في باخرة تتعادى فيه الجراذين يميناً وشمالاً وبيت الخلاء فيه لا يمكن الوصول إليه إلا في زورق لتجمع المياه في مدخله، (أما الغرفة) الموقرة التي عينت لنا لقاء المبلغ الذي دفعناه ففيها سريران ولها كوة مستديرة لا يزيد قطرها عن شبر وماذا تجلبه تلك الكوة من الهواء للراكب، فما كانت إلا كسجن تحت الأرض لأنه ينزل إليها بدرج فاستلقينا على ذلك السرير ومقابلنا رجل حمصي فلما رأى ما حل بنا من المرض أخذ يسلينا ويذم الباخرة فلم نستطع البقاء هناك وجلسنا عند الباب؛ وكنا كل يوم نصعد إلى ظهر الباخرة عند رفقائنا الذين دفعوا ثلاث ليرات؛ وفي النهار ننزل إلى فسحة البريمو أما الغرفة فطلقناها تسعاً لا رجعة فيها، كل هذا والحمى لم تفارقنا وهيجان المرة الصفراء ملازم لنا وصلاتنا بالإيمان مستلقين.

وكان معنا في الدرجة الأولى شخص أفغاني مقيم في باريس من عشرين سنة يتجر بجلود الغنم لم يغير شيئاً من ملابسه وبزته الأفغانية في باريس، وقد جاء للحج وزيارة قبور الأنبياء عليهم السلام في بيت المقدس والمسجد الأقصى أراد أن يكلمنا فتوقف لأنه لم يعلم أننا نحسن الفارسية فابتدأناه بالكلام بها فسر بذلك والأفغانيون يتكلمون بالفارسية والتركية، وجعل لا يفارقنا في أغلب أوقاته ويتحدث معنا ونتحدث معه،

---

(١) يقصد الحمى.

فمما قاله لنا إنه في سياحته الطويلة في البلاد لم ير أقبح من هذه الباخرة وأنه ندم على الركوب في الدرجة الأولى لأن غرفته أصبحت كالخان.

فبقينا في تلك الباخرة خمسة أيام والحمى تلازمنا ولم نذق في خلالها شيئاً سوى الماء البارد الذي كان يأتينا به القيم بعدما وعدناه بالدراهم، وقد نمزجه بشراب التمر الهندي أما اللحم والسمن والخبز وكل مطبوخ فكنا نتأذى من رائحته ورؤيته بل من تصوره؛ ولا نشتهي غير اللبن والفاكهة المعدومين.

وجاءنا بعض الأصحاب برمانة صغيرة متعفنة فكنا نلتقط الحبات السالمة منها ونمصها فنجد لها لذة عظيمة.

❀ ❀ ❀

محجر الطور

وبعد خمسة أيام وصلنا محجر الطور وكان دخولنا إليه سبب حياتنا فرأيناه في غاية الانتظام وحسن الترتيب.

(والطور) قرية صغيرة في فلاة من الأرض كلها رمال على ساحل البحر الأحمر بين السويس وجدة، قريبة من السويس أهلها مسلمون ونصارى وماؤها من الآبار وقد بنت الحكومة المصرية الاسم الإنكليزية المعنى قريباً منها محجراً واسعاً سنة ١٣٢١ هجرية؛ وجعلته أقساماً كل قسم على حدة بباب مستقل فيه من الغرف المنارة بالكهرباء عدد كثير وفي جانب منه حمامات للاغتسال جلب إليها الماء من البحر بأنابيب والآلات رافعة وفي سقف كل واحد رشاش ذي ثقوب متى فتح هطل الماء منه على الرأس كالمطر الغزير؛ وجعلت بيوت الخلاء في قفاه وأبوابها من خارج، وله خدم من الأعراب ألبسوا ثياباً صفراء دكناء؛ وبأيديهم المكانس والزنابيل يطوفون دائماً على الحجر وصحن الدار وبيوت الخلاء والحمامات فإذا وجدوا قمامة أو غيرها أزالوها حالاً؛ قلت لأحدهم أين أهلكم فقال أهلنا في الجبال وأشار إلى جبال من جهة المشرق مفرطة في العلو والبعد، ولكل قسم دار فسيحة مستطيلة تنار ليلاً بمصباح كهربائي عظيم فيكون به ليلها كالنهار ودكان فيها جميع ما يحتاجه الحجاج بأسعار محدودة ومخزن للماء الذي يستخرج من الآبار يستقي منه الحجاج

ما يلزمهم ثم يقفل، ولكل حجرة مصباح كهربائي وللمحجر دائرة بريد وبرق كل ذلك لأيام الموسم خاصة ثم يعطل جميع ذلك طول السنة.

ولما أردنا دخول المحجر حضر الطبيب ولم يأذن لأحد بالدخول حتى قعدوا جميعاً وجعل يشير إلى واحد واحد فيقوم ويدخل حذراً من الازدحام، فبقينا في محجر الطور ثلاثة أيام كان غذاؤنا فيها حليب (نستلي) مع الشاي لأنا لم نكن نستطيع أكل سواه بل ولا رؤيته أو شم رائحته.

ثم خرجنا من المحجر وعدنا إلى الباخرة حتى وصلنا (السويس) عند الغروب؛ وفي مينائها من الأنوار ما جعل الليل كالنهار ورأينا فيها باخرتين عظيمتين سافرتا بعيد وصولنا ودخلتا الترعة وفي أعلى إحداهما آلة للتلغراف اللاسلكي وقبل سفرهما لمعت فيهما أنوار الكهرباء منعكسة على جسمهما النقي الأدكن المشابه للمرآة في صفائه وأهلهما فرحون مستبشرون يصفقون وأصواتهم تملأ الفضاء، أما باخرتنا المحترمة (أمزون) فضياؤها ضئيل وأوساخها وقذاراتها كثيرة وأهلها باهتون صامتون قد علاهم الهم والكرب، لماذا لأن أهلها حجاج مسلمون شرقيون ومستأجرها مسلم سوري يريد أن يرتزق مما يربحه منها، أما تلك فأهلها غربيون وصاحبها غربي.

وبعد العشاء أقلعت بنا من السويس ودخلت الترعة بعدما جعلت في مقدمها مصباحاً عظيماً استأجرته من السويس لأنه لا يسمح للبواخر بالسير ليلاً في الترعة إلا بذلك المصباح.

ويرى السائر في الترعة بر مصر والقطارات الحديدية تنساب فيه وقد غرست على حافاتها الأشجار والحدائق، وفي بعض الأماكن وضعت ليلاً مصابيح الكهرباء فيها قريباً من الساحل كأنها علامة على عدم عمق الماء؛ ثم وصلنا إلى (بور سعيد) التي تنتهي عندها الترعة؛ ودخلنا في البحر الأبيض بحر الروم حتى وصلنا (بيروت) ضحى، ودخلنا المحجر فبقينا فيه ثلاثة أيام كان آخرها يوم عاشوراء سنة ١٣٤٢ فقرأنا خبر مقتل الإمام السبط الشهيد أرواحنا فداه في المحجر في جمع غفير من المسلمين على اختلاف المذاهب فيهم قاضي دير الزور ومفتيها وبعض أهل طرابلس الشام وغيرهم فكثر البكاء والعويل؛ وسالت الدموع كل مسيل كما كنا نقيم مراسم العزاء كل يوم وفي الليلة العاشرة أقيمت أيضاً مراسم الحزن والبكاء بملاء من عامة

الحجاج، فكان لما قرأه القارىء الذي يصحبنا الوقع الحسن عند الجميع وأعجب بقراءته كل من سمعه ذلك لأنها على الطراز الذي نتوخاه والنهج الذي أنهجناه إياه مما يجب أن تكون عليه قراءة كل قارىء، ثم خرجنا من بيروت قاصدين جبل عامل الوطن الأول؛ حامدين الله تعالى شاكرين له على توفيقنا لما وفقنا له سائلين منه قبول الأعمال.

(انتهت الرحلة الحجازية الثانية).



ثامناً

المفاخرة بين الغنى والفقر للمؤلف

حدثنا هيان بن بيان عن بعض بني الإنسان عن خبير بما كان في سالف الأزمان قال: بينما أنا أتجول في البلدان، وأجوب السهول والوهدان، وأخترق الخراب والعمران، إذ ساقتني الأقدار، وقذفتني الأسفار، إلى بلدة غزيرة الأنهار، باسقة الأشجار، كثيرة الثمار، فسيحة الأرجاء، شاهقة البناء، فألقيت بها عصى الترحال وأويت إلى حيث يأوي النزال، فبينا أنا أسير في شوارعها، وأتأمل في محاسنها وبدائعها، إذ أنا بباب دار مفتوح، والناس تغدو إلى تلك الدار وتروح، فدخلت مع من دخل، وجلست على بعض تلك الأرائك بغير خوف ولا وجل، وبينما الناس جلوس على مراتبهم إذ أقبل الغلمان، وهم يقولون قد حضرت الضيفان، فقام صاحب المنزل مسرعاً واستقبل ضيوفه القادمين وهش في وجوههم وبش وأهّل ورحب فأقبل فتى في ريعان الشباب، لابساً أفخر الثياب، يختال في بردين أخضرين ورداء أرجواني اللون وحلة تخطف الأبصار لابساً نعلين قد حليا بالذهب ونسجا بالحرير وحوله أغيلمة حسان الوجوه في ملابس فاخرة، ونعمة ظاهرة تشف عنها أسارير وجوههم وتقارب خطواتهم وهم محيطون به إحاطة الهالة بالبدر يشبهونه في ملامح وجوههم كأنهم إخوته أو أبناء عمه فجلس وجلسوا عن يمينه وشماله وما استقر بهم المجلس حتى أقبلت عصابة في نحو من عددهم عليها آثار التقشف وشظف العيش يتقدمهم شيخ يظن أنه في العقد السادس من عمره مخشوشن في لباسه قد رقع مدرعته وتحزم فوق ثيابه ووراءه جماعة متلببون متحزمون عليهم ثياب غليظة وقد علا وجوههم الغبار وظهرت عليهم علائم خشونة العيش فسلموا ثم جلسوا ناحية وقد حفوا بصاحبهم كالأولين ولم يكترث بهم الشاب وأصحابه ولا

التفتوا إليهم وقام صاحب الدار فحيا الوافدين عليه كلهم وصافحهم ورحب بهم وأولاهم من بشاشته وابتسامته ما هو أهله فسألت رجلاً من الجالسين إلى جنبي عن هؤلاء الوافدين وأسمائهم فقال لي: أما الشاب المترف الذي جاء أولاً فهو الغنى وأما الجالس عن يمينه فهو المال صاحبه وصديقه الحميم وأما الجالس عن يساره فهو الترف وأما بقية الجالسين حوله فهم أصحابه وأحباؤه وأصدقاؤه وهم البذخ والاختيال والتنعم والرفاهية والعزة والبطر وغيرهم. وأما الشيخ المتقشف الذي جاء ثانياً المرقع الثياب فهو الفقر وأما الجالس عن يمينه فهو الإفلاس وأما الجالس عن يساره فهو الإعسار وهما رفيقاه وصاحباه والباقون من أصحابه وأخصائه وهم الجلد والتعب والمشقة والعبوس والاستكانة والتقشف والصبر والقناعة وغيرهم من أمثالهم.

ثم أن الفقر بعدما استقر به وبأصحابه المجلس ورأى من عدم اكتراث الغنى وأصحابه به وبأصحابه ما رأى زاد عبوسه وتقطيبه على ما هو عليه في فطرته من العبوس والتقطيب وأخذ منه الغيظ مأخذه فأقبل بوجهه على الغنى قائلاً:

(الفقر) السلام عليك يا ذا النعمة الظاهرة والبزة الفاخرة.

(الغنى) وعليك السلام أيها المتقشف الزاهد القانع.

(الفقر) ممن الرجل (الغنى) تميمي تارة وقيسي أخرى.

(الفقر) من أنت (الغنى) أوَمَا تعرفني أما ترى جمال هيئتي وخزِّي وبزِّي وهل يخفى مثلي على أحد وأنشد:

وأنا الأخضر من يعرفني أخضر الجلدة من بيت العرب
من يساجلني يساجل ماجدا يملأ الدلو إلى عقد الكرب

(الفقر) عذراً فإني لم أهتد إلى معرفتك (الغنى) ما هذه الغباوة التي فيك وهل يخفى البدر ليلة التمام.

(الفقر) لا عليك من غباوتي أخبرني عن اسمك وأرحني.

(الغنى) أنا الغنى أبو الحمد والثنا ساطع النور والسنا أنا أنا ومن أنت.

(الفقر) ما أهلك الناس إلا الأنانية وهلك إبليس بتكبره وقوله أنا خير منه

والكبرياء رداء الله تعالى من نازعه فيه أكبه الله على منخريه في النار؛ أما إذا سألت عني فأنا الفقر قرين القناعة والصبر وسبب المثوبة والأجر وأنشد:

رضيت بعفتي ولزمت بيتي فها أنا لا أزار ولا أزور
ولست بسائل ما عشت دهري أسار الجيش أم ركب الأمير

(الغنى) إن الله تعالى وصف المال فسماه خيراً ووصف الفقر فسماه شراً قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ١٩-٢١] وقال تعالى حكاية عن سليمان بن داود على نبينا وآله وعليه السلام ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ [ص: ٣٢] وقال ممتناً على عباده ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢] وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا﴾ [المدثر: ١٢] بل أمتن بالغنى على سيد رسله فقال ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٨] وقال رسول الله ﷺ: (نعم العون على طاعة الله الغنى ونعم السلم إلى طاعة الله الغنى) وتلا: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: ٦٦] وذلك لأن الأعمال الجليلة لا تحصل إلا بالمال كالحج والوقوف والصدقات وبناء المدارس والمساجد والمستشفيات وكفى بالغنى فضلاً إن الله تعالى لم يدع إلى حج بيته إلا المياسير من الناس وأسقط الحج إليه عن أهل الفقر والإفلاس (وقالت الحكماء): المال يرفع صاحبه وإن كان وضيع النسب قليل الأدب وينصره وإن كان جباناً ويبسط لسانه وإن كان عيياً به توصل الأرحام وتصان الأعراض وتظهر المروءة وتتم الرياسة ويعمر العالم وتبلغ الأعراض وتدرك المطالب وتنال المآرب يصلك إذا قطعك الناس وينصرك إذا خذلوك ويستعبد لك الأحرار ولولا المال لما بان كرم الكريم ولا ظهر لؤم اللئيم ولا شكر جواد ولا ذم بخيل ولا صين حريم ولا أدرك نعيم (وقال الجاحظ): اعلم أن تثمير المال آلة للمكارم وعون على الدين وتأليف للأخوان وأن من فقد المال قلت الرغبة إليه والرهبة منه ومن لم يكن بموضع رغبة ورهبة استهان الناس به فاجهد جهدك كله في أن تكون القلوب معلقة منك برغبة أو رهبة في دين أو دنيا وقال الشاعر:

ولم أر بعد الدين خيراً من الغنى ولم أر بعد الكفر شراً من الفقر

وقد جعل الله الفقر ابتلاء وامتحاناً بقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: ١٥٥] وفي الحديث (كاد الفقر أن يكون كفراً) ثم رفع يديه داعياً وقال: «اللهم إني أعوذ بك من الفقر والفاقة وأعوذ بك من فقر مدقع وعدم مضرع وأسألك الغنى والكفاف» وأمن أصحابه على دعائه ثم أنشد قول أحيحة بن الجلاح:

استغن أو مت ولا يغررك ذو نشب	من ابن عم ولا عم ولا خال
ولن أزال على الزوراء اعمرها	إن الكريم على الإخوان ذو المال
كل النداء إذا ناديت يخذلني	إلا ندائي إذا ناديت يا مالي

(الفقر) قد أطلت الكلام وأكثرت من النزاع والخصام ولم تأت على دعاواك بحجة ولا برهان أما استشهادك بآية الشر والخير فلو كان الفقر شراً لمنعه الله أنبياءه وخص به أعداءه ولو كان الغنى خيراً لمنعه أعداءه وخص به أولياءه (وأما) استشهادك بالآية الحاكية عن سليمان عليه السلام فهي عليك لا لك لدلالتها على أنه اشتغل بالصافنات الجياد عن ذكر ربه (وأما) آية ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ [نوح: ١٢] فقد قال تعالى أيضاً ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٢٨] والذي جعل له مالاً ممدوداً قد وصفه بالطمع والعناد بقوله ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾﴾ [المدثر: ١٥-١٦] وما جاءه هذا الطمع والعناد إلا من الغنى وكثرة المال وقال فيمن جمع مالاً وعدده يحسب أن ماله أخلده وكما امتن على سيد رسله صلى الله عليه وسلم بالغنى فقد افتخر هو بالفقر فقال (الفقر فخري) وعرض عليه أن تكون له جبال تهامة فضة وذهباً فأبى.

وأما كون المال عوناً على تقوى الله والأعمال الجليلة فهو إذا أعمل فيه صاحبه بتقوى الله وهيهات أن يدعه طغيانه يفعل ذلك إلا نادراً بل المال كثيراً ما يكون عوناً على المعاصي لتيسرها للغني أكثر من الفقير قال محمود النعال:

الفقير خير فاقتنع واقتصد	إن من العصمة أن لا تجد
كسم واجد أطلق وجدانه	عنانه في بعض ما لم يرد
ومدمن للخمر غاد على	سماع عود وغناء غرد

لو لم يجد خمراً ولا مسمعاً برد بالماء غليل الكبد
كم من يد للفقر عند امرىء طأطأ منه الفقر حتى اقتصد

وقال أبو العتاهية:

إن الشباب والفراغ والجده مفسدة للمرء أي مفسده

ولو كان المال يساوي عند الله قلامة ظفر لما منعه أنبياءه ومتع به أعداءه وأما دعاء الله المياسير إلى حج بيته فكم أبوا ولم يلبوا نداءه فكان غناهم وبالاً عليهم وكم كان أسف الفقير على عجزه عن الحج سبباً في زيادة ثوابه (وإما) ما حكيته عن الحكماء فهو ذم للغنى لو تبصرت ولكن أعماك البطر والأشر عن صحة النظر إذ كفى للمال ذماً رفعه وضيع النسب قليل الأدب وكان يقال الفقر شعار الصالحين والفقر لباس الأنبياء ولذلك قال البحتري:

فقر كفقر الأنبياء وغربة وصبابة ليس البلاء بواحد

وأما جعل الله الفقر بلاء وامتحاناً فلا يدل على أنه جعل صاحبه مهاناً فطوبى لمن صبر على بلاء الله وامتحانه.

ثم رفع يديه داعياً ورفع أصحابه أيديهم وقال وهم يتابعونه: **إلهي لك الحمد والمن على ما حبيتني إلى أنبيائك وأوليائك وجعلتني شعار الزهاد والعباد وباعدتني مما ابتليت به الغني من الكبر والترف والطغيان اللهم لا تبتلني بما ابتليته به ونجني من مهالكه وموبقاته،** فأمّن أصحابه على دعائه.

وهنا تبسم الغنى ونظر إلى الفقر نظر هازىء لا سيما عندما سمع دعاءه هذا وقال.

(الغني) أظنه ﷺ افتخر بالصبر على هذه المحنة والبلية وأراد جبر قلب من يبتلي بها من البرية وما كان الفقر شعار الصالحين ولباس الأنبياء إلا لما فيه من المشقة والبلاء ليظهر الله تعالى شدة صبرهم على عظيم فقرهم وليكون وسيلة إلى عظيم أجرهم وهذا لا يخرجه عن أنه من أعظم البلاء ولا يدرجه في النعماء وإلا فما بال سليمان بن داود عليه السلام وهو من الأنبياء قد أعطي ملك الدنيا وسخر له الجن والإنس والطير والريح والله تعالى جعل المال والولد فتنة واختباراً للعبد لينظر هل يعمل فيه بطاعته فيكون خيراً له أو بمعصيته فيكون وبالاً عليه كما أنه قد يختبر عباده

بالفقر فينظر هل يصبرون عليه فيؤجرون أو يجزعون فيخسرون وأما إباؤه ﷺ عن قبول ما عرض عليه فهو اختيار للمشقة على الراحة مساواة للفقراء والمساكين ولولا أن تلك نعمة محبوبة لما عرضت عليه (وقال ﷺ) خير المال سكة مأبورة أو مهرة مأمورة (السكة) الطريقة المصطفة من النخل و(المأبورة) الملقحة و(المهرة) المأمورة التي ريضت ويرحم الله البحتري فقد بالغ في ذم الفقر في بيته الذي اشتهدت به وجعله من أعظم البلاء وقال الشاعر:

ولم أر أوفى ذمة من دراهمي ... وأصدق عهداً في الأمور العظائم
فكم خانني خل وثقت بعهده ... وكان صديقاً لي زمان الدراهم

(الفقر) الغنى غنى النفس لا غنى المال وغنى النفس خير من غنى المال وما الغنى في المال إلا زيادة في الفقر والحاجة فإن الإنسان لا يحصل له شيء من حطام الدنيا إلا احتاج معه إلى ما يصلحه والمصلح يحتاج إلى مصلح وهكذا ولهذا لما قال أبو ذر رضوان الله عليه لبعض إخوانه: قد أصبحت وأنا من أغنى الناس فتعجّبَ من ذلك وقال له: لا أرى في بيتك قليلاً ولا كثيراً فقال أبو ذر: تحت هذا الإكاف قرصان من شعير يكفياني لقوتي فأنا من أغنى الناس؛ وقال الشاعر آخر:

إن الغني هو الغني بنفسه ... ولو أنه عاري المناكب حافي

وقال آخر:

كم من فقير غني النفس نعرفه ... ومن غني فقير النفس مسكين

وقال آخر:

غنى النفس ما يكفيك من سد خلة ... فإن زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقراً

وما أحسن ما قال الشريف الرضي ﵀:

حسبي غنى نفسي الباقي وكل غنى ... من الغنائم والأموال ينتقل

(الغني) هذا يا أخي من باب تسلية النفس وإلا فكل من حدثك أن التعب خير من الراحة والمشي خير من الركوب والجوع خير من الشبع والظمأ خير من الري والفقر خير من الغني فلا تصدق.

قال التعابي:

الناس لصاحب المال لزم من الشعاع للشمس وهو عندهم أرفع من السماء وأعذب من الماء وأحلى من الشهد وأزكى من الورد خطؤه صواب وسيئته حسنة وقوله مقبول يغشى مجلسه ولا يمل حديثه، والمفلس عندهم أكذب من لمعان السراب ومن سحاب تموز لا يسأل عنه إن غاب ولا يسلم عليه إذا قدم، إن غاب شتموه وإن حضر طردوه مصافحته تنقض الوضوء وقراءته تقطع الصلاة؛ أثقل من الأمانة وأبغض من السائل المبرم وقال عروة بن الورد:

ذريني للغنى أسعى فإني رأيت الناس شرهم الفقير
وأبعدهم وأهونهم عليهم وإن أمسى له كرم وخير
ويقصيه الندي وتزدريه حليلته وينهره الصغير
وتلقى ذا الغنى وله جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه والذنب جم ولكن للغني رب غفور

(الفقر) أصلحك الله أردت أن تمدح نفسك فذممتها أن قول العتابي وشعر عروة ابن الورد ذم للغنى لو تأملت ولو تنزلنا لقلنا إنها لم تذم الفقر ولم تمدح الغنى؛ وإنما ذمت الخلق في تقديمهم الغني على الفقير وأنشد:

من شاء أن يكثر أو يقلا يكفيه ما بلغه المحلا

(الغنى) إنك في افتخارك علي لا تعدو أن تكون كمن فضل العدم على الوجود والظلمة على النور، أما سمعت قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لابنه محمد: يا بني إني أخاف الفقر عليك فاستعذ بالله منه، فإن الفقر منقصة للدين مدهشة للعقل داعية للمقت، وما أحسن ما قاله الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني والد الشيخ البهائي:

خف الفقر ملتمسا للغنا فبالفقر كم من فقار كسر
وفي كل أرض أقم برهة فإن وافقتك وإلا فسر
فما الأرض محصورة في هراة ولا الرزق في وقفها منحصر

(الفقر) كفى للغنى ذماً إنه سبب الطغيان قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ

﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ [العلق: ٦-٧] وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾ [القلم: ١٤-١٥] وكان يقال: الغنى يورث البطر فالمرء إذا استغنى بطر وأشر وإذا افتقر تواضع ودعا الله بقلب منكسر (وفي الحديث القدسي) يقول الله تعالى: أنا عند المنكسرة قلوبهم.

وما أحسن قول أبي العتاهية:

ألم تر أن الفقر يرجى له الغنى   وإن الغنى يخشى عليه من الفقر

(الغنى) كم من غني شاكر وفقير غير صابر، وكم من غني متواضع وفقير متكبر فالفقير الجازع قد خسر الدنيا والآخرة، والغني الشاكر المتواضع بينهما جامع، كما قال بعض العارفين وقد يجمعهما الله لأقوام أي الدنيا والآخرة، وقال الشاعر:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا   وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

(الفقر) كان يقال المال ملول والمال ميال، المال غاد ورائح طبع المال كطبع الصبي لا يوقف على وقت رضاه ولا وقت سخطه؛ المال لا ينفعك حتى يفارقك؛ وإلى هذا المعنى نظر القائل مشيراً إلى الدينار:

وصاحب صدق ليس ينفع قربه   ولا وده حتى تفارقه عمدا

وقال آخر:

أنت للمال إذا أمسكته   فإذا أنفقته فالمال لك

وقال أبو تمام:

على أنني لم أحو مالاً مجمعاً   ففزت به إلا بشمل مبدد
ولم تعطني الأيام نوماً مسكناً   ألذ به إلا بنوم مشرد

(الغنى) قال النبي ﷺ: المال الحسب، وإن أحساب أهل الدنيا هذا المال وقال الشاعر:

دعوت أخي فولى مشمئزاً   ولبى درهمي لما دعوت

وقال آخر:

وكنت إذا خاصمت خصماً كببته   على الوجه حتى خاصمتني الدراهم

فلما تنازعنا الخصومة غلبت علي وقالوا قم فإنك ظالم

(الفقر) كفى في ذم الغنى والمال أنه لصاحبه شغل شاغل وهم ملازم، لا يكاد يستريح صاحبه ساعة ويحتاج دائماً إلى إصلاحه وحراسته، ويكون أبداً في خوف عليه من ناهب وسارق؛ وربما يكون سبباً في هلاك صاحبه فيقتل بسببه كما قال الشاعر:

وقد يهلك الإنسان حسن رياشه كما يذبح الطاووس من أجل ريشه

وقال الآخر:

رويدك إن المال يهلك ربه إذا جم واستعلى وسد طريقه
ومن جاور الماء الغزير بجسمه وسد طريق الماء فهو غريقه

(الغنى) إن كان الغنى لصاحبه شغلاً شاغلاً وهماً ملازماً فالفقر أجدر أن يكون كذلك؛ وقد ورد في الأثر (الفقر الموت الأكبر) وإن كان المال قد يوجب هلاك صاحبه فطالما هلك صاحب الفقر بالجوع والجهد، وعروض الأمراض بسببه وطالما أدى الفقر بصاحبه إلى السؤال الذي قال فيه الشاعر:

ولو أني أكون أمير جيش لما حاربت إلا بالسؤال
لأن الناس ينهزمون منه وإن ثبتوا لأطراف العوالي

(الفقر) إلى متى تغالط وتجادل وحجتي أوضح من نار على علم، وهل الغنى إلا سبب لطول الحساب واستحقاق العذاب، وقد ورد أن الدنيا في حلالها حساب وفي حرامها عقاب وفي الشبهات عتاب، وورد يدخل فقراء هذه الأمة الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام، وكان يقال الفقر مخف والغنى مثقل، وفي الخبر نجا المخفون؛ وورد تخففوا تلحقوا؛ وقد ألم به الشريف الرضي فقال:

خذفت فضول العيش حتى تركتها إلى دون ما يرضى به المتعفف
وأملت أن أجري خفيفاً إلى العلا إذا شئتم ان تلحقوا فتخففوا

(الغنى) المغالط والمماري أنت ليس كل غنى سبباً لطول الحساب، فمن بذل غناه فيما يرضي الله لم يطل حسابه وكثر عند الله ثوابه، وكفى للفقر ذماً إن الفقر

يعجز عن إغاثة أخص أصدقائه وأدنى أقربائه؛ فيكاد يموت تألماً من ذلك؛ كما قال الشاعر:

أرى نفسي تتوق إلى أمور   يقصر دون مبلغهن مالي
فنفسي لا تطاوعني ببخل   ومالي لا يبلغني فعالي

(الفقر) وأشد منه ذماً غني يبخل بماله عن إخوانه فالفضيلة يرعاك الله للجود لا للمال؛ والذم للبخل لا للفقر كما قال الشاعر:

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله   على قومه يستغن عنه ويذمم

وقال آخر:

فما الجود من فقر الرجال ولا الغنى   ولكنه خيم الرجال وخيرها[1]

(الغنى) أراك خرجت عن آداب المناظرة وأجبت عن غير ما سئلت عنه حين أعياك الجواب؛ ولو كان الفقر أمراً حسناً لما أمرنا بإخفائه وإظهار الغنى والتجمل، كما قال حارثة بن بدر:

وإذا افتقرت فلا تكن متخشعاً   ترجو الفواضل عند غير المفضل
استغن ما أغناك ربك بالغنى   وإذا تصبك خصاصة فتجمل

(الفقر) طاش سهمك وأخطات الهدف، لا يدل هذا على ذم الفقر وإذا كان الناس يحتقرون الفقير فما هو في الواقع بحقير وجاء في الأثر: رب أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبر قسمه؛ على أن هذا الشاعر أراد أنك إذا افتقرت فلا تظهر الذلة كما قال الآخر:

خلقان لا أرضاهما أبداً   تيه الغنى ومذلة الفقر
فإذا غنيت فلا تكن بطراً   وإذا افتقرت فته على الدهر

(الغنى) قد أجمع الناس على ذمك فإلام تجادل وتناضل:

حتى الكلاب إذا رأت ذا ثروة   حنت إليه وحركت أذنابها
وإذا رأت رجلاً فقيراً مقبلاً   هرت عليه وكشرت أنيابها

(١) الخيم بالكسر الخلق والخير بالكسر: الكرم.

وكم من تقي داهن معطر ذي بردين فاخرين لو أقسم على الله لأبر قسمه فربح الدنيا والآخرة؛ وكم من أشعث أغبر ذي طمرين ابتلي فما صبر وعصي الله فيما أمر فخسر الدنيا والآخرة.

(الفقر):

إذا أنت أعطيت الغنى ثم لم تجد ... بفضل الغنى ألفيت مالك حامد

وقل غناء عنك مال جمعته ... إذا كان ميراثاً وواراك لأحد

(الغنى) إلى متى تكابر وتناظر والحق متضح، وإنما أنت كما قيل (فنحن بواد والعذول بوادي) وكفى لك ذماً ولي مدحاً قول القائل:

للمؤلف:

وإذا الغنى حوى فهاهة باقل ... في الناس يحسب في ذكاء أياس

والفقر لو أمسى لقس صاحباً ... لأصابه بالعي والأخراس

وقول الآخر:

إذا قل مال المرء قل صديقه ... وأهوت إليه بالعيوب الأصابع

(الفقر) قد أخبرتك أن هذا وأمثاله ذم للناس في عملهم لا ذم للفقر ومدح للغنى؛ أو ما سمعت قول الشاعر العربي المسمى أبا هفان:

يعيرني عريي رجال سفاهة ... فعزيت نفسي مصدر أبي وموردا

واني كمثل السيف أهيب ما يرى ... وأهيب ما يلقى إذا هو جردا

وقال آخر:

لا تهين الفقير علك أن تر ... كع يوماً والدهر قد رفعه

(الغنى) هذا يا أخي من تسليه النفس ونعم ما سلى به نفسه أبو هفان عن فقره وعريه وقد أحسن أبو هفان كل الإحسان في قوله (وإني كمثل السيف البيت) وهذا برهان على فصاحة أبي هفان لا على مدح الفقر، وإلا فلو وجد أبو هفان ما يكتسي به من الحلل الفاخرة لسارع إلى لبسه وتخلص من بؤسه، وقال لله الحمد والشكر على ما خلصني من العري والفقر ولم يحتج إلى أن يعتذر عن عريه بهذا العذر الذي

لا يخرج عن تخييلات الشعر؛ وأما البيت الأخير فهو أكبر دليل على أن الفقير مهان ومحل للرحمة والإحسان وأنشد:

سأعمل نص العيس حتى يكفني ... غنى المال يوماً أو غنى الحدثان
فللموت خير من حياة يرى لها ... على المرء بالاء قلال وسم هوان
إذا قال لم يسمع لحسن مقاله ... وإن لم يقل قالوا عديم بيان

(الفقر): أما يكفيك في فضلي ما ورد فقير صابر خير من غني شاكر، وقال الشاعر:

وكان رأينا من غني مذمم ... وصعلوك قوم مات وهو حميد
وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى ... ولكن أحاظ قسمت وجدود

(الغنى) ما كان الفقير الصابر خيراً من الغني الشاكر، إلا لما ابتلي به المسكين من محنة الفقر فصبر على مضاضتها، وهذا إن كان مدحاً فهو للصبر لا للفقر وما أشد شقاء الفقير إذا فاته الصبر فخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين؛ ولنعم ما قال النشاش التميمي:

إذا المرء لم يسرح سواما ولم يرح ... سوا ما ولم يبسط له الوجه صاحبه
فللموت خير للفتى من حياته ... فقيراً ومن مولى تعاف مشاربه
فلم أر مثل الفقر صاحبه الفتى ... ولا كسواد الليل أخفق طالبه
فعش معذراً أو مت كريماً فإنني ... أرى الموت لا يبقي على من يطالبه

(الفقر) قد ورد أيضاً: إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين؛ وإذا رأيت الدنيا مقبلة فقل ذنب عجلت عقوبته.

(الغني) لا أعدمنا الله من يجبر القلوب المنكسرة فكم جبروا قلب الأعمى فسموه بصيراً، واللديغ فسموه سليماً والسوداء فسموها فضة؛ كما قال أبو تمام الطائي في الشيب:

دقة في الحياة تدعى بياضا ... مثلما سمي اللديغ سليما

وجزى الله خيراً من يحذرنا من آفات الغنى فيجعله كالعقوبة للذنوب؛ ولنعم ما قال المتنبي:

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ... ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

وقال آخر:

يرى المرء أحياناً إذا قل ماله ... من الخير تارات ولا يستطيعها
متى ما يرمها يثن الفقر كفه ... فيضعف عنها والغني يضيعها

ولقد أنصف هذا الشاعر في الحكم بين الفقر والغنى.

(الفقر) كفى في ذم الغنى رفعه الوضيع وتشريفه الخسيس وإيجابه المدح لمن يستحق الذم؛ وإجلاسه الدني في مجلس الشريف وإيصاله الغبي إلى مرتبة الذكي؛ كما قال الشاعر فيمن ارتفع بالمال والحكم بعد ضعته:

أتذكر إذ قميصك جلد شاة ... وإذ نعلاك من جلد البعير
فسبحان الذي أعطاك هذا ... وعلمك الجلوس على السرير

(الغنى) أردت يا هذا أن تذم فمدحت وأن تفضح فافتضحت، وهل يكون مدح للغنى بأكثر من رفعه الوضيع وتشريفه الخسيس وإيصاله الدني إلى مجلس الشريف وغير ذلك وقد قال الشاعر مفضلاً المال على العلم والفقر:

المال أنفع للفتى من علمه ... والفقر أقتل للفتى من جهله
ما ضر من رفع الدراهم قدره ... جهل يناط إلى دناءة أصله

(الفقر) ورد عن سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام أنه قال: ما جمع مال إلا من شح أو حرام؛ ولو لم يرد في ذم المال غير هذا لكفاه ذماً، وعيرت اليهود عيسى عليه السلام بالفقر فقال: من الغنى أتيتم، وأخذ هذا المعنى محمود الوراق فقال:

يا عائب الفقر ألا تزدجر ... عيب الغنى أكثر لو تعتبر
من شرف الفقر ومن فضله ... على الغنى أن صح منك النظر
أنك تعصي كي تنال الغنى ... ولست تعصي الله كي تفتقر

وقال آخر:

دليلك أن الفقر خير من الغنى ... وأن القليل المال خير من المثري
لقاؤك شخصاً قد عصى الله للغنى ... ولست ترى شخصاً عصى الله للفقر

(الغنى) فاتتك يا هذا معرفة أسرار كلام العرب وفهم مناحي السّنة المطهرة فالكلام في معرض ذم الشح وأكل الحرام لا ذم الغنى، وأولى منه بالذم الفقر الذي كثيراً ما يودي إلى بذل ماء الوجه واستجداء اللؤماء؛ وقال بعض الشعراء الظرفاء وأحسن كل الإحسان مع خلاعته:

أصون دراهمي وأذب عنها ... لعلمي أنها سيفي وترسي
واذخرها وأجمعها بجهدي ... ويأخذ وارثي منها وعرسي
فيأكلها ويشربها هنيئاً ... على النغمات من نقر وجس
ويقعد فوق قبري بعد موتي ... ولا يتصدقن عني بفلس
أحب إلي من قصدي عظيماً ... كبيراً أصله من عبد شمس
أمد إليه كفي مستميحاً ... واصبح عند خدمته وأمسي
ويتركني أجر الرجل مني ... وقد صارت كنفس الكلب نفسي

(الفقر) يكفي في ذم المال والغنى ومدح الفقر قوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ﴾ [الكهف: ٤٦].

(الغنى) وهذه أيضاً عليك لا لك فالباقيات الصالحات هي أعمال الخير التي يكون الغنى أعظم، معين عليها وليست هي الفقر ليكون لك فيها فخر فالله تعالى جعل المال زينة في الدنيا وهو نوع من المدح له؛ ولكنه فضل عليه العمل الصالح ولا نصيب لك في شيء من ذلك وأنشد:

جذلان يعلم أن المال ساق له ... ما لم يسقه له دين ولا خلق
فمن يكن عن كرام الناس يسألني ... فأكرم الناس من كانت له ورق

(الفقر) أراني قد أعذرت وأكثرت من الحجج فما قصرت وأنت تأبى إلا جحوداً وعناداً؛ ولا عجب فالطغيان من صفاتك والبذخ من أخلاقك وعامة الناس من أنصارك وأعوانك.

(الغنى) بل أراك قد نثلت الكنانة وأفرغت الجعبة ونفد ما عندك من حجة؛ فعمدت إلى تزويق الكلام وتنميق المقال أفلا اقتديت بقول من قال:

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه ... شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا

وصار على الأدنين كلا وأوشكت حبال ذوي القربى له أن تنكرا
فسر في بلاد الله والتمس الغنى تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

(الفقر) إلى كم تزهو بنفسك وتشمخ بأنفك فقد آن لك أن تعرف قدرك وترجع عن غيك.

(الغنى) مسكين الفقر سيء الخلق حاد الطبع لا لوم عليه إذا ساء خلقه؛ لا سيما إذا كان كثير العيال خصوصاً في هذا الزمان الذي غلت فيه الأسعار وأصبح الباعة والمحتكرون لا يرقبون في فقير إلا ولا ذمة؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ كاد الفقر يكون كفراً؛ وأنشد:

أجلك قوم حيث صرت إلى الغنى وكل غني في العيون جليل
ولو كنت ذا فقر ولم تعط ثروة ذللت لديهم والفقير ذليل

(الفقر) أحسنت أيها الغنى لقد أصبت المرمى ولم تخطىء شاكلة الصواب؛ عرفت الداء فنسأله تعالى أن يلهمك معرفة الدواء.

(الغنى) إني أدعوك الليلة إلى منزلي لتناول طعام العشاء في مدينة السعادة بمحلة السرور في شارع الأنس بقصر الفرح؛ داخل حديقة البهجة.

(الفقر) كثر الله أمثالك وطول أذيالك ولا زال قصرك معموراً بالألوف من الأضياف؛ ولا وضعك الله إلا في أيدي الأسخياء الكرماء وباعد ما بينك وبين البخلاء.

(الغنى) لي إليك وصية وهي أن تذهب إلى الحمام قبل مجيئك إلينا؛ وتلبس أنظف ثيابك.

(الفقر) وهل يوجد حمام مجاني أو بزاز[1] يعطي الثياب بدون ثمن؟

(الغنى) الآن فهمت أنه ليس معك أجرة الحمام ولا عندك ثياب غير هذه الثياب الخلقة القذرة؛ نعم حقاً أن الأمر كذلك وإلا لما كان اسمك الفقر بل كان اسمك الغنى كاسمي أنا أعطيك أجرة الحمام وأبعث إليك بثياب كافية ودراهم كثيرة.

(١) أي بائع القماش أو الثياب.

(الفقر) قد أنعمت فأجزلت وقد وجب علي شكرك ومد يده ليصافح الغنى فقبض الغنى يده عنه وتباعد منه، قائلاً:

أطلب إليك أن تتباعد عني ولا تدنو مني مخافة أن يتسرب إلي شيء من هوام بدنك أو تلوث ثيابي بثيابك فاترك مصافحتي إلى أن تنقي ثيابك وبدنك.

(الفقر) ما كنت أظن أن الحال يبلغ بك إلى هذا؛ فصبراً على قضاء الله أودعتك الله.

(الغنى) في أمان الله.



تاسعاً
المفاخرة بين السيف والقلم للمؤلف

حدثنا أبو الطماح عن المسافر السياح، قال جمعتني الأقدار وأنا أتجول في الأمصار وأعاني مشقة الأسفار بشيخ منحني الوسط أبيض اللون صقيل العارضين يعلوه البريق واللمعان حاد الطبع طويل القامة تلوح عليه آثار الشجاعة والشهامة مرهوب الجانب ناصر للصاحب، قد لبس ثوباً غطى جميع جسده ولم يظهر منه سوى ما يقبض القابض بيده وله ذؤابتان طويلتان، وإلى جانبه شاب رقيق الحاشية نحيف البدن معتدل القامة قصيرها أسمر اللون أسود الرأس في رأسه شق كأنما شق بسكين، تلوح عليه آثار اللطف والأدب فسألت عن الشيخ فقيل لي هو السيف وسألت عن الشاب الذي بجانبه فقيل هو القلم؛ ثم إن القلم التفت إلى السيف قائلاً:

(القلم) حياك الله بالسلام أيها البطل المقدام.

(السيف) وأنت حييت بأحسن التحيات يا معدن الكمالات.

(القلم) من أنت يا ذا الصولة والإقدام؟

(السيف) أنا السيف الملقب بالصمصام المدعو بالحسام المعروف بالمهند الموصوف بالمرهف والماضي المنعوت باليماني والهندواني والصارم والأبيض ومن أنت؟

(القلم) أنا القلم وأعرف باليراع وألقب بالمزبر ثم أنشد:

قلم به ظفر العدو مقلم وهو الأمان لما يخاف ويرهب

(السيف) وما هذه التي معك؟

(القلم) هذه رفيقتي الدواة ولست مفارقها إلى الممات؛ وأنت ما هذا المحتوي عليك؟

(السيف) هذا هو غمدي ولا أسكنه إلا وحدي.

(القلم) وما هذه الحمرة التي تعلوك مع أنك منعوت بالبياض؟

(السيف) هذه حمرة دم الأبطال الذي شربته في مواقف النزال ومعامع القتال؛ وأنت ما هذا السواد الذي يعلوك؟

(القلم) هذه بقية المداد مما كتبته في إصلاح أمر العباد والبلاد؛ وإبانة طريق الرشاد وأنشد:

مداد مثل خافية الغراب   وخط مثل وشم يد الكعاب

(السيف) قد بلغني أنك تفخر علي بما أوتيت من سحر البيان وفصاحة اللسان وبلاغة الكلام.

(القلم) أجل أو لا يحق لي الافتخار بما ذكرت من جميل الصفات؛ وقد قيل: كلام الفصحاء جنود مجندة وأقلامهم سيوف مهندة وقال بعض الكتاب:

إذا ما التقينا وانتضينا صوارما   يكاد يصم السامعين صريرها
تساقط في القرطاس منها بدائع   كمثل اللئالي نظمها ونثيرها

(السيف) كلا وهل تنفع الأقوال بغير الأفعال وهل تجدي لقلقة اللسان والقلب جبان فأنت القوال وأنا الفعال؛ ثم أنشد:

نصحتك فالتمس يا ويك غيري   طعاماً إن لحمي كان مرا

(القلم) قد ترك الخداع من كشف القناع، أحق ما تقول إن لك الأفعال ولي الأقوال وكم هزمت بأقوالي الجيوش التي عجزت أنت عن مكافحتها وفتحت الحصون التي لم تستطع فتحها؛ واستملت القلوب التي نفرتها وميزت بأقوالي بين الحق والباطل؛ فيما لم تستطع أنت إليه سبيلاً كما قال الشاعر:

قلم يفل الجيش وهو عرمرم   والبيض ما سلت من الأغماد
وهبت له الآجام حين نشابها   كرم السيول وصولة الآساد

وكان يقال: القلم يمج السم والعسل ثم أنشد:

وعريان من خلعة مكتس   يميس من الوشي في يلمق

فكم من أسير له مطلق وكم من طليق له موثق
يقيم ويوطن غرب البلاد وينهى ويأمر بالمشرق

(السيف) كفاني فخراً إن حملتني اليد الشريفة النبوية ولم تحملك؛ وأعملتني ولم تعملك.

(القلم) إن حملتك اليد الشريفة النبوية ولم تحملني فليس ذلك لنقص في وفضل فيك بل لحكمة اقتضت ذلك، وكان له ﷺ جماعة من الكتاب يكتبون بي له الرسائل والوحي الإلهي فما فاتني شيء من شرف مجلسه السامي، وانفردت عنك بما تشرفت به من رقم كتاب ربي واسم رسوله الكريم ﷺ وحسبي شرفاً وفخراً إن الله تعالى أقسم بي في كتابه العزيز ولا يقسم العظيم إلا بعظيم من خلقه، وامتن على عباده بأنه الأكرم الذي علم بالقلم ثم ابتدأ يقرأ بعدما استعاذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣﴾ [القلم: ١-٣] ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤﴾ [العلق: ٣-٤] ثم قال وقال رسول الله ﷺ جف القلم بما هو كائن فأنا الذي أثبت الأشياء في اللوح المحفوظ قبل خلقها عن أمر ربي، وفي الحديث أن أول ما خلق الله القلم من مات وميراثه المحابر والأقلام دخل الجنة؛ (وكان) يقال عقول الرجال تحت أسنة أقلامهم، ثم أنشد قول أبي الفتح البستي:

إذا افتخر الأبطال بسيفهم وعدوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب فخراً ورفعة مدى الدهر إن الله أقسم بالقلم

وقال الشاعر العاملي الشيخ محمد حسين شمس الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

حسب اليراع فخاراً غير مكتتم تخصيصه في كتاب الله بالقسم
فضل اليراع على البيض الصفاح لدى الـ أنام أشهر من نار على علم
ما علم الله بالصمصام من أحد لكنه علم الإنسان بالقلم
من أين للشيب فخراً كالشباب وهل يقاس معتدل بالأحدب الهرم
وكيف يسمو على ذي منطق ذرب به تحدى الورى ذو منطق بكم

(السيف) كفاني مدحاً قول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ

شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصَّف: ٤] وجاء في الأثر(الجنة تحت ظلال السيوف) وقال رسول الله ﷺ: ضربة علي يوم الخندق تعدل عمل الثقلين إلى يوم القيامة ثم أنشد:

سل السيف عن أصل الفخار وفرعه   فإني رأيت السيف أفصح مقولا

(القلم) كفى في فضل الأقلام قول رسول الله ﷺ من ترك ورقة عليها علم كانت ستراً بينه وبين النار، وقوله ﷺ إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث وعد منها الكتاب الذي ينتفع به من بعده؛ وقوله ﷺ مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء وهذا نص صريح في تفضلي عليك:

وليس يصح في الأذهان شيء   إذا احتاج النهار إلى دليل

وكان يقال: القلم قيم الحكمة. القلم يرد قضاء السيف. ويفسخ حكم الحيف ثم أنشد:

وبيت بعلياء الفلاة بنيته   بأسمر مشقوق الخياشيم يرعف
كأن عليه ملبساً جلد حية   مقيم فما يمضي ولا يتخلف

(السيف) كيف تفخر علي وأنت من قصب وأنا من خالص الحديد، ومن أجهل ممن يفضل القصب على الحديد أم من ذا الذي يفضل المقهور على القاهر والعاجز على القادر؛ والمبتور على الباتر وأنت الذي لم تزل السكين التي لا تصل إلى بطشي وفتكي تقطع رأسك وتشق أنفك وفيك يقول بعض أرباب الأقلام من الكتاب:

أف لـلـرزق الـكـتـبـه   أف لـه مـا إصـعـبـه
يـرتـشـف الـرزق لـه   مـن شق تـلـك الـقـصـبـه
يـا قـلـمـا يـرفـع فـي الـطـ   رس لـرأسـي ذنـبـه
مـا أعـرف الـمـسـكـيـن إلا   كـاتـبـاً ذا مـتـربـه

(القلم) أتفخر علي بأصلك وما الفخر إلا بالحسب لا بالنسب، أما سمعت قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (قيمة كل امرىء ما يحسنه) وقد نظمه ابن الوردي فقال:

قيمة الإنسان ما يحسنه   أكثر الإنسان منه أو أقل
لا تقل أصلي وفصلي أبداً   إنما أصل الفتى ما قد فعل
قد يسود المرء من غير أب   وبحسن السبك قد ينفى الزغل

وما أحسن ما قال الآخر:

ما لي عقلي وهمتي حسبي   ما أنا مولى ولا أنا عربي
إذا انتمى منتم إلى أحد   فإنني منتم إلى أدبي

وقال المؤلف:

لا تفخرن بأصلك   ما الفخر إلا بفعلك
أصل الأنام تراب   مما تطأه بنعلك

وأول من افتخر بأصله إبليس حين افتخر على آدم فقال ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢] ثم تمثل بقول أبي الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي:

وأسمر طاوي الكشح أخرس ناطق   له رملان في بطون المهارق
إذا استعجلته الكف أمطر وبله   بلا صوت أرعاد ولا صوت بارق
إذا ما حدا غر القوافي رأيتها   مجلية تمضي أمام السوابق
كأن عليه من دجى الليل حلة   إذا ما استهلت مزنه بالصواعق
كأن اللئالي والزبرجد نطقه   ونور الخزامى في عيون الحدائق

(السيف) على رسلك أيها القلم لقد ارتكبت في فخرك شططاً وقلت غلطاً فإن شرف النسب إذا اجتمع مع شريف الحسب كان غاية في الفخر، نعم لا ينفع شرف النسب مع خسة الحسب؛ وأنا قد جمعت بين الشرفين وحزت المرتبتين وكم أطاعني من عصاك وهابني من ازدراك؛ وهل في وسعك غير الوعيد والتهديد وقد قيل فيه:

فدع الوعيد فما وعيدك ضائر   اطنين أجنحة الذباب يضير

ثم تمثل بقول أبي تمام حبيب بن أوس الطائي:

السيف أصدق أنباء من الكتب   في حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف في | متونهن جلاء الشك والريب
والعلم في شهب الأرماح لامعة | بين الخميسين لا في السبعة الشهب

(القلم) إن عددت من مناقبك واحدة عددت لك من فضائلي عشراً وكفاني بذلك شرفاً وفخراً أنا جليس العلماء والحكماء والأدباء والشعراء وأنا الواسطة بين الملوك والأمراء والأحباب والأصحاب، أنا مقيد العلوم وحافظها من الضياع وضابط الحساب ولولاي لضاعت الأموال وعلي مدار الدواوين وبي نظام أمر الدنيا والدين، وإذا كنا أنا وأنت مع ملك أو أمير أو غيرهما أكون أنا على اليمين وأنت على اليسار؛ وكان يقال: الأقلام أساس الأقاليم.

الأقلام رسل الكرام؛ القلم بريد القلب. القلم سفير العقل. القلم رسول الفكر. القلم ترجمان الذهن.

وقال أبو تمام:

لك القلم الأعلى الذي بشباته | تصاب من الأمر الكلى والمفاصل
لعاب الأفاعي القاتلات لعابه | وأري الجنا اشتارتها يد عواسل
له ريقة طل ولكن وقعها | بآثاره في الشرق والغرب وابل
إذا ما امتطى الخمس اللطاف وأسبلت | عليه شعاب الفكر وهي حوافل
أطاعته اطراف القنا وتقوضت | لنجواه تقويض الخيام الجحافل

وقال البحتري:

وإذا دجت أقلامه ثم انتحت | برقت مصابيح الدجى في كتبه
حكم فسائحها خلال بنانه | متدفق وقليبها في قلبه
وكأنها والسمع معقود بها | شخص الحبيب بدا لعين محبه

(السيف) مهلاً أيها القلم النحيف والشخص الضعيف إن افتخرت بمجالسة من ذكرت فاني أفخر عليك بمصاحبة الشجعان والأبطال والمجاهدين في سبيل الرحمن ومهما عددت لنفسك من المناقب فمني مبداه وإلي منتهاه؛ إذا أنك لا تستطيع أن تاتي بعمل من الأعمال إلا إذا مهدت لك السبيل ودوخت البلاد وأخضعت الرقاب وذللت الصعاب؛ فأين أنت من فضائلي وهممي، وما أنت إلا بعض خدمي كما قال أبو الطيب:

حتى رجعت وأقلامي قوائل لي — المجد للسيف ليس المجد للقلم
اكتب بنا أبداً بعد الكتاب به — فإنما نحن للأسياف كالخدم
من اقتضى بسوى الهندي حاجته — أجاب كل سؤال عن هل بلم

وقال البحتري:

تعنو له وزراء الملك راغبة — وعادة السيف أن يستخدم القلما

ولئن ضبطت العلوم مرة فكم ضيعتها مراراً بما تكتبه من الأضاليل.

(القلم) لا وريك أيها الحسام لست أحتاج إليك في كل مقام، ولئن احتجت إليك مرة فطالما احتجت إلي مراراً، ولكم قطعت أنا حيث تنبو أنت وقدرت أنا حيث تعجز أنت؛ ولئن أصلحت مرة فكم أفسدت مراراً بما تحدثه من العصيان والطغيان ولذلك قال فيك الشاعر:

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة — ويستحل دم الحجاج في الحرم

وأما زعمك إني من خدمك فإني أقول لك اقلب تصب فإنك لا تستطيع أن تأتي إلا بما يجري به القلم، فما أنت إلا له من الخدم كما قال ابن الرومي:

أن يخدم القلم السيف الذي خضعت — له الرقاب ودانت خوفه الأمم
فالموت والموت لا شيء يقابله — لا زال يتبع ما يجري به القلم
بذا قضى الله للأقلام مذ بريت — إن السيوف لها مذ أرهفت خدم

وقال الآخر:

في كفه صارم لانت مضاربه — يسوسنا رغباً إن شاء أو رهبا
السيف والرمح خدام له أبداً — لايبلغان له جداً ولا لعبا

وقال المتنبي:

قوم إذا أخذوا الأقلام من غضب — ثم استمدوا بها ماء المنيات
نالوا بها من أعاديهم وإن بعدوا — ما لم ينالوا بحد المشرفيات

(السيف) لقد تعديت طورك أيها الأسود الضئيل حتى أدى بك الغرور إلى أن زعمت أني من خدمك؛ وأنى يكون ذلك كذلك وأنا مؤسس الممالك ومعز الإسلام

وحامي حماه ورافع الظلم وباسط العدل وناشر لواء الأمن وقاتل الأشرار ومذل كل جبار؛ وحافظ الجار والآخذ بالثار؛ وأنا أقسم برب الثقلين لئن لم ترجع عن غيك لأقسمنك بحدي نصفين؛ وأهوى إليه فتأخر القلم عنه فزعاً مرعوباً؛ ثم أنشد السيف قائلاً:

ومن يعص أطراف الزجاج فإنه ... يطيع العوالي ركبت كل لهذم
ومن لم يذد عن حوضه بسنانه ... يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

ثم قال:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى ... حتى يراق على جوانبه الدم

(القلم) ن والقلم وما يسطرون ما أنت أيها السيف إلا مجنون

أراك قد خرجت إلى الحدة على حسب طبعك، وانتقلت من طور المناظرة إلى السباب والمهاترة وتمسكت بذيل التهديد والوعيد شأن العاجز عن الحجة وإن في قوة الحجة والبرهان ما يغني عن إطالة اللسان وأما وصفك لي بالأسود الضئيل:

فأنا الأسود من يعرفني ... أسود الجلدة من بيت العرب
من يساجلني يساجل ماجداً ... يملأ الدلو إلى عقد الكرب

وقال آخر:

ولا خير في حسن الجسوم وطولها ... إذا لم يزن حسن الجسوم عقول

وكان يقال: القلم مجهز لجيوش الكلام. لم أر باكياً أحسن تبسماً من القلم.
وقال الشاعر:

وأرقش مرهوب الشباة مهفهف ... يشتت شمل الخطب وهو جميع
تدين له الآفاق شرقاً ومغرباً ... وتعنو له أفلاكها وتطيع
حمى الملك مفطوماً كما كان يحتمي ... به أسد الآجام وهو رضيع

ولئن كنت أسست الممالك فكم هدمت أساسها، وان كنت أعززت الإسلام فكم نصرت عليه الإلحاد، ولئن نشرت لواء الأمن مرة فكم طويته وألبست لباس الخوف مراراً ولئن قتلت الأشرار فلكم تلطخت بدماء الأخيار، ولئن أذللت الجبار

فكم أعززت الفجار ولئن حفظت الجار فلكم أضعت حرمة الجوار فإحسانك لا يقابل بإساءتك.

(السيف) إن الله نصب القضاة والحكام لرفع النزاع والخصام منة منه على الأنام فلا بد من رفع خصومتنا هذه إلى حاكم عادل يحكم فيها بمر الحق لا يقبل الرشى؛ ولا يميل مع الهوى.

(القلم) لو أنصف الناس استراح القاضي؛ أفبعدما ظهر الحق تطلب المحاكمة فلست آباها وإني لها لمنقاد فليحكم بيننا حجة الله على خلقه (العقل). فجاء العقل يمشي على سكينة ووقار حتى جلس على منصة الحكم وقام الخصمان بين يديه؛ وتقدم القلم إليه فقال:

(القلم) السلام عليك يا أول خلق الله ومن به يثيب ويعاقب.

(العقل) وعليك السلام أيها القلم الجاري بكل ما كان.

(القلم) قد كان من قضاء الله وقدره أن وقعت المفاخرة والخصام بيني وبين الحسام وقد جئناك لتحكم بيننا يا سيد الحكام.

(العقل) فليذكر كل منكما مدعاه وليدل بحجته وليذكر مفاخره ومزاياه حتى أحكم بينكما بما أرانيه الله.

(السيف) أنا الفعال وهو القوال وهل تقاس الأقوال بالأفعال.

(العقل) إن الصارم قد ينبو ويفل فيكون كمن قال ولم يفعل وقد تفعل الأقلام ما يعجز عنه الحسام.

(القلم) أنا معدن الفصاحة ومنبع البلاغة واحد اللسانين.

(العقل) وقد تكون دليلاً على عي صاحبك وعجزه.

(السيف) أنا من الحديد وهو من القصب والقصب يقطع بالحديد.

(العقل) قد يقطع الحديد بالقصب ولا عجب.

(القلم) أنا جليس العلماء والحكماء والأدباء والشعراء.

(العقل) وقد تكون جليس السفهاء..

(السيف) أنا صاحب الأبطال والشجعان والمجاهدين في سبيل الرحمن.

(العقل) وقد تصحب الجبان وتكون مع الصادين عن سبيل الرحمن.

(القلم) أنا ناقل الكلام بين المتخاطبين إلى البلاد النائية بما أودعه في الكتب؛ مما تتوقف عليه مصالح العباد.

(العقل) وقد تنقل النميمة والظلم والفساد.

(السيف) أنا قاهر الأعداء وفاتح الحصون وهازم الجيوش.

(العقل) وقد يغني عنك القلم ولا يفيد استعمالك إلا الندم.

(القلم) أنا مقيد العلوم والحساب وحافظها مدى الأحقاب.

(العقل) وقد تحفظ كتب الضلال.

(السيف) أنا الأبيض النقي اللون وهو الأسود الجون.

(العقل) لا يفخر بنقاء الألوان غير النساء والصبيان.

(القلم) أنا قد مدحني الله في القرآن.

(العقل) وقد مدح خصمك أيضاً.

(السيف) أنا قد مدحني الرسول ﷺ في السنة المطهرة.

(العقل) كما مدح خصمك أيضاً.

(القلم) هذا ما عندنا فما تقول أنت.

فعندها أطرق العقل وفكر ساعة ثم رفع رأسه قائلاً:

(العقل) إن الحكم بينكما صعب المسلك دقيق المدرك؛ وأنا أسأل الله تعالى أن يلهمني الصواب في ذلك.

(فأقول) إن لكل منكما مقاماً لا يغني فيه الآخر، وفي أكثر الأحوال لا يستغني السيف عن القلم ولا القلم عن السيف، وكل منهما معين للآخر في تشييد الممالك فهما للملك كاليدين ولتشييده كالركنين الأشدين.

قال الشريف الرضي رحمه الله:

مسود قصب الأقلام نال بها نيل المحمر أطراف القنا اللدن
إن لم تكن تورد الأرماح موردها فما عدلت إلى الأقلام عن جبن

والطاعن الطعنة النجلاء عن جلد كالقائل القولة الغراء عن لسن

فتراه وهو من العظماء؛ قد قارب أن يساوي بين السيف والقلم في المدح والثناء وقال بعض أهل العصر:

للسيف والرمح فضل لا يزيد على فضل اليراع وما يملي من الحكم
فالسيف ذلت عتاة المشركين به والله أقسم في الفرقان بالقلم
وذو الفقار بكف المرتضى كشف اللـ ـه الكروب به عن سيد الأمم

وهذا الشاعر المعاصر قد أوشك أن يساوي بينكما في المفاخر وقال أبو تمام:

لولا مناشدة القربى لغادركم حصائد المرهفين السيف والقلم

فسماكما المرهفين وجعلكما حاصدين، وها أنا أحكم بينكما حكم عادل منصف غيرها ضم لحق واحد منكما ولا مجحف. فأقول (للمؤلف):

قد أكثر الشعراء القول من قدم على التفاضل بين السيف والقلم
ففضل السيف أقوام وما علموا إن الظبا بسوى الأقلام لم تقم
وقال قوم بتفضيل اليراع ولـ ـكن اليراع بغير السيف كالعدم
فقلت قولاً عن الأنصاف مصدره وقلما يوجد الإنصاف في الحكم
كم للظبا من مقام راح مشتهراً بين الأنام سواها فيه لم يقم
وكم نبا السيف عن أمر وقد نفذت في قلبه وحشاه أسهم الكلم

وها أنا قد صرحت بما رجحت وحكمت بما علمت من المساواة بينكما؛ وعدم تفضيل واحد منكما على صاحبه فهل رضيتما بهذا الحكم؟

(السيف والقلم) نعم وقد رضينا به شاكرين لك أيها الحكم العدل.

(تمت المفاخرة بين السيف والقلم).

عاشراً
السحر الحلال في المفاخرة بين العالم والمال

للمؤلف

وقد مثلت في المدرسة العلوية بدمشق سنة ١٣٣٠ في احتفالها السنوي؛ بين اثنين من تلاميذها في مجلس حافل وفي غيرها أمام جم غفير من العلماء والأعيان؛ فكان لها أحسن موقع في النفوس وأعظم استحسان - وهي هذه:

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لك يا مبدع الكائنات. وأفضل صلواتك وسلامك على محمد وآله خير البريات «وبعد» فهذه الرسالة المسماة «بالسحر الحلال في المفاخرة بين العلم والمال» تحتوي على آداب ونصائح ومواعظ وحكم وفوائد كثيرة أنشأها العبد الجاني محسن الحسيني العاملي الشامي غفر الله ذنوبه وستر عيوبه.

حدثنا عبد الله المعروف بالخيال وعبد الواحد المسمى بالفكر الجوال قال: خرجنا من بلدتينا المسماتين بالمخيلة والمفكرة ومعنا صاحب لنا يسمى الحس المشترك وجعلنا نتعسف المهامة والقفار، حتى ساقتنا الأقدار، إلى مدينة مطردة الأنهار ملتفة الأشجار فبينما نحن نمشي في أزقتها وإذ قد قابلنا باب دار مفتوح فدنونا منه ونظرنا وإذا بدار فسيحة الأرجاء مشيدة البناء فطلبنا الإذن في الدخول من البواب، فأنعم في الجواب، فلما دخلنا رأينا داراً لم نر مثلها في المخيلة ولا في المفكرة مع أن فيهما العجب العجاب، واعترف رفيقنا الحس المشترك أنه لم يمر عليه مثلها إلى اليوم، في يقظة ولا نوم فدنونا من صدر الدار وإذا بمجلس قد زين بأنواع الرياش، وأصناف الفراش، وفيه قوم جلوس تسطع من وجوههم الأنوار، وعليهم سيماء الهيبة والوقار، وبينهم رجل جليل القدر عظيم الشأن على رأسه تاج وقد جلس في صدر المجلس وجلس الكل متأدبين بين يديه فجلسنا ناحية متأدبين ثم

سألنا بعض من يتولى الخدمة عن هؤلاء الجالسين فقال: أما ذلك الرجل الجالس في صدر المجلس الذي على رأسه التاج والكل متأدبون بين يديه فهو الملك واسمه (العقل) وأما الرجل الجالس إلى جانب الملك الذي عليه آثار الأبهة والجلالة فهو (الشجاعة) وأما الآخر الذي إلى جانبه الذي ترى أهل المجلس مقبلين عليه بكلهم فهو أخوه وشقيقه (الكرم) وأما ذلك الصبيح الوجه المحبوب إلى القلوب الجالس في طرف المجلس فهو (التواضع) وأما الآخر الجالس إلى جانبه الذي يغلب عليه التبسم فهو (حسن الخلق) وأما ذلك الذي يحدث القوم ويجري في حديثه كالسيل فهو (الفصاحة) وأما الآخر الذي إلى جانبه الذي يتناوب معه في الحديث فهو (البلاغة) وأما ذلك المطرق الذي تعلوه السكينة والوقار فهو (الحلم) وأما الرجل الذي إلى جانبه المطرق المتفكر فهو (التأني) وأما ذلك الملتحف بأزاره المتحزم بثيابه العاض على نواجذه فهو (الصبر) وأما ذلك الرث الهيئة الجالس في طرف المجلس مقابل التواضع فهو (الفقر) وما زال يعدد لنا أسماء الجالسين حتى انتهى إلى آخرهم فبينما نحن كذلك إذ أقبل شيخ بهي المنظر صبيح الوجه عليه سيماء العظمة والجلالة والنور يسطع من وجهه وخلفه كهل يشبهه في صباحة الوجه وحسن الهيئة والخلق والخُلق فكأنه أخوه وشقيقه فلما بصر الحاضرون بالشيخ قاموا إجلالاً له على الأقدام، ووفوه حقه من التبجيل والاحترام، وتنحوا له عن صدر المجلس وقام إليه الملك وأجلسه إلى جانبه وجلس الباقون متأدبين بين يديه، بعد أن تسابقوا إلى تقبيل يده والسلام عليه، وجلس الكهل إلى جانب الشيخ فسألنا عنهما فقالوا أما الشيخ فهو (العلم) وأما الكهل الذي معه فهو (العمل) ثم أقبل من بعدهما شاب نظيف الثياب طيب الريح، ذي وجه صبيح، عليه آثار النعمة فسألنا عنه فقالوا هذا هو (المال) فتقدم إلى الملك وحياهُ بتحية الملوك ثم استأذنه في الجلوس فأذن له فجلس في يسار المجلس مقابل العلم فلما استقر به المجلس أقبل على العلم من بين القوم وحياه بالسلام.

(قائلاً) السلام عليك أيها الشيخ الجليل.

(العلم) وعليك السلام أيها الشاب الظريف ورحمة الله وبركاته.

(المال) قد روينا في صحيح الأخبار عن أهل بيت النبي المختار ﷺ أن من الجفاء أن يصحب الرجل الرجل ولا يسأله عن اسمه وكنيته فمن أنت أيها الشيخ.

(العلم) أنا العلم أبو الفضائل.

(المال) حياك الله وبياك الحمد لله الذي وفقني للقائك فطالما كنت مشتاقاً إلى رؤيتك لما أسمعه من الثناء الجميل عليك.

(العلم) ومن أنت أيها الشاب.

(المال) أنا المال أبو المفاخر.

(العلم) قدمت خير مقدم مرحباً بك وأهلاً وسهلاً.

(المال) كيف حالك يا سيدي.

(العلم) أنا بخير لولا ما أقاسيه من هجر أكثر الناس لي والتفريق بيني وبين العمل أخي وصاحبي هذا الجالس بجانبي وأنت كيف حالك.

(المال) أنا في أحسن حال لأني لا أصاحب إلا الأغنياء والوجهاء والعظماء وأتباعد عن أهل الهيئة الرثة والثياب القذرة المسمين بالفقراء إلا أنني قد أبتلى بصحبة البخلاء فيطيلون حبسي، ويمنعونني عن التصرف في نفسي، ويضيقون مني الأنفاس ويمنعونني عن معاشرة الناس، ولا يدعونني أستنشق الهواء أو أرى الضياء وأنشد:

أنت للمال إذا أمسكته   فإذا أنفقته فالمال لك

(العلم) أسأل الله أن يجعلك دائماً في صحبة الكرماء والأسخياء ويعجل خلاصك من أيدي البخلاء أنه سميع الدعاء وأنشد:

لا يعرف المال إلا ريث ينفقه   أو يوم يجمعه للنهب والبدد

(المال) وأنا أسأله أن يلهم أهل عصرنا الإقبال عليك وأن لا يفرقوا بينك وبين أخيك وصديقك العمل إنه سميع مجيب وأنشد:

ولم يحمدوا من عالم غير عامل   ولم يحمدوا من عامل غير عالم

(العلم):

آمين آمين لا أرضى بواحدة   حتى أضيف إليها ألف آمينا

(المال) حقاً أنك أخي الشقيق دون كل مخلوق فبك وبي حياة العالمين وانتظام أمر الدنيا والدين؛ وما أنا وأنت في الفضل وعلو الشأن ألا ككفتي ميزان وأنشد:

ما أحسن العلم حيث المال يعضده وأقبح الجهل والإفلاس بالرجل

(العلم) لا تعط العبد كراعاً فيطلب ذراعاً، أراك أيها الشاب قد تعديت طورك ولم تقف عند حدك وغرك شبابك وزهو نفسك وأنشد:

تناول سرحان فريسة ضيغم فقضقضه بالكف منه وحطما

(المال) ولماذا أيها الشيخ الجليل والفاضل النبيل تنسبني إلى تعدي طوري وتقصر بي عن غيري وأنشد:

لساني طويل فاحترس من شذاته عليك وسيفي من لساني أطول

وأنشد أيضاً:

ألم تعلموا أني صبور على الوغى سريع إلى الداعي إذا أكثر القتل

(العلم) لأنك ساويت نفسك بمن لا تساويه وتشبهت بمن لست بشبيه وأنشد:

من تحلى بغير ما هو فيه كذبته شواهد الامتحان

(المال) أولست أنا وأنت سيان في الفضل بل رأيت كثيراً من الناس يقدمونني عليك عند العقد والحل وأنشد:

أرى كل ذي مال يبر لماله وإن كان لا أصل هناك ولا فصل

فشرف ذوي الأموال حيث لقيتهم فقولهم قول وفعلهم فعل

(العلم) كلا لقد فضلني الله عليك ورفع قدري فوق قدرك وما فضلك علي إلا أهل الجهل الذين هم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً وأنشد:

لا تدخر غير العلوم فإنها نعم الذخائر

والمرء لو ربح البقاء مع الجهالة كان خاسر

(المال) ما لك أيها الشيخ قد سارعت إلى الجدال والخصام وتعمدت خشونة الكلام؛ فإن ظننت أني عنك عاجز فها أنا لك مناجز وإن جنحت للسلم فذلك أحب إلي وأنشد:

أن تركبوا فركوب الخيل عادتنا أو تنزلون فإنا معشر نزل

وأنشد أيضاً:

نصحتك فالتمس يلويك غيري طعاماً إن لحمي كان مرا

(العلم):

هذا أوان الحرب فاشتدي زيم قد لفها الليل بسواق حطم

ليس براعي إبل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم

إني والله لأكره الخصومة كراهة ما عليها من مزيد؛ ولكن لا بد للحر الكريم من أن يحمي حوزته ويدافع عن حقه وأنشد:

أظن الحلم دل على قومي وقد يستجهل الرجل الحليم

ومارست الرجال ومارسوني فمعوج علي ومستقيم

وأنشد أيضاً:

ومن لم يذد عن حوضه بسنانه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

ومن يعص أطراف الزجاج فإنه يطيع العوالي ركبت كل لهذم

وأنشد أيضاً:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

(المال) قد كان يبلغني عنك أنك تحب التواضع وتكره الفخر؛ فقد رأيت غير ما سمعت ورب مشهور لا أصل له وأنشد:

إذا النفس يوماً جاءها ما يهيجها تبين ذو حلم ومن يتحلم

فإن كنت تظن أني عاجز عن منازلتك فإني والله كما قال الأول:

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا

ويمشي إذا ما الموت كان أمامه كذي الشبل يحمي الأنف أن يتأخرا

(العلم) إني وإن كان التواضع مشربي والفخر ليس من مذهبي إلا أن الضرورة تدعوني إلى بيان حسبي ونسبي لئلا يغتر الجاهل بكلامك، هذا فيظن إن منصبك يساوي منصبي، فتأخر حيث أخرك الله ولا تقس نفسك بي وأنشد:

وللحلم أوقات وللجهل مثلها ولكن أوقاتي إلى الحلم أقرب

وأنشد أيضاً:

العلم فيه جلالة ومهابة والعلم أنفع من كنوز الجوهر
تفنى الكنوز على الزمان وصرفه والعلم يبقى باقيات الأعصر

(المال) مهلاً أيها الشيخ غض من جماحك وكف عن حماسك، فإني لست دونك في الفضل وأنا ثمن الدنيا والآخرة وقوام العالم ولولاي لم تكن أنت شيئاً مذكوراً فبسببي حصلك أهلوك وحازك ذووك وبي تعمر المدارس وتجهز الجيوش وتحرز الجنات؛ وأراك تفخر علي بغير دليل قاطع ولا برهان ساطع وأنشد:

سأعمل نص العيس حتى يكفني غنى المال يوماً أو غنى الحدثان
فللموت خير من حياة يرى لها على المرء بالاقلال وسم هوان
إذا قال لم يسمع لحسن مقاله وإن لم يقل قالوا عديم بيان

وأنشد أيضاً:

ولي فرس للحلم بالحلم ملجم ولي فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن شاء تقويمي فإني مقوم وإن شاء تعويجي فإني معوج

(العلم) لقد أخطأت المرمى وما أصبت الغرض، فهل تكون ثمناً للدنيا والآخرة الأبي ولو لم أهدك الطريق لكنت سبباً لخسران الدنيا والآخرة، وأما قولك بسببي حصلك أهلوك فما أحراه بقول من قال (أقلب تصب) ولو لا بعض ولدي المسمى بعلم الحساب لاقتسمتك الذئاب، وكيف تساويني في الفضل والشرف وبمدحي قد نطق القرآن العظيم، وفاه النبي الكريم عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم، قال الله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] وجاء في السنة الزهراء (العلماء ورثة الأنبياء) وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: العلم سلطان من وجده صال به ومن لم يجده صيل عليه، (وقال عليه السلام) العلم أفضل الكنوز وأجملها خفيف الحمل عظيم الجدوى في الملأ جمال وفي الوحدة أنس، (وقال عليه السلام) العالم مصباح الله في أرضه فمن أراد الله به خيراً اقتبس منه، (وقال عليه السلام) الجاهل صغير وإن كان شيخاً والعالم كبير وإن كان حدثاً وقال حكيم الشعراء:

رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللجهال مال
فإن المال يفنى عن قريب وإن العلم باق لا يزال

وقال آخر:

مضى ذكر الملوك بكل عصر وذكر السوقة العلماء باقي

وينسب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

ما الفضل إلا لأهل العلم أنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
فقم بعلم ولا تطلب به بدلاً فالناس موتى وأهل العلم أحياء

(المال) سبحان الله أحفظت ما جاء في حقك من المدح ونسيت ما ورد في حقي فكنت كما قال الشاعر:

يا أيها المدعي في العلم فلسفة حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء

(العلم) وما جاء في حقك من المدح قل حتى أسمع.

(المال) أما سمعت قول الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١] أما سمعت ما جاء في السنة المطهرة في حق المتصدقين من المدح والثناء العظيم؛ مما شاع وذاع وملأ الأسماع وقال الشاعر:

قد قال قوم بغير علم ما المرء إلا بأصغريه
فقلت قول امرئ حكيم ما المرء إلا بدرهميه
من لم يكن درهم لديه لم ترض عرسه عليه

وقال الآخر:

ذريني للغنى أسعى فإني رأيت الناس شرهم الفقير

وقال الآخر:

جذلان يعلم أن المال ساق له ما لم يسقه له دين ولا خلق
فمن يكن عن كريم الناس يسألني فأكرم الناس من كانت له ورق

وقال آخر:

أجلك قوم حين صرت إلى الغنى وكل غني في العيون جليل

وقال آخر:

إني مقيم على الزوراء أعمرها إن الكريم على الإخوان ذو المال
كل النداء إذا ناديت يخذلني إلا ندائي إذا ناديت يا مالي

وقال الآخر:

طلبت فنون العلم أبغي بها العلا فقصر بي عما سموت به القل
تبين لي أن المحاسن كلها فروع وإن المال فيها هو الأصل

(العلم) سبحان الله أين قول الله تعالى هذا من الثناء عليك هذا ثناء على المنفقين والمتصدقين لا عليك، وإني أراك في هذا الافتخار كما قيل:

(افتخرت القرعاء بشعر خالتها) وقيل للبغل: من أبوك فقال: (خالي الفرس) وما رأيت لك في الكتاب العزيز والسنة المطهرة إلا الذم والتوبيخ، قال الله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦] وأنا من الباقيات الصالحات وقال تعالى إنما أموالكم وأولادكم فتنة وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: في المال ثلاث خصال مذمومة أما أن يكتسب من غير حقه أو يمنع إنفاقه في حقه. أو يشتغل بإصلاحه عن عبادة الله تعالى.

وأما ما استشهدت به من الشعر فهو عليك لا لك لو عقلت؛ فإنه ذم للمال في صورة المدح ولو أتممت الأبيات الرائية لعلم الحاضرون ما فيها من الذم العظيم لك حيث يقول بعد هذا البيت:

وأبعدهم وأهونهم عليهم وإن أمسى له حسب وخير[1]
يباعده الندي وتزدريه حليلته وينهره الصغير
وتلقى ذا الغنى وله جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل عيبه والعيب جم ولكن للغنى رب غفور

---

(١) الخير بالكسر: الكرم والجود المؤلف.

(المال) إلى متى تغالط أيها الشيخ في استدلالك تريد أن تغمط فضلي وتحط من قدري فإن زعمت أنه لا فضل لي إلا بإنفاقي في سبيل الله فأنت لا فضل لك إلا بالعمل (قال ﷺ) العلم بلا عمل كالشجر بلا ثمر بل العالم غير العامل شر من الجاهل وهل تريد برهاناً على ذلك أعظم من علم إبليس وبلعم بن باعور أفهل نفعهما علمهما إذ لم يقرناه بالعمل وأنشد:

ما بال عينك لا ترى أقذاءها ... وترى الخفي من القذى بجفوني

وأنشد أيضاً:

وكل امرىء يرنو إلى عيب غيره ... سريعاً وتعمى عينه عن عيوبه

وأنشد أيضاً:

لا تهتكن من مساوي الناس ما ستروا ... فيهتك الله ستراً عن مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ... ولا تعب أحداً منهم بما فيكا

(العلم) لقد نسبتني إلى المغالطة والمغالط أنت أنا بشرطي خير منك وأفضل وأشرف وأجل أنا ميراث النبيين ومرشد المسترشدين والموصل إلى معرفة رب العالمين ودليل المتحيرين وبي يفتخر النبيون والمرسلون وبك يفتخر الجبارون قال سيد الكونين ﷺ: أنا مدينة العلم وعلي بابها. وقال فرعون: ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ [الزخرف: ٥٣] وقال مشركو قريش: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] فبقربي يفخر النبيون أما أنت فقد افتخروا ببعدهم عنك قال رسول الله ﷺ: (الفقر فخري) وأنشد:

العلم يحيي قلوب الميتين كما ... تحيا البلاد إذا ما مسها المطر
والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه ... كما يجلي سواد الظلمة القمر

(المال) لو كان ما تقول حقاً من الذم لي لما طلب سليمان بن داود على نبينا وآله وعليه السلام ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ولما ملك ذو القرنين وهو نبي أو عبد صالح مشارق الأرض ومغاربها ولما طلب يوسف ﷺ من عزيز مصر أن يجعله على خزائن الأرض وأنشد:

سأكسب مالاً أو أموت ببلدة ... يقل بها قطر الدموع على قبري

(العلم) هذا عليك لا لك أما علمت عدد الأنبياء عليهم السلام مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي قبل نبينا محمد صلى الله عليه وآله فلو كان للمال شرف كما زعمت لكانوا كلهم مثل سليمان عليه وعليهم السلام ومحمد صلى الله عليه وآله أفضل من سليمان ومن يوسف عرضت عليه مفاتيح خزائن الأرض ولا ينقص من أجره شيء فأبى أن يقبلها وأنشد:

وكم من قليل المال يحمد فضله وآخر ذو مال وليس له فضل
وما سبقت من جاهل قط نعمة إلى أحد الا أضرَّ بها الجهل

(المال) إني أراك كثير الجدل ألد الخصام وقد كنت ألزمت نفسي أن لا أجادل مثلك وأنشد:

ولست بمفراح إذا الدهر سرني ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا أتمنى الشر والشر تاركي لكن متى أحمل على الشر أركب

(العلم) إني لأخشى أن يكون الذي حداك على هذا الكلام العجز عن جوابي فإن كان ظهر لك أن الحق في جانبي فلا يمنعك التعصب لنفسك عن الاعتراف بحقي فالعاقل من يقول الحق ولو على نفسه وأنشد:

ما كلف الله نفساً فوق طاقتها ولا تجود يد إلا بما تجد

(المال) كيف يكون الحق في جانبك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن كان لك مال فلك حسب وإن كان لك خلق فلك مروءة وإن كان لك دين فلك كرم (وقال) ابن عباس: الدنيا العافية والشباب الصحة والمروءة الصبر والكرم التقوى والحسب المال (وكان) سعد بن عبادة يقول: اللهم ارزقني حمداً ومجداً فإنه لا حمد إلا بفعال ولا فعال إلا بمال (وقال) عبد الرحمن بن عوف: يا حبذا المال أصون به عرضي وأتقرب به إلى ربي (وقال) سفيان الثوري: المال سلاح المؤمن في هذا الزمان (وقالت) الحكماء: لا خير فيمن لا يجمع المال يصون به عرضه ويحمي به مروءته ويصل به رحمه (وقال) حكيم لابنه: يا بني عليك بطلب المال فلو لم يكن فيه إلا أنه عز في قلبك وذل في قلب عدوك لكفى.

(العلم) كفى في تفضيلي عليك قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لصاحب له يسمى كميل بن زياد: يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت

تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو وينمو على الإنفاق يا كميل مات خزان المال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة وقال الشاعر:

علمي معي حيث ما يممت ينفعني قلبي وعاء له لا بطن صندوقي
إن كنت في البيت كان العلم فيه معي أو كنت في السوق كان العلم في السوق

(المال) إن نفسي تأبى التسليم لك بالفضل وكيف أسلم بفضلك وأنا أرى لنفسي من الفضائل ما ليس لك وأنشد:

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل
ويركب حد السيف من أن تضيمه إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

(العلم) يا سبحان الله قد وضح الفجر لذي عينين وبان الصدق من اليمين وجاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً فإلى متى تركن إلى المخالفة فإن كان لك برهان فهاته، أو جواب فأت به فإنه لا عطر بعد عروس.

(المال) إنك رجل قد تعودت على النزاع والجدال؛ وتعلمت ترتيب القضايا والإشكال، ومارست صنوف المخادعة والاحتيال، وتمرنت على إقامة الأدلة والبراهين، وربيت في المدارس بين العلماء والمتعلمين، أما أنا فقد ربيت مع التجار من الخان إلى الدكان ومن السوق إلى الصندوق ومن البيت إلى المخزن والذي أظن أن قوة احتجاجك من شدة ذكائك لا لأن الحق في جانبك وضعف احتجاجي لقله إطلاعي وإن كان الحق معي فأنا أريد بيني وبينك حكماً عادلاً فتراني بحكمه قابلاً وأنشد:

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفاد أو جلاء[1]

(العلم) وإلى من تريد أن تحاكمني وأنا الحاكم على الكل وأنشد:

ترى الناس إن سرْنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

(العلم) أحاكمك إلى من حكّمه الله تعالى علي وعليك وجعله دليل عباده عليه وبه يثبت ويعاقب وهو ملكنا المعظم العقل.

---

(١) أراد أن الذي يثبت الحق يمين أو حكومة أو بينة.

(العلم) الآن وقد أنصفت فسمعاً وطاعة لحكم العقل.

(ثم أقبلا) على العقل وقالا أيها الحاكم العادل والملك العظيم المسلط الذي إلى حكمه تنتهي جميع الأمور إنا أتيناك متخاصمين فاحكم بيننا بما أراك الله فإنا بحكمك راضون ولأمرك مطيعون.

(العقل) اجلسا متساويين في مجلس الخصمين لأحكم بينكما حكماً لا يدانيه جور ولا حيف ثم أنشد:

أنا إذا مالت دواعي الهوى وأنصت السامع للقائل
واصطلح الناس بآرائهم نقضي بحكم عادل فاصل
لا نجعل الباطل حقاً ولا نلط دون الحق بالباطل

فجلسا بين يديه متأدبين فقال لهما: تكلما لأسمع خصومتكما.

(العلم) أنا العلم وهذا المال وهو يدعي مساواتي في الفضل وأنا أدعي التفضيل عليه بحكمك وحكم النقل.

(العقل) ما تقول أنت أيها المال فيما يدعيه خصمك.

(المال) إني لا أرى له علي شيئاً من الفضل فاحكم أنت بيننا أيها الحكم العدل.

(العقل) قد فهمت كلامكما وإني أدعوكما إلى الصلح والصلح خير وأنهاكما عن الجدال والخصام؛ فإنهما يجلبان الندامة والملام؛ فإن أبيتما إلا القول الفصل حكمت بينكما بمر الحق غير مبال برضى من يرضى ولا بسخط من يسخط (فقالا) بل نريد مر الحق، فعندها وضع العقل يده على جبهته وفكر ساعة ثم رفع رأسه إليهما وقال: أقول لكما والحق أقول إن لكل منكما فضلاً ولكل منكما آفة فإن سلمتما من الآفات فالفضل للعلم هذا حكمي قد أبرمته والسلام على من اتبع الهدى.

(المال) قد رضيت بما حكمت به أيها الملك العظيم والحاكم العادل وأنا أعتذر إلى العلم وأسأله أن يعفو عني ثم تقدم إلى العلم فصافحه.

(العلم) قد قبلت عذرك وأسأله تعالى أن يبقيك وينميك لتكون لنا عوناً ويجعلك مصروفاً في طاعته آمين.

(العقل) بارك الله فيك أيها المال لقد سر الملك من إطاعتك وانقيادك سروراً عظيماً.

(المال) الحمد لله الذي وفقني للإذعان بالحق وامتثال أمر الملك.

(العقل) وأنت أيها العلم إياك أن تشمخ بأنفك وتفتخر بالغلبة وتغتر بتفضيلي إياك. ولا تعرف حق المال عليك فطالما كان السبب في وجودك وحياتك.

(العلم) ما أقبلني لنصح الملك وأعرفني بحق المال علي.

(العقل) وأنتما أيها العلم والمال تعاضدا وتعاونا على نجاح الأمة وسعادتها ولا تنازعا فتفشلا وتذهب ريحكما.

(العلم والمال) سمعاً وطاعة لأمر الملك الشفيق الناصح.

ثم إنفض المجلس والكل مبتهجون بهذا الحكم العادل والوفاق المبارك الميمون ولاهجون بالدعاء لملكهم بطول البقاء والنصر على الأعداء ومثنون عليه أطيب الثناء، تمت هذه المفاخرة الموسومة (بالسحر الحلال في المفاخرة بين العلم والمال) على يد منشئها العبد الجاني محسن الحسيني العاملي نزيل دمشق ضحوة يوم الأحد السابع من شهر ربيع الأول سنة ١٣٢٩ هـ ببلدة دمشق حامداً مصلياً مسلماً.

حادي عشر

أعجب العجب في المفاخر بين الراحة والتعب

حدثنا أبو المغوار عن مسافر بن سيار قال: ساقتني الأقدار إلى بعض الأمصار فأدى بي التطواف، إلى مجلس بعض الأشراف، فلما دخلت حييت بالسلام، وجلست حيث أجلسني الغلام، فرأيت المجلس غاصاً بأهله، غريباً في زيه وشكله، قد اجتمع فيه العلماء والفقهاء، والأدباء والشعراء، والأشراف والأمراء والكتاب والحجاب، والأعيان والتجار، وطوائف الخاصة والعامة، فظننت أنهم قد اجتمعوا لدعوة، وقلت في نفسي هذه هفوة مني وأي هفوة، فقد وقعت في التطفيل من حيث لا أدري، وسيضيق عن ذلك عذري وسألت رجلاً إلى جنبي: هل هذه الدعوة لوليمة عرس أو ختان أو سفر إلى حج فقال: لا ذا ولا ذاك وإنما اجتمع الناس من كل حدب لسماع المفاخرة بين الراحة والتعب، فاطمأن جأشي ورجعت إلى نفسي وقلت: رب صدفة خير من ميعاد وبينما الناس جلوس على مراتبهم إذ دخل فتى في عنفوان شبابه عطر الثياب، نظيف الاهاب، صقيل الخدين، ناعم الكفين، بادي النعمة، يمشي في خدمه ويجلس في خدمه، فهش له الحاضرون وبشوا فسلم وجلس على ألين بساط، وأفخر أنماط، فسألت عنه فقيل لي هو الراحة ودخل معه آخر يقاربه في الزي والشكل يمشي متثاقلاً ويخطو متماهلاً فجلس إلى جانبه فسألت عنه فقيل لي هو صاحبه وصديقه الكسل ودخل بعدهما رجل خشن الثياب غليظ الجلباب قوي الأعصاب شثن الكفين عبل الذارعين تبدو عليه مخايل القوة والجلد يسرع في مشيه ويباعد بين خطواته ومعه رجلان كأنهما أسدان فسلم وجلس ناحية وجلس صاحباه أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فسألت عنه فقيل: لي هو التعب وسألت عن صاحبيه فقيل لي أما الجالس عن يمينه فهو صاحبه وملازمه وهو الجد وأما الذي عن

شماله فرفيقه وخليطه وهو النشاط فلما استقر بهم المجلس التفتت الراحة إلى التعب وقالت: حياك الله يا أخي -: وأنت فحياك الله وبياك -: من أنت -: أنا التعب واسمي أيضاً النصب -: وما كنيتك -: أكنى أبا الأسفار والأخطار والأعمال والأشغال -: لقد غيرك الدهر بعدي والدهر ذو غير وأنشدت:

تعب كلها الحياة فما أعجب   إلا من راغب في ازدياد

-: ومن أنت -: أنا الراحة الظاهرة الملاحة فطوبى لمن كنت له متاحة وبؤساً لمن كنت عنه مزاحة.

(التعب) لا بل البؤس لمن أخلد إليك وعكف عليك فقد فاته مناه وخسر آخرته ودنياه وأنشد (للمؤلف):

اهجر الراحة إن رمت العلا   لا ينال المجد إلا بالتعب
باجتهاد وبسهد دائم   ووجيف فوق كور أو قتب

(الراحة) سفه رأيك لقد سلكت مسلكاً وعراً وركبت طريقاً صعباً وتعسفت الطريق وأوقعت الناس في كل كرب وضيق وحملتهم على المشاق وسقيتهم كأس الزعاق فأصبحت مبغضاً إلى القلوب ثقيلاً على النفوس تستعيذ الناس من شرك وتخاف من أذاك وضرك أما أنا فما زلت حبيبة إلى القلوب شهية عند النفوس وأنشدت (للمؤلف):

كيف يختار أخو العقل التعب   وهو منه كل ذي عقل هرب
فاطلب الراحة في أوطانها   قد ينال المرء يوماً ما طلب

(التعب) أما علمت أيتها المسكينة أنها لا تنال معالي الأمور إلا بتحمل المشاق وشرب الزعاق وركوب الأهوال والأخطار وإن الإخلاد إلى الراحة سبب الحرمان من كل خير:

تريدين إدراك المعالي رخيصة   ولا بد دون الشهد من أبر النحل

ولولا المشقة والتعب ما نال امرؤ ما طلب ولا عرف فضل السابق ونقص المقصر:

لولا المشقة ساد الناس كلهم   الجود يفقر والإقدام قتال

(الراحة) إن الذي يحصل بك من الفوائد لا يقابل ما فيك من المشاق والمتاعب فخيرك لا يقوم بشرك ونفعك لا يعدل بضرك.

(التعب) قد علم كل باد وحاضر أنه لولا التعب ما عرفت لذة الراحة ولولا السهد ما استطيب طعم النوم:

وليست فرحة الأوبات إلا لموقوف على ترح الوداع

فعندها قام (الكسل) ووقف إلى جانب الراحة متثاقلاً متثائباً وارتجل (للمؤلف):

ليس يدري الناس ما نفع الكسل هو بادي النفع عنه لا تسل
هو عند النفس أحلى من عسل وإليها هو أشهى من بصل
فبه الراحة من كل عمل سالم من كل ترحال وحل
وليس يهتم بعقد أو بحل أو بمن جاء ومن كان رحل
أو بمن عز من الناس وذل ليس يدنو لخصام أو جدل
أو لحرب فيه تقريب الأجل وانتضاء البيض أو هز الأسل
أو قراع الفارس الجلد البطل نام أن ينعس وإن جاع أكل
وإذا ما فقد القوت احتمل حافياً يمشي وإن شاء انتعل
إن رأى الظل إليه ما انتقل سوف يأتيه فما هذا العجل
أو أراد المشي يمشي في مهل عنده الإسراع من بعض الخطل
ليس يعروه حياء أو خجل لا ولا يمنى بخوف أو وجل
لا يبالي إن علا أو إن سفل ذا هو العيش فإن جاء الأجل
في جنان الخلد مغبوطاً دخل ليس بالمسؤول عما قد فعل
رحمة من ربه عز وجل

فعندها قام (النشاط) مغضباً ووقف إلى جانب التعب متوثباً ومد بصره إلى الكسل مصعد أو مصوباً وأنشد برفيع صوته قائلاً (للمؤلف):

خاب فيك اليوم يا هذا الأمل والرجا فيك تلاشى واضمحل
فارتقب مني عقاباً قد نزل بك يقصيك إلى أقصى محل

سواءٌ للدهر فيما قد فعل حينما أصبحت قرناً للكسل
لست قرناً لي لدى هز الأسل فتأخر وامض من غير مهل
خاسئاً أو لا فقد حم الأجل وترى الرأس عن الجسم انفصل

فتأخر الكسل متثاقلاً يجر رجليه وقد شملته الذلة حتى جلس في صف النعال حيث لا يراه النشاط وضحك الحاضرون كلهم مما جرى له فالتفت إليهم النشاط قائلاً: لقد حط هذا الخامل من قدر الراحة بانتصاره لها وانتسابه إليها فما عز من نصره ولا ذل من خذله وكم قد حرم أقواماً من الخير بصحبته لهم وبعدوا عن منازل العظماء بملازمتهم له وأنشد:

حب السلامة يثني عزم صاحبه عن المعالي ويغري المرء بالكسل

فعندها التفتت الراحة إلى التعب وقالت: إنني أبرأ من الكسل فليس بيني وبينه قرابة ولا نسب ولا صحبة ولا مودة فلا تلصق بي عاره ولا تلزمني ذنوبه وأوزاره.

(التعب) بل هو أخوك الشقيق وجارك اللصيق وصديقك الحميم وقلما افترقتما في سفر أو حضر وأنا أحمد الله تعالى الذي دحض حجتك وأبان نقصك بصحبة الكسل وانتصاره لك وأنشد:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي
إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

وقال الآخر:

توقَّ صديقاً مثل من وأحذر الذي يكون كأي بين عرب وأعجم
فإن قرين السوء يعدي وشاهدي كما شرقت صدر القناة من الدم

(الراحة) مهلاً فما كل من صاحب أحداً تخلق بأخلاقه وقد تدعو الضرورات إلى بعض المصاحبات كما قال المتنبي:

وقد يتزيا بالهوى غير أهله ويستصحب الإنسان من لا يلائمه

(التعب) إلى متى تركنين إلى المجادلة وتنكرين الحقائق الواضحة فقد استبان الصدق من المين ووضح الفجر لذي عينين والإصرار على الخطأ خطأ ثان.

(الراحة) إن من الوقاحة تفضيل التعب على الراحة وأنشدت قول المعري:

إذا وصف الطائي بالبخل مادر وعيّر قساً بالفهاهة باقل
وقال السهى للشمس أنت ضئيلة وقال الدجى للصبح لونك حائل
وفاخرت الأرض السماء سفاهة وكاثرت الشهب الحصى والجنادل
فيا موت زر إن الحياة ذميمة ويا نفس جدي إن دهرك هازل

(التعب) ما أهلك الأمم إلا الإخلاد إلى الراحة وما قادهم إلا الكسل إلا حب الراحة وترك العمل وهل تدرك الراحة إلا بالتعب وتنال معالي الأمور إلا بالجد والطلب وأنشد:

بقدر الجد تكتسب المعالي ومن رام العلا سهر الليالي
ومن طلب العلوم بغير كدّ أضاع العمر في طلب المحال

وأما إنشادك لشعر المعري فأنا أحق بالاستشهاد به منك.

(الراحة) وماذا ينفع الجد والطلب إذا كان الجد والحظ في صبب وأنشدت:

بالجد لا بالمساعي يدرك الشرف تسري الجدود بأقوام وإن وقفوا

(التعب) هذا من تسويلات النفس الباطلة ولا يميل إلى الراحة سوى النفوس الخاملة وترك الجد والعمل اتكالاً على الحظ والبخت نوع من الخذلان نعوذ بالله منه وهو دأب الاتكاليين الخاملين وهل ينال الدين والدنيا بسوى الكد والعمل والتعب والنصب أو ما سمعت قول شاعر العرب امرىء القيس بن حجر الكندي حيث يقول:

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن إنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا

(الراحة) وماذا أفاد امرؤ القيس تعبه وكده حيث لم يساعده حظه وجده

(التعب) قد أجاب امرؤ القيس سلفاً عمن هذا الاعتراض (بقوله إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا) وأجاب عنه الكثيرون من عظماء الرجال في أشعارهم كما قال القائل:

ولا بد أن أسعى لأشرف رتبة وأمنع من عيني لذيذ منامي

فأما مقام يضرب النجم دونه سرداقه أو ناعياً لحمامي
إذا أنا لم أبلغ مقاماً أرومه فكم حسرات في نفوس كرام

وقال الآخر(فخاطر بها إن العلاء خطار) وقال آخر:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلما
وواسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مذموماً وخالف مجرما
فإن عشت لم أندم وإن مت لم ألم كفى بك ذلاً أن تعيش فترغما

(الراحة) كل من حدثك إن المشي خير من الركوب والتعب خير من الراحة فلا تصدق وأنشدت قول الطغرائي:

فيما اقتحامك لج البحر تركبه وأنت تكفيك منه مصة الوشل

(التعب) وكل من حدثك إن معالي الأمور تنال بغير التعب فلا تصدقي وأنشد:

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله لا تدرك المجد حتى تلعق الصبرا

وكأنك أيتها الراحة لم تقرأي البيت الآخر الذي جعله الطغرائي جواباً لهذا البيت لما جبلت عليه من الكسل وهو قوله:

أريدُ بسطة كفٍ أستعين بها على قضاء حقوق للعلى قبلي

وقوله في هذه القصيدة:

وذي شطاط كصدر الرمح معتقل بمثله غير هياب ولا وكل
طردت سرح الكرى عن ورد مقلته والليل أغرى سوام النوم بالمقل
فقلت أدعوك للجلّى لتنصرني وأنت تخذلني في الحادث الجلل
فسر بنا في ظلام الليل معتسفاً فنفحة الطيب تهدينا إلى الحلل

أما سمعت قول الشريف الرضي حيث يقول:

وصاحب وقذ التهويم هامته دعوته ورواق الليل يؤويني
لا درّ درك كم نوم على ضمد سقها ولو بطرير الغرب مسنون

وقوله:

يذوق العين طعم النوم مضمضة إذا الجبان ملاعينا بتهجاع

ألم تسمعي قول الشنفرى حيث يقول:

ولي دونكم أهلون سيد عملس وأرقط زهلول وعرفاء جيئل[(١)]
هم الأهل لا مستودع السر ذائع لديهم ولا الجاني بما جر يخذل
وكل أبيٌ باسل غير أنني إذا عرضت إحدى الطرائد أبسل
وإن مدت الأيدي إلى الزاد لم أكن بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل
وإني كفاني فقد من ليس جازياً بنعمى ولا في قربه متعلل
ثلاثة أصحاب فؤاد مشيع وأبيض أصليت وصفراء عيطل[(٢)]
هتوف من الملس المتون يزينها رصائع قد نيطت إليها ومحمل
إذا زل عنها السهم حنت كأنها مرزءة ثكلى ترن وتعول
ولست بمهياف يعشي سوامه مجدعة سقبانها فهي بهل[(٣)]
ولا جبأ أكهى مرب لعرسه يطالعها في أمره كيف يفعل[(٤)]
ولا خالف دارية متغزل يروح ويغدو داهناً يتكحل[(٥)]
ويوم من الشعرى[(٦)] يمج لعابه أفاعيه في رمضائه تتململ
نصبت له وجهي ولاكن دونه ولا ستر الا الاتحمي المرعبل[(٧)]

وإني أراني في احتجاجي عليك كمن يحتج على أن السماء فوق الأرض والجبال أعلى من السهل والنهار أضوء من الليل والعسل أحلى من الحنظل والجبل أكبر من الخردل وأنشد:

تريد على مكارمنا دليلاً متى احتاج النهار إلى دليل

---

(١) السيد الذئب (والعملس) الأملس (والأرقط) النمر (والزهلول) الخفيف أو الناعم (والعرفاء) ذات العرف الكثير الشعر وهي الضبع (والجيئل) الكثيرة الذهاب والمجيء.
(٢) هي القوس والعيطل الطويلة.
(٣) (المهياف) السريع (يعشي سوامه) يرعى إبله لخوفه من العطش (السقبان) جمع سقب وهو ولد الناقة التي لا صرار عليها (والصرار) ما يشد على الضرع بمنع الرضاع.
(٤) الجباء كسكر الجبان (والاكهى) الجبان الضعيف (والمرب) الملازم.
(٥) الخالف الأحمق (والدارية) الملازم لداره.
(٦) الشعرى نجم يطلع عند اشتداد الحر.
(٧) الاتحمي من برود اليمن (والمرعبل) الممزق.

(الراحة)

إن تقبل الحق منا فهو بغيتنا   وإن أبيت تقاضينا إلى حكم

(التعب) ومن هو الحكم الذي يحكم بيننا: هو العدل.

(التعب) لا يحيد عن حكم العدل إلا من اتصف بالظلم والجهل ثم تقدم الخصمان ووقفا أمام العدل فابتدر التعب وقال: السلام عليك أيها الحاكم على الملوك والحكام ومن إليه المفزع في نزاع وخصام أنت أساس لملك الوطيد وباتباعك سعد كل سعيد - أنا وهذه قد أدت بنا المفاخرة إلى المنافرة ورضيناك حكماً بيننا فاحكم بيتنا بالحق

(العدل) وعليك السلام أيها المشفق الذي طالما حافظ على سلامتي وأسهر طرفه في حراستي

(الراحة) لا تنسى ايها القاضي سعيه ضدك في كثير من المواطن بل من يتعب في إحياء الجور لا يقل عمن يتعب في إحياء العدل إن لم يزد عليه.

(العدل) إن كان التعب نصرني مرة وقاومني أخرى فلم أجد منك في كل موطن إلا الخذلان وأنا بما فطرت عليه لا بد لي من أن أعرف لكل ذي فضل فضله ومعاذ الله أن يمنعني تقصيرك أو تدعوني نصرته لي إلى أن أحكم بغير الحق. وإنما خلقت لأنصف المظلوم من الظالم وأميز الحق من الباطل وسأحكم بينكما حكماً لا يشوبه حيف اجلسا فجلسا ثم فكر ساعة فقال:

إنما الراحة نعمة محضة خص الله بها أولياؤه في الدار الآخرة ولكنها لا تنال إلا بالتعب في دار الدنيا فلا راحة في الدنيا لمؤمن والتعب مشقة تنال به السعادة الأبدية ويتوصل به إلى معالي الأمور ولا ينال من المآرب إلا به ومن ذلك بان فضل التعب على الراحة.

(انتهت المفاخرة بين الراحة والتعب)

ثاني عشر
قصة كسرى ووزيره بهرام

الفصل الأول

ذهب كسرى مع وزيره بهرام يوماً إلى النزهة في أيام الربيع ولقد لبست الأرض حلة سندسية ظهرت فيها أنواع الأزهار فكأنما رصعت بأصناف الدر والياقوت والعسجد واللجين فلما عادا من نزهتهما وجلسا في القصر المشرف على دجلة (قال كسرى) لبهرام: أرأيت يا بهرام كيف تجلت محاسن الطبيعة في تلك المناظر التي شاهدناها اليوم في نزهتنا وما أطيب شذا تلك الرياض التي اجتزناها وأرق نسيمها فسبحان خالقها من قادر على ما يشاء.

بهرام: أجل أعز الله الملك إن تلك المناظر مما تفتن الألباب ولكن أريج عدل الملك أيده الله في الرعية أطيب ريحاً وأذكى عرفاً فقد سار نشره في جميع البلاد وعم كل قطر وناد كسرى: إني أحمد الله على ذلك ولا شيء ألذ عندي وأعظم وقعاً في نفسي من أن أرى العدل ضارباً أطنابه في بلادي ولا شيء أدعى إلى دوام الملك من العدل في الرعية فإن الأمة التي تنتشق رائحة العدل لا تجد رائحة الاضمحلال والذل.

بهرام: وأنا أحمد الله الذي حبب إلي العدل والإحسان بفضل وجودي في خدمة الملك واقتدائي بأقواله وأفعاله.

كسرى -: كذلك أنت يا بهرام وإنني لم أتخذك رئيس وزرائي إلا لما انطويت عليه من حب العدل والنظر في أمور الرعية وأنا أرجو أنك لا تحيد أبداً عن تلك الطريقة القويمة - بهرام: أسأله تعالى أن يجعلني عند حسن ظن الملك بي.

كسرى -: كنا قد أمرنا ببناء دار فسيحة تليق بعظمة ملكنا المتسع الأرجاء فهل فعلت ما أمرناك به.

بهرام: أجل أسعد الله الملك قد جمعت لها البنائين والصناع واخترت لهندستها أبرع المهندسين فتم بناؤها على أحسن ما يرغب الملك ويروم وأصبحت سيدة درر الأرض كما أن صاحبها سيد الملوك.

كسرى: يجب أن نتخذ لها من أصناف الرياش والأثاث ما يليق بمقام الملوك.

بهرام: قد فعلت أعز الله الملك ولم يبق شيء مما يلزم لأمثالها إلا وقد نقلته إليها.

هذا هو الظن بهمتك أيها الوزير الحازم وقد سررت كثيراً باخبارك لي بتمامها وسأكافيك علي عملك بما أنت أهله - بهرام: ذلك من فضل الله علي وفضل الملك أعزه الله -: هل دققت النظر يا بهرام في هندسة هذه الدار حتى لا يكون فيها ما يعاب.

بهرام: أجل أيها الملك ولكن بقي اعوجاج يسير في جدارها الغربي.

ما تقول يا بهرام قد سئتني بقدر ما سررتني وهل يناسب أن تكون دار كدارنا في عظمتها فيها إعوجاج كثير أو يسير.

ليسعني عفو الملك فما كان هذا الإعوجاج عن قصد ولا سوء نية.

- وما سببه: سببه أنه يوجد بجوار قصر الملك بيت لرجل فلاح اسمه (جويين) قد أبى أن يبيعه فحصل بسبب ذلك اعوجاج في جانب القصر.

- إذا كان الأمر كذلك فلا بأس عليك لكن هلا بذلت له أضعاف قيمة بيته واشتريته منه: قد فعلت أعز الله الملك وبذلت أضعاف أضعاف قيمته فأبى أن يبيعه فإن أذن الملك أن نبعث إليه الآن ونحضره لعله يرضى ببيعه.

- لا أرى ذلك موافقاً لأنه ربما يستولي عليه الخوف أو الخجل فيبيعه خوفاً أو حياءً (والمأخوذ حياء كالمأخوذ غصباً).

- إذاً فما يأمر المر الملك أن أصنع - كسرى (يفكر قليلاً ثم يقول): الرأي أن نستدعيه بإظهار قصد الإنعام عليه فإذا حضر واطمأن جأشه فاوضناه في ذلك.

بهرام: نعم ما رأى الملك لا زالت آراؤه صائبة.

- أرسل إليه الآن ما يأتينا به متلطفاً ويخبره إننا ندعوه لننعم عليه (يدق بهرام الجرس فيجيء الخادم): اذهب إلى جوبين الفلاح الذي له بيت بجوار قصر الملك وقل له إن الملك يدعوك لينعم عليك (فيذهب الخادم)

كسرى: إياك يا بهرام أن يظهر منك أدنى شدة على جارنا جوبين فإني لا أحب أن يبيعنا بيته إلا عن رضاه وطيب خاطره.

بهرام: معاذ الله أن يصدر مني أدنى شدة عليه في غياب الملك فكيف بحضرته: ذلك هو الظن بك (يدخل الخادم): أتى جوبين إئذن له يدخل جوبين بهيئة رثة ويخضع ويقف في آخر المجلس مكفراً (متكتفاً).

بهرام: يا جوبين قد بلغ الملك أعزه الله أنك جاره وأن ملكنا المعظم قد بلغ من عدله وعطفه على رعيته أنه يتفقد أحوال فقيرهم قبل غنيهم وضعيفهم قبل قويهم لا سيما وأنت جاره وقد أنعم عليك بألف دينار ذهب فاذهب واقبضها من خازن بيت المال.

جوبين: أشكر الملك الجليل على إنعامه ويهم بالانصراف.

كسرى: لا تعجل يا جوبين فقد أذنا لك بالجلوس فاسترح قليلاً فأنا نحب أن نأنس بك (يجلس جوبين على كرسي متأدباً)

مر له بقهوة يا بهرام - يدق الجرس فيحضر الخادم.

جيء بقهوة إلى جوبين جار الملك يأتي له بقهوة فيشرب.

كسرى: كيف حالك يا جوبين.

بخير ما دام نظر الملك يشملني.

هل أنت مسرور بسكنى دارك التي في جوارنا.

كيف لا أسر بها وهي في جوار الملك.

سمعت أن هذا الدار ضيقة عليك ولك عيال وأولاد كثيرون وعندك دواب كثيرة.

إني راض بها ولو كانت ضيقة.

كيف ترضى بها وهي ضيقة وقد قيل إن من سعادة المرء أن تكون له دار وسيعة وفرس سريعة وامرأة مطيعة.

هذه الدار وإن كانت ضيقة لكني أحبها لثلاث خصال (الأول) أنها ميراثي من أبي وأجدادي (والثانية) إنها مسقط رأسي ومحل ميلادي (والثالثة) وهي أهمها أنها بجوار الملك.

يا جوبين إن دارك ضيقة عليك وأنت ذو عيال ودواب كثيرة وأنا محتاج إليهما ليستقيم بناء قصري وأعوضك عنها داراً هي أوسع وأفسح وأعطيك من الدنانير بقدر قيمتها أضعافاً مضاعفة. هنا فهم جوبين أن هذا الإكرام لم يكن لوجه الله وإن أعطاءه الألف الدينار إنما كان لأجل الدار.

جوبين: لست أبيعها أعز الله الملك ولو بذل لي أضعاف قيمتها ولا أتركها ما دمت حياً وقد طلب مني وزيرك هذا بهرام بيعها فأخبرته أني لا أبيعها.

كسرى: أراك يا جوبين من أهل العقل والفطنة ولا يجمل بك أن تتمسك بهذه الدار إلى هذا الحد. هنا أطرق جوبين وقطب وجهه وسكت قليلاً ثم رفع رأسه وقال: ما علف الكبش السمين إلا ليذبح بالسكين قد ظن جوبين المسكين أن هذا الإكرام لأجل حب الفقراء والمساكين فإذا هو لأمر دفين وسر كمين يراد به أخذ دار جوبين والله لا يحب الظالمين.

لا يا جوبين لسنا نريد بك شراً ولا نضمر لك غدراً فليفرخ روعك ولتطب نفسك.

كيف يهدأ روعي وتطيب نفسي والملك يسومني بيع داري التي هي مأوى غنمي وأبقاري وبغلي وحماري وعليها صرفت درهمي وديناري.

بهرام: يا جوبين إنك لم تفهم كلام الملك فهو لا يريد أخذ دارك بغير ثمن بل يعطيك ثمنها مضاعفاً فتشتري داراً أوسع منها وأحسن.

جوبين: أجل والله قد فهمت والله يعلم أنك تعلم أني فهمت ولكنك تريد المغالطة والخداع وليس جوبين وإن كان فلاحاً ممن يغالط ويخدع.

كسرى: لسنا نريد خداعك يا جوبين فإن شئت أن تبيعنا إياها وفيناك ثمنها وإن أبيت لم نقهرك على ذلك.

أعز الله الملك لست أبيعها بشيء قل أو كثر وأنشد:

ولي وطن آليت أن لا أبيعه وأن لا أرى غيري له الدهر مالكا
وحبب أوطان الرجال إليهم مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهمو عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا
لقد ألفته النفس حتى كأنه لها جسد إن بان غودر هالكا

فإن أراد الملك أخذها مني قهراً فما أصنع.

لا يا جوبين لسنا نأخذ من رعيتنا شيئاً بالقهر كيف ونحن الذين نشرنا فيهم لواء العدل والإنصاف (ما هذه الوقعة المرة مع جوبين).

بهرام: هذا الفلاح أيها الملك أحمق قليل العقل يترك مالاً عظيماً ويتمسك بهذه الدار الحقيرة والملك له أن يجبر رعيته على مصلحتهم إذا جهلوها.

كسرى: لا يا بهرام لا، نحن لا نحب أن نغصب أحداً ملكه.

بهرام: إذا لم تشتر هذه الدار يا سيدي يبقى جدار القصر معوجاً.

رويدك يا بهرام (اعوجاج على الحق ولا تقويم على الباطل)، ثم التفت كسرى إلى جوبين وقال: اذهب يا جوبين إلى دارك بارك الله لك فيها، فوقف جوبين وقال: أعزك الله أيها الملك العادل وأيدك بالنصر وأكثر في الملوك أمثالك أني لم أمتنع عن بيع الدار بخلاً بها عنك وإنما أردت أن أختبر عدل الملك وإنصافه فأما وقد بان لي عدلك فإني قد وهبتك الدار وطابت عنها نفسي.

كسرى: أرأيت يا بهرام ثمرة العدل نزهنا أنفسنا عن الحرام فعوضنا الله عنه بالحلال، ثم التفت إلى جوبين وقال: اذهب واقبض الألف الدينار التي أمرنا لك بها واختر أحسن دار من دور أتباعنا فخذها واسكنها مع عيالك.

جوبين: لقد أنعم الملك أعزه الله علي فأكثر فأنا أشكره ما حييت (يذهب).

بهرام: الآن قد أصبحت دار الملك مستقيمة الجدران خالية من العيوب.

كسرى: نحمد الله على ذلك، ويجب أن نضع وليمة وندعو إليها أركان دولتنا وأصاف رعيتنا ليشاركونا في الفرح والسرور، فمر رئيس الطهاة أن يستعد لذلك - بهرام: اذهب يا غلام وادع لنا رئيس الطهاة (يذهب ويعود): جاء رئيس الطهاة يا

سيدي -: ائذن له يدخل رئيس الطهاة - بهرام: إن الملك يأمرك أن تصنع طعاماً كثيراً وتتأنق فيه فإنه يريد أن يدعو إليه أركان دولته وأصناف رعيته - : سمعاً وطاعة -: اذهب يا غلام وادع إلى الوليمة بأمر الملك جميع الوزراء وأمراء الجيوش والتجار وأصحاب المزارع - كسرى: يا بهرام إنني أريد أن أسأل كل من يحضر في وليمتنا عن هذه الدار هل يجد فيها عيباً حتى إذا كان شيء من ذلك تداركناه قبل أن ننقل إليها الدواوين ومهام الملك فالعاقل من يعرض كل أموره على نصحائه فإن الأخوان بمنزلة المرآة:

والعين تنظر منها ما نأى ودنا   ولا ترى نفسها إلا بمرآة

وإذا ظهر أنه ليس فيها عيب فسأنعم على رئيس البنائين بجائزة سنية - بهرام: لا زالت آراء الملك صائبة سديدة ودنوه من رعيته في زيادة وأياديه عندهم متواصلة - الغلام: تهيأ الطعام وحضر المدعوون يا سيدي - بهرام: قل لهم فليجلسوا على المائدة وقام بهرام فجلس معهم فلما فرغوا طاف بهم على جميع بيوت الدار وحجرها ومقاصيرها ثم استأذن لهم بالدخول على الملك فدخلوا وأمر لهم بالجلوس على مراتبهم فلما استقر بهم المجلس قال لهم كسرى إنما دعوناكم لتشاهدوا قصرنا الجديد وتشاهدوا عظمته وتشاركونا في السرور فإن الملك يحب أن يكون مع رعيته كالأب الرؤوف ويشركهم في أموره فإنهم جناحه ويده التي يسطو بها فقام من كل صنف من المدعوين واحد وقال نشكر للملك أعزه الله عطفه وحنانه ونطلب له من الله النصر والتأييد وطول البقاء - كسرى هل رأيتم في هذه الدار عيباً - فقالوا كلهم لا عيب فيها ولا نظير لها إلا بندويه فإنه بقي ساكتاً - كسرى: مالك يا بندويه ساكتاً كأنك ترى إن فيها عيباً -: أجل أيها الملك إن فيها عيوباً ثلاثة -: ما تقول يا بندويه فقد أزعجتني بقولك هذا فما هي تلك العيوب -: (الأول) أنك أفرطت في توسيعها فتتمكن الشمس منها في الصيف ويكثر فيها البرد في الشتاء (الثاني) إن الملوك تبني قصورها على شطوط الأنهار لتتمتع بالنظر إلى الماء وأنت بنيتها بعيدة عن دجلة (الثالث) إن وكلائك كانوا لا يوفون الناس أجورهم ويبخسونهم أشياءهم وربما غصبوا بعض الأحجار والحجر المغصوب في الدار رهن على خرابها - قد جئت يا بندويه بأمر عظيم ولا أظنك صادقاً وأعظم ما يهمني ما ذكرته عن وكلائي فلو علمت

أن واحداً منهم صنع شيئاً من ذلك لم أرض من الجزاء له بدون قطع يمينه -: قد سألت أيها الملك فأجبناك ولا يكلف المرء فوق مبلغ علمه - كسرى: أما سعتها فخير المساكن ما سافر فيه البصر وأما مجاورة الماء فكنت عند أبي في قصره على دجلة فغرقت سفينة تحته فاستغاث به أهلها فصاح بالسفن ليلحقوهم فغرقوا قبل أن يلحقوهم وهو يتأسف عليهم فعاهدت نفسي أن لا أجاور سلطاناً هو أقوى مني وأما ظلم وكلائي فقد وكلت قوماً أمناء لا أظنهم يفعلون شيئاً مما قلت وأما أنت فما حملك على هذا الكلام إلا شيء في نفسك فأخبرني عن سببه -: إن أمني الملك أخبرته بجلية الحال -: لك الأمان يا بندويه -: إن لي قرية أعز الله الملك كنت أنفق حاصلها على عيالي فقبضها مني المرزبان فقصدتك لتنصفني فلم أقدر على الوصول إليك وقصدت وزيرك فلم ينصفني وأنا أودي خراجها منذ سنتين لئلا يزول اسمي عنها وغيري يأخذ حاصلها وهذا غاية الظلم -: يا بهرام أصدق ما يقول -: أجل أيها الملك -: فلم لا أخبرتني بذلك -: خفت ان علمك فيؤذيني المرزبان - كسرى إذا كان الوزير يراقب الظالم فبالحري أن يراقبه غيره - ما حملك على ما فعلت أيها المرزبان فيقوم المرزبان على قدميه ساكتاً - إن جزاءك يا مرزبان أن تدفع إلى بندويه ضعف ما أخذته من أرضه وأن يستخدمك سنتين في أي شغل شاء قم يا بندويه وتسلم المرزبان واستخدمه سنتين في أي شغل شئت فيقوم بندويه ويتردد في أخذ المرزبان -: ما لك متردداً خذه واستخدمه كما أمرتك -: إن رأى الملك أعزه الله أن يشفعني فيه ويعفيه من خدمتي (فيسكت كسرى قليلاً ثم يقول) أما وقد شفعت فيه فأنا نعفيه من الخدمة ولكن يشتري خدمتك منه كل سنة بألف دينار وقد عزلناه من الوزارة -: اذهب خاسئاً فيخرج المرزبان منكسراً -: وأنت يا بهرام مستحق للعزل بتقصيرك وخوفك من المرزبان ولولا أن لك في المملكة آثاراً جليلة لعزلناك وقد عفونا عنك فإياك أن تعود إلى مثلها -: أنا عتيق عفو الملك ولن أعود إلى مثلها «إن شاء الله» وهنا يسمع كسرى صوت ابن آوى من ثلاث جهات: ما هذا يا بهرام -:؟ هذا يا سيدي حيوان يقال له ابن آوى -: أنه لم يكن موجوداً في مملكتنا قبل هذا الوقت -: نعم انه دخل هذه البلاد من عهد قريب وجاءنا من ناحية بلاد الكرج -: ما السر في عدم وجوده في مملكتنا قبل ووجوده اليوم -: يا سيدي يقولون إنه ما كثر الظلم في بلاد إلّا كثر فيها هذا الحيوان -: يمكن أن يكون هذا صحيحاً بدليل ما

وقع من ظلم المرزبان لبندويه فيجب علينا الاجتهاد في إزالة الظلم وإني أريد أن أتخذ صندوقاً على باب داري تلقى فيه رقاع المتظلمين ويفتح كل يوم -: نعم ما رأى الملك أيده الله ثم يفكر كسرى قليلاً ويقول: لا هذا يطول أمره بل نتخذ سلسلة طرفها في المجلس والآخر خارج الدار وفيها جرس فإذا حركها المتظلم تحرك الجرس فمر بتهيئتها يا بهرام - أمر بهرام فوضعت حالاً.

وبينما كسرى جالس ومعه وزيره بهرام إذا تحركت السلسلة -: يا غلام انظر من هذا الذي حرك السلسلة وأدخله. فيدخل فلاح فينحني ويفكر ويقف - لماذا حركت السلسلة؟ - مظلوم أعز الله الملك - من ظلمك - ولدك أبرويز فيغضب كسرى ويقول: بماذا ظلمك؟ - إن الملك أعزه الله لما كان ذاهباً إلى أرض (الماهين) ليصيف بها ومعه ولده أبرويز عارت فرس من خيول أبرويز في زرع لي فرتعت فيه وأفسدته - كنا قد أمرنا منادياً ينادي في العسكر ان لا يضر أحد بالدهاقين والفلاحين ومن خالف عاقبناه اشد العقاب ووكلنا بذلك رجلاً من ثقاتنا يعاقب كل من يتعدى فهل رفعت امرك إليه؟ - نعم ولكنه لم يصنع شيئاً - اجلس أحضروا الموكل بذلك فأحضر - لماذا لم تعاقب ولدي أبرويز وتغرمه ما أتلفت فرسه من زرع هذا الرجل - لم أتمكن من معاقبته وتغريمه أعز الله الملك - أحضروا أبرويز - والتفت إلى الفلاح وقال كن مطمئن البال فسآخذ لك ولغيرك بالحق ولو كان من ولدي وأعز الخلق علي. وأحضر أبرويز - لماذا تركت فرسك ترتع في زرع هذا الدهقان حينما كنا ذاهبين إلى أرض الماهين - معاذ الله أن أتعمد ذلك ولكنها عارت وأفلتت بغير علم من غلماني - كان يجب أن توعز إلى غلمانك بزيادة التيقظ والمحافظة - قد أوعزت إليهم بذلك أطال الله عمر الملك فذهلوا وسبحان من لا يذهل - هذا لا يرفع العقاب عنك - إنني منقاد لما يأمر به الملك أعزه الله - جزاؤك أن تغرم مائة ضعف مما أفسدته الفرس - سمعاً وطاعة لأمر الملك - قم أيها الدهقان وخذ ما أمر به الملك.

الفصل الثاني

أبو درويش وأبو سطام وقصة الأرغفة

كان رجل مسن يكنى أبا درويش وآخر شاب يكنى أبا سطام مسافرين فالتقيا في الطريق - أبو سطام: مرحباً أبا درويش - مرحبتين يا أخي يا أبا سطام - سلامات - عدوك مات - كيف أنت على هذه السفرة - كما ترى مشينا اليوم من خان دنون لغباغب وغداً الله يعلم إلى أين يوصلنا الدرب - إلى أين تنوي بالسلامة - للجولان يا أخي أخبرونا الغنم هناك رخيصة ذاهبوان نأتي بتجارة غنم - وأنا على هذه النية يا عم - إذن نذهب سوية - بخدمتك يا عم لكن خطر ببالي شيء - ما هو؟ - لازم نعمل لنا خيرية حتى يسهل الله لنا ويربحنا - مثل أي شيء - تنذر أن ربحنا الله بهذه السفرة نجعل نصف مربحنا لطلاب العلم وللمدارس والجمعيات الخيرية - يظهر يا ابني أنك إلى الآن فطير - نحن ذاهبون بهذه الشموس وهذا التعب لنعطي دراهمنا للمدارس والجمعيات الخيرية؟ ما شاء الله على هذا الكلام - لا يا أبا درويش ما أريد لك هذا وهل يوجد أحسن من المدارس والجمعيات الخيرية؟ - أنت تعرف شغلك يا ابني أنا ليس لي فكر بهذا الشيء - اصنع ما تريد - أما أنا فلله عليّ نذر إن ربحت بهذه السفرة يكون نصف ربحي للمدارس والجمعيات الخيرية وطلبة العلم خصوصاً المدارس التي تعلم الفقراء والأيتام - أنت حرٌّ، أنا لا أفهم مدارس ولا جمعيات ولا أيتام ولا فقراء كل ما أحصله أضعه في صندوق الحديد - الآن دعنا من هذا ما تريد تتغدى - أي والله جعنا تعال حتى نتغدى. فيجلسان ويخرج أبو درويش صرة فيها ثلاثة أرغفة وأبو سطام صرة فيها خمسة ويأتيهما ثالث - سلام عليكم - وعليك السلام - الاسم الكريم - أبو سالم - من أين أتيت - من عين ترما - تعال تغدّ معنا. فيجلس معهم ويأكلون الأرغفة كلها وينفضان الصرر ويضعانها في جيوبهما ويقومون فيخرج أبو سالم كيسه ويخرج منه ثمانية دراهم ويعطيها لهما فيأخذها أبو درويش ويقول الله يكثر خيرك - خذ اقسمها يا أبا سطام خذ حصتك وأعطني حصتي - أبو سطام - خذ هذه ثلاثة دراهم لك وخمسة لي - لا يا أخي هذه مناصفة بيننا لا تطمع نحن تصاحبنا على الخير والشر لا تعمل لنا منازعة -

الطمع منك لا مني أنت لك ثلاثة أرغفة أعطيتك ثلاثة دراهم وأنا لي خمسة أخذت خمسة دراهم ما ظلمتك ولا ظلمتني - لا يكون هذا يا أخي لي النصف ولك النصف لا على إرادتك - لا على إرادتي ولا على إرداتك أخذت حقي وأعطيتك حقك - لا يكون هذا لا تذهب من هنا حتى تعطيني تتمة النصف - لا أعطيك ولا بارة وإن طولتها تخسر ويتقدم إليه - ما تصنع معي - يدفعه - اذهب من هنا.

وبينما كسرى ووزيره بهرام جالسان وهو يقول له كيف رأيت يا بهرام حكمنا على ولدنا أبرويز؟ -: قد تجسمت فيه روح العدل أعز الله الملك - لا يكون عدل يا بهرام ما لم يحكم الإنسان على نفسه وولده قبل الغير.

وإذا بالسلسلة تتحرك والجسر يدق - اذهب يا غلام وانظر من هذا المظلوم وائذن له بالدخول. فيدخل أبو درويش وأبو سطام - ما ظلامتكما - أطال الله عمر الملك كنت أنا وهذا رفيقي أبو سطام مسافرين جئنا لنتغدى أخرجت أنا ثلاثة أرغفة وهو أخرج خمسة جاءنا ضيف أكل معنا وأعطانا ثمانية دراهم فيريد أن يعطيني منها ثلاثة ويأخذ هو خمسة والحال أطال الله عمرك يلزم أن تكون بيننا مناصفة - ما تقول يا أبا سطام - هكذا جرى - هذا أمر لا ينبغي أن تتنازعا من أجله. تصالحا أبو درويش - لا يا سيدي الله يطيل عمرك ما أقبل إلا على الحق. فيلتفت كسرى إلى بهرام ويقول: هذه مسالة حسابية ذات شأن ولكنها تبدوا لأمثال هؤلاء هينه بسيطة فمر باحضار تلميذ من أبناء أسرتنا ليحلها - بهرام للخادم: احضر لنا التلميذ هرمز ابن الأمير بابك.

يحضر التلميذ هرمز ويحيي الملك بالخضوع -: أهلاً بك يا بني منذ كم سنة دخلت المدرسة - دخلتها منذ خمس سنوات أطال الله بقاء الملك وبعد سنة سآخذ الشهادة - لا زلت موفقاً يا بني ولا بد أنك بلغت درجة عالية في الحساب - نعم يا سيدي - ما تقول في رجلين مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة، وتغدى معهما ثالث ودفع لهما ثمانية دراهم فما نصيب كل منهما من هذه الدراهم. فأخرج هرمز دفتره وقلمه وحسب طويلاً (ثم قال) هذه مسألة صعبة لم ينضبط معي حسابها -: ولماذا مع أنك تعلمت خمس سنوات - إن أبي ليس له غيري ومن شدة محبته لي لا يدعني أجهد نفسي في التعلم وهذه السنة أخذني معه للمصيف ففاتني عدة دروس - إن

الذي فعله معك أبوك أضر مما يفعله العدو مع عدوه وعار على أبناء الأمراء والملوك أن لا يجدوا تحصيل العلم. وما يفيدهم الملك بدون العلم! ادع لنا غيره يا غلام من أبناء صنفه فيجيء بغلام فيدخل ويحيي الملك بالخضوع - ما اسمك - يا بني - اسمي جمشيد أعز الله الملك - ابن من - ابن فيروز - من أي بلد أنت؟ - من قرية صغيرة من قرى الري تسمى السيروان - وما صنعه أبيك - حائك يا سيدي - فإذا أنت من أبناء الفقراء - أجل وهل يكون الحائك غير فقير ولكنه كان يقتر على نفسه وعياله ويصرف على تعليمي - لقد أصاب أبوك فيما فعل وهل أنت ماهر في علم الحساب؟ - نعم بفضل الله علي وفضل الملك - لعلك مثل هذا الذي هو من أهل بيت الملك لكنه قليل العلم - بالامتحان يكرم المرء أو يهان. فألقى عليه سؤال الأرغفة فأخرج قلمه ودفتره وجعل يحسب ويكتب ثم قال لكسرى يستحق صاحب الثلاثة الأرغفة درهماً واحداً ورفيقه سبعة دراهم؟ - لماذا؟ - لأن (٨) أرغفة كل رغيف (٣) أثلاث نضرب ٨ في ٣ يحصل ٢٤ نقسمها على ٣ لكل واحد ثمانية أثلاث عبارة عن ٣ أرغفة إلا ثلث فهذا له (٣) أرغفة (٩) أثلاث أكل (٨) أثلاث وأكل الضعيف من سهمه ثلثاً واحداً وهذا له خمسة أرغفة (١٥) ثلثاً أكل منها ٨ وأكل الضيف ٧ فيستحق صاحب الثلاثة الأرغفة درهماً ورفيقه ٧ دراهم - كسرى: أرأيت يا بهرام فضل العلم. كان صاحب الخمسة يظن أن لرفيقه ثلاثة دراهم فظهر بفضل معرفة هذا التلميذ إن له درهماً واحداً فقط - لا شيء أفضل من العلم أعز الله الملك - ورأيت كيف أصبح هذا حقيراً بجهله وهو من أبناء الملوك، وهذا عظيماً بعلمه وهو ابن حائك فقير - أجل:

إن الفتى من يقول ها أنا ذا ليس الفتى من يقول كان أبي

كسرى: كم تأخذ يا غلام من بيت المال لأنك منَ الأسرة المالكة؟ - خمسين ديناراً في كل شهر - قد أنزلناها إلى خمسة دنانير وجعلنا الباقي لهذا التلميذ الفقير فإنه أحق بها منك.

هرمز: سلني يا سيدي مسألة غيرها فإني أجيب عنها - أتقدر أن تعرف هذه البركة كم تسع طاسة من الماء - أطال الله بقاء الملك كيف أعرف ذلك ولم أختبرها بالطاسة - أتقدر يا جمشيد أن تجيب عن هذه المسألة ؟ - نعم أعزّ الله الملك وهي من أسهل المسائل - كيف ذلك - إن كنت الطاسة بقدر البركة تسع طاسة واحدة،

وإن كانت بقدر نصفها تسع طاستين، وإن كانت بقدر ثلثها تسع ثلاث طاسات، وإن كانت بقدر ربعها تسع أربعاً وهكذا. فيضحك كسرى وبهرام ويقول له كسرى: أحسنت التخلص في الجواب وإن قلّت الفائدة.

هرمز: يا سيدي لئن فشلت في هاتين المسألتين فأرجو أن لا أفشل في الثالثة فسلني مسألة أخرى - إذا كنت صياداً وأطلقت البندقية على عشرين عصفوراً على شجرة فكم يبقى على الشجرة من العصافير - يتأمل هرمز قليلاً: هذا عمل في الجمع - لا لا في الضرب - لا بل في (الطرح) عشرون نطرح منها ٧يبقى ١٣ بقي على الشجرة ثلاثة عشر عصفوراً. فيتسم جمشيد مستهزءاً - . هل تعلم جوابها يا جمشيد - نعم لم يبق على الشجرة منها شيء وهل تبقى العصافير على الشجرة بعد أن تسمع دوي البارود. فيضحك كسرى وبهرام - أرأيت يا هرمز سوء عاقبة التكاسل والتهاون في طلب العلم فليكن ما رأيت وسمعت عبرة لك وموعظة. أما أنت يا جمشيد فقد أحسنت في حسابك وجوابك وستكون من أصحاب المناصب العالية في المملكة فجد في طلب العلم - كيف لا أجد في طلب العلم الذي أهلني للمثول بين يدي الملك وسبب لي عطفه وإنعامه.

كسرى -: ما الذي استفدته يا بهرام من هذه المحاكمة - استفدت منها أطال الله بقاء الملك فوائد جليلة (١) لا شيء أفضل من العلم (٢) لا شيء أقبح من الجهل (٣) العالم عظيم وإن كان أبوه حقيراً (٤) الجاهل حقير وإن كان أبوه ملكاً (٥) يجب اختبار القضاه قبل توليتهم (٦) على القاضي أن يعرف كل علم لا سيما الحساب (٧) شرف علو الحساب من بين العلوم (٨) الفضل بالعلم لا بكبر السن (٩) من لم يعلم ولده فقد عقّه (١٠) خير صفات الملوك العدل ومعرفة الفضل لأهله - يا بهرام ابذل قصارى جهدك في نشر العلم ولا تستكثر شيئاً من المال تبذله في سبيل العلم فإن كلمة تصدر من عالم من علماء مملكتنا يكون فيها تدبير لملكنا تغنينا عن جيش جرار؟ والفرق بين العالم والجاهل كالفرق بين الحيّ والميت.

الفصل الثالث

كسرى وبنو تميم

كان كسرى جالساً يوماً ومعه وزيره (بهرام) فقال له بهرام: إن وهرز عامل الملك على اليمن أرسل إلى الملك بأموال وطرف من اليمن فلما كانت ببلاد تميم وثب عليها بنو تميم وانتهبوها فما يأمرني الملك أن أفعل - لا بد من تأديبهم ليكونوا عبرة لغيرهم - أحسن ما يؤدبهم به الملك أن يمنعهم عن سواد العراق فإنه لا حياة لهم بدونه - إذا فابعث إلى بسطام قائد جيوش المدائن؛ ومره أن يضع المسالح في طريقهم فلا يدعهم يدخلون إلى سواد العراق. فكتب بهرام بذلك.

اجتماع رؤساء بني تميم

ولما بلغ بني تميم ذلك قال رئيسهم قيس بن عاصم لغلامه: اذهب يا غلام وادع لي رؤساء بني تميم حاجب بن زرارة وعتاب بن ورقاء الرياحي وعامر بن الطفيل وقل لهم إن قيس بن عاصم يدعوكم للمشاورة في أمر مهم.

فذهب الغلام ودعاهم - فدخل حاجب بن زرارة وسلم فقام قيس إجلالاً له ورد عليه السلام ورحب به. ثم دخل عتاب بن ورقاء فقال حياك الله يا قيس - وأنت حياك الله أهلاً بك وسهلاً. ودخل عامر(فقال) سعدت بأسعد طائر - نعمت عيناً وقدمت خير مقدم - كيف حالكم وكيف أنتم - بخير أيها الأمير، وأتى لهم بالقهوة فشربوا وشرب قيس بعدهم - قيس (أما بعد) فإنكم أتيتم إلى الملك كسرى بما لا تجهلون وقد أرسل إلينا بما تعلمون ومنعنا من سواد العراق وأنتم رؤساء عشيرتي، وقد جمعتكم لأستشيركم فيما نصنعه فإن العاقل لا يبرم أمراً حتى يستشير فيه نصحاءه كما قال القائل:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن ... بحزم نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة ... فإن الخوافي عدة للقوادم

فقام حاجب بن زرارة وقال أما بعد فقد قلت فسمعنا، وأنت رئيس بني تميم وصاحب أمرهم ولسنا ندخر عنك شيئاً من النصيحة فإن شئت أن تحاربه فنحن أطوع لك من بنانك وإن شئت أن تصانعه فذلك إليك - وجلس فقال قيس ما رأيي ألا تبع لرأيكم فأشيروا علي، (فقام) عتاب بن ورقاء فقال (أما بعد) فإني أرى أن لا نقيم على ضيم ولا ندع كسرى يطردنا من سواد العراق وهو مسرح إبلنا ومرعى خيولنا ومراح شياهنا؛ وإن أبى قاتلناه والنصر بيده تعالى يعطيه من يشاء وأنشد:

ولا يقيم على ضيم يراد به ... ألا الأذلان عير الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته ... وذا يشج فلا يرثي له أحد

وجلس (فقام) عامر بن الطفيل فقال: (أما بعد) فكثير أما تشتبه الشجاعة بالتهور والذل بالحيلة والتدبير وهذا كسرى وجنوده وفيلته ومرازبته وإني أرى أن أعمال الحيلة في هذا الأمر خير من امتشاق الحسام فإذا لم تنجح الحيلة ففي حد السيف غناء وجلس (فقال) قيس إني أرى أن نبعث إلى كسرى رجلاً منا ذا عقل ودهاء وحزم وتدبير؛ فيبدي له عذرنا ويجهد في إرضائه عنا فإن رضي وإلا ناصبناه الحرب ولم نقم على الذل والضيم فقال الجماعة نعم ما رأيت الرأي رأيك (فقال) قيس: فاختاروا إذاً رجلاً منكم ذا كفاءة يقوم بهذا الأمر (فقال) عتاب لا أرى لهذا الأمر غير حاجب بن زرارة (وقال) عامر وأنا والله أرى ذلك (فقال) قيس نعم ما رأيتما. اذهب أنت يا حاجب وكن رسولنا إلى كسرى واجتهد في أعمال الحيلة ولا تلن له ليناً يطعمه فيك ولا تقس قساوة تسخطه عليك وتفسد حيلتك، (فقال) حاجب حباً وكرامة سأذهب إليه واجتهد في أعمال الحيلة لقلبه عن رأيه وتفرقوا.

دخول حاجب بن زرارة على كسرى

وجلس كسرى يوماً مع وزيره بهرام فقال له كسرى كنا أمرناك يا بهرام بطرد بني تميم عن سواد العراق لوثوبهم على أموالنا المبعوثة من اليمن فهل تم ذلك. نعم قد منعناهم عن سواد العراق منعاً باتاً ولا أراهم إلا قد ساءت حالهم بسبب ذلك وبينما هما كذلك إذ دخل الحاجب فقال: إن بالباب أعرابياً يزعم أنه حاجب بن زرارة

التميمي يستأذن على الملك - اذهب وقل له أسيد العرب أنت؟ فقال لا - قل له أفسيد مضر انت قال لا - قال له أفسيد بني أبيك أنت - قال: لا ولكني رسول - إئذن له فدخل حاجب متقلداً سيفاً متنكباً قوساً فقال: أنعم صباحاً أيها الملك - كسرى أهلاً بك وسهلاً من أنت يا أخا العرب - أنا سيد العرب - أو ليس قد سألناك أسيد العرب أنت فقلت: لا حتى سألناك أسيد بني أبيك أنت فقلت: لا - لم أكن سيد العرب حتى دخلت عليك فلما دخلت عليك صرت سيد العرب - زه إملؤوا فاه دراً ففعلوا فأخرجه من فيه ووضعه في الجعبة - اجلس فجلس - من أنت يا أخا العرب - أنا حاجب بن زرارة التميمي - ما الذي جاء بك يا حاجب - جئتك وافداً عن بني تميم حين بلغهم سخط الملك عليهم ومنعه إياهم عن سواد العراق - يا حاجب وثبتم على أموالي وانتهبتوها وأنت الآن تريد آذن لكم في دخول سواد العراق هيهات لا يكون ذلك أبداً ولولا أنك رسول لقتلتك - إن عفو الملك أوسع من هذا فليسعنا عفوه - وأين الأموال التي إنتهبتموها - وصلنا بها الأرحام وقرينا بها الأضياف وأصلحنا بها بين العشائر وما بقي منها خلال. فتبسم كسرى (وقال) أنتم معشر العرب قوم غدر فإن أذنت لكم أفسدتم البلاد وأغرتم على العباد وآذيتموني - ألنا يقال قوم غدر ومنا تعلم الناس الوفاء حتى إن أحدنا السموأل بن عاديا أسلم ولده للقتل ولم يسلم الدروع التي أودعها عنده امرؤ القيس بن حجر الكندي؛ فضرب به المثل في الوفاء وقال مفتخراً بذلك:

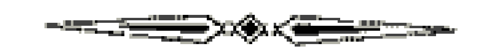
وفيت بأدرع الكندي إني ... إذا ما خان أقوام وفيت
بنى لي عاديا حصناً حصيناً ... وبئراً كلما شئت استقيت

وإني أعيذ الملك من أن يعتقد في العرب الغدر . . . وإن رأى الملك أن يصفح فهو أهل لذلك: هل تضمن لي عشيرتك إذا أذنت لهم أن لا يفعلوا ما يسوءني -: نعم أنا أضمن لك عشيرتي أن لا يخالفوا لك أمراً -: ومن أين أعلم أنك تفي بذلك -: أرهنك قوسي هذه: هاتها رهينة عنك فدفعها إليه - : خذها يا غلام وأدفعها إلى الخازن وقل له يكتب عليها: هذه قوس حاجب بن زرارة التميمي رهنها عند الملك على وفائه بضمانه لعشيرته أن لا يخالفوا الملك. فأخذها الخادم -: اذهب يا حاجب فقد أذنت لكم أن تدخلوا السواد فذهب حاجب شاكراً. وجعل وزراء كسرى يتغامزون بينهم ويعجبون من اعتماد كسرى على رهن قوس لا تساوي

ثلاثة دراهم، (فقال) لهم كسرى ما بالكم لعلكم احتقرتم هذه الرهينة (قالوا) نعم وكيف يظن الملك أن حاجباً يفي بضمانه من أجل هذه القوس (فقال) كسرى ما كان حاجب ليترك هذه القوس لشيء أبداً فإنكم لا تعلمون أخلاق العرب ووفاءها وأنا أعلم بها منكم وسترون صدق ما أقول.

وبينما هم كذلك تحركت السلسلة -: انظروا من هذا المتظلم الخادم: هذه حمامة يا سيدي وقعت على طرف السلسلة وخلفها صقر يريد أن يختطفها -: اذهب واطرده عنها -: قد طردته عنها وأخذت الحمامة ووضعتها في مكان حريز ووضعت لها حباً وماء -: الله أكبر تناهى عدلنا حتى وصل إلى الطيور فنحمد الله على ذلك.

ثم تحركت السلسلة -: انظروا هل جاءت حمامة أخرى وتبسم -: لا يا سيدي هذا حمار قد احتك بطرف السلسلة -: انظر لعله مظلوم -: هذا حمار معه صاحبه وقد حمله عسلاً وسمناً لدار الملك فلما وضع الحمل عنه تحكك بالسلسلة - أظن أن هذا الحمار مظلوم ولعل صاحبه كان قد حمله حملاً ثقيلاً فائتني بصاحبه فجاء به - : كم حملت حمارك هذا -: حملته نصف قنطار يا سيدي -: ألم أقل لكم أن هذا الحمار مظلوم فجزاء صاحبه أن ينقل الحمل على ظهره من حيث أتى به وأن يربح الحمار شهراً كاملاً (فيقول) المكاري: هذه مصيبة لم تخطر على البال -: يا بهرام مر أن ينادى في المملكة أن لايحمل حمار زيادة على ثلاثين رطلاً؛ فظلم الحيوان من أفحش الظلم.



دخول عطارد بن حاجب بن زرارة على كسرى

وبينما كسرى جالس يوماً ومعه وزيره إذ دخل الحاجب وقال إن بالباب رجلاً يقول إنه عطارد بن حاجب بن زرارة ويطلب الإذن على الملك - ائذن له - فدخل عطارد (وقال) نعمت صباحاً أيها الملك - أنعم الله صباحك: من أنت يا أخا العرب - أنا عطارد بن حاجب بن زرارة التميمي - مرحباً بك يا أخا بني تميم إذا أنت الذي رهن أبوك قوسه عندنا وضمن لنا بني تميم وقد وفى بضمانه - أجل أيها الملك أنا هو والحمد لله الذي أعان أبي على الوفاء بضمانه ورفع منزلته عند الملك - ما فعل

أبوك - أنه دعي فأجاب - رحم الله أباك وجعلك خير خلف له اجلس فجلس - من أين أقبلت يا أخا العرب - من منابت الشيح والقيصوم وظلال البان والاراك والدوم من شقة بعيدة وديار شاسعة وفج عميق - كيف تركت مساقط القطر يا عطارد وكيف كانت آثاره في دياركم - كانت آثاره حميدة أيها الملك.

ألحمت آسا وسدت سوسنا ... يد أزهار الربيع الأبهج
ثم حاكته تباهي اليمنا ... هكذا صنعاء أولا تنسج

فلو ترى ربوعنا أيها الملك وقد اكتست حلة خضراء مطرزة بألوان الأزهار.

حاكت يد السحب فيها للربى حللا ... وللبطاح بروداً ذات ألوان
من أصفر فاقع أو أبيض يقق ... أو أخضر نضر أو أحمر قاني

❀ ❀ ❀

كأن آذريونها ... والشمس فيه كالية
مداهن من ذهب ... فيها بقايا غالية

- وهل عم القطر جميع بلادكم يا أخا بني تميم - أجل أيها الملك

جادت عليها كل بكر حرة ... فتركن كل قرارة كالدرهم

فمن عسجدية كانما نثرت عليها الدنانير وبيضاء كأنما بسطت عليها الدراهم وزرقاء كانما زينت بالفيروزج.

ولازوردية تزهو بزرقتها ... بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها ... أوائل النار في أطراف كبريت

❀ ❀ ❀

وكأن محمر الشقيـ ... ـق إذا تصوب أو تصعد
أعلام ياقوت نشر ... ن على رماح من زبرجد

-: وكيف خلفت البادية وراءك حين أقبلت إلينا يا عطارد -: تركت الأرض تضحك من بكاء السماء والجو مكفهراً بالأنواء

وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفا ... على الجود كنا والحواشي على الأرض

يطرزها قوس السحاب بأحمر على أخضر في أصفر إثر مبيض
كأذيال خود أقبلت في غلائل مصبغة والبعض أقصر من بعض

إذا فقد كان القطر ركاماً عندكم هذه السنة - أجل ركاماً وأي ركام

فترى فيها الفضا لما ارتدى وله من لامع البرق شنوف
يرقص القطر زفوناً إذ غدا يضرب الرعد بجنبيه دفوف
وترى الآكام في قطر الندى ظهرت في مده مثل الحروف
وترى فيه الرواسي سفناً سبحت ماخرة في لجج
وترى الضب يوم المكمنا ثانياً برثنه لم يعج

-: ما عندك يا عطارد من الأولاد -: عندي صبي كأنه دنينير وصبية كأنها خشف غزال -: ما اسمهما -: الصبي اسمه حسان والصبية اسمها الذلفاء -: وما قالت لك الذلفاء حين أردت المسير إلينا -: أنشأت تقول:

أرى أبي يرحل الوجناء منتحياً قصد المليك على هوجاء شملال
يا رب سلم أبي من كل نائبة واحفظه يا رب في حل وترحال

-: وما قلت لها -: قلت لها

تقول بنتي وقد يممت مغتديا يا رب جنب أبي الأوصاب والوجعا
عليك مثل الذي صليت فاغتمضي نوماً فان لجنب المرء مضطجعا

-: وما الذي جاء بك إلينا يا أخا بني تميم -: جئتك طالباً قوس أبي -: ما أنت الذي رهنتها عندنا وإنما رهنها أبوك -: أجل ولكن أبي قد دعي فأجاب وقد وفى له قومه ووفى هو للملك فرد علي قوس أبي -: جئت يا عطارد من بلاد بعيدة تطلب منا قوساً لا تساوي أربعة دراهم -: إذا كانت حقيرة لا تساوي أربعة دراهم فلماذا قبلها الملك رهناً على قبيلة بني تميم كلها -: وأين نجدها ولعلها ضاعت أو وقدها الطباخون فغضب عطارد وقال: والله لا أدعها ولو كان في ذلك ذهاب نفسي وعشيرتي. فتبسم كسرى وقال: ليفرخ روعك ولتطب نفسك يا عطارد فإنها محفوظة عندنا وانما أردنا بهذا القول اختبارك - إذاً فردها علي - أردها عليك وكرامة ونعمة عين - يا غلام ائتني بقوس حاجب بن زرارة من عند الخازن فجاء بها الغلام فقال

كسرى: خذ هذه قوس أبيك لم تتغير وعليها اسمه فهل تعرفها - كيف لا أعرفها وما رأيت أبي مرة إلا رأيتها معه إلى أن رهنها عند الملك، وهي التي يقول فيها الشاعر:

هتوف من الملس الجياد يزينها رصائع قد نيطت إليها ومحمَلُ
إذا زل عنها السهم حنت كأنها مرزءة ثكلى ترن وتعول

وها أنا ذا أضعها على رأسي تعظيماً لها ولأبي، فقد تشرفت بخزانة الملك وكانت رهينة عنده على ضمان أبي لبني تميم الذي اقترن بالوفاء فحق لها التبجيل والتعظيم - خذها يا عطارد بارك الله لك فيها وقد أمرنا لك بألفي دينار كرامة لك ولأبيك على وفائه - لا زالت عطايا الملك جزيلة وأياديه شاملة وانصرف.



❊

الفصل الرابع

المنجم والفلاح

كان هناك منجم يدور في الأزقة والأسواق ويصيح: منجم ضراب رمل يشق الشعرة نصفين يحسب يبين المراد يعرف النجم، يسلك على الشاطرين والغشم يعرف الغايب يبصر يشوف البخت للتابعة للقرينة لأم الصبيان للبغضة للمحبة للحبل لمعيشة الأولاد للملموس للمتأذي يضرب مندل يجمع الجان والملك الطيبران يلعب على المفتحين والعميان - منجم منجم - يعرف الضائع يظهر المسروق يحير الحرامي بنشف الفم يفرق الولد عن الأم منجم رمال شاطر بكل الأشغال يضرب فال يعمل أعمال أهوال وعلى الله الاتكال، تعال يا ابني تعال حتى أريك الأحوال.

فجاء إليه اثنان من الفلاحين أحدهما: - تعرف تخرج الضمير - نعم ياعم نعرف الضمير ونعرف الذي يصير والذي لا يصير - مثلك كثير قالوا نعرف الضمير وما قدروا على شيء - ياعم لا تمدح ولا تذم حتى تجرب كن مطمئناً لا نأخذ منك أولاً شيئاً غير ثمن البخور إن رأيت شيئاً يقطع عقلك تدفع المعلوم وإلا فلست بملزوم، فيختلي الفلاح برفيقه ناحية ويقول له: اسأله عن ابنك حمدان الذي ذهب في سفر برلك وما رجع وبينما المنجم مشغول بترتيب الرمل وأسباب التنجيم إذ عاد إليه الفلاحان فقال: سل يا عم أنا بقدر مسألتك وزيادة بإذن الله كل شيء يصعب عليك يسهل علينا -: إن كنت شاطراً وقد حالك أنا أضمر وأنت أعرف الضمير - اضمر أي شيء تريده مرحباً بك لا بد يطلع ضميرك بإذن الله: - أضمرت هات لنرى - اسمك: مرعي عوض - أمك - وضحا - أبوك عوض - جيد. فأخرج دفتراً من تحت الدفاتر فيه نقوش وخطوط مختلفة وفتحه - هات فتحة الكتاب على اسم الكريم الوهاب وبيض الفال بالمال: ما صار الشرط الدفع بعد النفع: يا عمي الحمد لله أنت من أهل الذكاء والفهم حالك ظاهرة من رؤيتك وتعد بالنسبة إلى الفلاحين قولة المثل فيلسوفاً ما تعرف أنه ما يطلع الفال إلا بالمال هات فتحة الكتاب الله يرضى عليك وأيضاً والثاني إن كان ما طلع ضميرك مالك يرجع إليك -: جيد على هذا الشرط لا يضر: ما تريد: هات المتيسر مجيدي نصف مجيدي لا تكون بخيل:

وحياتك ما معي غير ثلاث أبو المئات: اجعلها عشرة قروش الله يرضى عليك: ما معي غيرهن: هات يا عمي هات ما يضر فيأخذ ذلك منه ويضعه في الدرج ويفتح الكتاب ويقول على اسم الله يا بركة الشيخ دغمان شيخ الجان طويل الأردان عريض الأسنان كبير الآذان الذي له رأسان ولسانان ومن العيون مائتان ومن الأيدي والأرجل ألفان يسكن الوديان ويبعد عن العمران ثم يقلب الكتاب ورقة ورقة: يا عم إن شاء الله حظك جيد وفالك مبروك ضع أصبعك هنا ضع فيضع اصبعه: يا موخ يا أخنوخ يا موش يا أنوش بالورد مرشوش على الأرض مفروش يا جني الصغير يا قاعداً بالبير با جني الكبير يا مطلع الضمير احضروا بلا تأخير. وينظر ويتأمل في الكتاب - الفلاح نجمي بأي برج - اصبر حتى يتم الحساب. ويكتب ويحسب - نجمك بالدلو - ما شاء الله أنه جيد - الدلو يفرغ ويمتلىء - الآن اخرج لنا ما أضمرناه - أصبر الآن يطلع ضميرك. ويخط خطوطاً كثيرة في الرمل ويتأمل - إن شاء الله يا شيخي بان المطلوب - نعم لك غائب من دمك ولحمك - يقول: بلهفة إي والله فيقول رفيقه - يظهر إن هذا المنجم شاطر - وعزيز عليك كثيراً - إي والله وأعز من عيوني - صار له مدة غائب - صحيح - يا ابني موجود في بلد كبيرة فيها بحر وأشجار كثيرة ويريد أن يجيء لكن صاير له مانع وله امرأة بهذه البلاد تخصه مربوعة لا طويلة ولا قصيرة - رفيقه لعله يتكلم عن أم سرحان يظهر أنه شاطر يظهر كل شيء بعينه - إي والله هذه أم سرحان ليس غيرها - المنجم أظن أنه أخوك - انظر جيداً يا شيخ هذه غلطت فيها - لا لا أصبر الدنيا غيمت وتخربط معنا الحساب (ويتأمل) - ابنك ابنك - إي والله ابني الله لا يغرب لك ولداً إن شاء الله طيب - طيب ما فيه البلا - متي يجيء. يتأمل مدة - من بعد سبعة أيام أو سبع جمع أو سبعة أشهر أو سبع سنين - إن جاء من بعد سبعة أشهر لآتين لك بجدي وإن جاء من بعد سبعة أيام لآتين لك بتيس كبير - هات الآن ما الذي معك ليس معي غير مجيدي واحد. ويخرجه ويعطيه إياه - الله يعوض عليك - الفلاح يخاطب رفيقه أو ما تحكي له عن غزالة لعله يعمل لها تدبيراً إذا يظهر أنه شاطر الفلاح الثاني: عندي امرأة رأسها يابس دائماً ناصبة للشر ما لها عندك تدبير - نعم يا ابني أيوجد شيء ليس له تدبير عند المنجمين -: اسمك - حمود - أمك - نشاهبنة - أبوك - ملحم - زوجتك - غزالة - أبوها - حمادة - أمها - سعدا - جيد هات فتحة الكتاب ويبض

الفال. فيدفع له - يفتح الكتاب وينظر فيه ويقلب أوراقه ويخط خطوطاً في الرمل - يا ابني نجمك بالثور وزوجتك نجمها بالجدي نجمك موافق لنجمها لكنها متأذية ومتلبسها جني أحمر هو الذي يجعلها تنصب الشرور ويوجد امرأة تخصها متقدمة بالسن قليلاً هي التي تفسدها عليك - ويلك هذه حماتي والله هذا المنجم شاطر - رفيقه: شاطر وأي شاطر - وما تدبيرها يا شيخي - جيء بدجاجة سوداء غطس وبأبو المائة بخور جاوري وبأربعة الأربع حصا البان وبخمسة قروش زعفران الشعرة وتأتي يوم الجمعة عند التذكير إن شاء الله يكون خيراً -: والآن ما يلزمني شيء -: بلى أكتب لك حجاباً على طولك تضع له مشمعاً وتلف عليه خيط حرير أخضر وتعلقه برقبتك، وأعطيك شيئاً ثانياً تضعه لها في الماء وورقة تضعها تحت سعرور الباب -: هات وعجل فما بقي عندي وقت -: هات مجيدياً ثمن الحجاب -: تفضل هذا مجيدي وحبة مسك فيأخذ ورقة ويقيسها على طوله ثم يكتب عليها خطوطاً وأشكالاً مختلفة ويكتب في آخرها: حمود إن شاء الله لا تعود ويأكلك الدود وإن صلحت غزالة وإلا لقفة الزبالة أخذها المجيدي منك وضحكنا على عقلك، ويطوي الكتاب ويسلمه إياه -: إياك أن تفتح الكتاب يفسد العمل ويغضب ملك الجان ولا يعود الكتاب يؤثر -: أمرك مطاع: - خذ هذه الورقة ضعها في الكوز الذي تشرب منه المرأة وهذه ضعها تحت سعرور الباب فيأخذهما ويخرج فيراه متعلم -: ما هذا يا عم -: حجاب يا ابني -: أرني إياه -: لا أريك إياه -: لماذا -: لئلا يفسد العمل ويغضب ملك الجان فيبتسم المتعلم: - أنا كفيل لا يغضب أحد ولا يفسد شيء -: لا يكون ذلك المنجم أوصاني كثيراً أن لا أفتحه - أنا أعرف منك ومن المنجم هاته على عهدتي يأخذه ويفتحه ويقرأه ويتبسم ويتعجب - فيه شيء حتى ضحكت؟ - يا عم إن الجهل أعظم داء في الإنسان ولو كنت متعلماً ما إغتررت بهذا الهذيان - ما الذي فيه قل لي لوجه الله - إني أخجل أن أقرأ لك ما فيه وأنت مثل والدي - ما يضر اقرأ مسامح - أظن اسمك حمود ولك امرأة اسمها غزالة - نعم فيقرأ له ما كتب فيه. يا ابني أنظر جيداً لعلك ما عرفت تقرأ - يا عم هكذا مكتوب فيها - لا يا ضربان هذا المنجم يظهر أنه حيال نسف المجيدي وراح امش يا أبا ملحم حتى ندور عليه والله لأفقأن عيونه وآخذ المجيدي منه اشتغلنا يومين حتى حصلناه والله لأرينه النجوم وقت الظهر ويسمعان صوت المنجم - منجم رمال يعرف الضمير والغائب

يضرب مندل يشوف البخت يكتب للتابعة للقرينة للبغضة للمحبة لمعيشة الولاد للملموس للمتأذي للضائع فيهجمان عليه ويقبضانه - ما جرى خير إن شاء الله - يخرب بيتك عملت علينا ملعوب وكتبت لنا حجاباً بالمقلوب وأشبعتنا فيه مسبات وفت علينا هذه الفوتات اخرج المجديين وربع والثلاث أبو الميات قبل ما أفقأ لك العينين وأجعلك رجلين - يا عمي حط عقلك برأسك كتبت لك حجاباً ما له وجود وهذا شيء أنت لا تعرفه خل كل شيء لأهله - اخرج المجيديين من غير كلام فارغ - انظر إذا ما سكت أسلط عليك شيخ الجان والملك طنطائيل فلا يخلصك منهما سيدنا عزرائيل - إلى الآن تخلط علينا اخرج المجيديين.

وبينما كسرى مع وزيره بهرام وهو يقول له يا بهرام قد مضى يومان ولم تتحرك السلسلة - هذا دليل على أن العدل ضارب أطنابه في أنحاء المملكة بهمة ملك الملوك أعزه الله. وإذا بالسلسلة تتحرك فيقول كسرى: هذا دليل على أن جرائيم الظلم لم تستأصل بعد:

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلة ما يظلم

- انظر يا غلام من هذا المتظلم وائت به - يدخل الفلاحان والمنجم والمتعلم - أطال الله عمر الملك هذا المنجم عمل علينا ملعوب وأخذ منا مجيديين وثلاث أبو الميات وكتب لنا حجاباً ما له دين - ما تقول - ما عندي خبر ولا أنا منجم - أين الحجاب - يقرأه بهرام فيضحك الملك - من يشهد لك بهذا - هذا الرجل وهذا الولد ابن المدرسة - أتشهدان بذلك - نعم يا ملك الزمان - ما كانت يابهرام تروج أمثال هذه الخزعبلات عند هذين الفلاحين لو كانا متعلمين لكن حيث نشا جاهلين فلا عجب إذا أدى بهما الحال إلى ما ترى - رد إليهما أيها المنجم ما أخذته منهما وتب عن هذا العمل وإلا حلت بك العقوبة - أنا والله يا سيدي لست بمنجم ولا رمال ولا اشتغلت في عمري هذه الأشغال ولكن من مدة تأخرت معنا الحال وما بقي عندنا شيء نطعم العيال والله يرحم أبي الذي ما علمني حتى أصبحت من الجهال وبقيت عطال بطال؛ واضطررت لهذه الأعمال واشهد علي بأني تركت هذا الكار وسأفتش لي على حمار أبيع عليه طول النهار - إن جناية أبيك عليك في عدم تعليمك عظيمة وحيث أظهرت التوبة والندم فقد عفونا عنك - يا بهرام لا شيء أضر على

الأمة من الجهل أترى ذلك الفلاح لو كان من أهل العلم هل كان ينخدع بتمويهات المنجم، ولو كان المنجم من أهل العلم هل كان يتعاطى هذه الحرفة السافلة - أجل إنّ الجهل أعظم حاجز يحول بين الأمة ورقيها والذنب كل الذنب في ذلك على الآباء الذين يهملون تعليم أبنائهم وتربيتهم.

(تمت قصة كسرى ووزيره بهرام).



ثالث عشر

قصة بلوهر الحليم ويو ذاسف ابن ملك الهند

حكي أنه كان في بلاد الهند ملك كثير الجند واسع المملكة مهيب عند الناس مظفر على الأعداء ولكنه كان منهمكاً في شهوات الدنيا ولذاتها وكان أحب الناس إليه من مدح له الحالة التي هو فيها وأبغضهم إليه من نهاه عما هو عليه وقد صار ملكاً في عنفوان شبابه وكان ذا رأي أصيل ولسان بليغ ومعرفة تامة بسياسة الملك فانقادت له الرعية واجتمع له سكر الشباب وسكر الملك فاستطال على الناس واحتقرهم وكان ذا حظ عظيم في الدنيا لا يريد شيئاً إلا ناله غير أنه كان لا يولد له ذكر وكان أهل الدين قد كثروا في بلاده قبل أن يصير ملكاً فلما جلس على سرير الملك زين له الشيطان بغض الدين وأهله فآذى أهل الدين ونفاهم من بلاده وقرب عبدة الأوثان وصنع لهم أصناماً من ذهب وفضة وسجد لها فسارع الناس إلى عبادة الأوثان واستخفوا بأهل الدين لأن الناس على دين ملوكهم.

ملك الهند والناسك

ثم إنه سأل يوماً عن رجل من خواص أصحابه فقيل له إنه صار ناسكاً فشق ذلك عليه؛ ثم أرسل إليه فلما رآه في ذي النساك سبه وشتمه؛ وقال له: بعدما كنت من خواص أصحابي وأكابر أهل مملكتي ضيعت نفسك وأهلك ومالك، (فقال له الناسك) أيها الملك أن لعقلك عليك حقاً فاستمع قولي بغير غضب ولا عجلة ثم افعل ما بدا لك، فإن الغضب والعجلة عدوان للعقل يحولان بين صاحب العقل وبين

الفهم، (قال الملك) قل حتى أسمع (قال) أيها الملك غضبك هذا علي من أجل ذنب أذنبته معك أو من أجل ذنب أذنبته مع نفسي، (قال) بل من أجل ذنب أذنبته مع نفسك وهو عندي أعظم من ذنبك معي، وليس كل من أراد من رعيتي أن يهلك نفسه أتركه وشأنه بل أمنعه عن إهلاك نفسه لأني وليه والحاكم عليه فأنا أحكم عليك لنفسك وآخذ لها الحق منك، (قال) أراك أيها الملك لا تأخذني إلا بحجة ولا تقام الحجة إلا عند قاض وليس عليك قاض من الناس لكن عندك قاضيان أحدهما أرضى بقضائه والآخر أخاف منه، (قال) ومن هذان القاضيان (قال) أما الذي أرضى بقضائه فهو عقلك وأما الذي أخاف منه فهواك، (قال) أخبرني عن سبب اتباعك لطريقة النساك، (قال) سببه كلمة سمعتها وأنا صغير السن فغرست في قلبي وما زالت تنمو وتكبر حتى صارت شجرة وصرت بسببها كما ترى، (قال) ما هي (قال) سمعت قائلاً يقول: يحسب الجاهل الأمر الذي هو لا شيء شيئاً ويحسب الأمر الذي هو الشيء لا شيء ومن لم يرفض الأمر الذي هو لا شيء لم ينل الأمر الذي هو الشيء، ومن لم يبصر الأمر الذي هو الشيء لم تطب نفسه برفض الأمر الذي هو لا شيء، والشيء هو الآخرة واللاشيء هو الدنيا.

وصف الناسك للدنيا

فأثرت هذه الكلمة في نفسي لأني وجدت الدنيا حياتها موت؛ وغناها فقر وفرحها حزن وصحتها سقم وقوتها ضعف وعزها ذل؛ (أما) أن حياتها موت فلأن صاحبها يحيى فيها ليموت، (وأما) ن غناها فقر فلأنه لا يقتني الإنسان فيها شيء إلا أحتاج إلى شيء يصلحه، فإذا اشترى فرساً احتاج له إلى سرج ولجام ومقود وعلف وسائس واصطبل ثم احتاج لكل شيء من ذلك إلى شيء آخر يصلحه وهكذا، كلما حصل عنده شيء احتاج في إصلاحه إلى أشياء، فإذا استغنى بشيء واحد افتقر لأجله إلى أشياء كثيرة، (وأما) إن فرحها حزن فلأنه إذا فرح بشيء فيها كان ذلك الشيء سبباً لأحزان كثيرة فإذا رزق ولداً كان ما يلحقه من الحزن بسبب مرضه أو موته أو جرحه أو غير ذلك مما يلحقه من البلايا أضعاف سروره به، وإن رزق مالاً كان ما

يلحقه من الحزن والهم بتلفه أو الخوف عليه من التلف والسرقة والتعب في حراسته وغير ذلك أكثر من سروره به، (وأما) أن صحتها سقم فلأن الصحة والسقم ناشئان من الأخلاط الأربعة الصفراء والسوداء والبلغم والدم وأصح الأربعة وأقربها إلى الحياة الدم، وكلما كان الدم في الإنسان أظهر كان الخوف عليه من موت الفجأة والذبحة والطاعون والآكلة والبرسام أكثر، (وأما) ان قوتها ضعف فلأن القوي يجمع فيها ما يضره ويهلكه، (وأما) ان عزها ذل فلأنه لا يرى فيها شخص عزاً إلا أورثه ذلك ذلاً طويلاً فأحق الناس بذم الدنيا من اتسعت عليه الدنيا فهو يتوقع في كل آن أن يفجع بكل ما هو به ظنين، وعليه حريص فيتوقع ذهاب ماله وفقد حميمه وتهدم بنائه وفتك الموت به فأذم إليك أيها الملك هذه الدنيا الآخذة ما تعطي السالبة ما تكسو المغوية لمن أطاعها واغتر بها، الخائنة لمن ائتمنها الغدارة بمن ركن إليها فهي المركب الشموس والصاحب الخؤون والطريق الزلق، يوفي لها وتغدر ويصدق لها وتكذب وينجز لها وتخلف؛ بينا هي تطعم المرء إذ حولته مأكولاً وبينا هي تخدمه إذ جعلته خادماً وبينا هي تضحكه إذ أضحكت منه وبينا هي قد بسطت يده بالعطية إذ بسطتها بالمسألة، وبينا هو فيها عزيز إذ أذلته، وبينا هو شبعان إذ أجاعته وبينا هو رفيع إذ وضعته وبينا هي مطيعة له إذ عصته، وبينا هو فيها مسرور إذ حزنته وبينا هو فيها حي إذ أماتته، تضع التاج على رأسه غدوة وتعفر خده بالتراب عشية، تحلي الأيدي بأسورة الذهب عشية وتجعلها في الأغلال غدوة، تجلسه على السرير غدوة وترمي به في السجن عشية، تفرش له الديباج والحرير عشية وتفرش له التراب غدوة، تجمع له الملاهي والمعازف غدوة وتجمع عليه النوائح والنوادب عشية، تؤنس أهله به عشية وتوحشهم منه غدوة، تطيب ريحه غدوة وتنتنه عشية، تجد في كل من كل خلفاً وترضى بكل من كل بدلاً تسكن دار كل قرن قرناً وتطعم سؤر كل قوم قوماً، تقعد الأراذل مكان الأفاضل والفجرة مكان البررة؛ وتنقل أقواماً من الجدب إلى الخصب ومن الفقر إلى الغنى ومن المشي إلى الركوب ومن البؤس إلى النعمة ومن الضعف إلى القوة ومن الشدة إلى الرخاء، حتى إذا غمستهم في ذلك انقلبت بهم فسلبتهم الخصب وأعادتهم إلى أجدب الجدب واستردت منهم الغنى وردتهم إلى الفقر ونزعت منهم القوة وعوضتهم بالضعف وأخذت منهم النعمة؛ وابتلتهم بأضيق الضيق وأباس البؤس.

وأما قولك إني ضيعت أهلي وتركتهم؛ فإني لم أضيعهم ولم أتركهم ولكني واصلتهم وحافظت على صحبتهم، لكنني كنت في أول الأمر أنظر بعين مسحورة لا أعرف بها الأهل من الغرباء ولا الأصدقاء من الأعداء فلما تجلى عن عيني الغشاء ظهر لي أن الذين كنت أعدهم أهلاً وأصدقاء إنما هم سباع ضارية لا همة لها إلا أن تأكلني لكنهم مختلفون في ذلك على حسب اختلاف قدرتهم فمنهم كالأسد في سطوته ومنهم كالذئب في النهب والغارة؛ ومنهم كالكلب في الهرير والبصبصة ومنهم كالثعلب في الحيلة والسرقة.

فلو تأملت أيها الملك مع عظيم ملكك وكثرة جنودك وأهلك وحاشيتك؛ لعلمت أنك وحيد فريد ليس معك أحد من الناس وذلك لأن غير أمتك عدو لك وفي أمتك كثير ممن يبطن لك العداوة والغش زيادة على سائر الأمم؛ فهم أشد عداوة لك من السباع الضارية وأما عمالك وأهل طاعتك فمنهم من يعمل لك بأجر معلوم ويحرص دائماً على أن يزداد من الأجر وينقص من العمل، وأما أقرباؤك وخاصتك فمع أنك جعلت كدك وكدحك لهم وأنت دائماً تؤدي إليهم الضريبة فليس كلهم براض عنك ولو وزعت بينهم جميع أموالك وإن حبست عنهم ذلك لم يرض عليك منهم أحد.

أما أنا فقد اتخذت لي أهلاً وأصدقاء يحبونني وأحبهم؛ فلا عداوة بيننا وينصحونني وأنصحهم فلا غش بيننا، ويصدقونني وأصدقهم فلا تكاذب بيننا وينصرونني وأنصرهم فلا تخاذل بيننا، ويطلبون الخير الذي إن طلبته معهم لم يخافوا إن أغلبهم عليه أو أختص به دونهم فلا تحاسد بيننا، يعملون لي وأعمل لهم بأجور لا تنفد فالعمل دائم بيننا هم هداتي إن ضللت وأعواني إن ضعفت وحرزي إذا خفت، قد تركنا الدور والمنازل وتنزهنا عن الأموال والمكاسب فلا تفاخر بيننا ولا تكاثر ولا تباغض ولا تحاسد ولا تباغي ولا تقاطع وهم أهل الدين والنسك.

فهؤلاء أهلي وأحبائي الذين انقطعت إليهم وتركت أهلي من النسب وأحبائي المظهرين لي المحبة لمنافع الدنيا الذين كنت أنظر إليهم بالعين المسحورة لما ظهر لي حالهم.

فهذه أيها الملك الدنيا التي أخبرتك أنها لا شيء؛ فإن أحببت أن أصف لك

حال الآخرة التي هي الشيء فاستمع لقولي أذكر لك من أمرها ما لم تسمعه في شيء من الأشياء. فلم يزده الملك على أن قال له كذبت لم تصب فيما فعلت ولم تظفر إلا بالشر والشقاء فاخرج من بلادي فإنك فاسد مفسد.

ولادة يوذاسف ابن الملك

وولد للملك في تلك الأيام بعد يأسه من الذكور مولود لم ير الراؤون مثله قط حسناً وجمالاً ففرح الملك به فرحاً شديداً وزعم أن الأوثان هي التي وهبت له هذا المولود فقسم جميع الأموال التي في خزائنه على بيوت الأوثان وأولم للناس وليمة استمرت سنة كاملة وسمي ذلك المولود (يوذاسف).

وجمع العلماء والمنجمين وسألهم عن المولود فأخبروه أنهم يجدونه يبلغ من الشرف والمنزلة ما لم يبلغه أحد في بلاد الهند لكن واحداً منهم قال ما أظن الشرف الذي يبلغه إلا شرف الآخرة وأظن أنه سيكون إماماً في الدين والنسك لأني أرى الشرف الذي يبلغه لا يشبه شرف الدنيا فاغتمّ الملك لذلك غماً شديداً حتى كاد يبغض الغلام وكان المنجم الذي قال هذا القول أعلم المنجمين وأوثقهم عند الملك.

فأمر الملك بمدينة فأخليت للغلام وجمع له من المراضع والحواضن والخدم كل ثقة وأمرهم أن لا يذكروا فيما بينهم موتاً ولا آخرة ولا حزناً ولا مرضاً ولا فناء حتى تتعود ألسنتهم على عدم التكلم بذلك وتنساه قلوبهم وأمرهم إذا كبر الغلام أن لا يذكروا أمامه شيئاً من ذلك مخافة أن يعلق بقلبه شيء منه فيتبع أمر الدين والنسك وجعل بعضهم رقباء على بعض وازداد بغض الملك للنساك مخافة على ولده.



الوزير ورائق الكلام

وكان لذلك الملك وزير عاقل حازم مدبر ناصح للملك لا يخونه ولا يغشه ولا يقصر في شيء من أمور المملكة وكان مع ذلك رجلاً لطيفاً بشوشاً معروفاً بالخير محبوباً عند الرعية وعند الملك ولكن خاصة الملك وأقرباءه كانوا يبغضونه حسداً له ويتربصون به الدوائر.

فخرج الملك ذات يوم إلى الصيد ومعه الوزير فرأى الوزير في شعب من الشعاب رجلاً قد أصابته زمانة في رجليه ملقى في أصل شجرة لا يستطيع براحاً فسأله عن شأنه فأخبره أن بعض السباع فعل به ذلك فرق له الوزير فقال له المقعد: احملني إلى منزلك فإنك تجد عندي منفعة فقال: سأحملك وإن لم أجد عنك منفعة ولكن ما هذه المنفعة التي عندك هل تحسن صنعة من الصناعات أو عملاً في الأعمال؟ قال: لا ولكني أرتق الكلام فقال: وكيف؟ ترتقه قال: إذا كان فيه فتق أرتقه حتى لا يجيء من جهته فساد فلم ير الوزير قوله شيئاً وأمر بحمله إلى منزله وأمر له بجميع ما يحتاجه.



غضب الملك على وزيره وتخلصه بواسطة راتق الكلام

ثم أن خواص الملك وأقرباءه لم يزالوا يطلبون الحيلة في إهلاك الوزير حسداً له وأجمعوا على أن يدسوا رجلاً إلى الملك يقول له إن الوزير طامع في ملكك وهو يجتهد في تدبير هذا الأمر ويترقب الفرصة فإن أردت إن تعرف صدق ذلك فأخبره أنك عزمت على ترك الملك واتباع طريقة النساك فإنك تراه يفرح بذلك فرحاً عظيماً وكانوا علموا من حالة الوزير أن له ميلاً إلى الدين وحباً للنسك والزهد.

فلما دخل الوزير على الملك قال له الملك قد عرفت حرصي على الدنيا وطلب الملك وقد نظرت في أمري فوجدت أن ما مضى من عمري في الملك لم أحصل منه على طائل وسيكون حال ما بقي من عمري كحال ما مضى وقد زهدني ذلك في الملك وشوقني إلى عمل الآخرة فأنا أريد أن أترك الملك وألحق بالنساك فما رأيك في ذلك؟

فقال له الوزير: نعم ما رأيت وإني لأرجو أن يجمع الله لك خير الدنيا الآخرة وظهر منه سرور عظيم بذلك.

فكبر ذلك على الملك ولم يبد الوزير شيئاً لكن الوزير عرف الثقل في وجه الملك فانصرف إلى داره حزيناً كئيباً لا يدري ما يصنع ولا يعلم من أين دهي وبات ليلته قلقاً ساهراً ثم أنه خطر بباله ذلك الرجل الذي زعم أنه يرتق الكلام فأرسل إليه

فقال: إنك كنت قلت لي أنك ترتق الكلام قال: نعم، وهل احتجت إلى شيء من ذلك قال: نعم إني منذ صحبتُ هذا الملك ما وجدته تغير علي مثل تغيره اليوم قال: وهل لذلك سبب قال: نعم؛ وحكى له ما جرى له مع الملك قال له: نعم هنا جاء الفتق وأنا أرتقه إن شاء الله اعلم أن الملك ظن أنك تطمع في ملكه بسبب بعض الواشين فأراد أن يختبرك فلما ظهر له منك السرور بما دعاك إليه أعتقد صحة ما قيل فيك فهذا هو الفتق وأما رتقه فإذا كان غداً فانزع ثياب الوزارة والبس ثياباً خلقة مثل ثياب النساك واحلق رأسك وبكر إلى باب الملك وقل له لا ينبغي لأحد أن يشير على صاحبه بشيء إلا واساه فيه وقد استشرتني أمس في ترك الملك واللحوق بالنساك فأشرت عليك وأنا أحب أن أشاركك فقم بنا إن كنت باقياً على عزمك.

ففعل الوزير كما قال له: الراتق فعلم الملك صدقه وزال ما كان في نفسه عليه.

نفي الملك للنساك ومعاقبته إياهم

ثم إن الملك أمر بنفي النساك من جميع بلاده وتوعدهم بالقتل فمنهم من هرب ومنهم من استخفى.

وخرج الملك ذات يوم متصيداً فرأى شخصين من بعيد فأمر بهما فأحضرا، إذا هما ناسكان فقال لهما: لمَ لم تخرجا من بلادي، فقالا: لم يبلغنا الخبر إلا الآن وها نحن خارجان فقال: لم خرجتما راجلين، قالا: لأنا ضعفاء ليست لنا دابة ولا زاد قال الملك: إن من خاف الموت أسرع بلا دابة ولا زاد قالا: إنا لا نخاف الموت ولا نحب شيئاً مثل الموت قال: وكيف لا تخافان الموت وقد زعمتما أنكما خرجتما حين بلغكما أمري أفليس هذا هو الهرب من الموت فقالا: ما هربنا خوفاً من الموت ولكن خوفاً من أن نعينك على أنفسنا فغضب الملك وأمر بإحراقهما فأحرقا ونادى في مملكته بإحراق كل ناسك يجدونه فيها فتجرد رؤساء عبدة الأوثان في طلب النساك وأخذوا منهم بشراً كثيراً وأحرقوهم بالنار فلذلك صار الإحراق بالنار سنة باقية عند أهل الهند وبقي من النساك جماعة قليلة في الهند مختفين متسترين ليكونوا دعاة وهداة لمن تمكن من الوصول إليهم.

ما جرى ليوذاسف ابن الملك

وأما يوذاسف ابن الملك فإنه نشأ في أحسن نشأة في جسمه وعقله لكنه لم يأخذ بشيء من الأدب إلا بما يحتاج إليه الملوك مما ليس فيه ذكر موت ولا زوال ولا فناء وأوتي من العلم والعقل شيئاً كان عند الناس من العجائب وكان أبوه لا يدري أيفرح بما أوتي من ذلك أم يحزن لما يتخوفه عليه أن يدعوه ذلك إلى اتباع النساك كما قيل فيه (فلما) فطن الغلام بحصرهم إياه في المدينة ومنعهم له من الخروج ارتاب لذلك ولكنه سكت وقال في نفسه: هم أعلم بما يصلحني (فلما) كبر وتم عقله قال: ما أرى لهؤلاء علي فضلاً ولا ينبغي أن أقلدهم أمري وأراد أن يسأل أباه عن سبب حصرهم إياه ثم قال: ليس هذا إلا منه فلا يمكن أن يطلعني على السبب ولكن يلزم أن أسأل غيره من أهل العقل والمعرفة والنصح وكان في خدمته رجل كان أرأف الكل به وأشدهم ملاطفة له فطمع في الوقوف على الخبر منه فلما خلا به قال له: إنك بمنزلة والدي وأنت أولى الناس بي وإن هذا الملك صائر إلي بعد والدي فأما أن تكون أسعد الناس في أيامي أو أشقاهم فقال له الحاضن: وبأي شيء تتخوف علي أن أكون أسوأ الناس حالاً في أيام ملكك؟ فقال: بأن تكتم عني اليوم خبراً أفهمه غداً من غيرك فأعاقبك بأشد العقوبة وإن أخبرتني به كنت عندي سعيداً فعرف الحاضن منه الجد والصدق فأخبره بالخبر وما قاله المنجمون لأبيه فشكر له الغلام ذلك وكتمه.

ثم إن الملك دخل على ابنه فقال: يا أبة أني وإن كنت صبياً إلا أن الله تعالى أعطاني من العقل ما أعرف به تغير الأحوال وإني وُجِدْتُ بعدما كنت معدوماً وسأموت بعدما كنت حياً وإنك لا تبقى على الحالة التي أنتَ فيها وستنتقل عنها فإن كنت أردت أن تخفي عني أمر الزوال والفناء فما خفي عني ذلك، إن كنت حبستني ومنعتني من معاشرة الناس خوفاً أن تتوق نفسي إلى غير ما أنا فيه فقد تركتني بحبسك إياي لا تتوق نفسي إلا على غير ما أنا فيه فخل عني وأعلمني بما تكره حتى أجتنبه.

فلما سمع الملك ذلك من ابنه علم أنه قد فهم ما يكرهه أبوه وإن حبسه ومنعه لا يزيده إلا حباً لما يكرهه أبوه وحرصاً عليه.

وأَحَبُّ شيءٍ للإنسان ما مُنِعا والمرء حريص على منع

فقال له: يا بني إني لم أقصد بمنعي أياك عن الخروج إلا أن أنحي عنك الأذى فلا ترى إلا ما يوافقك ولا تسمع إلا ما يسرك فإذا كان هواك في غير هذا فإن أحب الأشياء إلي ما يرضيك ثم أمر الملك أصحابه أن يركبوا به في أحسن زينة وأن ينحوا عن طريقه كل منظر قبيح وأن يهيئوا له آلات الطرب والملاهي ففعلوا ذلك.

فجعل بعد ذلك يكثر من الركوب والخروج فمر ذات يوم على طريق قد غفلوا عنه ولم ينحو منه المؤذيات فرأى رجلين من السؤال أحدهما قد تورم واصفر لونه والآخر أعمى يقوده قائد فلما رأى ذلك اقشعر بدنه وسأل عنهما فقيل له: أما المتورم فمن مرض باطني وأما الأعمى فمن مرض أصاب عينيه فذهبتا فقال: وإن مثل هذا ليصيب الناس قالوا: نعم قال: هل يأمن أحد أن يصيبه مثل ما أصاب هذين الرجلين قالوا: لا فرجع ذلك اليوم مهموماً مغموماً مستحقراً لما هو وأبوه فيه من الملك.

ثم ركب في موكبه فمر بشيخ كبير قد انحنى من الكبر وابيض شعره وتغير لونه فتعجب منه وقال: من هذا فقالوا له: هذا الرجل الهرم فقال: وفي كم يبلغ الرجل مثل هذه الحال قالوا: في ثمانين سنة أو نحوها قال: وما بعد هذه الحالة قالوا الموت قال: وهل يمكن للإنسان أن يخلص نفسه من الوصول إلى هذه الحال ومن الموت؟ قالوا: لا قال: وما أكثر ما يعيش المرء في الدنيا قالوا: مائة سنة إلى مائة وعشرين سنة فقال: الشهر ثلاثون يوماً والسنة اثنا عشر شهراً وانقضاء العمر مائة سنة فما أسرع اليوم في الشهر وأسرع الشهر في السنة وأسرع السنة في العمر فانصرف وهو يردد هذا الكلام وبات ليلته كلها ساهراً فانصرفت نفسه عن الدنيا وشهواتها وكان يداري أباه ولا يخبره بما يضمره ويصغي إلى كل متكلم بكلمة رجاء أن يسمع شيئاً يدله على غير ما هو فيه.

ثم إنه خلا بحاضنه الذي كان أفضى إليه بسره فقال له: هل تعرف أحداً على غير ما نحن فيه قال: نعم قد كان قوم يقال لهم النساك رفضوا الدنيا وطلبوا الآخرة ولهم كلام وعلم ولكن الناس عادوهم وأبغضوهم وحرقوهم ونفاهم الملك من هذه الأرض فلا يعلم اليوم ببلادنا منهم أحد فاغتم ابن الملك لذلك وصار همه الاجتماع بالنساك ومعرفة ما هم عليه حتى شاع خبره في الآفاق.

سماع بلوهر الحكيم خبر ابن الملك وتحيله للدخول عليه

فبلغ ذلك رجلاً يقال له (بلوهر) بأرض سر نديب من بلاد الهند وكان ناسكاً حكيماً فركب البحر حتى أتى إلى أرض سولابط فنزع زي النساك وتزيا بزي التجار وأتى إلى باب ابن الملك وتعرف بأصحابه وجعل يتردد إليهم حتى اتصل بالحاضن الذي أفضى إليه ابن الملك بسره وعرف منزلته عند ابن الملك فقال له: إني رجل من تجار سرنديب ومعي سلعة نفيسة لا تليق بغير ابن الملك لأنها تبصر العميان وتسمع الصم وتداري من الأسقام وتقوي الضعيف وتعصم من الجنون وتنصر على العدو فاذكرها له فإن رغب فيها أدخلتني عليه فقال له: الحاضن إنك تذكر أمراً عظيماً ما سمعنا بمثله من أحد قبلك وإني أراك رجلاً عاقلاً ولكن لا ينبغي لمثلي أن يخبر ابن الملك بشيء لا يعرفه فاعرض علي سلعتك فإن وجدتها موافقة أخبرته بها قال بلوهر: إني رجل طبيب وأرى في بصرك ضعفاً فأخاف إن نظرت إلى سلعتي أن ينخطف بصرك ولكن ابن الملك رجل شاب صحيح البصر فلا أخاف على بصره إذا نظر إليها فإن أعجبته فهي مبذولة له على ما يجب وإلا فليس عليه ضرر ولا خسارة والذي معي شيء نفيس عظيم لا ينبغي أن تحرمه ابن الملك فانطلق الحاضن إلى ابن الملك وأخبره بذلك فحس قلبه بأنه قد وجد حاجته واستبشر وقال للحاضن: عجل إدخال هذا الرجل علي ولكن ذلك سراً ولا تخبر به أحداً فإن مثل هذا لا يتهاون به فأمر الحاضن بلوهر بالتهيؤ للدخول على ابن الملك فحمل معه سفطاً فيه كتب وقال للحاضن: في هذا السفط سلعتي فلما دخل على ابن الملك سلم عليه فأبلغ وأحسن ابن الملك إجابته وانصرف الحاضن وقعد بلوهر عند ابن الملك فأول ما قال له بلوهر رأيتك يا ابن الملك زدتني في التحية على ما تصنع بغلمانك وأشراف أهل بلادك قال: ذلك لعظيم ما رجوته عندك قال بلوهر: إكرامك إياي لأجل ما ترجوه عندي يشبه.



خبر الملك العادل والرجلين الزاهدين

قال: وما خبره قال: كان ملك من الملوك يعرف بالخير والصلاح فبينما هو

يسير يوماً في موكبه إذ رأى رجلين ماشيين من أهل الدين والصلاح وعليهما الثياب الخلقة فرمى بنفسه عن فرسه إلى الأرض وحياهما وصافحهما فعاب عليه وزراؤه ذلك فأتوا إلى أخيه فقالوا له: إن الملك أزرى بنفسه حيث نزل عن دابته لأجل إنسانين دنيين فعاتبه أنت على ذلك وانصحه بأن لا يعود لمثله ففعل ذلك أخوه فأجابه الملك بجواب لا يعلم منه أنه راض منه أو ساخط عليه وكان للملك مناد يسمى منادي الموت فإذا أراد قتل رجل أمره أن ينادي في فناء داره فيعلم الناس أنه يريد قتله فلما كان بعد أيام أمر منادي الموت أن ينادي في فناء دار أخيه ففعل فقامت النوادب والنوائح في دار أخيه ولبس ثياب الموت وذهب إلى دار الملك وهو يبكي فلما دخل عليه وقع إلى الأرض ونادى بالويل والثبور وجعل يتضرع إليه ليعفو عنه فقال له الملك: أيها السفيه إنك جزعت من مناد نادى على بابك بأمر مخلوق مثلك وهو أخوك وأنت تعلم أنه ليس لك إليه ذنب وأنتم تلومونني في وقوعي عن فرسي إلى الأرض حين أتاني منادي ربي وأنا أعرف منكم بذنوبي فاذهب فإني علمت أنه إنما استفزك وزرائي وسيعلمون خطأهم ثم أمر الملك بأربعة توابيت فصنعت له فطلى اثنين منهما بالذهب وملأهما جيفاً ودماً وعذرة وشعراً وطلى اثنين بالزفت ثم ملأهما ذهباً وجوهراً ومسكاً وعنبراً ثم جمع الوزراء الذين عابوا عليه تواضعه للرجلين وعرض عليهم التوابيت الأربعة وأمرهم بتقويمها فقالوا: أما التابوتان المطليان بالذهب فلا قيمة لهما لفضلهما وأما التابوتان المطليان بالزفت فلا قيمة لهما لدناءتهما فأمر بالتابوتين المطليين بالزفت ففتحا فأضاء البيت بما فيها من الجواهر والذهب وأمر بالتابوتين المطليين بالذهب ففتحا فاقشعر أهل المجلس من سوء منظرهما وتأذوا برائحتهما فقال لهم: مثل الرجلين الذين ازدريتم لباسهما وهما مملوءان علماً وحكمة مثل التابوتين المطليين بالزفت المملوءين من الذهب والجواهر ومثل الذي يلبس اللباس الفاخر وينظف بدنه ويطيبه وباطنه مملوء بالجهل والصفات الذميمة مثل التابوتين المطليين بالذهب المملوءين من الجيف والعذرة وسائر القذارات بل الصفات الجميلة أفضل من الذهب والجواهر والصفات المذمومة أقبح وأشنع من العذرة والجيف فقال القوم: قد فهمنا واتعظنا أيها الملك (وكان) يوذاسف متكئاً فاستوى جالساً وقال: زدني مثلاً أيها الحكيم قال بلوهر:

مثل الحكمة كمثل البذر

وذلك إن الزرع يبذر الحب الطيب فيقع بعضه على حافة الطريق فيلتقطه الطير وبعضه على الصخر الذي عليه شيء من التراب فحينما تصل عروقه إلى الصخر ييبس وبعضه بأرض ذات شوك فيغلب عليه الشوك فيموت؛ وبعضه بأرض ليس فيها صخر ولا شوك فينبت ويثمر وإن كان قليلاً فالزارع حامل الحكمة والبذر تعليم الحكمة فالذي يقع على حافة الطريق مثل الحكمة التي لا تتجاوز الآذان؛ والذي ينبت على الصخر مثل الذي يسمعه المستمع من الحكمة فيستحسنه عند سماعه ويقبله ولكن لا يتأمل فيه ليثبت في قلبه فيزول أثره بعد مدة قريبة، والذي يغلبه الشوك ويتلفه مثل الحكمة التي تثبت في القلب ولكن صاحبها لا يطهر نفسه من الأخلاق المذمومة ويجنبها عن الشهوات؛ فإذا أراد العمل غلبته الشهوات وأبطلت أثر تلك الحكمة والذي يقع في أرض طيبة ليس فيها شوك مثل الحكمة التي يعيها السامع وتثبت في قلبه ويطهر نفسه من الرزائل والشهوات ويعمل بما تقتضيه تلك الحكمة، (قال) ابن الملك إني لأرجو أن يكون ما تبذره عندي أيها الحكيم ما يصادف أرضاً طيبة ليس فيها شوك فينبت وينمو ويسلم ويطيب فاضرب لي.



مثل الدنيا وغرور أهلها بها

قال بلوهر: بلغنا أن رجلاً حمل عليه فيل هائج فهرب منه فرأى بئراً فتدلى فيها وتعلق بغصنين نابتين على شفيرها؛ ونظر في البئر فرآه مملوءاً من الحيات والعقارب ونظر في الغصنين فإذا في أصلهما جرذان يقرضانهما أحدهما أبيض والثاني أسود ونظر إلى قريب من قدميه فإذا أربع أفاعي قد خرجن من أنقابهن فتأمل في قعر البئر فإذا تنين عظيم فاتح فمه نحوه يريد أن يبتلعه فنظر في أعلى الغصنين فرأى عليهما شيئاً من عسل النحل فمد لسانه وجعل يلحس من ذلك العسل وألهاه ذلك العسل اليسير بحلاوته عن التفكير في أمر الحيات الأربع اللواتي لا يدري متى يبادرن إليه فيهلكنه وعن التنين الذي لا يدري كيف مصيره بعد وقوعه في لهواته (أما) البئر

فالدنيا مملوءة من الآفات والبلايا والشرور (وأما) الغصنان فالعمر (وأما) الجرذان فالليل والنهار يسرعان في الأجل (وأما) الأفاعي الأربع فالأخلاط الأربعة المرة والبلغم والريح والدم (وأما) التنين فالموت (وأما) العسل فما ينال من لذة الدنيا وشهواتها قال ابن الملك: إن هذا المثل لعجيب وإن هذا التشبيه حق فزدني مثلاً للدنيا وصاحبها المغرور بها المتهاون بما ينفعه فيها.

حكاية الرجل الذي كان له ثلاثة قرناء

قال بلوهر: زعموا أن رجلاً كان له ثلاثة قرناء (فأحدهم) كان يؤثره على الناس جميعاً ويركب الأهوال والأخطار ويغرر بنفسه لأجله ويشتغل في حاجته ليله ونهاره (والثاني) كان قريباً من الأول في المنزلة (والثالث) كان محقوراً عنده مستثقلاً ليس له من وده إلا القليل فأتاه يوماً زبانية الملك يدعونه ففزع إلى قرينه الأول فقال: ما أنا لك بصاحب وإن لي أصحاباً يشغلونني عنك اليوم وهم أولى بي منك ولكن أزودك بثوبين ثم فزع إلى الثاني فقال: إن أمر نفسي يشغلني عنك وقد انقطع ما بيني وبينك لكني أخطو معك خطوات لا ينتفع بها ففزع إلى الثالث الذي كان يحقره ويستثقله فقال: إني مستح منك ولكن الحاجة اضطرتني إليك فقال: إني أواسيك وأحافظ عليك فأبشر وقرَّ عيناً فأنا صاحبك الذي لا يخذلك ولا يهمك قلة ما أسلفتني فإني كنت أحفظه لك وأتجر به وادخرت لك من ربحه أضعافه وإني أرجو أن يكون بذلك رضى الملك عنك فقال الرجل: ما أدري من أيهما أنا أشد حسرة من تفريطي في القرين الصالح أو اجتهادي لقرين السوء فالقرين الأول المال، والثاني: الأهل والولد، والثالث العمل الصالح قال ابن الملك: إن هذا لهو الحق المبين فزدني مثلاً للدنيا وصاحبها المغرور بها المطمئن إليها.

حكاية الذين يملكون كل سنة عليهم رجلًا غريباً

قال بلوهر: كان أهل مدينة يعمدون كل سنة إلى رجل غريب فيملكونه عليهم

فيظن أن ملكه دائم فإذا مضت السنة خلعوه وسلبوه الأموال التي معه وأخرجوه عرياناً حافياً من مدينتهم إلى مكان مخصوص ليس عليه إلا ما يستر عورته وملكوا غيره فملكوا في بعض السنين رجلاً غريباً فلم يستأنس بهم وطلب رجلاً من أهل بلاده خبيراً بأمرهم فأخبره بما سيصير إليه أمره بعد تمام السنة وأشار عليه أن ينقل من الأموال التي بيده قبل نهاية السنة إلى ذلك المكان الذي سيخرجونه إليه فأطاعه ونقل إليه من الأموال أولاً فأولاً كلما يحتاج إليه فلما تمت السنة وأخرجوه إليه صار إلى الكفاية والسعة فالمدينة: هي الدنيا والغريب: الذي يدخلها هو المولود والدار التي يخرج إليها عارياً سليباً: هي الآخرة والناصح: هو العقل والمال الذي يخرجه: هو العمل الصالح قال ابن الملك: صدقت أيها الحكيم.

(قال بلوهر): وكيف لا تزهد في الدنيا وأنت ترى أنها وإن كثرت إنما تجمعها أهلها لهذه الأجساد الفانية والجسد لا يستطيع مقاومة شيء فالحر يذيبه والبرد يجمده والسموم تتخلله والماء يغرقه والشمس تحرقه والهواء يسقمه والسباع تفترسه والطير ينقره والحديد يقطعه والصدم يحطمه ثم هو مترقب للأمراض والأوجاع مرتهن بها ومقارن للآفات السبع الجوع والظمأ والحر والبرد والوجع والخوف والموت.

(قال ابن الملك): أرأيت القوم الذين حرقهم أبي بالنار ونفاهم أهم أصحابك؟

(قال): نعم.

(قال): بلغني أن الناس اجتمعوا على عداوتهم وسوء الثناء عليهم (قال): نعم.

(قال): ما سبب ذلك (قال): ما عسى أن يقولوا فيمن يصدق ولا يكذب ويعلم ولا يجهل ويكف ولا يؤذي ويصلي ولا ينام ويصوم ولا يفطر ويبتلي فيصبر ويتفكر فيعتبر وتطيب نفسه عن الأموال والأهلين فلا تخافه الناس على أموالهم وأهليهم.

(قال): فكيف اتفق الناس على عداوتهم والناس بينهم مختلفون.

(قال) مثلهم في ذلك مثل كلاب اجتمعت على جيفة تتناهشها ويهر بعضها على بعض فدنا منها رجل فترك بعضها بعضاً وتعاوت عليه وليس له في جيفتهم حاجة (قال) ابن الملك: فاعمد لحاجتي.

(قال بلوهر): إن الطبيب إذا رأى المريض قد أنهكته الأخلاط الفاسدة لم يغذه بالأطعمة المقوية حتى يبدأ بالحمية وإزالة تلك الأخلاط فحينئذ يقويه بالطعام.

(قال ابن الملك): أخبرني أيها الحكيم ماذا تصيب من الطعام والشراب (قال بلوهر)

حكاية الملك الذي غزاه آخر فهرب

زعموا أن ملكاً من الملوك عظيم الملك كثير الجند والمال بدا له أن يغزو ملكاً آخر فسار إليه بجنوده فظهر عليه واستباح عسكره فهرب مع امرأته وأولاده فألجاه الطلب عند المساء إلى أجمة على شاطىء نهر فدخلها مع أهله وولده وسيب دوابه مخافة أن تدل عليه بصهيلها فباتوا في الأجمة وهم يسمعون وقع حوافر الخيل من كل جانب فلما أصبحوا رأوا النهر أمامهم ولا يستطيعون عبوره والعدو محدق بهم من الجهة الأخرى وليس معهم زاد فبقوا على ذلك أياماً حتى مات أحد بنيه من الجوع فألقوه في النهر فقال لامرأته: إنا مشرفون على الهلاك وإن بقي بعضنا وهلك البعض خير من أن نهلك جميعاً والرأي أن نذبح أحد هؤلاء الصبيان ونأكله حتى يأتينا الفرج فذبح صبياً وجعلوا يأكلونه فما ظنك بهم أيأكلونه أكل النهم المستكثر أم أكل المضطر المستقل (قال) بل أكل المستقل (قال) كذلك أكلي وشربي.

(قال ابن الملك) أرأيت هذا الذي تدعوني إليه أيها الحكيم أهو شيء نظر الناس فيه بعقولهم حتى اختاروه على ما سواه أم دعاهم الله إليه فأجابوه.

(قال بلوهر) ليس هذا الأمر من قبل أهل الأرض أو برأيهم ولو كان من قبلهم لدعو إلى عملها وزينتها ونعيمها ولذتها ولهوها ولعبها ولكنه دعوة من الله عز وجل وهدى مستقيم ناقض على أهل الأرض أعمالهم وهو مخالف لهم عائب عليهم ناقل لهم عن أهوائهم قال: صدقت.

(ثم قال بلوهر): إن من الناس من تفكر قبل مجيء الرسل فأصاب وأنت منهم، ومنهم من دعته الرسل بعد مجيئها فأجاب.

(قال ابن الملك): فهل تعلم أحداً يدعو إلى التزهيد في الدنيا غيركم (قال) أما في بلادكم فلا وأما في غيرها فيوجد قوم ينتحلون الدين بألسنتهم ولم يستحقوه

بأعمالهم (قال) فبما جعلكم الله أولى بالحق منهم وإنما أتاكم هذا الأمر من حيث أتاهم (قال) الحق كله جاء من عند الله ﷻ ودعا إليه العباد فقبله قوم بحقه وشرطه حتى أدوه إلى أهله وقبله آخرون فلم يقوموا بحقه وشرطه ولم يؤدوه إلى أهله ولم يكن لهم فيه عزيمة فضيعوه وليس المضيع كالحافظ ولا المفسد كالمصلح ولا الصابر كالجازع فمن هنا كنا أحق به منهم.

(ثم قال بلوهر): فرق بيننا وبينهم أحداثهم التي أحدثوها واخلادهم إلى الدنيا وذلك أن هذه الدعوة لم تزل تظهر مع أنبياء الله ورسله وكان أهل دعوة الحق أمرهم مستقيم لا اختلاف بينهم فكانت الرسل إذا بلّغت رسالات ربها وقبضها الله إليه عند انتهاء أجلها مكثت الأمم بعدها برهة لا تغير ولا تبدل ثم صار الناس يحدثون الأحداث ويتبعون الشهوات ويضيعون العلم فكان العالم المستبصر يخفي شخصه ولا يظهر علمه خوفاً ويزداد الجهال استعلاء والعلماء خمولاً وقلة.

(قال ابن الملك): فما بال الأنبياء يأتون في زمان دون زمان (قال بلوهر): مثل ذلك كمثل ملك له أرض موات فأرسل إليها رجلاً قوياً أميناً ناصحاً وأمره بإحيائها وغرسها وزرعها بأنواع من الشجر والزرع معلومة لا يتعداها وأن يخرج لها نهراً ويدير عليها حائطاً لئلا يفسدها مفسد ففعل ما أمره ثم مات وأقام بعده من يقوم مقامه فخالف أهلها من أقامة القيم وغلبوه على أمره فأخربوا العمران وطموا الأنهار فيبس الغرس وهلك الزرع فلما بلغ الملك ذلك أرسل إليها من يعيدها إلى حالها الأول وكذلك حال الأنبياء في إرسالهم إلى الناس لا تخلو الأرض من أن يكون فيها من يدعو إلى الله تعالى من أنبيائه وأوصيائهم ومثل ذلك

مثل طائر في ساحل البحر يقال له «قدم»

يبيض بيضاً كثيراً ويحب الفراخ ويأتي في زمان يتعذر عليه ذلك فيذهب إلى أرض أخرى حتى ينقضي ذلك الزمان ويأخذ بيضه خوفاً من أن يهلك فيفرقه في أعشاش الطير فتحضنه مع بيضها وتخرج فراخه مع فراخها فتألفها وتأنس بها فيمر قدم بأوكارها ليلاً فإذا سمعت فراخه صوته تبعته وتبعها ما كان ألفها من فراخ غيره

وتخلف عنها ما لم يألفها كذلك الأنبياء يستعرضون الناس جميعاً بدعوتهم فيجيبهم أهل الحكمة والعقل فمثل الأنبياء مثل هذا الطير ومثل فراخه مثل الحكماء ومثل ما أجاب فراخه قبل مجيئه مثل من أجاب الحكماء قبل مجيء الرسل

(قال ابن الملك): كيف قلت إن ما يأتي به الأنبياء ليس بكلام الناس مع أن كلام الله وملائكته هو كلام الناس (قال بلوهر: أما رأيت الناس لما أرادوا أن يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدونه من تقديمها وتأخرها لم يجدوها تحتمل كلامهم الذي هو كلامهم فوضعوا من النقر والصفير والزجر ما يعرفون أنها تطيقه وكذلك العباد يعجزون أن يعلموا كلام الله على كنهه فصار ما يكلمون به لمعرفة الحكمة شبيهاً بما وضع للدواب والطير ولا طاقة للناس أن ينفذوا غور كلام الحكمة بعقولهم فمن أجل ذلك تفاضل العلماء في علمهم حتى يرجع العلم إلى الله عزّوجلّ كما أن الناس ينالون من ضوء الشمس ما ينتفعون به ولا يقدرون أن ينفذوها بأبصارهم كالعين الغزيرة ينتفع الناس بمائها ولا يدركون غورها والنجوم التي يهتدي الناس بها ولا يعلمون مساقطها

(قال ابن الملك): فما بال هذه الحكمة التي وصفتها لا ينتفع بها الناس جميعهم (قال بلوهر): مثل الحكمة مثل الشمس الطالعة على جميع الناس فمن أراد الانتفاع بما لم تمنعه ومن لم يرد الانتفاع بها فلا حجة له عليها والشمس إذا طلعت على الناس فمنهم البصير ينتفع بها ما شاء ومنهم الأعمى الذي لا ينفعه طلوع شمس أو شموس ومنهم الضعيف البصر الذي ينتفع بها انتفاعاً قليلاً كذلك الحكمة يكون الناس فيها على ثلاث منازل منزلة لأهل البصر الذين يعقلون الحكمة في شمس القلوب إذا طلعت فيكونون من أهلها ويعملون بها؛ ومنزلة لأهل العمى الذين تنبو الحكمة عن قلوبهم لإنكارهم لها وتركهم قبولها كما ينبو ضوء الشمس عن العميان ومنزلة لأهل القلوب المريضة الذين يقصر علمهم ويضعف عملهم.

(قال ابن الملك): فهل يسمع الرجل الحكمة فلا يجيب إليها زماناً ثم يجيب (قال) نعم وهي أكثر حالات الناس في الحكمة (قال) هل سمع والدي شيئاً من هذا الكلام (قال) لا أراه سمع سماعاً صحيحاً رسخ في قلبه ولا كلمه فيه ناصح شفيق قال: وكيف ترك الحكماء ذلك معه (قال) لعلمهم بمواضع كلامهم بل ربما تركوه مع

من هو أحسن حالاً منه حتى أن أحدهم ليعاشر الرجل عمره وبينهما الاستئناس والمودة ثم لا يفضي إليه بأسرار الحكمة لأنه لم يره لها موضعاً.



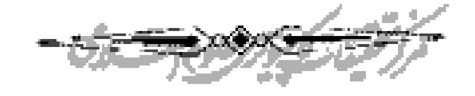
حكاية الملك ووزيره وساكن المزبلة

وقد بلغنا أن ملكاً من الملوك كان عاقلاً قريباً من الناس مصلحاً لأمورهم وله وزير عاقل صالح يعينه على الإصلاح وكان الوزير قد لقي أهل الدين وعرف فضلهم فأجابهم ولم يطلع الملك على ذلك وكان يظهر له أنه على عبادة الأصنام تقية له فأراد أن يكلم الملك في ذلك إشفاقاً عليه فاستشار نصحاءه فقالوا: إن رأيته موضعاً للكلام فكلمه وإلا فإنما تعين على نفسك فإن السلطان لا يغتر به ولا تؤمن سطوته فترقب الوزير الفرصة لذلك فدعاه الملك ليلة إلى أن يسيرا في المدينة متنكرين فمرا على مزبلة تشبه الجبل فنظرا إلى ضوء يبدو في ناحية منها فقصدا إليه فوجدا نقباً شبيهاً بالغار وفيه رجل مشوه الخلق عليه ثياب خلقه متغيرة من دخان الزبل متك على متكئ قد صنعه من الزبل وبين يديه إبريق فخار فيه شراب وفي يده طنبور يضرب به وامرأته في خلقه ولباسه قائمة بين يديه تسقيه إذا استسقى منها وتزفن له إذا ضرب وتحييه بتحية الملوك كلما شرب وهو يسميها سيدة النساء ويصفان أنفسهما بالحسن والجمال وبينهما من السرور والطرب والضحك ما لا يوصف فعجب الملك والوزير من حالهما ثم انصرفا فقال له الملك: ما أعلم أنه أصابني وإياك من الفرح والسرور طول عمرنا مثل ما أصاب هذين فوجد الوزير فرصة فقال له: أخاف أن يكون ملكنا وما نحن فيه من البهجة والسرور في أعين من يعرف الملك الدائم مثل هذه المزبلة وهذين الشخصين ويكون تعجبهم من إعجابنا بما نحن فيه كتعجبنا من إعجاب هذين بما هما فيه (فقال الملك) وهل تعرف لهذه الصفة أهلاً (قال) نعم (قال) من هم؟ (قال) أهل الدين عرفوا ملك الآخرة الدائم فطلبوه (قال) وما ملك الآخرة (قال) هو النعيم الذي لا بؤس بعده والغنى الذي لا فقر بعده والفرج الذي لا ترح بعده والصحة التي لا سقم بعدها والرضا الذي لا سخط بعده والأمن الذي لا خوف بعده والحياة التي لا موت بعدها والملك الذي لا زوال له هي دار البقاء رفع الله عن ساكنيها السقم والهرم

والشقاء والمرض والجوع والظمأ والموت فهذه صفة ملك الآخرة أيها الملك (فقال الملك) وهل إلى دخول هذه الدار سبيل (قال) نعم هي مهيأة لمن طلبها (قال) ما منعك أن تخبرني بها قبل هذا اليوم قال: منعتني هيبتك (قال) لئن كان الأمر كما وصفت فلا ينبغي لنا أن نضيعه وصار أمر الملك معه إلى النجاح.

ما آل الله أمر يوذاسف مع بلوهر

(قال ابن الملك): لست بمتبع بعد غير سبيل الآخرة ولقد حدثت نفسي بالهرب معك في جوف هذا الليل، (قال بلوهر) كيف تستطيع صحبتي وليس لي بيت يؤويني ولا دابة تحملني ولا أملك ذهباً ولا فضة ولا أدخر من غداء لعشاء، (قال) أرجو أن يقويني الذي قواك، (قال) أما أنك أن أبيت إلا صحبتي كنت كالغني الذي صاهر الفقير (قال) وكيف كان ذلك (قال):



حكاية الغني الذي صاهر الفقير

زعموا أن فتى من أولاد الأغنياء أراد أن يزوجه أبوه بابنة عم له ذات جمال ومال فما مال إليها وخرج بدون أن يعلم أبوه إلى بلاد أخرى فمر في طريقة بكوخ وعلى بابه جارية واقفة عليها ثياب خلقة فأحبها وقال: ابنة من أنت؟

قالت: ابنة هذا الجالس في الكوخ وهو شيخ كبير فقال له الفتى: هل تزوجني بنتك هذه؟ قال: ما أنت بمتزوج ببنات الفقراء وأنت من أولاد الأغنياء قال: قد أعجبتني هذه الجارية وخرجت هارباً من امرأة ذات حسب ومال أرادوا تزويجي بها فكرهتها قال الشيخ: لا تطيب أنفسنا أن تنقلها عنا ولا أحسب أن أهلك يرضون أن تنقلها إليهم قال: أكون معكم في منزلكم قال: فاطرح عنك زيك وحلتك والبس من ثيابنا فطرح ثيابه ولبس من أطمارهم ففتش الشيخ عقله فوجده صحيح العقل فقال له: أما إذا اخترتنا ورضيت بنا فقم معي إلى هذا السرب فادخله فإذا خلف منزله

سرب فيه بيوت ومساكن لم ير مثلها سعة وحسناً وله خزائن من كل ما يحتاج إليه فأعطاه مفاتيحها وصرفه فيها.

(قال يوذاسف): أني لأرجو أن أكون أنا ذلك الفتى وأنت ذلك الشيخ.

(قال بلوهر): لو كان الأمر إلي لاكتفيت منك بما حصل لكن فوق رأسي سُنَّة قد سنها أئمة الهدى في بلوغ الغاية في التوفيق لست أخالفها واما منصرف عنك الليلة وحاضر بابك كل ليلة فذكر نفسك وتثبت واحترس من الهوى والميل إلى الشبهة وكلمني فيما يعرض لك من شبهة واعلمني رأيك في الخروج إذا أردت وافترقا.

ثم جاءه في الليلة الثانية فسلم عليه وجلس ودعا له بتمام الهداية والتوفيق فرق يوذاسف لذلك الدعاء رقة شديدة ثم قال له: اعلمني أيها الحكيم كم أتى لك من العمر (قال) إثنتا عشرة سنة فارتاع يوذاسف لذلك وقال: كيف وأنت في منظر ابن ستين سنة (قال) أما المولد فقد راهق الستين ولكنك سألتني عن العمر وإنما العمر الحياة ولا حياة إلا بالدين والعمل ولم يكن ذلك لي إلا منذ اثنتي عشرة سنة أما قبلها فكنت ميتاً (قال) كيف تجعل الحي ميتاً (قال) لأنه شاركه في العمى والصمم والبكم وضعف الحيلة وقلة الغنى فلما شاركه في الصفة وافقه في الاسم (قال) إن كنت لا تعد حياتك تلك حياة فلا ينبغي لك أن تعد ما تتوقع من الموت موتاً (قال بلوهر): أن تغريري في الدخول عليك بنفسي مع علمي بسطوة أبيك يدلك على أنني لا أرى هذه الحياة حياة ولا ما بعدها موتاً وكيف يرغب في الحياة من ترك حظه منها أو يهرب من الموت من أمات نفسه بيده (قال) فاضرب لي مثل مشاهدة الناس وعكوفها على أصنامها قال:

حكاية صاحب البستان والعصفور

أن رجلاً كان له بستان فرأى عصفوراً واقعاً على شجرة يصيب من ثمارها فغاظه ذلك فنصب فخاً فصاده فلما هم بذبحه أنطقه الله فقال: أراك تهم بذبحي وليس فيَّ ما يشبعك فهل لك في خير مما هممت به قال: ما هو؟

- قال تخلي سبيلي واعلمك ثلاث كلمات هن خير لك من أهلك ومالك.

- قال قد فعلت (قال) لا تيأس على ما فات ولا تصدق بما لا يكون ولا تطلب ما لا تقدر عليه فخلى سبيله فطار ووقع على بعض الأشجار ثم قال للرجل لو تعلم ما فاتك مني لعلمت أنه فاتك أمر عظيم.

قال - ما هو - ؟

قال: إن في حوصلتي درة كبيضة الوزة فندم على إطلاقه (وقال) دع عنك ما فات وانطلق معي أحسن صحبتك وأكرم مثواك.

(فقال العصفور) ما أراك انتفعت بالكلمات التي علمتك إياها ألم أقل لك لا تيأس على ما فات وقد ندمت على تركي ولا تصدق بما لا يكون وقد صدقت أن في حوصلتي درة كبيضة الوزة وجميعي أصغر من نصفها ولا تطلب ما لا تقدر عليه وأنت تطلب رجوعي إليك ولا تقدر عليه.

وإن عبدة الأصنام زعموا أنها خلقتهم ورزقتهم وهم يحفظونها من أن تسرق فطلبوا ما لا يدرك وصدقوا بما لا يكون فكانوا كصاحب البستان (قال يوذاسف) أما الأصنام فإني لم أزل عارفاً بأمرها فأخبرني بالذي تدعوني إليه.

ما يجب اعتقاده وعلمه

(قال) أدعوك إلى أن تعلم أن الله واحد ليس له شريك رب وما سواه مربوب خالق وما سواه مخلوق، قديم وما سواه محدث، باق وما سواه فان، لا ينام، ولا يأكل، ولا يشرب، ولا يعجز، ولا يتغير، ولا يخلو منه مكان، ولا يشتغل به مكان، عالم بكل شيء، قدير، رؤوف رحيم، عادل، وإنه مثيب لمن أطاعه، معاقب من عصاه، وأن تعمل برضاه، وتجتنب سخطه (قال) فما يرضي الواحد الخالق من الأعمال؟ (قال) أن تطيعه ولا تعصيه وأن تأتي إلى غيرك ما تحب أن يؤتى إليك وتكف عن غيرك ما تحب أن يكف عنك.

صفة الدنيا وأهلها

قال: زدني تزهيداً في الدنيا وأخبرني بحالها (قال) إني لما رأيت الدنيا دار تصرف وزوال وتقلب من حال إلى حال ورأيت أهلها فيها أعراضاً للمصائب ورأيت صحة بعدها سقم وشباباً بعده هرم وغنىً بعده فقر وفرحاً بعده حزن وعزاً بعده ذل ورخاء بعده شدة وأمناً بعده خوف وحياة بعدها موت وعرفت أنها منقطعة فانية وعرفت بما ظهر لي منها ما غاب عني حذرتها وفررت منها فبينما ترى المرء فيها مغتبطاً محبوراً وملكاً مسروراً في خفض ودعة ونعمة وسعة في بهجة من شبابه وعزة من سلطانه وصحة من بدنه إذا انقلبت به أسر ما كان فيها نفساً وأقر ما كان فيها عيناً فأخرجته من ملكها وغبطتها وخفضها ودعتها فأبدلته بالعز ذلاً وبالفرح ترحاً وبالسرور حزناً وبالنعمة بؤساً وبالغنى فقراً وبالسعة ضيقاً وبالشباب هرماً وبالحياة موتاً فدلته في حفرة ضيقة موحشة فريداً وحيداً غريباً قد فارق الأحبة وصار ماله بعده نهباً كأن لم يكن في الدنيا ولم يذكر فيها (قال ابن الملك) أف لها ولمن يغتر بها (ثم قال) زدني أيها الحكيم من حديثك فإنه شفاء لما في صدري (فقال).

ما يجب أن يؤدب به الإنسان نفسه

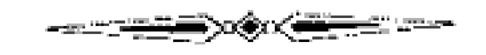
كما أن الإمام العادل يأمر رعيته بما يصلحهم وينهاهم عما يفسدهم ويكرم من أطاعه منهم ويعاقب من عصاه كذلك ينبغي للرجل اللبيب أن يؤدب نفسه في جميع أخلاقها وأهوائها وشهواتها ويحملها على لزوم منافعها مما أحبت وكرهت واجتناب مضارها وأن يجعل لنفسه من نفسه ثواباً وعقاباً من مكانها من السرور إذا أحسنت ومكانها من الغم إذا أساءت ومما يحق على ذي العقل النظر فيما ورد عليه من أموره والأخذ بصوابها ونهي النفس عن خطأها وأن يحتقر عمله ونفسه في رأيه لئلا يأخذه العجب ولا يرفض ما قوي عليه من العمل إذا لم يقدر على ما هو أكثر منه، فاحترس من أن تدع إكتساب علم ما لم تعلم وأن تخدع بما اكتسبت منه فإنك في دار قد إستحوذ على أكثر أهلها الشيطان بألوان من حبله ووجوه ضلالته فمنهم من ضرب

على سمعه وعقله وتركه لا يعلم شيئاً ولا يسأل عن علم ما جهل كالبهيمة ومنهم من جعل لهم أدياناً مختلفة فهو مجتهدون في الضلالة حتى أن بعضهم يستحل دم بعض وماله ويموه ضلالتهم بشيء من الحق والشيطان وجنوده دائبون في إهلاك الناس وتضليلهم لا يسأمون ولا يفترون ولا يحصي عددهم إلا الله ولا يستطاع دفع مكائدهم إلا بعون منه تعالى.



صفة الباري تعالى والدليل عليه

قال: صف لي الله كأني أراه (قال) إن الله لا يوصف بالرؤية ولا يبلغ القصد صفته، ولا الألسن كنه مدحته ولا تحيط العباد من علمه إلا بما علمهم منه على لسان أنبيائه بما وصف به نفسه، فباح للعباد من علمه بما أحب وأظهرهم من صفته على ما أراد ودلهم على معرفته بإحداث ما لم يكن وإعدام ما أحدث (قال) وما الحجة (قال) إنك إذا رأيت شيئاً مصنوعاً غاب عنك صانعه علمت بعقلك أن له صانعاً فكذا السماء والأرض وما بينهما فأي حجة أقوى من ذلك



مسائل يوذاسف لبلوهر

(قال) أخبرني بقدر الله عزّ وجلّ يصيب الناس ما يصيبهم من الأسقام والأوجاع والفقر والمكاره أو بغير قدر (قال) بل بقدر (قال) فأخبرني عن أعمالهم السيئة؟ (فقال) الله من أعمالهم بريء لأنه أوجب الثواب العظيم لمن أطاعه والعقاب الشديد لمن عصاه (قال) فأخبرني من أعدل الناس ومن أجورهم ومن أكيسهم ومن أحمقهم ومن أشقاهم ومن أسعدهم؟ (قال) أعدلهم أنصفهم من نفسه وأجورهم من كان جوره عنده عدلاً وعدل أهل العدل عنده جوراً وأكيسهم من أخذ لآخرته أهبتها وأحمقهم من كانت الدنيا همه والخطايا عمله وأسعدهم من ختم عمله بخير وأشقاهم من ختم له بما يسخط الله عزّ وجلّ (ثم قال) لا تستقبحن الحسن وإن وإن كان في الفجار ولا تستحسنن القبيح وإن كان في الأبرار (قال) فما الحسنات والسيئات (قال)

الحسنات: صدق النية والعمل الصالح والقول الطيب والسيئات سوء النية وسوء العمل وسوء القول (قال) فما السخاء (قال) إعطاء المال في سبيل الله (قال) فما الكرم (قال) التقوى (قال) فما البخل (قال) منع الحقوق عن أهلها وأخذها من غير وجهها (قال) فما الحرص (قال) الإخلاد إلى الدنيا (قال) فما الصدق (قال) طريقة في الدين أن لا يخادع المرء نفسه ولا يكذبها (قال) فما الحمق (قال) الطمأنينة إلى الدنيا وترك ما يدوم ويبقى (قال) فما الكذب (قال) أن يكذب المرء نفسه فلا يزال بهواه شغفاً ولذنبه مسوفاً (قال) أي الرجال أكمل في الصلاح (قال) أكملهم في العقل وأبصرهم بعواقب الأمور وأعلمهم بخصومه وأشدهم منهم احتراساً (قال) ما تلك العاقبة (قال) بقاء الآخرة وفناء الدنيا (قال) ما أولئك الخصوم (قال) الحرص والغضب والحسد والحمية والشهوة والرياء واللجاجة (قال) أيهم أقوى وأجدر أن لا يسلم منه أحد (قال): الحرص أقل رضاً وأفحش غضباً والغضب أجور سلطاناً وأقل شكراً وأكسب للبغضاء، والحسد أسوء للنية وأخلف للظن، والحمية أشد لحاجة وأفظع معصية، والحقد أطول توقداً وأقل رحمة وأشد سطوة، والرياء أشد خديعة وأخفى اكتتاناً وأكذب، واللجاجة أعلى خصومة وأقطع معذرة (قال) أخبرني بالقوة التي قوى الله بها العباد على مغالبة تلك الأمور (قال) العلم والعقل والعمل بهما وصبر النفس على شهواتها والرجاء للثواب وكثرة الذكر لفناء الدنيا وقرب الأجل واعتبار ماضي الأمور بعاقبتها والاحتفاظ بما لا يعرف إلا عند ذوي العقول وكف النفس عن النفس عن العادة السيئة وحملها على العادة الحسنة والخلق المحمود وأن يكون أمل المرء بقدر عيشه فإن ذلك هو القنوع والصبر والرضا بالكفاف وحسن العزاء عما فات وطيب النفس عنه وترك معالجة ما لا يتم واختيار سبيل الرشد على سبيل الغي وتوطين النفس على أنه إن عمل خيراً جزي به وإن عمل سوءاً جزي به والمعرفة بالحقوق والحدود والنصيحة وكف النفس عن اتباع الهوى وركوب الشهوات وحمل الأمور على الرأي والأخذ بالجزم والقوة (قال) أي الأخلاق أكرم وأعز قال التواضع ولين الكلمة للأخوان في الله (قال) أي العبادة أحسن؟ (قال) الوقار والمودة (قال) أي الشيم أفضل؟ (قال) حب الصالحين (قال) أي الذكر أفضل (قال) ما كان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (قال) أي القصد أفضل؟ (قال) الرضا بالكفاف (قال) أي الأدب أحسن (قال) أدب الدين (قال) أي شيء أجفى؟ (قال) السلطان العاتي والقلب القاسي (قال) أي شيء أبعد غاية؟ (قال) غاية عين

الحريص الذي لا يشبع من الدنيا (قال) أي الأمور أخبث عاقبة؟ (قال) التماس رضى الناس في سخط الرب ﷻ (قال) أي شيء أسرع تقلباً؟ (قال) قلوب الملوك الذين يعملون للدنيا (قال) أي الفجور أفحش؟ (قال) إعطاء عهد والغدر فيه (قال) أي شيء أسرع انقطاعاً؟ (قال) مودة الفاسق (قال) أي شيء أخون؟ (قال) لسان الكاذب (قال) أي شيء أشبه بحال الدنيا؟ (قال) أحلام النائم (قال) أي الرجال أفضل رضى؟ (قال) أحسنهم ظناً بالله وأتقاهم وأقلهم غفلة عن ذكر الله وذكر الموت (قال) أي شيء من الدنيا أقر للعين (قال) الولد الأديب والزوجة المواتية المعينة على أمر الآخرة (قال) أي الداء ألزم في الدنيا؟ (قال) الولد السوء والزوجة السوء التي لا يجد منها بداً (قال) أي الخفض أخفض؟ (قال) رضى المرء بحظه واستئناسه بالصالحين.

(ثم قال له ابن الملك) فرغ لي ذهنك فقد أردت سؤالك عن أهم الأشياء عندي بعد إذ بصرني الله ما كنت به جاهلاً (قال) سل عما بدا لك (قال) أرأيت من أوتي الملك طفلاً ودينه عبادة الأوثان وغذي بلذات الدنيا حتى صار كهلاً وجهل أمر آخرته وعادى أهل الدين هل تطمع له في النزوع عما هو عليه (قال) قد عرفت هذه الصفة وما دعاك إلى هذه المسألة فصاحب هذه الصفة هو الملك والذي دعاك إلى هذه المسألة الشفقة عليه من عذاب الله (قال) نعم قال: أن لا نبعد مخلوقاً من رحمة خالقه ولا نيأس له منها ما دام فيه الروح وإن كان عاتياً عاصياً لما وصف الله به نفسه من الرأفة والرحمة وأمر به من الاستغفار والتوبة.

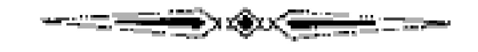
حكاية الملك الذي كان ظالماً ثم صار عادلاً

زعموا أنه كان ملك عادل عالم صالح فلما مات حزنت عليه رعيته وكان بامرأته حبل فأخبر المنجمون والكهنة أنه ذكر فلما وُلِد أقاموا سنة بالمعازف والملاهي فقال لهم أهل العلم والدين: إن كان هذا المولود هبة من الله فقد جعلتم الشكر لغيره وإن كان من غير الله فقد أديتم الحق فقالوا: ما وهبه لنا إلا الله.

فقال لهم العلماء: فقد أسخطتم الله عليكم بما فعلتم.

قالوا: ما نصنع؟

قالوا: يجب أن تشتغلوا بشكر الله وطاعته ضعف ما اشتغلتم بشكر الشيطان ففعلوا فقالت الكهنة: إن الذي صنعته الأمة على هذا المولود يُخبر أنه يكون فاجراً باراً متجبراً متواضعاً مسيئاً محسناً من قبل اللهو والمعازف وما صنع عليه بعكس ذلك وقال المنجمون: مثلهم وعللوه باستقامة الزهرة والمريخ فنشأ الغلام متكبراً لاهياً ظالماً حتى بلغ اثنتين وثلاثين سنة فأمر ببناء مجلس مقابل مطلع الشمس وفرشه بصفائح الذهب والفضة وزينه بأنواع الجواهر والفرش وستور الديباج وجمع عساكره وعظماء دولته وغلمانه وجواريه وأمرهم أن يلبسوا أفخر الثياب ويتزينوا بأحسن زينتهم ثم صعد إلى مجلسه فخروا له ساجدين ثم دعا بمرآة لينظر حسن صورته فلاحت له في رأسه شعرة بيضاء فذعر منها وحزن وقال هذه مقدمة الموت ونزل عن مجلسه حافياً وقال لجنوده وعظماء دولته قد طرقني عدو واحتجت إلى نصرتكم قالوا: كلنا طوع أمرك قال إنه أتاني رسول الموت وأمر بملازمتي حتى يأتيني فهل تقدرون على دفعه عني قالوا وما هو هذا الرسول قال هذا البياض قالوا لا قدرة لنا عليه فأراد التخلي عن الملك والانقطاع للعبادة فمنعوه من ذلك فتاب عما سلف منه وتاب عظماء دولته فأخصبت بلادهم وقهروا أعداءهم وما زالوا بخير حتى هلك ذلك الملك وعمره أربع وستون سنة (فقال يوذاسف) قد سررت بهذا الحديث فزدني من مثله (فقال بلوهر):



حكاية الجمجمة

إنه كان ملك من الملوك الصالحين وله جنود يخشون الله ويعبدونه وكان الناس معه في شدة من زمانهم وينتقص العدو من بلادهم وكان له ولد قد عاهد الله إن أتاه الملك أن يعمل بطاعة الله وبالعدل فلما مات الملك وملك بعده ولده قهر عدوه وصلحت بلاده وانتظم له أمر الملك فأبطره ذلك وأطغاه حتى ترك عبادة الله وكفر نعمته وأسرع في قتل من عبد الله وخالف ما كان عاهد الله عليه وكان في أصحابه رجل صالح وهو أفضل أصحابه منزلة عنده وكان يتوجع له لكنه يخاف عتوه وجبروته فدخل ذات يوم على الملك بجمجمة قد لفها في ثيابه فلما جلس أخرجها ووضعها

بين يديه ثم وطئها برجله فدنس بساط الملك مما تحات منها فغضب الملك لذلك لكنه ملك غضبه وتأنى ثم لف الجمجمة في ثوبه وخرج ثم فعل مثل ذلك في اليوم الثاني والثالث فلما رأى أن الملك لا يسأله عن شيء أدخل معها ميزاناً وتراباً وصنع بها كالأول ثم أخذ الميزان فجعل في إحدى كفتيه درهماً وفي الأخرى تراباً بوزنه ثم جعل التراب في عين الجمجمة ثم أخذ حفنة تراب ووضعها في موضع الفم فسأله الملك عما أراد بذلك فخر له ساجداً وقال: أسألك أيها الملك أن تقبل علي بعقلك كله فإن مثل الكلمة مثل السهم إذا رمي به في أرض لينة ثبت فيها وإذا رمي به في الصفا لم يثبت ومثلها كمثل المطر إذا أصاب أرضاً طيبة مزروعة نبت فيها الزرع وإذا إذا أصاب السباخ لم ينبت وإن أهواء الناس مختلفة والهوى والعقل يصطرعان فإن غلب الهوى العقل عمل المرء بالطيش والسفه وإن غلب العقل والهوى لم يوجد من ذلك الرجل سقطة وإني لم أزل منذ كنت غلاماً أحب العلم وأرغب فيه بينما أنا ذات يوم أطوف بين القبور إذ أبصرت هذه الجمجمة في قبور الملوك فأخذتها وألبستها الديباج ونضحتها بماء الورد ووضعتها على السرير وقلت: إن كانت من جماجم الملوك فسيؤثر فيها إكرامي لها وترجع إلى جمالها وبهائها وإن كانت من جماجم المساكين لم يؤثر فيها فعلت بها ذلك مراراً فلم تتغير فدعوت أخس عبيدي فأهانها فإذا هي على حالة واحدة عند الإكرام والإهانة فسألت الحكماء عنها فلم أجد عندهم علماً فقلت: أسأل الملوك فجئتك ولم يكن لي أن أسألك قبل أن تبتدئني ولما أعياني أمرها فكرت في عينها التي كان لا يملؤها شيء فإذا قد ملأها وزن درهم من تراب وفي فمها الذي لم يكن يملؤه شيء فإذا قد ملأته حفنة تراب فأحب أن تخبرني أهي جمجمة ملك أو مسكين وكيف تكون جمجمة مسكين وقد وجدتها في مقابر الملوك وإذا جمعنا جماجم الملوك وجماجم المساكين لم نجد لجماجمكم فضلاً وإذا كانت من جماجم الملوك فقد كان صاحبها من الجمال والبهاء مثل ما أنت فيه اليوم فحاشاك أن تصير إلى حال هذه الجمجمة توطأ بالأقدام وتخلط بالتراب ويأكلك الدود فبكى الملك وخشع وقال: جزاك الله عني خيراً وجزى هؤلاء الذين حولي شراً وتاب عما كان فيه (قال يوذاسف) زدني من هذه الأمثال (قال بلوهر):

حكاية ابن الملك الذي زهد في الدنيا

زعموا أن ملكاً كان لا يولد له فلم يدع شيئاً مما يعالج به الناس أنفسهم حتى فعله فلم ينفع وطال عليه ذلك وغمه ثم حملت امرأة له فولدت غلاماً فلما ترعرع خطا ذات يوم خطوة فقال: تهرمون ثم خطا أخرى فقال: ثم تموتون ثم عاد كهيأته يفعل فعل الصبي فسأل الملك العلماء والمنجمين عن خبر الصبي فلم يكن عندهم علم إلا واحداً قال: إنه سيكون إماماً فجعل أبوه عليه الحرس فلما شب أنسل من الحرس وأتى السوق فإذا جنازة قال: ما هذا؟ قالوا: إنسان مات قال: ما أماته؟ قالوا: كبر وجاء أجله فمات قال: وكان صحيحاً حياً يمشي ويأكل ويشرب؟ قالوا: نعم ثم مضى فإذا شيخ هرم قال: ما هذا قالوا: شيخ فني شبابه وكبر قال: وكان صغيراً ثم شاب قالوا: نعم ثم مضى فإذا مريض قال ما هذا؟ قالوا: مريض قال: وكان صحيحاً فمرض قالوا: نعم قال لئن كنتم صادقين فإن الناس لمجانين وافتقده الحراس فإذا هو في السوق فأخذوه وأدخلوه البيت فاستلقى على قفاه ينظر إلى خشب السقف ويقول: كيف هذا قالوا كانت شجرة نبتت ثم صارت خشباً ثم قطع فوضع في السقف فبينما هو في كلامه إذ أرسل الملك إلى الموكلين به انظروا ماذا يتكلم فأخبروه بقوله وقالوا: ما نظنه إلا وسواساً فدعا العلماء فسألهم فلم يكن عندهم فيه علم إلا الرجل الأول فلم يعبئوا بقوله فقيل للملك: لو زوّجته لذهب ما به فزوجه امرأة من أجمل النساء فلما أخذوا في وليمة العرس جعل اللاعبون يلعبون والزمارون يزمرون فلما سمع الغلام جلبتهم وأصواتهم قال: ما هذا؟ قالوا: هؤلاء لعابون وزمارون جمعوا لعرسك فسكت فلما أمسوا دعا الملك زوجة ابنه وقال لها: إنه ليس لي ولد غير هذا الغلام فإذا دخلت عليه فالطفي به واقربي منه وتحببي إليه فلما دخلت عليه أخذت تدنو منه فقال: على رسلك فإن الليل طويل بارك الله فيك واصبري حتى نأكل ونشرب ودعا بالطعام فجعل يأكل فلما فرغ جعلت المرأة تشرب فلما أخذ الشراب منها قام الغلام وخرج من البيت وانسل من الحرس حتى خرج وتردد في المدينة فلقيه غلام مثله فاتبعه وألقى ابن الملك ثيابه ولبس بعض ثياب الغلام وتنكر وخرجا جميعاً وسارا ليلتهما إلى الصباح ثم كمنا ودخلوا على الجارية عند الصبح فوجدوها نائمة قالوا: أين زوجك؟ قالت: كان عندي مساء ولا أعلم أين ذهب فطلب الغلام فلم يقدروا عليه وجعل هو وصاحبه يسيران الليل ويكمنان في

النهار حتى خرج من سلطان أبيه إلى سلطان ملك آخر وكان له بنت قد جعل أمرها بيدها تتزوج من تختاره وبنى لها غرفة على الطريق لتنظر إلى كل من أقبل وأدبر فنظرت إلى الغلام يمشي مع صاحبه في السوق في خلقانه فهويته وأرسلت إلى أبيها أنها تريد التزوج به وبلغ ذلك أمها ففرحت فقال الملك أرونيه فرآه من بعيد فأمر أن يلبس ثياباً فاخرة ويؤتى به إليه ففعلوا فسأله عن حاله فقال: وما سؤالك عني أنا رجل من مساكين الناس قال: أنت غريب وما يشبه لونك لون أهل هذه المدينة قال: ما أنا بغريب وعالجه أن يصدقه فأبى فأمر أن يراقب من حيث لا يعلم وقال الملك: لزوجته إني أظنه ابن ملك وما له حاجة فيما تراودونه عليه ثم بعث إليه فقيل له: الملك يدعوك قال: ما أنا والملك ليدعوني وما لي إليه حاجة فأخذ قهراً وأدخل على الملك فأجلسه على كرسي وأجلس امرأته وابنته خلف الستر فقال له: الملك دعوتك لخير إن لي ابنة رغبت فيك وأريد تزويجها منك فإن كنت مسكيناً أغنيناك ورفعناك قال: ما لي في ذلك حاجة وإن شئت ضربت لك مثلاً قال: افعل قال:



حكاية الذي سكر ونام بين الأموات

زعموا أن ملكاً من الملوك كان له ابن ولابنه أصدقاء فدعوه إلى وليمة فأكلوا وشربوا حتى سكروا وناموا فاستيقظ ابن الملك نصف الليل وهو سكران فعاد إلى منزله فبينا هو سائر إذ مر بمقبرة وفيها ناووس مفتوح وفيه أموات كثيرة فظنه بيته فدخله فإذا بريح الموتى فظنه لسكره طيباً وإذا بعظام فحسبها فرشاً فنام عليها ورأى جسداً مات حديثاً وقد أروح فظنه أهله فاعتنقه وقبله وجعل يعبث به عامة ليله فلما أفاق رأى نفسه على جسد ميت وبين جثث الأموات وعظامهم وريحهم المنتن وقد دنس ثيابه وبدنه فخرج وبه من السوء ما يختفي منه من الناس فوجد باب المدينة مفتوحاً فدخله حتى أتى أهله ورأى من نعمة الله عليه أنه لم يره أحد فنزع ثيابه واغتسل ولبس غيرها وتطيب عمرك الله أيها الملك أتراه راجعاً إلى ما كان فيه وهو يستطيع قال: لا قال: فإني أنا هو فالتفت الملك إلى زوجته وابنته وقال: قد أخبرتكما أنه ليس له فيما تدعوانه إليه رغبة فقالت الزوجة: لقد قصرت أيها الملك

في نعت ابنتي ووصفها له ولكني خارجة إليه ومكلمته فقال له الملك: إن امرأتي تريد أن تخرج إليك وتكلمك ولم تخرج إلى أحد قبلك فخرجت وجلست وقالت للغلام: تعال إلى ما ساق الله إليك من الرزق والخير فأزوجك ابنتي فإنك لو رأيتها وما قسم الله لها من الجمال والبهاء لأغتبطت فقال الغلام للملك أفلا أضرب لك مثلاً قال: بلى قال:



حكاية الذين سرقوا خزانة الملك

إن سراقاً اتعدوا أن يدخلوا خزانة الملك ليسرقوا منها فنقبوا حائط الخزانة ودخلوا فنظروا إلى متاع لم يروا مثله ورأوا قلة من ذهب مختومة فقالوا لا نجد شيئاً أفضل منها فاحتملوها ومضوا فدخلوا غيظة وفتحوها فإذا فيها أفاع فوثبت عليهم فقتلتهم جميعاً عمرك الله أيها الملك أفترى أحداً علم بما أصابهم وما لقوا من تلك القلة ويراجع النظر إليها قال: لا قال: فإني أنا هو فقالت الجارية لأبيها: ائذن لي فأخرج إليه بنفسي وأكلمه فإنه لو نظر إلى جمالي وهياتي لم يتمالك أن يجيب فقال له: إنّ ابنتي تريد أن تخرج إليك ولم تخرج إلى أحد قبلك فخرجت إليه وهي أحسن الناس وجهاً فقالت للغلام: هل رأيت مثلي قط أتم وأجمل وأكمل وأحسن وقد هويتك وأحببتك فنظر الغلام إلى الملك وقال: ألا أضرب لك مثلاً قال: بلى قال:



حكاية ابن الملك الذي خلص اخاه من الأسر

زعموا أن ملكاً كان له ابنان فأسر أحدهما ملك آخر فحبسه وأمر أن لا يمر عليه أحد إلا رماه بحجر ثم أن أخاه قال لأبيه ائذن لي فأنطلق إلى أخي فأفديه وأحتال له فأذن له وأخذ معه ما شاء من مال ومتاع ودواب وذهب بزي التجار فلما دنا من مدينة الملك خرج الناس إليه فنشر متاعه وأمر غلمانه أن يبيعوا الناس ويسامحوهم في البيع فلما شغل الناس بالبيع خرج متخفياً ودخل المدينة وقد علم أين سجن أخيه فأتاه

وأخذ حصاة ورماها لينظر ما بقي من نفس أخيه فصاح حين أصابته الحصاة: قتلتني ففزع الحراس وسألوه لم صحت من هذه الحصاة الصغيرة وكل يوم ترمى بأعظم منها ولا تتكلم قال: إن الناس كانوا من أمري على جهالة ورماني هذا على علم فانصرف أخوه راجعاً وقال للناس إذا كان غد فاتوني أنشر عليكم بزاً ومتاعاً لم تروا مثله فلما كان الغد أمر بنشر البز الفاخر فاشتغلوا به فأتى أخاه وقطع أغلاله وأخرجه من المدينة وداوى جراحاته حتى برء ودله على الطريق وقال انطلق فإنك ستجد سفينة قد نشرت لك أعلامها في البحر فاركبها وامض إلى أبيك فبينما هو سائر في الطريق إذ وقع في جب فيه تنين وعلى الجب شجرة نابتة فاحتال حتى تعلق بغصن من أغصانها وسار حتى أتى البحر وركب السفينة وأتى أهله عمرك الله أيها الملك أتراه عائداً إلى ما كان عليه قال: لا قال: فإني أنا هو فيئسوا منه فجاءه الغلام الذي صحبه فساره وقال: اذكرني لها فقال للملك: إن هذا يقول إن أحب الملك أن ينكحني ابنته فعل قال: لا أفعل قال: أفلا أضرب لك مثلاً قال: بلى قال:



حكاية الرجل الذي تزوج الغول

إن رجلاً ركب سفينة مع جماعة فانكسرت سفينتهم بقرب جزيرة فيها الغيلان فغرقوا كلهم سواه وألقاه البحر إلى الجزيرة فهوي غولاً وتزوجها فلما كان السحر قتلته وقسمت أعضاءه بين صواحباتها فاتفق مثل ذلك لرجل آخر فأخذته ابنة ملك الغيلان فبات معها وقد علم ما جرى على الرجل قبله فليس ينام حذراً فلما كان السحر نامت فانسل حتى أتى الساحل فإذا بسفينة فاستغاث بهم فحملوه إلى أهله وأصبحت الغيلان وقالوا: أين الرجل الذي كان معك قالت: هرب قالوا: كذبت بل أكلته واستأثرت به علينا فلنقتلنك أو تأتينا به فمرت في الماء حتى أتت منزله فقالت له: ما لقيت من سفرك هذا قال: لقيت بلاء خلصني الله منه وقص عليها ذلك فقالت: وقد تخلصت قال: نعم قالت: أنا الغول قد جئت لأخذك فناشدها الله أن لا تهلكه وقال: أدلك على رجل مكاني فانطلقا حتى دخلا على الملك فقالت: إني تزوجت هذا الرجل وهو من أحب الناس إلي وقد كرهني فلما رآها الملك أعجبه

جمالها فسار الرجل وقال: إن أحببت أن تتركها فأتزوجها قال: نعم أصلح الله الملك ما تصلح إلا لك فتزوجها الملك وبات معها فما كان السحر ذبحته وقطعته وحملته إلى صواحباتها أفترى أيها الملك أحداً علم بهذا ثم انطلق إليه فقال: لا فقال: الخاطب للغلام إني لا أفارقك ولا حاجة لي فيما أردت فخرجا من عند الملك يعبدان الله ويسيحان في الأرض فهدى الله بهما أناساً كثيرة واشتهر أمر الغلام في الآفاق وبلغ خبره والده فأرسل إليه واجتمع به هو وأهله فاستنقذهم مما كانوا فيه.



ما انتهى إليه أمر يوذاسف

ثم إن بلوهر جعل يختلف إلى يوذاسف حتى عرف أنه فتح له الباب ودله على الصواب ثم تحول من تلك البلاد وبقي يوذاسف حزيناً مغتماً ثم أرسل الله إليه ملكاً من الملائكة فتمثل له وقال أتيتك بالتحية من الحق فخر ساجداً شكراً لله تعالى فقال له إني آتيك بعد أيام فتهيأ للخروج ثم جاءه الملك ليلاً وأمره بالذهاب فبينا هو يريد الركوب جاءه شاب جميل من عظماء بلادهم فقال: أين تذهب وتتركنا فأقم عندنا فأنا كنا منذ ولدت في رخاء وكرامة فقال له يوذاسف: امكث أنت في بلادك وذكر أهلها أما أنا فذاهب حيث بعثت ثم ركب وسار مسافة طويلة ثم نزل عن فرسه ونزع عنه لباس الملك ودفعه إلى وزيره الذي خرج معه ودفع إليه الفرس والياقوتة التي كان يجعلها في يده وقال له: اعطها إلى والدي واقرأه السلام وافترقا فتقدم يوذاسف أمامه حتى بلغ فضاء واسعاً فرأى شجرة عظيمة على عين ماء وقد اجتمع عليها من الطيور والعصافير ما لا يحصى فسر بذلك وفسر الشجرة بالبشرى التي دُعي إليها والعين بالحكمة والعلم والطير بالناس الذين يجتمعون إليه ويقبلون منه الدين ثم سار في بلاد الهند يدعو إلى الله حتى أتى قشمير فصار فيها داعياً ومبشراً حتى أتاه الأجل واهتدى به عالم كثير.

تمت قصة بلوهر الحكيم ويوذاسف ابن ملك الهند.

(١٤) في بعض المجاميع عن الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة للجلال

السيوطي - مانصه - حديث خرافة. الترمذي في الشمائل عن عائشة أن النبي ﷺ حدّث ذات ليلة نساءه حديثاً فقالت امرأة منهن هذا حديث خرافة قال: أتدرون ما خرافة أن خرافة كان رجلاً من عذرة أسرته الجن فمكث فيهم دهراً ثم ردوه إلى الإنس فكان يحدث الناس بما رأى فيهم من الأعاجيب فقال الناس حديث خرافة.

(أقول) كثيراً ما يقال حديث خرافة للأمر الباطل كما قال بعض المشركين.

حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يا أم عمرو

فإن صح هذا الحديث كان في قولها ما لا يخفى.

(١٥) وجدنا على ظهر نسخة من كتاب البيان للشهيد رحمه الله فرغ من كتابتها في العشرين من ربيع الأول سنة ٨٨٩ هـ ما صورته.

قتل المصنف رحمه الله بدمشق برحبة القلعة مما يلي سوق الخيل ضحى يوم الخميس تاسع شهر جمادى الأولى وبقي معلقاً هناك إلى قرب العصر ثم أنزل وأحرق وذلك سنة ست وثمانين وسبعمائة.

وعلى ظهرها أيضاً قال: ولد المصنف سمعت والدي يقول هو (أي البيان) أحسن الثلاثة أعني الذكرى والدروس وهذا.

وعلى ظهرها أيضاً: أنهاه أيده الله قراءة وفهماً وشرحاً وفقه الله وإيانا لمراضيه وأعانه وإيانا على امتثال أوامره والانزجار عن نواهيه في عدة مجالس آخرها نهار الجمعة رابع ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وثمان مائة هجرية على مشرفها السلام وكتب أفقر عباد الله تعالى حسين بن علي بن الحسام حامداً مصلياً مسلماً مستغفراً.

(١٦) يظهر أن مجلس الشراب عندهم كان يلزمه وجود الريحان فيه كما يدل عليه قول أبي نواس:

مساحب من جر الزقاق على الثرى وأضغاث ريحان جنّي ويابس

وقول مطيع بن أياس الكناني عند موته وكان يرمى بالزندقة

لهف نفسي على الزمان وفي أي الزمان دهتني الأزمان

حين جاء الربيع واستقبل الصيف وطاب الطلاء والريحان

الطلاء: الخمر.

استخراج لطيف

(١٧) ذكر جماعة من علماء العامة والخاصة: أن الحمرة في السماء لم تر قبل قتل الحسين عليه السلام؛ وقال ابن سيرين في بيان وجه الحكمة في ظهور الحمرة: إن الله تعالى غضب لقتل الحسين عليه السلام والعادة في الغضب أن تظهر الحمرة في وجهه ولما كان هذا محال على الله تعالى لأنه من صفات الأجسام أظهره في بعض مخلوقاته العظيمة وهو السماء؛ انتهى.

عجيبة

(١٨) يوجد في قرية قريبة من مدينة أصفهان تسمى (كارلاوان) منارتان شاهقتان في الغاية بينهما إيوان عالٍ والجميع مبنية بالجص والآجر وتحت الإيوان قبر لا يعلم صاحبه ويسمى ذلك (منار جُنْبان) أي المنارتان المتحركتان أو محرك المنارتين فإذا صعد شخص على إحدى المنارتين أيهما كانت وجعل يهزها بقوة تحركت تلك المنارة ومالت من تحريكه وتحركت المنارة الأخرى بحركتها والإيوان المتخلل بينهما والأساس الحامل لذلك والأرض المتضمنة لذلك ومن كان واقفاً على الأرض مع أنه من المستحيل عادة تحرك مثل ذلك بمثل هذا المحرك الضعيف ولا يعلم السر فيه ذكر ذلك كله السيد الأصفهاني في روضات الجنات وقال: رأيت بعيني ميل المنارتين عند تحريكهما مع جميع البقعة إلى اليمين واليسار بشيء غير يسير مع تباعد ما بين المنارتين ولقد كنت أخشى من سقوطهما عند ميلهما كذلك فلا يصيبهما أدنى وهن انتهى.

(أقول) وسألت أنا من الثقات من أهل أصفهان وغيرهم من شاهد المنارتين وتحركهما كما ذكر فصدقه.

الألفاظ الفارسية في لسان أهل سوريا

(١٩) من عهد قديم ولا يبعد أن تكون جملة منها من عهد دارا حينما ملك سوريا إذ لا يعلم مبدأ دخولها في لغتهم وأكثرهم لا يعرف أن أصلها فارسي بخلاف الألفاظ الفارسية التي تدور على لسان أهل العراق التي هي بسبب اختلاطهم الكثير بالفرس في الأزمنة الأخيرة وبخلاف الألفاظ التركية التي في لسان أهل سوريا والعراق التي حدثت من بعد حكم الأتراك هذه البلاد وهذه جملة من الألفاظ الفارسية في لسان أهل سوريا.

(١ زنزرخت) شجر مخصوص معرب (زن درخت) أي شجرة النساء ولعل تسميته بذلك لأن له ثمراً تداوي به النساء شعورهن (٢ كمر) للهميان أصله (كمر بند) أي حزام الصلب (٣ كشتبان) للذي يضعه الخياط في أصبعه معرب (انكشتبان) أي ما يوضع في رأس الإصبع (٤ طربوش) معرب (سربوش) أي لباس الرأس (٥ سرماية) للخف معرب (سرباي) أي ما يلبس في رأس الرجل (٦بابوج) لنوع من الخف معرب (باي بوش) أي لباس الرجل (٧ مصطبة) للدكة معرب (مهتابه) أي محل ضوء القمر لأنه يجلس عليها في الليالي المقمرة (٨ يرش) لتكاثر الشيء من كلام أو رصاص أو نحوها (٩ بشكير) لمنديل مسح اليد معرب (بيش كير) (١٠ غليون) معرب قليان (١١ بربيش) معرب (ني بيش) أي القصبة المتقدمة إلى الأمام (١٢ فشك) لروث الدواب معرب (فشكل) (١٣ برداية) للستارة معرب (بردة) (١٤ نيشان) العلامة (١٥ بخشيش) العطاء معرب (بخشيدن) (١٦ دندانة) معرب (دان دان) أي قطعة قطعة (١٧ يغمة) للنهب والغارة (١٨سيبة) معرب (سه بابه) أي ذات الثلاث الأرجل (١٩سراي) لدار الحكومة (٢٠ هندازة) معرب أندازة للمقياس (٢١ أجكره) معرب آشكار؛ وقد يطلّع المتتبع على أكثر من ذلك.

(٢٠) جدول لأسماء الشهور الرومية وعدد أيامها وأسماء البروج الاثني عشر واليوم الذي تنتقل فيه الشمس إلى كل برج منها ومدة بقائها في ذلك البرج ومعرفة أن القمر في أي برج منها:

الأشهر الرومية	عدد أيامها	البروج	وقت وجود الشمس	في كل برج منها
آذار	۳۰	حمل	من ۱۳ آذار	إلى ١٤ نيسان
نيسان	۳۰	ثور	من ١٥ نيسان	إلى ١٤ آيار
آيار	۳۰	جوزاء	من ١٥ آيار	إلى ١٢ حزيران
حزيران	۳۰	سرطان	من ۱۳ حزيران	إلى ١٢ تموز
تموز	۳۱	أسد	من ۱۳ تموز	إلى ١٦ آب
آب	۳۱	سنبلة	من ۱۷ آب	إلى ١٤ أيلول
أيلول	۳۰	ميزان	من ١٥ أيلول	إلى ١٤ تشرين الأول
تشرين الأول	۳۱	عقرب	من ١٥ تشرين الأول	إلى ١٤ تشرين الثاني
تشرين الأول	۳۰	قوس	من ١٥ تشرين الثاني	إلى ١٢ كانون الأول
كانون الأول	۳۱	جدي	من ۱۳ كانون الأول	إلى ١٢ كانون الثاني
كانون الثاني	۳۱	دلو	من ۱۳ كانون الثاني	إلى ١٢ شباط
شباط	۲۸	حوت	من ۱۳ شباط	إلى ١٢ آذار

فإذا أردت أن تعرف القمر في أي برج من هذه الاثني عشر فانظر إلى ما مضى من أيام الشهر العربي كم هي وزد عليها بقدرها ثم زد على المجموع خمسة والذي يجتمع قَسِّمه على البروج خمسة خمسة وابدأ بالبرج الذي تكون الشمس فيه فالقمر في البرج الذي لا يبقى له خمسة فإن بقي أقل من خمسة فالقمر في ذلك البرج الذي بقي له أقل من خمسة. مثلاً إذا كنت في صفر وقد مضى منه عشرون يوماً فزد عليها مثلها تصير أربعين ثم زد عليها خمسة تصير خمسة وأربعين فإذا كنت في الخامس عشر من تموز مثلاً فالشمس في برج الأسد فابدأ به واقسم الخمسة والأربعين عليه وعلى ما بعده خمسة خمسة فيتم من البروج تسعة آخرها الحمل فيكون القمر في برج الثور وإذا كان قد مضى من صفر مثلاً سبعة عشر يوماً فأضف عليها مثلها تصير أربعة وثلاثين فاقسمها على الأبراج خمسة خمسة مبتدئاً ببرج الأسد الذي فيه الشمس حتى تنتهي إلى برج الدلو فيتم خمسة وثلاثون ويبقى أربعة فالقمر في برج الحوت.

(٢١) في ذيل أمالي القالي: حدثنا أبو الحسن جحظة قال قال الشعبي ما لقينا من علي إن أحببناه قتلنا وإن أبغضناه كفرنا. وحدثنا أبو بكر بن أبي الأزهر حدثنا الزبير أخبرنا ابن ميمون عن أبي مالك قال: قال ابن هرمة:

مهما ألام على حبهم فإني أحب بني فاطمه
بني بنت من جاء بالمحكمات والدين والسنن القائمه

(ويشبه ذلك) ما حكاه ابن عساكر في تاريخه عن رزيق بتقديم الراء المهملة على الزاي مولى علي بن أبي طالب عليه السلام أنه وفد على عمر بن عبد العزيز فقال: يا أمير المؤمنين إني رجل من أهل المدينة وقد حفظت القرآن والفرائض وليس لي ديوان فقال: من أي الناس أنت فقال: رجل من موالي بني هاشم قال: مولى من قال: رجل من المسلمين قال أسألك من أنت وتكتمني قال: أنا مولى علي بن أبي طالب وكانت بنو أمية لا يذكر علي بين أيديهم فبكى عمر حتى وقعت دموعه على الأرض وقال: أنا مولى علي حدثني سعيد بن المسيب عن سعد أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى رواه بهذه القصة البيهقي ورواه أبو القاسم من طريق آخر بلفظ: من كنت مولاه فعلي مولاه ثم أمر له بجائزة.

(٢٢) قال بعض الحكماء: ثلاثة ليس فيهم حيلة فقر يخالطه كسل وعداوة يداخلها حسد ومرض يمازجه هرم.

ملحق بفصل الأجوبة المسكتة المتقدم

أجوبة عبد الله بن عباس لعبد الله بن الزبير

(٢٣) ذكر غير واحد من المؤرخين منهم ابن أبي الحديد في شرح النهج: أن عبد الله بن الزبير لما قطع ذِكر رسول الله ﷺ من الخطبة جُمَعاً كثيرة لامه الناس فقال: إن له أهيل سوء إذا أنا ذكرته اتعلوا أعناقهم فأحب أن أكبتهم وعاتبه قوم من خاصته على ذلك فقال: ما تركته علانية إلا وأنا أقوله سراً ولكني رأيت بني هاشم إذا سمعوا ذكره اشرأبوا واحمرت ألوانهم وطالت رقابهم والله ما كنت آتي لهم سروراً وأنا أقدر عليه والله لقد هممت أن أحظر لهم حظيرة ثم أضرمها عليهم ناراً فإني لا أقتل منهم إلا آثماً كفاراً سحاراً لا انماهم الله ولا بارك عليهم بيت سوء لا أول لهم ولا آخر لهم والله ما ترك نبي الله فيهم خيراً استفرغ صدقهم فهم أكذب الناس.

فبلغ ذلك ابن عباس فخرج مغضباً ومعه ابنه حتى أتى المسجد فقصد قصد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ﷺ ثم قال: أيها أن ابن الزبير يزعم أنه لا أول لرسول الله ولا آخر فيا عجباً كل العجب لافترائه وكذبه إن أول من أخذ الإيلاف وحمى عير قريش لهاشم وأن أول من سقى بمكة عذباً وجعل باب الكعبة ذهباً لعبد المطلب والله لقد نشأت ناشئتنا مع ناشئة قريش وانا كنا لقالتهم إذا قالوا وخطباءهم إذا خطبوا وما عد مجد كمجد أولنا ولا كان في قريش مجد لغيرنا لأنها في كفر ما حق ودين فاسق وضلة وضلالة في عشواء عمياء حتى اختار الله لنا نوراً ويعث لنا سراجاً فانتحبه طيباً من طيبين لا يسب بمسبة ولا يبغى عليه غائلة فكان أحدنا وولدنا وعمنا وابن عمنا ثم إن أسبق السابقين إليه منا وابن عمنا ثم تلاه في السبق أهلنا ولحمتنا واحد بعد واحد ثم إنا لخير الناس بعده أكرمهم أدباً وأشرفهم حسباً وأقربهم منه رحماً وعجباً كل العجب لابن الزبير يعيب بني هاشم

وإنما شرف هو وأبوه وجده بمصاهرتهم أما والله إنه لمصلوب قريش ومتى كان العوام بن خويلد يطمع في صفية بنت عبد المطلب (قيل للبغل من أبوك يا بغل قال خالي الفرس) ثم نزل.

وخطب ابن الزبير بمكة وابن عباس تحت المنبر مع الناس فقال: إن ها هنا رجلاً قد أعمى الله قلبه كما أعمى بصره يزعم أن المتعة حلال من الله ورسوله ويفتي في القملة والنملة وقد احتمل بيت مال البصرة بالأمس وترك المسلمين بها يرتضخون النوى وكيف ألومه في ذلك وقد قاتل أم المؤمنين وحواري رسول الله ﷺ.

فقال ابن عباس لقائده سعيد بن جبير بن هشام مولى بني أسد بن خزيمة استقبل بي وجه ابن الزبير وارفع من صدري وكان قد كف بصره فاستقبل به وجهه وأقام قامته فحسر عن ذراعيه ثم قال يا ابن الزبير:

قد أنصف القارة من راماها   أنا إذا ما فئة نلقاها
نرد أولاها على أخراها   حتى تصير حرضا دعواها

فأما العمى فإن الله تعالى يقول ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] وأما فتياي في القملة والنملة فإن فيهما حكمين لا تعلمهما أنت ولا أصحابك وأما حملي المال فإنه كان مالاً جبيناه فأعطينا كل ذي حق حقه وبقيت بقية هي دون حقنا في كتاب الله فأخذنا حقنا وأما المتعة فسل أمك أسماء إذا نزلت عن بردي عوسجة وأما قتالنا أم المؤمنين فبنا سميت أم المؤمنين لا بك ولا بأبيك فانطلق أبوك وخالك إلى حجاب مده الله عليها فهتكاه عنها ثم اتخذاها فتنة يقاتلان دونها وصانا حلائلهما في بيوتهما فلا أنصفا الله ولا محمداً من أنفسهما إذ أبرزا زوجة نبيه وصانا حلائلهما وأما قتالنا إياكم فإنا لقيناكم زحفاً فإن كنا كفاراً فقد كفرتم بفراركم منا وإن كنا مؤمنين فقد كفرتم بقتالكم إيانا وأيم الله لولا مكان صفية فيكم ومكان خديجة فينا لما تركت لبني أسد بن عبد العزى عظماً إلا كسرته.

فلما عاد ابن الزبير إلى أمه سألها عن بردي فقالت ألم أنهك عن ابن عباس وعن بني هاشم فإنهم كعم الجواب إذا بدهوا قال: بلى وعصيتك فقالت: يا بني احذر هذا الأعمى الذي ما أطاقته الإنس والجن واعلم أن عنده فضائح قريش ومخازيها بأسرها فإياك وإياه آخر الدهر فقال في ذلك أيمن بن خزيم بن فاتك الأسدي:

يا ابن الزبير لقد لاقيت بالقة من البوائق فالطف لطف محتال
لاقيته هاشمياً طاب منبته في مغرسيه كريم العم والخال
ما زال يقرع منك العظم مقتدراً على الجواب بصوت مسمع عالي
حتى رأيتك مثل الكلب منجحراً خلف الغبيط وكنت الباذخ العالي
إن ابن عباس المعروف حكمته خير الأنام له حال من الحال
عيرته المتعة المتبوع سنتها وبالقتال وقد عيرت بالمال
لما رماك على رسل بأسهمه جرت عليك كسوف الحال والبال
فاحتز مقولك الأعلى بشفرته حزاً وحيّاً بلا قيل ولا قال
واعلم بأنك إن عاودت غيبته عادت عليك مخازٍ ذات أذيال

استدراكات مفيدة

(٢٤) كتب إلينا العالم الجليل المجاهد المحامي عن حوزة الدين الإسلامي والمؤلف الشهير الشيخ محمد الجواد البلاغي النجفي حفظه الله وشكر سعيه؛ صاحب كتاب الهدى إلى دين المصطفى والرحلة المدرسية وغيرهما من المؤلفات العزيزة النظير بعد إطلاعه على الجزء الأول من هذا الكتاب بهذه الملاحظات فأثبتناها هنا شاكرين له ذلك قال حفظه الله: في هذه الأيام تشرفت بالجزء الأول من هذا الكتاب فتشرفت بالنظر إليه جميعاً فكان من واجب حقك إن أذاكرك في بعض الموارد منه في هذا المكتوب لعلما يؤدي رأيك الشريف إلى إثباته في الأجزاء الآتية:

في الجزء المذكور في ذكر بلعم بن باعور (آتيناه آياتنا) التي كان من جملتها أنه كان بحيث إذا نظر يريد العرش كما نقله جماعة من العلماء، (قال) لم أجد هذا فيما هو لنا من كتب التفسير ولا في الكشاف، وفيه من التجسيم للعرش ما لا يقبل التأويل ويا ليت كتابك الشريف لم يذكر هذا ولم ينسبه إلى العلماء بقول مطلق. (المؤلف) لم يقم برهان على عدم تجسيم العرش ولو فرض فليكن حال هذا ﴿الرَّحْمَٰنُ

﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]؛ ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] ونحن نسبناه إلى جماعة من العلماء كما في مسودة كتابنا القديمة ولم يتيسر لنا الآن معرفة من قال ذلك من العلماء لعدم وجود كتبنا عندنا ولا غيرها.

وفي من الجزء المذكور حجة الجمهور أنه لو كان الكعب ما ذكره الإمامية لكان الحاصل في كل رجل كعباً واحداً فكان ينبغي أن يقال إلى الكعاب كما قيل إلى المرافق؛ لما كان في كل يد مرفق واحد. (والجواب) أن كلا العبارتين صحيحة فالجمع باعتبار جماعة المكلفين والتثنية باعتبار كل مكلف الخ..

(قال): والجواب لا ينبغي في بيان مذهب الإمامية ورفع الإبهام عنه أن يقال إلى الكعاب، وذلك لأن جمع الكعاب صادق أيضاً على ما يقول الجمهور حتى على تفكيك الجمع والخطاب باعتبار التكليف إلى كل مكلف لأنهم يقولون إن الكعاب المقصودة في كل مكلف أربعة: ولكن لا تحسن النكتة في العدول إلى تثنية الكعبين ومخالفة السياق إلا لبيان ما ذهب إليه الإمامية بأن يرفع عنه الإبهام الحاصل بما ذكرناه من صدق جمع الكعاب على ما يقوله الجمهور على كل تقدير. فثني الكعبين باعتبار كل مكلف بياناً للحقيقة التي يقول بها الإمامية وهو إن الكعب قبة القدم ولكل مكلف كعبان لا أربعة؛ (فإن قالوا) إن هذا معارض بالمثل فإن جمع الكعاب صادق على ما يقوله الإمامية كصدقه على ما نقوله فثني الكعبين باعتبار كل رجل رفعاً للإبهام وبياناً لما نذهب إليه (قلنا) هذه المعارضة ساقطة فإنه يحسن تفكيك الجمع وتحليله إلى كل واحد من المكلفين المخاطبين وذلك لأن الخطاب والتكليف ينحلان إلى الخطابات والتكاليف المتعددة بتعدد المكلفين والمخاطبين ولا يحسن تفكيك الأرجل في هذا السياق إلى كل رجل بانفرادها فإنه لا يعرف في صحيح الكلام أو فصحيه اغسل يديك واغسلوا أيديكم إلى المرفق أو امسح أو اغسل رجليك أو امسحوا أو اغسلوا أرجلكم إلى العقب مثلاً مما هو مختص برجل واحدة بل الصحيح أن يقال اغسل كل واحدة أو كلا من يديك إلى المرافق؛ أو اغسل يديك كل واحدة أو كلاً منهما إلى المرفق وكذا الكلام في اغسلوا يديكم وكذا أمسح أو اغسل رجليك أو أمسحوا أو اغسلوا أرجلكم إذا جعلت الغاية ما يختص بالرجل الواحدة.

(المؤلف) إذا كان الخطاب ينحل إلى خطابات متعددة بتعدد المكلفين فهو في الكل فلا يحسن أن يقال اغسلوا أيديكم إلى المرافق بل إلى المرفقين لأن كل مكلف له مرفقان لا مرافق، وإذا كان لا يحسن ولا يعرف في فصيح الكلام أن يقال اغسل يديك إلى المرفق فلا يحسن ولا يعرف في فصيح الكلام اغسل يديك إلى المرافق فلا بد من عدم التفكيك والتحليل في اغسلوا أيديكم والنظر إلى عموم المكلفين والمخاطبين، ليصح الجمع في المرافق فليكن كذلك وامسحوا أو اغسلوا أرجلكم فالنظر في الكل لا بد أن يكون إلى عموم المكلفين وتحليل الخطاب إلى خطابات لا ينبغي التعويل عليه في الجواب، بل يقال: إن التعبير بالجمع في كلا المقامين صحيح كالتعبير بالتثنية فالجمع باعتبار عموم المكلفين والتثنية باعتبار كل مكلف، لكن خص الجمع بالمرافق لعدم الاشتباه وخصت التثنية بالكعبين لدفع توهم إرادة الكعاب الأربعة في كل مكلف، وهذا يصلح أن يكون نكتة لتغيير العبارة لا حجة على أن المراد الكعبين من رجلين كما نقوله ولا حجة لمن يقول المراد الكعبين من كل رجل كما يقوله غيرنا، إذ كما يمكن إرادة الكعبين من كل مكلف يمكن إرادة الكعبين من كل رجل وإنما حجتنا قول أهل البيت ﷺ وهذه النكتة تصلح جواباً لمن يريد أن يعترضنا فيقول: لو كان الأمر كما قلتم لم يبق فرق بين المرفق في اليد والكعب في الرجل فلماذا جمع أحدهما وثني الآخر

وفي الجزء المذكور توفي الشيء أخذها تاماً؛ (قال) كما ذكره المحققون من اللغويين وذكروا منه:

إن بني الأدرد ليسوا لأحد ... ولا توفاهم قريش في العدد

فلماذا لا يقال إن التوفي المذكور في القرآن الكريم جار على هذا المعنى وإن اختلفت مصاديق الأخذ مع دلالة القرائن على المراد من المعنى العام، وعبر فيها بالتوفي إشارة إلى القدرة في مواردها على الأخذ للشيء وافياً بلا معارض ولا تنقيص وإن المأخوذ هو بمنزلة الحق الذي هو للمستوفي فيكون الأخذ من عالم الأحياء بالموت ومن عالم اليقظة بالنوم ومن عالم الأرض بالرفع إلى السماء، مع أن صحة ما في القرآن واستقامته كما هو الشأن في شرف القرآن الكريم مبنية على هذا كما سيأتي.

(المؤلف) إذا كان معنى التوفي في الأصل أخذ الشيء وافياً واستعماله في حقه تعالى من باب تنزيل المأخوذ بالحق المستوفي فهذا دخول في باب المجاز الواسع الذي يسع كل تصرف وتأويل وتشبيه وتنزيل مناسب، ولكن إدارة الأخذ من عالم الحياة بالموت ومن عالم اليقظة بالنوم ومن عالم الأرض بالرفع إلى السماء بمجردها لا تناسب ما لم يلحظ فيها أخذ شيء تاماً كما لا يخفى.

وفي حاشية هذه الصفحة لأنه تعالى استوفى منه مدته التي وقتت له في الدنيا وأخذها منه كاملة إلى آخره، (قال) المستوفي للمدة والأجل والآخذ لذلك إنما هو الإنسان والله المعطي لذلك بفضله هو الموفي كما يرشد إلى ذلك موارد الاستعمال في استيفاء الأجل والمدة؛ وإن المديون يستوفي مدته المعطاة له والدائن يستوفي الحق فشتان بين المدة والأجل وبين الحق في نسبة الاستيفاء والتوفي كما لا يخفى.

(المؤلف) كما يمكن نسبة استيفاء المدة إلى الإنسان يمكن نسبتها إليه تعالى، وكما يمكن أن يقال توفى الإنسان مدته بمعنى أخذها وافية تامة يمكن أن يقال توفى الله مدة العبد أي أكملها له وجعلها وافية تامة وأخذها منه؛ كذلك لسعة باب المجاز والتشبيه والتنزيل كما قدمنا.

وكذلك فمعنى الآية والله أعلم أنه تعالى يتوفى الأنفس عند الموت وعند النوم تشبيهاً للنوم بالموت إلى آخره، (قال) هذه الآية الكريمة هي تشهد للحقيقة فإن كلمة يتوفى المتعدية إلى الأنفس عند موتها وإلى التي لم تمت بل في منامها هي كلمة واحدة فكيف تتعلق بالأولى بمعنى الإماتة وبالثانية بمعنى التشبيه للنوم بالموت؛ فهل يجوز استعمال اللفظ في الحقيقة والمجاز وأكثر من معنى واحد والالتجاء إلى عموم المجاز لا محل له مع عموم المعنى الحقيقي، والقول بتقدير يتوفى ثانياً لدلالة يتوفى المتقدمة لا يجدي تحشمه أيضاً لأن المحذوف المدلول عليه في مثل المقام يجب أن يكون بمعنى الموجود الدال مضافاً إلى أنك لا ترضى لمجد القرآن الكريم أن يقول يميت الأنفس عند موتها ولا ترضى لفضله أن يقول في قوله حتى يتوفاهن الموت حتى يميتهن الموت.

(المؤلف) حيث إن التوفي معناه الحقيقي ليس هو الإماتة بل استيفاء المدة واستعمل في الإماتة لتضمنها استيفاء المدة فلا يلزم ما ذكر لو سلم عدم صحة

الاستعمال في المعنى الحقيقي والمجازي الشائع في الكلام ولا يلزم أن يكون معنى يتوفى الأنفس عند موتها يميتها عند موتها ولا معنى يتوفاهن الموت يميتهن الموت.

ومنها متوفيك أي مستوف أجلك (قال):

قد تقدم القول في استيفاء الأجل وما هو المانع من أن يقال على المعنى الحقيقي اللغوي الذي ليس فيه تكلف تقدير آخذك أي من عالم الأرض ومن بين البشر ورافعك إلي أي إلى عالم السماء وعناية الله الخاصة بنوع حياته

(المؤلف) قد مر أن المعنى الحقيقي اللغوي هو أخذ الشيء تاماً فالمانع من إرادة ما ذكر عدم اشتماله على أخذ شيء تاماً الذي لا بد منه كما مر.

وكذلك يمكن كون متوفيك بمعنى مميتك في وقتك الخ..

(قال):

هذا المعنى نقله الكشاف عن بعض؛ وليت شعري لماذا عدل هذا القائل عن المعنى الحقيقي وتجشم هذا التأويل وماذا يصنع بحكاية القرآن لما هو قبل نزوله بزمان ماض وهو قوله تعالى في أواخر سورة المائدة: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي﴾ [المائدة: ١١٦] - قال سبحانك - ما قلت لهم - فلما توفيتني: فهل يؤخر هذا التوفي إلى ما بعد نزوله من السماء.

(المؤلف) له أسوه بتأخير النفخ في الصور في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الكهف: ٩٩] إلى ما بعد فناء العالم.



التعصيب

وهذا إنما يتم على القول بالتعصيب (قال) اختلف فقهاؤهم الأربعة في هذه المسألة فاثنان أحدهما أبو حنيفة لم يوافقا عمر على تشريك الأشقاء مع الأخوة للأم وخلافهما له أوفق بقواعدهم فيما ادعوه من دلالة الكتاب المجيد على توريث الأخوة للأم معها بفريضة قوله تعالى في الآية الخامسة عشرة من سورة النساء ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ﴾ [النساء: ١٢] الآية واثنان من الأربعة أحدهما مالك في موطئه وافقا عمر في التشريك وليس للتعصيب المتفق عليه عندهم دخل في

هذه المسألة لأن الأخوة من الأم لا يعدونهم من العصبة ولا يرثون عندهم بالتعصيب بلى بالفرض كما ذكرناه عنهم (وأما تشريك الأشقاء) هنا فليس من التعصيب أيضاً عندهم لأن الإرث بالتعصيب عندهم إنما يكون فيما زاد عن الفرائض والفرائض عندهم ههنا مستوعبة للتركة. فليس تشريك الأشقاء ههنا إلا رأياً لا ينطبق حتى على ما عندهم من قواعدهم التي ينسبونها إلى الكتاب والسنة. إذن فلا حاجة إلى تتميم ما لا يتم بوجه لا يتم عندهم أيضاً (وقال مالك) في الموطأ في ميراث الأخوة للأب والأم إن الأخت والأختين في كلالة الأبوين إذا كان معهما أخ فلا فريضة لأحد من الأخوات ويبدأ بمن شركهم (كذا) بفريضة مسماة فيعطون فرائضهم فما فضل بعد ذلك من شيء كان بين الأخوة للأب والأم للذكر مثل حظ الأنثيين إلا في فريضة واحدة لم يكن لهم فيها فاشتركوا فيها مع بني الأم في ثلثهم. ثم ذكر هذه المسألة المشتركة. ثم علل فتواه بالتشريك فيها بقوله من أجل أنهم كلهم أخوة المتوفى لأمه وإنما ورثوا بالأم. وذكر الآية الخامسة عشرة من سورة النساء في الكلالة. وقال: ولذلك شركوا في هذه الفريضة لأنهم كلهم أخوة المتوفى لأمه، انتهى، ولا ينبغي أن يخفى ما في كلامه واحتجاجه بالآية الكريمة (أما أولاً) فلأنه لو كانت الآية تدل على تشريكهم في فريضة الثلث لكونهم أخوة للأم وورثوا بالأم لما صح قوله إلا في فريضة واحدة لم يكن لهم فيها شيء (وأما ثانياً) فإن إجماع المسلمين منعقد حتى من عمر في هذه القضية قبل اعتراض الأشقاء على أن المراد من الأخ والأخت والأكثر من ذلك في هذه الآية إنما هم الأخوة من الأم وحدها وهذا الإجماع هو الذي ميز بين هذه الكلالة وبين الكلالة المذكورة في آخر سورة النساء وإن مالكاً نفسه في الموطأ في مسألة ميراث الأخوة للأم وحدها صدرها بقوله الأمر المجمع عليه عندنا إلى أن قال فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث ثم احتج بالآية الكريمة المذكورة (وأما ثالثاً) فلأنه ليس في الآية الكريمة لفظ الأخوة من الأم لكي يتثبث بإطلاقه رغماً على الإجماع المذكور بل إن الذي فيها إنما هو واو الضمير الذي في كانوا الذي يعود على ما يتحصل من لفظ الأخ والأخت ومن المعلوم الذي يعترف به إن المراد الأخ والأخت من الأم خاصة إذن فمن أين جاء التعليل لتشريك الأشقاء بقوله لأنهم كلهم أخوة المتوفى لأمه (المؤلف) لا يحضرنا الآن ما يمكننا معه معرفة صحة ابتنائها على التعصيب وعدمها (انتهت الملاحظات).

هذا الكتاب والحمد لله؛ وكان الفراغ من تبييض أكثره في المبيضة ضحى يوم الاثنين التاسع من شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٩ هجرية ببلدة النبطية التحتا من جبل عامل وإكماله بمدينة دمشق ضحى يوم الجمعة السابع من شهر ذي القعدة الحرام من السنة المذكورة؛ على يد مؤلفه الفقير إلى عفو ربه الغني محسن الحسيني العاملي غفر الله ذنوبه وستر عيوبه والله تعالى هو المسؤول أن يكون مكتوباً عنده في ديوان الحسنات، والمرجو ممن نظر فيه أسبال ذيل الستر على ما يجده من خطأ أو خطل، فالإنسان محل الخطأ والنسيان وأن لا يسرع إلى الاعتراض والتفنيد قبل اعمال الفكر والروية؛ والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفهرس

الموضوع الصفحة

الجزء الأول

الجزء الثاني